

مِنْ رَوَائِعِ التَّفَاسِيرِ

النُّكْتُ وَالْحَيُوتُ تَفْسِيرُ الْمَاءِ وَرَدِّي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الأول

رَاجَعُهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
السَّيِّدُ بْنُ عَبْدِ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

المطابع - بناية الاتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨

هاتف المكتب :

ص ب ٥١١٥ - بيروت - الكتوكو

بيروت - لبنان

طاب من : دار النشر والعلمية بيروت - لبنان

ص ب ١١/٩٤٢٤ تلکس : Nasher 41245 Le

هاتف : ٨١٥٥٧٣ - ٣٦٦١٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

- ١ -

اعلم - رحمك الله - أن التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وقد قال العلماء:

أ- من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان، فقد فُسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر منه.

ب- فإن أعياه ذلك طلبه من السنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، قال الشافعي رحمه الله:

(كل ما حَكَم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^(١).

في آيات آخر، وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» يعني السنة^(٢).

ج- فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

وقد قال الحاكم في المستدرک: إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي، والتزليل له حُكم المرفوع،

قال الإمام النووي: وأما قول من قال تفسير الصحابي مرفوع، فذاك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية ونحوه» ولتفصيل ذلك أنظر: تدريب الراوي (١/١٩٣)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني (٢/٥٣١).

إذا لم يرد نص من الكتاب والسنة أو من قول صحابي في تفسير آية من القرآن الكريم وقام أحد من التابعين بتفسيرها اجتهداً من عنده، فهل يُقبل تفسيره؟ اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال، الراجح في نظرنا مذهب ابن تيمية، رحمه الله - في هذه المسألة: وهو أن التابعي إذ تفرد بقول ليس له شاهد أو ما يؤيده رُفُض. أما إذا اجتمع التابعون على شيء فلا شك في اعتباره حُجة، وأما إذا اختلفوا فلا يكون

(١) النساء، الآية: ١٠٥.

(٢) كتاب السنة، باب لزوم السنة.

قول بعضهم حجة على بعض، ولا على مَنْ بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن والسُّنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك^(١).

-٤-

إعلم - رحمك الله - أن التفسير بالمأثور هو الذي يجب اتباعه والأخذ به، لأنه طريق المعرفة الصحيحة، وهو آمن سبيل للحفظ من الزَّلَل والزَّيغ في كتاب الله. وقد رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله»^(٢).

(١) تفسير النسائي ٢٢/١.

(٢) مباحث في علوم القرآن. مناع القطان - ص ٣٥٠.

-٥-

التعريف بتفسير الماوردي

«النكت والعيون»

هو تفسير كامل للقرآن الكريم، اقتصر فيه الإمام الماوردي على تفسير ما خفي من آيات القرآن الكريم، أما الجلي الواضح فتركه لفهم القارئ، وقد جمع فيه بين أقاويل السلف والخلف، كما أضاف إلى ذلك ما ظهر له من معنى محتمل. ورتبه ترتيباً بديعاً، فهو يحصر الأقوال الكثيرة في تأويل الآية في عدد، ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث... الخ. وينسب كل قول إلى قائله غالباً، مع توجيه لبعض الأقوال، وترجيح، كما أنه يترك كثيراً منها بدون توجيه وترجيح.

وقد اعتنى فيه بالتفسيرات اللغوية، فيذكر أصول الكلمات، ويوضحها بضرب الأمثال، والاستشهاد عليها بالشعر، ويربطها بالمعنى المراد من الآية في عبارة موجزة ناصعة البيان^(١).

قال الإمام الماوردي مبيناً لمنهجه، في مقدمة تفسيره: «ولما كان الظاهر الجلي مفهوماً بالتلاوة، وكان الغامض الخفي لا يعلم إلا من وجهين: نقل واجتهاد، جعلت كتابي هذا مقصوراً على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره، جعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف وموضحاً عن المؤتلف والمختلف، وذاكراً ما سنع به الخاطر من معنى محتمل، عبرت عنه بأنه محتمل لتمييز ما قيل مما قلته، ويعلم ما استخرج مما استخرجته، وعدلت عما ظهر معناه من فحواه اكتفاء بفهم قارئه وتصور تاليه ليكون أقرب مأخذاً وأسهل مطلباً، وقدمت لتفسيره فصلاً تكون لعلمه أصولاً،

(١) العز بن عبد السلام - للدكتور عبد الله الوهيبي (ص ١٦٧).

يتضح منها ما اشتبه تأويله، وخفي دليله، وأنا أستمد من الله - تعالى - حُسن معونته،
وأُسأله الصلاة على محمد وآله وصحابه».

-٦-

امتاز تفسير الماوردي بأمر من:

- ١ - جمعه لأقوال السلف والخلف التي قيلت في تفسير الآية.
- ٢ - تحليلاته اللغوية الدقيقة في بيان مفردات الآية.
- ٣ - منهجه الدقيق في حصر الأقوال.
- ٤ - أنه لم يقتصر على المأثور فحسب، بل جمع فيه إلى المأثور ذكر الوجوه والقراءات، والأحكام الفقهيات.
- ٥ - مكانة المؤلف، في الفقه الشافعي وكونه إماماً فرداً فيه، وقيمة الاحتجاج بما يرجّحه.

مصادر الماوردي في تفسيره.

«أ» القراءات:

اعتمد رحمه الله على كتب القراءات التي كانت موجودة في عصره ككتاب «القراءات الشاذة» لابن خالويه، وكتاب «الحجة في علل القراءات السبع» لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، وكتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، ولقد استفاد أيضاً من كتب مكّي بن أبي طالب القيسي، وكتب أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

«ب» في التفسير بالمأثور.

يعتبر كتاب الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» من أهم مصادره في التفسير بالمأثور.
كذلك فقد نقل كثيراً عن مقاتل بن حيان، ومحمد بن إسحاق بن يسار، صاحب السيرة.

«ج» مصادره اللغوية والنحوية:

استمد الماوردي مادته اللغوية والنحوية من مصادر كثيرة ومتنوعة فنقل عن

الكسائي، والفراء، والأخفش، وثعلب، والمبرد، والزجاج، من مؤلفاتهم في معاني القرآن.

وعن أبي عبيدة من «مجاز القرآن» وعن الرماني من كتاب «الجامع لعلم القرآن».

كما نقل عن الخليل بن أحمد، وسيبويه، وعمر بن العلاء.

«د» مصادره الفقهية:

يعنى الماوردي خاصة بأقوال الشافعي رحمه الله في المسائل الفقهية كما تجده يشير إلى أئمة المذاهب الأخرى كأبي حنيفة ومالك وداود الظاهري، ولم يتطرق للإمام أحمد بن حنبل ولعله قد تأثر بالطبري الذي يرى أن الإمام أحمد محدثاً وليس فقيهاً!!!.

ترجمة المؤلف «الماوردي».

١ - اسمه :

هو أبو الحسن عليّ بن محمد بن حبيب الماوردي . البصري الشافعي .

٢ - نسبه : الماورديّ نسبة إلى بيع الماورد وعمله ، وهو ماء الورد الذي كان يعمل به والده ويبيعه^(١) .

٣ - مولده :

وُلد - رحمه الله - سنة ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م وذلك في البصرة ، وذلك في أزهى عصور الثقافة الإسلامية : حين بلغت الدولة العباسية ، درجة رفيعة من الرقيّ والتقدم العلمي^(٢) .

٤ - نشأته العلمية :

تلقى - رحمه الله - علومه الأولى في البصرة على يد أبي القاسم الصيمري ، وهو عالم البصرة آنذاك ، ثم رحل إلى بغداد وسكن في درب الزعفراني وفيها سمع الحديث وأخذ الفقه ، وانضم إلى حلقات أبي حامد الإسفرائيني لاستكمال ثقافته .

ولما بلغ أشده واستوى تصدّر للتدريس في بغداد والبصرة ، وتَنَقَّل في بعض المدن الأخرى لنشر علمه ، ثم استقر به المقام في بغداد فدرّس بها عدة سنين ، وحَدَّث فيها وفسّر القرآن وألّف فيها كتبه التي تدل على أنه كان عالماً بالحديث والفقه

(١) محيي هلال السرحان ، أدب القاضي (١/٢٢) .

(٢) الباب ٩٠/٣ ، شذرات الذهب ٢٨٥/٣ والأنساب للسمعاني .

والأدب والنحو والفلسفة والسياسة وعلوم الإجتماع والأخلاق، وقد وَلِيَ القضاء ببلدان كثيرة.

وعن طريق وظيفة القاضي خَبر الماوردي حياة الناس اليومية عن قُرب وعرف ما يقوم بينهم من أنواع المنازعات في مختلف نواحي الحياة^(١).

ولُقّب بقاضي القضاة في سنة ٤٢٩ هـ، وجرى من الفقهاء، إنكار لهذه التسمية، وقالوا: لا يجوز أن يسمى به أحد، ولم يلتفت لأقوالهم واستمر له لقب «أفضى القضاة!!»^(٢) إلى أن مات، واشتهر ذلك في كُتب المؤرخين حتى أصبح يُذكر مقروناً بهذا اللقب عند الباحثين، وقد لُقّب به القضاة فيما بعد.

٥ - شيوخه:

١ - الصيمري: أبو القاسم عبد الواحد بن الحسين البصري، تتلمذ عليه في علوم الفقه، توفي الصيمري سنة ست وثمانين وثلاثمائة^(٣).

٢ - الإسفرائيني: أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرائيني، حافظ المذهب الشافعي وإمامه، تتلمذ عليه في الفقه. وتوفي الإسفرائيني سنة ست وأربعمائة^(٤).

٣ - الباقي: عبد الله محمد البخاري - الشيخ الإمام أبو محمد الباقي، أخذ عنه الفقه، مات رحمه الله في المحرم سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة^(٥).

٤ - الحسن بن علي بن محمد الجبلي، أخذ عنه الحديث^(٦).

(١) المضاربة - للماوردي (ص ٥٧ - ٥٨).

(٢) شذرات الذهب (٢٨٥/٣)، الأعلام للزركلي (١٤٦/٥).

(٣) ترجمة الصيمري في: معجم البلدان (٤٣٩/٣)، طبقات الشافعية لابن السبكي (٣٣٩/٣)، وفيات الأعيان (٤٠٦/٥).

(٤) ترجمة الإسفرائيني في: طبقات الشافعية لابن السبكي (٦١/٤)، المنتظم لابن الجوزي (٢٧٧/٧)، تاريخ بغداد (٣٦٨/٤).

(٥) ترجمة الباقي في: طبقات الشافعية للسبكي (٣١٧/٣)، معجم البلدان (٤٧٥/١)، البداية والنهاية (٣٤٠/١١)، شذرات الذهب (١٥٢/٣).

(٦) ترجمته في الأنساب للسمعاني، وفي ترجمة الماوردي في تاريخ بغداد (١١٠/١٢).

- ٥ - جعفر بن محمد الفضل بن عبد الله أبو القاسم الدقاق: ويعرف بابن المارستاني البغدادي، أخذ عنه الحديث. ومات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة^(١).
 ٦ - محمد بن عدي بن زهر المنقري. أخذ عنه الحديث.
 ٧ - محمد بن المعلى بن عبيد الله، أبو عبد الله الأسدي الأزدي النحوي اللغوي، أخذ عنه العلوم العربية^(٢).

٦ - تلاميذه:

- ١ - الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد بن مهدي، أحد أعلام الحفاظ ومهرة الحديث وأحد الأئمة المشهورين^(٣)، توفي سنة ٤٦٣ هـ.
 ٢ - ابن خيرون: أبو الفضل أحمد بن الحسين المعروف بابن الباقلاني^(٤)، توفي سنة ٤٨٨ هـ.
 ٣ - عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الفضل الهمداني، المعروف بالمقدسي^(٥)، توفي سنة ٤٨٩ هـ.
 ٤ - علي بن الحسين بن عبد الله الربيعي، المعروف بابن عربية^(٦)، توفي سنة ٥٠٢ هـ.
 ٥ - محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسين بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربيعي الموصلي^(٧)، توفي سنة ٤٩٤ هـ.
 ٦ - أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بابن كادش

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد (٢٣٣/٧)، لسان الميزان (٢٦٠/٤).

(٢) معجم الأدباء (٥٥/١٩)، سير أعلام النبلاء للذهبي، وطبقات الشافعية لابن السبكي.

(٣) ترجمة الخطيب في: طبقات الشافعية (٣٩/٤)، البداية والنهاية (١٠١/١٢)، معجم الأدباء (٣٣/٤)، تذكرة الحفاظ (٣١٧/٣).

(٤) ترجمته في: البداية والنهاية (١٤٩/١٢)، ميزان الاعتدال (٩٢/١).

(٥) ترجمته في: الطبقات الكبرى للسبكي (١٦٢/٥).

(٦) النجوم الزاهرة (١٩٩/٥)، شذرات الذهب (٤/٤)، العبر للذهبي (٥/٤).

(٧) طبقات الشافعية الكبرى (١٠٢/٤)، البداية والنهاية (١٦١/٨).

البغدادى^(١)، توفي سنة ٥٢٦ هـ .

٧ - أحمد بن علي بن بدران أبو بكر الحلواني، أخذ عنه الحديث^(٢). مات سنة ٥٠٧ هـ .

٨ - عبد الرحمن بن عبد الكريم بن هوازن، أبو منصور القشيري أخذ عنه الحديث^(٣)، مات سنة ٤٨٢ هـ .

٩ - عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن، أبو منصور القشيري أخذ عنه الحديث^(٤)، مات سنة ٤٩٤ هـ .

١٠ - عبد الغني بن نازل بن يحيى بن الحسن بن شاهي الألواحي، أبو محمد البصري، أخذ عنه الحديث^(٥)، مات سنة ٤٨٦ هـ .

١١ - علي بن سعيد بن عبد الرحمن بن محرز بن أبي عثمان المعروف بأبي الحسن العبدري، أخذ عنه الحديث^(٦)، مات سنة ٤٩٣ هـ .

١٢ - محمد بن أحمد بن عمر، أبو عمر النهاوندي الحنفي. أخذ عنه الحديث^(٧)، مات سنة ٤٩٧ هـ . بالبصرة. وهناك تلاميذ كثير غيرهم .

٧ - مؤلفات الماوردي:

١ - الأحكام السلطانية، وهو من أقدم ما طبع من مؤلفاته رحمه الله وهو متداول ومعروف .

٢ - أدب الوزير، طبع بهذا العنوان في القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ وعنوان الكتاب

(١) البداية والنهاية (١٢/٢٠٤).

(٢) طبقات السبكي (٦/٢٨)، شذرات الذهب (٤/١٦)، تذكرة الحفاظ (٤/١٢٤١)، الكامل لابن الأثير (١/١٧٥).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٥/١٠٥).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٥/٢٢٥).

(٥) معجم البلدان (٤/٣٧٣)، طبقات السبكي (٥/١٣٥).

(٦) طبقات الشافعية (٥/٢٥٧).

(٧) المنتظم لابن الجوزي (٩/١٤١).

الأصلي هو «قوانين الوزارة وسياسة الملك» ثم قام الأستاذ الدكتور محمد سليمان داود بتحقيقه ونشره عام ١٩٧٦ م على نسخة أمانة استانبول تحت عنوان «الوزارة».

٣- أدب الدنيا والدين - مطبوع.

٤- أعلام النبوة. مطبوع.

٥- أدب القاضي - وهو قسم من كتاب الحاوي الكبير نشره محققاً الدكتور محيي هلال السرحان.

٦- تسهيل النظر وتعجيل الظفر. مخطوط. ومنه في مكتبات العالم نسختان. إحداهما موجودة بمكتبة غوته بألمانيا الشرقية وتحمل رقم ١٨٧٢.

والثانية: نسخة مختصرة في إحدى عشرة ورقة بكلية الآداب في طهران وتحمل رقم ٩٠ دش.

٧- نصيحة الملوك. يوجد مخطوطاً بالمكتبة الوطنية بباريس ضمن مجموع رقم ٢٤٤٧ وترتيبه الثالث في هذا المجموع. ويقع في ٦٣ صفحة.

٨- الأمثال والحكم: وتوجد نسخة منه في مكتبة ليدي تحت رقم ٣٨٢ وارنو.

٩- الحاوي الكبير: وهو أكبر موسوعة فقهية في الفقه الإسلامي عامة والمذهب الشافعي خاصة، يقول عنه مؤلفه: «بسّطت الفقه في أربعة آلاف ورقة، واختصرته في أربعين».

يريد بالمبسوط كتاب «الحاوي» وبالمختصر كتاب «الإقناع»^(١). ويوجد هذا الكتاب مفرقاً في مكتبات كثيرة في أنحاء العالم وقد قدّم دراسة حصرية لها الدكتور السرحان في مقدمة أدب القضاء من «الحاوي»^(٢) فلتراجع.

١٠- النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم، وهو كتابنا هذا. وستكلم عليه بالتفصيل إن شاء الله. بعد ذلك.

٨- وفاته - رحمه الله:

كانت وفاته في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول من سنة خمسين وأربعمائة.

(١) معجم الأدباء. لياقوت الحموي (١٥/١٢، ٤٠٨).

(٢) مقدمة أدب القاضي (٤٦ - ٥٠).

ودفن الماوردي بباب حرب ببغداد، وصلى عليه الخطيب البغدادي في جامع المدينة، وشيعه رؤساء الدولة وعلمائها^(١).

٩- مصادر ترجمته:

- ١- تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي (١١٠/١٢).
- ٢- معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٢/١٥).
- ٣- المنتظم لابن الجوزي (١٩٩/٨).
- ٤- العبر في خبر من غبر (٢٢٦/٣).
- ٥- طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٢٦٧/٥).
- ٦- البداية والنهاية لابن كثير (٨٠/١١).
- ٧- النجوم الزاهرة - لابن تغري بردى (٦٤/٥).
- ٨- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٢٨٥/٣).
- ٩- الكامل لابن الأثير (٨٧/٨).
- ١٠- وفيات الأعيان. لابن خلكان (٢٤٤/٢).
- ١١- طبقات الفقهاء للشيرازي. ص ١٣١.
- ١٢- مفتاح السعادة. طاش كبرى زادة (٢٦٣/١).
- ١٣- طبقات المفسرين للسيوطي ص ٢٥.
- ١٤- اللباب في تهذيب الأنساب (٩٠/٣).
- ١٥- معجم المؤلفين. لكحالة (١٨٩/٧).
- ١٦- الأعلام. للزركلي (١٤٦/٥).
- ١٧- معجم المطبوعات العربية (١٦١١/٢).
- ١٨- دائرة المعارف الإسلامية (٤١٦/٣).
- ١٩- لسان الميزان - لابن حجر (٢٦٠/٤).
- ٢٠- مقدمة أدب الدنيا والدين. تحقيق السقا.
- ٢١- مقدمة المضاربة. تحقيق الدكتور عبد الوهاب حواس وقد استفدنا منه كثيراً جزاء الله خيراً.

(١) طبقات الشافعية (٢٦٧/٥)، تاريخ بغداد (١٠٢/١٢).

منهج التحقيق

١ - تم نسخ الكتاب كاملاً من مجموع المخطوطات المتناثرة حيث أنه لا توجد مخطوطة واحدة كاملة للكتاب. ولكن والله الحمد. بمجموع النسخ والأجزاء صار الكتاب كاملاً. ولعل هذا السبب في تأخر نشر هذا الكتاب برغم أنه من أقدم التفاسير.

٢ - ثم خرجنا أحاديث الكتاب من المصادر التي أمكننا الوقوف عليها، ثم أبنا عن درجة كل حديث مما لم يرد في الصحيحين أو أحدهما، حسب الأصول والقواعد المتبعة في علم مصطلح الحديث. وذكرنا ما قيل في رجاله ممن تكلم فيهم مسترشدين بأقاويل جهابذة الحديث ونقادها، فإنهم القدوة في هذا الباب، وما كان فيه من أخبار ضعيفة بحثنا في طرقها المختلفة، وشواهدنا، فما تقوى منها بتعدد الطرق أو بالشواهد حكمنا عليه بالصحة أو الحسن تبعاً لمنزلة تلك الطرق والشواهد، وما لم نجد له ما يقويه، حكمنا عليه بالضعف، وأشرنا إلى ذلك معززين ما ذهبنا إليه بنقول عن الحفاظ من أئمة الحديث الذين غنوا بذلك في القديم والحديث.

٣ - ثم اهتمنا بضبط النص، ووزعناه توزيعاً فنياً وضبطنا بالشكل ما يشبه من الألفاظ والمواضع والكنى والأسماء.

٤ - شرحنا ما جاء فيه من الغريب من غير بسط ولا إسهاب.

٥ - علقنا على مواضع منه بما يستكمل مقاصده ويوضح مراميه، ويُيسر الإنتفاع

منه.

٦ - وما ورد فيه من آيات وأحاديث فقد ضبطناه بالشكل الكامل.

مخطوطات الكتاب

يعتبر كتاب «النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم» من أهم التفاسير للقرآن الكريم ولا غَرْو أن يعتمد منه من جاء بعده من العلماء ونقلوا منه كالإمام ابن الجوزي في «زاد المسير»، والإمام القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن».

لذلك توجد نسخ كثيرة منه مخطوطة، بيد أنها متناثرة في شتى مكتبات العالم تقريباً.

ولا توجد له نسخة كاملة قط باستثناء نسخة مكتبة كوبريلي باستانبول على ما فيها من مؤاخذات.

ومن مجموع نسخ خطية في مكتبات العالم تم نشر هذا الكتاب النافع - إن شاء الله، وفي الصفحات التالية صور لبعض صفحات منها.

الجزء الخامس تفسير القرآن

سنة اتمى العتاه الى الجسر عيسى

رحمته الماوردنى وجهه الله

منه الى حرم لبيبه

بسم الله

الحمد لله الذي

قد اتمى العتاه الى الجسر عيسى

رحمته الماوردنى وجهه الله

منه الى حرم لبيبه

بسم الله

الحمد لله الذي

قد اتمى العتاه الى الجسر عيسى

رحمته الماوردنى وجهه الله

منه الى حرم لبيبه

بسم الله

الحمد لله الذي

قد اتمى العتاه الى الجسر عيسى

رحمته الماوردنى وجهه الله

منه الى حرم لبيبه

بسم الله

الحمد لله الذي

قد اتمى العتاه الى الجسر عيسى

رحمته الماوردنى وجهه الله

منه الى حرم لبيبه

بسم الله

الحمد لله الذي

قد اتمى العتاه الى الجسر عيسى

رحمته الماوردنى وجهه الله

صورة من مخطوطة المكتبة العباسية
العراق - البصرة

33

منه من قوله الرضا من الحسن ما لا يشك لك من
طوبى لئلام ناداهما وعلمت شروعه وادراكه
عقله فعمل هذا الوجه يكون ما دللنا من هذا
احدما للوجه بالوجه من الوجه المذكور
والشيخ الوجه الثاني من شروا لان في نفسه
الوجه من شروا لا يكون ما دللنا من هذا
عقله فعمل هذا الوجه يكون ما دللنا من هذا
احدما للوجه بالوجه من الوجه المذكور
والشيخ الوجه الثاني من شروا لان في نفسه
الوجه من شروا لا يكون ما دللنا من هذا



2

[illegible]

وهمسنا له: وضع الكلام للمؤلف وضع النصير

三

استقر في الليرة في سنة ١٢٠٢
مطابق سنة ١٢٠٢
ويعمل في السنة ١٢٠٢



١٩٠
من العشر والاربعين جمع من الرقة والرقة من العشر ...
عن العشر

نور العرش والاله محمد الله منه
وسبقه في غيره النور من الماء

واعلم يا علي وسمي على سبيل امرئ النبي وعلى الله اجمعين
كسبه الفقير الى رحمة الله تعالى تارة لا بد من العشر الاول
من حلاله سنة اربعة مائة ...
...
...
...
...
...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ونخصه بمُعْجَزٍ دَلٍّ على تنزيله ، ومنع من تبديله ، وبَيَّنَّ به صِدْقَ رَسُوْلِهِ ، وجعل ما استودعه على نوعين : ظاهراً جَلِيّاً وغامضاً خَفِيّاً يشترك الناس في علم جَلِيّهِ ويختص العلماء بتأويل خَفِيّهِ حتى يَغْمُ الإعجاز ، ثم يحصل التفاضل والإمْتِياز .

ولمَّا كان ظاهرُ الجَلِيّ مفهوماً بالتلاوة ، وكان الغامضُ الخَفِيّ لا يُعلم إلا من وجهين : نقلٍ واجتهادٍ ، جعلت كتابي هذا مقصوداً على تأويل ما خفي علمه ، وتفسير ما غمض تصوُّرُهُ وفهمه ، وجعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف ، وموضحاً عن المؤتلف والمختلف ، وذاكراً ما سَنَحَ به الخاطر من معنىٍ يحتمل ، عبَّرت عنه بأنه محتمل ، لِيَتِمِّيزَ ما قيل مما قلته وَيُعْلَمَ ما اسْتُخْرِجَ ممَّا اسْتُخْرِجْتُهُ . وَعَدَلْتُ عَمَّا ظهر معناه من فَحْوَاهُ اكتفاءً بفهم قارئه وتصوُّر تَالِيِهِ ، ليكون أقرب مأخذاً وأسهل مطلباً .

وَقَدَّمْتُ لتفسيره فصولاً ، تكون لعمله أصولاً ، يُسْتَوْضَحُ منها ما اشتبه تأويله ، وَخَفِيَ دَلِيلُهُ ، وَأَنَا أَسْتَمِدُّ اللهَ حَسَنَ معونته ، وأسأله الصلاة على محمد وآله وصحابه .

أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ

سمى الله القرآن في كتابه بأربعة أسماء :

أحدها : القرآن ، قال الله عز وجل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ .

والثاني : الفرقان قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ .

والثالث : الكتاب قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ .

والرابع : الذكر قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ .

فأما تسميته بالقرآن ففيه تأويلان :

أحدهما : وهو قول عبد الله بن عباس^(١) ، مصدر من قولك قرأت أي بيئت ، استشهداً بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ يعني إذا بيئناه فاعمل به .

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ قرأ القرآن على أبي ، عمر ، عثمان ، علي وأبي ذر وغيرهم ، ومن تلاميذه : مجاهد ، سعيد بن جبير ، والأعرج وغيرهم ، دعا النبي ﷺ له فقال : « اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين » ومناقبه رضي الله عنه كثيرة . توفي بالطائف سنة ثمان وستين ، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : اليوم مات رباني الأمة وقد كف بصره في أواخر عمره رضي الله عنه . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٣٦٥/٢) ، تاريخ البخاري الكبير (٣/٥) ، حلية الأولياء (٣١٤/١) الاستيعاب (٣٥٠/٢) ، البداية والنهاية (٢٩٥/٨) ، الإصابة (٣٣٠/٢) وغيرها كثير .

والتأويل الثاني : وهو قول قتادة^(٢) ، أنه مصدر من قولك قرأت الشيء ، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، لأنه أي مجموعة ، مأخوذ من قولهم : ما قرأت هذه الناقة سَلَى قط ، أي لم ينضم رَحْمُها على ولد ، كما قال عمرو بن كلثوم^(٣) :

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الْكَاشِحِينَ
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءُ بِكْرِ هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

أي لم تضم رحماً على ولد ، ولذلك سُمِّي قرء العدة قرءاً لاجتماع دم الحيض في الرحم .

فأما تسميته بالفرقان ، فلأن الله عز وجل فرَّق فيه بين الحق والباطل ، وهو قول الجماعة ، لأن أصل الفرقان هو الفرق بين شيئين .

وأما تسميته بالكتاب ، فلأنه مصدر من قولك كتبتُ كتاباً ، والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومتفرقة ، وسمي كتاباً وإن كان مكتوباً ، كما قال الشاعر^(٤) :

تُؤْمَلُ رَجْعَةً مِنِّي وَفِيهَا كِتَابٌ مِثْلَ مَا لُصِقَ الْغِرَاءُ

يعني مكتوباً ، والكتابة مأخوذة من الجمع من قولهم : كتبت السقاء ، إذا جمعته بالخرز قال الشاعر^(٥) :

لَا تَأْمَنَنَّ فِرَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوبِكَ وَأَكْتَبَهَا بِأَسْيَادٍ

وأما تسميته بالذكر ، ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه ذكر من الله تعالى ذُكِّر به عباده ، وعرفهم فيه فرائضه وحدوده .

والثاني : أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به ، وصدق بما جاء فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ يعني أنه شرف له ولقومه^(٦) .

(٢) هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي ، أبو الخطاب . عالم أهل البصرة كان آية في الحفظ وذا باع في اللغة وأيام العرب توفي رحمه الله سنة ١١٧ . أنظر : -

شذرات الذهب (١٥٣/١) ، معجم المؤلفين (١٢٧/٨) ، صفة الصفوة (١٨٣/١) .

(٣) هذان البيتان من معلقة عمرو المشهورة . أنظر شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ص ٣٧٧ ، ٣٧٩ .

(٤) بيت من الشعر لشاعر أرسله إلى امرأته في مكتوب أعلمها فيه بطلاقها . تفسير الطبري (١٧/١) .

(٥) بيت من قصيدة هجاء لسالم بن دارة هجا فيها ثابت بن رافع الفزاري فقتله الشعر والشعراء (٣٦٣) .

(٦) معظم هذا الفصل إن لم يكن كله مأخوذ من تفسير الطبري (٩٤/١) وأزيد هنا أن للقرآن أسماء =

أما التوراة ، فإن الفراء^(٧) يجعلها مشتقة من قولهم : وَرِيَ الزند إذا خرج ناره ، يريد أنها ضياء .

وأما الزبور ، فإنه مشتق من قولهم : زَبَرَ الكتاب يزُبره إذا كتبه ، ومنه قول الشاعر^(٨) :

عَرَفْتُ الدِّيارَ كَرَقَمِ الْكِتَا بِ يَزْبُرُهُ الْكَاتِبُ الْحَمِيرِيُّ

وأما الإنجيل ، فهو مأخوذ من نجلت الشيء ، إذا أخرجته ، ومنه قيل لنسل الرجل نجله ، كأنه هو استخرجهم ، قال الشاعر :

أَنْجَبُ أَيَّامٍ وَالِدَيْهِ مَعَا إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ مَا نَجَلَا

فصل

روى أبو بردة ، عن أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أُعْطَانِي رَبِّي مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوْلَ ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي ، وَمَكَانَ الزُّبُورِ الْمِثْنِ ، وَفَضَّلَنِي رَبِّي بِالْمُفْصَّلِ »^(٩) .

فأما السبع الطول ، فالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف

= أخرى غير هذه تربو على المائة ذكرت في (١٦٩/١) دقائق التفسير.

(٧) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي أبو زكريا العلامة صاحب التصانيف النحوي ، صاحب الكسائي . مات رحمه الله بطريق الحج سنة سبع ومئتين . أنظر طبقات الزبيدي (١٤٣) ، البداية والنهاية (٢٦١/١٠) ، معجم الأدباء (٩/٢٠) .

(٨) الشاعر هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت من قصيدة له ديوان الهذليين (٦٤/١) .

(٩) رواه الطبري (١٠١/١) من الطريق التي ذكرها المؤلف من حديث ليث بن أبي سليم عن أبي بردة عن أبي المليح به وليث أكثر الجمهور على تضعيفه لكن للحديث متابعة من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح به رواها الطبري (١٠٠/١) والطريق التي ذكرها المؤلف رواها أحمد أيضاً (١٠٧/٤) والطبري برقم (١٩٧) والطبراني في الكبير (٧٥/٢٢) والطحاوي في مشكل الآثار (١٥٤/٢) وحسنها الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٦٩/٣) ثم صحح الحديث بعد ذلك في المصدر المشار إليه وللحديث شاهد من مرسل أبي قلابة بسند صحيح رواه الطبري (١٠٠/١) وقد حسن الإمام السيوطي الحديث في الجامع (٥٦٥/١) ولعله لشاهده وللمتابع وإلا فهو ضعيف من طريق واحد .

تنبيه : فات العلامة الألباني نسبة الحديث للمسد في السلسلة وهو فيه كما رأيت .

ويونس ، في قول سعيد بن جبير^(١٠) ونحوه ، عن ابن عباس^(١١) ، وهو الصحيح ، وإنما سُميت السبع الطول لطولها على سائر القرآن .

أما (المثنون) فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص عنها شيئاً . وأما المثنائي ، ففيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها السور التي عَنِيَ الله فيها القصص والأمثال والفرائض والحدود ، وهذا قول عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير .

والثاني : أنها فاتحة الكتاب ، وهو قول الحسن البصري^(١٢) ، قال الراجز :

نَشَدْتُكُمْ بِمَنْزِلِ الْقُرْآنِ أُمُّ الْكِتَابِ السَّبْعِ مِنْ مَثَانِي
ثَنِينَ مِنْ آيِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسَّبْعِ سَبْعَ الطُّوْلِ الدَّوَانِي

والثالث : أن المثنائي ما ثنيت المائة فيها من السور ، فَبَلَغَ عددها مائتي آية أو ما قاربها ، فكان المائتين لها أوائل ، والثاني ثواني ، وقال بعض الشعراء^(١٣) :

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّوَاتِي طُوِّلَتْ وَمَائَتَيْنِ بَعْدَهَا قَدْ أَمِنَتْ
وَبِمَثَانِي ثُنَيْتٌ وَكُرِّرَتْ وَبِالطَّوَّاسِينِ الَّتِي قَدْ ثَلَّثَتْ
وَبِالْحَوَامِيمِ الَّتِي قَدْ سَبَقَتْ وَبِالتَّفَاصِيلِ الَّتِي قَدْ فَصَّلَتْ

وأما المفصل ، فإنما سمي مُفَصَّلاً لكثرة الفصول التي بين سُورِهِ ، وهو بسم الله الرحمن الرحيم ، وسمي المفصل محكماً ، لما قيل إنه لم ينسخ شيء منه .

وآختلفوا في أول المفصل على ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو قول الأكثرين : أنه سورة محمد ﷺ إلى سورة الناس .

(١٠) هو سعيد بن جبير بن هشام الإمام العلم ، أبو عبد الله ، الأسدي . كان من سادة التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة أجل تلاميذ ابن عباس استشهد رحمه الله بواسط سنة خمس وتسعين : أنظر : -

طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦) ، سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤) ، ثقات ابن حبان (٢٧٥/٤) .

(١١) أفاد الحافظ في الفتح أن النسائي رواه عنه بسند صحيح (١٥٨/٨ فتح) .

(١٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، أبو سعيد ، سيد أهل زمانه علماً وعملاً . كان إمام أهل البصرة . أخباره ومناقبه يطول شرحها توفي سنة عشر ومئة . أنظر : -

سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤) ، حلية الأولياء (١٣١/٢) ، الأعلام للزركلي (٢٢٧/٢) .

(١٣) هذه الأبيات في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٧ .

والثاني : من سورة قَ إلى الناس ، حكاه عيسى بن عمر^(١٤) ، عن كثير من الصحابة .

والثالث : وهو قول ابن عباس : من سورة الضحى إلى الناس ، وكان يفصل في الضحى بين كل سورتين بالتكبير ، وهو رأي قراء مكة .

فصل

وأما السورة من سورة القرآن ، وتجمع سُوراً ففيها لغتان :

إحدهما : بهمز .

والأخرى : بغير همز .

فأما السورة بغير همز ، فهي المنزلة من منازل الارتفاع ، ومن ذلك سُمِّي سُورُ المدينة لارتفاعه على ما يحويه ، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ^(١٥)

يعني منزلة من منازل الشرف ، التي قصرت عنها منازل الملوك ، فسُميت السورة لارتفاعها وعلو قدرها .

وأما السُورَةُ بالهمزة ، فهي القطعة ، التي قد فَضِّلَتْ من القرآن على سواها وأُبْقِيَتْ منه ، لأن سُورَ كُلِّ شَيْءٍ بَقِيَّتُهُ بَعْدَ مَا يُؤْخَذُ مِنْهُ ولذلك سُمِّيَ ما فَضِّلَ فِي الْإِنَاءِ بَعْدَ الشَّرْبِ مِنْهُ سُورًا ، وقال النبي ﷺ : « إِذَا شَرِبْتُمْ فَأَسْتُرُوا »^(١٦) يعني

(١٤) هو عيسى بن عمر الكوفي ، أبو عمر ، قرأ على عاصم وطلحة بن مصرف والأعمش وغيرهم وقرأ عليه الكسائي وعبد الرحمن بن أبي حماد وغيرهما . توفي سنة ست وخمسين ومئة . أنظر : -

التاريخ الكبير (٣٩٧/٧) ، سير أعلام النبلاء (١٩٩/٧) ، معرفة القراء (١١٩/١) .

(١٥) بيت من قصيدة مدح وإعتذار مدح فيها النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ملك الحيرة . أنظر ديوانه : ٥٧ .

(١٦) وفي نسخة أخرى إذا أكلتم وهذا الحديث وذاك ذكرنا بدون إسناد فقد نقلهما القاري عن القاضي عياض كما في كشف الخفا (٨٣/١) بدون عزو لأحد وقال النجم عن حديث إذا أكلتم فأفضلوا لم أجده حديثاً بل في الحديث ما يعارضه كحديث مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ أمر ببلع الأصابع والصحفة وقال : « إنكم لا تدرُونَ في أي طعامكم البركة » . وقد تعرَّض الوزير ابن هبيرة لتأويل حديث إذا شربتم فاستروا كما نقله ابن رجب في ذيل الطبقات (٢٧٢/١) عن ابن الجوزي عنه . ولم ينسب الحديث لأحد .

فأبقوا فضلةً في الإناء ، ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة يصف امرأةً فارقتة ، فأبقت في قلبه بقية من حبها :

فَبَانتَ وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الْفُؤَا دِ صَدْعًا عَلَى نَاقِيهَا مُسْتِطِيرًا^(١٧)
والأول من القولين أصح .

وأما الآية من القرآن ، ففيها تأويلان :

أحدهما : إنما سميت آية لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها ، لأن الآية العلامة ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ يعني علامة منك لإجابتك دعاءنا . وقال الشاعر ، وهو عبد بني الحسحاس :

الْكِنْيَ إِلَيْهَا - عَمْرُكَ اللَّهُ - يَا فَتَى بِآيَةٍ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيًا^(١٨)
والتأويل الثاني : أن الآية في كلامهم ، القصة والرسالة ، كما قال كعب بن

زهير :

أَلَا أُبْلِغَا هَذَا الْمَعْرُضَ آيَةً أَيْقِظَانُ قَالَ الْقَوْلُ أَوْ قَالَ دُوْجِلْمِ

فيكون معنى الآية القصة ، التي تتلو قصة بفصول ورسول وأصول .

وروى أبو حازم^(١٩) ، عن أبي سلمة^(٢٠) ، عن أبي هريرة^(٢١) ، أن رسول الله ﷺ قال : « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، وَالْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ (ثلاث

(١٧) ديوان الأعشى : ٦٧ .

(١٨) بيتاً من قصيدة لكعب في ديوانه : ٦٤ .

(١٩) هو أبو حازم الأشجعي صاحب أبي هريرة محدث ثقة اسمه سلمان الكوفي ، حدث عن أبي هريرة فأكثر وعن ابن عمر مات في خلافة عمر بن عبد العزيز قريباً من سنة مئة : أنظر : طبقات ابن سعد (٢٩٤/٦) ، تاريخ الإسلام (٧٣/٤) ، سير أعلام النبلاء (٧/٥) .

(٢٠) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف وقيل اسمه اسماعيل كان ثقة فقيهاً . كثير الحديث من الطبقة الثانية من التابعين توفي رحمه الله في المدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد . أنظر :

طبقات ابن سعد (١٥٥/٥) ، تاريخ ابن عساكر (١٤٩/٩) ، تاريخ الاسلام (٧٦/٤) .

(٢١) هو عبد الرحمن بن صخر السدوسي رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ كان إماماً صالحاً حسن الأخلاق ، اختلف في سنة وفاته فقبل سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان . أنظر :

طبقات ابن سعد (٣٦٢/٢) ، (٣٢٥/٤) ، الاستيعاب (١٧٦٨/٤) ، حلية الأولياء (٣٧٦/١) ، الإصابة (٦٣/٤) ، سير أعلام النبلاء (٥٧٨/٢) وغيرها .

مرات) ، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَأَعْمَلُوا بِهِ ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ » (٢٢) .

وروى محمد بن عمر ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، عَلِيمٌ حَكِيمٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٢٣) .

اختلف المفسرون في تأويل السبعة الأحرف ، التي نزل القرآن بها على أربعة

أقاول :

أحدها : معناه على سبعة معانٍ ، وهي أمر ونهي ووعد ووعيد وجدل وقصص

ومثل .

روى عون (٢٤) ، عن أبي قلابة (٢٥) قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : « أَنْزَلَ

الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ : أمر ، ونهي ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، ومثل ،

وقصص » (٢٦) .

والثاني : يعني سَبْعَ لغات مختلفة ، لا مما يغير حكماً في تحليل ولا

(٢٢) رواه ابن حبان (١٤٦/١) وأحمد (٣٠٠/٢) وابن جرير (٢٢/١) والبزار مختصراً (٩٠/٣) وأبو يعلى والنسائي كما أفاده ابن كثير في التفسير (٢ : ١٠٢) وزاد السيوطي نسبته في الدر (١٥٤/٢) لأبي داود ونصر المقدسي في كتاب الحجة وقال الهيثمي في المجمع (١٥٦/٧) رواه البزار وفيه محمد بن عمر وهو حسن الحديث وبقي رجاله رجال الصحيح .

تنبيه : نسبة الحديث للنسائي إنما هو له في كتاب فضائل القرآن .

(٢٣) رواه أحمد (٣٣٢/٢) ، (٤٠٠) وابن حبان (٦٢/٢) وابن جرير في التفسير (٢٢/١) وقال الهيثمي في المجمع (١٥١/٧) رواه كله أحمد باسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه .

(٢٤) هو عوف بن عبد الله بن مسعود كان من أدب أهل المدينة وأفقههم ، حدث عن ابن المسيب وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو وغيرهم . توفي سنة بضع عشرة ومئة . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٣١٣/٦) ، تاريخ البخاري الكبير (١٣٠/٧) ، تاريخ الإسلام (٢٨٧/٤) حلية الأولياء (٢٤٠/٤) .

(٢٥) هو عبد الله بن زيد بن مالك ، أبو قلابة كان محباً للسنّة ، قامعاً للبدعة . ترك من الكتب حمل بغل ، وكان كثير الحديث . حدث عن أنس ، مالك بن الحويرث ، عبد الله بن عباس ، وأبي هريرة وغيرهم وأدرك خلافة عمر بن عبد العزيز ثم توفي في الشام سنة أربع ومئة . أنظر :

طبقات ابن سعد (١٨٣/٧) ، البداية والنهاية (٢٣١/٩) ، تاريخ البخاري (٩٢/٥) تذكرة الحفاظ

(٨٨/١) ، النجوم الزاهرة (٢٥٤/١) .

(٢٦) رواه ابن جرير (٦٩/١) قال الشيخ أحمد شاكر هذا حديث مرسل لا تقوم به حجة .

تحريم ، مثل هلم وتعال وأقبل ، هي مختلفة ومعانيها مؤتلفة ، فكانوا في صدر الإسلام مخيرين فيها ثم اجتمعت الصحابة^(٢٧) ، عند جمع القرآن على أحدها ، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما أعرضوا عنه .

والثالث : يريد على سبع لغات من اللغات الفصيحة ، لأن بعض قبائل العرب أفصح من بعض لبعدهم من بلاد العجم ، فَكَانَ من نزل القرآن بلغتهم من فصحاء العرب سبع قبائل .

والرابع : يريد على سبع لغاتٍ للعرب في صيغة الألفاظ ، وإن وافقه في معناه ، كالذي اختلف القراء فيه من القراءات والله أعلم .

فصل

فأما إعجاز القرآن الذي عجزت به العرب عن الإتيان بمثله ، فقد اختلف العلماء فيه على ثمانية أوجه :

أحدها : أن وجه إعجازه ، هو الإعجاز والبلاغة ، حتى يشتمل يسير لفظه على كثير المعاني ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فجمع في كلمتين ، عدد حروفهما عشرة أحرف ، معاني كلام كثير .

والثاني : أن وجه إعجازه ، هو البيان والفصاحة ، التي عجز عنها الفصحاء ، وقصر فيها البلغاء ، كالذي حكاه أبو عبيد^(٢٨) ، أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ : ﴿ فَأَصْدَغَ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ فسجد ، وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ، وسمع آخر رجلاً يقرأ : ﴿ فَلَمَّا آسَتْ يَأْأُوسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام .

(٢٧) وذلك في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما بلغه أن الناس قد اختلفوا في قراءته فخشي تفرق الأمة واختلافهم في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى فجمعهم على قراءة واحدة .

(٢٨) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، محدث ، مقرئ ، فقيه . أخذ عن أبي زيد الأنصاري ومعمربن المشني ، والفراء ، والأصمعي وغيرهم . توفي سنة [٢٢٢ هـ] . أنظر : -

المنهج الأحمد (٣٦ / ١) ، تاريخ بغداد (٤٠٣ / ١٢) ، معجم الأدباء (٢٥٤ / ١٦) ، طبقات القراء لابن الجوزي (١٧ / ٢) .

وحكى الأصمعي^(٢٩) قال : رأيت بالبادية جارية خماسية أو سداسية وهي

تقول :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدُنْيِي كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْسَانًا لَغَيْرِ حِلِّهِ
مِثْلَ غَزَالٍ نَاعِمٍ فِي دَلِّهِ فَأَنْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصَلِّهِ

فقلت لها : قاتلك الله ما أفصحك ، فقالت : أتعدُّ فصاحةً بعد قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فجمع في آية واحدة ، بين أمرين ، ونهيين ، وخبرين ، وإنشاءين .

والثالث : أن وجه إعجازه ، هو الوصف الذي تنقضي به العادة ، حتى صار خارجاً عن جنس كلام العرب ، من النظم ، والنثر ، والخطب ، والشعر ، والرجز ، والسجع ، والمزدوج ، فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها ، مع كون ألفاظه وحروفه في كلامهم ، ومستعمله في نظمهم ونثرهم .

حكى أن ابن المقفع^(٣٠) طلب أن يعارض القرآن ، فنَظَّمَ كلاماً ، وجعله مفصلاً ، وسماه سوراً ، فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في مكتب : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فرجع ، ومحا ما عمل ، وقال : أشهد أن هذا لا يُعَارَضُ أبداً ، وما هو من كلام البشر ، وكان فصيح أهل عصره .

والرابع : أن وجه إعجازه ، هو أن قارئه لا يكل ، وسامعه لا يمل ، وإكثار

(٢٩) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي ، أبو سعيد . أديب ، لغوي ، أصولي من أهل البصرة . قدم بغداد في أيام هارون ، توفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ . له تصانيف كثيرة منها : المذكور والمؤنث ، نوادر الأعراب . أنظر :-
التاريخ الكبير (٢٧٧/٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢٧٣/٢) ، وفيات الأعيان (٣٦٢/١) النجوم الزاهرة (١٩٠/٢) .

(٣٠) هو عبد الله بن المقفع . كاتب ، شاعر ، وأحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي وهو فارسي الأصل نشأ بالبصرة وأتهم بالزندقة فقتله أمير البصرة سفيان بن معاوية . من آثاره : الأدب الصغير ، الدرة اليتيمة ، والجوهر الثمين في طاعة السلطان . أنظر :-

سير أعلام النبلاء (٢٢٢/٥) ، لسان الميزان (٣٦٦/٣) ، البداية والنهاية (٩٦/١٠) معجم المؤلفين (١٥٦/٦) .

تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس ، وميلاً إلى القلوب ، وغيره من الكلام ، وإن كان مستحسن النظم ، مستعذب النثر ، يمل إذا أعيد ويُستقل إذا رُدَّد .

والخامس : أن وجه إعجازه ، هو ما فيه من الإخبار بما كان مما علموه ، أو لم يعلموه ، فإذا سألوا عنه ، عرفوا صحته ، وتحققوا صدقه ، كالذي حكاه من قصة أهل الكهف ، وشأن موسى والخضر ، وحال ذي القرنين ، وقصص الأنبياء مع أممها ، والقرون الماضية في دهرها .

والسادس : أن وجه إعجازه ، هو ما فيه من علم الغيب ، والإخبار بما يكون ، فيوجد صدقه وصحته ، مثل قوله لليهود : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَنْ يَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ﴾ فما تمناه واحد منهم ، ومثل قوله تعالى لقريش : ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ فقطع بأنهم لا يفعلون ، فلم يفعلوا .

والسابع : أن وجه إعجازه ، هو كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلتها ، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها ، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد ، ولا يشتمل عليها كتاب وقال تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وقال : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقال النبي ﷺ : « فِيهِ خَيْرٌ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ هُوَ الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ ضَلَّ »^(٣١) وهذا لا يكون إلا عند الله الذي أحاط بكل شيء علماً .

(٣١) جزء من حديث طويل رواه الترمذي (٣٠٧٠) والدارمي (٤٣٥/٢) وابن جرير الطبري في التفسير (١٧١/١) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٢٧/١) وابن أبي شيبة وابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في شعب الإيمان كما في الدر المنثور (١٥/١) وضعفه الترمذي بقوله : هذا حديث إسناده مجهول لجهالة أبي المختار الطائي . اهـ .
وفي سنده أيضاً ابن أخي الحارث الأعور وهو مجهول أيضاً .

وأشار الحافظ الذهبي في الميزان (٣٨٠/٣) في ترجمة أبي المختار الطائي إلى ضعف الحديث فقال : « وحديثه في فضائل القرآن منكر » . وقال الحافظ ابن كثير في كتابه فضائل القرآن ص ١٤ ، ١٥ بعد أن نقل عن الترمذي تضعيفه للحديث : لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبرئ حمزة من عهده على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا وقصارى هذا =

والثامن : أن إعجازه هو الصرفة^(٣٢)، وهو أن الله تعالى صرف همهم عن معارضته مع تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فلم تحركهم أنفة التحدي ، فصبروا على نقص العجز ، فلم يعارضوه ، وهم فصحاء العرب مع توفر دواعيهم على إبطاله ، وبذل نفوسهم في قتاله ، فصار بذلك معجزاً لخروجه العادة كخروج سائر المعجزات عنها .

وآختلف من قال بهذه الصرفة على وجهين :

أحدهما : أنهم صرفوا عن القدرة عليه ، ولو تعرضوا لعجزوا عنه .

والثاني : أنهم صرفوا عن التعرض له ، مع كونه في قدرتهم ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه .

فهذه ثمانية أوجه ، يصح أن يكون كل واحد منها إعجازاً ، فإذا جمعها القرآن وليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزاً بأولى من غيره ، صار إعجازه من الأوجه الثمانية ، فكان أبلغ في الإعجاز ، وأبدع في الفصاحة والإيجاز .

فصل

وإذا كان القرآن بهذه المنزلة من الإعجاز في نظمه ومعانيه ، احتاجت ألفاظه

= الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح اهـ .

قال الشيخ أحمد شاکر رحمه الله : ورواية ابن اسحق التي أشار إليها ابن كثير هي حديث أخرجه أحمد في المسند برقم (٥٦٥) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحق وقد ضعفنا إسناده هناك بالحارث الأعور وبانقطاعه بين ابن إسحق ومحمد بن كعب اهـ . تخريج الطبري (١٧٢/١) .

أقول : ومما يؤيد الاحتمال الذي ذكره الحافظ ابن كثير أن الإمام الطبري قد رواه موقوفاً عن علي بن أبي طالب من طريق أبي المختار الطائي عن الحارث الأعور عن علي (١٧٣/١) وقد ضعف الحديث كل من الشيخ الألباني في المشكاة (٦٦٠/١) والشيخ أحمد شاکر بقوله إسناده ضعيف جداً تخريج الطبري (١٧٢/١) .

فائدة : استوفى الإمام الدارقطني رحمه الله جمع طرق الحديث والكلام على علله في كتابه القيم العلل فانظر هناك (١٤٠/٣) . وما بعدها .

(٣٢) وهذا الوجه ضعفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ووصفه بأنه أضعف الأقوال وهو قول أهل الكلام وقد رد هذا الوجه أيضاً الإمام الخطابي .

راجع الدقائق (١٥٥/١) ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي ص ٢١ .

في استخراج معانيها إلى زيادة التأمل لها وفضل الروية فيها ، ولا يقتصر فيها على أوائل البديهة ، ولا يقنع فيها بمبادئ الفكرة ، ليصل بمبالغة الإجهاد وإمعان النظر إلى جميع ما تضمنته ألفاظه من المعاني واحتملته من التأويل ، لأن للكلام الجامع وجوهاً ، قد تظهر تارة ، وتغمض أخرى ، وإن كان كلام الله منزهاً من الآتين : الفكر والروية ، ليعمل فيما احتملته ألفاظه من المعاني المختلفة ، غير ما سَنَصِّفُهُ من الأصل المعتبر في اختلاف التأويل عند احتمال وجوده .

وقد روى سهل بن مهران الضبي ، عن أبي عمران الجوني^(٣٣) ، عن جندب بن عبد الله^(٣٤) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ »^(٣٥) فتمسك فيه بعض المتورعة ممن قلَّت في العلم طبقتة ، وضعفت فيه خبرته ، واستعمل هذا الحديث على ظاهره ، وامتنع أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ، عند وضوح شواهد ، إلا أن يرد بها نقل صحيح ، ويدلُّ عليها

(٣٣) هو عبد الملك بن حبيب الأزدي البصري ، أحد التابعين ، كان الغالب عليه الكلام في الحكم ، وثقه يحيى بن معين وغيره . روى عن جندب البجلي ، أنس بن مالك وعبد الله بن الصامت وغيرهم . توفي رحمه الله سنة ثلاث وعشرين ومئة وقيل سنة ثمان وعشرين ومئة عن سن عالية . أنظر : -

الجرح والتعديل (٣٤٦/٥) ، التاريخ الكبير (٤٥٠/٥) ، حلية الأولياء (٣٠٩/٢) تهذيب الكمال (٨٥٣) ، سير أعلام النبلاء (٢٥٥/٥) .

(٣٤) هو جندب بن عبد الله بن سفيان ، أبو عبد الله صاحب النبي ﷺ نزل الكوفة والبصرة وله عدة أحاديث وبقي رضي الله عنه إلى حدود سنة سبعين قاله الذهبي . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٣٥/٦) ، التاريخ الكبير (٢٢١/٢) ، الإستهباب (٢٥٦) أسد الغابة (٣٠٤/١) وغيرها .

(٣٥) رواه أبو داود (٣٦٥٢) والترمذي (٦٥/٤) والنائي في فضائل القرآن ص (١١٤) والطبري (٣٥/١) والبغوي في شرح السنة (٢٥٩/١) وضعفه الترمذي بقوله حديث غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهل بن أبي حزم اهـ .

قال الحافظ في التقریب (٣٣٨/١) ضعيف ، والحديث ضعفه الألباني في المشكاة (٧٩/١) وضعيف الجامع (٢٨/٥) والأرنؤوط في تخريج شرح السنة (٢٥٩/١) ومن هذا تعلم أن رمز صاحب الجامع للحديث بعلامة الحسن (١٩٠/٦) غير حسن لما عرفت من أن مدار الحديث على سهل وهو ضعيف عندهم .

وقد أحسن المؤلف صنعاً بقوله : « ولهذا الحديث - إن صح - تأويل » فهذا يدل على أنه لم يثبت عنده .

نص صريح ، وهذا عدول عما تعبد الله تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين ، قد نبه على معانيه ما صرح من اللغز والتعمية ، التي لا يوقف عليها إلا بالمواضعة إلى كلام حكيم ، أبان عن مراده ، وقطع أعذار عباده ، وجعل لهم سبلاً إلى استنباط أحكامه ، كما قال تعالى : ﴿ لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ولو كان ما قالوه صحيحاً ، لكان كلام الله غير مفهوم ، ومراده بخطابه غير معلوم ، ولصار كاللغز المعمى ، فبطل الاحتجاج به ، وكان ورود النص على تأويله ، مغنياً عن الاحتجاج بتزيله ، وأعوذ بالله من قول في القرآن يؤدي إلى التوقف عنه ، ويؤول إلى ترك الاحتجاج به .

ولهذا الحديث - إن صح - تأويل ، معناه : أن من حمل القرآن على رأيه ، ولم يعمل على شواهد ألفاظه ، فأصاب الحق ، فقد أخطأ الدليل .

وقد روى محمد بن عثمان ، عن عمرو بن دينار^(٣٦) ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الْقُرْآنُ ذُلُولٌ ذُو وَجُوهِ فَأَحْمِلُوهُ عَلَى أَحْسَنِ وَجُوهِهِ »^(٣٧) . وفي قوله : « ذُلُولٌ » تأويلان :

أحدهما : أنه مُطِيع لحامليه ، حتى تنطلق فيه جميع الألسنة .

والثاني : أنه مَوْضَح لمعانيه ، حتى لا تقصر [عنه] أفهام المجتهدين فيه .

وفي قوله : « ذُو وَجُوهِ » تأويلان :

أحدهما : أن ألفاظه تَحْمِل من التأويل وجوهاً لإعجازه .

الثاني : أنه قد جمع من الأوامر ، والنواهي ، والترغيب ، والتحليل ،

والتحريم .

وفي قوله : « فَأَحْمِلُوهُ عَلَى أَحْسَنِ وَجُوهِهِ » تأويلان :

(٣٦) هو عمرو بن دينار أبو محمد الجمعي كان رحمه الله ذا فضل وجلالة ، قال الذهبي : مات في حدود الثلاثين ومائة له ترجمة في :

التاريخ الكبير (١٢٢/٤) ، التاريخ الصغير (١٦٩) ، طبقات ابن سعد (٤٧٩/٥) ، تاريخ الإسلام (١١٤/٥) ، العقد الثمين (٣٧٤/٦) .

(٣٧) رواه الدارقطني في السنن (١٤٥/٤) وفي إسناده زكريا بن عطية قال أبو حاتم منكر الحديث كذا في الميزان . أنظر : التعليق المغني على الدارقطني (١٤٥/٤) .

أحدهما : أن تحمِلْ تأويلَهُ على أحسن معانيه .

والثاني : أن يعمل بأحسن ما فيه ، من العزائم دون الرخص ، والعفو دون الانتقام ، وهذا دليل على أن تأويل القرآن مستنبط منه .

فصل

فإذا صح جواز الاجتهاد في إستخراج معاني القرآن من فحوى ألفاظه ، وشواهد خطابه ، فقد قسم عبد الله بن عباس رضي الله عنه وجوه التفسير على أربعة أقسام : فروى سفيان ، عن أبي الزناد^(٣٨) قال آبن عباس : « التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب بكلامها وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل »^(٣٩) وهذا صحيح .

أما الذي تعرفه العرب بكلامها ، فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم .
وأما الذي لا يعذر أحد بجهالته ، فهو ما يلزم الكافة في القرآن من الشرائع وجملة دلائل التوحيد .

وأما الذي يعلمه العلماء ، فهو وجوه تأويل المتشابه وفروع الأحكام .
وأما الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة .

وهذا التقسيم الذي ذكره آبن عباس صحيح ، غير أن ما لا يعذر أحد بجهالته

(٣٨) هو عبد الله بن ذكوان ولد في حياة ابن عباس ، قال أبو حاتم : ثقة ، فقيه ، محدث صاحب سنة وهو ممن تقوم به الحجة إذا روى عن الثقات . ١ هـ . .
توفي رحمه الله سنة ثلاثين ومئة . أنظر :
تاريخ الإسلام (٢٦٥/٥) ، التاريخ الكبير (٨٣/٥) ، الجرح والتعديل (٤٩/٥) تهذيب الكمال (٦٧٩) .

(٣٩) رواه ابن جرير مرفوعاً من حديث ابن عباس (٧٦/١) وسنده ضعيف جداً لأنه من طريق الكلبي .
أيضاً عن أبي صالح عن ابن عباس موقوفاً وسنده كالذي قبله .
الدر المنثور (١٥١/٢) وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس موقوفاً برواية المؤلف هنا (٧٥/١) وقد ضعف المرفوع ابن جرير رحمه الله حيث قال : في إسناده نظر . قال الحافظ ابن كثير : والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي فإنه متروك الحديث لكن قد يكون إنما وهم ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم ١ هـ .

داخل في جملة ما يعلمه العلماء من الرجوع إليهم في تأويله ، وإنما يختلف القسمان في فرض العلم به ، فما لا يعذر أحد بجهله يكون فرض العلم به على الأعيان ، وما يختص بالعلماء يكون فرض العلم به على الكفاية ، فصار التفسير منقسماً على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما اختص الله تعالى بعلمه ، كالغيوب فلا مساع للإجتهد في تفسيره ولا يجوز أن يؤخذ [إلا] عن توقيف ، من أحد ثلاثة أوجه :

إما من نص في سياق التنزيل .

وإما عن بيان من جهة الرسول .

وإما عن إجماع الأمة على ما اتفقوا عليه من تأويل .

فإن لم يرد فيه توقيف ، علمنا أن الله تعالى أراد لمصلحة استأثر بها ، ألا يُطلع عباده على غيبه .

والقسم الثاني : ما يرجع فيه إلى لسان العرب ، وذلك شيثان ، اللغة

والإعراب :

فأما اللغة ، فيكون العلم بها في حق المفسر دون القارئ ، فإن كان مما [لا] يوجب العمل ، جاز أن يعمل فيه على خبر الواحد والإثنين ، وأن يستشهد فيه من الشعر بالبيت والبيتين ، وإن كان مما يوجب العمل ، لم يعمل فيه على خبر الواحد والإثنين ، ولا يستشهد فيه بالبيت والبيتين ، حتى يكون نقله مستفيضاً ، وشواهد الشعر فيه متناصرة .

وقد روى أبو حاضر^(٤٠)، عن ابن عباس : أن رجلاً سأل النبي ﷺ ، أي علم القرآن أفضل ؟ قال : « غريبه » ، فالتمسوه في الشعر^(٤١) . وإنما خص الغريب لاختصاصه بإعجاز القرآن ، وأحال على الشعر لأنه ديوان كلامهم ،

(٤٠) هو عثمان بن حاضر الحميري ويقال الأزدي ، أبو حاضر . قال الحاكم : شيخ من أهل اليمن صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات روى عن ابن عباس ، ابن الزبير ، ابن عمر ، جابر ، أنس وغيرهم وروى عنه عمرو بن ميمون ، زمعة بن صالح ، وزباد بن سعد وغيرهم أنظر : تهذيب التهذيب (١٠٩/٧) ، الكنى والأسماء للدولابي (٢٥/١) .

(٤١) لم أهتم إلى تخريجه .

وشواهد معانيهم ، وقد قال ابن عباس : « إذا أشكلَ عَلَيْكُمُ الشَّيْءُ من كتاب الله ، فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب .

وأما الإعراب ، فإن كان اختلافه موجباً لاختلاف حكمه وتغيير تأويله ، لزم العلم به في حق المفسر وحق القارئ ، ليتوصل المفسر إلى معرفة حكمه ، وَيَسْلَمَ القارئ من لَحْنِهِ ، ورُوي عن النبي ﷺ ، أنه قال : « أَعْرَبُوا القرآنَ والتمسوا غرَائِبَهُ » (٤٢) .

وإن كان اختلاف إعرابه لا يوجب اختلاف حكمه ، ولا يقتضي تغيير تأويله ، كان العلم بإعرابه لازماً في حق القارئ لِيَسْلَمَ مِنَ اللَّحَنِ في تلاوته ، ولم يلزم في حق المفسر لوصوله مع الجهل بإعرابه إلى معرفة حكمه ، وإن كان الجهل بإعراب القرآن نقصاً عاماً .

والقسم الثالث : ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء ، وهو تأويل المتشابه ، واستنباط الأحكام ، وبيان المجمل ، وتخصيص العموم ، والمجتهدون من علماء الشرع أخص بتفسيره من غيرهم حملاً لمعاني الألفاظ على الأصول الشرعية ، حتى لا يتنافى الجمع بين معانيها وأصول الشرع ، فيعتبر فيه حال اللفظ ، فإنه ينقسم قسمين :

أحدهما : أن يكون مشتملاً على معنى واحد لا يتعداه ، ومقصوراً عليه ولا يحتمل ما سواه ، فيكون من المعاني [الجلية] والنصوص الظاهرة ، التي يُعْلَمُ مُراد الله تعالى بها قطعاً من صريح كلامه ، وهذا قسم لا يختلف حكمه ولا يلتبس تأويله .

والقسم الثاني : أن يكون اللفظ محتملاً لمعنيين أو أكثر ، وهذا على ضربين :

(٤٢) رواه الحاكم في المستدرک (٢٩٣/٢) وأحمد بن منيع كما في المطالب العالیة (٣٩٨/٣) وأبو يعلى وابن أبي شیبة كما نقله صاحب التعليق علی المطالب (٣٩٨/٣) والبيهقي في شعب الايمان ، كما نقله الخطيب التبريزي في المشكاة (٦٦٦/١) من حديث أبي هريرة وقال البوصيري مداره على عبد الله بن سعيد وهو ضعيف وكذا ضعفه الهيثمي في المجمع (١٦٣/٧) والالباني في المشكاة (٦٦٦/١) .

أحدهما : أن يكون أحد المعنيين ظاهراً جلياً ، والآخر باطناً خفياً ، فيكون محمولاً على الظاهر الجلي دون الباطن الخفي ، إلا أن يقوم الدليل على أن الجلي غير مُرادٍ ، فيحمل على الخفي .

والضرب الثاني : أن يكون المعنيان [جليين ، واللفظ مستعملًا فيهما حقيقةً ، وهذا على ضربين :

أحدهما : أن يختلف أصل الحقيقة فيهما ، فهذا ينقسم على ثلاثة أقسام : أحدها : أن يكون أحد المعنيين مستعملًا في اللغة ، والآخر مستعملًا في الشرع ، فيكون حمْلُهُ على المعنى الشرعيّ أولى من حمْلِهِ على المعنى اللُّغويّ ، لأن الشرع ناقل (٤٣) .

والقسم الثاني : أن يكون أحد المعنيين مستعملًا في اللغة ، والآخر مستعملًا في العُرفِ ، فيكون حمْلُهُ على المعنى العُرفيّ أولى من حمْلِهِ على معنى اللُّغةِ ، لأنه أقرب معهود .

والقسم الثالث : أن يكون أحد المعنيين مستعملًا في الشرع ، والآخر مستعملًا في العرف ، فيكون حمْلُهُ على معنى الشرع أولى من حمْلِهِ على معنى العرف لأن الشرع ألزم .

والضرب الثاني : أن يتفق أصل الحقيقة فيهما فيكونا مستعملين في اللغة على سواء ، أو في الشرع ، أو في العُرف فهذا على ضربين :

أحدهما : أن يتنافى اجتماعهما ولا يُمكن استعمالهما كالأحكام الشرعية مثل القُرء الذي هو حقيقة في الطهر ، وحقيقة في الحيض ، ولا يجوز للمجتهد أن يجمع بينهما ، لتنافيهما ، وعليه أن يجتهد رأيه في المراد فيهما بالأمارات الدالّة عليه ، فإذا وصل إليه ، كان هو الذي أراده الله تعالى منه ، وإن أدى اجتهاد غيره إلى الحكم الآخر ، كان هو المراد منه فيكون مُرادُ الله تعالى من كل واحدٍ منهما ، ما أداه اجتهاده إليه .

(٤٣) انظر : كتاب الايمان ص ٨١ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

ولو لم يترجَّح للمجتهد أحدُ الحكمين ، ولا غَلَبَ في نفسه أحدُ المعنيين لتكاثر الأماراتِ عنده ، ففيه للعلماء مذهبان :

أحدهما : أن يكون مخيراً ، للعمل في العمل على أيهما شاء .

والمذهب الثاني : أن يأخذ بأغلظ المذهبين حُكماً .

والضرب الثاني من اختلاف المعنيين : ألا يتنافيا ويُمكن الجمعُ بينهما فهذا على ضربين :

أحدهما : أن يتساويا ، ولا يترجَّح أحدهما على الآخرِ بدليلٍ ، فيكون المعنيان معاً مرادين ، لأن الله تعالى لو أراد أحدهما النصب على مرادِهِ منهما دليلاً ، وإن جاز أن يريد كل واحدٍ من المعنيين بلفظين متغايرين لعدم التنافي بينهما ، جاز أن يريدتهما بلف واحدٍ ، يشتمل عليهما ، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة .

والضرب الثاني : أن يترجَّح أحدهما على الآخرِ بدليلٍ ، وهو على ضربين :

أحدهما : أن يكون دليلاً على بطلان أحد المعنيين ، فيسقط حكمه ، ويصير المعنى الآخر هو المراد ، وحكمه هو الثابت .

والضرب الثاني : أن يكون دليلاً على صحة أحد المعنيين فيثبت حكمه ويكون مراداً ، ولا يقتضي سقوط المعنى الآخر ، ويجوز أن يكون مراداً ، وإن لم يكن عليه دليل ، لأن موجب لفظه دليل ، فاستويا في حكم اللفظ ، وإن ترجَّح أحدهما بدليل ، فصارا مرادين معاً .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المعنى الذي يرجح بدليل أثبت حُكماً من المعنى الذي تجرد عنه ولقوته بالدليل الذي ترجح به ، فهذا أصلٌ يعتبر [من] وجود التفسير ، ليكون ما أحتملته ألفاظ القرآن من اختلاف المعاني محمولاً عليه ، فيعلم ما يؤخذ به ويعدل عنه .

فإن قيل : فقد ورد الخبر بما يخالف هذا الأصلُ المقرَّر ، وهو ما روي عن النبي ﷺ ، أنه قال : « مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ آيَةٍ إِلَّا لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَلِكُلِّ حَرْفٍ

حَدَّثَ وَلَكُلَّ حَدٍّ مَطْلَعٌ»^(٤٤) قيل ليس هذا الحديث - مع كونه من أخبار الأحاد - منافياً لما قررناه من الأصول المستمرة ، لما فيه من التأويلات المختلفة .

أما قوله : « مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ آيَةٍ إِلَّا لَهَا ظَهَرٌ وَبَطْنٌ » ففيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه أنك إذا فتشت عن باطنها وقسته على ظاهرها ، وقفت على معناها ، وهو قول الحسن .

والثاني : يعني أن القِصَصَ ظاهرُها الإخبارُ بهلاك الأولين ، وباطنُها عظة للآخرين ، وهذا قول أبي عبيد .

والثالث : معناه ما من آية إلا وقد عمل بها قوم ، ولها قوم سيعملون بها ، وهذا قول ابن مسعود^(٤٥) .

والرابع : يعني أن ظاهرها لفظها ، وباطنُها تأويلها ، وهذا قول الجاحظ .
وأما قوله : « وَلَكُلَّ حَرْفٍ حَدٌّ » ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه أن لكل لفظٍ مُنتهى ، فيما أراده الله تعالى من عباده .
والثاني : أن لكل حكمٍ مقداراً من الثواب والعقاب .

(٤٤) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٧٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقال الأرنؤوط إسناده قوي تخريج شرح السنة للبغوي (٢٢٣/١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/٧) ونسبه للبزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وقال رجال أحدهما ثقات وللحديث طريقين ضعيفين آخرين عن ابن مسعود رواهما الطبري (٢٢/١) في الأول مجهول وفي الثاني إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف وقد رواه الإمام البغوي عن الحسن البصري مرسلاً (٢٦٢/١) وفي إسناده أيضاً علي ابن زيد بن جدهان وهو ضعيف . وقد استغل هذا الحديث وفهمه على غير وجهته طائفتان من الناس هما الباطنية وغلاة الصوفية وكلاهما مخطيء ومنحرف عن جادة السبيل ، وقد نقل صاحب تحفة الأحوذني (٢٨٠/٨) كلاماً جيداً للحافظ ابن حجر حول هذا الموضوع فراجع فإنه مهم .
فائدة : نسب هذا الحديث لأبي نصر السجزي الإمام السيوطي في الجامع الكبير .

(٤٥) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، أبو عبد الرحمن كان من السابقين الأولين ومن مهاجرة الحبشة ، شهد بدرًا وله مناقب كثيرة . توفي رضي الله عنه بالمدينة في آخر سنة اثنتين وثلاثين .
أنظر :

طبقات ابن سعد (١٠٦/١/٣) ، التاريخ الكبير (٢/٥) ، الإstimاع (٣١٦/٢) ، تاريخ بغداد (١٤٧/١) ، أسد الغابة (٣٨٤/٣) ، سير أعلام النبلاء (٤٦١/١) ، تذكرة الحفاظ (١٣/١) .

وأما قوله : « وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ » ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه ولكل غامضٍ من الأحكام مطلع يوصل منه إلى معرفته ، ويوقف منه على المراد به .

والثاني : معناه أن كل ما استحقه من الثواب والعقاب سيطلع عليه في الآخرة ويراه عند المجازاة .

فصل الاستعادة

ثبت بالكتاب والسنة ، أن يستعيد القارئ لقراءة القرآن ، فيقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهو نص الكتاب .

وروى أبو سعيد الخدري^(٤٦) عن النبي ﷺ أنه قال : « أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ نَفْسِهِ وَنَفْسِهِ وَهَمَزِهِ »^(٤٧) .
وفي الاستعادة وجهان :

أحدهما : أنها الاستجارة بذی منعة .

والثاني : أنها الاستعانة عن خضوع .

(٤٦) هو سعد بن مالك بن سفيان بن ثعلبة ، أبو سعيد الخدري رضي الله عنه . صحابي جليل شهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان ، وكان رضي الله عنه أحد الفقهاء المجتهدين حدث عن النبي ﷺ فأكثر وأطاب توفي رضي الله عنه سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين . أنظر : -
الإصابة (٣٥/٢) ، أسد الغابة (٢٨٩/٢ ، ٢١١/٥) ، الإستيعاب (٥٦٣/٣) ، تذكرة الحفاظ (٤١/١) .

(٤٧) رواه أبو داود (٧٧٥) ، والنسائي (١٤٣/١) مطولاً ومختصراً والترمذي (٩/٢) والدارمي (٢٨٣/١) وابن ماجه (٨٠٤) والطحاوي (١١٦/١) والدارقطني (١١٢) والبيهقي في السنة (٣٤/٢ ، ٣٥) وأحمد (٥٠/٣) كلهم من طرق عن جعفر بن سليمان الضبيعي عن علي بن علي الرفاعي عن ابن المتوكل الناجي عن أبي سعيد مرفوعاً .

قال الترمذي وقد تكلم في إسناد حديث أبي سعيد وكان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي وقال أحمد : لا يصح هذا الحديث هـ .

وقد صحح الحديث الشيخ أحمد شاكر في تخريج الترمذي (١١/٢) ولم يعتمد تضعيف علي بن علي الرفاعي . والحديث حسنه الشيخ الألباني في الإرواء (٥١/٢) وأورد له شواهد كثيرة فراجعه هناك .

وفي موضعها وجهان :

أحدهما : أنها خبر يُخْبِرُ به المرءُ عن نفسه ، بأنه مستعِذ بالله .

والثاني : أنها في معنى الدعاء ، وإن كانت بلفظ الخبر ، كأنه يقول : أعْذِنِي يا سميعُ ، يا عَلِيمُ من الشيطان الرجيم ، يعني أنه سميع الدعاء ، عَلِيم بالإجابة .

وفي قوله : « من الشيطان » وجهان :

أحدهما : من وسوسته .

والثاني : من أعوانه .

وفي « الرجيم » وجهان :

أحدهما : يعني الراجم ، لأنه يَرْجُمُ بالدواهي والبلايا .

والثاني : أنه بمعنى المرجوم ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه مرجوم بالنجوم .

والثاني : أنه المرجوم بمعنى المشئوم .

وفيه وجه ثالث : أن المرجوم الملعون والملعون المطرود .

وقوله : « مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ » يعني بالنفخ : الكبير ، وبالنفث : السحر ،

وبالهمز : الجنون ، والله أعلم .

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

قال قتادة : هي مكية^(٤٨)، وقال مجاهد^(٤٩) : هي مدنية .

ولها ثلاثة أسماء : فاتحة الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني .

روى ابن أبي ذئب^(٥٠) ، عن سعيد المقبري^(٥١) ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني »^(٥٢) . فأما تسميتها بفاتحة الكتاب فلأنه يستفتح الكتاب بإثباتها خطأ وبتلاوتها لفظاً .

(٤٨) قال الحافظ في الفتح : وهو قول الجمهور خلافاً لمجاهد إلى أن قال : قال الحسين بن الفضل هذه حقوة ابن مجاهد لأن العلماء على خلاف قوله (١٥٩/٨) .

(٤٩) هو مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب ، أبو الحجاج . من كبار التابعين قال عن نفسه : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف نزلت ؟ أنظر : -

التاريخ الكبير (٣٩٠/٦) ، مشاهير علماء الأمصار (١٦٥) الكاشف (٣٦٨/٢) ، تهذيب التهذيب (٢١٩/٨) ، سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤) وغيرها .

(٥٠) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، ولد سنة ثمانية وكان من أروع الناس وأفضلهم وكان من أوعية العلم . سمع من عكرمة ، محمد بن سعيد المقبري وغيرهما توفي رحمه الله سنة تسع وخمسين ومئة . أنظر : -

تذكرة الحفاظ (١٩١/١) ، شذرات الذهب (٢٤٥/١) ، الحلية (١٩١/١) وغيرها .

(٥١) هو أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري ، ثقة ، جليل . حدث عن عائشة ، أبي هريرة وابن عمر وغيرهم . توفي سنة خمس وعشرين ومئة وقيل سنة ثلاث وعشرين وقيل سنة ست وعشرين . أنظر : -

التاريخ الكبير (٤٧٤/٣) ، الجرح والتعديل (٥٧/٤) ، تهذيب التهذيب (١/٢٠/٢) وغيرها .

(٥٢) رواه البخاري (٨ : ٢٢٩ الفتح) ، أبو داود (١٤٥٧) ، الترمذي (٣٣٢٠) ، الدارمي =

فأما تسميتها بأَم القرآن ، فلتتقدمها وتأخر ما سواها تبعاً لها ، صارت أُمّاً لأنه أُمُّهُ أي تقدمته ، وكذلك قيل لراية الحرب : أُمُّ لتقدمها واتباع الجيش لها ، قال الشاعر :

عَلَى رَأْسِهِ أُمُّ لَهَا يُقْتَدَى بِهَا جَمَاعُ أُمُورٍ لَا يُعَاصَى لَهَا أَمْرٌ
وقيل لما مضى على الإنسان من سِنِي عُمُرِهِ ، أُمُّ لتقدمها . قال الشاعر :
إِذَا كَانَتْ أَلْخَمْسُونَ أُمُّكَ لَمْ يَكُنْ لِرَأْيِكَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ طَيْبٌ
وَأُخْتَلِفَ فِي تَسْمِيَتِهَا بِأُمِّ الْكِتَابِ ، فَجَوَّزَهُ الْأَكْثَرُونَ ، لِأَنَّ الْكِتَابَ هُوَ
الْقُرْآنُ ، وَمَنْعَ مِنْهُ الْحَسَنُ ، وَابْنُ سِيرِينَ (٥٣) ، وَزَعَمَا أَنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ، أَسْمَ اللُّوحِ
الْمَحْفُوظِ ، فَلَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ
حَكِيمٌ ﴾ . [الزخرف : ٤] .

وأما [تسمية] مكة بأَم القرى ، ففيه قولان :
أحدهما : أنها سُمِّيت أُمُّ القرى ، لتقدمها على سائر القرى .
والثاني : أنها سُمِّيت بذلك ، لأن الأرض منها دُجِيتُ (٥٤) وعنْهَا حَدَّثَتْ ،
فصارت أُمّاً لها لحدوثها عنها ، كحدوث الولد عن أمه .

وأما تسميتها بالسبع المثاني ، فلأنها سبع آيات في قول الجميع .
وأما الثاني ، فلأنها تُتَنَّى في كل صلاة من فرض وتَطَوُّع ، وليس في تسميتها
بالمثاني ما يمنع من [تسميته] غَيْرَهَا به قال أعشى هَمْدَانَ :
فَلِجُوا أَلْمَسْجِدَ وَأَدْعُوا رَبُّكُمْ وَادْرُسُوا هَذِي أَلْمَثَانِي وَالطُّولُ

= (٢٤٦/٢) ، أحمد برقم (٢٩٧٨٧) ، الطبري (١٠٧/١) ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٤/١) نسبه لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه .
(٥٣) هو محمد بن سيرين الأنصاري ، أبو بكر . من التابعين ، من علماء الحديث والفقه وعبر الرؤيا
سمع من ابن عمر ، جندب بن عبد الله البجلي وأبي هريرة وغيرهم . واتفقوا على أنه توفي بالبصرة
سنة عشر ومئة . أنظر : -
سير أعلام النبلاء (٦٠٦/٤) ، تاريخ البخاري (٩٠/١) ، تاريخ ابن عساكر (٢١٠/١٥) ، شذرات
الذهب (١٣٨/١) وغيرها .
(٥٤) دليله في ذلك حديث سيأتي تخريجه قريباً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ أجمعوا أنها من القرآن في سورة النمل ، وإنما اختلفوا في إثباتها في فاتحة الكتاب ، وفي أول كل سورة ، فأثبتها الشافعي في طائفة ، ونفاها أبو حنيفة في آخرين .

وَأَخْتَلَفَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ بِسْمِ ﴾ :

فذهب أبو عبيدة وطائفة إلى أنها صلة زائدة ، وإنما هو الله الرحمن الرحيم ، واستشهدوا بقول لبيد :

إِلَى الْخَوْلِ ثُمَّ أَسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَلِكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ آعْتَدَرُ^(٥٥)

فذكر اسم السلام زيادة ، وإنما أراد : ثم السلام عليكما .

وَأَخْتَلَفَ مَنْ قَالَ بِهَذَا فِي مَعْنَى زِيَادَتِهِ عَلَى قَوْلَيْنِ :

أحدهما : لإجلال ذكره وتعظيمه ، ليقع الفرق به بين ذكره وذكر غيره من المخلوقين ، وهذا قول قطرب^(٥٦) .

والثاني : ليخرج به من حكم القسم إلى قصد التبرك ، وهذا قول الأخفش^(٥٧) .

وذهب الجمهور إلى أن «بسم» أصل مقصود ، واختلفوا في معنى دخول الباء

عليه ، - فهل دخلت على معنى الأمر أو على معنى الخبر - على قولين :

(٥٥) ديوان لبيد قصيدة رقم ٢١ .

(٥٦) هو محمد بن المستنير بن أحمد البصري ، أبو علي . لغوي ، نحوي . أخذ النحو عن سيبويه وغيره من علماء البصرة ، أخذ عن النظام علم الكلام توفي ببغداد سنة ٢٠٦ هـ ومن تصانيفه معاني القرآن ، العلل في النحو ، الاشتقاق وغيرها . أنظر : -

تاريخ بغداد (٢٩٨/٣) ، وفيات الأعيان (٦٢٥/١) ، الكامل في التاريخ (١٢٩/٦) شذرات الذهب (١٥/٢) .

(٥٧) هو علي بن سليمان بن الفضل البغدادي ، أبو الحسن . العلامة النحوي لازم ثعلباً والمبرد وبرع في العربية . توفي رحمه الله سنة خمس عشرة وثلاث مئة وقيل غير ذلك . أنظر : -

طبقات النحويين واللغويين (١١٥) ، النجوم الزاهرة (٢١٩/٣) ، بغية الوعاة (١٦٧/٢) معجم الأدباء (٢٤٦/١٣) ، إنباه الرواة (٢٧٦/٢) .

أحدهما: دخلت على معنى الأمر وتقديره: ابدؤوا بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قول الفراء.

والثاني: على معنى الإخبار وتقديره: بدأت بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قول الزجاج^(٥٨).

وحذفت ألف الوصل، بالإلصاق في اللفظ والخط، لكثرة الاستعمال كما حذفت من الرحمن، ولم تحذف من الخط في قوله: ﴿إِقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: آية ١] لقلة استعماله.

الاسم: كلمة تدل على المسمى دلالة إشارة، والصفة كلمة تدل على الموصوف دلالة إفادة، فإن جعلت الصفة اسماً، دلت على الأمرين: على الإشارة والإفادة.

وزعم قوم أن الاسم^(٥٩) ذات المسمى، واللفظ هو التسمية دون الاسم، وهذا فاسد، لأنه لو كان أسماء الذوات هي الذوات، لكان أسماء الأفعال هي الأفعال، وهذا ممتنع في الأفعال فامتنع في الذوات.

وآختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين:

أحدهما: أنه مشتق من السمة، وهي العلامة، لما في الاسم من تمييز المسمى، وهذا قول الفراء.

والثاني: أنه مشتق من السمو، وهي الرفعة لأن الاسم يسمو بالمسمى

(٥٨) هو إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق. النحوي، اللغوي، المفسر أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه. من تصانيفه: - معاني القرآن، مختصر النحو، الاشتقاق، وغيرها. توفي سنة ٣١١ هـ وقيل غير ذلك. انظر: -

بغية الوعاة (١٧٩)، أنباه الرواة (١٥٩/١)، البداية والنهاية (١٤٨/١١) النجوم الزاهرة (٢٨/٣)، شذرات الذهب (٥٩/٢).

(٥٩) قال الحافظ اللالكائي بسنده إلى محمد بن جرير الطبري أنه قال: «وأما القول في الاسم أهو المسمى أو غير المسمى فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع ولا قول من امام فيسمع. والخوض فيه شين والصمت عنه زين وحسب امرئ من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الصادق عز وجل وهو قوله: ﴿قل ادع الله أو ادع الرحمن أيأما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ وقوله: ﴿والله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ اهـ. أصول أهل السنة والجماعة ص ١٨٣.

فيرفعه من غيره ، وهذا قول الخليل (٦٠) والزجاج .

وأشدد قول عمرو بن معدي كرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ أَمْرًا فَدَعُهُ
وَصِلْهُ بِالْدُّعَاءِ فَكُلُّ أَمْرٍ
وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
سَمَّا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْ

وتكلف من راعى معاني الحروف بيسم الله تأويلاً ، أجرى عليه أحكام الحروف المعنوية ، حتى صار مقصوداً عند ذكر الله في كل تسمية ، ولهم فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الباء بهاؤه وبركته ، وبره وبصيرته ، والسين سناؤه وسموه وسيادته ، والميم مجده ومملكته ومنه (٦١) ، وهذا قول الكلبي (٦٢).

(٦٠) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن . نحوي ، لغوي أول من استخرج العروض توفي بالبصرة في سنة ١٧٠ هـ رحمه الله من تصانيفه : - العواض الشواهد ، النقط والشكل ، الجمل وغيرها . أنظر : -

سير أعلام النبلاء (١٣٧/٦) ، تهذيب التهذيب (١٦٣/٣) ، البداية والنهاية (١١١/١٠) بغية الرعاة (٢٤٣) .

(٦١) قول الكلبي هذا دليله حديث موضوع لا أصل له :

رواه الطبري (٢٢١/١ ، ١٤٥ ، ١٤٧) ، ابن حبان في المجروحين مطولاً ص وابن مردويه كما نقله ابن كثير (١ : ٣٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٥١/٧) والديلمي في مسند الفردوس برقم (٨٧٤) وابن عدى وابن عساكر في تاريخ دمشق والثعلبي كما نسب إليه السيوطي في الدر (٨/١) من رواية أبي سعيد الخدري مرفوعاً . وفي سنده إسماعيل بن يحيى وهو كذاب كذبه غير واحد من الأئمة وفي سنده أيضاً عطية العوفي وهو ضعيف مدلس . وفي سنده أيضاً مجهول وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة (١٣١/١) رواه ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي والبلاء منه ولا يضح مثل هذا إلا ملحد أو جاهل والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢٠٤/١) وحكم عليه العلامة أحمد شاكر بالوضع في تخريج الطبري (٢٢١/١) .

تنبيه : إذا عرفت هذا فاكفء الإمام السيوطي في الدر المنثور بقوله : «ضعيف جداً» ذهول عن العلة الحقيقية . وقد أحسن المؤلف صنعاً بالتعليق على هذه الأقوال .

(٦٢) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي ، أبو النضر . مفسر ، إخباري ، نسبة ولد بالكوفة وتوفي بها سنة ١٤٦ هـ ومن تصانيفه تفسير القرآن . أنظر : -

ميزان الاعتدال (٥٥٦/٣) ، وفيات الأعيان (٦٢٤) ، الفهرست (٩٥/١) ، كشف الظنون (٤٥٧) ، الاعلام للزركلي (٧/٣) .

والثاني : أن الباء بريء من الأولاد ، والسين سميع الأصوات والميم مجيب الدعوات ، وهذا قول سليمان بن يسار .

والثالث : أن الباء باريء الخلق ، والسين ساتر العيوب ، والميم المنان ، وهذا قول أبي روق .

ولو أن هذا الاستنباط يحكي عَمَّن يُقْتَدَى به في علم التفسير لرغب عن ذكره ، لخروجه عما اختص الله تعالى به من أسمائه ، لكن قاله متبوع فذكرته مَعَ بُعْدِهِ حاكياً ، لا محققاً ليكون الكتاب جامعاً لما قيل .

ويقال لمن قال « بسم الله » بَسَمَلَ على لُغَةٍ مُوَلَّدَةٍ ، وقد جاءت في الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة :

لَقَدْ بَسَمَلْتُ لَيْلَى غَدَاةَ لَقَيْتُهَا فَيَا حَبْدًا ذَاكَ الْحَبِيبُ الْمُبَسْمِلُ

فأما قوله : « الله » ، فهو أخص أسمائه به ، لأنه لم يتسم باسمه الذي هو « الله » غيره .

والتأويل الثاني : أن معناه هل تعلم له شيئاً ، وهذا أعمُّ التأويلين ، لأنه يتناول الاسم والفعل .

وحكي عن أبي حنيفة أنه الاسم الأعظم من أسمائه تعالى ، لأن غيره لا يشاركه فيه .

واختلفوا في هذا الاسم هل هو اسم عَلِمَ للذات أو اسم مُشْتَقٌّ من صفة ، على قولين :

أحدهما : أنه اسم علم لذاته ، غير مشتق من صفاته ، لأن أسماء الصفات تكون تابعة لأسماء الذات ، فلم يكن بُدُّ من أن يختص باسم ذات ، يكون علماً لتكون أسماء الصفات والنعوت تبعاً .

والقول الثاني : أنه مشتق من آلِه ، صار باشتقاقه عند حذف همزه ، وتفخيم لفظه الله .

واختلفوا فيما أَشْتَقَّ منه إله على قولين :

أحدهما : أنه مشتق من الوَلَه ، لأن العباد يألِهون إليه ، أي يفزعون إليه في

أمورهم ، فقيل للمألوه إليه إله ، كما قيل للمؤتم به إمام .

والقول الثاني : أنه مشتق من الألوهية ، وهي العبادة ، من قولهم فلان يتأله ، أي يتعبد ، قال رؤية بن العجاج (٦٣) :

لِلَّهِ دُرُّ الْعَايِنَاتِ الْمُدَّةِ لَمَّا رَأَيْنَ خَلِيقَ الْمُمَوِّهِ
سَبَّحْنَ فَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِ

أي من تعبد ، وقد روي عن ابن عباس (٦٤) أنه قرأ : ﴿ وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ أي وعبادتك .

ثم اختلفوا ، هل اشتق اسم الإله من فعل العبادة ، أو من استحقاقها ، على قولين :

أحدهما : أنه مشتق من فعل العبادة ، فعلى هذا ، لا يكون ذلك صفة لازمة قديمة لذاته ، لحدوث عبادته بعد خلق خلقه ، ومن قال بهذا ، منع من أن يكون الله تعالى إلهاً لم يزل ، لأنه قد كان قبل خلقه غير معبود .

والقول الثاني : أنه مشتق من استحقاق العبادة ، فعلى هذا يكون ذلك صفة لازمة لذاته ، لأنه لم يزل مستحقاً للعبادة ، فلم يزل إلهاً ، وهذا أصح القولين ، لأنه لو كان مشتقاً من فعل العبادة لا من استحقاقها ، للزم تسمية عيسى عليه السلام إلهاً ، لعبادة النصاري له ، وتسمية الأصنام آلهة ، لعبادة أهلها لها ، وفي بطلان هذا دليل ، على اشتقاقه من استحقاق العبادة ، لا من فعلها ، فصار قولنا « إله » على هذا القول صفة من صفات الذات ، وعلى القول الأول من صفات الفعل (٦٥) .

(٦٣) ديوانه ص ١٦٥ .

(٦٤) وهذه قراءة شاذة والإسناد إلى ابن عباس فيها ضعيف . رواه الطبري برقم (١٤٢ ، ١٤٣) وقد نقل هذه القراءة الشاذة ابن خالويه في كتاب القراءات الشاذة ص ٤٥ عن علي وابن مسعود وابن عباس .

(٦٥) اعلم أن السلف رحمهم الله يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل : أما صفات الذات فهي التي لا تنفك عنها الذات بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً ولا تتعلق بها مشيئة الله وقدرته وذلك كصفات الحياة والعلم والقدرة والقوة والعزة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والجلال [شرح العقيدة الواسطية ص ١٠٥] وجاء في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢١٧/٦) تعريف الصفات الفعلية . قال : وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل كلامه ومحبه =

وأما « الرحمن الرحيم » ، فهما اسمان من أسماء الله تعالى ، والرحيم فيها اسم مشتق من صفته .

وأما الرحمن ففيه قولان :

أحدهما : أنه اسم عبراني معرب ، وليس بعربي ، كالفسطاط رومي معرب ، والإستبرق فارسي معرب ، لأن قريشاً وهم فَطَنَةُ العرب وفَصَحَاؤُهُمْ ، لم يعرفوه حتى ذكر لهم ، وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم : ﴿ ... وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٠] ، وهذا قول ثعلب^(٦٦) واستشهد بقول جرير :

أو تتركون إلى القسّين هجرتكم ومسحكم صلبهم رحمن قربانا
قال : ولذلك جمع بين الرحمن والرحيم ، ليزول الالتباس ، فعلى هذا يكون الأصل فيه تقديم الرحيم على الرحمن لعربيته ، لكن قدّم الرحمن لمبالغته .

والقول الثاني : أن الرحمن أسم عربي كالرحيم لامتزاج حروفهما ، وقد ظهر ذلك في كلام العرب ، وجاءت به أشعارهم ، قال الشنفرى :

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ أَلْفَتَاةً هَجَيْنَهَا أَلَا ضَرَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا^(٦٧)

فإذا كانا اسمين عربيين فهما مشتقان من الرحمة ، والرحمة هي النعمة على المحتاج ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، يعني نعمة عليهم ، وإنما سميت النعمة رحمةً لحدوثها عن الرحمة .

والرحمن أشدُّ مبالغةً من الرحيم ، لأن الرحمن يتعدى لفظه ومعناه ، والرحيم

= ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه ومثل خلقه وإحسانه وعدله ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة . اهـ .

(٦٦) هو أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم الكوفي ، أبو العباس . نحوي ، لغوي . توفي ببغداد سنة ٢٩١ هـ رحمه الله . من تصانيفه : المصون في النحو ، اختلاف النحويين ومعاني القرآن وغيرها .
أنظر : -

سير أعلام النبلاء (١٣٩/٩) ، تاريخ بغداد (٢٠٤/٥) ، معجم الأدباء (١٠٢/٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢٧٥/٢) ، البداية والنهاية (٩٨/١١) .

(٦٧) أنظر المخصص لابن سيده (١٧ : ١٥٢) لكن فيه .

وقد نقله الطبري (١٣١/١) لكن لم يصرح باسم الشاعر بل قال وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء .

لا يتعدى لفظه ، وإنما يتعدى معناه ، ولذلك سمي قوم بالرحيم ، ولم يتسم أحد بالرحمن ، وكانت الجاهلية تُسمي الله تعالى به وعليه بيت الشفري ، ثم إن مسيلمة الكذاب تسمى بالرحمن ، واقتطعه من أسماء الله تعالى ، قال عطاء : فلذلك قرنه الله تعالى بالرحيم ، لأن أحداً لم يتسم بالرحمن الرحيم ليفصل اسمه عن أسم غيره ، فيكون الفرق في المبالغة ، وفرق أبو عبيدة بينهما ، فقال بأن الرحمن ذو الرحمة ، والرحيم الراحم .

واختلفوا في اشتقاق الرحمن والرحيم على قولين :

أحدهما : أنهما مشتقان من رحمة واحدة ، فجعل لفظ الرحمن أشد مبالغة من الرحيم .

والقول الثاني : أنهما مشتقان من رحمتين ، والرحمة التي اشتق منها الرحمن ، غير الرحمة التي اشتق منها الرحيم ، ليصح امتياز الاسمين ، وتغاير الصفتين ، ومن قال بهذا القول اختلفوا في الرحمتين على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الرحمن مشتق من رحمة الله لجميع خلقه ، والرحيم مشتق من رحمة الله لأهل طاعته .

والقول الثاني : أن الرحمن مشتق من رحمة الله تعالى لأهل الدنيا والآخرة ، والرحيم مشتق من رحمته لأهل الدنيا دون الآخرة .

والقول الثالث : أن الرحمن مشتق من الرحمة التي يختص الله تعالى بها دون عباده ، والرحيم مشتق من الرحمة التي يوجد في العباد مثلها .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

أما ﴿ الحمد لله ﴾ فهو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله ، والشكر الثناء عليه بإنعامه ، فكلُّ شكرٍ حمدٌ ، وليس كلُّ حمدٍ شكراً ، فهذا فرق ما بين الحمد والشكر ، ولذلك جاز أن يحمد الله تعالى نفسه ، ولم يجز أن يشكرها .

فأما الفرق بين الحمد والمدح ، فهو أن الحمد لا يستحق إلا على فعلٍ

حسن ، والمدح قد يكون على فعل وغير فعل ، فكلُّ حمدٍ مدحٌ وليس كل مدحٍ حمداً ، ولهذا جاز أن يمدح الله تعالى على صفته ، بأنه عالم قادر ، ولم يجوز أن يحمد به ، لأن العلم والقدرة من صفات ذاته ، لا من صفات أفعاله ، ويجوز أن يمدح ويحمد على صفته ، بأنه خالق رازق لأن الخلق والرزق من صفات فعله لا من صفات ذاته .

وأما قوله : ﴿ رب ﴾ فقد اختلف في اشتقاقه على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه مشتق من المالك ، كما يقال رب الدار أي مالکها .

والثاني : أنه مشتق من السيد ، لأن السيد يسمى رباً قال تعالى : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٤١] يعني سيده .

والقول الثالث : أن الرب المدبّر ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ ﴾ وهم العلماء ، سموا ربّانيين ، لقيامهم بتدبير الناس بعلمهم ، وقيل : ربّة البيت ، لأنها تدبره .

والقول الرابع : الرب مشتق من التربية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ ﴾ ، [النساء: ٢٣] فسمى ولد الزوجة ربية ، لتربية الزوج لها . فعلى هذا ، أن صفة الله تعالى بأنه رب ، لأنه مالك أو سيد ، فذلك صفة من صفات ذاته ، وإن قيل لأنه مدبّر لخلقه ، ومربيهم ، فذلك صفة من صفات فعله ، ومتى أدخلت عليه الألف واللام . اختص الله تعالى به ، دون عباده ، وإن حذفنا منه ، صار مشتركاً بين الله وبين عباده .

وأما قوله : ﴿ العالمين ﴾ فهو جمع عالم ، لا واحد له من لفظه ، مثل : رهط وقوم ، وأهل كل زمانٍ عالم قال العجاج :

فَخِنْدِفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ (٦٨)

وآخِثٌ فِي الْعَالَمِ ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ما يعقل : من الملائكة ، والإنس ، والجن ، وهذا قول ابن

عباس .

(٦٨) شطر من بيت في ديوانه ٦٠ .

والثاني : أن العالم الدنيا وما فيها .

والثالث : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج .

واختلفوا في اشتقاقه على وجهين :

أحدهما : أنه مشتق من العلم ، وهذا تأويل مَنْ جعل العالم اسماً لما يعقل .

والثاني : أنه مشتق من العلامة ، لأنه دلالة على خالقه ، وهذا تأويل مَنْ جعل العالم اسماً لكل مخلوق .

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قرأ عاصم^(٦٩) والكسائي^(٧٠) ﴿ مَالِكِ ﴾ وقرأ الباقون^(٧١) ﴿ مَلِك ﴾ وفيما اشتقا جميعاً منه وجهان :

أحدهما : أن اشتقاقهما من الشدة ، من قولهم ملكت العجين ، إذا عجنته بشدة .

(٦٩) هو عاصم بن أبي النجود الأسدي . مولا هم . الكوفي ، القاري ، أبو بكر . أحد القراء السبعة ، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي ، زرين حيش وغيرهما وهو معدود في التابعين إليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة ، وكان أحسن الناس بالقرآن توفي رحمه الله في آخر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل في سنة ثمان وعشرين والله أعلم . أنظر : -

التاريخ الكبير (٤٨٧/٦) ، ميزان الاعتدال (٣٥٧/٢) ، لسان الميزان (٥٨٣/٦) سير أعلام النبلاء (٢٥٦/٥) الجرح والتعديل (٣٤٠/٦) .

(٧٠) هو علي بن حمزة الكسائي ، أبو الحسن الأسدي ، مولا هم . الكوفي ، المقرئ ، النحوي أحد الأعلام . توفي رحمه الله سنة تسع وثمانين ومئة . من تصانيفه : - معاني القرآن ، القراءات ، النوادر الكبير وغيرهم . أنظر : -

التاريخ الكبير (٢٦٨/٦) ، الجرح والتعديل (١٨٢/٦) ، بغية الوعاة (١٦٢/٢) ، إرشاد الأديب (١٦٧/١٣) ، البداية والنهاية (٢٠١/١١) ، تهذيب التهذيب (٣١٣/٧) .

(٧١) قال ابن مجاهد في كتاب السبعة في القراءات ص ١٠٤ .

حجة من قرأ « ملك » قوله ﴿ مَلِكِ الْمَلِك ﴾ [آل عمران ٢٦] .

وحجة من قرأ « ملك » قوله ﴿ ملك الناس ﴾ [الناس ٢] وقوله ﴿ الملك القدوس ﴾ [الحشر ٢٢] وقد روي جميعاً عن النبي ﷺ .

والثاني : أن اشتقاقهما من القدرة ، قال الشاعر :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا (٧٢)

والفرق بين المالك والملك من وجهين :

أحدهما : أن المالك مَنْ كان خاصَّ المَلِكِ ، والملِكُ مَنْ كان عامَّ المَلِكِ .

والثاني : أن المالك من آخِص بملك الملوك ، والملِك من آخِص بنفسه
الأمر .

وآخِلفوا أيهما أبلغ في المدح ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المَلِك أبلغ في المدح من المالك ، لأنَّ كُلَّ مَلِكٍ مَالِكٌ ، وليس
كُلُّ مَالِكٍ مَلِكاً ، ولأنَّ أمر المَلِك نافذ على المَالِك .

والثاني : أن مالك أبلغ في المدح (٧٣) من مَلِك ، لأنه قد يكون ملكاً على
من لا يملك ، كما يقال ملك العرب ، وملك الروم ، وإن كان لا يملكهم ، ولا
يكون مالِكاً إلا على من يملك ، ولأنَّ المَلِك يكون على الناس وغيرهم .

والثالث : وهو قول أبي حاتم ، أن مَالِك أبلغ في مدح الخالق من مَلِك ،
ومَلِك أبلغ من مدح المخلوق من مالك .

والفرق بينهما ، أن المالك من المخلوقين ، قد يكون غير ملك ، وإن كان
الله تعالى مالِكاً كان ملكاً ، فإن وُصف الله تعالى بأنه ملك ، كان ذلك من صفات
ذاته ، وإن وُصف بأنه مالك ، كان من صفات أفعاله .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه الجزاء .

والثاني : أنه الحساب .

وفي أصل الدين (٧٤) في اللغة قولان :

(٧٢) الشاعر هو قيس بن الخطيم .

(٧٣) لأنه يجمع الاسم والفعل . [كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٠٤] .

(٧٤) قال الحافظ رحمه الله (١٥٦/٨ فتح) : وللدِّين معان أخرى منها : العادة والعمل والحكم والحال
والخلق والطاعة والقهر والملة والشرعة والورع والسياسة وشواهد ذلك يطول ذكرها .

أحدهما : العادة ، ومنه قول المثقّب العبّدي :
تَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَصِيْنِي أَهْذَا دِيْنُهُ أَبْدَأُ وَدِيْنِي
أي عاداته وعاداتي .

والثاني : أن أصل الدين الطاعة ، ومنه قول زهير بن أبي سُلمي :
لَيْتَ حَلَلْتُ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِيْنِ عَمْرٍو وَمَالَتْ بَيْنَنَا فَدُكُ
أي في طاعة عمرو .
وفي هذا اليوم قولان :

أحدهما : أنه يوم ، ابتداءه طلوع الفجر ، وانتهائه غروب الشمس .
والثاني : أنه ضياء ، يستديم إلى أن يحاسب الله تعالى جميع خلقه ، فيستقر
أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار .
وفي اختصاصه بملك يوم الدين تأويلان :

أحدهما : أنه يوم ليس فيه ملك سواه ، فكان أعظم من مُلك الدنيا التي
تملكها الملوك ، وهذا قول الأصم .
والثاني : أنه لما قال : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، يريد به ملك الدنيا ، قال
بعده : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يريد به ملك الآخرة ، ليجمع بين ملك الدنيا
والآخرة .

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

قوله : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ هو كناية عن أسم الله تعالى ، وفيه قولان :

أحدهما : أن أسم الله تعالى مضاف إلى الكاف ، وهذا قول الخليل .
والثاني : أنها كلمة واحدة كُنِيَ بها عن أسم الله تعالى ، وليس فيها إضافة
لأن المضمّر لا يضاف ، وهذا قول الأخفش .
وقوله : ﴿ نَعْبُدُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن العبادة الخضوع ، ولا يستحقها إلا الله تعالى ، لأنها أعلى

مراتب الخضوع ، فلا يستحقها إلا المنعم بأعظم النعم ، كالحياة والعقل والسمع والبصر .

والثاني : أن العبادة الطاعة .

والثالث : أنها التقرب بالطاعة .

والأول أظهرها ، لأن النصراني عبدت عيسى عليه السلام ، ولم تطعه بالعبادة ، والنبي ﷺ مطاع ، وليس بمعبود بالطاعة .

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إلى آخرها .

أما قوله : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه أرشدنا ودلنا .

والثاني : معناه وفقنا ، وهذا قول ابن عباس .

وأما الصراط ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه السبيل المستقيم ، ومنه قول جرير :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا أَعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ ^(٧٥)

والثاني : أنه الطريق الواضح ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ

تُوَعِّدُونَ ﴾ ، [الأعراف : ٨٦] وقال الشاعر :

فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّرَاطِ الْقَاصِدِ

وهو مشتق من مُسْتَرَطِ الطعام ، وهو ممره في الحلق .

وفي الدعاء بهذه الهداية ، ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم دعوا باستدامة الهداية ، وإن كانوا قد هُدُوا .

والثاني : معناه زدنا هدايةً .

- والثالث : أنهم دعوا بها إخلاصاً للربة ، ورجاءً لثواب الدعاء .
 واختلفوا في المراد بالصراط المستقيم ، على أربعة أقاويل :
 أحدها : أنه كتاب الله تعالى ، وهو قول علي وعبد الله ، ويُروى نحوه عن النبي ﷺ (٧٦) .
 والثاني : أنه الإسلام ، وهو قول جابر بن عبد الله ، ومحمد بن الحنفية (٧٧) .
 والثالث : أنه الطريق الهادي إلى دين الله تعالى ، الذي لا عوج فيه ، وهو قول ابن عباس .
 والرابع : هو رسول الله ﷺ وأخيار أهل بيته وأصحابه (٧٨) ، وهو قول الحسن البصري وأبي العالية الرياحي (٧٩) .
 وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ خمسة أقاويل :
 أحدها : أنهم الملائكة .
 والثاني : أنهم الأنبياء .

(٧٦) تقدم تخريجه موسعاً ص

(٧٧) هو محمد بن علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب . من كبراء التابعين ولد في العام الذي توفي فيه أبو بكر ورأى عمر وروى عنه وعن أبيه وأبي هريرة وعثمان وغيرهم ووفد على معاوية وكان الشيعة في زمانه تتغالي فيه وتدعي إمامته ولقبوه بالمهدي . توفي رحمه الله سنة إحدى وثمانين وقيل سنة ثلاث وثمانين والله أعلم . أنظر : -

وفيات الأعيان (١٦٩/٤) ، تاريخ الإسلام (٢٩٤/٣) ، البداية والنهاية (٣٨/٩) ، تهذيب التهذيب (٣٥٤/٩) ، شذرات الذهب (٨٨/١)

(٧٨) قال الحافظ ابن كثير (٢٨/١) وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة . فإنه من اتبع النبي ﷺ واقتدى بالذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً والله الحمد .

(٧٩) هو رفيع بن مهران الرياحي ، أبو العالية الإمام المقرئ الحافظ المفسر أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر سمع من عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم . وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

اختلف في موته فقيل سنة ٩٠ وقيل ٩٣ ، ١٠٦ والله أعلم . أنظر : -

طبقات ابن سعد (١١٢/٧) ، تهذيب التهذيب (٢٨٤/٣) ، تاريخ البخاري (٣٢٦/٣) شذرات الذهب (١٠٢/١) ، تذكرة الحفاظ (٥٨/١) .

والثالث : أنهم المؤمنون بالكتب السالفة .

والرابع : أنهم المسلمون وهو قول وكيع^(٨٠) .

والخامس : هم النبي ﷺ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد^(٨١) .

وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير^(٨٢) : (صِرَاطٌ مِّنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)
وأما قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فقد روى عن عدي بن حاتم^(٨٣) قال : سألتُ رسول الله ﷺ ، عن المغضوب عليهم ، فقال : « هُمُ الْيَهُودُ » ، وعن الضالين فقال : « هُمُ النَّصَارَى »^(٨٤) .

(٨٠) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان فقيه ، محدث ، حافظ ولد بالكوفة وتفقه وحفظ الحديث . أراد الرشيد أن يوليه القضاء فامتنع . توفي رحمه الله منصرفاً من الحج سنة (١٩٧ هـ) من آثاره : السنن ، تفسير القرآن ، الزهد وغيرها . أنظر : - طبقات الحنابلة (٢٥٧) ، الفهرست (٢٢٦/١) ، الاعلام للزركلي (١٣٥/٩) ، وغيرها .

(٨١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . فقيه ، محدث ، مفسر . توفي في أول خلافة هارون الرشيد سنة ١٧٠ هـ . له من الكتب : الناسخ والمنسوخ ، التفسير . أنظر : - الفهرست (٢٢٥/١) ، معجم المؤلفين (١٣٨/٥) .

(٨٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي ، أبو بكر صحابي جليل . أول مولود في المدينة بعد الهجرة ، بويح بالخلافة له سنة ٦٤ هـ وكان من خطباء قریش المعدودين استشهد رضي الله عنه في سنة ٧٣ هـ . أنظر : -

تهذيب التهذيب (٢١٣/٥) ، الإصابة (٣٠٩/٢) ، البداية والنهاية (٣٣٢/٨) أسد الغابة (٢٤٢/٣) .

(٨٣) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي . أبو وهب ، أبو طريف أسير ، صحابي . من الأجواد والعقلاء . وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل . مات رضي الله عنه سنة ٦٨ بالكوفة . أنظر : -

الإصابة (٤٦٨/٢) ، تهذيب التهذيب (١٦٦/٧) ، التاريخ الكبير (٤٣/٧) ، طبقات ابن سعد (٢٢/٦) .

(٨٤) رواه الطبري في التفسير (١٨٥/١ ، ١٩٣) وصححه الشيخ أحمد شاكر وزاد السيوطي نسبته في الدر (١٦/١) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان في صحيحه والحديث أصله قصة إسلام عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه . وقد جاء بروايات متعددة كثيرة كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره . وقد رواه الإمام أحمد في مسنده (١٩٤/٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩) أنظر تخريج القصة في الدر المنثور (١٧٤/٤) وكذا تخريج تفسير الطبري للشيخ أحمد شاكر وحسن القصة الترمذي وحسنها الشيخ الألباني في غاية المرام (ص ٦) وفات السيوطي نسبتها لأحمد في مسنده . تنبيه : - وأما قول =

وهو قول جميع المفسرين^(٨٥).
وفي غضب الله عليهم ، أربعة أقاويل :
أحدها : الغضب المعروف من العباد^(٨٦).
والثاني : أنه إرادة الإنتقام ، لأن أصل الغضب في اللغة هو الغلظة ، وهذه
الصفة لا تجوز على الله تعالى .
والثالث : أن غضبه عليهم هو ذمُّه لهم .
والرابع : أنه نوع من العقوبة سُمِّيَ غضباً ، كما سُمِّيَتْ نِعْمُهُ رَحْمَةً .
والضلال ضد الهدى ، وخصَّ الله تعالى اليهود بالغضب ، لأنهم أشد
عداوة .

وقرأ عمر بن الخطاب^(٨٧) (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّالِّينَ) .

= الشيخ الدوسري حفظه الله في كتابه النهج السديد (ص ٥٣) « وعزو الحديث لأحمد وهم ولذلك
لم يعز السيوطي في الدر الحديث إليه » . فوهم منه حفظه الله فقد رواه الإمام أحمد في مسنده كما
رأيت ... وأما قوله : « ولذلك لم يعز السيوطي في الدر الحديث إليه » فيقال كم من حديث رواه
أحمد في مسنده وفات السيوطي في الجامع الصغير والدر المنثور والأمثلة على ذلك كثير لا يتسع
المقام لها .

(٨٥) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (١٥٩/٨) قال ابن أبي حاتم لا أعلم بين المفسرين في ذلك
اختلافاً قال السهيلي وشاهد ذلك في قوله تعالى في اليهود : ﴿ فَبَاؤُواْ بَغْضِ ابْنِ آدَمَ عَلَى الْيَهُودِ ﴾ وفي
النصارى ﴿ قَدْ ضَلُّواْ مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ اهـ ثم اعلم أيها القارئ أن تفسير غير المغضوب
عليهم ولا الضالين « ورد من حديث أبي ذر واسناده حسن حسنه الحافظ رحمه الله في نفس المكان
من الفتح (١٥٩/٨) أخرجه ابن مردويه .

(٨٦) إن الله سبحانه وتعالى يغضب ولا سيما يوم القيامة فإنه يغضب غلبة لم يغضب مثلها ولا قبلها ولا
بعدها وأن غضب الله تعالى لا يتأثر بالانفعالات ولا يوصف بالمزاجية الناشئة عن الضعف وعدم
التمالك لأن الله سبحانه وتعالى « ليس كمثله شيء » لا في ذاته ولا في صفاته وكذلك فقد وصف الرب
جل وعلا نفسه بقوله « ولم يكن له كفواً أحد » أي ليس له شبيهاً أحد . لذا فمن جعل صفة من صفات
الله تعالى كصفات المخلوقات متأثرة بالانعكاسات والانفعالات فقد خيل ضلالاً بعيداً وقد قال الإمام
أبو جعفر الطحاوي وهو من السلف الصالح . (من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر) .

(٨٧) وقد رواها أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن وسعيد بن منصور بإسناد صحيح
صححه ابن حجر في الفتح (١٥٩/٨) وابن كثير من قبله (٢٩/١) لكن الحافظ ابن كثير رحمه الله
قال : « وكذلك حكى عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه
التفسير » .

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

مدنية في قول الجميع ، إلا آية منها ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ، فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم (١)

قوله عز وجل : ﴿ الْم ﴾ اختلف فيه المفسرون على ثمانية أقاويل : أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن كالفرقان والذكر ، وهو قول قتادة وابن جريج (٨٨) .

والثاني : أنه من أسماء السور ، وهو قول زيد بن أسلم .

والثالث : أنه اسم الله الأعظم ، وهو قول السدي (٨٩) والشعبي (٩٠) .

(٨٨) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأسوي مولاهم ، المكي ، أبو الوليد ، أبو خالد محدث ، حافظ ، فقيه ، مفسر ، ولد بمكة وحدث بالبصرة وأكثروا عنه . من آثاره : السنن ، مناسك الحج ، تفسير القرآن . توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـ . أنظر : -

سير أعلام النبلاء (٢٦٢/٥) تهذيب التهذيب (٤٠٢/٦) ، تاريخ بغداد (٤٠٠/١٠) .

(٨٩) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، صاحب التفسير والمغازي والسير ، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس . توفي رحمه الله سنة ١٢٨ هـ ، من آثاره : التفسير . أنظر : -

الأعلام للزركلي (٣١٧/١) ، روضات الجنات (١٠١) ، طبقات ابن سعد (٣٢٣/٦) ، ميزان الاعتدال (٢٣٦/١) .

(٩٠) هو عامر بن شرحبيل بن ذي كبار ، أبو عمرو . رأى علياً وصلى خلفه . وحدث عن جمع من =

والرابع : أنه قسم أقسم الله تعالى به ، وهو من أسمائه ، وبه قال ابن عباس وعكرمة .

والخامس : أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال ، فالألف من أنا واللام من الله ، والميم من أعلم ، فكان معنى ذلك : أنا الله أعلم ، وهذا قول ابن مسعود وسعيد بن جبير ، ونحوه عن ابن عباس أيضاً .

والسادس : أنها حروف يشتمل كل حرف منها على معانٍ مختلفة ، فالألف مفتاح اسمه الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، والألف آلاء الله ، والميم مجده ، والألف سَنَةٌ ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون سنة ، آجال قد ذكرها الله .

والسابع : أنها حروف من حساب الجمل ، لما جاء في الخبر عن (٩١) عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ، قال : مرَّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة : ﴿ اَلَمْ . ذَلِكَ اَلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فاتى أخاه حُيَّيَّ بْنَ أَخْطَبَ في رجال من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل الله عليك : ﴿ اَلَمْ . ذَلِكَ

= الصحابة ، وكان حافظاً ، متقناً توفي سنة ١٠٥ رحمه الله . قال أبو مجلز عنه : - ما رأيت أحداً أفقه من الشامي . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦) ، سير أعلام النبلاء (٢٩٤/٤) ، البداية والنهاية (٢٣٠/٩) ، تذكرة الحفاظ (٧٤/١) ، تهذيب التهذيب (١١٤/٢) .

(٩١) رواه الطبري في التفسير (٢٢٦/١) والبخاري في التاريخ الكبير (٢٠٧/٢/١) وقال الطبري خبر في اسناده نظر وضعفه السيوطي في الدر المنثور (٥٧/١) والشوكاني في فتح القدير (٢٠/١) وزاد السيوطي نسبته في الدر لابن اسحق وقال أخرجه ابن المنذر في تفسيره من وجه آخر عن ابن جريج مفصلاً قال الحافظ ابن كثير (٦٩/١ ، ٧٠) أما من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أول على بطلان هذا المسلك والتمسك به مع صحته .

ثم قال رحمه الله فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ولقد كان أجدر بالحافظ السيوطي أن يحكم على الحديث بالضعف الشديد كما حكم الشيخ أحمد شاكر (٢١٦/١) وقد توسع العلامة أحمد شاكر في نقد روايات هذا الحديث في الطبري أنظره هناك (١٦/١) وما بعدها .

الْكِتَابُ ﴿ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بلى » ، فقالوا : « أجهلك بها جبريل من عند الله . قال : « نعم » ، قالوا : « لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلم أنه بُيِّنَ لنبي منهم مدة ملكه وما أكل أمته غيرك » ، فقال حُيَّيُّ بن أخطب وأقبل على من كان معه ، فقال لهم : « الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة » ، ثم أقبل على رسول الله ﷺ ، ثم قال : « يا محمد هل كان مع هذا غيره ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « ماذا ؟ » قال : « الَمْص » ، قال هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، فهل مع هذا يا محمد غيره » ، قال : « نعم » ، قال : « ماذا » قال : « الَّر » قال : « هذه أثقل وأطول ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة » ، فهل مع هذا يا محمد غيره » ، قال : « نعم » قال : « ماذا ؟ » ، قال : « الَمَر » ، قال هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة . . . ، ثم قال : « لقد التبس علينا أمرك حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً » ، ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حُيَّيُّ بن أخطب ولمن معه من الأحبار : « ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون سنة » ، قالوا : « لقد تشابه علينا أمره » . فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

والثامن^(٩٢) : أنه حروف هجاء أعلم الله تعالى بها العرب حين تحداهم بالقرآن ، أنه مؤلف من حروف كلام ، هي هذه التي منها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم ، إذ لم يخرج عن كلامهم .
فأما حروف أبجد فليس بناء كلامهم عليها ، ولا هي أصل ، وقد اختلف أهل العلم فيها على أربعة أقاويل :

(٩٢) وهذا الوجه لعله أقرب إلى الصواب من غيره والله أعلم .

أحدها : أنها الأيام الستة ، التي خلق الله تعالى فيها الدنيا ، وهذا قول الضحاك بن مزاحم (٩٣) .

والثاني : أنها أسماء ملوك مَدْيَن ، وهذا قول الشعبي وفي قول بعض شعراء مَدْيَن دليل على ذلك قال شاعرهم :

أَلَا يَا شُعَيْبُ قَدْ نَطَقْتَ مَقَالَةً سَبَبَتْ بِهَا عَمْرَأَ وَحْيَ بَنِي عَمْرُو
مُلُوكُ بَنِي حَطَى وَهَوَزُ مِنْهُمْ وَسَعْفَصُ أَصْلٌ لِلْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ
هُمْ صَبَحُوا أَهْلَ الْحِجَازِ بَغَارَةً كَمِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ أَوْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ

والثالث : ما روى ميمون بن مهران (٩٤) ، عن ابن عباس ، أن لأبي جاد حديثاً عجيباً : (أبى) آدم الطاعة ، و (جد) في أكل الشجرة ، وأما (هوز) ، فنزل آدم فهوى من السماء إلى الأرض ، وأما (حطي) فحطت خطيئته ، وأما (كلمن) فأكل من الشجرة ، وَمَنْ عَلَيْهِ بالتوبة ، وأما (سعفص) فعصى آدم ، فأخرج من النعيم إلى النكد ، وأما قرشت فأقر بالذنب ، وسَلِمَ من العقوبة (٩٥) .
والرابع : أنها حروف من أسماء الله تعالى ، رَوَى ذلك معاوية بن قرّة (٩٦) ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ (٩٧) .

- (٩٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد وقيل أبو القاسم . صاحب التفسير .
كان من أوعية العلم ، ليس بالمجود لحديثه ، وهو صدوق في نفسه ، حدث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وابن عمر وغيرهم . وحدث عنه عمارة بن أبي حفصة ، أبو روق بن عطية نقل غير واحد وفاة الضحاك في سنة إثنين ومئة . أنظر : -
طبقات ابن سعد (٣٠٠/٦ ، ٣٦٩/٧) ، تاريخ البخاري (٣٣٢/٤) ، البداية والنهاية (٢٢٣/٩) .
(٩٤) هو ميمون بن مهران أبو أيوب الجزري الرقي . حدث عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وغيرهم . له الكثير من الأخبار المروية في الزهد . مات سنة سبع عشرة ومئة وقيل سنة عشرة . أنظر : -
حلية الأولياء (٨٢/٤) ، طبقات ابن سعد (١٧٧/٧) ، البداية والنهاية (٣١٤/٩) تذكر الحفظ (٩٨/١) وغيرهم .
(٩٥) هذا من الاسرائيليات التي تلقاها بعض الصحابة عن أهل الكتاب والتي يحكيها بعض المفسرين على سبيل الحكاية لا على سبيل الاستشهاد ولا الاعتماد .
(٩٦) هو معاوية بن أبي قرّة بن إياس بن هلال أبو إياس ولد يوم الجمل . وثقة ابن معين والعجلي وأبو حاتم وغيرهم . أنظر : -
طبقات ابن سعد (٢٢١/٧) ، سير أعلام النبلاء (١٥٣/٥) ، تاريخ البخاري (٣٣٠/٧) تهذيب التهذيب (٢١٦/١٠) .
(٩٧) لم أعتد إلى تخريجه .

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُ الْكِتَابُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني التوراة والإنجيل ، ليكون إخباراً عن ماضٍ .
والثاني : يعني به ما نزل من القرآن قبل هذا بمكة والمدينة ، وهذا قول الأصم .

والثالث : يعني هذا الكتاب ، وقد يستعمل ذلك في الإشارة إلى حاضر ، وإن كان موضوعاً للإشارة إلى غائب ، قال خفاف بن ندبة :

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَأْطُرُ مَتْنُهُ تَأْمَلُ خُفَافاً إِنِّي أَنَا ذَلِكَ^(٩٨)

ومن قال بالتأويل الأول : أن المراد به التوراة والإنجيل ، اختلفوا في المخاطب به على قولين :

أحدهما : أن المخاطب به النبي ﷺ ، أي ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل ، هو الذي أنزلته عليك يا محمد .

والقول الثاني : أن المخاطب به اليهود والنصارى ، وتقديره : أن ذلك الذي وعدتكم به هو هذا الكتاب ، الذي أنزلته على محمد عليه وعلى آله السلام .

قوله عز وجل : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : أن الريب هو الشك ، وهو قول ابن عباس ، ومنه قول عبد الله بن الزُّبَيْرِ :

لَيْسَ فِي الْحَقِّ يَا أُمَيْمَةُ رَيْبٌ إِنَّمَا الرَّيْبُ مَا يَقُولُ الْجَهُولُ
والتأويل الثاني : أن الريب التهمة ومنه قول جميل :

بُيِّنَتْ قَالَتْ : يَا جَمِيلُ أَرَبَّتِي فَقُلْتُ : كِلَانَا يَا بُثَيْنَ مُرِيبٌ
قوله عز وجل : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، يعني به هدىً من الضلالة .

وفي المتقين ثلاثة تأويلات :

(٩٨) انظر الأغاني (٣٢٩/٢) ، (١٣٤/١٣) ، (١٣٥) ، (١٣٤/١٦) .

أحدها : أنهم الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدّوا ما افترض عليهم ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أنهم الذين يحذرون من الله تعالى عقوبته ويرجون رحمته وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنهم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا فاسد^(٩٩) ، لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسق وإنما خص به المتقين ، وإن كان هدىً لجميع الناس ، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه .

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يصدقون بالغيب ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : يخشون بالغيب ، وهذا قول الربيع بن أنس^(١٠٠) .

وفي أصل الإيمان^(١٠١) ثلاثة أقوال :

أحدها : أن أصله التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ أي بمصدق لنا .

والثاني : أن أصله الأمان فالمؤمن يؤمن نفسه من عذاب الله ، والله المؤمن لأوليائه من عقابه .

(٩٩) هذا القول الثالث الذي ذكره المؤلف ورده تبع في ذلك الإمام الطبري فلا يظن ظان أنه انتصر في هذا القول لمذهب المعتزلة . انظر الطبري (٢٣٤/١) .

(١٠٠) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري . الخرساني ، المروزي ، بصري . سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي والحسن البصري وغيرهم . وعنه سليمان التيمي والأعمش وابن المبارك . كان عالم مروفي زمانه توفي سنة تسع وثلاثين ومئة رحمه الله . أنظر : -

طبقات ابن سعد (١٠٢/٧) تهذيب التهذيب (٢٣٨/٣) ، سير أعلام النبلاء (١٦٩/٦) ثقات ابن حبان (٦٤/٣) .

(١٠١) يعني به المؤلف رحمه الله أصله في اللغة ، أي مفهوم الإيمان من حيث الأصل اللغوي .

والثالث : أن أصله الطمأنينة ، فقليل للمصدق بالخبر مؤمن ، لأنه مطمئن .
وفي الإيمان ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الإيمان اجتناب الكبائر .

والثاني : أن كل خصلة من الفرائض إيمان .

والثالث : أن كل طاعة إيمان .

وفي الغيب ثلاثة تأويلات :

أحدها : ما جاء من عند الله ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه القرآن ، وهو قول زر بن حبيش^(١٠٢) .

والثالث : الإيمان بالجنة والنار والبعث والنشور .

وَيُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾

وفي قوله تعالى : ﴿ وَيُتِمُّونَ الصَّلَاةَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يؤدونها بفروضها .

والثاني : أنه إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع فيها ، وهذا قول ابن

عباس .

وآخُتْلَفَ لِمَ سُمِّيَ فعل الصلاة على هذا الوجه إقامة لها ، على قولين :

أحدهما : من تقويم الشيء من قولهم قام بالأمر إذا أحكمه وحافظ عليه .

والثاني : أنه فعل الصلاة سُمِّيَ إقامة لها ، لما فيها من القيام فلذلك قيل :

قد قامت الصلاة .

وفي قوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : إيتاء الزكاة احتساباً لها ، وهذا قول ابن عباس .

(١٠٢) هو زر بن حبيش بن حباشة بن أوس أبو مريم وأبو مطرف أدرك أيام الجاهلية وحدث عن عمر

وعثمان وعلي وعمار وغيرهم ، وحدث عنه عدي بن ثابت ، المنهال بن عمرو ، عبدة بن أبي لبابة .

قال عاصم : كان زر من أعرب الناس وكان ابن مسعود يسأله في العربية توفي رحمه الله وهو ابن سبع

وعشرين ومئة . أنظر : -

طبقات ابن سعد (١٠٤/٦) ، تذكرة الحفاظ (٥٤/١) ، الحلية (١٨١/٤) الإصابات ٢٩٧١ .

والثاني : نفقة الرجل على أهله ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : التطوع بالنفقة فيما قرب من الله تعالى ، وهذا قول الضحاك :

وأصل الإنفاق الإخراج ، ومنه قيل : نَفَقَتِ الدابة إذا خرجت رُوحها .

وآختلف المفسرون ، فِيمَنْ نزلت هاتان الآيتان فيه ، على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها نزلت في مؤمني العرب دون غيرهم ، لأنه قال بعد هذا :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يعني به أهل الكتاب ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها مع الآيتين اللتين من بعد أربع آيات نزلت في مؤمني أهل

الكتاب ، لأنه ذكرهم في بعضها .

والثالث : أن الآيات الأربع من أول السورة ، نزلت في جميع المؤمنين ،

وروى ابن أبي نجیح^(١٠٣) ، عن مجاهد قال : « نزلت أربع آيات من سورة

البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المنافقين .

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ وما بعدها .

أما قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني القرآن ، ﴿ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ ﴾ يعني به التوراة والإنجيل ، وما تقدم من كتب الأنبياء ، بخلاف ما فعلته

اليهود والنصارى ، في إيمانهم ببعضها دون جميعها .

﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ فيه تأويلان :

(١٠٣) هو عبد الله بن يسار بن أبي نجیح ، أبو يسار ، هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار قال

البخاري كان يتهم بالاعتزال والقدر توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة . ظهر له من المرفوع نحو مئة

حديث . أنظر : -

التاريخ الكبير (٢٣٣/٥) ، الجرح والتعديل (٢٠٣/٥) ، الكامل في التاريخ (٤٤٥/٥) .

أحدهما : يعني الدار الآخرة .
والثاني : يعني النشأة الآخرة وفي تسميتها بالدار الآخرة قولان :
أحدهما : لتأخرها عن الدار الأولى .
والثاني : لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا لدنوها من الخلق .
وقوله : ﴿ يُوَفِّيهِمْ ﴾ أي يعلمون ، فسمى العلم يقيناً لوقوعه عن دليل صار به يقيناً .

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني بيان ورشد .
﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : أنهم الفائزون السعداء ، ومنه قول لبيد :
لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الْفَلَاحِ أَذْرَكَهُ مُلَاعِبُ الرِّمَاحِ
والثاني : المقطوع لهم بالخير ، لأن الفلاح في كلامهم القطع ، وكذلك قيل
للأكار فلاح ، لأنه يشق الأرض ، وقد قال الشاعر :
لَقَدْ عَلِمْتَ يَا أَبْنَ أُمَّ صَحْصَحُ أَنْ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ
واختلف فيمن أريد بهم ، على ثلاثة أوجه :
أحدها : المؤمنون بالغيب من العرب ، والمؤمنون بما أنزل على محمد ،
وعلى من قبله من سائر الأنبياء من غير العرب .
والثاني : هم مؤمنو العرب وحدهم .
والثالث : جميع المؤمنين .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ وأصل الكفر عند العرب
التغطية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارُ نَبَأَهُ ﴾ يعني الزُّرَّاع لتغطيتهم البذر
في الأرض ، قال لبيد :

فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا^(١٠٤)
 أي غطاها ، فسمى به الكافر بالله تعالى لتغطيته نعم الله بجحوده .
 وأما الشرك فهو في حكم الكفر ، وأصله في الإشراك في العبادة .
 واختلف فيمن أريد بذلك ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم اليهود الذين حول المدينة ، وبه قال ابن عباس ، وكان يسميهم بأعيانهم .

والثاني : أنهم مشركو أهل الكتاب كلهم ، وهو اختيار الطبري .

والثالث : أنها نزلت في قادة الأحزاب ، وبه قال الربيع بن أنس .

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ الختم الطبع ، ومنه ختم الكتاب ، وفيه أربعة تأويلات :

أحدها : وهو قول مجاهد^(١٠٥) : أن القلب مثل الكف ، فإذا أذنب العبد ذنباً ضُمَّ منه كالإصبع ، فإذا أذنب ذنباً ثانياً ضُمَّ منه كالإصبع الثانية ، حتى يضم جميعه ثم يطبع عليه بطابع .

والثاني : أنها سمة تكون علامة فيهم ، تعرفهم الملائكة بها من بين المؤمنين .

(١٠٤) معلقة لبيد المشهورة . أنظر شرح المعلقات لابن بكر الأنباري ص ٥٦٠ .

(١٠٥) وقول مجاهد هذا نصره الطبري وأيده بما رواه هو (٢٦٠ / ١) وأحمد برقم (٧٩٣٩) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٥١٧ / ٢) والترمذي وصححه (٢١٠ / ٤) وابن ماجه (٢٩١ / ٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً : (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقلت قلبه فإن زاد زادت حتى تغلق قلبه فذلك الران الذي قال الله جل ثناؤه ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة المطففين ١٤) وقد رد ابن جرير القول الثالث رداً بارعاً فانظره (٢٦٠ / ١) والقول الثاني أورده ابن القيم في شفاء العليل من أقوال القدرية ورده أيضاً (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤) وأورد الثالث من أقوال القدرية أيضاً .

والثالث : أنه إخبار من الله تعالى عن كفرهم وإعراضهم عن سماع ما دعوا إليه من الحق ، تشبيهاً بما قد آنسَدَ وختم عليه ، فلا يدخله خير .

والرابع : أنها شهادة من الله تعالى على قلوبهم ، بأنها لا تعي الذكر ولا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم بأنها لا تصغي إليه ، والغشاوة : تعاميمهم عن الحق .
وسُمِّي القلب قلباً لتقلُّبه بالخواطر ، وقد قيل :

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ وَالرَّأْيُ يَصْرِفُ ، وَالْإِنْسَانُ أَطْوَارُ
والغشاوة : الغطاء الشامل .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ يعني المنافقين يخادعون^(١٠٦) رسول الله ﷺ والمؤمنين ، بأن يُظهروا من الإيمان خلاف ما يبطنون من الكفر ، لأن أصل الخديعة الإخفاء ، ومنه مخدع البيت ، الذي يخفى فيه ، وجعل الله خداعهم لرسوله خداعاً له ، لأنه دعاهم برسالته .

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ في رجوع وباله عليهم .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ يعني وما يفطنون ، ومنه سُمِّي الشاعر ، لأنه يفطن لما لا يفطن له غيره ، ومنه قولهم ليت شعري .

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

(١٠٦) قال الإمام الطبري (٢٧٢/١) وخداع المنافق ربه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ليدراً عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله عز وجل اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب ولم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار من القتل والسبأ فذلك خداعه ربه وأهل الإيمان بالله اهـ .

أحدها : شك ، وبه قال ابن عباس .

والثاني : نفاق ، وهو قول مقاتل ، ومنه قول الشاعر :

أَجَامِلُ أَقْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى صُدُورَهُمْ تَغْلِي عَلَيَّ مِرَاضُهَا

والثالث : أن المرض الغم بظهور أمر النبي ﷺ على أعدائه ، وأصل المرض الضعف ، يقال : مَرَضَ في القول إذا ضَعَفَهُ .

﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه دعاء عليهم بذلك .

والثاني : أنه إخبار من الله تعالى عن زيادة مرضهم عند نزول الفرائض ، والحدود .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني مؤلم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الكفر .

والثاني : فعل ما نهى الله عنه ، وتضييع ما أمر بحفظه .

والثالث : أنه ممالأة الكفار .

وكل هذه الثلاثة ، فساد في الأرض ، لأن الفساد العدول عن الاستقامة إلى ضدها .

واختلف فيمن أريد بهذا القول على وجهين :

أحدهما : أنها نزلت في قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت ، وإنما يجيئون بعد ، وهو قول سليمان .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، الذين كانوا موجودين ، وهو قول ابن عباس ومجاهد .

﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنهم ظنوا أن في ممالأة الكفار صلاحاً لهم ، وليس كما ظنوا ، لأن الكفار لو يظفرون بهم ، لم يبقوا عليهم ، فلذلك قال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

والثاني : أنهم أنكروا بذلك ، أن يكونوا فعلوا ما نهوا عنه من ممالأة الكفار ، وقالوا إنما نحن مصلحون في اجتناب ما نهينا عنه .

والثالث : معناه أن ممالأتنا الكفار ، إنما نريد بها الإصلاح بينهم وبين المؤمنين ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنهم أرادوا أن ممالأة الكفار صلاح وهدى ، وليست بفساد وهذا قول مجاهد .

فإن قيل : فكيف يصح نفاقهم مع مجاهدتهم بهذا القول ؛ ففيه جوابان :

أحدهما : أنهم عرّضوا بهذا القول ، وكُنُوا عنه من غير تصريح به .

والثاني : أنهم قالوا سرّاً لمن خلوا بهم من المسلمين ، ولم يجهروا به ، فبقوا على نفاقهم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾ يعني أصحاب النبي

ﷺ ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم عنوا بالسفهاء أصحاب النبي ﷺ .

والثاني : أنهم أرادوا مؤمني أهل الكتاب (*) .

والسفهاء جمع سفيه ، وأصل السَّفَةِ الخِفَّةُ ، مأخوذ من قولهم ثوب سفيه ،

(*) زيادة من تفسير القرطبي وليست في المحفوظة .

إِذَا كَانَ خَفِيفَ النَّسِيجِ ، فَسَمَّى خَفَّةَ الْحَلَمِ سَفْهًا ، قَالَ السَّمَوِيُّ :

نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا فَتَخْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

وَإِذَا الْقَوَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ في شياطينهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، الذين يأمرونهم بالتكذيب ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : رؤوسهم في الكفر ، وهذا قول ابن مسعود .

وفي قوله : ﴿ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه مع شياطينهم ، فجعل « إلى » موضع « مع » ، كما قال
تعالى : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٥٢] أي مع الله .

والثاني : وهو قول بعض البصريين : أنه يقال خلوت إلى فلان ، إذا جعلته
غايته في حاجتك ، وخلوت به يحتمل معنيين :

أحدهما : هذا .

والآخر : السخرية والاستهزاء منه فعلى هذا يكون قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ
شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أفصح ^(١٠٧) ، وهو على حقيقته مستعمل .

والثالث : وهو قول بعض الكوفيين : أن معناه إذا انصرفوا إلى شياطينهم
فيكون قوله : ﴿ إِلَى ﴾ مستعملاً في موضع لا يصح الكلام إلا به .

فأما الشيطان ففي اشتقاقه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه فيعال من شطن ، أي بَعْدَ ، ومنه قولهم : نوى شطون ^(١٠٨) أي

(١٠٧) قال الحافظ في الفتح والنكتة في تعدية خَلَوْا بإلى مع أن أكثر ما يتعدى بالباء أن الذي يتعدى بالباء
يحتمل الانفراد والسخرية تقول خلوت به إذا سخرت منه والذي يتعدى بإلى نص في الانفراد أفاد
ذلك الطبري (١٦١/٨) .

(١٠٨) وشاهده من الشعر قول النابغة :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانث والفؤاد بها رهين
ديوانه ٢٠ .

بعيدة ، وَشَطَنَتْ دَارُهُ ، أي بعدت ، فسمي شيطاناً ، إما لبعده عن الخير ، وإما لبعده مذهبه في الشر ، فعلى هذا النون أصلية .

والقول الثاني : أنه مشتق من شاط يشيط ، أي هلك يهلك كما قال الشاعر :

وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ (١٠٩)

أي يهلك ، فعلى هذا يكون النون فيه زائدة .

والقول الفاصل : أنه فعلان من الشيط وهو الاحتراق ، كأنه سُمي بما يؤول

إليه حاله .

﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي على ما أنتم عليه من التكذيب والعداوة ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي ساخرون بما نظهره من التصديق والموافقة .

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها (*) : معناه أنه يحاربهم على استهزائهم ، فسمى الجزاء باسم المجازي عليه ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ ، وليس الجزاء اعتداءً (١١٠) ، قال عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ (١١١)

والثاني : أن معناه أنه يجازيهم جزاء المستهزين .

والثالث : أنه لما كان ما أظهره من أحكام إسلامهم في الدنيا ، خلاف ما

أوجه عليهم من عقاب الآخرة ، وكانوا فيه اغترار به ، صار كالاستهزاء [بهم] (*) .

(١٠٩) هذا عجز بيت للأعشى وصدره : قد نطعن العير من مكنون فائله

والبيت في ديوانه : ١٣٤ .

(١١٠) وهذا الوجه وإن كان صحيحاً فهناك ما هو أصوب منه فإن هذه الأفعال من الله تعالى التي ذكرها في كتابه كالمكر والكيد والاستهزاء والخداع على حقيقتها في بابها وهو نوعان قبيح وحسن ؛ فالقبيح مذموم والثاني حسن وإنما يفعل الرب منها الحسن الذي يحمد عليه عدلاً منه وحكمة وينبغي أن يعلم أنه لا يجوز إطلاق أسماء على الله تعالى من هذه الأفعال فإن باب الأفعال أوسع من باب الأسماء وقد أخطأ أقيح الخطأ من اشتق له من كل فعل اسماً .

(١١١) من معلقة عمرو الشهيرة . أنظر : شرح المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري ص ٤٢٦ .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

والرابع : أنه لما حسن أن يقال للمنافق : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] ، صار القول كالاستهزاء به .

والخامس : ما حكى : أنهم يُفْتَحُ لهم باب الجحيم ، فيرون أنهم يخرجون منها ، فيزدحمون للخروج ، فإذا انتهوا إلى الباب ضربهم الملائكة ، بمقامع النيران ، حتى يرجعوا ، وهذا نوع من العذاب ، وإن كان كالاستهزاء .

قوله عز وجل : ﴿ وَيَمْدُهمُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وفي يمدهم تأويلان : أحدهما : يملئ لهم ، وهو قول ابن مسعود .
والثاني : يزيدهم ، وهو قول مجاهد .

يقال مددت وأمددت ، فحُكِيَ عن يونس أنه قال : مددت فيما كان من الشر ، وأمددت فيما كان من الخير ، وقال بعض الكوفيين : يقال : مددتُ فيما كانت زيادته منه ، كما يقال مَدَّ النصر ، وأمدَّه نهر آخر ، وأمددت فيما حدثت زيادته من غيره ، كقولك أمددتُ الجيش بمددٍ ، وأمد الجرح ، لأن المدة من غيره .

﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ يعني تجاوزهم في الكفر ، والطغيان مجاوزة القدر ، يقال طغى الماء ، إذا جاوز قدره ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ . [الحاقة : ١١] .

﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ في ثلاثة أقوال :

أحدها : يترددون ، ومنه قول الشاعر :

خَيْرَانُ يَعْمَهُ فِي ضَلَالَتِهِ مستورد بشرائع

والثاني : معناه يتحIRON ، قال رؤبة بن العجاج :

وَمَهْمِهِ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ أَعْمَى الْهَدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَهُ (١١٢)

والثالث : يعمهون عن رشدهم ، فلا يبصرونه ، لأن من عمه عن الشيء

كمن كمه عنه ، قال الأعشى :

أَرَانِي قَدْ عَمِهُتُ وَشَابَ رَأْسِي وَهَذَا اللَّعْبُ شَيْنٌ لِلْكَبِيرِ

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ الضلالة : الكفر ، والهدى : الإيمان .
وفي قوله : ﴿ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه على حقيقة الشراء فكأنهم اشتروا الكفر بالإيمان .
والثاني : أنه بمعنى استحباوا الكفر على الإيمان ، فعبر عنه بالشراء ، لأن الشراء يكون فيما يستحبه مشتريه ، فإما أن يكون على معنى شراء المعاوضة فعلاً ، لأن المنافقين لم يكونوا قد آمنوا ، فبيعوا إيمانهم .
والثالث : أنه بمعنى أخذوا الكفر وتركوا الإيمان ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : وما كانوا مهتدين ، في اشتراء الضلالة .
والثاني : وما كانوا مهتدين إلى التجارة التي اهتدى إليها المؤمنون .
والثالث : أنه لما كان التاجر قد لا يربح ، ويكون على هدى في تجارته نفى الله عنهم الأمرين من الربح والاهتداء ، مبالغة في ذمهم .

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ المثل بالتحريك والتسكين ، والمثل بالتحريك مستعمل في الأمثال المضروبة ، والمثل بالتسكين مستعمل في الشيء المماثل لغيره .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد كمثل الذي أوقد ، فدخلت السين زائدة في الكلام ، وهو قول الأخفش .

والثاني : أنه أراد استوقد من غيره ناراً للضياء ، والنار مشتقة من النور .
﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ يقال ضاءت في نفسها ، وأضاءت ما حولها قال أبو الطمحان :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَاقِبُهُ (*)
قوله عز وجل : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : نور المستوقد ، لأنه في معنى الجمع ، وهذا قول الأخفش .
والثاني : بنور المنافقين ، لأن المثل مضروب فيهم ، وهو قول الجمهور .
وفي ذهاب نورهم وجهان :

أحدهما : وهو قول الأصم ذهب الله بنورهم في الآخرة ، حتى صار ذلك سمةً لهم يُعْرَفُونَ بها .

والثاني : نه عَنَى النور الذي أظهره للنبي ﷺ من قلوبهم بالإسلام .
وفي قوله : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ قولان :
أحدهما : معناه لم يأتهم بضياء يبصرون به .

والثاني : أنه لم يخرجهم منه ، كما يقال تركته في الدار ، إذا لم تخرجه منها ، وكأن ما حصلوا فيه من الظلمة بعد الضياء أسوأ حالاً ، لأن من طُفِئَتْ عنه النار حتى صار في ظلمة ، فهو أقل بصرًا ممن لم يزل في الظلمة ، وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين .

وفيما كانوا فيه من الضياء ، وجعلوا فيه من الظلمة قولان :

أحدهما : أن ضياءهم دخولهم في الإسلام بعد كفرهم ، والظلمة خروجهم منه بنفاقهم .

والثاني : أن الضياء يعود للمنافقين بالدخول في جملة المسلمين ، والظلمة زواله عنهم في الآخرة ، وهذا قول ابن عباسٍ وقتادة .

قوله تعالى : ﴿ صَمٌّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ وهذا جمع : أصم ، وأبكم ، وأعمى ، وأصل الصَّمَمُ الانسداد ، يقال قناة صماء ، إذا لم تكن مجوفة ، وصممت القارورة ، إذا سددها ، فالأصم : من أنسدَّت خروقه مسامعه .

أما البَكْمُ ، ففيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه آفة في اللسان ، لا يتمكن معها من أن يعتمد على مواضع الحروف .

والثاني : أنه الذي يولد أخرس .

والثالث : أنه المسلوب الفؤاد ، الذي لا يعي شيئاً ولا يفهمه .

والرابع : أنه الذي يجمع بين الخرس وذهاب الفؤاد .

ومعنى الكلام ، أنهم صَمٌّ عن استماع الحق ، بكم عن التكلم به ، عُمِيٌّ عن الإبصار له ، رَوَى ذلك قتادة ، ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ يعني إلى الإسلام .

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَ إِذَا نَهُم مِّنَ
الصَّوْعِ حَذَرَالْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ
كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْفِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ في الصَّيْبِ تأويلان :

أحدهما : أنه المطر ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود .

والثاني : أنه السحاب ، قال علقمة بن عبدة :

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ
فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سُقِيَتْ غَوَادِي الْمَزْنِ حِينَ تَصُوبُ (١١٣)

(١١٣) شعر علقمة في ديوانه (٣٤) لكن الشطر الأخير من البيت الثاني :

« سقتك روايا المزن حين تصوب » وكذا هو في المفضليات (٧٨٤) ، (٧٦٩)

وفي الرعد ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه مَلَكٌ ينطق بالغيث ، كما ينطق الراعي بغنمه ، فَسُمِّيَ الصوتُ رعداً باسم ذلك المَلَك ، وبه قال الخليل :

والثاني : أنه ريح تختنق تحت السحاب فتُصَوَّبُ ذلك الصوت ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنه صوت اصطكاك الأجرام .

وفي البرق ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه ضرب^(١١٤) الملك الذي هو الرعد للسحاب بمخراق حديد ، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والثاني : أنه ضربه بسوط من نور ، وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنه ما ينفدح من اصطكاك الأجرام .

والصواعق جمع صاعقة ، وهو الشديد من صوت الرعد تقع معه قطعة نار ، تحرق ما أتت عليه .

وفي تشبيه المثل في هذه الآية أقاويل :

أحدها : أنه مَثَلٌ للقرآن ، شُبَّهَ المطرُ المُنْزَلُ من السماء بالقرآن ، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء ، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر ، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان ، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد الآجل ، والدعاء إلى الجهاد في العاجل ، وهذا المعنى عن ابن عباس .

والثاني : أنه مَثَلٌ ، لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم ، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحهم وموارثهم ، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل .

والثالث : أنه ضَرْبُ الصَّيْبِ مَثَلًا بظاهر إيمان المنافق ، ومثل ما فيه من

(١١٤) وأرجح الأقوال في ذلك ما أيده الحديث الصحيح وهو القول الأول : قول علي بن أبي طالب لما رواه أحمد رقم (٢٤٨٣) وغيره في حديث طويل أجاب فيه النبي ﷺ على أسئلة اليهود ومنها سؤاله عن الرعد .

الظلمات بصلابته ، وما فيه من البرق بنور إيمانه ، وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه .

قوله عز وجل : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ معناه يستلبيها بسرعة .
 ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين ، وفيه تأويلان :
 أحدهما : معناه كلما أضاء لهم الحق اتبعوه ، وإذا أظلم عليهم بالهوى تركوه .

والثاني : معناه كلما غنموا وأصابوا من الإسلام خيراً ، اتبعوا المسلمين ، وإذا أظلم عليهم فلم يصيبوا خيراً ، قعدوا عن الجهاد .
 قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ فالمراد الجمع وإن كان بلفظ الواحد . كما قال الشاعر :

كُلُّوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا فَإِنْ زَمَانَكُمْ زَمَنْ خَمِصُ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الانداد الأكفأ ، وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : الأشباه ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : الأضداد ، وهو قول المفضل ^(١١٥) .

(١١٥) هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي ، أبو العباس : أديب ، نحوي ، لغوي ، عالم بالشعر وأيام العرب . له : المفضليات ، معاني الشعر ، الأمثال وغيرها . توفي سنة ١٦٨ هـ .
 أنظر : -

الفهرست (٦٨/١) ، معجم الأدباء (١٦٤/١٩) ، معجم المؤلفين (٣١٦/١٢)

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

- أحدها : وأنتم تعلمون أن الله خلقكم ، وهذا قول ابن عباس وقتادة .
والثاني : معناه وأنتم تعلمون أنه لا ندُّ له ولا ضد ، وهذا قول مجاهد .
والثالث : معناه وأنتم تعقلون فعبّر عن العقل بالعلم .

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا
فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ يعني في القرآن ، على عبدا : يعني محمدا ﷺ ، والعبد مأخوذ من التعبد ، وهو التذلل ، وسمي المملوك من جنس ما يعقل عبداً ، لتذله لمولاه .

﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ فيه تأويلان :

- أحدهما : يعني من مثله من القرآن وهذا قول مجاهد وقتادة .
والثاني : فأتوا بسورة من مثل محمد ﷺ من البشر ، لأن محمداً بشر مثلهم .

﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

- أحدها : يعني أعوانكم ، وهذا قول ابن عباس .
والثاني : آلهتكم ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم ، وهذا قول الفراء .
والثالث : ناساً يشهدون لكم ، وهذا قول مجاهد .

قوله عز وجل : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ الوُقود بالفتح الحطب ، والوُقود بالضم التوقُّد ، والحجارة(*) من كبريت أسود^(١١٦)، وفيها قولان :

(١١٦) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٩٨/١) والمراد بها [أي بالحجارة]

على ما صح عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولمثل ذلك حكم الرفع حجارة الكبريت وفيها من شدة الحر وكثرة الالتهاب وسرعة الايقاد ومزيد الالتصاق بالأبدان وأعداد أهل النار أن يكونوا حطباً مع تنن ريح وكثرة دخان ووفور كثافة ما نعوذ بالله منه .

أحدهما : أنهم يعذبون فيها بالحجارة مع النار ، التي وقودها الناس ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس .

والثاني : أن الحجارة وقود النار مع الناس ، ذكر ذلك تعظيماً للنار ، كأنها تحرق الحجارة مع إحراقها الناس .

وفي قوله : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ قولان :

الأول : أنها وإن أعدت للكافرين ، فهي معدة لغيرهم من مستحقي العذاب من غير الكافرين ، وهي نار واحدة ، وإنما يتفاوت عقابهم فيها .

والثاني : أن هذه النار معدة للكافرين خاصة ، ولغيرهم من مستحقي العذاب نارٌ غيرها .

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ
وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ بشر من البشارة ، أو خبر يرد عليك بما يسرُّ ، وقيل بما يسرُّ ويُعْجِبُ (١١٧) ، وإنما كثر استعماله فيما يسرُّ ، حتى عُذِلَ به عما يُعْجِبُ ، وهو مأخوذ من البشارة وهي ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر [يرد عليه] (*) .

والجنات جمع جنة ، وهي البستان ذو الشجر ، وسمي جنة لأن ما فيه من الشجر يستره ، وقال المفضل : الجنة كل بستان فيه نخل ، وإن لم يكن فيه شجر غيره ، فإن كان فيه كرم فهو فردوس ، كان فيه شجر غير الكرم أو لم يكن .

(١١٧) وشاهد الذي قاله الامام أبو الحسن رحمه الله في التنزيل حيث قال الله تعالى لنبيه ﷺ في سورة النساء آية .

﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ﴾ .

(*) ما بين المعكوفين زيادة .

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ يعني من تحت الشجر ، وقيل : إن أنهار الجنة تجري من غير أخذود .

قوله عز وجل : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ، يعني بقوله : ﴿ رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ﴾ أي من ثمار شجرها .
﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن معناه : أن هذا الذي رُزِقناه من ثمار الجنة ، مثل الذي رُزِقناه من ثمار الدنيا ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة .

والثاني : أن ثمار الجنة إذا جنت من أشجارها ، استخلف مكانها مثلها ، فإذا رأوا ما استخلف بعد الذي جنى ، اشتبه عليهم ، فقالوا : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ، وهو قول أبي عبيد ويحيى بن أبي كثير^(١١٨) .

قوله عز وجل : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن معنى التشابه أن كله خيار يشبه بعضه بعضاً وليس كثمار الدنيا ، التي لا تشابه لأن فيها خياراً وغير خيار ، وهذا قول الحسن وقتادة وابن جريج .

والثاني : أن التشابه في اللون دون الطعم^(١١٩) فكأن ثمار الجنة في ألوان ثمار الدنيا ، وإن خالفتها في الطعم ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والربيع بن أنس .

والثالث : أن التشابه في الأسماء دون الألوان والطعم ، فلا تشبه ثمار الجنة شيئاً من ثمار الدنيا في لون ولا طعم ، وهذا قول ابن الأشجعي^(١٢٠) وليس بشيء .

(١١٨) هو يحيى بن أبي كثير اليمامي ، أبو نصر ، من أهل البصرة . سكن اليمامة لا يصح له سماع عن أنس ولا غيره من الصحابة . توفي سنة ١٢٩ . أنظر : - التهذيب (٢٦٨/١١) ، تذكرة الحفاظ للسيوطي (١٨٨/١) .

(١١٩) قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٥٣/١) فإن قال قائل ما وجه الإمتان بمتشابهه . وكلما تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن فإنك لو رأيت تفاعه فيها طعم سائر الفاكهة كان نهاية العجب وإن قلنا أنه متشابه في الجودة جاز اختلافه في الألوان والطعم وإن قلنا أنه يشبه صورته ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني كان أطرف وأعجب وكل مطالب مؤثرة . اهـ .

(١٢٠) هو أبو مالك الأشجعي ، سعد بن طارق بن أشيم . كوفي صدوق . أنظر : - التاريخ الكبير (٥٨/٤) ، الجرح والتعديل (٨٦/٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨٤/٦) .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ في الأبدان ، والأخلاق ، والأفعال ، فلا يَحْضَنُ ، ولا يلدن ، ولا يذهبن إلى غائط ولا بول ، وهذا قول جميع أهل التفسير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ ۚ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ ۚ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ ۚ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ۚ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۚ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

في قوله : ﴿ لَا يَسْتَحْيِي ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه لا يترك (١٢١) .

والثاني : [يريد] (*) لا يخشى .

والثالث : لا يمتنع ، وهذا قول المفضل .

وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مَوَاقِعَةِ القبح .

والبعوضة : من صغار البق سُميت بعوضة ، لأنها كبعض البقة لصِغَرِها .

وفي قوله : ﴿ مَا بَعُوضَةٌ ﴾ ثلاثة أوجه :

(١٢١) إن ما عليه السلف الصالح بالنسبة لصفات الله تعالى أنهم يؤمنون بها كما وردت من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تجسيم وما كانوا ليتوسعوا بالتأويل فقد ثبت التأويل عن البخاري في باب التفسير في قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ فقال البخاري أي ملكه وكذلك أول صفة الضحك بالرحمة وكذلك أول أحمد قوله تعالى وجاء ربك فقال أي أمره ، وأول الحديث يوم تأتي البقرة ، فقال أي ثوابها وكذلك أول الشافعي ومالك وغيرهم .

(*) ما بين المعكوفين زيادة .

أحدها : أن « ما » بمعنى الذي ، وتقديره : الذي هو بعوضة .
والثاني : أن معناه : ما بين بعوضة إلى ما فوقها .
والثالث : أن « ما » صلة زائدة ، كما قال النابغة :

قَالَتْ أَلَا لَيْتِمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدْ
﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : فما فوقها في الكبير ، وهذا قول قتادة وأبن جريج .
والثاني : فما فوقها في الصغير ، لأن الغرض المقصود هو الصغير .
وفي المثل ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وارد في المنافقين ، حيث ضَرَبَ لَهُمُ الْمَثَلِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ :
مَثَلَهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، وقوله : أو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ ، فقال المنافقون :
إِنَّ اللَّهَ أَعْلَى مِنْ أَنْ يَضْرِبَ هَذِهِ الْأَمْثَالَ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، وهذا قول ابن مسعود وأبن عباس .

والثاني : أن هذا مثلٌ مبتدأ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى مثلاً للدنيا وأهلها ، وهو أن
البعوضة تحيا ما جاءت ، وإذا شُبِعَتْ ماتت ، كذلك مثل أهل الدنيا ، إذا امتلأوا
من الدنيا ، أخذهم الله تعالى عند ذلك ، وهذا قول الربيع بن أنس .

والثالث : أن الله عز وجل حين ذكر في كتابه العنكبوت والذباب وضربهما
مثلاً ، قال أهل الضلالة : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ، فأنزل الله تعالى هذه
الآية ، وهذا قول قتادة ، وتأويل الربيع أحسن ، والأول أشبه .

قوله عز وجل : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه بالكذب بأمثاله ، التي ضربها لهم كثيراً ، ويهدي بالتصديق
بها كثيراً .

والثاني : أنه آمتحنهم بأمثاله ، فَضَّلَ قوم فجعل ذلك إضللاً لهم ، وآهتدى
قوم فجعله هدايةً لهم .

والثالث : أنه إخبار عَمَّنْ ضَلَّ ومن اهتدى .

قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ .

أما النقص ، فهو ضد الإبرام ، وفي العهد قولان :
أحدهما : الوصية .

والثاني : الموثق .

والميثاق ما وَقَعَ التوثق به .

وفيما تضمنه عهده وميثاقه أربعة أقاويل :

أحدها : أن العهد وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعة ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصية في كتبه ، وعلى لسان رسله ، ونقضهم ذلك بترك العمل به .

والثاني : أن عهده ما خلقه في عقولهم من الحجة على توحيده وصدق رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم .

والثالث : أن عهده ما أنزله على أهل الكتاب [من] ، على صفة النبي ﷺ ، والوصية المؤكدة باتباعه ، فذلك العهد الذي نقضوه بجحودهم له بعد إعطائهم الله تعالى الميثاق من أنفسهم ، ليبينه للناس ولا يكتُمونه ، فأخبر سبحانه ، أنهم نبذوه وراء ظهورهم وأشتروا به ثمناً قليلاً .

والرابع : أن العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم ، الذي وصفه في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وفي هذه الكتابة التي في ميثاقه قولان :

أحدهما : أنها كناية ترجع إلى أسم الله وتقديره من بعد ميثاق الله .

والثاني : أنها كناية ترجع إلى العهد وتقديره من بعد ميثاق العهد .

وفيمن عناه الله تعالى بهذا الخطاب ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : المنافقون .

والثاني : أهل الكتاب .

والثالث : جميع الكفار .

قوله عز وجل : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الذي أمر الله تعالى به أن يوصل ، هو رسوله ، فقطعوه بالكذب والعصيان ، وهو قول الحسن البصري .

والثاني : أنه الرحمُ والقرابةُ ، وهو قول قتادة .

والثالث : أنه على العموم في كل ما أمر الله تعالى به أن يوصل .

قوله عز وجل : ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ وفي إفسادهم في الأرض قولان :

أحدهما : هو استدعاؤهم إلى الكفر .

والثاني : أنه إخافتهم السُّبُل وقطعهم الطريق .

وفي قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : أن الخسران هو النقصان ، ومنه قول جرير :

إِنَّ سَلِيطاً فِي الْخَسَارِ إِنَّهُ أَوْلَادُ قَوْمٍ حَلَفُوا أَنَّهُ (١٢٢)

يعني بالخسار ، ما ينقصُ حظوظهم وشرفهم .

والثاني : أن الخسران ها هنا الهلاك ، ومعناه : أولئك هم الهالكون .

ومنهم من قال : كل ما نسبته الله تعالى من الخسران إلى غير المسلمين فإنما

يعني الكفر ، وما نسبته إلى المسلمين ، فإنما يعني به الذنب .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ

يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ﴾ .

في قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ قولان :

أحدهما : أنه خارج مخرج التوبيخ .

والثاني : أنه خارج مخرج التعجب ، وتقديره : اعجبوا لهم ، كيف

يكفرون !

وفي قوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ ستة تأويلات :
أحدها : ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا ﴾ أي لم تكونوا شيئاً ، ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ أي خلقكم ،
﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انقضاء آجالكم ، ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يوم القيامة ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

والثاني : أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا ﴾ يعني في القبور ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾
للمسألة ، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ في قبوركم بعد مساء لتكم ، ثم يحييكم عند نفخ الصور
للسور ، لأن حقيقة الموت ما كان عن حياة ، وهذا قول أبي صالح .

والثالث : أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا ﴾ يعني في أصلاب آبائكم ،
﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ أي أخرجكم من بطون أمهاتكم ، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ الموتة التي لا بد
منها ، ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ للبعث يوم القيامة ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا ﴾ يعني : أن الله عز وجل حين أخذ
الميثاق على آدم وذريته ، أحياهم في صلبه وأكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق ،
ثم أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم ، ثم أحياهم وأخرجهم من بطون أمهاتهم ، وهو
معنى قوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ ، [الزمر: ٦]
فقوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا ﴾ يعني بعد أخذ الميثاق ، ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ بأن خلقكم في بطون
أمهاتكم ثم أخرجكم أحياء ، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ بعد أن تنقضي آجالكم في الدنيا ،
﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ بالنشور للبعث يوم القيامة ، [وهذا] قول ابن زيد .

والخامس : أن الموتة الأولى مفارقة نطفة الرجل جسده إلى رحم المرأة ،
فهي مَيِّتَةٌ من حين فراقها من جسده إلى أن ينفخ الروح فيها ، ثم يحييها بنفخ
الروح فيها ، فيجعلها بشراً سوياً ، ثم يميتها الموتة الثانية بقبض الروح منه ، فهو ميت
إلى يوم ينفخ في الصور ، فيرد في جسده روحه ، فيعود حياً لبعث القيامة ، فذلك
موتتان وحياتان(*) .

والسادس : أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا ﴾ خاملي الذكر دارسي الأثر ،
﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ بالظهور والذكر ، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انقضاء آجالكم ، ﴿ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ ﴾ للبعث ، واستشهد من قال هذا التأويل بقول أبي بَجِيلَةَ السَّعْدِيِّ :

وَأُحْيِيَّتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَتْبَهُ مِنْ بَعْضٍ (١٢٣)
وفي قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : إلى الموضع الذي يتولى الله الحكم بينكم .
والثاني : إلى المجازاة على الأعمال .

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أن معنى قوله : ﴿ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ أي أقبل عليها ، وهذا قول الفراء .

والثاني : معناه : عمد إليها ، وقصد إلى خلقها .

والثالث : أن فَعَلَ الله تحوّل إلى السماء ، وهو قول المفضل .

والرابع : معناه : ثم استوى أمره وصنعه الذي صَنَعَ به الأشياء إلى السماء ، وهذا قول الحسن البصري .

والخامس : معناه ثم استوت به السماء .

السادس : أن الاستواء والارتفاع والعلو (١٢٤)، وممن قال بذلك : الربيع بن

أنس ، ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الذي استوى إلى السماء فعلا عليها على قولين (١٢٥) :

أحدهما : أنه خالقها ومنشئها .

والثاني : أنه الدخان ، الذي جعله الله للأرض سماءً .

(١٢٣) الأغاني (١٨/١٤٠) ، المؤلف والمختلف للآمدي (١٩٣) .

(١٢٤) اعلم أيها القارئ أن الاستواء صفة من صفات الله تعالى الفعلية تثبتها كما أثبتنا الله لنفسه وكما أثبتنا له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به ولا نخوض فيها بضرب من التأويل أو التعطيل وما ذكره

المؤلف هنا من الأقوال أولاها وأصحها القول الثالث .

(١٢٥) والصواب من القولين الأول لأن سياق الآيات يدل عليه .

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ،
في قوله : ﴿ وَإِذْ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه صلة زائدة ، وتقدير الكلام : وقال ربك للملائكة ، وهذا قول
أبي عبيدة ، واستشهد بقول الأسود بن يعفر :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَا مَهَاةَ لِدِكرِهِ وَالذَّهْرُ يَعْقُبُ صَالِحاً بِفَسَادٍ (١٢٦)
والوجه الثاني : أن « إذ » كلمة مقصورة ، وليست بصلة زائدة ، وفيها لأهل
التأويل قولان :

أحدهما : أن الله تعالى لما ذكّر خلقه نِعَمَهُ عليهم بما خلقه لهم في
الأرض ، ذكّرهم نِعَمَهُ على أبيهم آدَمَ ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي
الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، وهذا قول المفضل .

والثاني : أن الله تعالى ذكر ابتداء الخلق فكأنه قال : وابتدأ خلقكم ﴿ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، وهذا من المحذوف الذي دَلَّ عليه
الكلام ، كما قال النمر بن تَوَلَّبَ (١٢٧) :

فَإِنَّ أَلْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا
يريد : أينما ذهب .

فأما الملائكة فجمع مَلَكٍ ، وهو مأخوذ من الرسالة ، يقال : أَلَكْنِي إليها أي
أرسلني إليها ، قال الهذلي :

أَلِكْنِي وَخَيْرُ الرَّسُولِ لِي أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاجِي الْخَبَرِ

(١٢٦) أنظر المفضليات قصيدة رقم (٤٤) .

(*) وفي المطبوعة وأذكرهم ..

(١٢٧) أنظر الخزانة (٤ : ٤٣٨) وشرح شواهد المغني [٦٥] .

والألوك الرسالة ، قال لبيد بن ربيعة :

وَعَلَامٍ أُرْسَلَتْهُ أُمُّهُ بِاللُّوكِ قَبْدَلْنَا مَا سَأَلُ (١٢٨)

وإنما سميت الرسالة ألوكاً لأنها تؤلك في الفم ، والفرس يألك اللجام ويعلكه ، بمعنى يعضغ الحديد بفمه .

والملائكة أفضل الحيوان وأعقل الخلق (١٢٩) ، إلا أنهم لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينكحون ، ولا يتناسلون ، وهم رسل الله ، لا يعصونه في صغير ولا كبير ، ولهم أجسام لطيفة لا يُرَوْنَ إلا إذا قَوَّى الله أبصارنا على رؤيتهم .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ اختلف في معنى ﴿ جاعل ﴾ على وجهين :

أحدهما : أنه بمعنى خالق .

والثاني : بمعنى جاعل ، لأن حقيقة الجعل فعل الشيء إلى صفة ، وحقيقة الإحداث إيجاد الشيء بعد العدم .

﴿ الأرض ﴾ قيل : إنها مكة ، وروى ابن سابط (١٣٠) ، أن النبي ﷺ قال : « دُحِيتِ الْأَرْضُ مِنْ مَكَّة » (١٣١) ولذلك سميت أم القرى ، قال : وقبر نوح ، وهود ،

(١٢٨) ديوان لبيد قصيدة رقم (٣٧) .

(١٢٩) وهذه المسألة طويلة الذيل وفيها تفصيل دقيق راجعه في مجموع الفتاوى فقد توسع شيخ الإسلام فيها وفصل فيها من (ص ٣٥٠ إلى ص ٣٩٢ ج ٤) والخلاصة في ذلك أن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار كمال البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهي عما يلابسه بني آدم ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة (٤ / ٣٤٣) .

(١٣٠) هو عبد الرحمن بن سابط ويقال عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط . تابعي أرسل عن النبي ﷺ وروى عن عمر ، معاذ ، جء وغيرهم وقيل لم يدرك منهم أحداً ، وعنه ابن جريج وليث بن أبي سليم ، وأبو خيثمة وغيرهم أجمعوا على أن وفاته سنة ثمان عشر ومائة وكان ثقة كثير الحديث . أنظر : -

تهذيب التهذيب (٦ / ١٨٠) ، مشاهير علماء (٨٥) .

(١٣١) رواه ابن جرير في التفسير (٤٤٨ / ١) وابن أبي حاتم في تفسيره ونقله ابن كثير (١٢٧ / ١) وزاد السيوطي في الدر (٤٦ / ١) نسبته لابن عساكر والحديث مرسل ضعيف وقال الحافظ ابن كثير (١٢٧ / ١) وهذا مرسل وفيه مدرج وهو أن المراد بالأرض مكة فالله أعلم . فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك .

وصالح ، وشعيب بن زمزم ، والركن ، والمقام .
وأما «الخليفة» فهو القائم مقام غيره ، من قولهم : خَلَفَ فلانٌ فلاناً ، والخَلَفَ بتحريك اللام من الصالحين ، والخَلَفَ بتسكينها من الطالحين ، وفي التنزيل : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم : ٥٩] ، وفي الحديث : «يتقل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُولُهُ» (١٣٢) .

وفي خلافة آدم وذريته ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان في الأرض الجنُّ ، فأفسدوا فيها ، سفكوا الدماء ، فأهْلِكُوا ، فَجَعَلَ آدم وذريته بدلهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه أراد قومًا يَخْلُفُ بعضهم بعضاً من ولد آدم ، الذين يخلفون أباهم آدم في إقامة الحق وعمارة الأرض ، وهذا قول الحسن البصري .

والثالث : أنه أراد : جاعل في الأرض خليفةً يَخْلُفُنِي (١٣٣) في الحكم بين خلقي ، وهو آدم ، ومن قام مقامه من ولده ، وهذا قول ابن مسعود .

قوله عز وجل : ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ، وهذا جواب من الملائكة حين أخبرهم ، أنه جاعل في الأرض خليفةً ، واختلفوا في

(١٣٢) رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص ٢٨) والعلائي في بغية الملتبس (ص ٣٤) من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً .

وقال العلائي هذا حديث حسن غريب صحيح . وقد صححه الإمام أحمد رحمه الله فروى الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص ٢٨) بسنده إلى

قال سألت أحمد بن حنبل عن حديث معان بن رفاعة يحمل هذا العلم من كل خلق عدوله الحديث فقلت لأحمد كأنه كلام موضوع قال لا هو صحيح قلت : ممن سمعته أنت؟ قال : من غير واحد قلت : من هم؟ قال حدثني به .

إلا أنه يقول معان عن القاسم بن عبد الرحمن قال أحمد ومعان بن رفاعة لا بأس به وللحديث طرق عند ابن عدي في الكامل (١/١٩٠ ، ٢٣٣ ، ٣٣٤) والبيهقي (١٠/٢٠٩) وابن عبد البر في التمهيد (١/٥٩) والخطيب في شرف أصحاب (ص ٢٩) فراجعها إن شئت وقد عقد الإمام ابن القيم بحثاً مستفيضاً عن هذا الحديث في «مفتاح دار السعادة» فراجعه فإنه مهم .

(١٣٣) وليس معنى ذلك أنه ينوب عن الله تعالى في خلقه وإنما الحاكم هو قائم بما أوجبه الله عليه من إقامة شريعته في الأرض فبالله تعالى يَخْلُفُ ولا يَخْلُفَ ولذلك كان النبي ﷺ يقول في سفره «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في المال والأهل» . . . الحديث ومن هذا يتبين خطأ من يقول : فلان خليفة الله في الأرض فتنبه .

جوابهم هذا ، هل هو على طريق الاستفهام أو على طريق الإيجاب ؟ على وجهين :

أحدهما : أنهم قالوه استفهاماً واستخباراً حين قال لهم : إني جاعل في الأرض خليفة ، فقالوا : يا ربنا أَعْلِمْنَا ، أجاعل أنت في الأرض من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء ؟ فأجابهم : إني أعلم ما لا تعلمون ، ولم يخبرهم (١٣٤) .

والثاني : أنه إيجاب ، وإن خرجت الألف مخرج الاستفهام ، كما قال جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى أَلْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ
وعلى هذا الوجه في جوابهم بذلك قولان :

أحدهما : أنهم قالوه ظناً وتوهمًا ، لأنهم رأوا الجن من قبلهم ، قد أفسدوا في الأرض ، وسفكوا الدماء ، فتصوروا أنه إن استخلف استخلف في الأرض مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدماء .

وفي جوابهم بهذا وجهان :

أحدهما : أنهم قالوه استعظاماً لفعلهم ، أي كيف يفسدون فيها ، ويسفكون الدماء ، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها فقال : إني أعلم ما لا تعلمون .

والثاني : أنهم قالوه تعجباً من استخلافه لهم أي كيف تستخلفهم في الأرض وقد علمت أنهم يفسدون فيها ويسفكون الدماء فقال : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ .

وقوله : ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءُ﴾ السفك صب الدم خاصةً دون غيره من الماء والمائع ، والسفح مثله ، إلا أنه مستعمل في كل مائع على وجه التضييع ، ولذلك قالوا في الزنى : إنه سفاح لتضييع مائه فيه .

قوله عز وجل : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ .

والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على جهة التعظيم ، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

(١٣٤) وهذا القول استعناه ابن جرير ورجحه على غيره (١/٤٦٩ ، ٤٧٠) .

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ عُلْقَمَةُ الْفَاجِرِ (١٣٥)
أي براءة من علقمة .

ولا يجوز أن يسبح غير الله ، وإن كان منزهاً ، لأنه صار علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا الله تعالى .

وفي المراد بقولهم : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ أربعة أقاويل :
أحدها : معناه نصلي لك ، وفي التنزيل : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصافات : ٧٤٣] ، أي من المصلين ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .
والثاني : معناه نعظمك ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه التسبيح المعروف ، وهذا قول المفضل ، واستشهد بقول جرير :

قَبَّحَ الْإِلَٰهَ وَجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالًا
وأما قوله : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ فأصل التقديس التطهير ، ومنه قوله تعالى :
﴿ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ أي المطهرة ، وقال الشاعر (١٣٦):
فَأَذْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا كَمَا شَبَّرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ
أي المطهر .

وفي المراد بقولهم : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنه الصلاة .

والثاني : تطهيره من الأدناس .

والثالث : التقديس المعروف .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثلاثة أقاويل :
أحدها : أراد ما أضمره إبليس من الاستكبار والمعصية فيما أمروا به من السجود لآدم ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

(١٣٥) ديوان الأعشى ص (١٠٦) .

(١٣٦) الشاعر هو امرؤ القيس والبيت في ديوانه : ١٠٤ .

والثاني : مَنْ فِي ذُرِّيَّةِ آدَمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الَّذِينَ يُضِلُّوْنَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَفْسُدُونَ ، وَهَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ .

والثالث : مَا اخْتَصَّ بِعَلَمِهِ مِنْ تَدْبِيرِ الْمَصَالِحِ .

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أُنثِيَّتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُهُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ في تسميته بآدم قولان :

أحدهما : أنه سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ، وأديمها هو وجهها الظاهر ، وهذا قول ابن عباس ، وقد رَوَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ (١٣٧) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ ، قَبْضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ ، وَالْأَسْوَدُ ، وَالْأَبْيَضُ ، وَالسَّهْلُ ، وَالْخَبِيثُ ، وَالطَّيِّبُ » (١٣٨) .

(١٣٧) هو عبد الله بن قيس بن سليم . أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، الصحابي الكوفي . رضي الله عنه أسلم ثم هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة بعد فتح خير استعمله عمر بن الخطاب على الكوفة روى له ثلثمائة وستون حديثاً توفي بمكة وقيل بالكوفة سنة (٥٠) وقيل قبلها وقيل بعدها وورد في مناقبه الأحاديث المرفوعة والآثار المروية . أنظر :-

سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠) ، الإصابة (٦/ ١٩٤) ، أسد الغابة (٣/ ٣٦٧) الجرح والتعديل (٥/ ١٣٨) ، الاستيعاب (٣/ ٩٧٩) .

(١٣٨) رواه أبو داود (٤٦٩٣) ، الترمذي (٢٩٤٨) ، ابن حبان (١١/ ٨) ، أحمد (٤٠٠/ ٤) ، ٤٠٦ حلي (ابن خزيمة في التوحيد (ص ٤٤) ، أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٤) ، ١٣٥/ ٨) ، البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٢٨ ، ٣٨٥) ، ابن سعد في الطبقات (١/ ٦٠٥) ، الحاكم في المستدرک (٢/ ٢٦١) ، الطبري في التفسير (١/ ٤٨١ ، ٦٤٥) ، الطبري في التاريخ (١ : ٤٦) ، ابن الجوزي في التبصرة (١/ ٢٤) وزاد السيوطي في الدرر (١/ ١١٥) نسبته لعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه كلهم عن عوف الأعرابي =

والثاني : أنه مأخوذ من الأدمة ، وهي اللون .

وفي الأسماء التي علّمها الله تعالى آدَمَ ، ثلاثة أقوالٍ :

أحدها : أسماء الملائكة .

والثاني : أسماء ذريته .

والثالث : أسماء جميع الأشياء ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد .
ثم فيه وجهان :

أحدهما : أن التعليم إنما كان مقصوراً على الاسم دون المعنى .

والثاني : أنه علمه الأسماء ومعانيها ، إذ لا فائدة في علم الأسماء بلا

معاني ، فتكون المعاني هي المقصودة ، والأسماء دلائل عليها .

وإذا قيلَ بالوجه الأول ، أن التعليم إنما كان مقصوراً على ألفاظ الأسماء دون

معانيها ، ففيه وجهان :

أحدهما : أنه علمه إياها باللغة ، التي كان يتكلم بها .

والثاني : أنه علمه بجميع اللغات ، وعلمها آدَمُ وَلَدَهُ ، فلما تفرقوا تكلم كل

قوم منهم بلسان استسهلوه منها وألفوه ، ثم نسوا غيره فتطاول الزمن ، وزعم قوم

أنهم أصبحوا وكل منهم يتكلمون بلغةٍ قد نسوا غيرها في ليلةٍ واحدةٍ ، ومثل هذا في

العُرفِ ممتنع .

قوله عز وجلّ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ وفيما عرضه عليهم قولان :

أحدهما : أنه عرض عليهم الأسماء دون المسميات .

والثاني : أنه عرض عليهم المُسمَّينَ بها .

وفي حرف ابن مسعود : ﴿ وَعَرَضَهُنَّ ﴾ وفي حرف أبيّ (١٣٩) : ﴿ وَعَرَضَهَا ﴾

فكان الأصح توجه العرض إلى المُسمَّينَ .

= عن قال سمعت أبا موسى الأشعري يقول قال رسول الله ﷺ . . . فذكره وقال الترمذي

حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه ابن حبان ورمز له صاحب الجامع

الصغير بالصحة (٢٣٢/٢) فيض القدير . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة (١٧٢/٤) والشيخ

شاكر في تخريج الطبري (٤٨٠/١) ، وعبد القادر الأرناؤوط (٣٢/٤) جامع الأصول .

(١٣٩) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية أبو منذر . شهد العقبة وبدراً وجمع القرآن =

ثم في زمان عَرَضِهِم قولان :

أحدهما : أنه عرضهم بعد أن خلقهم .

والثاني : أنه صورهم لقلوب الملائكة ، ثم عرضهم قبل خلقهم .

﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ومعنى أنبئوني خبروني

مأخوذ من الإنباء ، وفي الإنباء قولان :

أظهرهما : أنه الإخبار ، والنبأ الخبر ، والنبىء بالهمز مشتق من هذا .

والثاني : أن الإنباء الإعلام ، وإنما يستعمل في الإخبار مجازاً .

وقوله : ﴿ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني الأسماء التي علمها آدم .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ستة أقاويل :

أحدها : إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه ؛ لأنه هجس في نفوسهم أنهم أعلم من غيرهم .

والثاني : إن كنتم صادقين فيما زعمتم أن خُلَفَائِي يفسدون في الأرض .

والثالث : إن كنتم صادقين أني إن استخلفتكم فيها سبّحتموني وقدّستموني ،

فإن استخلفت غيركم فيها عصاني .

والرابع : إن كنتم صادقين فيما وقع في نفوسكم ، أني لا أخلق خلقاً إلا

كنتم أفضل منه .

والخامس : معنى قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي عالمين .

والسادس : أن معناه إن كنتم صادقين .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ العليم : هو العالم من غير

تعليم ، وفي « الحكيم » ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الْمُحْكِمُ لأفعاله .

= وكان رأساً في العلم والعمل رضي الله عنه مات رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين . انظر : -

حلية الأولياء (٢٥٠/١) ، تذكرة الحفاظ (١٦/١) ، شذرات الذهب (٣٢/١) الإستهباب

(١٢٦/١) ، أسد الغابة (٦١/١) .

والثاني : أنه المانع من الفساد ، ومنه سميت حَكَمَةُ اللجام ، لأنها تمنع
الفرس من الجري الشديد ، وقال جرير :
أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكُمُوا سُفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا (*)
أي امنعوهما .

والثالث : أنه الْمُصِيبُ للحق ، ومنه سمي القاضي حاكماً ، لأنه يصيب
الحق في قضائه ، وهذا قول أبي العباس المبرد (١٤٠) .

قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ : ﴿ مَا تُبْدُونَ ﴾ هو
قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وفي : ﴿ مَا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : ما أسره إبليس من الكبر والعصيان ، وهذا قول ابن عباس ، وابن
مسعود .

والثاني : أن الذي كتموه : ما أضمره في أنفسهم أن الله تعالى لا يخلق
خلقاً إلا كانوا أكرمَ عليه منه ، وهو قول الحسن البصري .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَاسْتَكْبَرَ ﴾ .

واختلف أهل التأويل في أمره الملائكة بالسجود لآدم ، على قولين :
أحدهما : أنه أمرهم بالسجود له تَكْرِماً وَتَعْظِيماً لشأنه .

(١٤٠) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمر بن حسان الأزدي ، أبو العباس : أديب ، نحوي ، لغوي .
ولد بالبصرة وأخذ عن أبي عثمان المازني وتصدر للاشتغال ببغداد . وأخذ عنه نبطويه . توفي ببغداد
رحمه الله ٢٨٥ من آثاره : المقتضب ، إعراب القرآن ، الإشتقاق وغيرها . أنظر : -
سير أعلام النبلاء (١٣٦/٩) ، تاريخ بغداد (٣٨٠/٣) ، وفیات الأعيان (١٢٦/١) شذرات الذهب
(١٩٠/٢) .

والثاني : أَنَّهُ جَعَلَهُ قِبْلَةً لَهُمْ ، فَأَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ إِلَى قِبْلَتِهِمْ ، وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّعْظِيمِ (١٤١) .

وأصل السجود الخضوع والتطامن ، قال الشاعر :

بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبَلْقُ فِي حُجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ (*)

وسمى سجود الصلاة سجوداً ، لما فيه من الخضوع والتطامن ، فسجد الملائكة لأدم طاعةً لأمر الله تعالى إلا إبليس أبى أن يسجد له حسداً واستكباراً .

وآختلفوا في إبليس ، هل كان من الملائكة أم لا ؟ على قولين :

أحدهما : أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَابْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَابْنِ جُرَيْجٍ ، لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنْهُمْ ، فَذَلَّ عَلَى دُخُولِهِ مِنْهُمْ .

والثاني : أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَبُو الْجِنِّ ، كَمَا أَنَّ آدَمَ أَبُو الْإِنْسِ ، وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ (١٤٢) وَتَادَةَ وَابْنِ زَيْدٍ ، وَلَا يَمْتَنِعُ جَوَازُ الِاسْتِثْنَاءِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ ﴾ ، [النساء : ١٥٧] وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ .

وَآخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَّتِهِ بِإِبْلِيسَ عَلَى قَوْلَيْنِ :

أحدهما : أَنَّهُ اسْمُ أَعْجَمِيٍّ وَلَيْسَ بِمَشْتَقٍّ .

والثاني : أَنَّهُ اسْمٌ اشْتِقَاقِيٌّ ، اشْتُقَّ مِنَ الْإِبْلَاسِ وَهُوَ الْيَأْسُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] أَيِ آيِسُونَ مِنَ الْخَيْرِ ، وَقَالَ الْعَجَّاجُ :

يَا صَاحِبِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ ، وَأَبْلَسًا (١٤٣)

فَأَمَّا مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَآخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

(١٤١) الصحيح أن السجود هنا هو سجود تحية وتعظيم وليس سجود عبادة وكان هذا في الأمم السابقة وقد سجد يعقوب وأولاده ليوسف عليه الصلاة والسلام يوم جاءوه إلى مصر أما السجود للمخلوق على وجه العبارة فهو كفر صريح لا شك فيه .

(١٤٢) وقول الحسن في أصل إبليس قال ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . رواه الطبري [برقم ٦٩٦] .

وقال الحافظ ابن كثير : وهذا إسناد صحيح عن الحسن (٧٧ / ١) .

(١٤٣) ديوان المعاجز (ص ٣١ / ١) ، الكامل (٣٥٢ / ١) .

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [٥٠ الكهف] لِمَ سماه الله تعالى بهذا الاسم ، على أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم حي من الملائكة يُسَمُّونَ جِنًّا كانوا من أشدَّ الملائكة اجتهاداً ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه جعل من الجنِّ ، لأنه من خُزَّانِ الجَنَّةِ ، فاشتق اسمه منها ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : أنه سمي بذلك لأنه جُنٌّ عن طاعة ربِّه ، وهذا قول ابن زيد .

والرابع : أن الجنَّ لكلِّ ما آجَتَنَ فلم يظهر ، حتى إنهم سَمَّوْا المَلَائِكَةَ جِنًّا لاستتارهم ، وهذا قول أبي إسحاق (١٤٤) ، وأنشد قول أعشى بني ثعلبة :

لَوْ كَانَ حَيٌّ خَالِدٌ أَوْ مُعَمَّرًا لَكَانَ سُلَيْمَانَ الْبَرِي مِنَ الدَّهْرِ
بَرَاهُ إِلَهِي وَأَصْطَفَاهُ عِبَادُهُ وَمَلَكُهُ مَا بَيْنَ نُوبًا إِلَى مِصْرٍ
وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةً قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلاَ أَجْرٍ (١٤٥)

فسمَّى الملائكة جِنًّا لاستتارهم .

وفي قوله تعالى : ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه قد كان قبله قوم كفار ، كان إبليس منهم .

والثاني : أن معناه : وصار من الكافرين :

والثالث : وهو قول الحسن : أنه كان من الكافرين ، وليس قبله كافر ، كما

كان من الجنِّ ، وليس قبله جِنٌّ ، وكما تقول : كان آدم من الإنس ، وليس قبله إنسي .

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

(١٤٤) هو إبراهيم بن عبد الرزاق بن الحسن ، أبو إسحاق المقرئ . كان مقرئ الشام في زمانه معرفة وإسناداً . توفي رحمه الله في شعبان سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة . أنظر : تاريخ الإسلام (١٩٦) معرفة القرار (٢٨٧/١) .

(١٤٥) ملحق ديوان الأعشى (٢٤٣) الأضداد لابن الأنباري (٢٩٣) ووقع شطر البيت الأول فيهما « لو كان شيء خالداً أو معمرأ وكذا نقله الطبري (٥٠٥/١) .

هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ .

إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر بعد أن ألقى عليه النوم ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

وسُمِّيت امرأةً لأنها خُلِقَتْ مِنَ الْمَرْءِ ، فأما تسميتها حواء ، ففيه قولان : أحدهما : أنها سميت بذلك لأنها خلقت من حَيٍّ ، وهذا قول ابن عباسٍ ، وابن مسعود .

والثاني : أنها سميت بذلك ، لأنها أم كل حَيٍّ .
واختلف في الوقت الذي خلقت فيه حواء على قولين : أحدهما : أن آدم أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَحْدَهُ ، فَلَمَّا اسْتَوْحَش خُلِقَتْ حَوَاءٌ مِنْ ضِلْعِهِ بعد دخوله في الجنة ، وهذا قول ابن عباسٍ ، وابن مسعود .

والثاني : أنها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ، ثم أُدْخِلَا معاً إلى الجنة ، لقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ، وهذا قول أبي إسحاق .

واختلف في الجنة التي أُسْكِنَاهَا على قولين :

أحدهما : أنها جنة الخلد .

والثاني : أنها جنة أعداها الله لهما ، والله أعلم ^(١٤٦) .

قوله عز وجل : ﴿ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .

في الرعد ثلاثة تأويلات :

(١٤٦) القول الأصوب وما عليه أكثر العلماء أنها الجنة الحقيقة التي يدخلها المؤمنون ليس غير .

أحدها : أنه العيش الهني ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ، ومنه قول امرئ القيس :

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمِنُ الْأَحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغَدٍ (١٤٧)
والثاني : أنه العيش الواسع ، وهذا قول أبي عبيدة .

والثالث : أنه أراد الحلال الذي لا حساب فيه ، وهو قول مجاهد .
قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ .

اختلف أهل التفسير في الشجرة التي نُهيّا عنها ، على أربعة أقاويل :
أحدها : أنها البر ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها الكرم ، وهذا قول السدي ، وجعدة (١٤٨) بن هبيرة .

والثالث : أنها آلتين ، وهذا قول ابن جريج ، ويحكيه عن بعض الصحابة .
والرابع : أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة (١٤٩) .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قولان :
أحدهما : من المعتدين في أكل ما لم يُبَحَّ لكما .

والثاني : من الظالمين لأنفسكما في أكلكما .

وآختلفوا في معصية آدم بأكله من الشجرة ، على أي وجه وقعت منه ، على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه أكل منها وهو ناسٍ للنهي لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾ [طه : ١١٥] وزعم صاحب هذا القول ، أن الأنبياء يلزمهم التحفظ واليقظ لكثرة معارفهم وعُلُوّ منازلهم ما لا يلزم غيرهم ، فيكون تشاغله عن تذكر النهي تضييعاً صار به عاصياً .

(١٤٧) قال صاحب تخريج الطبري . لم أجد البيت فيما جمعوا من شعر امرئ القيس (٥١٥/١) .

(١٤٨) هو جعدة بن هبيرة المخزومي ، مات في ولاية معاوية بن أبي سفيان . ولا تصح له صحبة .
أنظر : مشاهير علماء الأمصار (١٠٧) .

(١٤٩) ويلاحظ أنه لا فائدة من تعيين هذه الشجرة التي أبهما الله تعالى وعلى هذا فذكر هذا الاختلاف لا طائل تحته فيكفي أن الله نهاهما عن شجرة ما ولم يعينها لنا .

والقول الثاني : أنه أكل منها وهو سكران فصار مؤاخذاً بما فعله في السكر ، وإن كان غير قاصدٍ له ، كما يؤاخذُ به لو كان صاحياً ، وهو قول سعيد بن المسيب .

والقول الثالث : أنه أكل منها عامداً عالماً بالنهي ، وتأول قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ ﴾ [طه : ١١٥] أي فزَلَّ ، ليكون العمدُ في معصية يستحق عليها الذم .

والرابع : أنه أكل منها على جهة التأويل ، فصار عاصياً بإغفال الدليل ، لأن الأنبياء لا يجوز أن تقع منهم الكبائر ، ولقوله تعالى في إبليس : ﴿ فَذَلَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف : ٢٢] وهو ما صرفهما إليه من التأويل^(١٥٠) .

وآختلف من قال بهذا في تأويله الذي استجاز به الأكل ، على ثلاثة أقاويل : أحدها : أنه تأول على جهة التنزيه دون التحريم .

والثاني : أنه تأول النهي عن عين الشجرة دون جنسها ، وأنه إذا أكل من غيرها من الجنس لم يعص .

والثالث : أن التأويل ما حكاه الله تعالى عن إبليس في قوله : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] . قوله عز وجل : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

قرأ حمزة^(١٥١) وحده : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ بمعنى نَحَاهُمَا من قولك : زُلْتُ عن المكان ، إذا تَنَحَّيْتُ عنه ، وقرأ الباقون : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ بالتشديد بمعنى استزلَّهُمَا من الزلل ، وهو الخطأ ، سمي زَلَّلاً لأنه زوال عن الحق ، وكذلك الزَلَّة زوال عن الحق ، وأصله الزوال .

(١٥٠) والثالث من الأقوال أظهر كما رجحه ابن القيم في إغاثة اللهفان (١١٣/١) .

(١٥١) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل أبو عمارة الكوفي . أحد القراء السبعة كان إماماً حجة ، قيماً بكتاب الله تعالى حافظاً للحديث بصيراً بالفرائض والعربية مات رحمه الله سنة ست وخمسين ومئة وقيل سنة ثمان وخمسين وهو وهم . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٣٨٥/٦) ، التاريخ الكبير (٥٢/٣) ، مرآة الجنان (٣٣٢/١) سير أعلام النبلاء (٩٠/٧) ، العبر (٢٢٦/١) .

والشيطان الذي أزلهما هو إبليس .

واختلف المفسرون ، هل خلص إليهما حتى باشرهما بالكلام وشافهما بالخطاب أم لا ؟ فقال عبد الله بن عباس ، ووهب^(١٥٢) بن منبه ، وأكثر المفسرين أنه خلص إليهما ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢١] وقال محمد^(١٥٣) بن إسحاق : لم يخلص إليهما ، وإنما أوقع الشهوة في أنفسهما ، ووسوس لهما من غير مشاهدة ، لقوله تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ [الأعراف : ٢٠] ، والأول أظهر وأشهر .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ يعني إبليس ، سبب خروجهما ، لأنه دعاهما إلى ما أوجب خروجهما .

قوله عز وجل : ﴿ وَقُلْنَا امْكُتُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .

الهبوط بضم الهاء النزول ، ويفتحها موضع النزول ، وقال المفضل : الهبوط الخروج من البلدة ، وهو أيضاً دخولها ، فهو من الأضداد ، وإذا كان الهبوط في الأصل هو النزول ، كان الدخول إلى البلدة لسكنائها نزولاً بها ، فصار هبوطاً .

واختلفوا في المأمور بالهبوط ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه آدم ، وحواء ، وإبليس ، والحية ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه آدم وذريته ، وإبليس وذريته ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه آدم ، وحواء ، والموسوس .

والعدو اسم يستعمل في الواحد ، والاثنين ، والجمع ، والمذكر ،

(١٥٢) هو ووهب بن منبه بن كامل بن سيج ، أبو عبد الله ، الأخباري ، القصصي غزارة علمه في الاسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب . كان من أبناء فارس قال العجلي : تابعي ، ثقة . كان على قضاء اليمن . توفي في سنة عشر ومئة وقيل غير ذلك . أنظر : - طبقات ابن سعد (٥٤٣/٥) ، الحلية (٢٣/٤) ، البداية والنهاية (٢٧٦/٩) شذرات الذهب (١٥٠/١) .

(١٥٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار ، مولى عبد الله بن قيس بن مخزومة ، أبو بكر ممن عني بعلم السنن وواظب على تعاهد العلم وكان من أحسن الناس سيقاً للأخبار وأحفظهم لمتونها . توفي رحمه الله سنة خمسين ومئة . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٣٢١/٧) ، تذكرة الحفاظ (١٧٢/١) ، الجرح والتعديل (١٩١/٧) .

والمؤنث ، والعداوة مأخوذة من المجاوزة من قولك : لا يَعْدُونَكَ هذا الأمرُ ، أي لا يُجَاوِزَنَّكَ ، وعداؤه كذا ، أي جاوزه ، فَسُمِّيَ عَدُوًّا لمجاوزة الحدِّ في مكروهه صاحبه ، ومنه العَدُوُّ بالقدَم لمجاوزة المشي ، وهذا إخبار لهم بالعداوة وتحذير لهم ، وليس بأمر ، لأن الله تعالى لا يأمر بالعداوة .

وَأَخْتَلَفَ فِي الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، على قولين : أحدهما : أنهم الذين قيل لهم أهبطوا ، على ما ذكرنا من اختلاف المفسرين فيه .

والثاني : أنهم بنو آدم ، وبنو إبليس ، وهذا قول الحسن البصري .
قوله عز وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ فيه تأويلان : أحدهما : أن المستقر من الأرض موضع مقامهم عليها ، لقوله تعالى : ﴿ جَعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر: ٦٤] ، وهذا قول أبي العالية .
والثاني : أنه موضع قبورهم منها ، وهذا قول السُّدِّي .
قوله عز وجل : ﴿ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ :

والمَتَاع كل ما اسْتُمْتِعَ به من المنافع ، ومنه سُمِّيَتْ متعة النكاح ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَتَّعُوهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٩] ، أي ادفعوا إليهم ما يَتَفَعَّنَ به ، قال الشاعر :
وَكُلُّ غَضَارَةٍ لَكَ مِنْ حَبِيبٍ لَهَا بِكَ ، أَوْ لَهَوَتْ بِهِ ، مَتَاعٌ (*)
والحين : الوقت البعيد ، فَ « حِينٌ » تبعد قولك : « الآن » ، وفي المراد بالحين في هذا الموضع ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلى الموت ، وهو قول ابن عباس والسُّدِّي .
والثاني : إلى قيام الساعة ، وهو قول مجاهد .
والثالث : إلى أجلٍ ، وهو قول الربيع .

فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ :

أما « الكلام » فمأخوذ من التأثير ، لأن له تأثيراً في النفس بما يدل عليه من المعاني ؛ ولذلك سُمِّيَ الْجُرْحُ كَلْماً لِتَأْثِيرِهِ فِي الْبَدَنِ ، واللفظ مشتق من قولك : لفظت الشيء ، إذا أخرجته من قلبك .

وَأَخْتَلَفَ فِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقَاوِيلَ :

أحدها : قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد ^(١٥٤) .

والثاني : قول آدم : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، ربّ إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي ، إنك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، إني ظلمت نفسي ، فُتِبَ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أن آدم قال لربه إذ عصاه : ربّ أرايت إن تبت وأصلحت ؟ فقال ربّه : إني راجعك إلى الجنة ، وكانت هي الكلمات التي تلقاها من ربه ، وهذا قول ابن عباس .

قوله عز وجل : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ، أي قبل توبته ، والتوبة الرجوع ، فهي من العبد رجوعه عن الذنب بالندم عليه ، والإقلاع عنه ، وهي من الله تعالى على عبده ، رجوع له إلى ما كان عليه .

(١٥٤) وهذا القول رجحه الطبري رحمه الله تعالى (٥٤٦/١) وقال عما سواه :

وليس ما قاله من خالف قولنا هذا عليه من حجة يجب التسليم لها فيجوز لنا اضافته إلى آدم وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه وهذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم من قبله الذي لقاه إياه فقال له تائباً إليه من خطيئته تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين بكتابه كيفية التوبة إليه من الذنوب ... الخ . هذا ولا يصح أن نبي الله آدم توسل بالحق النبي ﷺ كما لا يصح أنه توسل بجاه النبي ﷺ .

فَإِنْ قِيلَ : فَلِمَ قَالَ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ، وَلَمْ يُقَلَّ : فَتَابَ عَلَيْهِمَا ، وَالتَّوْبَةُ قَدْ تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِمَا ؟ قِيلَ : عَنْهُ جَوَابَانِ :

أحدهما : لما ذكر آدم وحده بقوله : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ، ذكر بعده قبول توبته ، ولم يذكر توبة حواء وإن كانت مقبولة التوبة ، لأنه لم يتقدم ذكرها .

والثاني : أن الاثنين إذا كان معنى فعلهما واحداً ، جاز أن يذكر أحدهما ، ويكون المعنى لهما ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ﴾ ، [الجمعة : ١١] وكما قال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] . قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، أي الكثير القبول للتوبة ، وعقبه بالرحمة ، لئلا يخلّي الله تعالى عباده من نعمه .

وقال الحسن : لم يخلق الله تعالى آدم إلا للأرض ، فلو لم يعص لخرج على غير تلك الحال ، وقال غيره : يجوز أن يكون خلقه للأرض إن عصى ، ولغيرها إن لم يعص .

ولم يُخْرِجِ اللَّهُ تعالى آدم من الجنة وَيُهَيِّطُهُ إِلَى الأرض عقوبةً ، لأمرين : أحدهما : أن ذنبه كان صغيراً . والثاني : أنه أُهَيِّطَ بعد قبول توبته . وإنما أُهَيِّطَ لأحد أمرين : إمّا تأديباً ، وإمّا تغليظاً للمحنة .

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِهْتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، قال ابن عباس : « إسرا » بالعبرانية : عبد ، و « إيل » هو الله ، فكان اسمه عبد الله .

وقوله : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي ﴾ والذكر اسم مشترك ، فالذكر بالقلب ضد النسيان ، والذكر باللسان ضد الإنصات ، والذكر الشرف ، وقال الكسائي : ما كان بالقلب فهو مضموم الذال ، وقال غيره : هو لغتان : ذكر وذُكر ، ومعناها واحد .
والمراد بالآية الذكر بالقلب ، وتقديره : لا تغفلوا عن نعمتي ، التي أنعمتُ عليكم ولا تناسوها .

وفي النعمة التي أنعمها عليهم قولان :
أحدهما : عموم نِعْمِهِ الَّتِي أنعم بها على خلقِهِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل : ١٨] .

والثاني : وهو قول الحسن البصري ، أنه أراد نِعْمَهُ عَلَى آبائهم ، إذ نجَّاهم من آل فرعون ، وجعل منهم الأنبياء ، وأنزل عليهم الكتب ، وفجَّر لهم الحَجَرَ ، وأنزل عليهم المَنَّ والسلوى ، والنعم على الآباء ، نعم على الأبناء ، لأنهم يَشْرَفُونَ بشرف آبائهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ قولان :
أحدهما : أوفوا بعهدي الذي أخذتُ عليكم من الميثاق ، أن تؤمنوا بي وتصدقوا رُسُلِي ، أوفِ بعهدكم على ما وعدتكم من الجنة .
والثاني : قاله عبد الله بن عباس : أَوْفُوا بما أَمَرْتُكُمْ ، أوفِ بما وَعَدْتُكُمْ إِيَّاهُ .

وفي تسمية ذلك عهداً قولان :
أحدهما : لأنه عَهْدُهُ في الكتب السالفة .
والثاني : أنه جعله كالعهد ، الذي هو يمين لِلزُّومِ الوفاءِ بهما معاً .
قوله عز وجل : ﴿ وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ ﴾ يعني من القرآن على محمد ﷺ ، ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني من التوراة ، وفيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : مصدقاً لما في التوراة ، من توحيد الله وطاعته .
والثاني : مصدقاً لما في التوراة ، أنها من عند الله .
والثالث : مصدقاً لما في التوراة من ذكر القرآن ، وبعثِهِ مُحمداً ﷺ نبياً .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ﴾ ثلاثة أقاويل :
أحدها : ولا تكونوا أول كافرٍ بالقرآن من أهل الكتاب ، وهو قول ابن جريج .

والثاني : ولا تكونوا أول كافرٍ بمحمد ﷺ ، وهذا قول أبي العالية .
والثالث : ولا تكونوا أول كافرٍ بما في التوراة والإنجيل من ذكر محمدٍ وتصديق القرآن .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ثلاثة تأويلات :
أحدها : لا تأخذوا عليه أجراً ، وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : « يا ابن آدم علمٌ مجَّاناً كما علَّمتُ مجَّاناً » ، وهذا قول أبي العالية .
والثاني : لا تأخذوا على تغييره وتبديله ثمناً ، وهذا قول الحسن البصري .
والثالث : لا تأخذوا ثمناً قليلاً على كتم ما فيه من ذكر محمدٍ ﷺ ، وتصديق القرآن ، وهذا قول السدي .

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَالْأَنفُسِ يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ يعني لا تخلطوا الحقَّ بالباطل ، واللبس خلط الأمور ، وفيه قوله تعالى : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٩] قال ابن عباسٍ : معناه : ولخلطنا عليهم ما كانوا يخلطون ، ومنه قول العجاج :

لَمَّا لَبَسْنَا الْحَقَّ بِالتَّجْنِي غَنِينَ وَأَسْتَبْدَلْنَ زَيْدًا مِنِّي (١٥٥)

وفي قوله : ﴿ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : الصدق ، وهو قول ابن عباس .
والثاني : اليهودية والنصرانية بالإسلام ، وهو قول مجاهد .
والثالث : الحقُّ : التوراة التي أنزلت على موسى ، والباطلُ : الذي كتبوه بأيديهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ يعني محمداً ، ومعرفة نبوته ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه في الكتب التي بأيديكم ، وهذا قول الجميع .

قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ .

أما الصلاة : فقد مضى الكلام فيها .

وأما الزكاة : ففي تسمية صدقة الأموال بها ، قولان :

أحدهما : أنه من تشمير المال وزيادته ، ومنه قولهم : زكا الزرع ، إذا زاد ، ويقال : زكا الفرد إذا صار زوجاً بزيادة الزائد عليه حتى صار شفعاً كما قال الشاعر :

كَانُوا خَسَاءً أَوْ زَكَا مِنْ دُونِ أَرْبَعَةٍ لَمْ يُخْلَقُوا وَجُدُّ النَّاسِ تَعْتَلِجُ^(١٥٦)

فخساً : البوتر ، وزكاً : الشفع ، وقال الراجز :

فَلَا خَسَاءً عَدِيدُهُ وَلَا زَكَا كَمَا شِرَارُ الْبَقْلِ أَطْرَافُ السَّفَا^(١٥٧)

السَّفَا : شوك البهمي ، والبهمي : الشوك الممدود مثل السبلى .

والقول الثاني : أنها مأخوذة من التطهير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾^(١٥٨) [الكهف : ٧٤] أي طاهرة من الذنوب .

وفيما يطهر قولان :

أحدهما : أنه تطهير المال حتى صار بأداء الحق منه حلالاً ولولاه لخبث .

الثاني : تطهير نفس المزكي ، فكان المزكي طهر نفسه من الشح والبخل .

قوله تعالى : ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أراد جملة الصلاة ، فعبّر عنها بالركوع ، كما يقول الإنسان :

فَرَعْتُ مِنْ رُكُوعِي ، أي من صلاتي .

والثاني : أنه أراد الركوع الذي في الصلاة ، لأنه لم يكن في صلاة أهل

(١٥٦) أنظر اللسان مادة [خسا] وفيه قال الفراء : أنشدني الديوبيه . . .

ثم أنشد البيت السابق : كانوا خساً . . .

(١٥٧) هذا البيت لرجل من بني سعد . أنظر : [معجم الشعراء ص ٤٩٠] طبقات فحول الشعراء

. [٥٧٢]

(١٥٨) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو . أنظر : [السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣٩٥] .

الكتاب ركوع ، فَأَمَرَهُمْ بِمَا لَا يَفْعَلُونَهُ فِي صَلَاتِهِمْ .

وفي أصل الركوع قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من التظامن والانحناء ، وهو قول الخليل ، وابن زيد ، قال لبيد بن ربيعة :

أخبر أخبار القرون التي مضت أدبٌ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاجِعٌ

والثاني : أنه مأخوذ من المذلة والخضوع ، وهو قول الأصمعي والمفضل ، قال الأصبط بن قريع السعدي :

لَا تَذِلُّ الضَّعِيفَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَى كَعَ يَوْمًا وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤٤)

قوله عز وجل : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ، وهم يَعُصُونَهُ ، وهو قول السدي ، وقتادة ، لأنه قد يعبر بالبر عن الطاعة ، قال الشاعر :

لَا هُمْ إِنْ آلَ بَكْرٍ دُونَكُمْ يَبْرُكُ النَّاسُ وَيَفْجُرُونَكَ
أَيُّ يُطِيعُونَكَ .

والثاني : أنهم كانوا يأمرون الناس بالتمسك بكتاب ربهم ويتركونه بجحود ما فيه من نبوة محمد ﷺ ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنهم كانوا يأمرون بالصدقة ويضنون بها .

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرٌ وَأَنِعَمَتِ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ :

أما الصبر : فهو حبس النفس عما تُتَنَازَعُ إليه ، ومنه صبر صاحب المصيبة ، أن يحبس نفسه عن الجزع ، وُسْمِيَ الصوم صبراً لحبس النفس عن الطعام والشراب ، ولذلك سُمِّي شهرُ رمضانَ شهرَ الصبرِ ، وجاء في الحديث : ﴿ أَقَاتِلُوا أَلْقَاتِلْ ، وَأَصْبِرُوا الصَّابِرِ ﴾ (١٥٩) ، وذلك فيمن أمسك رجلاً حتى قتله آخر ، فأمر بقتل القاتل ، وحبس الممسك .

وفي الصبرِ المأمورِ به ، قولان :

أحدهما : أنه الصبرُ على طاعته ، والكف عن معصيته .

والثاني : أنه الصوم ، وقد كان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ استعان بالصلاة (١٦٠) والصيام ، وَرُوِيَ أنه رأى سلمان منبطحاً على وجهه ، فقال له : أشكو من بردٍ . قال : « قم فصلِّ الصلاة تُشَفِّ » (١٦١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني : وإن الصلاة لثقيلة إلا على المؤمنين ، لعود الكناية إلى مؤنثِ اللفظِ .

(١٥٩) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (٢٥٤/١) والبيهقي في السنن (٥٠/٨) من حديث اسماعيل بن أمية . قال الإمام السيوطي في الجامع الكبير (١٣٣/١) بعد نسبه للبيهقي وأبي عبيد «عن اسماعيل بن أمية مرسلًا» .

قلت : بل هو معضل فإن إسماعيل من أتباع التابعين .

(١٦٠) ورد من حديث حذيفة رضي الله عنه بلفظ « كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى » رواه أحمد في المسند (٣٨٨/٥) وأبو داود (١٣١٩) والطبري (١٢/٢) برقم (٨٥٠) وصححه الشيخ أحمد شاكر وأما ما ذكره المؤلف هنا من زيادة والصيام فلم أهدِ إليها ولعله ذكر ذلك من نصوص القرآن العامة التي تحت على الطاعة عند نزول البلاء .

(١٦١) هذا الحديث الذي ذكره المؤلف ورد لكن الذي قال له النبي ﷺ ذلك هو أبا هريرة رضي الله عنه وقد رواه الطبري معلقاً (١٣/٢) وأحمد برقم (٩٠٥٤ ، ٩٢٢٩) وابن ماجه برقم (٣٤٥٨) وفي سنده عند الكل ذواد أبي المنذر وضعفه ابن معين فقال ليس بشيء وقال البخاري فيه : يخالف في بعض حديثه ونقل البخاري في التاريخ الصغير (ص ٢١٤) عن ابن الأصبهاني أنه قال ورفع ذواد [أي الحديث] وليس له أصل وأبو هريرة لم يكن فارسياً إنما مجاهد فارسي .

قال الشيخ أحمد شاكر : فهذا تعليل دقيق من ابن الاصبهاني ثم من البخاري يقضي بضعف إسناد الحديث مرفوعاً ثم هذه اللفظة الموجودة في الحديث وردت بألفاظ مختلفة : ففي رواية : اشكبت درد يعني تشتكي بطنك ووردت بألفاظ أخرى أنظرها في الطبري (١٣/٢ ، ١٤) .

والثاني : يعني الصبر والصلاة ، فأرادهما ، وإن عادت الكناية إلى الصلاة ؛ لأنها أقرب مذكور ، كما قال الشاعرُ :

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى فِي الْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارُ بِهَا لَعَرِيبُ

والثالث : وإن إجابة محمد ﷺ لشديدة إلا على الخاشعين .

والخشوع في الله : التواضع ، ونظيره الخضوع ، وقيل : إن الخضوع في البدن ، والخشوع في الصوت ، والبصر .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يظنون أنهم ملاقور ربهم بذنوبهم ، لإشفاقهم من المعاصي التي كانت منهم .

والثاني : وهو قول الجمهور : أن الظن ها هنا اليقين ، فكأنه قال : الذين يَتَقَنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ^(١٦٢) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حَسَابَةٍ ﴾ أي تيقنت ، قال أبو داود :

رُبَّ هَمٍّ فَرَجَّتْهُ بِغَرِيمٍ وَغُيُوبٍ كَشَفَتْهَا بِظُنُونٍ
﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه أراد بالرجوع الموت .

والثاني : أنهم راجعون بالإعادة في الآخرة ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : راجعون إليه ، أي لا يملك أحد لهم ضرراً ولا نفعاً غيره كما كانوا في بدء الخلق .

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا
عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ فيه تأويلان :

(١٦٢) قال أبو جعفر الطبري (١٧/٢) إن قال لنا قائل وكيف أخبر الله جل ثناؤه عن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أن يظن أنه ملاقيه والظن شك والشاك في لقاء الله عندك في الله كافر؟ قيل له إن العرب قد تسمى اليقين ظناً والشك ظناً .

أحدهما : معناه : لا تُغْنِي ، كما يقال : البقرة تَجْزِي عن سبعة أي تُغْنِي ، وهو قول السدي .

والثاني : معناه لا تقضي ، ومنه قولهم جزى الله فلاناً عني خيراً ، أي قضا ، وهو قول المفضل .

﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ قال الحسن : معناه لا يجيء بشفعٍ تقبل شفاعته لعجزه عنه ، وقال غيره : بل معناه ، أن الشفع لا يجيبه إلى الشفاعة له ، وأنه لو شفع لشفع .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ : العَدْلُ بفتح العين : الفدية ، وبكسر العين : المثل .

فأما قولهم : لا قبل الله منه صرفاً ، ولا عدلاً ، ففيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن الصرف العمل ، والعدل الفدية ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أن الصرف الدية ، والعدل رجل مكانه ، وهذا قول الكلبي .

والثالث : أن الصرف التطوع ، والعدل الفريضة ، وهذا قول الأصمعي .

والرابع : أن الصرف الحيلة ، والعدل الفدية ، وهذا قول أبي عبيدة .

وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ يعني من قوم فرعون ، وآل الرجل : هم الذين تؤول أمورهم إليه ، إما في نسب ، أو في صحبة ، واختلِف في الآل والأهل على قولين :

أحدهما : أنهما سواء .

والثاني : وهو قول الكسائي : أنه يقال : آل الرجل ، إذا ذكر اسمه ، فإن

= نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخاً والمستغيث صارخاً وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده ... الخ .

كُنِّيَ عنه قيل أهله ، ولم يُقَلَّ آله ، كما يقال : أهل العلم ، وأهل البصرة ، ولا يقال : آل العلم ، وآل البصرة .

وَفِرْعَوْنُ : قيل إنه ذلك الرجل بعينه ، وقيل إنه اسمُ كلِّ ملكٍ من ملوك العمالة ، مثل قيصر للروم ، وكسرى للفرس ، وأن أَسْمَ فِرْعَوْنَ مُوسَى : الوليدُ بْنُ مُضْعَبٍ .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه يولونكم ، مِنْ قولهم : سَأَمَهُ خَطَةٌ خَسَفٍ ، إذا أولاه .

والثاني : يُجَسِّمُونَكَ الأعمال الشَّاقَّةَ .

والثالث : يزيدونكم على سوء العذاب ، ومنه مساومة البيع ، إنما هو أن يزيد البائع المشتري على ثمنٍ ، ويزيد المشتري على ثمنٍ ، وهذا قول المفضل .

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ أي يستبقون ، وهو استفعال من الحياة ، لأنهم كانوا يُذَبِّحُونَ الذكور ، ويستبقون الإناث .

وأما أَسْم النساء ، فقد قيل : إنه ينطلق على الصغار ، والكبار ، وقيل : بل ينطلق على الكبار ، وإنما سَمِيَ الصغار نساءً ، على معنى أنهم يبيقن ، حتَّى يصِرْنَ نساءً .

وإنما كان استبقاء النساء من سوء العذاب ، لأنهم كانوا يستبقونهن للاسترقاق والخدمة ، فصار ذلك هو سُوء العذاب ، لا الاستبقاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن فيما كانوا يفعلونه بهم : مِنْ سوء العذاب ، وذبح الأبناء ، واستحياء النساء شدةً وجهداً عظيماً .

والثاني : أن في إنجائهم من آل فرعون ، الذين كانوا يفعلون ذلك بهم نعمةً من ربِّهم عظيمةً ، وهو قول ابن عباسٍ ، ومجاهدٍ ، والسدي .

وأصل البلاء الاختبار في الخير والشر ، كما قال عز وجل :

﴿ وَنَبْلُوَكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥] لأن الاختبار قد يكون بالخير كما

يكون بالشر، غير أن الأكثر في الشر أن يقال: بَلَوْتُهُ أَبْلَوُهُ بِلَاءً، وفي الخير: أَبْلَيْتُهُ أَبْلِيَهُ
إِبْلَاءً، ومن ذلك قولُ زُهَيْرٍ:

جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو^(١٦٣)
فجمع بين اللَّغَتَيْنِ .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : وإذ فصلنا بكم البحر ، لأن الْفَرَقَ : الفصل بين الشيئين ، فَفَرَقَ
البحر آثني عشر طريقاً ، وكان عددهم ستمائة ألفٍ وعشرين ألفاً ، لا يُعَدُّ فيهم ابن
عشرين لصغره ولا ابن ستين لكبره ، وكان على مقدمة فرعونَ هامانُ في ألفٍ
ألفٍ ، وسبعمائة حصانٍ ، وذلك قوله : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ .
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٣ ، ٥٤] وهذا قول السدي .

والثاني : أن معناه : وإذ فرقنا بينكم وبين البحر ، أي ميزنا ، فأصل الفرق
التمييز بين الشيئين ، والْفِرْقَةُ من الناس : الطائفة المتميزة من غيرهم .

والبحر سُمِّيَ بحراً لسعته وانبساطه ، ومنه قولهم : تَبَحَّرَ في العلم ، إذا اتَّسع
فيه ، وَالْبَحِيرَةُ : الناقة تُشَقُّ أُذُنُهَا شَقّاً واسعاً .

قوله تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ فحذف ذِكْرَ فِرْعَوْنَ وإن غَرِقَ
معهم ، لأنه قد عَلِمَ دخوله فيهم .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ يعني إلى فَرَقِ البحر ، حتى سلكوا فيه ،
وأنطباعه على آل فرعون ، حتى غرقوا فيه .

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ :

(١٦٣) ديوان زهير (ص ١٠٩) وفيه : « الله بدلاً من جزى الله » .

أما مُوسَى ، فاسم يَجْمَعُ بين كلمتين بالقبطية وهما: ماء وشجر ، ف: مُوهو الماء ، و « سا » هو الشجر ، وإنما سُمِّيَ بهذا الاسم الجامع لهاتين الكلمتين ، لما ذكره السدي من أن أمه لما خافت عليه جعلته في التابوت ، وألقته في اليم ، كما أوجي إليها ، فألقاه بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرجت حَوَارِيَّ أَسِيَّةَ امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدنه ، فسُمِّيَ باسم المكان .

قال ابن إسحاق : وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوى بن يعقوب (إسرائيل) بن إسحاق بن إبراهيم .

وقوله تعالى : ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ قال ابن الكلبي : لما جاوز موسى ببني إسرائيل البحر ، قال له بنو إسرائيل : أليس وعدتنا أن تأتينا بكتاب من الله تعالى ؟ فوعده الله أربعين ليلة ، ووعدنا بني إسرائيل ، قال أبو العالية : هي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، ثم اقتصر على ذكر الليالي دون الأيام ، وإن كانت الأيام تبعاً معها ، لأن أول الشهور الليالي ، فصارت الأيام لها تبعاً .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ يعني اتخذتموه إلهاً من بعد خروج موسى إلى الميقات ، واستخلافه هارون عليهم .

وسبب ذلك فيما ذكر ابن عباس ، أن السامري كان من قوم يعبدون البقر ، فكان حب ذلك في نفسه بعد إظهاره الإسلام ، وكان قد عرف جبريل لأن أمه حين خافت عليه أن يُذَبِّحَ خَلَفَتْهُ فِي غَارٍ ، وأطبقت عليه ، وكان جبريل يأتيه ، فيغذوه بأصابعه ، فلما رآه حين عبر البحر عرفه ، فقبض قبضة من أثر فرسه ، وكان ابن مسعود يقرأ : ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرُّسُولِ ﴾ ولم تزل القبضة في يده ، حتى فصل موسى إلى ربه ، وخلف هارون في بني إسرائيل ، فقال لهم هارون : قد تحمّلتم أوزاراً من زينة القوم ، يعني أمتعة وحلياً ، فتطهّروا منها فإنها نجس ، فأوقد لهم ناراً ، وأمرهم بقذف ما كان معهم ففعلوا ، فأقبل السامري إلى النار وقال : يا نبي الله ألقني ما في يدي ؟ قال : نعم ، وهو يظن أنه حلي ، فقذفه ، وقال : كن عجلاً جسداً له خوار .

واختلفوا : هل صار حيواناً لحماً ودماً أم لا ؟

فقال الحسن : أنقلب حيواناً لحماً ودماً ، وقال غيره لا يجوز لأن ذلك من آيات الله عز وجل التي لا يُظهِرُهَا إِلَّا لِمُعْجَزَةٍ نَّبِيٍّ ، وإنما جَعَلَ فيه خروفاً تَدْخُلُهَا الرِّيحُ ، فَيَحْدُثُ فِيهِ صَوْتُ كَالْخَوَارِ .

ودافع من تابع الحسن على قوله هذا ، بوجهين :

أحدهما : أنه لما قال : هذا إلهكم وإله موسى ، فقد أبطل على نفسه أن يدَّعيَ بذلك إعجاز الأنبياء ، فجاز أن يصح ذلك منه امتحاناً .

والثاني : أن ذلك لا يجوز في غير زمان الأنبياء ، ويجوز في زمان الأنبياء ، لأنهم يُظهِرُونَ إبطاله ، وقد كان ذلك في زمان نبيّين .
وآختلفوا في تسميته عجلاً :

فقال أبو العالية : لأنهم عَجَلُوا ، فَاتَّخَذُوهُ إِلَهًا ، قبل أن يأتهم موسى ، وقال غيره : بل سُمِّيَ بذلك ، لأنه صار عجلاً جسداً له خوارٌ .

ثم إنهم عكفوا على العجل يعبدونه ، فقال لهم هارون من قبل : يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتَّبِعُونِي ، وَأَطِيعُوا أَمْرِي ، قالوا : لن نبرح عليه عاكفين ، حتى يرجع إلينا موسى .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ [طه : ٩٠ ؛ ٩١] :

أما « إذ » فآسَمَ للوقت الماضي ، و « إذا » آسَمَ للوقت المستقبل ، و « الكتاب » هو التوراة .

وفي الفرقان أربعة أقاويل :

أحدها : أن الفرقان هو الكتاب فذكره بآسمين تأكيداً ، وهو قول الفراء .

والثاني : أن الفرقان (١٦٤) : ما في التوراة من فَرْقٍ بين الحقِّ والباطلِ ، فيكون ذلك نعتاً للتوراة ، وهذا قول ابن عباس وأبي العالية .

والثالث : أن الفرقان النصر ، الذي فَرَّقَ الله به بين موسى وفرعون ، حتى أنجى موسى وقومه ، وأغرق فرعونَ وقومه ، وهذا قول أبي زيد .

والرابع : أن الفرقان : انفراق البحر ليني إسرائيل ، حتى عبروا فيه .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ
فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ
هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ ﴾ يعني : فارجعوا إلى طاعة خالقكم ،
والبارئ الخالق ، والبريء الخلق ، وهي فعيلة ، بمعنى مفعولة ، غير أنها لا
تهمز .

وآختلفوا في هذه التسمية على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها مأخوذة من برأ الله الخلق ، يبرؤهم برءاً .

والثاني : أنها فعيلة من البرء ، وهو التراب .

والثالث : أنها مأخوذة من برىء الشيء من الشيء ، وهو انفصاله عنه ، ومنه
البراءة من الدين لانفصاله عنه ، وأبرأه الله من المرض ، إذا أزاله عنه .

وقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه : ليقتل بعضكم بعضاً ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن
جبير ، ومجاهد .

والثاني : استسلموا للقتل ، وجعل ذلك بمنزلة القتل ، وهذا قول أبي
إسحاق .

وأصل القتل : إماتة الحركة ، ومنه : قتلت الخمر بالماء ، إذا مزجتها ،
لأنك أمت حركتها ، وإنما جعل القتل توبة ، لأن من كف عن الإنكار لعبادة
العجل ، إنما كف خوفاً من القتال والقتل ، فجعلت توبتهم بالقتل ، الذي خافوه ،
هكذا قال ابن جريج .

قال ابن عباس : آحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا ، وقام الذين لم
يعكفوا عليه ، وأخذوا الخناجر ، وأصابتهم ظلمة فجعل بعضهم يقتل بعضاً ، حتى

أنجلت الظلمة من سبعين ألف قتيل في ساعة من نهار ، وكانوا ينادون في تلك الحال : رحم الله عبداً صبر حتى يبلغ الله رضاه ، فحزن موسى وبنو إسرائيل لذلك القتل ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى : لا تحزن ، أمّا من قُتل منكم فأحياء عندي يرزقون ، وأمّا من بقي فقد قُبِلَتْ توبته ، فبَشِّرْ بذلك بني إسرائيل .

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل : ﴿... حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : علانية ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : عياناً ، وهو قول قتادة .

وأصل الجهر الظهور ، ومنه الجهر بالقراءة ، إنما هو إظهارها ، والمجاهرة بالمعاصي : المظاهرة بها .

﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني الموت ، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما نزل بكم من الموت .

قوله عز وجل : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ يعني الذين ماتوا بالصاعقة ، وهم السبعون الذين اختارهم موسى ليستمعوا مناجاة ربّه له بعد أن تاب على من عبد العجل .

وفي قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه إحيائهم بعد موتهم لاستكمال آجالهم ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم بعد الإحياء سألوا أن يبعثوا أنبياء فبعثهم الله أنبياء ، وهذا قول السُّدِّي .

وأصل البعث الإرسال ، وقيل : بل أصله : إثارة الشيء من محله .

وَوَظَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْأَعْمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

رَزَقْنَكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

قوله عز وجل : ﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ :

والغَمَام : هو ما غَمَّ السماء ، فغطَّها من سحب وقمام ، وكلُّ مُغَطٍّ فهو غمام ، ومنه : غَمَّ الهلال ، أي غطاه الغَيْمُ .

وفي الغمام الذي ظلله الله عليهم تأويلان :

أحدهما : أنه السحابة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه الذي أتى الملائكة في يوم بدر ، مثل قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ ، [البقرة: ٢١٠] وهذا قول مجاهد .

قوله عز وجل : ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أن المَنَّاء ما سقط على الشجر فأكله الناس ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أن المَنَّاء صمغة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أن المَنَّاء شرابٌ ، كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجه بالماء ، وهو

قول الربيع بن أنس .

والرابع : أن المَنَّاء عسل ، كان ينزل عليهم ، وهو قول ابن زيد .

والخامس : أن المَنَّاء الخبز الرقاق ، هو قول وهب .

والسادس : أنه الزنجبيل ، وهو قول السدي .

والسابع : أنه الترنجين .

وفي السلوى قولان :

أحدهما : أنه السماني .

والثاني : أنه طائر يشبه السماني كانت تحشره عليهم الريح الجنوب ، وهذا

قول ابن عباس ، واشتقاقه من السلو ، كأنه مُسَلَّى عن غيره .

قال ابن جريج : كان الرجل منهم إن أخذ من المَنَّاء والسلوى زيادة على طعام

يوم واحد فسد ، إلا يوم الجمعة ، فإنهم كانوا إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد .

وفي قوله عز وجل : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : الشَّهِيَّاتِ اللَّذِيَّة .

والثاني : أنه الحلال .

والثالث : أنها المباح .

وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا
مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ :

اختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها بيت المقدس ، وهو قول قتادة ، والربيع بن أنس .

والثاني : أنها قرية ببيت المقدس ، وهو قول السدي .

والثالث : أنها « أريحا » قرب بيت المقدس ، وهو قول ابن زيد .

قوله عز وجل : ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾

اختلفوا في الباب على قولين :

أحدهما : أنه باب حِطَّةَ وهو الباب الثامن ببيت المقدس ، وهذا قول

مجاهد ، والسُّدِّي .

والثاني : أنه باب القرية ، التي أمروا بدخولها .

وفي قوله : ﴿ سُجَّدًا ﴾ تأويلان :

أحدهما : يعني : رُكْعًا ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : معناه : خاضعين متواضعين .

وأصل السجود الانحناء تعظيماً لمن يُسَجَّد له ، وخضوعاً ، ومنه قول

الشاعر :

بَجْمَعٍ تَضَلُّ الْبَلَقُ فِي حُجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ (١٦٥)
وقال أعشى قيش :

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا حَوَارًا (١٦٦)
وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ أربعة تأويلات :
أحدها : أنه قول : لا إله إلا الله ، وهو قول عكرمة (١٦٧) .

والثاني : أن « حِطَّة » المغفرة ، فكأنه أمر بالاستغفار ، وهو رواية سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

والثالث : هو قولهم : هذا الأمر حق كما قيل لكم ، وهو رواية الضحاك ، عن ابن عباس .

والرابع : معناه : حُطُّ عنا خطايانا ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد ، وهو أشبه بظاهر اللفظ .

قوله عز وجل : ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ أي نرحمكم ، ونسترها عليكم ، فلا نفضحكم بالعقوبة عليها .

والخطأ : العدول عن القصد ، يقال خَطِئَ الشيء خطأً ، إذا أصابه ولم يَرِدْهُ ، وأَخْطَأَ يُخْطِئُ ، إذا أَرَادَهُ ولم يُصِبه ، فالأول خاطيء والثاني مُخْطِئٌ .

وأصل المغفرة : التغطية والستر ؛ ولذلك قيل للبيضة من الحديد : مِغْفَرٌ ، لأنها تُغَطِّي الرَّأْسَ وتُجْنِيهِ ، ومنه قول أوس بن حجر :

وَلَا أَعْتَبُ أَبْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ مُخْطِئًا وَأَغْفِرُ عَنْهُ الْجَهْلَ إِنْ كَانَ جَاهِلًا (١٦٨)

(١٦٥) هو زيد الخيل بن مهلهل الطائر الفارسي . أنظر الكامل (٢٥٨/١) والمعاني الكبير (٨٩٠) والأضداد لابن الأنباري (٢٥٦) .

(١٦٦) ديوانه ص (٤١) .

(١٦٧) هو العلامة الحافظ المفسر أبو عبد الله القرشي ، مولاهم المدني .

حدث عن ابن عباس وعائشة وابن عمر وغيرهم وحدث عنه إبراهيم النخعي والشمي وعمرو بن دينار وغيرهم وهو أعلم الناس بالتفسير مات رحمه الله سنة خمس ومئة أنظر : - طبقات ابن سعد (٢٨٧/٥) الحلية (٣٢٦/٣) طبقات الحفاظ (٣٧) تهذيب التهذيب (٢٦٣/٧) طبقات المفسرين (٣٨٠/١) .

(١٦٨) ديوانه (٣١) شرح شواهد المغني (١٣٧) .

قوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ يعني أنهم بدّلوا ما أمروا به من قول وفعل ، فأمرُوا أن يدخلُوا الباب سُجْدًا ، فَدَخَلُوا يزحفون على أستاهم ، وأن يقولوا : حِطَّةٌ ، فقالوا : حنطة في شعير ، مستهزئين بذلك .

﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ :

وفي الرجز ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه العذاب ، وهو قول ابن عباس وقتادة .

والثاني : أنه الغضب ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : أنه الطاعون ، بعثه الله عليهم فأهلكهم ، وبقي الأبناء ، وهو قول

ابن زيد (١٦٩) .

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾



قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ تقديره : وإذ استسقانا موسى لقومه ، والاستسقاء : طلب السقي ، والعربُ تقول : سَقَيْتُهُ ، وأسْقَيْتُهُ ، ف قيل : إنهما لغتان ومعناها واحد ، وقيل بل سقيته من سَقَى الشِّفَةِ ، وأسْقَيْتُهُ : دلتته على الماء .

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ :

وفي الكلام محذوف ، وتقديره : فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .

والانفجارُ : الانشقاق ، والأنبجاسُ أضيق منه ، لأنه يكون أنبجاساً ثم يصير أنفجاراً .

والعين من الأسماء المشتركة : فالعين من الماء مُشَبَّهَةٌ بالعين من الحيوان ، لخروج الماء منها ، كخروج الدمع من عين الحيوان .

(١٦٩) وأولى الأقوال قول ابن زيد وإليه مال ابن جرير (١١٨/٢) وذلك لأن الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ يعضده فإن الطاعون كان يُرسل على من قبلنا عذاباً وهو في هذه الأمة شهادة كما أخبر النبي ﷺ .

فأمر موسى عند استسقاؤه ، أن يضرب بعصاه حجراً مُربَّعاً طُورِيّاً (من الطور) ، فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، من كل جانب ثلاثة أعين .
﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ يعني أن لكل سبط منهم عينا ، قد عرفها لا يشرب من غيرها ، فإذا ارتحلوا انقطع ماؤه ، وحُمِلَ في الجِوَالِقِ ، وكان بقدر الرأس .

﴿ وَلَا تَعْتَوَا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تطغوا ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : معناه لا تسعوا في الأرض مفسدين ، وهو قول ابن عباس ، وأبي العالية الرياحي .

والعيث : شدة الفساد ، ومنه قول رؤبة :

وَعَاثَ فِينَا مُسْتَجِلُّ عَايْتُ مُصَدِّقٌ أَوْ فَاجِرٌ مُنَاكِثٌ (١٧٠)

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
الَّذِي هُوَ آدَنُ بِالَّذِي هُوَ أَهْيَأُ ۖ وَهُمْ مُصِرًّا فَإِنْ لَكُمْ مَاسَأَلْتُمْ

قوله تعالى : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الحنطة ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وأنشد ابن عباس مَنْ سَأَلَهُ عَنِ الْفُومِ ، وَأَنَّهُ الْحُنْطَةُ قَوْلُ أُحِيحَةَ بْنِ الْجُلَاحِ :
قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً وَرَدَّ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومٍ (١٧١)
والثاني : أنه الخبز ، وهو قول مجاهد ، وابن زيد ، وعطاء .

(١٧٠) ديوان رؤبة (ص ٣٠) .

(١٧١) ونسبه في اللسان لأبي محجن الثقفي أنشده الأخفش له :

قد كنت أحسبني كأغني واحد نزل المدينة

ونسبه في الروض الأنف (٢ : ٤٥) لأحيجة أو لأبي محجن ونسبه ابن جرير (٢٩٩ / ٢) لأحيجة .

والثالث : أنه الثومُ بالثاء ، وذلك صريح في قراءة ابن مسعود ، وهو قول الربيع بن أنس والكسائي .

قوله تعالى : ﴿ أَهْطُوا مِصْرًا ﴾ : قرأ عامة القراء بالتنوين ، وقرأ بعضهم بغير تنوين ، وهي كذلك ، وقراءة ابن مسعود بغير ألف .
وفي المصّر الذي عناه قولان :

أحدهما : أنه أراد أيّ مِصْرٍ ، أرادوا من غير تعيين ؛ لأنّ ما سألوا من البقل والقثاء والفوم ، لا يكون إلا في الأمصار ، وهذا قول قتادة ، والسدي ومجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أنه أراد مصر فرعون ، الذي خرجوا منه ، وهذا قول الحسن ، وأبي العالية والربيع .

وآختلف في اشتقاق المِصْرٍ ، فمنهم من قال : إنه مشتق من القطع ، لأنقطاع بالعمارة ، ومنهم من قال : إنه مشتق من الفصل بينه وبين غيره ، قال عدي بن زيد :

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا (*)

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَؤُا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

وفي قوله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه من الذلّة والصغار .

والثاني : أنه فرض الجزية عليهم ، وهذا قول الحسن وقتادة .

وفي « المسكنة » تأويلان :

أحدهما : أنها الفاقة ، وهو قول أبي العالية .

والثاني : أنه الفقر ، وهو قول السدي .

وفي قوله تعالى : ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : وهو قول أبي العباس المبرد : أن أصل ذلك : المنزلة ، ومعناه أنهم نزلوا بمنزلة غضب الله ، ورُوي : أن رجلاً جاء برجلٍ إلى النبي ﷺ ، فقال : هذا قاتل أخي ، قال : « فَهُوَ بَوَاءٌ بِهِ » (١٧٢) أي أنه مقتول ، فيصير في منزلته ، وتقول ليلي الأخيلية :

فَإِنْ يَكُنْ أَلْقَتَلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بِنِ عَامِرٍ

والثاني : وهو قول أبي إسحاق الزجاج : أن أصل ذلك التسوية ، ومعناه : أنهم تساوا بغضب من الله ، ومنه ما يروى عن عبادة (١٧٣) بن الصامت قال : « جعل الله الأنفال إلى نبيه ﷺ ، فقسمها بينهم على بَوَاءٍ » ، أي على سواء بينهم في القسم .

والثالث : وهو قول الكسائي ، أن معناه أنهم رجعوا بغضب من الله ، قال : البواء : الرجوع ، إلا أنه لا يكون رجوعاً إلا بشيء : إمّا بشرّاً ، وإمّا بخيرٍ .

وفي قوله تعالى : ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ قولان :

أحدهما : أن الله عز وجل ؛ إنما جاز أن يُخْلَى بين الكُفَّار وقتل الأنبياء ، لينالوا من رفيع المنازل ما لا ينالونه بغيره ، وليس ذلك بخذلان لهم ، كما يفعل بالمؤمنين من أهل طاعته .

والثاني : وهو قول الحسن ، أن الله عز وجل ، ما أمر نبيّاً بالحرب إلا نصَّره فلم يُقتل ، وإنما خلَّى بين الكفار وبين قتل مَنْ لم يؤمر بالقتال مِنَ الأنبياء .

و « الأنبياء » جمع « نبيٍّ » ، وقد جاء في جمع « نبيٍّ » : « نُبَاءٌ » ، قال العباس ابن مرداس السلمي ، يمدح النبي ﷺ :

(١٧٢) لم أهتمد إلى تخريجه .

(١٧٣) هو عبادة بن الصامت بن أبي عبادة الأنصاري ، أبو الوليد صحابي جليل ، شهد العقبة الأولى والثانية وشهد سائر الغزوات أقام بحمص يعلم الناس القرآن في خلافة عمر توفي ببيت المقدس وقيل بالرملة سنة ٣٤ هـ رضي الله عنه . أنظر : -

سير أعلام النبلاء (٥/٢) ، طبقات ابن سعد (٥٤٦/٣ ، ٦٢١) ، التاريخ الكبير (٩٢/٦) ، أسد الغابة (١٦٠/٣) .

يَا خَاتَمَ النَّبَإِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ حَيْثُ هُدَى إِلَهُ هَذَاكَ (١٧٤)
وهو غير مهموز في قراءة الجمهور إلا نافعاً (١٧٥)، فإنه قرأ الأنبياء ، والنبيئين
بالهمز .

وفيما أخذ منه أسمُ النبيّ ، ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنه مأخوذ من النبأ ، وهو الخبر ، لأنه يُنبئُ عن الله ، أي يُخبرُ ،
ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ [النجم : ٣٦] .
والثاني : أن أصل النبيّ هو الطريق ، قال القطامي :
لَمَّا وَرَدْنَا نَبِيًّا وَاسْتَبَّ لَنَا مُسْتَحْفَرٌ بِخُطُوطِ النَّسْجِ مُنْسَجِلٌ (١٧٦)
فُسِّمِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَبِيًّا ، لأنه الطريق إليه .
والثالث : أنه مأخوذ من النبوة ؛ لأن منزلة الأنبياء رفيعة .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّاعِغِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعني : صدقوا بمحمد ﷺ .
﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ هم اليهود ، وفي تسميتهم بذلك ، ثلاثة أقاويل :
أحدها : نُسِبُوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب ، فقلبت العربُ الذال دالاً ، لأن
الأعجمية إذا عُرِّبت ، ، غيرت من لفظها .

(١٧٤) من قصيدة شعر له في مدح الرسول ﷺ . أنظر سيرة ابن هشام (١٠٣/٤) .
(١٧٥) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو رويم . أقرأ الناس دهرأ طويلاً . فقرأ عليه من الناس
خلق كبير . قال مالك . نافع إمام الناس في القراءة . مات رحمه الله سنة تسع وستين ومئة .
أنظر : -

التاريخ الكبير (٨٧/٨) ، سير اعلام النبلاء (٣٣٦/٧) ، العبر (٢٥٧/١) ، تهذيب التهذيب
(٤٠٧/١٠) .

(١٧٦) ديوان (٤) من قصيدة له ولكن الشطر الثاني : مسحفر كخطوط السحج منسحل وكذا نقله الطبري
في التفسير (١٤١/٢) .

والثاني : أنه مأخوذ من قولهم : هَادَ الْقَوْمُ يَهُودُونَ هَوْدَةً وَهِيَادَةً ، إذا تابوا ، قال زهير :

سَوَى مَرْبَعٍ لَمْ تَأْتِ فِيهِ مَخَافَةٌ وَلَا رَهَقًا مِنْ عَابِدٍ مُتَهَوِّدٍ (*)

يعني من عابد تائب ، فسموا يهوداً لتوبتهم من عبادة العجل .

والثالث : أنهم سُمُّوا يهوداً ، من أجل قولهم : إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ ، وهذا قول ابن جريج .

و ﴿ والنصارى ﴾ ، جمع وواحد « نصراني » ، وقيل : « نصران » بإسقاط الياء ، وهذا قول سيوييه ، وقال الخليل بن أحمد : واحد نصرِي ، والأول هو المستعمل .

وفي تسميتهم بذلك ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم سُمُّوا بذلك ، لقرية تُسَمَّى « ناصرة » ، كان ينزلها عيسى عليه السلام ، فَتُسَبِّ إِلَيْهَا ، فقليل : عيسى الناصري ، ثم نسب أصحابه إليه فقليل : النصارى ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أنهم سُمُّوا بذلك ، لنصرة بعضهم لبعض ، قال الشاعر :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبْطًا أَنْصَارًا شَمَرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارَا (١٧٧)
كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارًا

والثالث : أنهم سُمُّوا بذلك ، لقبوله : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ .
﴿ والصابئين ﴾ ، جمع ، واحد : صابِيء ، وَاخْتَلَفَ فِي هَمْزِهِ ، فهمزه الجمهور إلا نافعاً .

وَاخْتَلَفَ فِي الْمَأْخُذِ مِنْ هَذَا الْأَسْمِ ، عَلَى ثَلَاثَةِ أَقَاوِيل :

أحدها : أنه مأخوذ من الطَّلُوعِ وَالظُّهُورِ ، من قولهم : صَبَأُ نَابُ الْبَعِيرِ ، إذا طلع ، وهذا قول الخليل .

والثاني : أن الصابِيءَ : الخارج من شيء إلى شيء ، فَسُمِّي الصابئون بهذا

(١٧٧) هذه الأبيات في كتاب معاني القرآن للفراء (٤٤/١) وأمالى ابن الشجرى (٧٩/١ ، ٣٧١) .

الاسم ، لخروجهم من اليهودية والنصرانية ، وهذا قول ابن زيد .
والثالث : أنه مأخوذ من قولهم : صبا يصبو ، إذا مال إلى الشيء وأحبه ،
وهذا قول نافع ؛ ولذلك لم يهمز .

وَأَخْتَلَفَ فِيهِمْ : فقال مجاهد ، والحسن ، وابن أبي نجیح : الصابئون بين
اليهود والمجوس ، وقال قتادة : الصابئون قوم يعبدون الملائكة ، ويصلون إلى
القِبلة ، [ويقرأون الزبور ويصلون الخميس] وقال السدي : هم طائفة من أهل
الكتاب ، وقال الخليل : هم قوم شبيه دينهم بدين النصارى ، إلا أن قبلتهم نَحْوَ
مهب الجنوب حيال منتصف النهار ، يزعمون أنهم على دين نوح .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ قولان :

أحدهما : أنها نزلت في سلمان الفارسي^(١٧٨) وأصحابه النصارى الذين كان
قد تنصّر على أيديهم ، قبل مبعث رسول الله ﷺ ، وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث ،
وأنهم مؤمنون به إن أدركوه ، وهذا قول السدي .

والثاني : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ
مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وهو قول ابن عباس .

فإن قيل : فَلِمَ قال : ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ على التوحيد ، ثم قال : ﴿ فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ على الجمع ؟ قيل : لأن اللفظ « مَنْ » لفظ الواحد ، ومعناه
الجمع ، فمرة يجمع على اللفظ ، ومرة يجمع على المعنى ، قال الشاعر :

أَلِمَّا بِسَلَمَى عَنْكُمَا إِنْ عَرَضْتُمَا وَقُولَا : لَهَا عُوجِي عَلَى مَنْ^(١٧٩) تَخَلَّفُوا

(١٧٨) هو سلمان بن الاسلام ، أبو عبد الله .

سابق الفرس إلى الإسلام ، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه كان لبيباً حازماً من عقلاء الرجال
وعبادهم ، توفي سنة ست وثلاثين بالمداين وقيل غير هذا . أنظر : الجرح والتعديل (٢٩٦/٤) ، حلية
الأولياء (١٨٥/١) ، التاريخ الكبير (١٣٥/٤) أسد الغابة (٣١/١) ، الاستيعاب (٢٢١/٤) .

(١٧٩) منسوب إلى امرئ القيس في ديوان منسوب إليه وفي هذا الديوان .

ويقال أنها - أي الأبيات - لرجل من كندة . . .

أنظر الأضداد لابن الأنباري (٢٨٨) .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ وفي الطور ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه اسم الجبل ، الذي كلم الله عليه موسى ، وأنزلت عليه التوراة دون غيره ، وهذه رواية ابن جريج عن ابن عباس .

والثاني : أن الطور ما أُثْبِتَ من الجبال خاصة ، دون ما لم يثبت ، وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس .

والثالث : أن الطور اسم لكل جبل ، وهو قول مجاهد ، وقتادة ، إلا أن مجاهداً قال : هو اسم كل جبل بالسريانية ، وقال قتادة : بل هو اسم عربي ، قال العجاج :
داني جناحيه من الطور فمر تقضي البازي إذا البازي كـ (١٨٠)
قال مجاهد : رُفِعَ الجبل فوقهم كالظلة ، ف قيل : لتؤمنن أو ليقعن عليكم ، فآمنوا .

وفي قوله تعالى : ﴿ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن القوة الجِدِّ والاجتهاد ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة والسدي .

والثاني : يعني بطاعة الله تعالى ، وهو قول أبي العالية ، والربيع بن أنس .

والثالث : أنه العمل بما فيه ، وهو قول مجاهد .

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ وفي اعتدائهم في السبت قولان :

(١٨٠) ديوانه ص ١٧ وفيه تقضي البازي إذ البازي كسر .

أحدهما : أنهم أخذوا فيه الحيتان على جهة الاستحلال ، وهذا قول الحسن .
والثاني : أنهم حبسوها في يوم السبت وأخذوها يوم الأحد ، والسبت هو
اليوم المعروف . وفي تسميته بذلك أربعة أقاويل :
أحدها : أن السبت هو اسم للقطعة من الدهر فسمي ذلك اليوم به ، وهذا
قول الزجاج .

والثاني : أنه سُمِّي بذلك لأنه سَبَتَ خَلَقَ كل شيء ، أي قطع وفرغ منه ،
وهذا قول أبي عبيدة .
والثالث : أنه سُمِّي بذلك ، لأن اليهود يَسْبِتُونَ فيه ، أي يقطعون فيه
الأعمال .

والرابع : أن أصل السبت ، الهدوء والسكون في راحة ودعة ، ولذلك قيل
لنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
سُبَاتًا ﴾ . فَسُمِّيَ به اليوم لاستراحة اليهود فيه .
وفي قوله عز وجل : ﴿ ... فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِثِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : مُسِخُوا قِرَدَةً ، فصاروا - لأجل اعتدائهم في السبت - في صورة
القردة المخلوقين من قبل ، في الأيام الستة .

قال ابن عباس : لم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب .
والثاني : وهو قول مجاهد^(١٨١) : أنهم لم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه
الله لهم ، كما قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .
وفي قوله تعالى : ﴿ خَاسِثِينَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن الخاسيء المُبْعَد المطرود ، ومنه قولهم خسأت الكلب ، إذا
باعدته وطرده .

(١٨١) والراجع من الأقوال أن المسخ كان صورياً معنوياً وقد رد الإمام أبو جعفر قول مجاهد ووصفه بأنه
مخالف لظاهر القرآن وأن القرآن لا يدل عليه . وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « والصحيح
أنه - أي المسخ - معنوي صوري » (١٠٦/١ - ١٠٧) . وهذا أقرب إلى الصواب .

والثاني : أن معناه أذلاء صاغرون ، وهذا قول مجاهد . ورؤي عن ابن عباس : خاسئاً أي ذليلاً .

قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ وفي المجموع نكالاً ، ستة أقاويل :

أحدها : أنها العقوبة .

والثاني : أنها الحيتان .

والثالث : أنها القرية التي اعتدى أهلها .

والرابع : أنهم الأمة الذين اعتدوا ، وهم أهل أيلة .

والخامس : أنهم الممسوخون قردة .

والسادس : أنهم القردة الممسوخ على صورهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ نَكَالاً ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : عقوبة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : عبرة ينكل بها من رآها .

والثالث : أن النكال الاشتهار بالفضيحة .

وفي قوله تعالى : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : ما بين يديها وما خلفها من القرى ، وهذه رواية عكرمة عن ابن عباس .

والثاني : ما بين يديها يعني من بعدهم من الأمم ، وما خلفها ، الذين كانوا معهم باقين ، وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس .

والثالث : ما بين يديها ، يعني من دونها ، وما خلفها ، يعني لمن يأتي بعدهم من الأمم ، وهذا قول السدي .

والرابع : لما بين يديها من ذنوب القوم ، وما خلفها للحيتان التي أصابوها ، وهذا قول قتادة .

والخامس : ما بين يديها ما مضى من خطاياهم ، وما خلفها : خطاياهم التي أُهْلِكُوا بها ، وهذا قول مجاهد .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هَٰؤُلَاءِ
قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ وكان السبب في أمر موسى لقومه بذلك ، ما ذكره المفسرون : أن رجلاً من بني إسرائيل كان غنياً ، ولم يكن له ولد ، وكان له قريب يرثه ، فاستبطأ موته ، فقتله سرّاً وألقاه في موضع الأسباط ، وادعى قتله على أحدهم ، فاحتكموا إلى موسى ، فقال : من عنده من ذلك علم ؟ فقالوا : أنت نبي الله ، وأنت أعلم منا ، فقال : إن الله عز وجل يأمركم أن تذبحوا بقرة ، فلما سمعوا ذلك وليس في ظاهره جواب عما سألوا عنه ﴿ قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هَٰؤُلَاءِ ﴾ والهزاء : اللعب والسخرية . قال الراجز :

قَدْ هَزَيْتُ مِنِّي أُمَّ طَيْسَلَةَ قَالَتْ أَرَاهُ مُعْدِماً لَا شَيْءَ لَهُ (١٨٢)

﴿ قَالَ : أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ لأن الخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهزاء ، جهل ، فاستعاذ منه موسى ، لأنها صفة تنتفي مع الأنبياء ، وإنما أمر - والله أعلم - بذبح البقرة دون غيرها ، لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه ، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته .

والبقرة اسم للأنثى ، والثور للذكر ، مثل ناقة وجمل ، وامرأة ورجل ، فيكون تأنيته بغير لفظه . واسم البقرة مأخوذ من الشق من قولهم بقر بطنه إذا شقه ، لأنها تشق الأرض في الحرث .

قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ
بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْ نُهَا
قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا

(١٨٢) أنظر الأصمعيات (٥٨) ، الأمالي لأبي علي القالي (٢/ ٢٨٤) ولكن الشطر الأول من البيت فيه :
نَهَزَا مِنِّي أَخْتِ آلِ طَيْسَلَةَ ...

أَدْعُ لِنَارِكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا آدُعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ ﴾ رَوَى الحسن عن النبي ﷺ ، أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ اعْتَرَضُوا بَقْرَةً ، فَذَبَحُوهَا ، لَأَجْزَأَتْ عَنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ ، شَدَّدُوا ، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » (١٨٣) .

﴿ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ في الفارض تأويلان :

أحدهما : أنها الكبيرة الهرمة ، وهو قول الجمهور . قال الراجز :

شيب أصداغي فرأسي أبيضُ محامل فيها رجال فرض
يعني بقوله : فَرَضُ ، أي هرمى .

(١٨٣) رواه أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (١٩٩/١) وهو مرسل كما ترى ورواه أبو بكر بن مردويه أيضاً من وجه آخر كما نقله ابن كثير (١٩٩/١) والبخاري (٤٠/٣) كشف الخفا وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٨٩/١) كلهم من طريق سرور بن المغيرة الواسطي أبو عامر عن عبادة بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعاً وفيه زيادة في أوله وهذا إسناد ضعيف .

عباد بن منصور ضعفه غير واحد من أهل العلم وسرور وثقه ابن حبان فقط وقال عنه يروي الغرائب ونقل عنه الحافظ في لسان الميزان فلعل هذا الحديث من غرائبه والحسن البصري على جلالته مدلس وقد عنعن الحديث . وقال الهيثمي في المجمع رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف وبقيّة رجاله ثقات (٣١٤/٦) وقال الحافظ ابن كثير هذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة (٣١٤/٦) وقد ورد الحديث من روايات أخرى :

١ - فرواه ابن جرير عن ابن جريج مرسلأ (٢٠٥/٢) قال الشيخ شاكر مرسل لا تقوم به حجة اهـ .
والحق أنه معضل فإن ابن جريج من أتباع التابعين .
٢ - عن عكرمة بلاغاً .

أخرجه الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر عن عكرمة يبلغ به النبي كما في الدر المنثور للسيوطي (١٨٩/١) وسيأتي الحديث من مرسل قتادة .

٣ - قد جاء الحديث موقوفاً على ابن عباس وصحيح الإسناد وصححه ابن كثير (١٩٩/١) رواه ابن جرير (٢٠٤/٢) وابن أبي حاتم كما أفاده السيوطي في الدر (١٩٠/١) ولفظه « لو أخذوا أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم لكنهم شددوا وتعتوا موسى فشدد الله عنهم » .

والثاني : أنَّ الفارض التي قد ولدت بطوناً كثيرة ، فيتسع لذلك جوفها ، لأن معنى الفارض في اللغة الواسع ، وهذا قول بعض المتأخرين ، واستشهد بقول الراجز :

يا رَبِّ ذي ضغن عليّ فارض له قروء كقروء الحائض^(١٨٤)
والبكر : الصغيرة التي لم تحمل ، والبكر من إناث البهائم ، وبني آدم ، ما لم يفتحله الفحل ، وهي مكسورة الباء ، فأما البكر بفتح الباء ، فهو الفتى من الإبل .

وقوله تعالى : ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ والعوان النَّصْفُ التي قد ولدت بطناً أو بطنين ، ﴿ بين ذلك ﴾ يعني بين الصغيرة والكبيرة ، وهي أقوى ما تكون من البقر وأحسنه ، قال الشاعر :

فرحن عليه بين بكرٍ عزيزة وبين عَوَانٍ كالغمامة ناصِفٍ
قوله تعالى : ﴿ ... قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ﴾ حُكِيَ عن الحسن البصري ، أن المراد بقوله صفراء ، أي سوداء شديدة السواد ، كما تقول العرب : ناقة صفراء أي سوداء ، ومنه قول الشاعر :

تلك خيلي منه وتلك ركابي هُنَّ صفر أولادها كالزبيب^(١٨٥)
وقال الراجز :

وصفرٍ ليست بمصفرة ولكنَّ سوداء مثل الخُمَر
وقال سائر المفسرين : إنها صفراء اللون ، من الصفرة المعروفة ، وهو أصح ، لأنه الظاهر ، ولأنه قال : ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ والفاقع من صفات الصفرة ، وليس يوصف السواد بذلك ، وإنما يقال : أسود حالك ، وأحمر قاني ، وأبيض ناصع ، وأخضر ناضر ، وأصفر فاقع .

(١٨٤) وقع خطأ في إنشاد هذا البيت وصوابه كما قال صاحب تخريج الطبري (١٩٠ / ٢) .

يا رب مولى حاسد مباغض عليّ ذي ضغن وجنب فارض
أنظر مجالس ثعلب (٢٦٤) ، الحيوان (٦٦ / ٦ ، ٦٧) ، المعاني الكبير الفراء (٨٥٠) ، (١١٤٣) .

(١٨٥) الشاعر هو الأعشى الكبير . والبيت من قصيدة له في ديوانه (ص ٢١٩) .

ثم فيما أُريدَ بالصفرة قولان :

أحدهما : صفراء القرن والظلف ، وهو قول سعيد بن جبير .

والثاني : صفراء اللون كله ، وهذا قول مجاهد .

وفي قوله تعالى : ﴿ فاقع لونها ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : الشديدة الصفرة ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن .

والثاني : الخالص الصفرة ، وهذا قول قطرب .

والثالث : الصافي ، وهذا قول أبي العالية ، وقتادة .

﴿ تَسْرُ النَّاظِرِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تعجب الناظرين بصفرتها ، فتعجب بالسرور ، وهو ما يتأثر به

القلب ، والفرح ما فرحت به العين(*) ، ويحتمل قوله : ﴿ تَسْرُ النَّاظِرِينَ ﴾

وجهين :

أحدهما : بحسن لونها فتكون لصفرتها .

والثاني : حسن سمتها ، وصفت بذلك ، ليكون ذلك زيادة شرط في

صفتها ، غير ما تقدم من ذكر صفرتها ، فتصير البقرة على الوجه الأول ، ذات

وصف واحد ، وعلى الوجه الثاني ، ذات وصفين .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ فسألوا سؤالاً ثالثاً ، ولم

يمثلوا الأمر بعد البيان الثاني ، فروى ابن جريج ، عن قتادة ، أن رسول الله ﷺ

قال : « أَمُرُوا بِأَذْنِي بَقَرَةٍ وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا شَدُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَإِمْ

اللَّهُ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَشْنُوا لَمَّا يُبَيِّنْ لَهُمْ آخِرُ الْأَبَدِ »^(١٨٦) يعني أنهم لو لم يقولوا :

﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ما اهتدوا إليها أبداً .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ ﴾ يعني لم يذلها

العمل .

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني .

(١٨٦) رواه ابن جرير (٢٠٦/٢) بلفظ ذكر لنا أن نبي الله كان يقول :

وهو مرسل لا تقوم به حجة كما قال الشيخ شاكِر في تخريج الطبري (٢٠٦/٢) وقد تقدم الكلام

على روايات الحديث في الحديث الذي قبله .

﴿ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ والإثارة تفريق الشيء ، أي ليست مما يثير الأرض للزرع ، ولا يسقى عليها الزرع(*) . [وقيل يثير فعل مستأنف والمعنى إيجاب الحرث لها وأنها كانت تحرث ولا تسقى] .

وليس هذا الوجه بشيء ، بل نفي عنها جميع ذلك .

﴿ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَءَ فِيهَا ﴾ وفي ذلك أربعة تأويلات :

أحدها : مُسَلَّمَةٌ من العيوب ، وهذا قول قتادة ، وأبي العالية .

والثاني : مُسَلَّمَةٌ من العمل .

والثالث : مُسَلَّمَةٌ من غضب وسرقة ، فتكون حلالاً .

والرابع : مُسَلَّمَةٌ من (**).

وفي ﴿ شِئَءَ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : ليس فيها علامة خاصة ، حكاه السدي .

والثاني : أنه ليس فيها لون ، يخالف لونها من سواد أو بياض .

والثالث : أنه الواضح وهو الجمع بين ألوان من سواد وبياض .

وأصله من وشي الثوب ، وهو تحسين عيوبه بألوان مختلفة ، ومنه قيل

للساعي بالرجل عند السلطان واشٍ ، لأنه يحسن كذبه عنده ، حتى يقبله منه .

﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الآن بَيَّنْتَ الحق ، وهو قول قتادة .

والثاني : معناه أنه حين بَيَّنَّا لهم ، قالوا هذه بقرة فلان ، الآن جئت بالحق

فيها ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنهم كادوا ألا يفعلوا لغلاء ثمنها ، لأنهم اشتروها على ما حَكَمَ

(*) ما بين المعكوفين زيادة .

(**) هنا كلمة مطبوسة .

ابن عباس ، ومحمد بن كعب : بملء مَسْكهَا ذهباً من مال المقتول . وقيل بوزنها عشر مرات .

والثاني : أنهم كادوا ألا يفعلوا خوفاً من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل ، وهذا قول وهب ، وقال عكرمة : ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنائير . وقيل : كانت البقرة وحشية .

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا ﴾ يعني مَنْ قتل الإسرائيلي الذي قتله ابن أخيه ، وفي سبب قتله قولان :

أحدهما : لبنت له حسناء ، أحب أن يتزوجها .

والثاني : طلباً لميراثه ، وادعى قتله على بعض الأسباط .

وفي قوله تعالى : ﴿ ... فَادَرَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أَنْ الدَّرءُ الاعوجاج ، ومنه قول الشاعر :

أمسكت عنهم درء الأعادي وداووا بالجنون من الجنون (*)

يعني اعوجاج الأعادي .

والثاني : وهو المشهور ، أن الدرء المدافعة ، ومعناه أي تدافعتم في القتل ،

ومنه قول رؤبة بن العجاج :

أدركتها قدام كل مدره بالدفع عني درء كل منجه (١٨٧)

والثالث : معناه آخفتكم وتنازعتن ، قاله السدي ، وقيل إن هذه الآية وإن

كانت متأخرة في التلاوة ، فهي مقدمة في الخطاب على قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ الآية . لأنهم أُمرُوا بذبحها ، بعد قتلهم ، واختلفوا في قاتله .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُتُمُ تَكْتُمُونَ ﴾ أي والله مظهر ما كنتم تُسَرُّون من القتل ، فعند ذلك قال النبي ﷺ : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ ، لَأَخْرَجَ اللَّهُ عَمَلَهُ » (١٨٨) .

قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ اختلف العلماء في البعض الذي ضُرِبَ به القَتِيلُ من البقرة ، على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه ضُرِبَ بفخذ البقرة ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة وقتادة .

والثاني : أنه ضُرِبَ بالبضعة التي بين الكتفين ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنه ضُرِبَ بعظم من عظامها ، وهذا قول أبي العالية .

والرابع : أنه ضُرِبَ بأذننها ، وهذا قول ابن زيد .

والخامس : أنه ضُرِبَ بعجب ذنبها ، وهو الذي لا تأكله الأرض ، وهذا قول الفراء . والبعض يُقِلُّ عن النصف .

﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ يعني ، أنه لما ضُرِبَ القَتِيلُ ببعض البقرة ، أحياه الله وكان اسمه عاميل ، فقال قتلي ابن أخي ، ثم قبض ، فقال بنو أخيه : والله ما قتلناه ، فكذبوا بالحق بعد معاينته .

قال الفراء : وفي الكلام حذف ، وتقديره : فقلنا اضربوه ببعضها ، ليحيا

(١٨٨) رواه أحمد (٢٨/٣) والحاكم (٣١٤/٤) والبيهقي في الشعب كما في المشكاة (١٤٦٦/٣)

وأبو يعلى كما في الدر (١٩٢/١) كلهم من رواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورمز له صاحب الجامع الصغير بالصحة فيض القدير (٣٠٦/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٥/١٠) رواه أحمد وأبو يعلى واسنادهما حسن .

وعلى الكل تعقيب ، أما تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي فهذا من الأوهام كيف يصح ؟ والحديث في إسناده دراج عن أبي الهيثم وهي رواية معروفة ضعفها الإمام الذهبي نفسه أكثر من مرة في المستدرک .

فدراج صاحب مناكير ضعفه أحمد وغيره وساق الذهبي في مناكيره في ترجمته أحاديث من هذه النسخة وكذا لا يصح الحكم على الحديث بأن إسناده حسن لأجل ضعف هذه النسخة والحديث ضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٤٠/٥) .

تنبيه : - رواه وليس كذلك بل هذا خطأ مطبعي والله أعلم .

فَضْرِبُوهُ ، فَحَيِّ . كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ، فذل بذلك على البعث والنشور ، وجعل سبب إحيائه الضرب بميت ، لا حياة فيه ، لئلا يلتبس على ذي شبهة ، أن الحياة إنما انتقلت إليه مما ضرب به ، لتزول شبهة ، وتؤكد الحجة .

وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه حكاية عن قول موسى لقومه .

والثاني : أنه خطاب من الله لمشركي قريش .

﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : علامة قدرته . .

والثاني : دلائل بعثكم بعد الموت .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تعملون .

والثاني : تعتبرون .

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ اختلف في المُشار إليه بالقسوة ، على

قولين :

أحدهما : بنو أخِي الميت حين أنكروا قتله ، بعد أن سمعوه منه عند إحياء الله له ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه أشار إلى بني إسرائيل كلهم ، ومن قال بهذا قال : من بعد ذلك : أي من بعد آياته كلها التي أظهرها على موسى .

وفي قسوتها وجهان :

أحدهما : صلابتها حتى لا تلين .

والثاني : عنفها حتى لا ترأف .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ وجهان :

أحدهما : من بعد إحياء الموتى ، ويكون هذا الخطاب راجعاً إلى جماعتهم .

والثاني : من بعد كلام القتل ، ويكون الخطاب راجعاً إلى بني أخيه .

وقوله تعالى : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ يعني القلوب التي قست .

وآختلف العلماء في معنى ﴿ أَوْ ﴾ في هذا الموضع وأشباهه كقوله تعالى :

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم : ٩] على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه إبهام على المخاطبين ، وإن كان الله تعالى عالماً ، أي ذلك

هو ، كما قال أبو الأسود الدؤلي (١٨٩) :-

أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة أو علياً

فإن يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطيء إن كان غياً (١٩٠)

ولا شك ، أن أبا الأسود الدؤلي ، لم يكن شاكاً في حبهم ، ولكن أبهم على

من خاطبه ، وقد قيل لأبي الأسود حين قال ذلك : شككت ، فقال كلا ، ثم

استشهد بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤]

وقال : أفكان شاكاً من أخبر بهذا؟

والثاني : أن ﴿ أَوْ ﴾ ها هنا بمعنى الواو ، وتقديره فهو كالحجارة وأشد

قسوة ، ومثله قول جرير :

جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر (١٩١)

والثالث : أن ﴿ أَوْ ﴾ في هذا الموضع ، بمعنى بل أشد قسوة ، كما قال

(١٨٩) قاضي البصرة واسمه على الأصح ظالم بن عمرو ، قرأ على عليّ، توفي رحمه الله سنة تسع وستين في طاعون الجارف بالبصرة . أنظر :-

تاريخ الإسلام (٩٤/٣) ، سير أعلام النبلاء (٨١/٤) ، الإصابة (٢٤١/٢) .

(١٩٠) ديوانه (٣٢) والأغاني (١١ : ١١٣) وإنباه الرواة (١٧ : ١) .

(١٩١) ديوان جرير (٣٤٥) والنقائض (٩٦٩) والطبقات لابن سعد (٧٩/١/٣) .

والأصداق لابن الأنباري (٢٥٨) .

تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصفافات : ١٤٧] يعني بل يزيدون .
والرابع : أن معناها الإباحة وتقديره ، فإن شبهتموها بالحجارة كانت مثلها ،
وإن شبهتموها بما هو أشد ، كانت مثلها .

والخامس : فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة عندهم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ يعني أن من
الحجارة ما هو أنفع من قلوبكم القاسية ، لَتَفَجَّرِ الْأَنْهَارُ مِنْهَا .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ فاختلّفوا في ضمير
الهاء في « منها » ، إلى ماذا يرجع ؟ على قولين :

أحدهما : إلى القلوب لا إلى الحجارة ، فيكون معنى الكلام : وإن من
القلوب لما يخضع من خشية الله ، ذكره ابن بحر .

والقول الثاني : أنها ترجع إلى الحجارة ، لأنها أقرب مذكور .

واختلف من قال بهذا ، في هذه الحجارة على قولين :

أحدهما : أنها البرد الهابط من السحاب ، وهذا قول تفرد به بعض
المتكلمين .

والثاني : وهو قول جمهور المفسرين : أنها حجارة الجبال الصلدة ، لأنها
أشد صلابة .

واختلف من قال بهذا على قولين :

أحدهما : أنه الجبل الذي جعله الله ذكاً ، حين كلم موسى .

والثاني : أنه عام في جميع الجبال .

واختلف من قال بهذا ، في تأويل هبوطها ، على أربعة أقاويل :

أحدها : إن هبوط ما هبط من خشية الله ، نزل في ذلك القرآن .

والثاني : (*)

والثالث : أن مَنْ عَظَّمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، يُرَى كأنه هابط خاشع ، كما قال جرير :

(*) بياض في النسخة المخطوطة .

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

والرابع : أن الله أعطى بعض الجبال المعرفة ، فعقل طاعة الله ، فأطاعه ، كالذي رُوِيَ عن الجذع^(١٩٢) ، الذي كان يستند إليه النبي ﷺ ، فلما تحول عنه حنَّ ، رُوِيَ عن النبي أنه قال : « إِنَّ حَجْرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ »^(١٩٣) ، ويكون معنى الكلام ، إنَّ من الجبال ما لو نزل عليه القرآن ، لهبط من خشية الله تذلاً وخضوعاً .

﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانَفَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٧٥) وَإِذَا الْقَوَالِدِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٧٧)

قوله تعالى : ﴿ ... وَقَدْ كَانَفَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ في ذلك قولان :

أحدهما : أنهم علماء اليهود والذين يحرفونه التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً اتباعاً لأهوائهم وإعانة لراشيتهم وهذا قول مجاهد والسدي .

والثاني : أنهم الذين اختارهم موسى من قومه ، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا

(١٩٢) حديث حنين الجذع . متواتر عند أئمة الحديث ولا يصح إنكاره وصرح بتواتره جمهرة من أهل العلم كالذهبي وابن كثير والقاضي عياض والنووي وابن حجر والسيوطي وغيرهم وساق الحافظ ابن كثير نخبة طيبة من الأحاديث (١٢٥/٦) البداية والنهاية وكذا الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٤٣/٦) وقال الحافظ ابن كثير : ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان .

(١٩٣) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٣/٢ - ٢٠٤) وأحمد في مسنده (٩٠/٥) وأبو بكر بن أبي شيبة (٤٦٤/١١) برقم (١١٧٥١) وعنه أبو داود الطيالسي (٤٥٠) والدارمي (١٢/١) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٤١/١) والترمذي في المنقب (١/٧ تحفة) وقال حسن غريب والبيهقي في الدلائل (١٥٣/٢) وابن حبان (١٣٩/٨) ، والدليمي (١٦٤) .

أمره وحرفوا القول في إخبارهم لقومهم ، وهذا قول الربيع بن أنس وابن إسحاق .
وفي كلام الله الذي يسمعون قولان :

أحدهما : أنها التوراة التي عَلِمَهَا علماء اليهود .

والثاني : الوحي الذي كانوا يسمعون كما تسمعه الأنبياء .

وفي قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وجهان :

أحدهما : من بعد ما سمعوه ، وهم يعلمون أنهم يحرفونه .

والثاني : من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون ، ما في تحريفه من العقاب .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، إذا خلوا مع المنافقين ، قال لهم المنافقون :
أتحدثون المسلمين ، بما فتح الله عليكم .

والثاني : أنهم اليهود ، قال بعضهم لبعض : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ ﴾ وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : بما فتح الله عليكم ، أي مما أذكركم الله به ، رواه الضحاك عن
ابن عباس .

والثاني : بما أنزل الله عليكم في التوراة ، من نبوة محمد ﷺ وبعثه ،
﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ، وهو قول أبي
العالية وقتادة .

والثالث : أنهم أرادوا قول يهود بني قريظة ، حين شبههم النبي ﷺ ، بأنهم
إخوة القردة ، فقالوا : من حدثك بهذا ؟ وذلك حين أرسل إليهم ، علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه (١٩٤) ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : أن ناساً من اليهود أسلموا ، ثم نافقوا فكانوا يحدثون المسلمين من

(١٩٤) حديث معضل رواه ابن جرير (٢٥٢/٢) برقم (١٣٤٥) ، (١٣٤٦) ، (١٣٤٧) عن مجاهد
قال : قام النبي ﷺ يوم قريظة ... الحديث وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩٩/١) نسبته
لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

العرب ، بما عُدَّ بِه (آباؤهم) ، فقال بعضهم لبعض ، أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ، وهذا قول السدي .

وفي ﴿ فتح الله ﴾ وجهان :

أحدهما : بما علمكم الله .

والثاني : بما قضاه الله ، والفتح عند العرب القضاء والحكم ، ومنه قول

الشاعر :

ألا أبلغ بني عُصْمَ رسولاً بأني عن فتاحكم غني^(١٩٥)
ويُقَالُ للقاضي : الفُتَّاح ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

قوله تعالى : ﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ ، فَحُذِفَ ذِكْرُ الْكِتَابِ إيجازاً .

والثاني : ﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ فتظهر له الْحُجَّةُ عليكم ، فيكونوا

أولى بالله منكم ، وهذا قول الحسن .

والثالث : ﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ

إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ . [الزمر : ٣١] .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الأمي : الذي لا يكتب ولا يقرأ ، وهو قول مجاهد وأظهر

تأويله .

(١٩٥) الأمالي (٢٨١/٢) وفيه : بأني عن فتاحتكم غني .

والثاني : أَنَّ الْأَمِّيْنَ : قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ، ولا كتاباً أنزله الله ، وكتبوا كتاباً بأيديهم ، وقال الجاهل لقومهم : هذا من عند الله ، وهذا قول ابن عباس .

وفي تسمية الذي لا يكتب بالأمي قولان :

أحدها : أنه مأخوذ من الأمة ، أي على أصل ما عليه الأمة ، لأنه باق على خلقته من أنه لا يكتب ، ومنه قول الأعشى :

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم (*)

والثاني : أنه مأخوذ من الأم ، وفي أخذه من الأم تأويلان :

أحدهما : أنه مأخوذ منها ، لأنه على ما ولدته أمه من أنه لا يكتب .

والثاني : أنه نُسِبَ إلى أمه ، لأن الكتاب في الرجال دون النساء ، فنسب من لا يكتب من الرجال إلى أمه ، لجهلها بالكتاب دونه أبيه .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : إِلَّا أَمَانِي : يعني : إلا كذباً ، قاله ابن عباس ومجاهد ، قال الشاعر :

ولكنما ذاك الذي كان منكما أمانِي ما لاقت سماء ولا أرضا

والثاني : إِلَّا أَمَانِي ، يعني ، أنهم يَتَمَنُّونَ على الله ما ليس لهم ، قاله قتادة .

والثالث : إِلَّا أَمَانِي ، يعني [إلا أمانسي يعني إلا تلاوة من غير فهم قاله الفراء والكسائي ومنه قوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [سورة الحج] يعني ألقى الشيطان في أُمْنِيَّتِهِ ، وقال كعب بن مالك :

تَمَنَّى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر

والرابع : أَنَّ الْأَمَانِيَّ : التقدير ، حكاه ابن بحر وأشد قول الشاعر :

ولا تقولن شيء سوف أفعله حتى تبين ما يمني لك الماني

(وإلا) : في هذا الموضع بمعنى (لكن) وهو عندهم من الاستثناء المنقطع

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ [النساء: ١٥٧] قال النابغة :

حلفت يميناً غير ذي مشنوية ولا علم إلا حسن ظن بصاحب^(١٩٦)

﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يكذبون ، قاله مجاهد .

والثاني : يحدثون ، قاله البصريون .

قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ في الويل ستة

أقوال :

أحدها : أنه العذاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه التقيح ، وهو قول الأصمعي . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ

الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

وقال الشاعر :

كسا اللؤم سهما خضرة في جلودها فويل لسهم من سرايلها الخضر^(*)

والثالث : أنه الحزن ، قاله المفضل .

والرابع : أنه الخزي والهوان .

والخامس : أن الويل وإد في جهنم ، وهذا قول أبي سعيد الخدري .

والسادس : أنه جبل في النار ، وهو قول عثمان بن عفان .

﴿ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أي يغيرون ما في الكتاب من نبوة محمد ﷺ

ونعته .

وفي قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه أراد بذلك تحقيق الإضافة ، وإن كانت الكتابة لا تكون إلا

باليَد ، كقوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي ﴾ .

والثاني : أن معنى ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أي من تلقاء أنفسهم ، قاله ابن

السراج^(١٩٧) .

(١٩٦) ديوان النابغة : (٤٢) .

(١٩٧) هو محمد بن أحمد بن بصخان بن عين الدولة بدر الدين بن السراج الدمشقي تصدى لإقراء =

وفي قوله تعالى : ﴿ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ تأويلان :

أحدهما : ليأخذوا به عرض الدنيا ، لأنه قليل المدة ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ وهذا قول أبي العالية .

والثاني : أنه قليل لأنه حرام .

﴿ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من تحريف كتبهم .

والثاني : من أيام معاصيهم .

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا
فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ يَفْقَهُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ والفرق بين اللمس
والمس ، أن مع اللمس إحساساً .

وفي الأيام المعدودة قولان :

أحدهما : أنها أربعون يوماً ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، وعكرمة ، وأبي
العالية ، ورواه الضحاك عن ابن عباس ، ومن قال بهذا اختلفوا في تقديرهم لها
بالأربعين :

فقال بعضهم : لأنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل .

وقال ابن عباس : أن اليهود يزعمون أنهم ، وجدوا في التوراة مكتوباً ، أن ما
بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة ، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم ، فإذا
انقطع المسير انقضى العذاب ، وهلك النار ، وهذا قول من قدر «المعدودة»
بالأربعين .

والقول الثاني : أن المعدودة التي تمسهم فيها النار سبعة أيام ، لأنهم

= القراءات والنحو وظهرت فضائله وبهرت معارفه . أنظر : -

البداية والنهاية (٢٠٨/١٤) ، الدرر الكامنة (٣٩٨/٣) ، الوافي بالوفيات (١٥٩/٢) .

زعموا ، أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، وأنهم يُعَدُّون عن كل ألف سنة يوماً ، وهذا قول مجاهد ، ورواية سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . أما (بلى) ، فجواب النفي ، وأما (نعم) فجواب الإيجاب ، قال الفراء : إذا قال الرجل لصاحبه : ما لك عليَّ شيء ، فقال الآخر : نعم ، كان ذلك تصديقاً أن لا شيء عليه ، ولو قال بلى : كان ردّاً لقوله ، وتقديره : بلى لي عليك .

وقوله : ﴿ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ اختلفوا في السيئة ها هنا ، على قولين : أحدهما : أنها الشرك ، وهذا قول مجاهد (١٩٨) .

والثاني : أنها الذنوب التي وعد الله تعالى عليها النار ، وهذا قول السدي .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه مات عليها ، وهذا قول ابن جبير .

والثاني : أنها سَدَّتْ عليه المسالك ، وهذا قول ابن السراج .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

(١٩٨) ولمجاهد قول آخر وهو الذنوب التي تحيط بالقلب ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عنه وقال : « وقول مجاهد صحيح كما في الحديث الصحيح » : إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء ... الخ ... لكن تفسير السيئة بالشرك هو الأظهر لأنه سبحانه غاير بين المكسوب والمحيط فلو كان واحداً لم يغاير والمشرک له خطاباً غير الشرك أحاطت به لأنه لم يتب منها « ثم شرع شيخ الإسلام في تأييد قوله الذي استظهره .

راجعته في الدقائق (٢٠١/١) .

﴿٨٣﴾ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ يعني في التوراة بمجيء محمد ﷺ . ويقال الميثاق الأول (حين أخرجوا) من صلب آدم .
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ فمن قرأ حسناً (١٩٩) ، يعني قولاً صدقاً في بعث محمد ﷺ ، وبالرفع ، أي قولوا لجميع الناس حسناً ، يعني خالقوا الناس بخُلُقٍ حسن .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِّنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ﴾ أما النفس فمأخوذة من النفاسة ، وهي الجلالة ، فنفس الإنسان أنفس ما فيه ، وأما الديار فالمنزل ، الذي فيه أبنية المقام ، بخلاف منزل الارتحال ، وقال الخليل : كل موضع حلّه قوم ، فهو دار لهم ، وإن لم يكن فيه أبنية .
فإن قيل : فهل يسفك أحد دمه ، ويخرج نفسه من داره ؟ ففيه قولان :

(١٩٩) وهي قراءة حمزة والكسائي بالفتح والتثنية [حسناً] .

السبعة في القراءات لابن مجاهد (١٦٣) .

أحدهما : معناه لا يقتل بعضكم بعضاً ، ولا يخرجه من داره ، وهذا قول قتادة ، وأبي العالية .

والثاني : أنه القصاص الذي يقتص منهم بمن قتلوه .

وفيه قول ثالث : أن قوله « أنفسكم » أي إخوانكم فهو كنفس واحدة .

قوله تعالى : ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ يعني تتعاونون ، والإثم هو الفعل الذي يستحق عليه الدم ، وفي العدوان قولان :

أحدهما : أنه مجاوزة الحق .

والثاني : أنه في الإفراط في الظلم .

﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ ﴾ وقرأ حمزة ﴿ أُسْرَى ﴾ . وفي الفرق بين أُسْرَى وَأُسَارَى قولان :

أحدهما : أن أُسْرَى جمع أسير ، وأُسَارَى جمع أُسْرَى .

والثاني : أن الأسرى الذين في اليد وإن لم يكونوا في وثاق ، وهذا قول أبي عمرو^(٢٠٠) بن العلاء ، والأسارى : الذين في وثاق .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ؕ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؕ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ يعني التوراة .

﴿ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ والتَّفْقِيَةُ : الإتيان ، ومعناه : وأتبعنا ، يقال

اسْتَفْقَيْتُهُ إِذَا جِئْتُ مِنْ خَلْفِهِ ، وسميت قافية الشعر قافية لأنها خلفه .

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ وفيها ثلاثة أقاويل :

(٢٠٠) هوزبان أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان على الأصح . المقرئ ، النحوي . توفي سنة أربع وخمسين ومئة . أنظر : -

التاريخ الكبير (٥٥/٩) ، سير أعلام النبلاء (٤٠٧/٦) ، البداية والنهاية (١١٣/١٠) .

أحدها : أن البيئات الحجج .

والثاني : أنها الإنجيل .

والثالث : وهو قول ابن عباس ، أن البيئات التي أوتيتها عيسى إحياء الموتى ، وخلقها من الطين كهيئة الطير ، فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأسقام .

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن روح القدس الاسم الذي يحيي به عيسى الموتى ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه الإنجيل ، سماه روحاً ، كما سمي الله القرآن روحاً في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ .

والثالث : وهو الأظهر ، أنه جبريل عليه السلام ، وهذا قول الحسن وقتادة ، والربيع ، والسدي ، والضحاك .

وآختلفوا في تسمية جبريل بروح القدس ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سُمِّيَ رُوحاً ، لأنه بمنزلة الأرواح للأبدان ، يحيي بما يأتي به من البيئات من الله عز وجل .

والثاني : أنه سمي روحاً ، لأن الغالب على جسمه الروحانية ، لرقته ، وكذلك سائر الملائكة ، وإنما يختص به جبريل تشريفاً .

والثالث : أنه سمي روحاً ، لأنه كان بتكوين الله تعالى له روحاً من عنده من غير ولادة .

والقُدُس فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : هو الله تعالى ، ولذلك سُمِّيَ عيسى عليه السلام روح القدس ، لأن الله تعالى كونه من غير أب ، وهذا قول الحسن والربيع وابن زيد . قال ابن زيد : القدس والقدوس واحد .

والثاني : هو الطهر ، كأنه دل به على التطهر من الذنوب .

والثالث : أن القدس البركة ، وهو قول السدي .

وَقَالُوا أَقْلُونَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا : قُلُونَا غُلْفٌ ﴾ فيه تأويلات :

أحدهما : يعني في أَعْطِيَةٍ وَأَكْنَةٍ لا تفقه ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد وقتادة ، والسدي .

والثاني : يعني أوعية للعلم ، وهذا قول عطية ، ورواية الضحاك عن ابن عباس .

﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ وَاللَّعْنُ : الطرد والإبعاد ، ومنه قول الشماخ :

ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه مقام الذئب - كالرجل - اللعين (٢٠١)

ووجه الكلام : مقام الذئب اللعين كالرجل .

في قوله تعالى : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه قليل منهم من يؤمن ، وهذا قول قتادة ، لأن مَنْ آمَنَ من أهل الشرك أكثر ممن آمن مِنْ أهل الكتاب .

والثاني : معناه فلا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ، وهو مروى عن قتادة . ومعنى ﴿ مَا ﴾ هنا الصلة للتوكيد كما قال مهلهل :

لو بأبائين جاء يخطبها خُضِبَ ما أنف خاضب بدم (٢٠٢)

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ فيه تأويلان :

(٢٠١) ديوانه (٩٢)، مجاز القرآن (٤٦١) وفيهما مقام الذئب . . . ونقله الطبري (٣٢٨/٢) وفيه مكان الذئب .

(٢٠٢) الكامل (٦/٢)، شرح شواهد المغني (٢٤٧)، معجم ما استعجم (٩٦).

أحدهما : مصدق لما في التوراة والإنجيل من الأخبار التي فيهما .

والثاني : مصدق بأن التوراة والإنجيل من عند الله عز وجل .

﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني يستنصرون ، قال ابن عباس : إن اليهود كانوا يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله تعالى من العرب كفروا به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور : أو ما كنتم تخبروننا أنه مبعوث ؟ فقال سلام بن مشكم : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم (٢٠٣) ، فأنزل الله تعالى ذلك .

يَسْأَلُكُمْ أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءٌ وَغَضَبٌ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكُمْ أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ اشتروا بمعنى باعوا .

﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ﴾ يعني حسداً ، هكذا قال قتادة والسدي ، وأبو العالية ، وهم اليهود . والبغي شدة الطلب للتطاول ، وأصله الطلب ، ولذلك سميت الزانية بغيًا ، لأنها تطلب الزنى .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَبَاءٌ وَغَضَبٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الغضب الأول لكفرهم ببعسى ، والغضب الثاني لكفرهم بمحمد ﷺ ، وهذا قول الحسن ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة ، وأبي العالية .

والثاني : أنه ما تقدم من كفرهم في قولهم عُزِير ابن الله ، وقولهم يد الله مغلولة ، وتبديلهم كتاب الله ، ثم كفرهم بمحمد .

(٢٠٣) رواه ابن جرير (٣٣٣/٢) وابن اسحاق في السيرة (١٩٦/٣) ، أبو نعيم في الدلائل (١٩/١) وزاد السيوطي نسبته في الدر (١١٧/١) لابن أبي حاتم وابن المنذر .

وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت . قال الذهبي في الميزان : لا يُعرف وترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٢٢٥/١/١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في الثقات .

والثالث : أنه لما كان الغضب لازماً لهم كان ذلك تأكيداً .

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ المهين : المذل . والعذاب على ضربين :

فالمهين منها عذاب الكافرين لأنه لا يمحص عنهم ذنوبهم .

والثاني : غير مهين وهو ما كان فيه تمحيص عن صاحبه ، كقطع يد السارق

من المسلمين ، وحد الزاني .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا
وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَ هُوَ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ
اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ﴾ يعني القرآن .

﴿قَالُوا : نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني التوراة .

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ يعني بما بعده .

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن .

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني التوراة ، لأن كتب الله تعالى يصدق بعضها

بعضاً .

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ معناه فلم تقتلتم ، فعبّر عن الفعل

الماضي بالمستقبل ، وهذا يجوز ، فيما كان بمنزلة الصفة ، كقوله تعالى :

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي ما تلت ، وقال الشاعر :

وإني لأتيكم بشكر ما مضى من الأمر واستحباب ما كان في غد (٢٠٤)

يعني ما يكون في غد ، وقيل معناه : فلم ترضون بقتل أنبياء الله ، إن كنتم

مؤمنين ؟

(٢٠٤) ديوانه (١٤٦)، حماسة البحتري (١٠٩) واللسان مادة كون وفيه [واستجاز ما كان] وقد نقله

الطبري (٣٥١/٢) وفيه [واستيجاب ما كان في نمر] .

وقد صوب البيت الشيخ أحمد شاكر فانظره في الطبري (٣٥١/٢) .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ
بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ
بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

قوله تعالى : ﴿ ... خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ يعني بجهد واجتهاد .

﴿ وَأَسْمَعُوا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني فاعملوا بما سمعتم .

الثاني : أي اقبلوا ما سمعتم ، كما قيل سمع الله لمن حمده ، أي قبل الله حمده ، وقال الراجز :

السمعُ والطاعة والتسليم خير وأعفى لبني تميم (٢٠٥)

﴿ قَالُوا : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنهم قالوا ذلك حقيقة ، ومعناه سمعنا قولك وعصينا أمرك .

والثاني : أنهم لم يقولوه ولكن فعلوا ما دل عليه ، فقام الفعل منهم مقام القول كما قال الشاعر :

امتلاً الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن موسى برد العجل وذراه في الماء ، فكان لا يشربه أحد يحب العجل إلا ظهرت نخالة الذهب على شفثيه ، وهذا قول السدي ، وابن جريج .

والثاني : أنهم أشربوا حب العجل في قلوبهم ، يقال أشرب قلبه حب كذا ، قال زهير :

فصحوت عنها بعد حب داخل والحب تشربه فوآذك : داء (٢٠٦)

(٢٠٥) أنظر تاريخ الطبري (١٦٨/٦) وهذا البيت لرجل من حبة من بني ضرار يدعى جبير بن الضحاك .

(٢٠٦) ديوان زهير (٣٣٩) .

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ : إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يعني اليهود تزعم أن الجنة خالصة لهم من دون الناس ، وفيه قولان : -

أحدهما : من دون الناس كلهم .

والثاني : من دون محمد وأصحابه الذين آمنوا به ، وهذا قول ابن عباس .

ف قيل : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ لأنه من اعتقد أنه من أهل الجنة ، كان الموت أحب إليه من الحياة ، لما يصير إليه من نعم الجنة ، ويزول عنه من أذى الدنيا ، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : « لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَامَهُمْ مِنَ النَّارِ » (٢٠٧) .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ﴾ تحقيقاً لكذبهم ، وفي تركهم إظهار التمني قولان :

أحدهما : أنهم علموا أنهم لو تمنوا الموت لماتوا ، كما قاله النبي ﷺ ، فلذلك لم يتمنوه وهذا قول ابن عباس .

(٢٠٧) رواه أحمد (١٤٨/١) ، ابن جرير (٣٦٢/٢) وصححه الشيخ أحمد شاكر ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٠/١) إلى الشيخين الترمذي والنسائي وابن مردويه وأبي نعيم وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٨/٨) رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وقال الشيخ شاكر معقباً ورجال أحمد في الإسناد (٢٢٢٦) رجال الصحيح أيضاً . تخريج الطبري (٣٦٣/١) قلت ورواه البزار ضمن حديث كما في كشف الأستار (٤٠/٣) وقال الهيثمي في المجمع (٣١٤/٦) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

الثاني : أن الله صرفهم عن إظهار التمني ، ليجعل ذلك آية لنبه ﷺ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ يعني اليهود .

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ يعني المجوس ، لأن المجوس هم الذين ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ، كان قد بلغ من حبههم في الحياة أن جعلوا تحيتهم (عش ألف سنة) حرصاً على الحياة ، فهؤلاء الذين يقولون : أن لهم الجنة خالصة أحب في الحياة من جميع الناس ومن هؤلاء . ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ أي بمباعدة من العذاب ﴿ أَنَّ يُعَمَّرَ ﴾ لأنه لو عمّر ما تمنى ، لما دفعه طول العمر من عذاب الله على معاصيه .

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وسبب نزول هذه الآية ، أن ابن صوريا^(٢٠٨) وجملته من يهود (فذك) ، لما قدم النبي ﷺ المدينة سأله ، فقالوا : يا محمد كيف نومك ؟ فإنه قد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان ، فقال : « تَنَامُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي يَقْظَانُ » قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة ؟ فقال : « أُمَّا الْعِظَامُ وَالْعَصَبُ وَالْعُرُوقُ فَمِنَ الرَّجُلِ ، وَأُمَّا اللَّحْمُ وَالْدَّمُ وَالظُّفْرُ وَالشَّعْرُ فَمِنَ الْمَرْأَةِ » ، قالوا : صدقت يا محمد ، فما بال الولد يشبه أعمامه ، ليس فيه من شبه أخواله شيء ، أو يشبه أخواله ، ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال : « أيهما علا ماؤه كان الشبه له » ، قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن ربك ما هو ؟ فأنزل الله

(٢٠٨) قال الحافظ ابن حجر في تخریج أحاديث الكشاف ص ٩ .

ذكره الثعلبي والواحدي والبغوي فقالوا : روى ابن عباس أن حبراً من أجبار اليهود من فذك يقال له عبد الله بن صوريا فذكره . ولم أقف له على سند ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عنه اهـ .
أقول : إن كان من هذا الطريق فهو ضعيف جداً من أجل الكلبي فهو متروك الحديث . على أن بعض فقرات هذا الحديث وردت في أحاديث صحيحة منها في الصحيحين ومسنَد أحمد وغيرهما .

تعالى : قال ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص الآية : ١] إلى آخر السورة ، قال له ابن صوريا : خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعك ، أي ملك يأتيك بما يقول الله ؟ قال : «جبريل» ، قال : ذاك عدونا ، ينزل بالقتال والشدة والحرب ، وميكائيل ينزل بالبشر والرخاء ، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك ، فقال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ذلك : فإني أشهد أن من كان عدوًّا لجبريل ، فإنه عدو لميكائيل ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأما جبريل وميكائيل فهما اسمان ، أحدهما عبد الله والآخر عبيد الله ، لأن إيل هو الله وجبر هو عبد ، وميكا هو عبيد ، فكان جبريل عبد الله ، وميكائيل عبيد الله ، وهذا قول ابن عباس ، وليس له من المفسرين مخالف .

فإن قيل : فلم قال : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ وقد دخل جبريل وميكائيل في عموم الملائكة فلم خصهما بالذكر ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أنها خُصّا بالذكر تشريفاً لهما وتمييزاً .

والثاني : أن اليهود لما قالوا جبريل عدونا ، وميكائيل ولينا ، خُصّا بالذكر ، لأن اليهود تزعم أنهم ليسوا بأعداء لله وملائكته ، لأن جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة ، فنص عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص ، ثم قال تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ، ولم يقل لهم ، لأنه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالإيمان .

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ
عَهْدٍ وَعَهْدٍ أَنْبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ

بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَآتَقَوْا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانٍ ﴾ اختلف أهل التفسير في سبب ذلك ، على قولين :

أحدهما : أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويستخرجون السحر ، فأطلع الله سليمان بن داود عليه ، فاستخرجه من أيديهم ، ودفنه تحت كرسيه ، فلم تكن الجن تقدر على أن تدنو من الكرسي ، فقالت الإنس بعد موت سليمان : إن العلم الذي كان سليمان يُسخرُ به الشياطين والرياح هو تحت كرسيه ، فاستخرجوه وقالوا : كان ساحراً ولم يكن نبياً ، فتعلموه وعلموه ، فأنزل الله تعالى براءة سليمان بهذه الآية .

والثاني : أن « آصف بن برخيا » وهو كاتب سليمان واطأً نقرأ من الشياطين على كتاب كتبه سحراً ودفنوه تحت كرسي سليمان ، ثم استخرجوه بعد موته وقالوا هذا سحر سليمان ، فبرأه الله تعالى من قولهم ، فقال : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ ، وهم ما نسبوه إلى الكفر ، ولكنهم نسبوه إلى السحر ، لكن لما كان السحر كفراً صاروا بمنزلة من نسبوه إلى الكفر .

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم كفروا بما نسبوه إلى سليمان من السحر .

والثاني : أنهم كفروا بما استخرجوه من السحر .

﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم ألقوه في قلوبهم فتعلموه .

والثاني : أنهم دلوهم على إخراجه من تحت الكرسي فتعلموه .

﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ وفي ﴿ مَا ﴾ ها هنا

وجهان :

أحدهما : بمعنى الذي ، وتقديره الذي أنزل على الملكين .

والثاني : أنها بمعنى النفي ، وتقديره^(٢٠٩) : ولم ينزل على الملكين .

وفي الملكين قراءتان : إحداها : بكسر اللام ، كانا من ملوك بابل وعلوجها

هاروت وماروت ، وهذا قول أبي الأسود الدؤلي ، والقراءة الثانية : بفتح اللام من

الملائكة^(٢١٠) .

وفيه قولان :

أحدهما : أن سحرة اليهود زعموا ، أن الله تعالى أنزل السحر على لسان

جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم الله بذلك ، وفي الكلام تقديم

وتأخير ، وتقديره : وما كفر سليمان ، وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين

كفروا ، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، وهما رجلان ببابل .

والثاني : أن هاروت وماروت مَلَكَانِ^(٢١١) ، أَهْبَطَهُمَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى

(٢٠٩) وهذا الوجه ليس بشيء قال ابن الأنباري : وهذا الوجه ضعيف جداً لأنه خلاف الظاهر والمعنى

فكان غيره أولى . أنظر : البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري (١١٤ / ١) .

(٢١٠) وردت هذه القراءة عن الضحاك بن مزاحم رواها عنه ابن أبي حاتم بسنده إليه كما أفاده ابن كثير

(١٣٧ / ١) .

(٢١١) هذه القصة اختلف في صحتها كثير من أهل العلم فبعضهم حكم عليها بأنها من الاسرائيليات وأنها

لا تصح بل باطلة كإبن جزم والقاضي عياض والحافظ العراقي وابن كثير والشيخ الألباني وأحمد شاكر

والشيخ عبد الله الصديق الغماري وبعضهم حسنها كالحافظ ابن حجر بل أفرد لها جزءاً وادعى

بعضهم تواتر القصة كالمحدث الكناني كما في النظم المتناثر والحق ، أن هذه القصة من قبيل

الإسرائيليات التي تلقاها بعض الرواة عن أهل الكتاب وقد استفاض محدث العالم العربي ومصر

أحمد شاكر في بطلانها بما لا تجده في كتاب فانظره عند حديث رقم (٦١٧٨) في المسند للمزيد

راجع التفسير الصحيح لهذه الآيات في التعليق على زاد المسير (١٢٣ / ١) لابن الجوزي وقد نقل

الإمام القرطبي خبر هذه القصة ثم عقب على القصة بقوله : « هذا كله ضعيف وبعيد لا يصح منه

شيء » وقال إن الملائكة عباد مكرمون وإن الكواكب خلقت قبل الإنسان وكوكب الزهرة منها

(٥٢ / ٢) .

الأرض ، وسبب ذلك ، أن الله تعالى لما أطلع الملائكة على معاصي بني آدم ، عجبوا من معصيتهم له مع كثرة أنعمه عليهم ، فقال الله تعالى لهم : أما أنكم لو كنتم مكانهم لعلتم مثل أعمالهم ، فقالوا : سبحانك ما ينبغي لنا ، فأمرهم الله أن يختاروا ملكين ليهبطا إلى الأرض ، فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض ، وأحل لهما كل شيء ، على ألا يُشركا بالله شيئاً ، ولا يسرقا ، ولا يزنيا ، ولا يشربا الخمر ، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فعرضت لهما امرأة - وكان يحكممان بين الناس - تُخاصم زوجها واسمها بالعربية : الزهرة ، وبالفارسية : فندرخت ، فوقع في أنفسهما ، فطلباهما ، فامتنعت عليهما إلا أن يعبداه صنماً ويشربا الخمر ، فشربا الخمر ، وعبدا الصنم ، وواقعاها ، وقتلا سابلأ مر بهما خافا أن يشهر أمرهما ، وعلماهما الكلام الذي إذا تكلم به المتكلم عرج إلى السماء ، فتكلمت وعرجت ، ثم نسيت ما إذا تكلمت به نزلت فمسخت كوكبا ، قال : كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه ، حتى استكملا جميع ما نهيا عنه ، فتعجب الملائكة من ذلك . ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود إلى السماء ، فكانا يعلمان السحر .

وذكر عن الربيع أن نزولهما كان في زمان (إدريس) .

وأما السحر فقد اختلف الناس في معناه :

فقال قوم : يقدر الساحر أن يقلب الأعيان بسحره ، فيحول الإنسان حمراً ، وينشئ أعياناً وأجساماً .

وقال آخرون : السحر خدع ومعانٍ يفعلها الساحر ، فيخيل إليه أنه بخلاف ما هو ، كالذي يرى السراب من بعيد^(٢١٢) ، فيخيل إليه أنه ماء ، وكواكب السفينة السائرة سيراً حثيثاً ، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائرة معه .

(٢١٢) ومن المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن السحر له حقيقة لا كما ذهب إلى إنكار حقيقته المعتزلة قديماً ومن سار على دربهم حديثاً فظنوه مجرد خيالات وأوهام وإذا لم يكن للسحر حقيقة ولا تأثير فلماذا ذكر الله تعالى في كتابه الاستعاذة منه في قوله تعالى : ﴿ من شر النفاثات في العقد ﴾ ولماذا ذكر الله تعالى في سورة البقرة أن السحرة يسحرهم يفرقون بين المرء وزوجه فهل ما ذكره الله تعالى في هاتين الآيتين إلا دليل على أن للسحر تأثير وحقيقة وهذا لا يخفى على من أعطي حظاً من نظر وسلامة فطرة .

وقد روى هشام^(٢١٣) بن عروة^(٢١٤) عن أبيه عن عائشة^(٢١٥) رضي الله عنها قالت : سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق يقال له لبید بن الأعصم ، حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما فعله^(٢١٦).

قالوا : ولو كان في وسع الساحر إنشاء الأجسام وقلب الأعيان عما هي به من الهيئات ، لم يكن بين الباطل والحق فصل ، ولجاز أن يكون جميع الأجسام مما سحرته السحرة ، فقلبت أعيانها ، وقد وصف الله تعالى سحرة فرعون ﴿... فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.

وقال آخرون : - وهو قول الشافعي - إن الساحر قد يوسوس بسحره فيمرض وربما قتل ، لأن التخيل بدء الوسوسة ، والوسوسة بدء المرض ، والمرض بدء التلف .

فأما أرض ﴿ببابل﴾ ففيها ثلاثة أقاويل :

(٢١٣) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، أبو المنذر . الإمام الثقة سمع من أبيه وطائفة من كبار التابعين . أنظر : -

تاريخ البخاري (١٩٣/٤) ، العبر (٢٠٦/١) ، مرآة الجنان (٣٠٢/١) .

(٢١٤) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد ، أبو عبد الله . أحد الفقهاء السبعة تابعي ، ثقة . توفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك . أنظر : -

طبقات ابن سعد (١٧٨/٥) تاريخ البخاري (٣١/٧) . البداية والنهاية (١٠١/٩) ، تاريخ ابن عساكر (٢٨٠/١١) ب .

(٢١٥) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة . أفقه نساء الأمة على الإطلاق توفيت رضي الله عنها سنة سبع وخمسين وقيل غير ذلك . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٥٨/٨) ، حلية الأولياء (٤٢/٢) ، أسد الغابة (١٨٨/٧) . البداية والنهاية (٩١/٨) .

(٢١٦) رواه البخاري (١٩٢/١٠ - ١٩٧) ، مسلم (١٨٠/٢) ، أحمد (٦٣/٦ ، ٦٩ ، ٥٧) . ابن ماجة (٤٥ ، ٣٥) ، ابن جرير الطبري (٤٣٧/٢) وابن سعد (٤/٢/٢) كلهم من طريق هشام عن عائشة رضي الله عنها وقد تعرض هذا الحديث لهجوم شديد من معتزلة العصر الذين ينكرون الأحاديث الصحيحة ويدعون أنها لا تتفق مع عقولهم فبعضهم قابل الحديث بالانكار وبعضهم طعن في إسناده كصاحب المنار وبعضهم حط على الشيخين بما لا يليق بجلالتهما والحق الذي لا ريب فيه أن الحديث لا مجال للطعن فيه راجع ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (١٩٢/١٠) والقاضي عياض في الشفا (١٩٠/٢ - ١٩٣) وقد جمعنا رسالة في جمع طرق الحديث والكلام عليه سنداً ومتناً وردنا فيها على شبهات المشار إليهم نسأل الله تعالى إتمامها وطبعها .

أحدها : أنها الكوفة وسوادها ، وسميت بذلك حيث تبلبلت الألسن بها وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : أنها من نصيبين إلى رأس عين ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أنها جبل نهاوند . وهي [فطر] (*) من الأرض (**).

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا : إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ بما تتعلمه من سحرنا .

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ في المراد بقوله « منهما » ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني من هاروت وماروت .

والثاني : من السحر والكفر .

والثالث : من الشيطان والملكين ، فيتعلمون من الشياطين السحر ، ومن الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه .

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يعني السحر .

﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني بأمر الله .

والثاني : بعلم الله .

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ يعني ما يضرهم في الآخرة ، ولا ينفعهم في الدنيا .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ يعني السحر الذي يفرقون به بين المرء وزوجه .

﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الخلاق النصيب ، وهو قول مجاهد والسدي .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

(**) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني .

والثاني : أن الخلاق الجهة ، وهو قول قتادة .

والثالث : أن الخلاق الدين ، وهو قول الحسن .

قوله عز وجل : ﴿ وَلِبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني لبئس ما باعوا به أنفسهم من السحر والكفر في تعليمه وفعله .

والثاني : من إصافتهم السحر إلى سليمان ، وتحريضهم على الكذب .

يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا
وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ إِلَيْهِ ﴿١٠٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تقولوا ... وهو قول عطاء .

والثاني : يعني ارعنا سمعك ، أي اسمع منا ونسمع منك ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد .

وأختلفوا لِمَ نُهِيَ المسلمون عن ذلك ؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها كلمة كانت اليهود تقولها لرسول الله ﷺ على وجه الاستهزاء والسب ؛ كما قالوا سمعنا وعصينا ، واسمع غير مسمع ، وراعنا لِيَأْبالستهم ، فنُهِيَ المسلمون عن قولها ، وهذا قول ابن عباس وقتادة .

والثاني : أن القائل لها ، كان رجلاً من اليهود دون غيره ، يقال له رفاعة بن زيد ، فنُهِيَ المسلمون عن ذلك ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنها كلمة ، كانت الأنصار في الجاهلية تقولها ، فنهاهم الله في الإسلام عنها .

﴿ وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه أَفْهَمْنَا وبين لنا ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : معناه أَمْهَلْنَا .

والثالث : معناه أَقْبَلْ علينا وانظر إلينا .

﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ يعني ما تؤمرون به .

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧)

قوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ في (معنى) نسخها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه قبضها ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه تبديلها ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنه إثبات خطها وتبديل حكمها ، وهو قول ابن مسعود .

﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ فيه قراءتان :

أحدهما : هذه ، والثانية (٢١٧) : ﴿ أَوْ نَنْسَاهَا ﴾ .

فمن قرأ : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه :

أحدها : أنه بمعنى أو نمسكها ، وقد ذكر أنها كانت في مصحف عبد الله ابن مسعود : ﴿ مَا نُمْسِكُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا نَجِيءٌ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ وذلك أن النبي ﷺ ، كان يقرأ الآية ، ثم ينسى وترفع ، وكان سعد (٢١٨) بن أبي وقاص

(٢١٧) وهي قراءة بفتح النون مع الهمزة لابن كثير وأبي عمر . [السبعة في القراءات لابن مجاهد] ١٦٨ .

(٢١٨) هو سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة . أبو إسحاق أحد العشرة وأحد من شهد بدرًا والحديبية ، روى جملة صالحة من الحديث وله في الصحيحين خمسة عشر حديثًا . توفي رضي الله عنه سنة خمس وخمسين . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٩٧/١/٣) ، حلية الأولياء (٩٢/١) ، الاستيعاب (١٧٠/٤) .

تاريخ ابن عساکر (٢/١٦/٧) ، تاريخ بغداد (١٤٤/١) .

يقرأ : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ، بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ ، فيكون تقديره أو تنسى أنت يا محمد ، وقال القاسم بن ربيعة لسعد بن أبي وقاص : فإن سعيد بن المسيب يقرأ : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ، فقال سعد : إن القرآن لم ينزل على ابن المسيب ، ولا على آل المسيب (٢١٩) قال الله تعالى : ﴿ سَتَقَرُّنَاكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ [الأعلى : ٦] ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف : ٢٤] وهذا معنى قول مجاهد وقتادة .

والثاني : أن ذلك بمعنى الترك ، من قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ، أي تركوه فتركهم ، فيكون تقدير الكلام : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ يعني نرفعها ونبدلها ، ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ أي نتركها ولا نبدلها ولا ننسخها ، وهذا قول ابن عباس والسدي .

والثالث : أن قوله ما ننسخ من آية أو ننسها قال : الناسخ والمنسوخ ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : أن معنى ننسها أي نمنحها ، وهذا قول ابن زيد .
وأما من قرأ : ﴿ أَوْ نُنْسَاهَا ﴾ فمعناه نؤخرها ، من قولهم نَسَّاتُ هذا الأمر ، إذا أخرته ، ومن ذلك قولهم : بعت بنساءً أي بتأخير ، وهذا قول عطاء وابن أبي نجيع .

﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي خير لكم في المنفعة ، وأرفق بكم ، وهذا قول ابن عباس :

والثاني : أن معنى خير منها ، أي أخف منها ، بالترخيص فيها ، وهذا معنى قول قتادة . فيكون تأويل الآية ، ما نغير من حكم آية فنبدله ، أو نتركه فلا نبدله ، نأت بخير لكم أيها المؤمنون حكماً منها ، إما بالتخفيف في العاجل ، كالذي كان من نسخ قيام الليل تخفيفاً ، وإما بالنفع بكثرة الثواب في الآجل ، كالذي كان من نسخ صيام أيام معدودات بشهر رمضان .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ مِثْلَهَا ﴾ يعني مثل حكمها ، في الخفة والثقل والثواب والأجر ، كالذي كان من نسخ استقبال بيت المقدس ، باستقبال الكعبة ، وذلك

(٢١٩) قال الحافظ في الفتح أخرجه النسائي وصححه الحاكم (١٦٧/٨ فتح) .

مثله في المشقة والثواب ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فإن قيل : أو كان النبي ﷺ غير عالم بأن الله على كل شيء قدير ، وأن الله له ملك السموات والأرض ؟
قيل : عن هذا ثلاثة أجوبة :

أحدها : أن قوله ألم تعلم بمعنى أعلمت .

والثاني : أنه خارج مخرج التقرير ، لا مخرج الاستفهام . كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ : اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ١١٦] خرج مخرج التقرير لا مخرج الاستفهام .

والثالث : أن هذا الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد به أمته ، ألا تراه قال بعد ذلك : ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ سبب نزولها ، ما روي أن نفراً من اليهود ، منهم فنحاص ، وزيد بن قيس ، دعوا حذيفة (٢٢٠) وعمار (٢٢١) إلى دينهما ، وقالوا نحن أهدي منكم سبيلاً ،

(٢٢٠) هو حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي اليماني . أبو عبد الله . من نجباء الصحابة وهو صاحب .

له في الصحيحين إثنا عشر حديثاً ، شهد هو وابنه أحداً . واستشهد أبوه خطأ في غزوة أحد . مات حذيفة بالمدائن بعد عثمان . أنظر : -

طبقات ابن سعد (٦/٣١٧/٧٢١٥) ، أسد الغابة (١/٤٦٨) ، حلية الأولياء (١/٢٧٠) .

(٢٢١) هو عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة . أبو اليقظان صحابي جليل وردت في فضله الأخبار المروية =

فقال لهم عمار : وكيف نقض العهد عندكم ؟ قالوا : شديد ، قال عمار : فياني عاهدت ربي ألا أكفر بمحمد أبداً ، ولا أتبع ديناً غير دينه ، فقالت اليهود : أما عمار فقد صباً وضل عن سواء السبيل ، فكيف أنت يا حذيفة ؟ فقال حذيفة : الله ربي ، ومحمد نبي ، والقرآن إمامي ، أطيع ربي ، وأقتدي برسولي ، وأعمل بكتاب ربي . فقالا : وإله موسى ، لقد أُشْرِبَتْ قلوبُكما حبَّ محمد ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ يعني من بعد ما تبين لليهود ، أن محمداً نبي صادق ، وأن الاسلام دين حق .

﴿ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ يعني بقوله فاعفوا ، أي اتركوا اليهود ، واصفحوا عن قولهم ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ يعني مَا أُذِنَ بِهِ فِي (بني قريظة) ، من القتل والسبي ، وفي (بني النضير) من الجلاء والنفي .

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ أما المساجد فهي مواضع العبادات ، وفي المراد بها هنا قولان :

أحدهما : ما نسب إلى التعبد من بيوت الله تعالى استعمالاً لحقيقة الاسم .

= والأحاديث المرفوعة رضي الله عنه عاش عمار ثلاثاً وتسعين سنة وقتل عمار في معركة صفين .
أنظر : -

طبقات ابن سعد (١٧٦/١/٣) ، حلية الأولياء (١٣٩/١) ، أسد الغابة (١٢٩/٤) الإصابة (٦٤/٧) .

والثاني : أَنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ مِنَ الْأَرْضِ ، أُقِيمَتْ فِيهِ عِبَادَةٌ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ وَغَيْرِهَا
مسجد ، لقول النبي ﷺ : « جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا » (٢٢٢) .

وفي المانع مساجد الله أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ، أربعة أقاويل :

أحدها : أَنَّهُ بُخِتَ نَصْرٌ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمَجُوسِ الَّذِينَ خَرَبُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ ،
وهذا قول قتادة .

والثاني : أَنَّهُمْ النَّصَارَى الَّذِينَ أَعَانُوا (بُخِتَ نَصْرٌ) عَلَى خَرَابِهِ ، وهذا قول
السدي .

والثالث : أَنَّهُمْ مُشْرِكُو قَرِيشَ ، مَنْعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَامَ
الحديبية ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ مُشْرِكٍ ، مَنْعٌ مِنْ كُلِّ مَسْجِدٍ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ تأويلان :

أحدهما : بِالْمَنْعِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِيهَا .

والثاني : بِهَدْمِهَا .

﴿ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ فِيهِ تَأْوِيلَانِ :

أحدهما : خَائِفِينَ بِأَدَاءِ الْجَزْيَةِ ، وَهَذَا قَوْلُ السَّدِيِّ .

والثاني : خَائِفِينَ مِنَ الرَّعْبِ ، إِنْ قُدِّرَ عَلَيْهِمْ عَوْقُبُوا ، وَهَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ
مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ فِيهِ تَأْوِيلَانِ :

(٢٢٢) حديث ورد عن عدد من الصحابة منهم جابر بن عبد الله وأبو هريرة وحذيفة وأبو ذر وغيرهم

وتقتصر في التخريج على رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

رواها مسلم (٦٤/٢) وأبو عوانة (٣٩٥/١) والترمذي (٢٩٣/١) وأحمد (٤١٢/٢) وقال

الترمذي حديث حسن صحيح .

أحدهما : أنه قتل الحربي وجزية الذمي .

والثاني : أنه فتح مدائنهم عمورية ، وقسطنطينية ، ورومية ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ وَلَهُمْ فِي الْأَجْرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ هو أشد من كل عذاب ، لأنهم أظلم من كل ظالم .

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويلها ، وسبب نزولها ، على سبعة أقاويل :

أحدها : أن سبب ذلك ، أن النبي ﷺ ، كان يستقبل بصلاته بيت المقدس بعد هجرته ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، حتى قالت اليهود : إن محمداً وأصحابه ، ما دروا أين قبلتهم حتى هديناهم ، فأمرهم الله تعالى باستقبال الكعبة ، فتكلمت اليهود ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن هذه الآية نزلت قبل أن يفرض استقبال القبلة ، فأباح لهم أن يتوجهوا بصلاتهم حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب ، وهذا قول قتادة وابن زيد .

والثالث : أنها نزلت في صلاة التطوع للسائر حيث توجه ، وللخائف حيث تمكن من مشرق أو مغرب ، وهذا قول ابن عمر ، روى سعيد بن جبير عنه أنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ أن تصلي أينما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعاً ، كان رسول الله ﷺ إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعاً ، يومئ برأسه نحو المدينة (٢٢٣) .

والرابع : أنها نزلت ، فيمن خفيت عليهم القبلة ، ولم يعرفوا جهتها ، فصلُّوا إلى جهات مختلفة .

(٢٢٣) رواه مسلم (١٩٥/١) وأحمد (٤٧١٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٢) والطبري (٥٠٣/٢) برقم (١٨٤٠) .

روى عاصم بن عبد الله ، عن عبد الله^(٢٢٤) بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة ، فنزلنا منزلاً ، فجعل الرجل يأخذ الأحجار ، فيعمل مسجداً يصلي فيه ، فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة ، فقلنا : يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة^(٢٢٥) ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والخامس : أنها نزلت في النجاشي ، وروى أبو قتادة^(٢٢٦) أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَخَاكُمْ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ » قالوا نصلي على رجل ليس بمسلم ، قال فنزلت : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا

(٢٢٤) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم ، أبو عمران .

مقريء الشام ، قرأ على أبي الدرداء وسمع من عثمان بن عفان مات يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومئة . أنظر : -

طبقات خليفة (٢٣٥) ، تهذيب التهذيب (١/١٥٦/٢) ، ميزان الاعتدال (٤٤٩/٢) .

(٢٢٥) رواه الترمذي (١٧٦/٢) وابن ماجه (١٦٥/١) وابن جرير الطبري (٥٣١/٢) والبيهقي في السنن (١١/٢) والدارقطني في السنن (١٠١/١) وأبو داود الطيالسي (١١٤٥) وأبو نعيم في الحلية (١٧٩/١) وزاد السيوطي في الدر (٢٦٦/١) نسبته لعبد بن حميد وابن حاتم والعقيلي وقال الترمذي هذا حديث ليس إسناده بذلك لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان وأشعث بن سعيد وأبو الربيع السمان يضعف في الحديث ، وقال الحافظ ابن كثير « قلت وشيخه أي شيخ أشعث في هذه الرواية عاصم أيضاً ضعيف » قال البخاري منكر الحديث وقال ابن معين ضعيف لا يحتج به وقال ابن حبان متروك (١٥٨/١) اهـ وقد ضعف الحديث الإمام العقيلي كما نقله السيوطي عنه في الدر المنثور (٢٦٦/١) والسيوطي نفسه في نفس المصدر والشيخ أحمد شاكر كما في تخريج الطبري (١٧٧/٢) وقد أورد له الشيخ شاكر في تخريج الترمذي (١٧٧/٢) شاهد من حديث جابر رواه الدارقطني (١٠١/١) والحاكم في المستدرک (٢٠٦/١) والبيهقي (١٠/٢ - ١١ - ١٢) وضعفه أيضاً .

وقد حسن الحديث بهذا الشاهد العلامة الألباني في الارداء (٣٢٣/١) .

تنبيه : - قول الإمام الترمذي رحمه الله لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان يوحى بأنه انفرد به وليس كذلك بل تابعه عليه عمرو بن قيس كما في رواية الطيالسي فلعن الإمام الترمذي رحمه الله لم يطلع على هذه المتابعة كما قال الشيخ أحمد شاكر .

(٢٢٦) هو أبو قتادة الأنصاري ، فارس رسول الله ﷺ شهد بدرًا والحديبية وله عدة أحاديث مات وهو ابن سبعين سنة رضي الله عنه . أنظر : -

طبقات ابن سعد (١٥/٦) ، أسد الغابة (٢٥٠/٦) ، الإصابة (٣٠٢/١١) تاريخ الاسلام (١٨٨/٢) .

أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴿ [سورة آل عمران الآية : ١٩٩] قالوا : فإنه كان لا يصلي إلى القبلة (٢٢٧)، فأنزل الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ .

والسادس : أن سبب نزولها أن الله تعالى لما أنزل قوله : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ قالوا إلى أين ؟ فنزلت : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

والسابع : أن معناه وحيثما كنتم من مشرق أو مغرب ، فلکم قبله تستقبلونها ، يعني جهة إلى الكعبة ، وهذا قول مجاهد .

ويجيء من هذا الاختلاف في قوله : ﴿ فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ تأويلان : أحدهما : معناه فثم قبله (٢٢٨) الله .

والثاني : فثم الله تعالى ، ويكون الوجه عبارة عنه ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَقْبَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

وأما ﴿ ثُمَّ ﴾ فهو لفظ يستعمل في الإشارة إلى مكان ، فإن كان قريباً قيل : (هنا زيد) ، وإن كان بعيداً قيل : (هناك زيد) .

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنُ بِلَٰهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنُۖنٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضٰى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

(٢٢٧) رواه ابن جرير (٥٣٣/٢) ونسبه السيوطي في الدر (٢٦٧/١) لابن المنذر وقال الحافظ ابن كثير (٢٩١/١) هو غريب وسياقه يدل على ضعفه ونكارتة ، وقال الشيخ أحمد شاكراً في تخريج الطبري (٥٣٣/٢) حديث ضعيف لأنه مرسل .

ملاحظة : نسبة الحديث إلى أبي قتادة الصحابي خطأ لعله من الناسخ فإن الحديث معروف من حديث قتادة وليس معروفاً من حديث أبي قتادة الصحابي فما وقع في نسخه المخطوطة خطأ وكذا ما وقع في المطبوعة .

(٢٢٨) أعلم أن طريقة السلف بوجه عام «أمروها كما نزلت» فكان يغلب عليهم التسليم مع التأويل الإجمالي أي يؤمنون بالنصوص إيماناً يليق بكمال الله وجلاله من غير تجسيم ولا تكيف مع العلم أن الشافعي وهو من رءوس السلف أول هذه الآية تأويلاً تفصيلياً فقال عن الوجه قبلته . والله تعالى أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم النصارى في قولهم : المسيح ابن الله .

والثاني : أنهم مشركو العرب في قولهم : الملائكة بنات الله .

﴿ سُبْحَانَهُ ، بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيهاً له من قولهم ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ .

قوله : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي خالق ما في السموات والأرض .

﴿ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أي مطيعون ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، ومجاهد .

والثاني : أي مقرون له بالعبودية ، وهو قول عكرمة .

والثالث : أي قائمون ، يعني يوم القيامة ، وهذا قول الربيع ، والقانت في اللغة القائم ، ومنه القنوت في الصلاة ، لأنه الدعاء في القيام .

قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يعني منشئها على غير حد ولا مثال ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه ، يقال له مبدع ، ولذلك قيل لمن خالف في الدين : مبتدع ، لإحداثه ما لم يسبق إليه ﴿ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا ﴾ أي أحكمه وحتمه ، وأصله الإحكام والفراغ ، ومنه قيل للحاكم قاض ، لفصله الأمور وإحكامه بين الخصوم ، وقيل للميت قد قُضِيَ أي فرغ من الدنيا ، قال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تُبَع (٢٢٩)

معنى قضاها أي أحكمهما . وقال الشاعر في عمر بن الخطاب :

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائج في أكمامها لم تفتق (٢٣٠)

﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فإن قيل في أي حال يقول له كن فيكون ؟

(٢٢٩) ديوانه (١٩)، تأويل مشكل القرآن (٣٤٢).

(٢٣٠) أنظر طبقات فحول الشعراء (١١١) والطبقات لابن سعد (٢٤١/٢). والأغاني (١٥٩/٩)

ومشكل القرآن (٣٤٣).

أفي حالة عدمه أم في حال وجوده ؟ فإن كان في حال عدمه ، استحال أن يأمر إلا مأموراً ، كما يستحيل أن يكون الأمر إلا من أمر ، وإن كان في حال وجوده ، فتلك حال لا يجوز أن يأمر فيها بالوجود والحدوث ، لأنه موجود حادث ؟ .

قيل : عن هذا السؤال أجوبة ثلاثة :

أحدها : أنه خبر من الله تعالى عن نفوذ أوامره في خلقه الموجود ، كما أمر في بني إسرائيل ، أن يكونوا قردة خاسئين ، ولا يكون هذا وارداً في إيجاد المعدومات .

الثاني : أن الله عز وجل عالم ، بما هو كائن قبل كونه ، فكانت الأشياء التي لم تكن وهي كائنة بعلمه ، قبل كونها مشابهة للأشياء التي هي موجودة ، فجاز أن يقول لها كوني ، ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود ، لتصير جميعها له ولعلمه بها في حال العدم .

الثالث : أن ذلك خبر من الله تعالى ، عامٌ عن جميع ما يُحدثه ، ويكوّنه ، إذا أراد خلقه وإنشاءه كان ووجد من غير أن يكون هناك قول يقوله ، وإنما هو قضاء يريده ، فعبر عنه بالقول وإن لم يكن قولاً ، كقول أبي النجم :

قد قالت الأنساع للبطن الحق قدما فأضت كالغسق المحقق (٢٣١)

ولا قول هناك ، وإنما أراد أن الظهر قد لحق بالبطن ، وكقوله عمرو بن حممة

الدوسي .

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه إذا رام تطياراً يقال له قَع (٢٣٢)

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِلُنَا ؕ آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

(٢٣١) أنظر اللسان مادة [حَقَّقَ] .

(٢٣٢) أنظر حماسة البحري (٢٠٥) ومعجم الشعراء (٢٠٩) والمعمرين (٢٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةً ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل : -

أحدها : أنهم النصارى ، وهو قول مجاهد .
والثاني : أنهم اليهود ، وهو قول ابن عباس .
والثالث : أنهم مشركو العرب ، وهو قول قتادة والسدي . وقوله : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ يعني هَلَّا يَكَلِّمُنَا اللَّهُ ، كقول الأشهب بن رملية :
تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضَوَّطَرَى لولا الكمي المقنعا (٢٣٣)
بمعنى هل لا تعدون الكمي المقنعا .

﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ فيهم قولان :
أحدهما : أنهم اليهود ، وهو قول مجاهد .
والثاني : أنهم اليهود والنصارى ، وهو قول قتادة .
قوله تعالى : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ يعني في الكفر ، وفيه وجهان :
أحدهما : تشابهت قلوب اليهود لقلوب النصارى ، وهذا قول مجاهد .
والثاني : تشابهت قلوب مشركي العرب لقلوب اليهود والنصارى ، وهذا قول قتادة .

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ يعني محمداً أرسله بدين الحق .

﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ يعني بشيراً بالجنة لمن أطاع ، ونذيراً بالنار لمن عصى .
﴿ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ أي لا تكون مؤاخذاً بكفرة من كفر بعد البشري والإنذار ، وقرأ بعض أهل المدينة : وَلَا تُسَلَّ (٢٣٤) عن أصحاب الجحيم ،

(٢٣٣) ديوان جرير (٣٣٨) والنقائض .

والبيت لجرير وليس للأشهب بن رملية أنظر تفسير الطبري (٥٥٢/٢) .

(٢٣٤) وهي قراءة نافع وحده [السبعة في القراءات ص ١٦٩] .

بفتح التاء وجزم اللام ، وذكر أن سبب نزولها ، ما رواه موسى بن عبيد عن محمد^(٢٣٥) بن كعب القرظي قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ »^(٢٣٦) ، فانزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ .

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِن هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءُؤْلَتِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ءُومَن يَكْفُرْ بِهِ ءُؤْلَتِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ فيه قولان :

(٢٣٥) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي ، أبو حمزة وأبو عبد الله .
كان من أئمة التفسير وهو تابعي عالم بالقرآن وكان ثقة عالمًا كثير الحديث ورعاً توفي رحمه الله سنة ثمان ومئة وقيل غير ذلك . أنظر : -

الجرح والتعديل (٦٧/٨) ، حلية الأولياء (٢١٢/٣) ، تاريخ الاسلام (١٩٩/٤) البداية والنهاية (٢٥٧/٩) .

(٢٣٦) رواه الطبري (٥٥٨/٢ ، ٥٥٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر المشور (٢٧١/١) لوكيع بن الجراح وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والحديث ضعفه ابن جرير في تفسير (٥٦٠/٢) والإمام السيوطي في الدر (٢٧١/١) قال : مرسل ضعيف الإسناد . اهـ .
لأن في إسناده موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف جداً قال البخاري فيه : منكر الحديث وكذا قال أبو حاتم وقال ابن معين لا يحتج بحديثه وقال أحمد بن حنبل : لا تحل الرواية عن موسى بن عبيدة وضعف الحديث الشيخ شاکر في تخريج الطبري وقال الحافظ ابن كثير (٢٩٦/١) « والحديث المروي في حياة أبويه عليه السلام ليس في شيء من الكتاب والسنة ولا غيرها وإسناده ضعيف » اهـ .

وقد ورد الحديث مرسلًا بل معضلاً من حديث داود بن عاصم رواه ابن جرير (٥٨٩/٢) وضعفه السيوطي في الدر (٢٧١/١) بقوله معضل الاسناد ضعيف لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة . اهـ .
يقصد بالحديث الذي قبله حديث محمد بن كعب القرظي السابق أقول : وهذه المسألة حدث فيها نزاع كبير بين أهل العلم وألف فيها الإمام السيوطي عدة رسائل أنظر بعضها في الحاوي للفتاوي له وأنظر كذلك مجموعة الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣٢٤/٤) .

أحدهما : أنهم المؤمنون برسول الله ﷺ ، والكتاب هو القرآن ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم علماء اليهود ، والكتاب هو التوراة ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

﴿ يَتْلُوهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يقرؤونه حق قراءة .

والثاني : يتبعونه حق اتباعه ، فيحللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، وهذا قول الجمهور .

﴿ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ يعني بمحمد ﷺ ، لأن من قرأ أحد الكتابين ، آمن به ، لِمَا فِيهِمَا مِنْ وَجُوبِ اتِّبَاعِهِ .

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ فيه محذوف وتقديره : واذكر إذا ابتلى يعني اختبر ، وإبراهيم بالسريانية أب رحيم ، وفي الكلمات التي ابتلاه الله عز وجل بها ، ثمانية أقاويل :

أحدها : هي شرائع الإسلام ، قال ابن عباس : ما ابتلى الله أحداً بهن ، فقام بها كلها ، غير إبراهيم ، ابتلى بالإسلام فآتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم : ٣٧] قال : وهي ثلاثون سهماً :

عشرة منها في سورة براءة : ﴿ النَّاسِئُونَ ، الْعَابِدُونَ ، الْحَامِدُونَ ، السَّائِحُونَ ، الرَّاكِعُونَ ، السَّاجِدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] .

وعشرة في الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ، وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ، وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ، وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ، وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ، وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥].

وعشرة في سورة « المؤمنون » : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . [المؤمنون : ١ - ١١]

وفي سورة سأل سائل من ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٣] ، إلى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ . [المعارج : ٣٤].

والقول الثاني : إنها خصال من سُنَنِ الإسلام ، خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ، فروى ابن عباس في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس . وفي الجسد تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر البول والغائط بالماء . وهذا قول قتادة .

والقول الثالث : إنها عشر خصال ، ست في الإنسان وأربع في المشاعر ، فالتى في الإنسان : حَلَقُ العانة ، والختان ، وَنَتْفُ الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والغسل يوم الجمعة . والتي في المشاعر : الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة . روى ذلك الحسن عن ابن عباس .

والقول الرابع : إن الله تعالى قال لإبراهيم : إني مبتليك يا إبراهيم ، قال : تجعلني للناس إماماً ؟ قال نعم ، قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين ، قال : تجعل البيت مثابة للناس ؟ قال : نعم ، قال : وأمناً ؟ قال : نعم ، قال : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ؟ قال : نعم ، قال : وأرنا مناسكنا وتب علينا ؟ قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد آمناً ؟ قال : نعم ،

قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن ؟ قال : نعم ، فهذه الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم ، وهذا قول مجاهد .

والخامس : أنها مناسك الحج خاصة ، وهذا قول قتادة .

والقول السادس : أنها الخلال الست : الكواكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلي بهن فصبر عليهن ، وهذا قول الحسن .

والقول السابع : ما رواه سهل بن معاذ بن أنس عن أمه قال : كان النبي ﷺ يقول : « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وقى ؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى : سبحان الله حين تُمْسُونَ وحين تُصْبِحُونَ ، وله الحمد في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحين تُظْهِرُونَ » .

والقول الثامن : ما رواه القاسم (٢٣٨) بن محمد ، عن أبي أمامة (٢٣٩) قال : قال رسول الله ﷺ : « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى » قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا وَفَّى ؟ قَالُوا : اللَّهُ

(٢٣٧) رواه الطبري (١٥/٣) وأحمد (١٥٦٨٨) والديلمي (٧٣٧٤) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (١٦٦/١) كلهم من طريق زيان بن فائد عن سهل بن معاذ عن معاذ الجهني وهذا سند ضعيف لضعف زيان بن فائد وسهل بن معاذ. قال ابن حبان في زيان : منكر الحديث جداً . ينفرد عن سهل ابن معاذ بنسخة كأنها موضوعة ، المجروحين (٣٠٩/١) وقال في سهل روى عن زيان بن فائد منكر الحديث جداً فلست أدري وقع التخليط في حديثه منه أو من زيان بن فائد فإن كان من أحدهما فالأخبار التي رواها أحدهما ساقطة وفي سنده عند الطبري رشدين بن سعد لكنه لم ينفرد به بل تابعه ابن لهيعة عند أحمد وابن أبي حاتم والحديث ضعفه الطبري نفسه (١٧/٣) والحافظ ابن كثير (٣٠٤/١) وذكره الشوكاني في فتح القدير (١١٥/٥) وضعفه بآب لنهية فقط وهذا إعلال قاصر وذمول عن العلة الحقيقية للحديث ؛ لأن ابن لهيعة لم ينفرد به كما علمت وضعفه الشيخ شاكراً في تخريج الطبري (١٥/٣) وقال : إسناده مُنْهَار لا تقوم به قائمة .

تنبيه : وقع في نسخة المخطوطة : عن سهل بن معاذ عن أمه ، وهو خطأ من الناسخ فالحديث معروف عن سهل عن أبيه فليتنبه .

(٢٣٨) هو أبو محمد عالم وقته بالمدينة ، روى عن ابن مسعود مرسلاً ، وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم . توفي رحمه الله ست ستة ومئة وقيل غير ذلك . انظر : -

طبقات ابن سعد (١٨٧/٥) ، تذكرة الحفاظ (٩٦/١) ، تاريخ الإسلام (١٨٢/٤) الحلية (١٨٣/٢) .

(٢٣٩) صاحب رسول الله ﷺ روى علماً كثيراً . هو صدي بن عجلان أبو أمامة مات سنة ست وثمانين وقيل غير ذلك . انظر : -

الإصابة (١٨٢/٢) ، أسد الغابة (١٦/٣) ، الاستيعاب (٧٣٦) البداية والنهاية (٧٣/٩) .

وَرَسُولُهُ أَكْلَمٌ ، قَالَ : وَفِي عَمَلٍ يَوْمٍ بِأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي النَّهَارِ^(٢٤٠).

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ أي مقصوداً متبوعاً ، ومنه إمام المصلين ، وهو المتبوع في الصلاة .

﴿ قال ومن ذريتي ﴾ فاحتمل ذلك وجهين :

أحدهما : أنه طمع في الإمامة لذريته ، فسأل الله تعالى ذلك لهم .

والثاني : أنه قال ذلك استخباراً عن حالهم ، هل يكونون أهل طاعة فيصيروا

أئمة ؟ فأخبره الله تعالى أن فيهم عاصياً وظالماً ، لا يستحق الإمامة ، فقال : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وفي هذا « العهد » ، سبعة تأويلات :

أحدها : أنه النبوة ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه الإمامة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنه الإيمان ، وهو قول قتادة .

والرابع : أنه الرحمة ، وهو قول عطاء .

والخامس : أنه دين الله وهو قول الضحاك .

والسادس : أنه الجزاء والثواب .

والسابع : أنه لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه ، وهو قول ابن

عباس .

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى

(٢٤٠) رواه ابن جرير في التفسير (١٦/٣) والدليمي برقم (٧٣٧٣) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (١٥٨/٤) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦٦٠/٧) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه والشيرازي في الألقاب كلهم من حديث جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة، وهذا استدضعف لضعف جعفر بن الزبير الحنفي، وهو ضعيف جداً حتى قال أبو حاتم روى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مائة حديث. وفيه أيضاً القاسم بن عبد الرحمن طعن فيه ابن حبان وحمل عليه أحمد كما في الميزان (٣٧٣/٣) والحديث ضعفه الطبري (١٧/٣) وابن كثير (١٦٧/١) والسيوطي في الدر (٦٦٠/٧) والشوكاني في الفتح (١١/٥) والشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري (١٦/٣).

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : مجمعاً لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة .

والثاني : مرجعاً من قولهم قد ثابت العلة إذا رجعت . وقال الشاعر :

مثاباً لأفناء القبائل كلها تحب إليها العملات الدوام (٢٤١)

وفي رجوعهم إليه وجهان :

أحدهما : أنهم يرجعون إليه المرة بعد المرة .

والثاني : أنهم في كل واحد من نُسْكَيِ الحج والعمرة يرجعون إليه من حل

إلى حرم : لأن الجمع في كل واحد من النسكين بين الحل والحرم شرط مستحق .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لأنه في الجاهلية من مغازي العرب ، لقوله : ﴿ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ

خوفٍ ﴾ . [قريش : ٤] .

والثاني : لأن الجنة فيه من إقامة الحدود عليهم حتى يخرجوا منه .

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ روى حماد (٢٤٢) ، عن أنس بن مالك

قال : قال عمر بن الخطاب : قلت يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم

مصلًى (٢٤٣) ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ بكسر الخاء

(٢٤١) شعر أبي طالب في وصف الكعبة أنظر : اللسان مادة (ثوب) ، الشافعي في الأم (١٢٠ / ٢)

لكن نسبه لورقة بن نوفل . وفي الطبري (٢٦ / ٣) .

(٢٤٢) هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة ، الإمام ، القدوة ، النحوي . كان مع إمامته في السنة

إماماً كبيراً في العربية ، فقيهاً فصيحاً مات رحمه الله في ذي الحجة سنة سبع وستين ومئة أنظر : -

طبقات ابن سعد (٢٨٢ / ٧) ، العبر (٢٤٨ / ١) ، حلية الأولياء (٢٤٩ / ٦) تذكرة الحفاظ

(٢٠٢ / ١) .

(٢٤٣) رواه البخاري (١٢٨ / ٨) وأحمد في المسند برقم (١٥٧ ، ١٦ ، ٢٥٠) والترمذي برقم

(٢٩٦٢) وقال حسن صحيح وابن ماجه (٣٢٢ / ١) برقم (١٠٠٩) وأبو نعيم في الحلية (٤٢ / ١٠)

والطبري بنفس سياق المؤلف برقم (١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧) . والدارمي (٤٤ / ٢) وابن حبان

(٢٢ / ٩) وابن أبي داود في المصاحف (ص ٩٨) . وزاد السيوطي نسبته في الدر (٨٩ / ١ - ٩٠)

لليبهقي في سنته ولسعید بن منصور والعدني وابن المنذر والنسائي وابن مردويه والدارقطني في

الافراد والطحاوي كلهم من حديث أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

من قوله واتخذوا على وجه الأمر ، وقرأ بعض^(٢٤٤) أهل المدينة : ﴿ وَاتَّخَذُوا ﴾ بفتح الخاء على وجه الخبر .

واختلف أهل التفسير في هذا المقام ، الذي أُمرُوا باتخاذهِ مصلى ، على أربعة أقاويل :

أحدها : الحج كله ، وهذا قول ابن عباس .
والثاني : أنه عرفة ومزدلفة والجمار ، وهو قول عطاء والشعبي .
والثالث : أنه الحرم كله ، وهو قول مجاهد .
والرابع : أنه الحجر الذي في المسجد ، وهو مقامه المعروف ، وهذا أصح .

وفي قوله : ﴿ مُصَلًّى ﴾ تأويلان :

أحدهما : مَدْعَى يَدْعِي فيه ، وهو قول مجاهد .
والثاني : أنه مصلى يصلي عنده ، وهو قول قتادة ، وهو أظهر التأويلين .

وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً
لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ فيه تأويلان :
أحدهما : أي أَمَرْنَا .

(٢٤٤) وهي قراءته لنافع وابن عامر [السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٧٠] .

والثاني : أي أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل .

﴿ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من الأصنام .

والثاني : من الكفار .

والثالث : من الأنجاس .

وقوله تعالى : ﴿ بَيْتِي ﴾ يريد البيت الحرام .

فإن قيل : فلم يكن على عهد إبراهيم ، قبل بناء البيت بيت يطهر ، قيل :

عن هذا جوابان :

أحدهما : معناه وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن آبينا بيتي مُطَهَّرًا ، وهذا

قول السدي :

والثاني : معناه أن طهرا مكان البيت .

﴿ لِلطَّائِفِينَ ﴾ فيهم تأويلان :

أحدهما : أنهم الغرباء الذين يأتون البيت من غربة ، وهذا قول سعيد بن

جبير .

والثاني : أنهم الذين يطوفون بالبيت ، وهذا قول عطاء .

﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ فيهم أربعة تأويلات :

أحدها : أنهم أهل البلد الحرام ، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة .

والثاني : أنهم المعتكفون وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنهم المصلون وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنهم المجاورون للبيت الحرام بغير طواف ، وغير اعتكاف ، ولا

صلاة ، وهذا قول عطاء .

﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ يريد أهل الصلاة ، لأنها تجمع ركوعاً وسجوداً .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ يعني مكة

﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ ليجمع لأهله الأمن والخصب ، فيكونوا في رغد من

العيش .

﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن هذا من قول إبراهيم متصلاً بسؤاله ، أن يجعله بلداً آمناً ، وأن يرزق أهله الذين آمنوا به من الثمرات ، لأن الله تعالى قد أعلمه بقوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ أن فيهم ظالماً هو بالعقاب أحق من الثواب ، فلم يسأل أهل المعاصي سؤال أهل الطاعات .

والوجه الثاني : أنه سؤاله كان عاماً مرسلأ ، وأن الله تعالى خص الإجابة لمن آمن منهم بالله واليوم الآخر ، ثم استأنف الإخبار عن حال الكافرين ، بأن قال : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ﴾ يعني في الدنيا .

﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ يعني بذنوبه إن مات على كفره .

واختلفوا في مكة ، هل صارت حرماً آمناً بسؤال إبراهيم أو كانت نيه كذلك ؟ على قولين :

أحدهما : أنها لم تنزل حرماً من الجبابة والمسلطين ، ومن الخسوف والزلازل ، وإنما سأل إبراهيم ربه : أن يجعله آمناً من الجذب والقحط ، وأن يرزق أهله من الثمرات ، لرواية سعيد بن المقبري ، قال : سمعت أبا شريح الخزاعي يقول : إن رسول الله ﷺ لما افتتح مكة ، قتلت خزاعة رجلاً من هذيل ، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا أَوْ يُعْضِدُ بِهَا شَجَرًا ، وَأَنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ غَضَبًا عَلَىٰ أَهْلِهَا ، أَلَا وَهِيَ قَدْ رَجَعَتْ عَلَىٰ حَالِهَا بِالْأَمْسِ ، أَلَا لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ . فَمَنْ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قَتَلَ بِهَا فَقُولُوا : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحِلَّهَا لَكَ » (٢٤٥) .

والثاني : أن مكة كانت حلالاً قبل دعوة إبراهيم ، كسائر البلاد ، وأنها

(٢٤٥) رواه ابن جرير الطبري (٤٥/٣) وابن إسحق مطولاً (٥٧/٤ - ٥٨) السيرة وأحمد برقم (١٦٤٤٨) من طريق ابن اسحق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزاعي رواه البخاري (١٧٦/١ - ١٧٧) (٣٩ - ٣٥/٤) ومسلم (٣٨٣/١ - ٣٨٤) وأحمد (١٦٤٤٤) كلهم من طريق الليث بن سعيد عن سعيد به .

بدعوته صارت حراماً آمناً ، وبتحريمه لها ، كما صارت المدينة بتحريم رسول الله ﷺ حراماً ، بعد أن كانت حلالاً ، لرواية أشعث ، عن نافع ، عن ابن عمر (٢٤٦) ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ وَخَلِيلَهُ ، وَإِنِّي عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا عَصَاهَا وَصَيْدُهَا ، لَا يُحْمَلُ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ ، وَلَا يُقَطَّعُ مِنْهَا شَجَرٌ لَعَلْفٍ » .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ أول من دله الله تعالى على مكان البيت إبراهيم ، وهو أول من بناه مع إسماعيل ، وأول من حجه ، وإنما كانوا قَبْلُ يصلون نحوه ، ولا يعرفون مكانه .

والقواعد من البيت واحدها قاعدة ، وهي كالأساس لما فوقها .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ والمعنى : يقولان ربنا تقبل منا ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي يقولون سلام عليكم ، وهي كذلك في قراءة أبي بن كعب : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ . وتفسير « إسماعيل » : إسمع يا الله ، لأن إيل بالسريانية هو الله ، لأن إبراهيم لما دعا ربه قال : اسمع يا إيل ، فلما أجابه ورزقه بما دعا من الولد ، سَمَى بما دعا .

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ﴾ على التثنية ، وقرأ عوف

(٢٤٦) وقول المؤلف : لرواية أشعث عن نافع عن ابن عمر ... أن رسول الله ﷺ قال : ... الخ فيه نظر :

أولاً : هذا الحديث معروف من رواية أشعث عن نافع عن أبي هريرة فالحديث حديث أبي هريرة وليس ابن عمر، فقد رواه من حديث أبي هريرة ابن جرير الطبري في التفسير (٤٨/٣) وهذه الرواية ضعيفة لأن في سندها أشعث بن سوار الكندي صاحب التواييت قاضي الأهواز . قال الحافظ عنه في التقريب ضعيف وقال الحافظ ابن كثير وهذه الطريقة غريبة وقال الشيخ مقلب الوادعي في تخريج ابن كثير (٣٠٣/١) ذلك أنه تفرد به أشعث بن سوار وهو ضعيف فهي تُعَدُّ منكراً . اهـ .

ثانياً : وأظنه خطأ من الناسخ فقوله برواية أشعث ... خطأ والصحيح أنه أشعث وهو ابن سوار كما سبق وقد وقع هذا الخطأ أيضاً في المطبوعة .

والحديث وإن كان غريباً من هذه الطريق إلا أن معناه ثابت وصحيح من وجه آخر عن أبي هريرة كما رواه مسلم (٣٧٨/١) وهو في الموطأ (ص ٨٨٥) عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة .

الأعرابي : ﴿ مُسْلِمِينَ لَكَ ﴾ على الجمع . ويقال : أنه لم يدع نبي إلا لنفسه ولأُمته إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأُمته لهذه الأمة في قوله : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ ﴾ والمسلم هو الذي استسلم لأمر الله وخضع له ، وهو في الدين القابل لأوامر الله سرّاً وجهرّاً .

﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أي عرفنا مناسكنا ، وفيها تأويلان :

أحدهما : أنها مناسك الحج ومعالمه ، وهذا قول قتادة والسدي .

والثاني : أنها مناسك الذبائح التي تنسك لله عز وجل ، وهذا قول مجاهد وعطاء .

والمناسك جمع منسك ، واختلفوا في تسميته منسكاً على وجهين :

أحدهما : لأنه معتاد ويتردد الناس إليه في الحج والعمرة ، من قولهم إن لفلان منسكاً ، إذا كان له موضع معتاد لخير أو شر ، فسميت بذلك مناسك الحج لاعتيادها .

والثاني : أن النسك عبادة الله تعالى ، ولذلك سُمِّي الزاهد ناسكاً لعبادة ربه ، فسميت هذه مناسك لأنها عبادات .

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ ﴾ يعني في هذه الأمة ﴿ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ يعني محمداً ﷺ ، وقيل في قراءة أبي بن كعب ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِي آخِرِهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ .

وقد رَوَى خالد^(٢٤٧) بن معدان : أن نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا :

(٢٤٧) هو خالد بن معدان بن أبي كرب ، أبو عبد الله ، هو معدود في أئمة الفقه . قال ابن سعد : أجمعوا على أنه مات رحمه الله سنة ثلاث ومئة . انظر : -

الحلية (٢١٠/٥) ، طبقات ابن سعد (٤٥٥/٧) ، البداية والنهاية (٢٣٠/٩) .

يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ، قال : « نَعَمْ ، أَنَا دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشِّرِي عِيسَى » (٢٤٨).

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يقرأ عليهم حجبتك .

والثاني : يبين لهم دينك .

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يعني القرآن .

﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ فيها تأويلان :

أحدهما : أنها السنة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها المعرفة بالدين ، والفقه فيه ، والاتباع له ، وهو قول ابن زيد .

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه يطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان .

والثاني : يزكّيهم بدينه إذا اتبعوه فيكونون به عند الله أزكّياء .

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ
الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ فيه ثلاثة

تأويلات :

(٢٤٨) رواه ابن إسحاق في السيرة في قصة مطولة (١٧٥/١) وابن جرير في التفسير (٨٢/٣) وفي التاريخ مطولاً (١٣٠/٢) والحاكم في المستدرک (٦٠٠/٢) كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان أن نفر . . . الحديث قال الحاكم رحمه الله : خالد بن معدان من خيار التابعين صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة . فإذا أسند حديثاً إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد وإن لم يخرجاه ووافقه الذهبي على تصحيح الحديث وهذا متعقب فإن في إسناد الحديث عند الحاكم أحمد بن عبد الجبار العطاردي وقال الحافظ في التقريب ضعيف (١٩/١) وأما =

أحدها : أن ذلك سَفَهَ نفسه ، أي فَعَلَ بها من السفه ما صار به سفيهاً ، وهذا قول الأخفش .

والثاني : أنها بمعنى سفه في نفسه ، فحذف حرف الجر كما حذف من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعَزُّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾ أي عَلَى عَقْدَةِ النِّكَاحِ ، وهذا قول الزجاج .

والثالث : أنها بمعنى أهلك نفسه وأَوْبَقَهَا ، وهذا قول أبي عبيدة .

قال المبرد وثعلب : سَفِهَ بكسر الفاء يتعدى ، وسَفُهَ بضم الفاء لا يتعدى .
﴿ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي اخترناه ، ولفظه مشتق من الصفوة ، فيكون المعنى : اخترناه في الدنيا للرسالة .

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ لنفسه في إنجائها من الهلكة .

قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ ﴾ الهاء كناية ترجع إلى الملة لَتَقْدُمُ قوله : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ووصى أبلغ من أوصى ، لأن أوصى يجوز أن يكون قاله مرة واحدة ، وَوَصَّى لا يكون إلا مراراً . ﴿ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾ والمعنى أن إبراهيم وصَّى ، ثم وَصَّى بعده يعقوبُ بَيْنِهِ ، فقالا جميعاً : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾ يعني اختار لكم الدين ، أي الإسلام ، ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فإن قيل : كيف يُنْهَوْنَ عن الموت وليس من فعلهم ، وإنما يُمَاتُونَ ؟ قيل : هذا في سعة اللغة مفهوم المعنى ، لأن النهي تَوَجَّهَ إلى مفارقة الإسلام ، لا إلى الموت ، ومعناه : الزموا الإسلام ولا تفارقوه إلى الموت .

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا

= عن عنترة ابن إسحاق فقد صرح بالتحديث عند الحاكم . قال الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري (٨٢/٣) هذا الإسناد مرسل .

وَنَجِدَا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا
 كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى
 تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا : كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ يعني أن اليهود
 قالوا : كونوا هوداً تهتدوا ، وقالت النصارى : كونوا نصارى تهتدوا ، فرد الله تعالى
 ذلك عليهم ، فقال : ﴿ قُلْ : بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ وفي الكلام حذف ، يحتمل
 وجهين :

أحدهما : أن المحذوف بل نتبع ملة إبراهيم ، ولذلك جاء به منصوباً .

والثاني : أن المحذوف بل نهتدي بملة إبراهيم ، فلما حذف حرف الجر ،
 صار منصوباً ، والملة : الدين ، مأخوذ من الإملاء ، أي ما يُملون من كتبهم .

وأما الحنيف ، ففيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه المخلص ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه المتبع ، وهو قول مجاهد .

والثالث : الحاج ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والرابع : المستقيم .

وفي أصل الحنيف في اللغة وجهان :

أحدهما : الميل ، والمعنى أن إبراهيم حنَفَ إلى دين الله ، وهو الإسلام
 فسمي حنيفاً ، وقيل للرجل أحنَفَ لميل كل واحدة من قدميه إلى أختها .

والوجه الثاني : أن أصله الاستقامة ، فَسُمِّيَ دين إبراهيم « الحنيفية »
 لاستقامته وقيل للرجل أحنف ، تطيراً من الميل وتفاوتاً بالاستقامة ، كما قيل لِلدَّبِغِ
 سليم ، ولِلْمُهْلِكَةِ من الأرض مفازة .

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ
أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ فإن قيل : فهل
للإيمان مثل لا يكون إيماناً ؟ قيل معنى الكلام : فإن آمنوا مثل إيمانكم ، وصدقوا
مثل تصديقكم فقد اهتدوا ، وهذا هو معنى القراءة وإن خالف المصحف .

﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ يعني في مشاقة وعداوة ، وأصل الشَّقَاقِ
البُعْدُ ، من قولهم قد أخذ فلان في شِقِّ ، وفلان في شِقِّ آخر ، إذا تباعدوا .
وكذلك قيل للخارج عن الجماعة ، قد شَقَّ عصا المسلمين لبُعْدِهِ عنهم .

قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه دين الله ، وهذا قول قتادة .
وسبب ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم (٢٤٩) في ماء لهم ، ويقولون
هذا تطهير لهم كالختان ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بأن قال : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ أي
صبغة الله أحسن صبغة ، وهي الإسلام (٢٥٠) .

والثاني : أن صبغة الله ، هي خلقة الله ، وهذا قول مجاهد .
فإن كانت الصبغة هي الدين ، فإنما سُمِّيَ الدين صبغة ، لظهوره على
صاحبه ، كظهور الصَّبْغِ عَلَى الثوبِ ، وإن كانت هي الخلقة فلاحداثه كإحداث
اللون على الثوب .

(٢٤٩) وهذه من عادات النصارى التي يزعمون أنها من دينهم وتسمى التعميد حيث يُعْمَدُونَ أطفالهم بعد
سبعة أيام من ولادتهم في حوض به ماء زعماً منهم أنهم بذلك صاروا نصارى وكل هذا كفر وضلال
والعياذ بالله .

(٢٥٠) قال الحافظ : صبغة بالنصب وهو مصدر انتصب عن قوله ونحن له مسلمون على الأرجح وقيل
منصوب على الأفراد أي الزموا وكان لفظ صبغة ورد بطريق المشاكلة لأن النصارى كانوا يغمسون من
ولد منهم في ماء معمودية يزعمون أنهم يطهرونهم بذلك فقيل للمسلمين الزموا صبغة الله فإنها أظهر
(١٦١/٨) الفتح .

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ يعني قالوا : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ﴾ وهم اثنا عشر سبطاً من ولد يعقوب ، والسَّبْطُ الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد ، والسَّبْطُ في اللغة : الشجر الذي يرجع بعضه إلى بعض ﴿ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ : أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ يعني اليهود تزعم أن هؤلاء كانوا هوداً ، والنصارى تزعم أنهم كانوا نصارى ، فرد الله عليهم بأن الله تعالى أعلم بهم منكم ، يعني بأنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى .

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من كتمان الشهادة ، والارتشاء عليها من أغنيائهم وسفائهم .

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدَهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ إِيمَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ السفهاء : واحده سفيه ، والسفيه : الخفيف الحلم ، من قولهم ثوب سفيه إذا كان خفيف النسيج ، ورمح سفيه إذا أسرع نفوذه .

وفي المراد بالسفهاء هَا هُنَا ثلاثة أقاويل :

أحدها : اليهود ، وهو قول مجاهد^(٢٥١).

والثاني : المنافقون ، وهو قول السدي .

والثالث : كفار قريش وحكاه الزجاج .

﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ يعني ما صرفهم عن قبلتهم التي

كانوا عليها ، وهي بيت المقدس ، حيث كان يستقبلها رسول الله ﷺ بمكة ، بعد

هجرته إلى المدينة ب ستة عشر أو سبعة عشر شهراً في رواية البراء بن عازب^(٢٥٢) ،

وفي رواية معاذ^(٢٥٣) بن جبل : ثلاثة عشر شهراً ، وفي رواية أنس^(٢٥٤) بن مالك

تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ثم نُسِخَتْ قِبْلَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ باستقبال الكعبة ،

ورسول الله ﷺ بالمدينة في صلاة الظهر وقد صلى منها ركعتين نحو بيت

المقدس ، فانصرف بوجهه إلى الكعبة ، هذا قول أنس بن مالك ، وقال البراء بن

عازب : كنا في صلاة العصر بقاء ، فمر رجل على أهل المسجد وهم ركوع في

الثانية ، فقال : أشهد لقد صَلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ قِبْلَ مَكَّةَ ، فداروا كما هم قِبْلَ

البيت ، وَقَبْلَ كل شيء : مَا قَابِلَ وَجْهَهُ .

(٢٥١) رواه ابن جرير برقم (٢١٤٣) وورد عن ابن عباس والبراء مثله قال الحافظ في الفتح والأسانيد

عنهم صحيحة رواها الطبري (١٧١/٨ فتح) .

قلت : رواية ابن عباس برقم (٢١٤٧) ورواية البراء برقم (٢١٤٥) ولكن إسناد ابن عباس فيه

انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس وقد قيل إن بينهما سعيد بن جبير فإن كان كذلك فالسند

متصل صحيح على أن هذه الرواية رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ارتضاها البخاري في

صحيحه فشحن بها كتاب التفسير وابن أبي حاتم وغيرها اهـ .

(٢٥٢) رواها البخاري (١٣٢/٨) ومسلم (١٤٨/١) وابن جرير (١٣٣/٤) وصححها الشيخ شاکر

ونسبها السيوطي في الدر (٣٤٢/١) للترمذي والنسائي وابن حبان والبيهقي وابن سعد وابن أبي

شيبة وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه .

قلت : ورواها ابن ماجه (١٠ - ١) وفيها أن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت ثمانية عشر شهراً

وصححها البوصيري في الزوائد .

(٢٥٣) رواها الطبري بنفس رواية المؤلف مختصرة (١٣٦/٤ برقم ٢١٥٦) وأبو داود مطولة (٥٠٧)

وأحمد مطولة أيضاً وفيها سبعة عشر شهراً (٢٤٦/٥ ، ٢٤٧) وأبو داود الطيالسي وفيها نصلي سبعة

عشر شهراً والحديث منقطع الإسناد لأن ابن أبي ليلى لم يسمع من معاذ . راجع الفتح (٨٩/١ -

٩٠) لتقف على طريقة الجمع بين الروايات الواردة في ذلك .

(٢٥٤) أخرجه الطبري (١٣٥/٤) برقم (٢١٥٥) وصححها الشيخ أحمد شاکر في تخريج الطبري .

واختلف أهل العلم في استقبال رسول الله ﷺ بيت المقدس ، هل كان برأيه واجتهاده ، أو كان عن أمر الله تعالى لقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾ ، وهذا قول ابن عباس وابن جريج .

والقول الثاني : أنه كان يستقبلها برأيه واجتهاده ، وهذا قول الحسن ، وعكرمة ، وأبي العالية ، والربيع .

واختلفوا في سبب اختياره بيت المقدس على قولين :

أحدهما : أنه اختار بيت المقدس ليتألف أهل الكتاب ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

والثاني : لأن العرب كانت تحج البيت غير آلفة لبيت المقدس ، فأحب الله أن يمتحنهم بغير ما ألفوه ، ليعلم من يتبع ممن ينقلب على عَقْبَيْهِ ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج ، فلما استقبل رسول الله ﷺ الكعبة ، قال ابن عباس (٢٥٥) : أتى رفاعه بن قيس وكعب بن الأشرف والربيع وكنانة بن أبي الحُقَيْقِ ، فقالوا لرسول الله ﷺ : ما ولّاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها ، نتبعك ونصدقك . وإنما يريدون فتنه عن دينه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؟ قُلْ : لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يعني حيثما أمر الله تعالى باستقباله من مشرق أو مغرب ، والصراط : الطريق : والمستقيم : المستوي .

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني خياراً ، من قولهم فلان وسط الحَسَبِ في قومه ، إذا أرادوا بذلك الرفيع في حسبه ، ومنه قول زهير :

(٢٥٥) رواها ابن إسحق في السيرة (١٩٨/٢ - ١٩٩) ومن طريقه ابن جرير الطبري في التفسير (١٣٢/٣) برقم (٢١٤٩) وزاد السيوطي في الدر (٣٢٤/١) نسبته لابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل . والحديث في سننه محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت قال الذهبي لا يعرف وترجم له البخاري في التاريخ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ووثقه ابن حبان .

هُم وَسَطٌ يَرْضَى إِلَٰهَهُمْ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمٍ (٢٥٦)
والثاني : أن الوسط من التوسط في الأمور ، لأن المسلمين تَوَسَّطُوا في الدين ، فلا هم أهل غلو فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه ، كاليهود الذين بدَّلُوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذَّبوا على ربهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم وسط ، لأن أحب الأمور إليه أوسطها .

والثالث : يريد بالوسط : عدلاً ، لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان ، وقد روى أبو سعيد الخدري (٢٥٧) ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي عدلاً .

﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : لتشهدوا على أهل الكتاب ، بتبليغ الرسول إليهم رسالة ربهم .

والثاني : لتشهدوا على الأمم السالفة ، بتبليغ أنبيائهم إليهم رسالة ربهم ، وهذا مروي عن النبي ﷺ (٢٥٨) ، أن الأمم السالفة تقول لهم : كيف تشهدون علينا ولم تشاهدونا ، فيقولون أَعْلَمْنَا نَبِيَّ اللَّهِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ .

والثالث : أن معنى قوله : ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي لتكونوا مُحْتَجِّينَ عَلَى الْأُمَمِ كُلِّهَا ، فعبّر عن الاحتجاج بالشهادة ، وهذا قول حكاه الزجاج .

(٢٥٦) ديوانه (٢٧/٢) مع اختلاف في الشطر الأول من البيت ففيه :

لي حلال يعصم الناس أمرهم

(٢٥٧) جاء مختصراً ومطولاً فرواه بهذا الاختصار الذي في رواية المؤلف ابن جرير (١٤٣/٤) برقم (٢١٦٥ - ٢١٦٦ - ٢١٦٧) ومطولاً برقم (٢١٧٩ - ٢١٨٠) وأحمد في المسند (١١٠٨٤) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (٣١٦/٦) المجمع، والبخاري (٢٦٤/٦ فتح) وابن ماجه في الزهد (٣٤/٣) والترمذي (٣) : تفسير سورة البقرة وقال حسن صحيح والنسائي في التفسير كما في تحفة الأشراف (٣٤٦/٣) وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٣٤٨/١) لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن حبان والإسماعيلي في صحيحه والحاكم وصححه ونقل السيوطي في الدر تصحيح النسائي للحديث . قلت : وهو عند ابن حبان (١٧٩/٣) .

تنبيه : - وقع في رواية الطبري وغيره عدولاً بدلاً من عدلاً قال الشيخ شاكراً : ولعل ما هنا من تحريف الناسخين لأن الأجود صيغة الإفراد . . الخ (١٤٣/٤) تخريج الطبري .

(٢٥٨) تقدم هذا الحديث وتقدم تخريجه قريباً من حديث أبي سعيد الخدري مطولاً ومختصراً .

﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يكون الرسول شهيداً على أمته أن قد بلغ إليهم رسالة ربه .

والثاني : أن معنى ذلك أن يكون شهيداً لهم بإيمانهم ، وتكون (عليهم) بمعنى (لهم) .

والثالث : أن معنى قوله : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ أي مُحْتَجّاً .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ أي بيت المقدس ، ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ فإن قيل : الله أعلم بالأشياء قبل كونها ، فكيف جعل تحويل القبلة طريقاً إلى علمه ؟ قيل : في قوله : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : يعني إلا ليعلم رسولي ، وحزبي ، وأوليائي ؛ لأن من شأن العرب إضافة ما فعله أتباع الرئيس إليه ، كما قالوا : فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وجبي خراجها .

والثاني : أن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى : إلا لنرى ، والعرب قد تضع العلم مكان الرؤية ، والرؤية مكان العلم ، كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل : ١] يعني : ألم تعلم .

والثالث : قوله تعالى : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى إلا لتعلموا أننا نعلم ، فإن المنافقين كانوا في شك من علم الله بالأشياء قبل كونها .

والرابع : أن قوله : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى إلا لنميز أهل اليقين من أهل الشك ، وهذا قول ابن عباس .

قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾ بمعنى فيما أمر به من استقبال الكعبة ﴿ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ بمعنى : ممن يَرْتَدُّ عن دينه ، لأن المرتد راجع مُنْقَلِبٌ عما كان عليه ، فشبهه بالْمُنْقَلِبِ على عقبيه ، لأن القبلة لما حُوِّلَتْ ارْتَدَّ من المسلمين قَوْمٌ ، وناق قوم ، وقالت اليهود : إن محمداً قد اشتاق إلى بلد أبيه ، وقالت قريش : إن محمداً قد علم أننا على هدى وسَيِّئَابِعُنَا .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه وإن التولية عن بيت المقدس إلى الكعبة والتحويل إليها لكبيرة ، وهذا هو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : إن الكبيرة هي القبلة بعينها التي كان رسول الله ﷺ يتوجه إليها من بيت المقدس قبل التحويل ، وهذا قول أبي العالية الرياحي .

والثالث : أن الكبيرة هي الصلاة ، التي كانوا صَلَّوْهَا إلى القبلة الأولى ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ، فسمى الصلاة إيمانا لاشتمالها على نية وقول وعمل ، وسبب ذلك أن المسلمين لما حُوِّلُوا عن استقبال بيت المقدس إلى الكعبة ، قالوا لرسول الله ﷺ (٢٥٩) : كيف من مات من إخواننا ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ .

فإن قيل : هم سألوه عن صلاة غيرهم ، فأجابهم بحال صلاتهم ؟ قيل : لأن القوم أشفقوا ، أن تكون صلاتهم إلى بيت المقدس مُحْبَطَةً لَمَنْ مات ومن بقي ، فأجابهم بما دَلَّ على الأمرين ، على أنه قد روى قوم أنهم قالوا : كيف تضيع صلاتنا إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى ذلك . ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الرأفة : أشد من الرحمة ، وقال أبو عمر عمرو بن العلاء : الرأفة أكثر من الرحمة .

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ

(٢٥٩) تقدم في رواية البراء بن عازب رضي الله عنه ونزید هنا أن الموضوع الذي ذكر فيه سبب نزول هذه الآية في البخاري (١٧١/٨١) وقال الحافظ ابن كثير (٣٣٣/١) رواه الترمذي عن ابن عباس وصححه اهـ .

أقول : ورواه أحمد في مسنده برقم (٣٢٤٩) وابن جرير بإسنادين عن ابن عباس (١٦٧/٤) برقم (٢٢١٩) صحح أحدهما الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري وزاد السيوطي نسبته في الدر (٣٤٣/١) لسوكيع والفريابي والطيلاسي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه .

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ هذه الآية متقدمة في
النزول على قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ .
وفي قوله : ﴿ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه : تحول وجهك نحو السماء ، وهذا قول الطبري .

والثاني : معناه : تقلب عينيك في النظر إلى السماء ، وهذا قول الزجاج .

﴿ فَلَنُؤَلِّقَنَّ قَبْلَهُ تَرْضَاهَا ﴾ يعني الكعبة كان رسول الله ﷺ يرضاها ويختارها
ويسأل [ربه] (*) أن يُحوَّل إليها .

واختلف في سبب اختياره لذلك على قولين :

أحدهما : مخالفة اليهود وكراهة لموافقتهم ، لأنهم قالوا : تتبع قبلتنا وتخالفنا
في ديننا ؟ وبه قال مجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أنه اختارها ، لأنها كانت قبله أبيه إبراهيم ، وبه قال ابن عباس .

فإن قيل : أكان رسول الله ﷺ غير راض ببيت المقدس أن يكون له قبله ،
حتى قال تعالى له في الكعبة ﴿ فَلَنُؤَلِّقَنَّ قَبْلَهُ تَرْضَاهَا ﴾ ؟ قيل : لا يجوز أن يكون
رسول الله غير راض ببيت المقدس ، لما أمره الله تعالى به ، لأن الأنبياء يجب
عليهم الرضا بأوامر الله تعالى ، لكن معنى ترضاها : أي تحبها وتهواها ، وإنما
أحبها مع ما ذكرنا من القولين الأولين ، لما فيها من تآلف قومه وإسراعهم إلى
إجابته ، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ تَرْضَاهَا ﴾ محمولاً على الحقيقة بمعنى :
ترضى ما يحدث عنها من التأليف ، وسرعة الإجابة ، ثم قال تعالى مجيباً لرغبته
وأمرأً بطلبيته : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أي حَوَّل وجهك في
الصلاة ، شطر المسجد الحرام أي : نحو المسجد الحرام ، كما قال الهذلي .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ يُخَامِرُهَا فَشَطَرُهَا نَفَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورٌ (٢٦٠)
أي نحوها ، والشطر من الأضداد ، يقال : شطر إلى كذا إذا أقبل نحوه ،
وشطر عن كذا إذا بَعُدَ منه وأعرض عنه ، وشَطَرُ الشيء : نصفه ، فأما الشاطر من
الرجال فلأنه قد أخذ في نحو غير الإستواء .

قوله تعالى : ﴿ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ يعني به الكعبة ، لأنها فيه فعبر به عنها .
واختلف أهل العلم في المكان ، الذي أمر رسول الله ﷺ أن يولي وجهه إليه :
فقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ﴿ فَلَنُؤَلِّيكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ قال : حيال
ميزاب الكعبة .

وقال عبد الله بن عباس : البيت كله ، وقبلة البيت الباب .
ثم قال تعالى : ﴿ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ يعني نحو المسجد
الحرام أيضاً تأكيداً للأمر الأول لأن عمومه يقتضيه ، لكن أراد بالتأكيد احتمال
التخصيص ، ثم جعل الأمر الأول مواجهاً به النبي ﷺ ، والثاني مواجهاً به جميع
الناس ، فكلا الأمرين عام في النبي ﷺ وجميع أمته ، لكن غاير بين الأمرين ليمنع
من تغيير الأمر في المأمور به ، وليكون كل واحد منهما جارياً على عمومه .
ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يعني اليهود والنصارى .
﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ يعني تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى
الكعبة .

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ من الخوض في إفتان المسلمين عن دينهم
بذلك .

وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتِيعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ
قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ

قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾
يعني استقبال الكعبة .

﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ يعني استقبال بيت المقدس ، بعد أن حُوِّلَتْ
قِبْلَتُكَ إِلَى الْكَعْبَةِ .

﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ يعني أن اليهود لا تتبع النصراني في
القبلة ، فهم فيها مختلفون ، وإن كانوا على معاندة النبي ﷺ متفقين .

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ يعني في القبلة .

﴿ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ يعني في تحويلها عن بيت المقدس إلى
الكعبة .

﴿ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وليس يجوز أن يفعل النبي ما يصير به ظالماً .

وفي هذا الخطاب وجهان :

أحدهما : أن هذه صفة تنفي عن النبي ، وإنما أراد بذلك بيان حكمها لو
كانت .

والوجه الثاني : أن هذا خطاب للنبي والمراد به أمته .

الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يعني اليهود والنصارى ، أوتوا
التوراة ، والإنجيل .

﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعرفون أن تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة حق كما
يعرفون أبناءهم .

والثاني : يعرفون الرسول وصدق رسالته كما يعرفون أبناءهم .

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ ﴾ يعني علماءهم وخواصهم .

﴿ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الحق هو استقبال الكعبة .

والثاني : أن الحق محمد ﷺ ، وهذا قول مجاهد وقتادة .

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعلمون أنه حق متبوع .

والثاني : يعلمون ما عليه من العقاب المستحق .

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ يعني استقبال الكعبة ، لا ما أخبرتك به شهود من

قبلتهم .

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أي من الشاكين ، يقال : امترى فلان في كذا

إذا اعترضه اليقين مرةً ، والشك أخرى ، فدافع أحدهما بالآخر .

فإن قيل : أفكان شاكاً حين نهى عنه ؟ قيل : هذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ

فالمراد به غيره من أمته .

وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيْهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيْهَا ﴾ يعني ولكل أهل ملة من سائر

الملل وجهة هو مواليها . وفيه قولان :

أحدهما : قبله يستقبلونها ، وهو قول ابن عباس وعطاء والسدي .

والثاني : يعني صلاة يصلونها ، وهو قول قتادة .

وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ مُوَلِّيْهَا ﴾ قولان :

أحدهما : أن أهل كل وجهة هم الذين يَتَوَلَّوْنَهَا ويستقبلونها .

والثاني : أن أهل كل وجهة الله تعالى هو الذي يوليهم إليها وبأمرهم

باستقبالها ، وقد قرئ^(٢٦١) ﴿هُوَ مَوْلَاهَا﴾ وهذا حسن يدل على الثاني من القولين .

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه فسارعوا إلى الأعمال الصالحة ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والثاني : معناه : لا تغلبوا على قبلتكم بما تقول اليهود من أنكم إذا اتبعتم قبلتهم اتبعوكم ، وهذا قول قتادة .

﴿ ... يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾ إلى الله مرجعكم جميعاً ، يعني يوم القيامة .
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يعني على إعادتكم إليه أحياء بعد الموت والبلوى .

وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ
حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

ثم أكد الله أمره في استقبال الكعبة ، لما جرى من خوض المشركين ومساعدة المنافقين ، بإعادته فقال : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ تبيناً لنبيه وصرفاً له عن الاغترار بقول اليهود : أنهم يتبعونه إن عاد .

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يقول ذلك ترغيباً لهم في الخير(*) .

(٢٦١) وهي بفتح اللام قراءة ابن عامر وحده [السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٧٢] .

(*) وفي نسخة أخرى للمخطوطة « الجزء » بدلاً من الخير ومعناها واحد .

والثاني : تحذيراً من المخالفة .

ثم أعاد الله تعالى تأكيد أمره ، ليخرج من قلوبهم ما استعظموه من تحويلهم إلى غير ما ألقوه ، فقال : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ فأفاد كل واحد من الأوامر الثلاثة مع استوائها في التزام الحكم فائدة مستجده :

أما الأمر الأول فمفيد لنسخ غيره ، وأما الأمر الثاني فمفيد لأجل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أنه لا يتعقبه نسخ .

وأما الأمر الثالث فمفيد أن لا حجة عليهم فيه ، لقوله : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ ليس يريد أن لهم عليكم حجة . وفيه قولان :

أحدهما : أن المعنى ، ولكن الذين ظلموا قد يحتجون عليكم بأباطيل الحجج ، وقد ينطلق اسم الحجة على ما بطل منها ، لإقامتها في التعلق بها مقام الصحيح حتى يظهر فسادها لمن علم ، مع خفائها على من جهل ، كما قال تعالى : ﴿ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ فَسَمَّاهَا حجة ، وجعلها عند الله دَاحِضَةً .

والقول الثاني : أن المعنى لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ بعد الذين ظلموا ، فتكون (إلّا) بمعنى (بعد) ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] أي بعدما قد سلف . وكما قيل في قوله تعالى : ﴿ لَا يَدُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ [الدخان : ٥٦] أي بعد الموتة الأولى . وأراد بالذين ظلموا قريشاً واليهود ، لقول قريش حين استقبال الكعبة : قد علم أننا على هُدًى ، ولقول اليهود : إن رَجَعَ عنها تابعناه .

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ في المخالفة ﴿ وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ يحتمل

وجهين :

أحدهما : فيما هديناكم إليه من القبلة .

والثاني : ما أعدته لكم من ثواب الطاعة .

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ يعني من العرب ﴿ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا ﴾ يعني القرآن .

﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني يطهركم من الشرك .

والثاني : أن يأمركم بما تصيرون به عند الله أزكيا .

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : القرآن .

والثاني : الإخبار بما في الكتب السالفة من أخبار القرون الخالية .

﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ فيها تأويلان :

أحدهما : السنة .

والثاني : مواظب القرآن .

﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ يعني من أحكام الدين وأمور الدنيا .

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : اذكروني بالشكر أذكركم بالنعمة .

والثاني : اذكروني بالقبول أذكركم بالجزاء .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ أما الصبر

ها هنا ففيه قولان :

أحدهما : الثبات على أوامر الله تعالى .

والثاني : الصيام المقصود به وجه الله تعالى .

وأما الاستعانة بالصلاة فتحتمل وجهين :

أحدهما : الاستعانة بشوايها .

والثاني : الاستعانة بما يُتلى في الصلاة ليعرف به فضل الطاعة فيكون عوناً

على امتثال الأوامر .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا

تَشْعُرُونَ ﴾ وسبب ذلك أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأحد : مات فلان ، ومات

فلان ، فنزلت الآية وفيها تأويلان :

أحدهما : أنهم ليسوا أمواتاً وإن كانت أجسامهم أجسام الموتى بل هم عند

الله أحياء النفوس منعمو الأجسام .

والثاني : أنهم ليسوا بالضلال أمواتاً بل هم بالطاعة والهدى أحياء ، كما قال

تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] فجعل الضال ميتاً ، والمُهْتَدِي حياً .

ويحتمل تأويلاً ثالثاً : أنهم ليسوا أمواتاً بانقطاع الذكر عند الله وثبوت الأجر .

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ يعني أهل مكة ، لما تقدم من دعاء النبي ﷺ

أن يجعلها عليهم سنين كسني يوسف حين قحطوا سبع سنين ، فقال الله تعالى

مجيباً لدعاء نبيه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ الخوف يعني الفرع

في القتال ، والجوع يعني المجاعة بالجذب .

﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : نقصها بالجوائح المتلفة .

والثاني : زيادة النفقة في الجذب .

﴿ وَالْأَنْفُسِ ﴾ يعني ونقص الأنفس بالقتل والموت . ﴿ وَالشَّمَرَاتِ ﴾ قلة النبات وارتفاع البركات .

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : وبشر الصابرين على الجهاد بالنصر .

والثاني : وبشر الصابرين على الطاعة بالجزاء .

والثالث : وبشر الصابرين على المصائب بالثواب ، وهو أشبه لقوله من بعد :

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ يعني : إذا أصابتهم مصيبة في نفس أو أهل أو مال قالوا : إنا لله : أي نفوسنا وأهلونا وأموالنا لله ، لا يظلمنا فيما يصنعه بنا ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ يعني بالبعث في ثواب المحسن ومعاقبة المسيء .

ثم قال تعالى في هؤلاء : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ الصلاة اسم مشترك المعنى فهي من الله تعالى الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن الناس الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ . وقال الشاعر :

صَلَّى عَلَى يَحْيَى وَأَشْيَاعَهُ رَبُّ كَرِيمٍ وَشَفِيعَ مَطَاعٍ

قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أي رحمة ، وذكر ذلك بلفظ الجمع لأن بعضها يتلو بعضاً .

ثم قال : ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ فأعادها مع اختلافها للفظين لأنه أؤكد وأبلغ كما قال : ﴿ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ وجهان محتملان :

أحدهما : المهتدون إلى تسهيل المصائب وتخفيف الحزن .

والثاني : المهتدون إلى استحقاق الثواب وإجزال الأجر .

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨)

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أما الصفا والمروة فهما مبتدأ السعي ومنتهاه . وفيه قولان :

أحدهما : أن الصفا : الحجارة البيض ، والمروة الحجارة السود . واشتقاق الصفا من قولهم صفا يصفو إذا خلص ، وهو جمع واحده صفاة .

والثاني : أن الصفا : الحجارة الصلبة التي لا تنبت شيئاً ، والمروة الحجارة الرخوة ، وهذا أظهر القولين في اللغة . يدل على الصفا قول الطرماح :

أبت لي قوتي والطول إلا يؤيس حافراً أبداً صفاتي (٢٦٢)
ويدل على المروة قول الكميت :

ويؤلي الأرض خفاً ذابلاً فإذا ما صادف المرو رضح (٢٦٣)

وحكي عن جعفر بن محمد قال : نزل آدم على الصفا ، وحواء على المروة ، فسمي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة .

وقيل إن اسم الصفا ذكر بإساف وهو صنم كان عليه مذكر الاسم ، واثنت المروة بنائلة وهو صنم كان عليه مؤنث الاسم .

وفي قوله : ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ وجهان :

أحدهما : يعني من معالم الله التي جعلها لعباده معلماً ، ومنه قول الكميت :

نقتلهم جيلاً فجيلاً تراهم شعائر قربان بها يتقرب (٢٦٤)

(٢٦٢) ديوان الطرماح (١٣٤) وفيه :

أبي لي ذو القوى والطول ألا يؤيس حافز أبداً صفاتي

وقد نقله الطبري (٢٢٤/٣) هكذا ومنه تعلم أن الشطر الأول من البيت مخالف تماماً لما في الديوان .

(٢٦٣) ديوانه (١٦١) وفيه :

تولي الأرض خفاً مجمرأ بدلاً من : يولي الأرض خفاً ذابلاً .

(٢٦٤) الهاشميات (٢١) واللسان مادة شعَر

والثاني : إن الشعائر جمع شعيرة وهو الخبر الذي أخبر الله تعالى عنه ، وهي من إشعار الله عباده أمر الصفا والمروة وما عليهم من الطواف بهما ، وهذا قول مجاهد .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ ﴾ أما الحج ففيه قولان : أحدهما : أنه القصد ، سمي به النسك لأن البيت مقصود فيه ، ومنه قول الشاعر :

وأشهد من عوف حلولاً كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفر^(٢٦٥)

يعني بقوله يحجون أي يكثررون التردد إليه لسؤدده ورياسته ، فسمي الحج حجاً لأن الحاج يأتي قِبَلَ البيت ثم يعود إليه لطواف الإفاضة ، ثم ينصرف إلى منى ويعود إليه لطواف الصدر ، فلتكرر العود إليه مرة بعد أخرى قيل له : حَجَّ . وأما العمرة ففيها قولان :

أحدهما : أنها القصد أيضاً ، وكل قاصد لشيء فهو معتمر ، قال العجاج :

لقد غزا ابن معمر حين اعتمر مَغْزًى بعيداً من بعيد وصَبْر^(٢٦٦)

يعني بقوله حين اعتمر أي حين قصد .

والقول الثاني : أنها الزيارة ومنه قول الشاعر :

وجاشت النفس لما جاء فلهم وراكب جاء من (تثليث) معتمر^(٢٦٧)

أي زائراً .

ثم قال تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ورفع الجناح من أحكام المباحث دون الواجبات .

(٢٦٥) إصلاح المنطق (٤١١) ، البيان والتبيين (٩٧/٣) ، الاشتقاق لابن دريد (٧٧ ، ١٥٦) ، واللسان

مادة [سَبَب - حَجَج - فَهَر - زَبَرَق] .

(٢٦٦) ديوانه (١٩) وفيه :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر فغزى بعيداً من بعيد وخبر

وهكذا أوردته الطبري في التفسير (٢٢٩/٣) .

(٢٦٧) البيت للأعشى ، انظر اللسان مادة (عَمَر) .

فذهب أبو حنيفة إلى أن السعي بين الصفا والمروة غير واجب في الحج والعمرة منسكاً بأمرين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ورفع الجناح من أحكام المباحات دون الواجبات .
والثاني : أن ابن عباس وابن مسعود قرء : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

وذهب الشافعي ، ومالك ، وفقهاء الحرمين ، إلى وجوب السعي في النسكين تمسكاً بفحوى الخطاب ونص السنة ، وليس في قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ دليل على إباحته دون وجوبه ، لخروجه على سبب ، وهو أن الصفا كان عليه في الجاهلية صنم اسمه إساف ، وعلى المروة صنم اسمه نائلة ، فكانت الجاهلية إذا سعت بين الصفا والمروة طافوا حول الصفا والمروة تعظيماً لإساف ونائلة ، فلما جاء الإسلام وألغيت الأصنام تكرر المسلمون أن يوافقوا الجاهلية في الطواف حول الصفا والمروة ، مجانبين لما كانوا عليه من تعظيم إساف ونائلة ، فأباح الله تعالى ذلك لهم في الإسلام لاختلاف القصد فقال : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

وأما قراءة ابن مسعود ، وابن عباس : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ، فلا حجة فيها على سقوط فرض السعي بينهما لأن (لا) صلة في الكلام إذا تقدمها جحد ، كقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجِدَ إِذْ أُمِرْتُكَ ﴾ [الأعراف : ١٢] بمعنى ما منعك أن تسجد ، وكما قال الشاعر^(٢٦٨) :

ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر
﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ومن تطوع بالسعي بين الصفا والمروة ، وهذا قول من أسقط وجوب السعي .

والثاني : ومن تطوع بالزيادة على الواجب ، وهذا قول من أوجب السعي .

والثالث : ومن تطوع بالحج والعمرة بعد أداء فرضهما .

(٢٦٨) الشاعر هو جرير والبيت في ديوانه (ص :

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ يحتمل تأويلين :

أحدهما : شاكر للعمل عليم بالقصد .

والثاني : شاكر للقليل عليم بالثواب .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا ۖ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا ﴾ قيل : هم رؤساء اليهود ، كعب بن الأشرف ، وكعب بن أسد ، وابن صوريا ، وزيد بن التابوت ، هم الذين كتموا ما أنزل الله .

﴿ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن البينات هي الحجج الدالة على نبوة محمد ﷺ ، والهدى : الأمر باتباعه .

والثاني : أن البينات والهدى واحد ، والجمع بينهما تأكيد ، وذلك ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه (٢٦٩) .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ يعني القرآن .

﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ فيهم أربعة أقوال :

أحدها : أنهم كل شيء في الأرض من حيوان وجماد إلا الثقلين الإنس والجن ، وهذا قول ابن عباس والبراء بن عازب .

(٢٦٩) قال الإمام ابن جرير رحمه الله : وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس فإنها معني بها كل كاتم علماً فرض الله تعالى بيانه للناس (٢٥١/٣) .

والثاني : اللاعنون : الإثنان إذا تلاعنا لحقت اللعنة مستحقها منهما ، فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت اللعنة على اليهود ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : أنهم البهائم ، إذا ييست الأرض قالت البهائم هذا من أجل عُصاة بني آدم ، وهذا قول مجاهد وعكرمة .

والرابع : أنهم المؤمنون من الإنس والجن ، والملائكة يلعنون مَنْ كَفَرَ بالله واليوم الآخر ، وهذا قول الربيع بن أنس .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ يعني بالإسلام من كفرهم ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إصلاح سرائرهم وأعمالهم .

والثاني : أصلحوا قومهم بإرشادهم إلى الإسلام ﴿ وَبَيَّنُّوا ﴾ يعني ما في التوراة من نبوة محمد ﷺ ووجوب اتباعه ﴿ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ والتوبة من العباد : الرجوع عن الذنب ، والتوبة من الله تعالى : قبولها من عباده .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ وإنما شرط الموت على الكفر لأن حُكْمَهُ يستقر بالموت عليه ويرتفع بالتوبة منه . ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ واللعنة من العباد : الطرد ، ومن الله تعالى : العذاب . ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ﴾ وقرأ الحسن البصري : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ ﴾ بالرفع ، وتأويلها : أولئك جزاؤهم أن يلعنهم الله وتلعنهم الملائكة ويلعنهم الناس أجمعون .

فإن قيل : فليس يلعنهم جميع الناس لأن قومهم لا يلعنونهم ، قيل : عن هذا جوابان :

أحدهما : أن اللعنة من أكثر الناس يطلق عليها لعنة جميع الناس ، فغلب حكم الأكثر على الأقل .

والثاني : أن المراد به يوم القيامة يلعنهم قومهم مع جميع الناس كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [العنكبوت : ٢٥] . ثم قال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا يخفف بالتقليل والاستراحة .

والثاني : لا يخفف بالصبر عليه والاحتمال له .

﴿ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يؤخرون عنه ولا يمهلون .

والثاني : لا ينظر الله عز وجل إليهم فيرحمهم .

وَاللَّهُ كُتِّمٌ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ كُتِّمٌ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ أراد بذلك أمرين :

أحدهما : أن إله جميع الخلق واحد ، لا كما ذهبت إليه عبدة الأصنام من العرب وغيرهم أن لكل قوم إلهاً غير إله من سواهم .

والثاني : أن الإله وإن كان إلهاً لجميع الخلق فهو واحد لا ثاني له ولا مثل له . ثم أكد ذلك بقوله تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، ثم وصف فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ترغيباً في عبادته وحثاً على طاعته .

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

ثم دل على ما ذكرهم من وحدانيته وقدرته ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ :

فآية السماء : ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة .

وآية الأرض : بحارها ، وأنهارها ، ومعادنها ، وشجرها ، وسهلها ، وجبلها .

وآية الليل والنهار : اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر ، فيقبل الليل من

حيث لا يعلم ، ويدبر النهار إلى حيث لا يعلم ، فهذا اختلافهما .
 ثم قال : ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ الفلك : السفن ،
 الواحد والجمع بلفظ واحد ، وقد يذكر ويؤنث . والآية فيها : من وجهين :
 أحدهما : استقلالها بحملها .
 والثاني : بلوغها إلى مقصدها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ ﴾ يعني به المطر المنزل
 منها ، يأتي غالباً عند الحاجة ، وينقطع عند الاستغناء عنه ، وذلك من آياته . ثم
 قال تعالى : ﴿ فَأَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وإحيائها بذلك قد يكون من وجهين :
 أحدهما : ما تجري به أنهارها وعيونها .

والثاني : ما ينبت به من أشجارها وزروعها ، وكلا هذين سبب لحياة الخلق
 من ناطق وئهم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ يعني جميع الحيوان الذي أنشأه
 فيها ، سماه (دابة) لدبيبه عليها ، والآية فيها مع ظهور القدرة على إنشائها من
 ثلاثة أوجه :

أحدها : تباین خلقها .
 والثاني : اختلاف معانيها .
 والثالث : إلهامها وجوه مصالحها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتَضَرِّيفِ الرِّيَّاحِ ﴾ والآية فيها من وجهين :
 أحدهما : اختلاف هبوبها في انتقال الشمال جنوبها ، والصبا دبوراً ، فلا يعلم
 لانتقالها سبب ، ولا لانصرافها جهة .

والثاني : ما جعله في اختلافها من إنعام ينفع ، وانتقام يؤدي .
 وقد روى سعيد بن جبیر عن شريح قال : ما هاجت ريح قط إلا لسقم صحيح
 أو لشفاء سقيم والرياح جمع ريح وأصلها أرواح . وحكى أبو معاذ أنه كان في مصحف
 حفصة : ﴿ وَتَضَرِّيفِ الْأَرْوَاحِ ﴾ .

وقال ابن عباس : سميت الرياح لأنها تريح ساعة بعد ساعة . قال ذو الرمة :

إذا هبت الأرواح من نحو جانب به آل مَيِّ هاج شوقي هبوبها
ثم قال تعالى : ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ المسخر :
المذل ، والآية فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : ابتداء نشوئه وانتهاء تلاشيه .

والثاني : ثبوته بين السماء والأرض من غير عَمَد ولا علائق .

والثالث : تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله عز وجل .

وهذه الآية قد جمعت من آياته الدالة على وحدانيته وقدرته ما صار لذوي
العقول مرشداً وإلى الحق قائداً . فلم يقتصر الله بنا على مجرد الإخبار حتى قرنه
بالنظر والاعتبار .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا
وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا
الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوَ أَنَّا لَنَآكِرَةٌ
فَنَتَّبِعَ آمَنَهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ
وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

ثم أخبر أن مع هذه الآيات الباهرة لذوي العقول ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾ والأنداد الأمثال ، واحدها ند ، والمراد به الأصنام التي كانوا
يتخذونها آلهة يعبدونها كعبادة الله تعالى مع عجزها عن قدرة الله في آياته الدالة
على وحدانيته .

ثم قال تعالى : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ يعني أنهم مع عجز الأصنام
يحبونهم كحب الله مع قدرته .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ يعني من حب أهل الأوثان لأوثانهم ، ومعناه
أن المخلصين لله تعالى هم المحبون حقاً .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أن الذين اتبعوا هم السادة والرؤساء تبرؤوا ممن اتبعهم على الكفر ، وهذا قول عطاء .

والثاني : أنهم الشياطين تبرؤوا من الإنس ، وهذا قول السدي .

﴿ وَرَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ يعني به المتبوعين والتابعين . وفي رؤيتهم للعذاب

وجهان محتملان :

أحدهما : تيقنهم له عند المعاينة في الدنيا .

والثاني : أن الأمر بعذابهم عند العرض والمساءلة في الآخرة .

﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الأسباب تواصلهم في الدنيا ، وهو قول مجاهد وقتادة .

والثاني : المنازل التي كانت لهم في الدنيا ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنها الأرحام ، وهو رواية ابن جريج عن ابن عباس .

والرابع : أنها الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا ، وهو قول السدي .

والخامس : أنها العهود والحلف الذي كان بينهم في الدنيا .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا ﴾ يريد بذلك أن

الأتباع قالوا للمتبوعين لو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا فتبرأ منكم فيها كما تبرأتم منا في الآخرة .

﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ يريد المتبوعين والأتباع ،

والحسرة شدة الندامة على محزون فائت .

وفي ﴿ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ وجهان :

أحدهما : برهم الذي حبط بكفرهم ، لأن الكافر لا يثاب مع كفره .

والثاني : ما نقصت به أعمارهم في أعمال المعاصي أن لا تكون مصروفة

إلى طاعة الله .

﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ يريد به أمرين :

أحدهما : فوات الرجعة .

والثاني : خلودهم في النار .

يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ
مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ قيل إنها
نزلت في ثقيف وخزاعة وبني مدلج فيما حرموه على أنفسهم من الأنعام والزرع ،
فأباح لهم الله تعالى أكله وجعله لهم حلالاً طيباً .

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ وهي جمع خطوة ، واختلف أهل التفسير
في المراد بها على أربعة أقاويل :

أحدها : أن خطوات الشيطان أعماله ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنها خطاياها وهو قول مجاهد .

والثالث : أنها طاعته ، وهو قول السدي .

والرابع : أنها النذور في المعاصي .

﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي ظاهر العداوة .

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ قال السدي : السوء في هذا الموضع

معاصي الله ، سميت سوءاً لأنها تسوء صاحبها بسوء عواقبها .

وفي الفحشاء ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : الزنى .

والثاني : المعاصي .

والثالث : كل ما فيه الحد ، سمي بذلك لفحش فعله وقبح مسموعه .

﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن تحرموا على أنفسكم ما لم يحرمه الله عليكم .

والثاني : أن تجعلوا له شريكاً .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
 آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ يعني في تحليل ما حرموه من الأنعام
 والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ يعني
 في تحريم ذلك عليهم .

قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً
 وَنِدَاءً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن مثل الكافر فيما يوعظ به مثل البهيمة التي ينق بها تسمع
 الصوت ولا تفهم معناه ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : مثل الكافر في دعاء آلهته التي يعبدوها من دون الله كمثلي راعي
 البهيمة يسمع صوتها ولا يفهمه ، وهذا قول ابن زيد .

﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي صم عن الوعظ فلا يسمعون ، بك
 عن الحق فلا يذكرونه ، عمي عن الرشد فلا يبصرونه فهم لا يعقلونه ، لأنهم إذا لم
 يعملوا بما يسمعون ويقولونه ويبصرونه كانوا بمثابة من فقد السمع والنطق والبصر .
 والعرب تقول لمن سمع ما لا يعمل به : أصم . قال الشاعر :

أَصُمُّ عَمَّا سَاءَ سَمِيعُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ
 إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا
 أُهْلَ بِهِ ۖ لِغَيْرِ اللَّهِ ثُمَّ نَاضُطَّرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾ أخبر الله تعالى بما حرم بعد

قوله : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ليدل على تخصيص التحريم من عموم الإباحة ، فقال : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ وهو ما فات روحه بغير ذكاة .
﴿ وَالْدَّمَ ﴾ هو الجاري من الحيوان بذبح أو جرح .

﴿ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : التحريم مقصور على لحمه دون غيره اقتصاراً على النص ، وهذا قول داود بن علي .

والثاني : أن التحريم عام في جملة الخنزير ، والنص على اللحم تنبيه على جميعه لأنه معظمه ، وهذا قول الجمهور .

﴿ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾ يعني بقوله : ﴿ أَهْلٌ ﴾ أي ذبح وإنما سمي الذبح إهلاً لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قربوه لآلهتهم ذكروا عنده اسم آلهتهم وجهروا به أصواتهم ، فسمي كل ذابح جَهر بالتسمية أو لم يجهر مُهلاً ، كما سمي الإحرام إهلاً لرفع أصواتهم عنده بالتلبية حتى صار إسماً له وإن لم يرفع عنده صوت .
وفي قوله تعالى : ﴿ لغيرِ اللَّهِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : ما ذبح لغير الله من الأصنام وهذا قول مجاهد وقتادة .

والثاني : ما ذكر عليه اسم غير الله ، وهو قول عطاء والربيع .

﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ اضطر افتعل من الضرورة ، وفيه قولان :

أحدهما : معناه : فمن أكره على أكله فلا إثم عليه ، وهو قول مجاهد .

والثاني : فمن احتاج إلى أكله لضرورة دعت من خوف على نفس فلا إثم عليه ، وهو قول الجمهور .

وفي قوله : ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم ، فيدخل الباغي على الإمام وأمته والعادي : قاطع الطريق ، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير .

والثاني : غير باغ في أكله فوق حاجته ولا عاد يعني متعدياً بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو قول قتادة ، والحسن ، وعكرمة ، والربيع ، وابن زيد .

والثالث : غير باغ في أكلها شهوة وتلذذاً ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ، وهو قول السدي . وأصل البغي في اللغة : قصد الفساد يقال بغت المرأة تبغي بغاءً إذا فجرت . وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور : ٣٣] وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد ، والعرب تقول خرج الرجل في بغاءٍ إبلٍ له ، أي في طلبها ، ومنه قول الشاعر :

لا يمنعك من بغا ء الخير تعقأد التمام
إن الأشائم كالأيام من ، والأيامن كالأشائم

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ يعني علماء اليهود كتموا ما أنزل الله عز وجل في التوراة من صفة محمد ﷺ وصحة رسالته . ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ يعني قبول الرشا على كتم رسالته وتغيير صفته ، وسماه قليلاً لانقطاع مدته وسوء عاقبته . وقيل : لأن ما كانوا يأخذون من الرشا كان قليلاً .

﴿ أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يريد أنه حرام يعذبهم الله عليه بالنار فصار ما يأكلون ناراً ،

فسماه في الحال بما يصير إليه في ثاني الحال ، كما قال الشاعر :

وأم سمالك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدهما : معناه يغضب عليهم ، من قولهم : فلان لا يكلم فلاناً إذا غضب عليه .

والثاني : لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية .

والثالث : معناه لا يسمعهم كلامه (٢٧٠) .

﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني لا يصلح أعمالهم الخبيثة .

والثاني : لا يثني عليهم ، ومن لا يثني الله عليه فهو معذب ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي مؤلم موجه .

قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ﴾ يعني من تقدم ذكره من علماء اليهود اشتروا الكفر بالإيمان ﴿ وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ يعني النار بالجنة .

﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : معناه ما أجراًهم على النار ، وهذا قول أبي صالح

والثاني : فما أصبرهم على عمل يؤدي بهم إلى النار .

والثالث : معناه فما أبقاهم على النار ، من قولهم : ما أصبر فلاناً على الحبس ، أي ما أبقاها فيه .

والرابع : بمعنى أي شيء صبرهم على النار ؟

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

(٢٧٠) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله (٣/ ٣٣٠) وأما قوله ولا يكلمهم الله يوم القيامة يقول : ولا يكلمهم بما يحبون ويشتهون فأما بما يسوؤهم ويكرهون فإنه سيكلمهم لأنه قد أخبر تعالى ذكره أنه يقول لهم إذا قالوا ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ قال : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ الآيتين سورة المؤمنون ١٠٧ ، ١٠٨ .

الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾
الآية ، فيها قولان :

أحدهما : أن معناها ليس البر الصلاة وحدها ، ولكن البر الإيمان مع أداء
الفرائض التي فرضها الله ، وهذا بعد الهجرة إلى المدينة واستقرار الفروض
والحدود ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أن المعنى بذلك اليهود والنصارى ، لأن اليهود تتوجه إلى
المغرب ، والنصارى تتوجه إلى المشرق في الصلاة ، ويرون ذلك هو البر ،
فأخبرهم الله عز وجل ، أنه ليس هذا وحده هو البر ، حتى يؤمنوا بالله ورسوله ،
يفعلوا ما ذَكَرَ ، وهذا قول قتادة ، والربيع .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه ولكن ذا البر من آمن بالله .

والثاني : معناه ولكن البرُّ برُّ مَنْ آمَنَ بالله ، يعني الإقرار بوحدانيته وتصديق
رسله ، حكاها الزَّجَّاجُ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ يعني التصديق بالبعث والجزاء .

﴿ وَالْمَلَأْنِكَةَ ﴾ يعني فيما أمروا به ، مِنْ كَتَبِ الْأَعْمَالِ ، وتولي الجزاء .

﴿ وَالْكِتَابِ ﴾ يعني القرآن ، وما تضمنه من استقبال الكعبة ، وأن لا قبله

سواها .

﴿ وَالنَّبِيِّنَ ﴾ يعني التصديق بجميع الأنبياء ، وأن لا يؤمنوا ببعضهم ويكفروا

ببعض . ﴿ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ يعني على حب المال . قال ابن مسعود : أن

يكون صحيحاً صحيحاً يطيل الأمل ويخشى الفقر . وكان الشعبي يروي عن فاطمة

بنت قيس أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ فِي الْمَالِ حَقّاً سِوَى الزَّكَاةِ » (٢٧١) وتلا هذه الآية

(٢٧١) رواه الترمذي (٢٢/٢) وابن جرير (٣٤٣/٣) برقم ٢٥٢٧ ، ٣٥٣٠) والدارمي (٣٨٥/١) وابن =

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾ إلى آخرها ، فذهب الشعبي والسدي إلى إيجاب ذلك لهذا الخبر ، وروي عن النبي ﷺ أنه سئل : أي الصدقة أفضل ؟ قال : « جُهْدٌ عَلَى ذِي الْقَرَابَةِ الْكَاشِحِ » (٢٧٢) .

وذهب الجمهور إلى أن ليس في المال حق سوى الزكاة وأن ذلك محمول عليها أو على التطوع المختار .

وقوله تعالى : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ يريد قرابة الرجل من طرفيه من قبل أبويه ، فإن كان ذلك محمولاً على الزكاة ، روعي فيهم شرطان : أحدهما : الفقر .

والثاني : سقوط النفقة . وإن كان ذلك محمولاً على التطوع لم يعبر واحد منهما ، وجاز مع الغنى والفقر ، ووجوب النفقة وسقوطها ، لأن فيهم مع الغنى صلة رحم مبرور .

= ماجه (١٧٨٩) والبيهقي في السنن (٨٤/٤) وضعفه الترمذي بقوله : هذا حديث ليس إسناده بذلك . ا . هـ .

ففي سننه أبو حمزة ميمون الأعور جَرَّحَهُ أحمد وابن معين وغيرهما وَضَعَفَ الحديث البيهقي أيضاً وابن حجر في التلخيص (١٧٧) وقال : هذا حديث مضطرب السند وَضَعَفَهُ السيوطي في الجامع (٤٧٢/٢) الفيض .

ونقل المناوي في الفيض (٣٧٥/٥) عن النووي تضعيفه وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٦٧/٢ ، ٦٢/٥) ونقله الحافظ ابن كثير في التفسير (٢٠٦/١) من رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه .

تنبيه : - وقع في رواية ابن ماجه ليس في المال حق سوى الزكاة وقد تكلم على هذه الرواية العلامة أحمد شاكر في تفسير الطبري (٣٤٤/٣) فراجع كلامه هناك فقد وضح أنها خطأ ونقل عن الإمام البيهقي أنه لم يحفظ لها إسناداً .

(٢٧٢) أورده الطبري هكذا معلقاً بدون إسناد (٣٤٤/٣) وقد وردت أحاديث بمعناه ذكر الهيثمي منها الكثير (١١٦/٣) فنقتصر منها على رواية أم كلثوم رضي الله عنها وهي بلفظ « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح » رواها الحاكم في المستدرک (٤٠٦/١) وعنه البيهقي في السنن (٢٧٠/٧) وابن خزيمة (٢/ ٢٤٣/١) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وكذا المنذري (٣٣/٢) الترغيب . وقال الهيثمي (١١٦/٣) رواه الطبراني في الكبير رجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في الإرواء (٤٠٥/٣) وزاد الحافظ ابن حجر نسبته في تخريج الكشاف (ص ١٣) لعبد الرزاق .

﴿وَالْيَتَامَى﴾ وهم من اجتمع فيهم شرطان : الصغر وفقد الأب ، وفي اعتبار الفقر فيهم قولان كالقراءة .

﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ وهم من عُدِمَ قدرُ الكفاية وفي اعتبار إسلامهم قولان(*) :
﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هم فقراء المسافرين ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وهم الذين ألجأهم الفقر إلى السؤال .

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ وفيهم قولان :

أحدهما : أنهم عبيد يعتقون ، وهو قول الشافعي رحمه الله .
والثاني : أنهم مُكَاتَبُونَ يعاونون في كتابتهم بما يعتقون ، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة .

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ يعني إلى الكعبة على شروطها وفي أوقاتها .

﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ يعني إلى مستحقها عند وجوبها .

﴿وَالْمُؤَفَّقُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ وذلك من وجهين :

أحدهما : النذور التي بينه وبين الله تعالى .

والثاني : العقود التي بينه وبين الناس ، وكلاهما يجب عليه الوفاء به .

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ قال ابن مسعود : البأساء الفقر ،

والضراء السقم .

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي القتال .

وفي هذا كله قولان :

أحدهما : أنه مخصص في الأنبياء عليهم السلام لأنه لا يقدر على القيام بهذا

كله على شروطه غيرهم .

والثاني : أنه عام ، في الناس كلهم لإرسال الكلام وعموم الخطاب .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَّقُوا﴾ فيه وجهان :

(*) أي قول بأن المسكين الذي يتصدق عليه ينبغي أن يكون مسلماً والقول الثاني أن إسلامه ليس شرطاً وأن الذي يعطي

أحدهما : طابقت نياتهم لأعمالهم .

والثاني : صدقت أقوالهم لأفعالهم .

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن تخالف سرائرهم لعلانيتهم .

والثاني : أن يحمدهم الناس بما ليس فيهم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ
ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾
معنى قوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾ أي فرض عليكم ، ومنه قول نابغة بني جعدة :

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني
عنكم فهل أمنعن الله ما فعلا^(٢٧٣)
وقول عمر بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغنائات جر الذبول^(٢٧٤)

والقصاص : مقابلة الفعل بمثله مأخوذ من قص الأثر .

ثم قال تعالى : ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ ﴾ فاختلف أهل التأويل في ذلك على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم من العرب كانوا أعزة أقوياء لا يقتلون بالعبد منهم إلا سيداً وبالمراة منهم إلا رجلاً ، استطالة بالقوة وإدلالاً بالعزة ، فنزلت هذه الآية فيهم ، وهذا قول الشافعى ، وقتادة .

والثاني : أنها نزلت في فريقين كان بينهما على عهد رسول الله ﷺ قتال ،

(٢٧٣) انظر اللسان مادة [كتب] والمقاييس لابن فارس (١٥٩/٥).

(٢٧٤) ديوان عمر (ص ٤٢١) والأغانى (٩/ ٢٢٩).

فقتل من الفريقين جماعة من رجال ونساء وعبيد فنزلت هذه الآية فيهم ، فجعل رسول الله ﷺ دية الرجل قصاصاً بدية الرجل ، ودية المرأة قصاصاً بدية المرأة ، ودية العبد قصاصاً بدية العبد ثم أصلح بينهم . وهذا قول السدي وأبي مالك .

والثالث : أن ذلك أمر من الله عز وجل بمقاصة دية القاتل المقتص منه بدية المقتول المقتص له واستيفاء الفاضل بعد المقاصة ، وهذا قول عليّ كان يقول في تأويل الآية : أيما حر قتل عبداً فهو به قود ، فإن شاء موالي العبد أن يقتلوا الحر قتلوه وقاصّوهم بثمان العبد من دية الحر وأدوا إلى أولياء الحر بقية ديته ، وأيما عبد قتل حراً فهو به قود ، فإن شاء أولياء الحر قتلوا العبد وقاصّوهم بثمان العبد وأخذوا بقية دية الحر ، وأيما رجل قتل امرأة فهو بها قود ، فإن شاء أولياء المرأة قتلوه ، وأدوا بقية الدية إلى أولياء الرجل ، وأيما امرأة قتلت رجلاً فهي به قود ، فإن شاء أولياء الرجل قتلوها وأخذوا نصف الدية .

والرابع : أن الله عز وجل فرض بهذه الآية في أول الاسلام أن يُقتل الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة ، والعبد بالعبد ، ثم نَسَخَ ذلك قوله في سورة المائدة ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة : ٤٥] وهذا قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : فمن عفي له عن القصاص منه فاتّباع بمعروف^(٢٧٥) وهو أن يطلب الولي الدية بمعروف ويؤدي القاتل الدية بإحسان ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أن معنى قوله : ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ بمعنى فمن فضل له فضل وهذا تأويل من زعم أن الآية نزلت في فريقين كانا على عهد رسول الله ﷺ قتل من كلا الفريقين قتلى فتقاصّا ديات القتلى بعضهم من بعض ، فمن بقيت له

(٢٧٥) قال الحافظ رحمه الله (١٧٧/٨ فتح) قال الخطابي في قوله : ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ فاتّباع... إلخ يحتاج إلى تفسير لأن العفو يقتضي إسقاط الطلب .

فما هو الاتّباع . وأجاب بأن العفو في الآية محمول على العفو عن الدية فيتنجّه حينئذ المطالبة بها ويدخل فيه بعض مستحقي القصاص فإنه يسقط ويتنقل حق من لم يقف إلى الدية فيطالب بحصته . اهـ .

بقية فليتبعتها بمعروف ، وليرد من عليه الفاضل بإحسان ، ويكون معنى ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ أي فضل له قبل أخيه القاتل شيء ، وهذا قول السدي .

والثالث : أن هذا محمول على تأويل علي (رضي الله عنه) في أول الآية ؟ في القصاص بين الرجل والمرأة والحر والعبد وأداء ما بينهما من فاضل الدية .

ثم في الاتباع بالمعروف والأداء إليه بإحسان وجهان ذكرهما الزجاج :

أحدهما : أن الاتباع بالمعروف عائد إلى ولي المقتول أن يطالب بالدية بمعروف ، والأداء عائد إلى القاتل أن يؤدي الدية بإحسان .

والثاني : أنهما جميعاً عائداً إلى القاتل أن يؤدي الدية بمعروف وإحسان .

ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ يعني خيار الولي في القود أو الدية ، قال قتادة : وكان أهل التوراة يقولون : إنما هو قصاص أو عفو ليس بينهما أرش(*) ، وكان أهل الإنجيل يقولون : إنما هو أرش أو عفو ليس بينهما قود ، فجعل لهذه الأمة القود والعفو والدية إن شاءوا ، أحلها لهم ولم تكن لأمة قبلهم ، فهو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني مَنْ قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِهِ الدية فله عذاب أليم ، وفيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن العذاب الأليم هو أن يقتل قصاصاً ، وهو قول عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك .

والثاني : أن العذاب الأليم هو أن يقتله الإمام حتماً لا عفو فيه ، وهو قول ابن جريج ، وروي أن النبي ﷺ كان يقول : « لَا أَعَافِي رَجُلًا قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ » (٢٧٦) .

(٢٧٦) ورد عن قتادة مرسلاً رواه ابن جريج (٣٧٦/٣) وابن المنذر كما في الدر المنثور (٤٢١/١) وورد عن سمرة بن جندب مرفوعاً رواه سمويه في فوائده كما في الدر وهو من رواية الحسن عن سمرة وفيها خلاف شهير والحسن مدلس ولم يُصَرَّحْ بالتحديث وَضَعَفَ هذه الرواية الشيخ مقبل بن هادي في تخريج ابن كثير (٣٦٧/١) وورد عن جابر مرفوعاً رواه أبو داود (٤٥٠٧) وأحمد (١٤٩٦٨) والطيالسي (١٧٦٣) وفي إسناده رَجُلٌ مُّبْتَلَمٌ وَضَعَفَهُ الشيخ شاكر في تخريج الطبري (٣٧٦/٣) ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع (٣٨٠/٦) فَتَعَقَّبَهُ المناوي قائلاً (٣٨٠/٦) فيه مطر الوراق أوردته الذهبي في الضعفاء .

(*) وهو معروف عند الفقهاء بأنه دية الجراحات .

والثالث : أن العذاب الأليم هو عقوبة السلطان .

والرابع : أن العذاب الأليم استرجاع الدية منه ، ولا قود عليه ، وهو قول الحسن البصري .

قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إذا ذكره الظالم المعتدي ، كف عن القتل فحيي ، وهذا قول مجاهد وقتادة .

والثاني : أن إيجاب القصاص على القاتل وترك التعدي إلى من ليس بقاتل حياة للنفوس ، لأن القاتل إذا علم أن نفسه تؤخذ بنفس من قتله كف عن القتل فحيي أن يقتل قوداً ، أو حيي المقتول أن يقتل ظلماً .

وفي المعنيين تقارب ، والثاني أعم ، وهو معنى قول السدي .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ يعني يا ذوي العقول ، لأن الحياة في القصاص معقولة بالاعتبار .

وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قال ابن زيد : لعلك تتقي أن تقتله فتقتل

به .

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا إِثْمُهُ
عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوَسِّعٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ أي فرض عليكم ، وقوله : ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ ليس يريد به ذكر الوصية عند حلول الموت ، لأنه في شغل عنه ، ولكن تكون العطية بما تقدم من الوصية عند حضور الموت ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ ، والخير : المال في قول الجميع ، قال مجاهد : الخير في القرآن كله المال . ﴿ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

[العاديات : ٨] أي المال ، ﴿إِنِّي أُخَيِّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ ، [ص : ٣٢] ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور : ٣٣] وقال شعيب : ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ [هود : ٨٤] يعني الغنى والمال .

واختلف أهل العلم في ثبوت حكم هذه الآية ، فذهب الجمهور من التابعين والفقهاء إلى أن العمل بها كان واجباً قبل فرض الموارث لثلا يضع الرجل ماله في البُعْدَاء طلباً للسمعة والرياء ، فلما نزلت آية الموارث في تعيين المستحقين ، وتقدير ما يستحقون ، نسخ بها وجوب الوصية ومنعت السنة من جوازها للورثة ، وقال آخرون : كان حكمها ثابتاً في الوصية للوالدين ، والأقربين حق واجب ، فلما نزلت آي الموارث وفرض ميراث الأبوين نسخ بها الوصية للوالدين وكل وارث ، وبقي فرض الوصية للأقربين الذين لا يرثون على حالة ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وطاوس ، وجابر بن زيد .

فإن أوصى بثُلثه لغير قرابته ، فقد اختلف قائلو هذا القول في حكم وصيته على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أن يرد ثلث الثلث على قرابته ويكون ثلثا الثلث لمن أوصى له به ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أن يرد ثلثا الثلث على قرابته ويكون ثلث الثلث لمن أوصى له به ، وهذا قول جابر بن زيد .

والثالث : أنه يرد الثلث كله على قرابته ، وهذا قول طاوس .

واختلف في قدر المال الذي يجب عليه أن يوصي منه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ألف درهم ، تأويلاً لقوله تعالى : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أن الخير ألف درهم وهذا قول علي .

والثاني : من ألف درهم إلى خمسمائة درهم ، وهذا قول إبراهيم النخعي .

والثالث : أنه غير مقدر وأن الوصية تجب في قليل المال وكثيره ، وهذا قول

الزهري .

ثم قال تعالى : ﴿بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يحتمل قوله بالمعروف

وجهين :

أحدهما : بالعدل الوسط الذي لا يخس فيه ولا شطط .

والثاني : يعني بالمعروف من ماله دون المجهول .

وقوله تعالى : ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ يعني بالتقوى من الورثة أن لا يسرف ، والأقربين أن لا يبخل ، قال ابن مسعود : الأجل فالأجل ، يعني الأحوج فالأحوج . وغاية ما لا سرف فيه : الثلث ، لقول النبي ﷺ « الثلث والثلث كثير » (٢٧٧) .

وروى الحسن أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وصياً بالخمس وقالوا يوصي بما رضي الله لنفسه : بالخمس ، وكان يقول : الخمس معروف ، والرابع جهد ، والثلث غاية ما تجيزه القضاة .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ﴾ يعني فَمَنْ غَيَّرَ الْوَصِيَّةَ بَعْدَ مَا سَمِعَهَا ، وإنما جُعِلَ اللفظ مذكراً وإن كانت الوصية مؤنثة لأنه أراد قول الموصي ، وقوله مذكر . ﴿ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ أي يسمعون ويعدلون به عن مستحقه ، إما ميلاً أو خيانة ، وللميت أجر قصده وثواب وصيته ، وإن غُيِّرَ بعده .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي سميع لقول الموصي ، عليم بفعل الوصي .

قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾ اختلف المفسرون في تأويل ذلك ، على خمسة أقاويل :

أحدها : أن تأويله فمن حضر مريضاً ، وهو يوصي عند إشرافه على الموت ، فخاف أن يخطيء في وصيته ، فيفعل ما ليس له أو أن يتعمد جوراً فيها ، فيأمر بما ليس له ، فلا حرج على من حضره فسمع ذلك منه ، أن يصلح بينه وبين ورثته ، بأن يأمره بالعدل في وصيته ، وهذا قول مجاهد .

(٢٧٧) رواه البخاري (٣٢٦/١ ، ٤٩/٣ ، ١٧٥ ، ٤٧/٤ ، ٢٠١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥) ومسلم (١٦٢٨)

والترمذي (٣٥٠/٦) التحفة (٢٨٦٤) وابن ماجه (٢٧٠٨)

والبيهقي (٢٦٨/٦) والطالسي برقم (١٩٥ ، ١٩٦) ومالك (٤/٧٦٣/٢)

والطحاوي (٤١٦/٢) وأحمد في مواضع كثيرة منها برقم (١٥٢٤) وقال الترمذي حسن صحيح .

والثاني : أن تأويلها فمن خاف من أوصياء الميت جنفاً في وصيته ، فأصلح بين ورثته وبين الموصي لهم فيما أوصي به لهم حتى رد الوصية إلى العدل ، فلا إثم عليه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : أن تأويلها فمن خاف من موص جنفاً أو إثمياً في عطيته لورثته عند حضور أجله ، فأعطى بعضاً دون بعض ، فلا إثم عليه أن يصلح بين ورثته في ذلك ، وهذا قول عطاء .

والرابع : أن تأويلها فمن خاف من موص جنفاً ، أو إثمياً في وصيته لغير ورثته بما يرجع نفعه إلى ورثته فأصلح بين ورثته ، فلا إثم عليه ، وهذا قول طاووس .

والخامس : أن تأويلها فمن خاف من موص لأبائه وأقربائه جنفاً على بعضهم بعض ، فأصلح بين الآباء والأقرباء ، فلا إثم عليه ، وهذا قول السدي .

وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَافًا أَوْ إِثْمًا ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن الجنف الخطأ ، والإثم العمد ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن الجنف الميل ، والإثم أن يكون قد أثم في أثره بعضهم على بعض ، وهذا قول عطاء وابن زيد .

والجنف في كلام العرب هو الجورُ والعُدُولُ عن الحق ، ومنه قول الشاعر :

هم المولى وهم جنفوا علينا وإننا من لقائهم لَزُورٌ^(٢٧٨)

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ

(٢٧٨) هو عامر الخصفي من بني خصفة بن قيس عيلان والبيت له . انظره في مجاز القرآن لأبي عبيدة (٦٦ ، ٦٧) ومشكل القرآن (٢١٩) .

مُسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ بمعنى فرض عليكم الصيام ، والصيام من كل شيء الإمساك عنه ، ومن قوله تعالى : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي صمتاً ، لأنه إمساك عن الكلام ، وذم أعرابي قوماً فقال : يصومون عن المعروف ويقصون على الفواحش ، وأصله مأخوذ من صيام الخيل ، وهو إمساكها عن السير والعلف ، قال النابغة الذبياني :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العجاج وأخرى تعلق اللُجما (٢٧٩)
ولذلك قيل لقائم الظهيرة : قد صام النهار ، لإبطاء الشمس فيه عن السير ، فصارت بالإبطاء كالممسكة عنه ، قال الشاعر :

فدعها وسلَّ الهمَّ عنك بجسرةٍ ذمولٍ إذا صام النهار وهجراً (٢٨٠)
إلا أن الصوم في الشرع : إنما هو إمساك عن محظورات الصيام في زمانه ، فجعل الصيام من أوكد عباداته وألزم فروضه ، حتى روي عن النبي ﷺ أنه قال : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » (٢٨١) .

وإنما اختص الصوم بأنه له ، وإن كان كل العبادات له ، لأمرين بآين الصوم بهما سائر العبادات :

أحدهما : أن الصوم منع من مَلَاذِّ النفس وشهواتها ، ما لا يمنع منه سائر العبادات .

والثاني : أن الصوم سر بين العبد وربه لا يظهر إلا له ، فلذلك صار مختصاً به ، وما سواه من العبادات ظاهر ، ربما فعله تصنعاً ورياء ، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره .

(٢٧٩) ديوانه ص ١٠٦ .

(٢٨٠) هذا البيت لامرئ القيس .

(٢٨١) رواه البخاري (٢٤/٣) ومسلم (١٣٢/٥) والنسائي (٥٩/٤) من حديث أبي هريرة .

ثم قال تعالى : ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم النصارى ، وهو قول الشعبي والربيع وأسباط .

والثاني : أنهم أهل الكتاب ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنهم جميع الناس ، وهو قول قتادة .

واختلفوا في موضع التشبيه بين صومنا ، وصوم الذين من قبلنا ، على قولين :

أحدهما : أن التشبيه في حكم الصوم وصفته ، لا في عدده لأن اليهود يصومون من العتمة إلى العتمة ، ولا يأكلون بعد النوم شيئاً ، وكان المسلمون على ذلك في أول الإسلام ، لا يأكلون بعد النوم شيئاً حتى كان من شأن عمر بن الخطاب وأبي قيس بن صرمة ما كان ، فأحل الله تعالى لهم الأكل والشرب ، وهذا قول الربيع بن أنس ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « بَيْنَ صَوْمِنَا وَصَوْمِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ » (٢٨٢) .

والقول الثاني : أن التشبيه في عدد الصوم ، وفيه قولان :

أحدهما : أن النصارى كان الله فرض عليهم صيام ثلاثين يوماً كما فرض علينا ، فكان ربما وقع في القيظ ، فجعلوه في الفصل بين الشتاء والصيف ، ثم كفروه بصوم عشرين يوماً زائدة ، ليكون تمحيصاً لذنوبهم وتكفيراً لتبديلهم ، وهذا قول الشعبي .

والثاني : أنهم اليهود كان عليهم صيام ثلاثة أيام من كل يوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر ، فكان على ذلك سبعة عشر شهراً إلى أن نسخ بصوم رمضان ، قال ابن عباس : كان أول ما نسخ شأن القبلة والصيام الأول .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : لعلكم تتقون ما حرم عليكم في الصيام ، من أكل الطعام ، وشرب الشراب ، ووطء النساء ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

(٢٨٢) رواه مسلم برقم (١٠٩٦) ، أبو داود (٢٣٤٣) ، والنسائي (١٤٦/٤) ، والترمذي رقم (٧٠٩) .

والثاني : معناه أن الصوم سبب يؤول بصاحبه إلى تقوى الله ، لما فيه من قهر النفس ، وكسر الشهوة ، وإذهاب الأشر ، وهو معنى قول الزجاج .

قوله عز وجل : ﴿ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها أيام شهر رمضان التي أَبَّانَهَا من بعد ، وهو قول ابن أبي ليلى وجمهور المفسرين .

والثاني : أنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، كانت مفروضة قبل صيام شهر رمضان ، ثم نسخت به ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة وعطاء ، وهي الأيام البيض من كل شهر ، وفيها وجهان :

أحدهما : أنه الثاني عشر وما يليه .

الوجه الثاني : أنها الثالث عشر وما يليه ، وهو أظهر الوجهين ، لأن أيام الشهر مجزأة عند العرب عشرة أجزاء ، كل جزء منها ثلاثة أيام ، تختص باسم ، فأولها ثلاث غرر ، ثم ثلاث شهب ، ثم ثلاث بهر ، ثم ثلاث عشر ، ثم ثلاث بيض ، ثم ثلاث درع ، والدرع هو سواد مقدم الشاة ، وبياض مؤخرها ، فليل لهذه الثلاث درع ، لأن القمر يغيب في أولها ، فيصير ليلها درعاً ، لسواد أوله ، وبياض آخره ، ثم ثلاث خنس ، لأن القمر يخنس فيها ، أي يتأخر ، ثم ثلاث دهم ، وقيل حنادس لإظلامها ، ثم ثلاث فحم ، لأن القمر يتفحم فيها ، أي يطلع آخر الليل ، ثم ثلاث رادي ، وهي آخر الشهر ، مأخوذة من الرادة ، أن تسرع نقل أرجلها حتى تضعها في موضع أيديها .

وقد حكى أبو زيد ، وابن الأعرابي ، أنهم جعلوا للقمر في كل ليلة من ليالي العشر اسماً ، فقالوا ليلة عتمة سخيلة حل أهلها برميلة ، وابن ليلتين حديث مين مكذب ومبين ، ورواه ابن الأعرابي كذب ومين ، وابن ثلاث قليل اللباث ، وابن أربع عتمة ربع لا جائع ولا مرضع ، وابن خمس حديث وأنس ، وابن ست سر وب ، وابن سبع دلجة الضبيع ، وابن ثمان قمر إضحيان ، وابن تسع انقطع الشسع . وفي رواية غير أبي زيد : يلتقط فيه الجزع ، وابن عشر ثلث الشهر ، عن أبي زيد وعن غيره ، ولم يجعل له فيما زاد عن العشر اسماً مفرداً .

واختلفوا في الهلال متى يصير قمراً ، فقال قوم يسمى هلالاً لليلتين ، ثم يُسمى بعدها قمراً ، وقال آخرون يسمى هلالاً إلى ثلاث ، ثم يسمى بعدها قمراً ، وقال آخرون يسمى هلالاً حتى يحجر ، وتحجيره أن يستدير بِخَطَّةٍ دقيقة ، وهو قول الأصمعي ، وقال آخرون يسمى هلالاً إلى أن يبهر ضوءه سواد الليل ، فإذا بهر ضوءه يسمى قمراً ، وهذا لا يكون إلا في الليلة السابعة .

[ثم عدنا إلى تفسير ما بقي من الآية] .

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ يعني مريضاً لا يقدر مع مرضه على الصيام ، أو على سفر يشق عليه في سفره الصيام .
﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه مع وجود السفر ، يلزمه القضاء سواء صام في سفره أو أفطر ، وهذا قول داود الظاهري .

والثاني : أن في الكلام محذوفاً وتقديره : فأفطر فعدة من أيام آخر ، ولو صام في مرضه وسفره لم يعد ، لكون الفطر بهما رخصة لا حتماً ، وهذا قول الشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وجمهور الفقهاء .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ هكذا قرأ أكثر القراء ، وقرأ ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ ، وتأويلها : وعلى الذين يكلفونه ، فلا يقدرّون على صيامه لعجزهم عنه ، كالشيخ والشيخة والحامل والمرضع ، فدية طعام مسكين ، ولا قضاء عليهم لعجزهم عنه .
وعلى القراءة المشهورة فيها تأويلان :

أحدهما : أنها وردت في أول الإسلام ، خير الله تعالى بها المطيقين للصيام من الناس كلهم بين أن يصوموا ولا يكفروا ، وبين أن يفطروا ويكفروا كل يوم بإطعام مسكين ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ، وقيل بل نسخ بقوله : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ ، وهذا قول ابن عمر ، وعكرمة ، والشعبي ، والزهري ، وعلقمة ، والضحاك .

والثاني : أن حكمها ثابت ، وأن معنى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ أي كانوا يطيقونه في حال شبابهم ، وإذا كبروا عجزوا عن الصوم لكبرهم أن يفطروا ، وهذا قول سعيد بن المسيب ، والسدي .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ فيه تأويلان : أحدهما : فمن تطوع بأن زاد على مسكين واحد فهو خير له وهذا قول ابن عباس ومجاهد وطاووس والسدي .

والثاني : فمن تطوع بأن صام مع الفدية فهو خير له وهذا قول الزهري ورواية ابن جريج عن مجاهد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يحتمل تأويلين : أحدهما : أن الصوم في السفر خير من الفطر فيه والقضاء بعده .
والثاني : أن الصوم لمطيقه خير وأفضل ثواباً من التكفير لمن أفطر بالعجز .
﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إن كنتم تعلمون ما شرعته فيكم وبَيَّنَّته من دينكم .
والثاني : إن كنتم تعلمون فضل أعمالكم وثواب أفعالكم .

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ أما الشهر فمأخوذ من الشهرة ، ومنه قيل قد شهر فلان سيفه ، إذا أخرجه ، وأما رمضان فإن بعض أهل اللغة يزعم أنه سمي بذلك ، لشدة ما كان يوجد فيه من الحر حتى ترمض فيه الفصال ، كما قيل لشهر الحج ذو الحجة ، وقد كان شهر رمضان يسمى في الجاهلية ناتقاً .

وأما مجاهد فإنه كان يكره أن يقال رمضان (٢٨٣)، ويقول لعله من أسماء الله عز وجل .

وفي إنزاله قولان :

أحدهما : أن الله تعالى أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر منه ، ثم أنزله على نبيه ﷺ ، على ما أراد إنزاله عليه .

روى أبو المسلم عن وائلة (*) عن النبي ﷺ قال : نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان (٢٨٤) .

والثاني : أنه بمعنى أنزل القرآن في فرض صيامه ، وهو قول مجاهد .

قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ يعني رشاداً للناس .

﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ أي بينات من الحلال والحرام ، وفرقان بين الحق والباطل .

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ الشهر لا يغيب عن أحد ، وفي تأويله ثلاثة أقاويل :

أحدها : فمن شهد أول الشهر ، وهو مقيم فعليه صيامه إلى آخره ، وليس له

(٢٨٣) لا وجه لهذه الكراهة التي ذكرت عن مجاهد فقد ورد أن النبي ﷺ ذكر رمضان في أكثر من حديث بدون إضافة وعلى سبيل المثال ما رواه البخاري وغيره « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه باباً للرد على من كره ذلك فقال : باب « هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعاً ثم ساق فيه حديث » من صيام رمضان وحديث لا تقدموا رمضان . الخ » ولهذا قال الحافظ القسطلاني (٣/ ٣٤٩) وقول الأكثرين يكون أن يقال رمضان بدون شهر رده النووي في المجموع بأنه الصواب خلافاً لما ذهب إليه المحققون لعدم ثبوت النهي فيه .

(*) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب وائلة .

(٢٨٤) أخرجه أحمد برقم (٧٠٥١) وابن جرير (٤٤٦/٣) وزاد السيوطي نسبه في الدرر (١/ ٤٥٦) لمحمد بن نصر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في الشعب والأصبهاني في الترغيب والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر (٣/ ٤٤٦) تخريج الطبري والحق أنه حديث حسن من أجل عمران فقد تكلم فيه بعض أهل العلم .

أن يفطر في بقيته ، وهذا قول عليّ ، وابن عباس ، والسدي .

والثاني : فمن شهد منكم الشهر ، فليصم ما شهد منه وهو مقيم دون ما لم يشهده في السفر ، وهذا قول سعيد بن المسيب والحسن البصري .

والثالث : فمن شهد بالغاً عقلاً مُكَلِّفًا فليصمه ، ولا يسقط صوم بقيته إذا جُن فيه ، وهذا قول أبي حنيفة ، وصاحبيه .

﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وإنما أعاد ذكر الفطر بالمرض والسفر مع قرب ذكره من قبل ، لأنه في حكم تلك الآية منسوخاً ، فأعاد ذكره ، لئلاً يصير بالمنسوخ مقروناً ، وتقديره فمن كان مريضاً أو على سفر في شهر رمضان فأفطر ، فعليه عدة ما أفطر منه ، أن يقضيه من بعده .

واختلفوا في المرض الذي يجوز معه الفطر في شهر رمضان ، على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه كل مرض لم يطق الصلاة معه قائماً ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أنه المرض الذي الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة ، وهو قول الشافعي .

والثالث : أنه كل مرض انطلق عليه اسم المرض ، وهو قول ابن سيرين .

فأما السفر ، فقد اختلفوا فيه على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه ما انطلق اسم السفر من طويل أو قصير ، وهذا قول داود .

والثاني : أنه مسيرة ثلاثة أيام ، وهو قول أبي حنيفة .

واختلفوا في وجوب الفطر فيه على قولين :

أحدهما : أنه واجب وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه مباح ، وهو قول الجمهور .

ثم قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ قال ابن

عباس : اليسر الإفطار ، والعسر الصيام في السفر ، ونحوه عن مجاهد وقتادة .
﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ يعني عدة ما أفطر ثم في صيام شهر رمضان بالقضاء في غيره .

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ ﴾ قيل إنه تكبير الفطر من أول الشهر(*) .
وقوله : ﴿ عَلَى مَا هَذَاكُمْ ﴾ يعني من صيام شهر رمضان ، ويحتمل أن يكون على عموم ما هدانا إليه من دينه .
﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ يحتمل وجهين :
أحدهما : تشكرون على هدايته لكم .
والثاني : على ما أنعم به من ثواب طاعته ، والله أعلم .

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَيَّ وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية ، على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في سائل سأل النبي ﷺ فقال : يا محمد أقرب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزلت هذه الآية ، وهو قول الحسن البصري (٢٨٥) .

والثاني : أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله ﷺ عن أي ساعة يدعون الله فيها ، وهذا قول عطاء والسدي .

والثالث : أنها نزلت جواباً لقوم قالوا : كيف ندعو ؟ ، وهذا قول قتادة .
والرابع : أنها نزلت في قوم حين نزل قوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ قالوا : إلى أين ندعوه ؟ ، وهذا قول مجاهد .

(*) وفي المطبوعة « أول شوال » بدلاً من أول الشهر .
(٢٨٥) رواه ابن جرير (٤٨١/٣) لكنه مرسل وصحيح الاسناد إلى الحسن كما قال الشيخ شاكر في تخريج الطبري ولا يعني ذلك أن الحديث صحيح مرفوع لأن المرسل من قسم الضعيف ولم يسنده الحسن عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : قريب الإجابة .

والثاني : قريب من سماع الدعاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه أسمع دعوة الداعي إذا دعاني ، فعبّر عن السماع بالإجابة ،

لأن السماع مقدمة الإجابة .

والثاني : أنه أراد إجابة الداعي إلى ما سأل ، ولا يخلو سؤال الداعي أن

يكون موافقاً للمصلحة أو مخالفاً لها ، فإن كان مخالفاً للمصلحة لم تجز الإجابة

إليه ، وإن كان موافقاً للمصلحة ، فلا يخلو حال الداعي من أحد أمرين : إما أن

يكون مستكماً شروط الطلب أو مقصراً فيها :

فإن استكملها جازت إجابته ، وفي وجوبها قولان :

أحدهما : أنها واجبة لأنها تجري مجرى ثواب الأعمال ، لأن الدعاء عبادة

ثوابها الإجابة .

والثاني : أنها غير واجبة لأنها رغبة وطلب ، فصارت الإجابة إليها تفضلاً .

وإن كان مقصراً في شروط الطلب لم تجب إجابته ، وفي جوازها قولان :

أحدهما : لا تجوز ، وهو قول من أوجبها مع استكمال شروطها .

والثاني : تجوز ، وهو قول من لم يوجبها مع استكمال شروطها .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : أن الاستجابة بمعنى الإجابة ، يقال استجبت له بمعنى أجبته ،

وهذا قول أبي عبيدة ، وأنشد قول كعب بن سعد الغنوي :

وداعٍ دَعَا : يا من يجيب إلى النداء فلم يستجبه عند ذلك مجيب^(٢٨٦)

أي فلم يجبه .

والثاني : أن الاستجابة طلب الموافقة للإجابة ، وهذا قول ثعلب .

(٢٨٦) هو كعب بن سعد الغنوي . الأصمعيات (١٤) ، أمالي القالي (١٥١/٢) .

والثالث : أن معناه فليستجيبوا إليّ بالطاعة .

والرابع : فليستجيبوا لي ، يعني فليدعوني .

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ
لَهُنَّ عِلْمٌ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا
عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا
تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ كان ابن مسعود
يقرأ الرفث والرفوث جميعاً ، وهو الجماع في قوله ، وأصله فاحش القول ، كما قال
العجاج :

..... عن اللغا ورفث الكلام (٢٨٧)

فيكنى به عن الجماع ، لأنه إذا ذُكر في غير موضعه كان فحشاً .

وفي قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : بمنزلة اللباس ، لإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه ، يستتر به
كالثوب الملبوس ، كما قال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيج ثنى عطفها تثنت عليه فصارت لباساً (٢٨٨)

والثاني : أنهم لباس يعني السكن لقوله تعالى ﴿ وجعلنا الليل لباساً ﴾ [النبأ :
١٠] أي سكناً ، وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي .

(٢٨٧) شطر من بيت رجز له في ديوانه (ص ٥٩) أوله :

ورب أسراب حجيج كُظِم عن اللغا ورفث التكلم

(٢٨٨) أنظر الشعر والشعراء (٢٥٥) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٦٧) .

قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ سبب هذه الخيانة التي كان القوم يختانون أنفسهم ، شيثان : أحدهما : إتيان النساء .

الثاني : الأكل والشرب ، وذلك أن الله تعالى أباح في أول الإسلام الأكل والشرب والجماع في ليل الصيام قبل نوم الإنسان ، وحرّمه عليه بعد نومه ، حتى جاء عمر بن الخطاب ذات ليلة من شهر رمضان ، يريد امرأته ، فقالت له : إني قد نمتُ ، وظن أنها تعتل عليه ، فوقع بها ، وجاء أبو قيس بن صرمة ، وكان يعمل في أرض له ، فأراد الأكل ، فقالت له امرأته : نسخر لك شيئاً ، فغلبته عيناه ، ثم أحضرت إليه الطعام ، فلم يأكل منه فلما أصبح لاقى جهداً . وأخبر عمر وأبو قيس رسول الله ﷺ بما كان منهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ .

﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : العفو عن ذنوبهم .

والثاني : العفو عن تحريم ذلك بعد النوم .

ثم قال تعالى : ﴿ فَلَا أَنْ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ يريد به الجماع ، لأن أصل المباشرة من إلصاق البشرة بالبشرة ، وكان ذلك منه بياناً لما كان في جماع عمر .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : طلب الولد ، وهو قول مجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

والثاني : ليلة القدر ، وهو قول ابن عباس ، وكان يقرأ ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ

لَكُمْ ﴾ .

والثالث : ما أحل الله تعالى لكم ورخص فيه ، وهذا قول قتادة .

ثم قال تعالى فيما كان من شأن أبي قيس بن صرمة : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ اختلف في المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما رواه سهل بن سعد قال : لما نزلت ﴿ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ

لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴿١٨٧﴾ ، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى بعد ﴿١٨٧﴾ مِنَ الْفَجْرِ ﴿١٨٨﴾ ، فاعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار .

والقول الثاني : أنه يريد بالخيط الأبيض ضوء النهار ، وهو الفجر الثاني ، وبالخيط الأسود سواد الليل قبل الفجر الثاني . وروى الشعبي عن عدي بن حاتم : أنه عمد إلى خيطين أبيض وأسود ، وجعلهما تحت وسادته ، فكان يراعيهما في صومه ، ثم أخبر رسول الله ﷺ فقال : « إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْوَسَادَةِ ، إِنَّمَا هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيْلِ » (٢٨٩) . وَسُمِّيَ خَيْطًا ، لأن أول ما يبدو من البياض ممتد كالخيط ، قال الشاعر :

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق والخيط الأسود لون الليل مكتوم
والخيط في كلامهم عبارة عن اللون .

والثالث : ما حكى عن حذيفة بن اليمان أن الخيط الأبيض ضوء الشمس ، وروى نحوه عن عليّ وابن مسعود . وقد روى (٢٩٠) زُرَّ بن حبیش عن حذيفة قال : كان النبي ﷺ يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ، قال : قلت بعد الصبح ؟ قال : هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس ، وهذا قول قد انعقد الإجماع على خلافه ، وقد روى سودة بن حنظلة عن سَمُرَةَ بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ سُحُورِكُمْ أَذَانٌ بِلَالٍ وَلَا الْفَجْرُ الْمُسْتَطِيلُ وَلَكِنَّ الْفَجْرَ الْمُسْتَطِيرُ فِي الْأَفْقِ » (٢٩١) . وروى الحارث بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان

(٢٨٩) رواه البخاري (١١٣/٤ فتح) ومسلم (٣٠١/١) وابن خزيمة في صحيحه برقم (١٩٢٥) ، (١٩٢٦) وأبو داود (٢٣٤٩) وابن جرير (٥١١/٣ برقم ١٩٨٦) وأحمد (٣٧٧/٤) والترمذي (٢٩٧٠) وصححه) والبيهقي (٢١٥/٤) وزاد السيوطي نسبته لسفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر من طرق عن الشعبي عن عدي بن حاتم . (٢٩٠) رواه أحمد بنحوه (٤٠٠/٥) والنسائي (٣٠٣/١) وابن حزم في المحلى (٢٣٢/٦) والطبري في التفسير واللفظ له (٥٢٥/٣) .

(٢٩١) رواه مسلم (١٣٠/٣) وأبو داود (٢٣٤٦) والترمذي (١٣٦/١) وابن أبي شيبة في المصنف (١/١٥٤/٢) وابن خزيمة (١٩٢٩) والطحاوي (٨٣/١) والدارقطني (٢٣١ - ٢٣٢) . والبيهقي (٢١٥/٤) والطيالسي في مسنده (٧٩٨ ، ٧٩٧) وأحمد (٧/٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨) والحاكم =

قال : قال النبي ﷺ : « الْفَجْرُ فَجْرَانِ ، فَالَّذِي كَانَهُ ذَنْبُ السَّرْحَانِ لَا يُحَرِّمُ شَيْئاً ، وَأَمَّا الْمُسْتَطِيرُّ الَّذِي يَأْخُذُ الْأَفْقَ فَإِنَّهُ يُحِلُّ الصَّلَاةَ وَيُحَرِّمُ الطَّعَامَ » (٢٩٢).

فأما الفجر ، فإنه مصدر من قولهم فَجَرَ الماءَ يَفْجُرُ فَجْراً ، إذا جرى وانبعث ، فلذلك قيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلعها : (فجر) لانبعث ضوئه ، فيكون زمان الصوم المجمع على تحريم الطعام والشراب فيه وإباحته فيما سواه : ما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس .

روى عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن قال : « أَكْثَرُ الصَّائِمِينَ أَجْراً أَقْرَبُهُمْ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِفْطَاراً » (٢٩٣).

﴿ ثُمَّ اتَّمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ يعني به غروب الشمس .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : عني بالمباشرة الجماع ، وهو قول الأكثرين .

= (٤٢٥/١) وابن جرير الطبري (٥١٦ ، ٥١٥/٣) برقم (٢٩٩٦ ، ٢٩٩٧) . والبغوي (٣٠٠/٢) برقم (٤٣٥) وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد من طرق عن سودة بن حنظلة القشري عن سمرة بن جندب مرفوعاً وزاد السيوطي نسبه في الدر (٤٨١/١) لوكيع .

(٢٩٢) رواه ابن جرير (٥١٤/٣) والبيهقي في الكبرى (٤ : ٢١٥) وفي مسنده عند ابن جرير الحسن بن الزبير قال وقال الشيخ أحمد شاكر ترجمة ابن أبي حاتم وقال شيخ ولم أجد له ترجمة عند غيره . وزاد السيوطي في الدر (٤٨٢/١) نسبه لوكيع وابن أبي شيبه والدارقطني . وقد ورد الحديث موصولاً بذكر جابر كما قال البيهقي (٤ : ٢١٥) وقال السيوطي في الدر (٤٨٢/١) أخرجه الحاكم من طريق جابر موصولاً وقد رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/٥٢/١) وعنه الحاكم (٤٢٥/١) وصححه وواقعه الذهبي والبيهقي (٢١٦/٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقد صحح حديث ابن عباس رضي الله عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٤/٢) وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣٩١/١) عن رواية ابن جرير المتقدمة . مرسل جيد قال الشيخ أحمد شاكر تعقيماً . يريد جيد الاسناد إلى ابن ثوبان التابعي ولكنه لا يكون صحيحاً مرفوعاً لأن المرسل لا تقوم به حجة .

(٢٩٣) لم أعتد إلى تخريجه ولكن ورد معناه في أحاديث أخرى منها ما رواه البخاري (١٧٣/٤) ومسلم رقم ١٠٩٨ ومالك (٢٨٨/١) والترمذي وصححه (٦٩٩) والبيهقي (٢٣٧/٤) من حديث سهل ابن سعد ولفظه لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر « ومنها ما رواه الترمذي برقم ٧٠٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل « أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطراً » واستغربه الترمذي قائلاً حسن غريب « والحق أن سنده ضعيف من أجل قره بن عبد الرحمن وقال الشيخ الأرنؤوط في تخريج جامع الأصول (٣٧٥/٦) إسناده ضعيف لكن له شواهد بمعناه يقويه .

والثاني : ما دون الجماع من اللبس والقبلة ، قاله ابن زيد ومالك .
﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أي ما حرم ، وفي تسميتها حدود الله وجهان :
أحدهما : لأن الله تعالى حدها بالذكر والبيان .

والثاني : لما أوجبه في أكثر المحرمات من الحدود .
وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : يعني بآياته علامات متعبداته .

والثاني : أنه يريد بالآيات هنا الفرائض والأحكام .
وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا
فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : بالغصب والظلم .
والثاني : بالقمار والملاهي .

﴿ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ مأخوذ من إدلاء الدلو إذا أرسلته .
ويحتمل وجهاً ثانياً معناه : وتقيموا الحجة بها عند الحاكم ، من قولهم : قد
أدلى بحجته إذا قام بها .
وفي هذا المال قولان :

أحدهما : أنه الودائع وما لا تقوم به بيته من سائر الأموال التي إذا جحدتها ،
حكم بجحوده فيها .

والثاني : أنها أموال اليتامى التي هو مؤتمن عليها .
﴿ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ ﴾ يحتمل وجهين :
أحدهما : لتأكلوا بعض أموال الناس بالإثم ، فعبّر عن البعض بالفريق .
والثاني : على التقديم والتأخير ، وتقديره : لتأكلوا أموال فريق من الناس
بالإثم .

وفي (أكله) ثلاثة أوجه :

أحدها : بالجحد .

والثاني : بشهادة الزور .

والثالث : برشوة الحكام .

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : وأنتم تعلمون أنها للناس .

والثاني : وأنتم تعلمون أنها إثم .

قال مقاتل : نزلت هذه الآية في امرئ القيس الكندي ، وعبدان بن ربيعة

الحضرمي ، وقد اختصما في أرض كان عبدان فيها ظالماً وامرؤ القيس مظلوماً ،

فأراد أن يحلف ، فنزلت هذه الآية ، فكفَّ عن اليمين .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ

تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَأَتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ

أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾ سبب نزولها ، أن معاذ بن جبل

وثعلبة بن غنمة ، وهما من الأنصار ، سألا النبي ﷺ عن زيادة الأهلة ونشأتها ،

فنزلت هذه الآية ، وأخذ اسم الهلال من استهلال الناس برفع أصواتهم عند رؤيته ،

والمواقيت : مقادير الأوقات لديونهم وحجهم ، ويريد بالأهلة شهورها ، وقد يعبر

عن الهلال بالشهر لحلوله فيه ، قال الشاعر :

أخوان من نجدٍ على ثقةٍ والشهرُ مثلُ قلامةِ الطَّفْرِ

حتى تكامل في استدارته في أربع زادت على عشر

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ

اتَّقَىٰ وَأَتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أن سبب نزول ذلك ، ما روى داود عن قيس بن جبير (٢٩٤) : أن

(٢٩٤) رواه ابن جرير (٥٥٦/٣) وهو مرسل كما قال الحافظ في الاصابة (٢٩٠٢) والفتح (٤٩٤/٣) =

الناس كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه ، فدخل رسول الله ﷺ داراً ، وكان رجل من الأنصار يقال له رفاعة بن أيوب ، فجاء فتسور الحائط على رسول الله ، فلما خرج من باب الدار خرج رفاعة ، فقال رسول الله : « مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُكَ خَرَجْتَ مِنْهُ فَخَرَجْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي رَجُلٌ أَحْمَسُ فَقَالَ : إِنْ تَكُنْ أَحْمَسَ فِدِينُنَا وَاحِدٌ » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ ﴾ الآية ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وعطاء ، وقوله : أحمس يعني من قریش ، كانوا يُسَمُّونَ (الْحُمْسَ) لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا ، وَالْحَمَاسَةُ الشدة ، قال العجاج :

وَكَمْ قَطَعْنَا مِنْ قِفَافٍ حُمْسٍ (٢٩٥)

أي شداد .

والقول الثاني : عنى بالبيوت النساء ، سُمِّيَتْ بيوتاً للإيواء إليهن ، كالإيواء إلى البيوت ، ومعناه : لا تأتوا النساء من حيث لا يحل من ظهورهن ، وأتوهن من حيث يحل من قُبُلهن ، قاله ابن زيد .

والثالث : أنه في النسيء وتأخير الحج به ، حين كانوا يجعلون الشهر الحلال حراماً بتأخير الحج ، والشهر الحرام حلالاً بتأخير الحج عنه ، ويكون ذكر البيوت وإتيانها من ظهورها مثلاً لمخالفة الواجب في الحج وشهوره ، والمخالفة إتيان الأمر من خلفه ، والخلف والظهر في كلام العرب واحد ، حكاه ابن بحر .

والرابع : أن الرجل كان إذا خرج لحاجته ، فعاد ولم ينجح لم يدخل من بابه ، ودخل من ورائه ، تطيراً من الخيبة ، فأمرهم الله أن يأتوا بيوتهم من أبوابها .

والخامس : معناه ليس البر أن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتأتوه من غير بابه ، وهذا قول أبي عبيدة .

= لأنه من رواية تابعي مرفوعاً وهو ضعيف .

وزاد السيوطي في الدر (٤٩٢/١) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر .

وضعفه الشيخ أحمد شاكر كما في تخريج الطبري (٥٥٧/٣) .

تنبيه : وقع في نسخة المخطوطة قيس بن جبير وهو خطأ والصحيح [حنتر] بحاء مهملة بعدها باء

ساكنة كما ضبطها الشيخ أحمد شاكر (٥٥٧/٣) .

(٢٩٥) هذا شطر بيت من أرجوزة له في مدح الوليد بن عبد الملك بن مروان .

والقول السادس : أنه مثلُ ضربه الله عز وجل لهم ، بأن يأتوا البر من وجهه ، ولا يأتوه من غير وجهه .

وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْفُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ
فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتِلُوهُمْ
حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ فيها قولان :
أحدهما : أنها أول آية نزلت بالمدينة في قتال المشركين ، أمر المسلمون
فيها بقتال مَنْ قاتلهم من المشركين ، والكف عمن كف عنهم ، ثم نُسِختْ بسورة
براءة ، وهذا قول الربيع ، وابن زيد .
والثاني : أنها ثابتة في الحكم ، أمر فيها بقتال المشركين كافة ، والاعتداء
الذي نهوا عنه : قتل النساء والولدان ، وهذا قول ابن عباس ، وعمر بن
عبد العزيز ، ومجاهد .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ ثلاثة أقاويل :
أحدها : أن الاعتداء قتال من لم يقاتل .
والثاني : أنه قتل النساء والولدان .
والثالث : أنه القتال على غير الدين .
قوله تعالى : ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْفُوهُمْ ﴾ يعني حيث ظفرتهم بهم ،
﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ يعني من مكة .
﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يعني بالفتنة الكفر في قول الجميع ، وإنما سمي
الكفر فتنة ، لأنه يؤدي إلى الهلاك كالفتنة .

﴿ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن ذلك منسوخ لأن الله تعالى قد نهى عن قتال أهل الحرم إلا أن يبدؤا بالقتال ، ثم نُسِخَ ذلك بقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ، وهذا قول قتادة .

والقول الثاني : أنها محكمة وأنه لا يجوز أن نبدأ بقتال أهل الحرم إلا أن يبدؤا بالقتال ، وهذا قول مجاهد .

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاَعْدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

قوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ في سبب نزولها قولان :

أحدهما : أن رسول الله ﷺ ، كان قد أحرم بالعمرة في ذي القعدة سنة ست ، فصده المشركون عن البيت ، فصالحهم على أن يقضي في عامه الآخر ، فحل ورجع ، ثم اعتمر قاضياً في ذي القعدة سنة سبع ، وأحلت له قريش مكة حتى قضى عمرته . فنزل قوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ يعني ذا القعدة الذي قضى فيه العمرة من عامه وهو من الأشهر الحرم بالشهر الحرم الذي صدوكم فيه ، وهو ذو القعدة في العام الماضي ، سمي ذو القعدة لقعود العرب فيه عن القتال لحرمته .

ثم قال تعالى : ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ لأن قريشاً فخرت على رسول الله ﷺ حين صدته ، فاقتص الله عز وجل له ، وهذا قول قتادة والربيع بن زيد .

والقول الثاني : أن سبب نزولها أن مشركي العرب ، قالوا للنبي ﷺ : أنهيت يا محمد عن قتالنا في الشهر الحرام ؟ فقال نعم ، فأرادوا أن يقاتلوه في الشهر الحرام ، فأنزل الله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ أي إن استحلوا قتالكم في الشهر الحرام ، فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم ، وهذا قول الحسن البصري .

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعني الجهاد .

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ وفي الباء قولان :

أحدهما : أنها زائدة ، وتقديره ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة .

والقول الثاني : أنها غير زائدة أي ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة ،
والتهلكة والهلاك واحد .

وفي : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ستة تأويلات :

أحدها : أن تركوا النفقة في سبيل الله تعالى ، فتهلكوا بالإثم ، وهذا قول ابن عباس ، وحذيفة .

والثاني : أي لا تخرجوا بغير زاد ، فتهلكوا بالضعف ، وهذا قول زيد ابن أسلم .

والثالث : أي تياسوا من المغفرة عند ارتكاب المعاصي ، فلا تتوبوا ، وهذا قول البراء بن عازب .

والرابع : أن تركوا الجهاد في سبيل الله ، فتهلكوا ، وهذا قول أبي أيوب الأنصاري .

والخامس : أنها التقحم في القتال من غير نكاية في العدو ، وهذا قول أبي القاسم البلخي .

والسادس : أنه عام محمول على جميع ذلك كله ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

ثم قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه عني به الإحسان في آداء الفرائض ، وهو قول بعض الصحابة .

والثاني : وأحسنوا الظن بالقدر ، وهو قول عكرمة .

والثالث : عودوا بالإحسان على من ليس بيده شيء ، وهذا قول زيد بن

أسلم .

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمِن تَمَنُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وقرأ ابن مسعود فيما رواه عنه علقمة : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ بِالْبَيْتِ ﴾ واختلفوا في تأويل إتمامها على خمسة أقاويل :

أحدها : يعني وأتموا الحج لمناسكة وسننه ، وأتموا العمرة بحدودها وستتها ، وهذا قول مجاهد ، وعلقمة بن قيس .

والثاني : أن إتمامهما أن تُحْرِمَ بهما من دَوْرَةِ أهلك ، وهذا قول علي ، وطاوس ، وسعيد بن جبير .

والثالث : أن إتمام العمرة ، أن نخدم بها في غير الأشهر الحرم ، وإتمام الحج أن تأتي بجميع مناسكه ، حتى لا يلزم دم لجبران نقصان ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أن تخرج من دَوْرَةِ أهلك ، لأجلهما ، لا تريد غيرهما من تجارة ، ولا مكسب ، وهذا قول سفيان الثوري .

والخامس : أن إتمامهما واجب بالدخول فيهما ، وهذا قول الشعبي ، وأبي بردة ، وابن زيد ، ومسروق .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ في هذا الإحصار قولان :

أحدهما : أنه كل حابس من عدو ، أو مرض ، أو عذر ، وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وعطاء ، وأبي حنيفة .

والثاني : أنه الإحصار بالعدو ، دون المرض ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، والشافعي .

وفي ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ قولان :

أحدهما : شاة ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وعلقمة ، وعطاء ، وأكثر الفقهاء .

والثاني : بدنة ، وهو قول عمر ، وعائشة ، ومجاهد ، وطاوس ، وعروة ، وجعلوه فيما استيسر من صغار البُدن وكبارها .

وفي اشتقاق الهدى قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الهدية .

والثاني : مأخوذ من قولهم هديته هدياً ، إذا سقته إلى طريق سبيل الرشاد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ .

وفي محل هدي المحصر ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : حيث أُحصِر من جِلٍّ أو حَرَمٍ ، وهذا قول ابن عمر ، والمِسْور بن مخزومة ، وهارون بن الحكم ، وبه قال الشافعي .

والقول الثاني : أنه الحَرَم ، وهو قول عليّ ، وابن مسعود ومجاهد ، وبه قال أبو حنيفة .

والقول الثالث : أن مَحَلَّهُ أن يتحلل (*) من إحرامه بادئاً نسكه ، والمقام على إحرامه إلى زوال إحصاره ، وليس للمحرم أن يتحلل بالإحصار بعد رسول الله ﷺ ، فإن كان إحرامه بعمرة لم يَفُتْ ، وإن كان بحج قضاه بالفوات بعد الإحلال منه ، وهذا مروي عن ابن عباس ، وعائشة ، وبه قال مالك .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ معناه : فحلّق ، فعليه ذلك .

(*) والسياق يقتضي أن تكون العبارة : أنه لا يتحلل .

أما الصيام ففيه قولان :

أحدهما : صيام ثلاثة أيام ، وهذا قول مجاهد ، وعلقمة ، وإبراهيم ،
والربيع ، وبه قال الشافعي .

والقول الثاني : صيام عشرة أيام كصيام المتمتع ، وهو قول الحسن
وعكرمة .

وأما الصدقة ففيها قولان :

أحدهما : ستة مساكين ، وهو قول من أوجب صيام ثلاثة أيام .

والقول الثاني : إطعام عشرة مساكين ، وهو قول من أوجب صيام عشرة أيام .
وأما النسك فشا .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أُمِيتُمْ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : من خوفكم ..

والثاني : من مرضكم .

﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ اختلفوا في هذا
المتمتع على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الْمُحْصَرُ بالحج ، إذا حَلَّ منه بالإحصار ، ثم عاد إلى بلده
متمتعاً بعد إحلاله ، فإذا قضى حَجَّه في العام الثاني ، صار متمتعاً بإحلالِ بَيْنِ
الإحْرَامَيْنِ ، وهذا قول الزبير .

والثاني : فمن فسخ حَجَّه بعمرة ، فاستمتع بعمرة بعد فسخ حَجَّه ، وهذا
قول السدي .

والثالث : فمن قَدِمَ الحرم معتمراً في أشهر الحج ، ثم أقام بمكة حتى أحرم
منها بالحج في عامِهِ ، وهذا قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وعطاء ،
والشافعي .

وفي ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ ما ذكرناه من القولين .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ اختلفوا في
زمانها من الحج على قولين :

أحدهما : بعد إحرامه وقبل يوم النحر ، وهذا قول علي ، وابن عباس ،
والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وطاوس ، والسدي ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ،
والشافعي في الجديد .

والثاني : أنها أيام التشريق ، وهذا قول عائشة ، وعروة ، وابن عمر في رواية
سالم عنه ، والشافعي في القديم .

واختلفوا في جواز تقديمها قبل الإحرام بالحج على قولين :
أحدهما : لا يجوز ، وهذا قول ابن عمر ، وابن عباس .
والثاني : يجوز .

واختلف قائلو ذلك في زمان تقديمه قبل الحج على قولين :
أحدهما : عشر ذي الحجة ، ولا يجوز قبلها ، وهو قول مجاهد ، وعطاء .
والثاني : في أشهر الحج ، ولا يجوز قبلها ، وهو قول طاوس .

ثم قال تعالى : ﴿ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ وفي زمانها قولان :
أحدهما : إذا رجعت من حجكم في طريقكم ، وهو قول مجاهد .
والثاني : إذا رجعت إلى أهليكم في أمصاركم ، وهو قول عطاء ، وقتادة ،
وسعيد بن جبير ، والربيع .

ثم قال تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ فيه أربعة تأويلات :
أحدها : أنها عشرة كاملة في الثواب كمن أهدى ، وهو قول الحسن .
والثاني : عشرة كملت لكم أجر من أقام على إحرامه فلم يحل منه ولم
يتمتع .

والثالث : أنه خارج مخرج الخبر ، ومعناه معنى الأمر ، أي تلك عشرة ،
فأكملوا صيامها ولا تفتروا فيها .

والرابع : تأكيد في الكلام ، وهو قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكْ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ وفي حاضريه أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل الحرم ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وطاوس .

والثاني : أنهم مَنْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَوَاقِيتِ ، وهو قول مكحول ، وعطاء .

والثالث : أنهم أهل الْحَرَمِ وَمَنْ قُرْبَ مَنْزِلِهِ مِنْهُ ، كأهل عرفة ، والرجيع ، وهو قول الزهري ، ومالك .

والرابع : أنهم مَنْ كَانَ عَلَى مَسَافَةٍ لَا يَقْصِرُ فِي مِثْلِهَا الصَّلَاةَ ، وهو قول الشافعي .

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾

قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ اختلفوا في تأويله على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة بأسرها ، وهذا قول قتادة ، وطاوس ، ومجاهد ، عن ابن عمر ، وهو مذهب مالك .

والثاني : هو شوال ، وذو القعدة ، وعشرة أيام من ذي الحجة ، وهذا قول أبي حنيفة .

والثالث : هن شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة ، إلى طلوع الفجر من يوم النحر ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والسدي ، ونافع ، عن ابن عمر ، وعطاء ، والضحاك ، والشافعي .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الإِهْلَالُ بِالتَّلْبِيَةِ ، وهو قول عمر ومجاهد وطاوس .

والثاني : أنه الإحرام ، وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعطاء ،
والشافعي .

﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الجماع ، وهو قول ابن عمر ، والحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن
جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهري .

والثاني : أنه الجماع أو التعرض له بمُوَاعَدَةٍ أو مُدَاعَبَةٍ ، وهو قول الحسن
البصري .

والثالث : أنه الإِفْحَاشُ للمرأة في الكلام ، كقولك إذا أحللنا فعلنا بك كذا
من غير كناية ، وهو قول ابن عباس ، وطاوس .

﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أنه فِعْلٌ ما نُهِيَ عنه في الإحرام ، من قتل صيد ، وحلق شَعْرٍ ،
وتقليم ظفر ، وهو قول عبد الله بن عمر .

والثاني : أنه السباب ، وهو قول عطاء ، والسدي .

والثالث : أنه الذبح للأصنام ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : التنازع بالألقاب ، وهو قول الضحاك .

والخامس : أنه المعاصي كلها ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ،
ومجاهد ، وطاووس .

﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : هو أن يجادل الرجل صاحبه ، يعني يعصيه ، وهذا قول ابن عباس
ومجاهد .

الثاني : هو السباب ، وهو قول ابن عمر ، وقتادة .

والثالث : أنه المِرَاءُ والاختلاف فِيمَنْ هو أَبْرُهُمْ حَجًّا ، وهذا قول محمد بن
كعب .

والرابع : أنه اختلاف كان يقع بينهم في اليوم الذي يكون فيه حجهم ، وهذا
قول القاسم بن محمد .

والخامس : أنه اختلافهم في مواقف الحج ، أيهم المصيب موقف إبراهيم ، وهذا قول ابن زيد .

والسادس : أن معناه ألا جدال في وقته لاستقراره ، وإبطال الشهر الذي كانوا ينسؤونه في كل عام ، فربما حجوا في ذي القعدة ، وربما حجوا في صفر ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ تأويلان :

أحدهما : تزودوا بالأعمال الصالحة ، فإن خير الزاد التقوى .

والثاني : أنها نزلت في قوم من أهل اليمن ، كانوا يحجون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون ، فنزلت فيهم : ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾ ، يعني من الطعام .

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ روى ابن عباس قال : كان ذو المجاز وعكاظ متجرين للناس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام تركوا ذلك ، حتى نزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ، وكان ابن الزبير يقرأ ﴿ فِي مَوَاقِيتِ الْحَجِّ ﴾ .

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه فإذا رجعتكم من حيث بدأتم .

والثاني : أن الإفاضة : الدفع عن اجتماع ، كفيض الإناء عن امتلاء .

والثالث : أن الإفاضة الإسراع من مكان إلى مكان .

وفي ﴿ عَرَفَاتٍ ﴾ قولان :

أحدهما : أنها (جمع) عرفة .

والثاني : أنها اسم واحد وإن كان بلفظ الجمع ، وهذا قول الزجاج .

واختلفوا في تسمية المكان عرفة على أربعة أقاويل :

أحدها : أن آدم عرف فيه حواء بعد أن أُهبطَا من الجنة .

والثاني : أن إبراهيم عرف المكان عند الرؤية ، لما تقدم له في الصفة .

والثالث : أن جبريل عَرَفَ فيه الأنبياء مناسكهم .

والرابع : أنه سُمِّيَ بذلك لعلو الناس فيه ، والعرب تسمي ما علا (عرفة) و (عرفات) ، ومنه سُمِّيَ عُرْفُ الديك لعلوه .

﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ وَالْمَشْعَرُ الْمَعْلَمُ ، سُمِّيَ بذلك ، لأن الدعاء عنده ، والمقام فيه من معالم الحج ، وحد المشعر ما بين منى ومزدلفة مِنْ حَدِّ مَفْضِي مَا زَمِيَ عُرْفَةً إِلَى مُحَسَّرٍ ، وليس مأزماً عُرْفَةً مِنَ الْمَشْعَرِ .

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها نزلت في قريش ، وكانوا يسمون الحمس ، لا يخرجون من الحرم في حجهم ، ويقفون بمزدلفة ، ويقولون نحن من أهل الله ، فلا نخرج من حرم الله ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، وهي موقف إبراهيم عليه السلام ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ يعني جميع العرب ، وهذا قول عائشة ، وعروة ، ومجاهد ، وقتادة .

والقول الثاني : أنها أمر لجميع الخلق من قريش وغيرهم ، أن يفيضوا من حيث أفاض الناس ، يعني بالناس إبراهيم ، وقد يعبر عن الواحد باسم الناس ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [ال عمران : ١٧٣] وكان القائل واحداً ، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي ، وهذا قول الضحاك .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : استغفروه من ذنوبكم .

والثاني : استغفروه مما كان من مخالفتكم في الوقت والإفاضة .

فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ
 أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ
 نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ ﴾ أما المناسك ، فهي المتعبدات ،
 وفيها ها هنا تأويلان :

أحدهما : أنها الذبائح ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : ما أمروا بفعله في الحج ، وهذا قول الحسن البصري .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن هذا الذكر هو التكبير في أيام منى .

والثاني : أنه جميع ما سُنَّ من الأدعية في مواطن الحج كلها .

وفي قوله تعالى : ﴿ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم كانوا إذا فرغوا من حجهم في الجاهلية جلسوا في منى حلقاً
 وافتخروا بمناقب آبائهم ، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ
 أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أن معناه ، فاذكروا الله كذكركم الأبناء الصغار للآباء ، إذا قالوا :
 أبه أمه ، وهذا قول عطاء ، والضحاك .

والثالث : أنهم كانوا يدعون ، فيقول الواحد منهم : اللهم إن أبي كان عظيم
 الجفنة ، عظيم القبة ، كثير المال ، فاعطني مثل ما أعطيته ، فلا يذكر غير أبيه ،
 فأمرُوا بذكر الله ، كذكركم آباءهم ، أو أشد ذكراً ، وهو قول السدي .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
 حَسَنَةً ﴾ فيها أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الحسنه العافيه في الدنيا والآخرة ، وهو قول قتاده .

والثاني : أنها نِعَمُ الدنيا ونِعَمُ الآخرة^(٢٩٦) ، وهو قول أكثر أهل العلم .

والثالث : أن الحسنه في الدنيا العلم ، والعبادة ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول الحسن ، والثوري .

والرابع : أن الحسنه في الدنيا المال ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول ابن زيد ، والسدي .

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾^(٢٠٣)

قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ هي أيام منى قول جميع المفسرين ، وإن خالف بعض الفقهاء في أن أشرك بين بعضها وبين الأيام المعلومات .

﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ يعني تعجل النفر الأول في اليوم الثاني من أيام منى .

﴿ وَمَنْ تَأَخَّرَ ﴾ يعني إلى النفر الثاني ، وهو الثالث من أيام منى .

﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ وفي الإثم ها هنا ، خمسة تأويلات :

أحدها : أن من تعجل فلا إثم عليه في تعجله ، ومن تأخر فلا إثم عليه في تأخره ، وهذا قول عطاء .

(٢٩٦) قال الحافظ ابن كثير (٢٤٣/١ ، ٢٤٤) : -

جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فإن الحسنه في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافيه ودار رحبه وزوجه حسنه ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجه في الحسنه في الدنيا وأما الحسنه في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحه وأما النجاه من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام .

والثاني : أن من تعجل في يومين ، فمغفور له ، لا إثم عليه ، ومن تأخر فمغفور له ، لا إثم عليه ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : فلا إثم عليه ، إن اتقى فيما بقي من عمره ، وهذا قول أبي العالية ، والسدي .

والرابع : فلا إثم عليه ، إن اتقى في قتل الصيد في اليوم الثالث ، حتى يحلّوا أيام التشريق ، وهذا قول ابن عباس .

والخامس : فلا إثم عليه ، إن اتقى إصابة ما نُهي عنه ، فيغفر له ما سلف من ذنبه ، وهذا قول قتادة .

فأما المراد بذكر الله تعالى في الأيام المعدادات ، فهو التكبير فيها عقب الصلوات المفروضة ، واختلف فيه على أربعة مذاهب :

أحدها : أنه تكبير من بعد صلاة الصبح ، يوم عرفة ، إلى بعد صلاة العصر ، من آخر أيام التشريق ، وهذا قول علي رضي الله عنه ، وبه قال من الفقهاء أبو يوسف ، ومحمد .

والثاني : أنه تكبير من صلاة الفجر ، من يوم عرفة ، إلى صلاة العصر ، من يوم النحر ، وهذا قول ابن مسعود ، وبه قال من الفقهاء أبو حنيفة .

والثالث : أنه يكبر بعد صلاة الظهر ، من يوم النحر ، إلى بعد صلاة العصر ، من آخر أيام التشريق ، وهذا قول زيد بن ثابت .

والرابع : أنه يكبر من بعد صلاة الظهر ، من يوم النحر ، إلى آخر صلاة الصبح ، من آخر التشريق ، وهذا قول عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وبه قال من الفقهاء الشافعي .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ
وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي
نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فيه قولان :
أحدهما : يعني من الجميل والخير .

والثاني : من حب رسول الله ﷺ ، والرغبة في دينه .

﴿ وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن يقول : اللهم اشهد عليّ فيه ، وضميره بخلافه .

والثاني : معناه : وفي قلبه ما يشهد الله أنه بخلافه .

والثالث : معناه : ويستشهد الله على صحة ما في قلبه ، ويعلم أنه بخلافه .

وهي في قراءة ابن مسعود ﴿ وَيَسْتَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ .

﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ والألد من الرجال الشديد الخصومة ، وفي الخصام

قولان :

أحدهما : أنه مصدر ، وهو قول الخليل .

والثاني : أنه جمع خصيم ، وهو قول الزجاج .

وفي تأويل ﴿ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ هنا أربعة أوجه :

أحدها : أنه ذو جدال ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : يعني أنه غير مستقيم الخصومة ، لكنه معوجها ، وهذا قول

مجاهد ، والسدي .

والثالث : يعني أنه كاذب ، في قول الحسن البصري .

والرابع : أنه شديد القسوة في معصية الله ، وهو قول قتادة .

وقد روى ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، أن النبي ﷺ قال : « أَبْغَضُ الرِّجَالِ

إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَلَدُّ الْخِصْمُ » (٢٩٧) .

وفيمن قصد بهذه الآية وما بعدها قولان :

أحدهما : أنه صفة للمنافق ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن .

والثاني : أنها نزلت في الأخنس بن شريق ، وهو قول السدي .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ ﴾ في قوله تولى تأويلان :

أحدهما : يعني غضب ، حكاه النقاش .

والثاني : انصرف ، وهو ظاهر قول الحسن .

وفي قوله تعالى : ﴿ لِيُفْسِدُوا فِيهَا ﴾ تأويلان :

أحدهما : يفسد فيها بالصد .

والثاني : بالكفر .

﴿ وَيَهْلِكَ الْحَرثُ وَالنَّسْلُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : بالسبي والقتل .

والثاني : بالضلال الذي يؤول إلى السبي والقتل .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ معناه لا يحب أهل الفساد . وقال بعضهم لا يمدح

الفساد ، ولا يثني عليه ، وقيل أنه لا يحب كونه ديناً وشرعاً ، ويحتمل : لا يحب العمل بالفساد .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه دعتة العزة إلى فعل الإثم .

والثاني : معناه إذا قيل له اتق الله ، عزت نفسه أن يقبلها ، للإثم الذي منعه

منها .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ يشري نفسه

أي يبيع ، كما قال تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ ، [يوسف : ٢٠] أي باعوه ، قال

= والترمذي (٩/٣) وزاد السيوطي في الدرر (٥٧٣/١) نسبته للنسائي ووكيع وابن مردويه والبيهقي

في السنن والبيهقي في الشعب من حديث عائشة رضي الله عنها وقال الترمذي رحمه الله وقد نسبته صاحب

تحفة الأشراف (٤٥٦/١١) للنسائي في الكبرى .

نتيجه : - وهم الامام السيوطي في الدر حين نسب الحديث لأبي داود فإنه ليس فيه سننه وهي المرادة

عند الاطلاق .

الحسن البصري : العمل الذي باع به نفسه الجهاد في سبيل الله .

واختلفَ فيمن نزلت فيه هذه الآية ، على قولين :

أحدهما : نزلت في رجل ، أمر بمعروف ونهى عن منكر ، وقتل ، وهذا قول علي ، وعمر ، وابن عباس .

والثاني : أنها نزلت في ضُهير بن سنان اشترى نفسه من المشركين بماله كله ، ولحق بالمسلمين ، وهذا قول عكرمة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ قرأ ابن كثير ، ونافع ، والكسائي بفتح السين ، والباقون بكسرها ، واختلف أهل اللغة في الفتح والكسر ، على وجهين :

أحدهما : أنهما لغتان تستعمل كل واحدة منهما في موضع الأخرى .

والثاني : معناهما مختلف ، والفرق بينهما أن السِّلْمَ بالكسر الإسلام ، والسِّلْمَ بالفتح المسالمة ، من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ . [الأنفال : ٦١] وفي المراد بالدخول في السلم ، تأويلان :

أحدهما : الدخول في الإسلام ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك .

والثاني : معناه ادخلوا في الطاعة ، وهو قول الربيع ، وقتادة .

وفي قوله : ﴿ كَافَّةً ﴾ تأويلان :

أحدهما : عائد إلى الذين آمنوا ، أن يدخلوا جميعاً في السلم .

والثاني : عائد إلى السلم أن يدخلوا في جميعه .

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ يعني آثاره .

﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : مبين لنفسه .

والآخر : مبين بعدوانه .

واختلفوا فيمن (*) أبان به عدوانه على قولين :

أحدهما : بامتناعه من السجود لآدم .

والثاني : بقوله : ﴿ لَأُخْتَبِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢] .

واختلفوا فيمن أمر بالدخول في السلم كافة ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المأمور بها المسلمون ، والدخول في السلم العمل بشرائع الإسلام كلها ، وهو قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنها نزلت في أهل الكتاب ، آمنوا بمن سلف من الأنبياء ، فأُمروا بالدخول في الإسلام ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك .

والثالث : أنها نزلت في ثعلبة ، وعبد الله بن سلام ، وابن يامين ، وأسد ، وأسيد ابني كعب ، وسعيد بن عمرو ، وقيس بن زيد ، كلهم من يهود قالوا لرسول الله ﷺ : يوم السبت كنا نعظمه ونُسَبِّتُ فيه ، وإن التوراة كتاب الله تعالى ، فدعنا فلنصم نهارنا بالليل (٢٩٨) ، فنزلت هذه الآية ، وهو قول عكرمة .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه عصيتم .

والثاني : معناه كفرتم .

والثالث : إن ضللتكم وهذا قول السدي .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنها حجج الله ودلائله .

(*) ولعل الأصح فيما لأن من للعاقل .

(٢٩٨) رواه ابن جرير (٥٥/٤) عن عكرمة مرسلاً وفي سننه الحسن بن داود الملقب بسنيد وهو ضعيف .

وقال الحافظ في تخريج الكشاف (ص ٧) مرسل وابن جريج لم يسمع من عكرمة .

والثاني : محمد ، وهو قول السدي .

والثالث : القرآن ، وهو قول ابن جريج .

والرابع : الإسلام .

﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ يعني عزيز في نفسه ، حكيم في فعله .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ
الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ ، قرأ قتادة ﴿ فِي ظِلَالِ الْغَمَامِ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : أن معناه إلا أن يأتيهم ﴿٢٩٩﴾ الله بظلل من الغمام ، وبالملائكة .

والثاني : إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام .

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ
فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ ليس السؤال على وجه الاستخبار ، ولكنه على وجه التوبيخ .

وفي المراد بسؤاله بني إسرائيل ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنبياءهم .

والثاني : علماءهم .

والثالث : جميعهم . والآيات البينات : فُلُقُ البحر ، والظلل من الغمام ،

وغير ذلك .

(٢٩٨) إن هذه الآية من الآيات المتشابهة التي نعتقد فيها لله سبحانه وتعالى بما يليق له تعالى من غير تجسيم ولا تكيف قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : «أمنت بما جاء عن الله بمراد الله وأمنت بما جاء عن رسول الله بمراد رسول الله ﷺ» .

﴿ وَمَنْ يُدِلَّ نِعْمَةُ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ ﴾ يعني بنعمة الله برسوله ﷺ .
 قوله تعالى : ﴿ رُئِيَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ في الدنيا وتزيينها لهم ،
 ثلاثة أقاويل :

أحدها : زينها لهم الشيطان ، وهو قول الحسن .
 والثاني : زينها لهم الذين أغروهم من الإنس والجن ، وهو قول بعض
 المتكلمين .

والثالث : أن الله تعالى زينها لهم بالشهوات التي خلقها لهم .
 ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ لأنهم توهموا أنهم على حق ، فهذه
 سخريتهم بضعفة المسلمين . وفي الذي يفعل ذلك قولان :
 أحدهما : أنهم علماء اليهود .
 والثاني : مشركو العرب .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يعني أنهم فوق الكفار في الدنيا .
 ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .
 فإن قيل : كيف يرزق من يشاء بغير حساب وقد قال تعالى : ﴿ عَطَاءٌ
 حِسَابًا ﴾ [النبا : ٣٦] ؟ ففي هذا ستة أجوبة :
 أحدها : أن النقصان بغير حساب ، والجزاء بالحساب .

والثاني : بغير حساب لسعة ملكه الذي لا يفنى بالعطاء ، لا يقدر
 بالحساب .

والثالث : إن كفايتهم بغير حساب ولا تضيق .
 والرابع : دائم لا يتناهى فيصير محسوباً ، وهذا قول الحسن .
 والخامس : أن الرزق في الدنيا بغير حساب ، لأنه يعم به المؤمن والكافر فلا
 يرزق المؤمن على قدر إيمانه ولا الكافر على قدر كفره .
 والسادس : أنه يرزق المؤمنين في الآخرة وأنه لا يحاسبهم عليه ولا يَمُنُّ
 عليهم به .

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ
أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا
اختلفوا فيه مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ في قوله : ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم كانوا على الكفر ، وهذا قول ابن عباس والحسن .
والثاني : أنهم كانوا على الحق ، وهو قول قتادة والضحاك .
والثالث : أنه آدم كان على الحق إماماً لذريته فبعث الله النبيين في ولده ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : أنهم عشر فرق كانوا بين آدم ونوح على شريعة من الحق فاختلفوا ، وهذا قول عكرمة .

والخامس : أنه أراد جميع الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد يوم استخرج الله ذرية آدم من صلبه ، فعرضهم على آدم ، فأقروا بالعبودية والإسلام ، ثم اختلفوا بعد ذلك . وكان أبي بن كعب يقرأ : ﴿ كَانَ الْبَشَرُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ . وهذا قول الربيع وابن زيد .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ قولان :

أحدهما : في الحق .

والثاني : في الكتاب وهو التوراة . ﴿ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ ﴾ يعني اليهود .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ يعني الحجج والدلائل ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ مصدر من قول القائل : بغى فلان على فلان ، إذا اعتدى عليه .

﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ فيه ثلاثة

أقاويل :

أحدها : أراد الجمعة ، لأن أهل الكتاب اختلفوا فيها فضلوا عنها ، فجعلها اليهود السبت ، وجعلها النصارى الأحد ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا من الحق بإذنه ، فهدى الله الذين آمنوا إليها ، وهذا قول أبي هريرة .

والثاني : أنهم اختلفوا في الصلاة ، فمنهم من يصلي إلى الشرق ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس ، فهدانا الله للقبلة ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : أنهم اختلفوا في الكتب المنزلة ، فكفر بعضهم بكتاب بعض فهدانا الله للتصديق بجميعها .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ
الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ
أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ
فَلِللَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّيْمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ، قُلْ : مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّيْمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت قبل آية الزكاة في إيجاب النفقة على الأهل والصدقة ثم
نسختها آية الزكاة ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن أموالهم أين يضعونها ، فأنزل
الله هذه الآية ، وهذا قول ابن زيد .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ بمعنى فرض . وفي فرضه ثلاثة
أقاويل :

أحدها : أنه على أصحاب رسول الله ﷺ .

والثاني : أنه خطاب لكل أحد من الناس كلهم أبداً حتى يقوم به من فيه كفاية ، وهذا قول الفقهاء والعلماء .

والثالث : أنه فرض على كل مسلم في عينه أبداً ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ والكره بالضم إدخال المشقة على النفس من غير إكراه أحد . والكره بالفتح إدخال المشقة على النفس بإكراه غيره له . ثم فيه قولان :

أحدهما : أنه فيه حذفاً وتقديره : وهو ذكركم لكم وهذا قول الزجاج .

والثاني : معناه وهو مكروه لكم ، فأقام المقدر مقامه .

ثم في كونه كرهاً تأويلان :

أحدهما : وهو كره لكم قبل التعبد وأما بعده فلا .

الثاني : وهو كره لكم في الطباع قبل الفرض وبعده . وإنما يحتمل بالتعبد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ وفي عسى ها هنا قولان :

أحدهما : أنه طمع المشفق مع دخول الشك .

والثاني : أنها بمعنى قد . وقال الأصم : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً ﴾ من

القتال ﴿ وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ يعني في الدنيا بالظفر والغنيمة ، وفي الآخرة بالأجر

والثواب ، ﴿ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً ﴾ يعني من المتاركة والكف ﴿ وَهُوَ خَيْرٌ

لَكُمْ ﴾ ، يعني في الدنيا بالظهور عليكم وفي الآخرة بنقصان أجوركم .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ما فيه مصلحتكم ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٍ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ

أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا
وَمَنْ يَرِنْدِ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾
والسبب في نزول هذه الآية أن عبد الله بن جحش خرج بأمر رسول الله ﷺ في
سبعة نفر من أصحابه وهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعكاشة بن محصن ،
وعتبة بن غزوان ، وسهيل بن البيضاء ، وخالد بن البكير ، وسعد بن أبي وقاص ،
وواقد بن عبد الله ، وعبد الله بن جحش كان أميرهم ، فتأخر عن القوم سعد وعتبة
ليطلبوا بغيراً لهما ضلَّ ، فلقوا عمرو بن الحضرمي (**) فرماه واقد بن عبد الله
التميمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وغنمت
الغير ، وكان ذلك في آخر ليلة من جمادى الآخرة أو أول ليلة من رجب ، فغيرت
قريش رسول الله ﷺ بذلك وقدم عبد الله بن جحش فلامه رسول الله ﷺ ولامه
المسلمون حتى أنزل الله فيه هذه الآية .

واختلفوا فيمن سأل عن ذلك على قولين :

أحدهما : أنهم المشركون ليعيروا بذلك رسول الله ﷺ ، واستحلوا قتاله
فيه ، وهو قول الأكثر .

والثاني : أنهم المسلمون سألوا عن القتال في الشهر الحرام ليعلموا حكم
ذلك . فأخبرهم الله تعالى : أن الصد عن سبيل الله وإخراج أهل الحرم منه والفتنة
أكبر من القتل في الشهر الحرام وفي الحرم ، وهذا قول قتادة .

واختلفوا في تحريم القتال في الأشهر الحرم هل نسخ أم لا ؟ فقال الزهري :
هو منسوخ بقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ . وقال
عطاء : هو ثابت الحكم ، وتحريم القتال فيه باقٍ غير منسوخ ، والأول أصح لما

تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه غزا هوازن بحنين ، وثقيفاً بالطائف ، وأرسل أبا العاص إلى أوطاس لحرب مَنْ بها من المشركين في بعض الأشهر الحرم ، وكانت بيعة الرضوان على قتال قريش في ذي القعدة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ أي يرجع ، كما قال تعالى : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤] أي رجعا، ومن ذلك قيل : استرد فلان حقه . ﴿ فِيمَتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ أي بطلت ، وأصل الحبوط الفساد ، فقليل في الأعمال إذا بطلت حبطت لفسادها .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ الآية . وسبب نزولها أن قوماً من المسلمين قالوا في عبد الله بن جحش ومن معه : إن لم يكونوا أصابوا في سفرهم وزراً فليس فيه أجر ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعني بالله ورسوله ، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ يعني عن مساكنة المشركين في أمصارهم ، وبذلك سمي المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ مهاجرين لهجرهم دورهم ومنازلهم كراهة الذل من المشركين وسلطانهم ، ﴿ وَجَاهَدُوا ﴾ يعني قاتلوا ، وأصل المجاهدة المفاعلة من قولهم جهد كذا إذا أكده وشق عليه ، فإن كان الفعل من اثنين كل واحد منهما يكابد من صاحبه شدة ومشقة قيل فلان يجاهد فلاناً . وأما ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فطريق الله ، وطريقه : دينه .

فإن قيل : فكيف قال : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﴾ ورحمة الله للمؤمنين مستحقة ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أنهم لما لم يعلموا حالهم في المستقبل جاز أن يرجوا الرحمة خوفاً أن يحدث من مستقبل أمورهم ما لا يستوجبونها معه .

والجواب الثاني : أنهم إنما رجوا الرحمة لأنهم لم يتيقنوها بتأدية كل ما أوجبه الله تعالى عليهم .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ أَنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ الآية : يعني يسألك
أصحابك يا محمد عن الخمر والميسر وشربها ، وهذه أول آية نزلت فيها .

والخمر كل ما خامر العقل فستره وغطى عليه ، من قولهم خَمَرْتُ الْإِنَاءَ إِذَا
غَطَيْتَهُ ، ويقال هو في خُمَارِ النَّاسِ وغمارهم يراد به دخل في عُرضهم فاستتر بهم ،
ومن ذلك أخذ خمار المرأة لأنه يسترها ، ومنه قيل هو يمشي لك الخمر أي
مستخفياً ، قال العجاج :

فِي لَامِعِ الْعِقْبَانِ لَا يَأْتِي الْخَمْرُ يُوجِّهُ الْأَرْضَ وَيَسْتَأْقِ الشَّجَرَ (٣٠٠)

يعني بقوله لا يأتي الخمر أي لا يأتي مستخفياً لكن ظاهراً برايات وجيوش .

فأما الميسر فهو القمار من قول القائل يَسِرُّ لِي هَذَا الشَّيْءُ يَسِرّاً وَمَيْسِراً ،
فالياسر اللاعب بالقдах ثم قيل للمقامر ياسر وَيَسِرُّ كما قال الشاعر :

فَبِتْ كَأَنِّي يَسِرُّ غَيْبٌ يَقْلِبُ بَعْدَمَا اخْتَلَعَ الْقَدَاحُ (٣٠١)

﴿ قُلْ : فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ ﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿ كَثِيرٌ ﴾

بالثاء .

وفي إثمهما تأويلان :

أحدهما : أن شارب الخمر يسكر فيؤذي الناس ، وإثم الميسر : أن يقامر
الرجل فيمنع الحق ويظلم ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن إثم الخمر زوال عقل شاربها إذا سكر حتى يغرب عنه معرفة

(٢٩٩) ديوانه (ص ١٧) .

(٣٠١) قال صاحب تخريج الطبري في معنى هذا البيت من الشعر يقول أنه بات ليلته حزينا كاسفاً مطرقاً
إطراق المغامر الذي خسر كل شيء فأخذ يقلب في كفيه قдахه مطرقاً متحسراً على ما أصابه ونكبه
(٣٢١/٤) .

خالقه . وإثم الميسر : ما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن الصلاة ، ووقوع العداوة والبغضاء كما وصف الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَادَۃً وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ [المائدة : ٩٠]
وهذا قول ابن عباس .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فمنافع الخمر أثمانها وربح تجارتها ، وما ينالونه من اللذة بشربها ، كما قال حسان بن ثابت :

ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنها اللقاء^(٣٠٢)
وكما قال آخر :

فإذا شربت فإنني ربُّ الخورنق والسدير^(٣٠٣)
وإذا صحتُ فإنني ربُّ الشوبهة والبعير
وأما منافع الميسر ففيه قولان :

أحدهما : اكتساب المال من غير كد .

والثاني : ما يصيبون من أنصاء الجزور ، وذلك أنهم كانوا يتياسرون على الجزور فإذا أفلح الرجل منهم على أصحابه نحروه ثم اقتسموه أعشاراً على عدة القداح ، وفي ذلك يقول أعشى بني ثعلبة :

وجزور أيسار دعوت إلى الندى أوساط مقفرة أخف طلالها^(٣٠٤)
وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما بعد التحريم ، وهو قول ابن عباس .

(٣٠٢) ديوان حسان (ص ٤) وفيه « فنشربها » بدلاً من « ونشربها » وكذا نقله الطبري في التفسير فنشربها . . . الخ (٣٢٧/٤) .

(٣٠٣) الشاعر هو المنخل اليشكري شاعر جاهلي قتلته عمرو بن هند .

(٣٠٤) ديوانه (ص ٢٣) وفيه : ونياط مقفرة أخاف ضلالها .

وكذا نقله الطبري (٣٢٧/٤) .

والثاني : أن كلاهما قبل التحريم يعني الإثم الذي يحدث من أسبابهما أكبر من نفعهما ، وهو قول سعيد بن جبير .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ ﴾ ستة تأويلات :

أحدها : بما فضل عن الأهل ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه الوسط في النفقة ما لم يكن إسرافاً أو إقتاراً ، وهو قول الحسن (*) .

والرابع : إن الغفو أن يؤخذ منهم ما أتوا به من قليل أو كثير ، وهو قول مروى عن ابن عباس أيضاً .

والخامس : أنه الصدقة عن ظهر غنى ، وهو قول مجاهد .

والسادس : أنه الصدقة المفروضة ، وهو مروى عن مجاهد أيضاً .

واختلفوا في هذه النفقة التي هي الغفو هل نسخت ؟ فقال ابن عباس نسخت بالزكاة . وقال مجاهد هي ثابتة .

واختلفوا في هذه الآية هل كان تحريم الخمر بها أو بغيرها ؟ فقال قوم من أهل النظر : حرمت الخمر بهذه الآية . وقال قتادة وعليه أكثر العلماء : أنها حرمت بآية المائدة .

وروى عبد الوهاب عن عوف عن أبي القلوص^(٣٠٥) زيد بن علي قال : أنزل الله عز وجل في الخمر ثلاث آيات فأول ما أنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ

(*) لاحظ أن التأويل الثالث لم يذكر .

(٣٠٥) وفي الطبري (٣٣٢/٤) عن أبي القموص وهذا الأثر رواه الطبري (٣٣٢/٤)

وهو حديث مرسل ضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٠١/٧) وما وقع في المخطوطة خطأ في اسمه صححناه من الطبري .

وهذا الشعر منسوب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولكن هذه القصة لم تثبت وقد ردها الإمام الحافظ ابن حجر بما رواه الفاكهي بسند صحيح كما قال الحافظ عن عائشة رضي الله عنها قالت : « والله ما قال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا الإسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية » ثم قال الحافظ : وهي أعلم بشأن أبيها من غيرها وأبو القموص لم يدرك أبا بكر فالمعده على الوسطة فلعله كان من الروافض (٢٠١/٧ فتح) .

وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴿٢١٩﴾ فشربها قوم من المسلمين أو من شاء الله منهم حتى شربها رجلان ودخلا في الصلاة وجعلا يقولان كلاماً لا يدري عوف ما هو ، فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فشربها من شربها منهم وجعلوا يتوقونها عند الصلاة ، حتى شربها - فيما زعم أبو القلوص - رجل فجعل ينوح على قتلى بدر ، وجعل يقول :

وהל لي بعد قومي من سلام	تحيي بالسلامة أم بكر
رأيت الموت نبث عن هشام	ذريني اصطبح بكراً فإني
بألف من رجال أو سوام	ووديني المغيرة لو فدوه
من الشيزي تكلل بالسنام	وكائن بالطوي طوي بدر
من الفتیان والحلل الكرام	وكائن بالطوي طوي بدر

قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء فرعاً يجرد رداءه من الفرع حتى انتهى إليه ، فلما عاينه الرجل ورفع رسول الله ﷺ شيئاً كان بيده ليضربه ، فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله ، لا أطعمها أبداً ، فأنزل الله في تحريمها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ﴾ إلى قوله : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة : ٩٠ - ٩١] فقالوا : انتهينا .

وروى موسى عن عمرو عن أسباط عن السدي قال : نزلت هذه الآية : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فلم يزالوا يشربونها حتى صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ودعا ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ، منهم علي بن أبي طالب وعمر رضي الله عنهما ، فشربوا حتى سكروا ، فحضرت الصلاة فأمهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقراً : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون : ١] فلم يُقِمَّها ، فأنزل الله تعالى يشدد في الخمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ إلى قوله : ﴿مَا تَقُولُونَ﴾ فكانت لهم حلالاً يشربونها من صلاة الغداة حتى يرتفع النهار أو ينتصف فيقومون إلى صلاة الظهر وهم صاحون ، ثم لا يشربونها حتى يصلوا العتمة ، ثم يشربونها حتى ينتصف الليل ، وينامون ويقومون إلى صلاة الفجر وقد أصبحوا ، فلم يزالوا كذلك يشربونها حتى صنع سعد بن أبي وقاص طعاماً ودعا

ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم رجل من الأنصار ، فسوى لهم رأس بعير ثم دعاهم إليه ، فلما أكلوا وشربوا من الخمر سكروا وأخذوا في الحديث فتكلم سعد بشيء فغضب الأنصاري فرفع لحي البعير وكسر أنف سعد ، فأنزل الله تعالى نسخ الخمر وتحريمها ، فقال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ ﴾ [المائدة: ٩٠] إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّهَوْنَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ : إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ قال المفسرون : لما نزلت سورة بني إسرائيل ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، وفي سورة النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ، تخرج المسلمون أن يخلطوا طعامهم بطعام من يكون عندهم من الأيتام ، وكانوا يعزلون طعامهم عن طعامهم ، وشرابهم عن شرابهم ، حتى ربما فسد طعامهم ، فشق ذلك عليهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ تَخَالِطُوهُمْ فَأِخْوَانَكُمْ ﴾ ، يعني في الطعام ، والشراب ، والمساكنة ، وركوب الدابة ، واستخدام العبد قال الشعبي : فمن خالط يتيماً ، فليوسع عليه ، ومن خالط بأكل فلا يفعل .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ قال ابن زيد : الله يعلم حين تخط مالك بماله ، أتريد أن تصلح ماله أو تفسد ماله بغير حق .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبَكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لشدد عليكم ، وهو قول السدي .

والثاني : لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً ، وهو قول ابن عباس .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ يعني عزيز في سلطانه وقدرته على الإعانات ، حكيم فيما صنع من تدبيره وتركه الإعانات .

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا مَٔمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجَبْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُعْجَبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ

وَيَبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ اختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها في جميع المشركات الكتابيات وغير الكتابيات ، وأن حكمها غير منسوخ ، فلا يجوز لمسلم أن ينكح مشركة أبداً ، وذكر أن طلحة بن عبيد الله نكح يهودية ، ونكح حذيفة نصرانية ، فغضب عمر بن الخطاب غضباً شديداً ، حتى كاد يبطش بهما ، فقالا نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب ، فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ، ولكن ينزعن منكم صغرة قمأة .

والثاني : أنها نزلت مراداً بها مشركات العرب ، ومن دان دين أهل الكتاب ، وأنها ثابتة لم ينسخ شيء منها ، وهذا قول قتادة ، وسعيد بن جبير .

والثالث : أنها عامة في جميع المشركات ، وقد نسخ منهن الكتابيات ، بقوله تعالى في المائدة : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

وقد روى الصلت بن بهرام ، عن سفيان قال : تزوج حذيفة بن اليمان يهودية ، فكتب إليه عمر بن الخطاب : خلّ سبيلها ، فكتب إليه أتزعّم أنها حرام فأخلى سبيلها ؟ فقال : لا أزعّم أنها حرام ، ولكني أخاف أن تقاطعوا المؤمنات منهن ، والمراد بالنكاح التزويج ، وهو حقيقة في اللغة ، وإن كان مجازاً في الوطء ، قال الأعشى :

ولا تقرّبن جارةً إنّ سرّها عليك حرام فانكحن أو تأبدا
أي فتزوج أو تعفف .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَمَةَ مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ ﴾ يعني ولنكاح أمة مؤمنة ، خير من نكاح حرة مشركة من غير أهل الكتاب وإن شرف نسبها وكرم أصلها ، قال السدي : نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة ، كانت له أمة سوداء ، فلطمها في غضب ، ثم ندم ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : « ما هي يا عبد الله » قال : تصوم ، وتصلّي ، وتحسن الوضوء ، وتشهد الشهادتين ، فقال رسول الله : « هَذِهِ

مُؤْمِنَةٌ» (٣٠٦). فقال ابن رواحة : لأعتقنها ولأتزوجنها ، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين ، فأنزل الله تعالى هذا .

﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ يعني جمال المشركة وحسبها ومالها .

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ هذا على عمومه إجماعاً ، لا يجوز لمسلمة أن تنكح مشركاً أبداً . روى الحسن عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « تَنْزَوُجُ نِسَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ نِسَاءَنَا » (٣٠٧) . ، وفي هذا دليل على أن أولياء المرأة أحق بتزويجها من المرأة .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا نَقْرُبُوهنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرَّتُمْ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِّي سِتٌّ وَقَدْ مَوَّأَ لِنَفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى ﴾ قال السدي : السائل كان ثابت بن الدحداح الأنصاري ، وكانت العرب ومن في صدر الإسلام من المسلمين يجتنبون مُسَاكِنَةَ الْحَيْضِ ومُؤَاكَلَتَهُنَّ ومُشَارَبَتَهُنَّ ، فسألوا رسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية ، وهذا قول قتادة . وقال مجاهد : كانوا يعتزلون الحَيْضَ في الفرج ، ويأتونهن في أدبارهن مدة حيضهن ، فأنزلت هذه الآية ، والأذى هو ما يؤدي من نتن ريحه ووزره ونجاسته .

(٣٠٦) رواه الطبري (٣٦٨/٤) بسنده عن السدي فالحديث معضل .

(٣٠٧) رواه الطبري (٣٦٧/٤) برقم (٤٢٢٤) وهو حديث سنده ضعيف ففي سنده شريك بن عبد الله وهو صدوق له أغلاط وأشعث بن سوار ضعفه غير واحد من أهل العلم .

والحسن عن جابر . وقيل لم يسمع الحسن من جابر كما في المراسيل لابن أبي حاتم وعلى فرض سماعه من جابر فقد عنعن الحسن الحديث ولم يصرح بالتحديث وهو مدلس هذا وقد ورد الحديث موقوفاً على جابر وهو أصح رواه الشافعي في الأم (٦/٥) والبيهقي من طريق الشافعي (١٧٢/٧) فالحديث صح موقوفاً عن جابر ولم يصح مرفوعاً .

﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ اختلفوا في المراد بالاعتزال على ثلاثة

أقاويل :

أحدها : اعتزل جميع بدنها أن يباشره بشيء من بدنه ، وهذا قول عبيدة السلماني .

والثاني : ما بين السرة والركبة ، وهذا قول شريح .

والثالث : الفرج ، وهذا قول عائشة وميمونة وحفصة وجمهور المفسرين .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ فيه قراءتان :

إحدهما : التخفيف وضم الهاء ، وهي قراءة الجمهور ، ومعناه بانقطاع الدم ، وهو قول مجاهد وعكرمة .

والثانية : بالتشديد وفتح الهاء ، قرأ بها حمزة ، والكسائي ، وعاصم ، وفي رواية أبي بكر عنه ، ومعناها حتى تغتسل .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ يعني بالماء ، فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه إذا اغتسلن وهو قول ابن عباس وعكرمة والحسن .

والثاني : الوضوء ، وهو قول مجاهد ، وطاوس .

والثالث : غسل الفرج .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَاتَوَهَّنَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : القَبْلُ الذي نهى عنه في حال الحيض ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : فاتوهن من قَبْلِ طهرهن ، لا من قَبْلِ حيضهن ، وهذا قول عكرمة ، وقتادة .

والثالث : فاتوا النساء من قَبْلِ النكاح ، لا من قَبْلِ الفجور ، وهذا قول محمد ابن الحنفية .

والرابع : من حيث أحل لكم ، فلا تقربوهن محرمات ، ولا صائمات ولا معتكفات ، وهذا قول الأصم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : المتطهرين بالماء ، وهذا قول عطاء .

والثاني : يحب المتطهرين من أدبار النساء أن يأتوها ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : يحب المتطهرين من الذنوب ، أن لا يعودوا فيها بعد التوبة منها ، وهو محكي عن مجاهد أيضاً .

قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ أي مزدرع أولادكم ومحترث نسلكم ، وفي الحرث كناية عن النكاح ، ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ فانكحوا مزدرع أولادكم .
﴿ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني كيف شئتم في الأحوال ، روى عبد الله بن علي أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ، جلسوا يوماً ويهودي قريب منهم ، فجعل بعضهم يقول : إني لآتي امرأتي وهي مضطجعة ، ويقول الآخر إني لآتيها وهي قائمة ، ويقول الآخر : إني لآتيها وهي على جنبها ، ويقول الآخر إني لآتيها وهي باركة ، فقال اليهودي : ما أنتم إلا أمثال البهائم ولكننا إنما نأتيها على هيئة واحدة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وهذا قول عكرمة .

والثاني : يعني من أي وجه أحببتهم في قبلها ، أو من دبرها في قبلها .

روى جابر أن اليهود قالوا : إن العرب يأتون النساء من أعماجهن ، فإذا فعلوا ذلك جاء الولد أحول ، فأكذب الله حديثهم^(٣٠٨) ، وقال : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ، وهذا قول ابن عباس ، والربيع .

والثالث : يعني من أين شئتم ، وهو قول سعيد بن المسيب ، وغيره .

والرابع : كيف شئتم أن تعزلوا أو لا تعزلوا ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

والخامس : حيث شئتم من قبل ، أو من دبر ، رواه نافع ، عن ابن عمر ، وروى عن غيره .

(٣٠٨) رواه البخاري (١٤١/٨ - ١٤٣) ومسلم (١٠٥٨/٢) والترمذي (رقم ٢٩٧٨) وأبو داود برقم (٢١٦٣) والنسائي في الكبرى كما في التحفة (٣٧٧/٢) والبيهقي (١٩٥/٧) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٩٢٦/١) لوكيع وابن أبي شيبة وابن ماجه وأبي نعيم بن حميد ونقل ابن كثير (٢٦٠/١) رواية ابن أبي حاتم ورجالها رجال الشيخين غير يونس بن عبد الأعلى فمن رجال مسلم .

وروى حبيش بن عبد الله الصنعاني ، عن ابن عباس أن ناساً من جُمير أتوا النبي ﷺ يسألونه عن أشياء ، فقال رجل منهم : يا رسول الله ، إني رجل أحب النساء ، فكيف ترى في ذلك ؟ فأنزل الله تعالى في سورة البقرة بيان ما سألوا عنه ، فأنزل فيما سأل عنه الرجل : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ : « مُقْبِلَةٌ وَمُذْبِرَةٌ إِذَا كَانَ فِي الْفَرْجِ » (٣٠٩).

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ الخير ، وهو قول السدي .

والثاني : وقدموا لأنفسكم ذكر الله عز وجل عند الجماع ، وهو قول ابن عباس .

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ أما العرضة في كلام العرب ، فهي القوة والشدة ، وفيها ها هنا تأويلان :

أحدهما : أن تحلف بالله تعالى في كل حق وباطل ، فتبذل اسمه ، وتجعله عُرْضة .

والثاني : أن معنى عُرْضة ، أي علة يتعلل بها في برّه ، وفيها وجهان :

أحدهما : أن يمتنع من فعل الخير والإصلاح بين الناس إذا سئل ، فيقول عليّ يمين أن لا أفعل ذلك ، أو يحلف بالله في الحال فيعتلّ في ترك الخير باليمين ، وهذا قول طاووس ، وقتادة ، والضحاك ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أن يحلف بالله ليفعلن الخير والبر ، فيقصد في فعله البر في يمينه ، لا الرغبة في فعله .

(٣٠٩) رواه الإمام أحمد في مسنده () وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير في التفسير (٢٦٠/١) ورجال ابن أبي حاتم رجال الصحيح غير ابن لهيعة ورواه عنه ابن وهب وهي رواية مستقيمة أضف إلى ذلك أن ابن لهيعة لم ينفرد بالرواية بل توبع عليها كما عند أحمد .

وفي قوله : ﴿ أَنْ تَبْرُوا ﴾ قولان :

أحدهما : أن تبروا في أيمانكم .

والثاني : أن تبروا في أرحامكم .

﴿ وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ هو الإصلاح المعروف ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سميع لأيمانكم ، عليم باعتقادكم .

قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ أما اللغو في كلام العرب ، فهو كل كلام كان مذموماً ، وفضلاً لا معنى له ، فهو مأخوذ من قولهم لغا فلان في كلامه إذا قال قبحاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [القصص : ٥٥] .

فأما لغو اليمين التي لا يؤاخذ الله تعالى بها ، ففيها سبعة تأويلات :

أحدها : ما يسبق به اللسان من غير قصد كقوله : لا والله ، وبللى والله ، وهو قول عائشة ، وابن عباس ، وإليه ذهب الشافعي ، روى عبد الله بن ميمون ، عن عوف الأعرابي ، عن الحسن بن أبي الحسن قال : مر رسول الله ﷺ بقوم ينضلون يعني يرمون ، ومع النبي ﷺ رجل من أصحابه ، فرمى رجل من القوم ، فقال أصاب والله ، أخطأت والله ، فقال الذي مع النبي ﷺ : حنث الرجل يا رسول الله ، فقال : « كَلَّا أَيْمَانُ الرِّمَاءِ لَغَوٌ وَلَا كَفَّارَةٌ وَلَا عُقُوبَةٌ » (٣١٠) .

والثاني : أن لغو اليمين ، أن يحلف على الشيء يظن أنه كما حلف عليه ، ثم يتبين أنه بخلافه ، وهو قول أبي هريرة .

والثالث : أن لغو اليمين أن يحلف بها صاحبها في حال الغضب على غير عقد قلب ولا عزم ، ولكن صلة للكلام ، وهو قول طاوس .

(٣١٠) رواه ابن جرير في التفسير (٤/٤٤٤) وفي سننه عبيد الله بن ميمون المرادي وقال الشيخ شاکر : لا أعرف من هو ولم أجد له ترجمة ونقله الحافظ ابن كثير وقال هذا مرسل حسن عن الحسن فتعقبه الشيخ مقبل قائلاً : بل ضعيف لأن المرسل من قسم الضعيف ومراسيل الحسن عن بعضهم كالريح كما في تدريب الراوي وأيضاً عبد الله بن ميمون لا أدري من هو إلا أن يكون القداح فهو تالف (١/٤٧٤) تخريج ابن كثير للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

وقد روى يحيى بن أبي كثير عن طاووس عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَمِينُ فِي غَضَبٍ » (٣١١).

والرابع : أن لغو اليمين أن يحلف بها في المعصية ، فلا يكفر عنها ، وهو قول سعيد بن جبير ، ومسروق ، والشعبي ، وقد روى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ نَذَرَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ فَلَا نَذَرَ لَهُ ، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَلَا يَمِينَ لَهُ ، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى قِطْعَةٍ رَجِمَ فَلَا يَمِينَ لَهُ » (٣١٢).

والخامس : أن اللغو في اليمين ، إذا دعا الحالف على نفسه ، كأن يقول : إن لم أفعل كذا فأعصى الله بصري ، أو قلل من مالي ، أو أنا كافر بالله ، وهو قول زيد بن أسلم .

والسادس : أن لغو اليمين هو ما حث فيه الحالف ناسياً ، وهذا قول النخعي .

ثم قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن يحلف كاذباً أو على باطل ، وهذا قول إبراهيم النخعي .

والثاني : أن يحلف عمداً ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه اعتقاد الشرك بالله والكفر ، وهذا قول ابن زيد .

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ غفور لعباده ، فيما لغوا من أيمانهم ، حلیم في تركه مقابلة أهل حسنته بالعقوبة على معاصيهم .

(٣١١) رواه ابن جرير في التفسير (٤٣٩/٤) وفي سننه سليمان بن أبي سليمان الزهري ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما خالف وقال أبو حاتم فيه شيخ ضعيف (١٢٢/١/٢) الجرح والتعديل وترجم له البخاري في التاريخ الكبير ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وشيخه يحيى بن أبي كثير مدلس . وقد عنعنه ونسبه الحافظ في الفتح (٤٩٠/١١) للطبراني في الأوسط وقال سننه ضعيف .

(٣١٢) رواه ابن جرير بلفظ المؤلف (٤٤٢/٤) والحاكم (٣٠/٤) وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال عبد الرحمن متروك ، والبيهقي (٣٣/١٠) وأحمد (٦٧٣٢) وأبو داود (٢٢٧٣ ، ٣٢٧٤) وحسن اسناد ابن داود الأرناؤوط في جامع الأصول (٥٥١/١١) .

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾
وإن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ معنى قوله تعالى : ﴿يُؤْلُونَ﴾ أي يقسمون ، والألية : اليمين ، قال الشاعر :

كُفِينَا مَنْ تَعَنَّتْ مِنْ نِزَارٍ وَأَحْلَلْنَا إِلَيْهِ مُقْسِمِينَ (٣١٣)

وفي الكلام حذف ، تقديره : للذين يؤلون أن يعتزلوا من نسائهم لكنه إنما دل عليه ظاهر الكلام .

واختلفوا في اليمين التي يصير بها مولياً على قولين :

أحدهما : هي اليمين بالله وحده .

والثاني : هل كل عين لزم الحلف في الحنث بها ما لم يكن لازماً له وكلا القولين عن الشافعي .

واختلفوا في الذي إذا حلف عليه صار مولياً على ثلاثة أقاويل :

أحدها : هو أن يحلف على امرأته في حال الغضب على وجه الإضرار بها ، أن لا يجامعها في فرجها ، وأما إن حلف على غير وجه الإضرار ، وعلى غير الغضب فليس بمولٍ ، وهو قول عليّ ، وابن عباس وعطاء .

والثاني : هو أن يحلف أن لا يجامعها في فرجها ، سواء كان في غضب أو غير غضب ، وهو قول الحسن ، وابن سيرين ، والنخعي ، والشافعي .

والثالث : هو كل يمين حلف بها في مساءة امرأته على جماع أو غيره ، كقوله والله لأسوءنك أو لأغيظنك ، وهو قول ابن المسيب ، والشعبي ، والحكم .

ثم قال تعالى : ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾ يعني رجعوا ، والفيء والرجوع من حال إلى حال ، لقوله تعالى : ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات : ٩] أي ترجع ، ومنه قول الشاعر :

فَفَاءَتْ وَلَمْ تَقْضِ الَّذِي أَقْبَلْتُ لَهُ وَمِنْ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ قَاضِيَا

(٣١٣) وفي الطبري (٤/٤٥٦) .

كفينا من تغيب في التراب واخشاننا إليه مقسمينا

وفي الفيء ثلاثة تأويلات :

أحدها : الجماع لا غير ، وهو قول ابن عباس ، ومن قال إن المُولِي هو الحالف على الجماع دون غيره .

والثاني : الجماع لغير المعذور ، والنية بالقلب وهو قول الحسن وعكرمة .

والثالث : هو المراجعة باللسان بكل غالب أنه الرضا ، قاله ابن مسعود ، ومن قال إن المُولِي هو الحالف على مساءة زوجته .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أراد غفران الإثم وعليه الكفارة ، قاله عليّ وابن عباس وسعيد بن المسيب .

والثاني : غفور بتخفيف الكفارة إسقاطها ، وهذا قول من زعم أن الكفارة لا تلزم فيما كان الحنث برأ ، قاله الحسن ، وإبراهيم .

والثالث : غفور لمأثم اليمين ، رحيم في ترخيص المخرج منها بالتفكير ، قاله ابن زيد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ﴾ الآية . قرأ ابن عباس وإن عزموا السراح ، وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن عزيمة الذي لا يفيء حتى تمضي أربعة أشهر فتطلق بذلك . واختلف من قال بهذا في الطلاق الذي يلحقها على قولين :

أحدهما : طلقة بائنة ، وهو قول عثمان ، وعليّ ، وابن زيد ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس .

والثاني : طلقة رجعية ، وهو قول ابن المسيب ، وأبي بكر بن عبد الرحمن ، وابن شبرمة .

الثاني : أن تمضي الأربعة الأشهر ، يستحق عليها أن يفيء ، أو يطلّق ، وهو قول عمر ، وعليّ في رواية عمرو بن سلمة ، وابن أبي ليلى عنه ، وعثمان في رواية طاووس عنه ، وأبي الدرداء وعائشة وابن عمر في رواية نافع عنه .

روى سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « سَأَلْتُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ

أصحاب النبي ﷺ عن الرجل يُولي من امرأته فكلهم يقول : ليس عليه شيء حتى تمضي أربعة أشهر فيوقف ، فإن فاء وإلا طلق « وهو قول الشافعي ، وأهل المدينة .

والثالث : ليس بالإيلاء بشيء ، وهو قول سعيد بن المسيب ، في رواية عمرو ابن دينار عنه .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يسمع إيلاءه .

والثاني : يسمع طلاقه . وفي ﴿ عَلِيمٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يعلم نيته .

والثاني : يعلم صبره .

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ يعني المخليات ، والطلاق : التخلية كما يقال للنعجة المهملة بغير راع : طالق ، فسميت المرأة المخلية سبيلها بما سميت به النعجة المهملة أمرها ، وقيل إنه مأخوذ من طلق الفرس ، وهو ذهابه شوطاً لا يمنع ، فسميت المرأة المخلأة طالقاً لأنها لا تمنع من نفسها بعد أن كانت ممنوعة ، ولذلك قيل لذات الزوج إنها في حباله لأنها كالمعقولة بشيء ، وأما قولهم طَلَّقَتِ المرأةَ فمعناه غير هذا ، إنما يقال طَلَّقَتِ المرأةَ إِذَا نَفَسَتْ ، هذا من الطلق وهو وجع الولادة ، والأول من الطلاق .

ثم قال تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ أي مدة ثلاثة قروء ، واختلفوا في الأقرء على قولين .

أحدهما : هي الحيض ، وهو قول عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وأبي

موسى ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وعكرمة ، والسدي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وأهل العراق ، استشهاداً بقول الشاعر :

يا رَبُّ ذِي صُغْنٍ عَلَيَّ فَارِضٌ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ (٣١٤)

والثاني : هي الأطهار ، وهو قول عائشة ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، والزهري ، وأبان بن عثمان ، والشافعي ، وأهل الحجاز ، استشهاداً بقول الأعشى :

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غَزْوَةً تَشُدُّ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَ (٣١٥)
مُورَثَةٌ مَالاً وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَ
واختلفوا في اشتقاق القرء على قولين :

أحدهما : أن القرء الاجتماع ، ومنه أخذ اسم القرآن لاجتماع حروفه ، وقيل : قد قرأ الطعام في شذقه وقرأ الماء في حوضه إذا جمعه ، وقيل : ما قرأت الناقة سَلَى قط ، أي لم يجتمع رحمها على ولد قط ، قال عمرو بن كلثوم :

تُرَيْكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمَنْتُ عُيُونَ الْكَاشِحِينَ (٣١٦)
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَكْرِ هَجَانَ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

وهذا قول الأصمعي ، والأخفش ، والكسائي ، والشافعي ، فمن جعل القروء اسماً للحيض سمّاه بذلك ، لاجتماع الدم في الرحم ، ومن جعله اسماً للطهر فلاجتماعه في البدن .

والقول الثاني : أن القرء الوقت ، لمجيء الشيء المعتاد مجيؤه لوقت معلوم ، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم ، وكذلك قالت العرب : أَقْرَأْتُ حاجة فلان عندي ، أي دنا وقتها وحان قضاؤها . وأقرأ النجم إذا جاء وقت أفوله ، وأقرأ إذا جاء وقت طلوعه ، قال الشاعر :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا وَقَدْ أَقْرَأَتْ (٣١٧)

(٣١٤) تقدم عند قوله تعالى ﴿ لَا فَارِضَ وَلَا بَكْرَ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ فارجع إليه ص

(٣١٥) ديوانه (ص ٦٧) .

(٣١٦) تقدم تخريج البيتين برقم ٣ .

(٣١٧) بيت من الشعر تكملته : « أحسن السما كان منها أفولاً » .

كما في الطبري (٥١١/٤) .

وقيل : أقرأت الريح ، إذا هبت لوقتها ، قال الهذلي :

كَرِهْتُ الْعَقْرَ عَقَرَ بَنِي شَلِيلٍ إِذَا لِقَارِئَهَا الرِّيحُ (٣١٨)

يعني هبت لوقتها ، وهذا قول أبي عمرو بن العلاء .

فمن جعل القرء اسماً للحيض ، فلأنه وقت خروج الدم المعتاد ، ومن جعله اسماً للطهر ، فلأنه وقت احتباس الدم المعتاد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الحيض ، وهو قول عكرمة ، والزهري ، والنخعي .

والثاني : أنه الحمل ، قاله عمرو ابن عباس .

والثالث : أنه الحمل والحيض قاله عمر ومجاهد .

﴿ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وعيد من الله لهن ، واختلف في سبب الوعيد على قولين :

أحدهما : لما يستحقه الزوج من الرجعة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : لإلحاق نسب الوليد بغيره كفعل الجاهلية ، وهو قول قتادة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ البعل : الزوج ، سُمِّيَ بذلك ، لعلوه على الزوجة بما قد ملكه عن زوجيتها ومنه قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [الصافات : ١٢٥] أي رَبًّا لعلوه بالربوبية ، ﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ أي برجعتهن ، وهذا مخصوص في الطلاق الرجعي دون البائن .

﴿ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ يعني إصلاح ما بينهما من الطلاق .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : ولهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن ، مثل الذي عليهن من الطاعة ، فيما أوجبه الله تعالى عليهن لأزواجهن ، وهو قول الضحاك .

(٣١٨) والبيت في ديوان الهذليين (٨٣/٣) وشطره الأول :

نشئت المقر عقر بني شليل ... كذا نقله الطبري (٥١١/٤) .

والثاني : ولهن على أزواجهن من التصنع والتزين ، مثل ما لأزواجهن ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أن الذي لهن على أزواجهن ، ترك مضارتهن ، كما كان ذلك لأزواجهن ، وهو قول أبي جعفر .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ وفيه خمسة تأويلات :
أحدها : فضل الميراث والجهاد ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه الإمرة والطاعة ، وهو قول زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن .
والثالث : أنه إعطاء الصداق ، وأنه إذا قذفها لاعتها ، وإن قذفته حُدَّتْ ، وهو قول الشعبي .

والرابع : أفضله عليها ، وأداء حقها إليها ، والصفح عما يجب له من الحقوق عليها ، وهو قول ابن عباس وقتادة .
والخامس : أن جعل له لَحْيَةٌ ، وهو قول حميد .

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمِمَّا آتَتْكُمْ هُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه بيان لعدد الطلاق وتقديره بالثلاث ، وأنه يملك في الاثنين الرجعة ولا يملكها في الثالثة ، وهو قول عروة وقتادة ، وروى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان الرجل يطلق ناسياً ، إن راجع امرأته قبل أن تنقضي عدتها كانت

امراته ، فغضب رجل من الأنصار على امرأته ، فقال لها : لا أقربك ولا تختلين مني ، قالت له كيف ؟ أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك ، فشكت زوجها إلى النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ﴾ الآية .

والتأويل الثاني : أنه بيان لسنة الطلاق أن يقع في كل قول طلبة واحدة ، وهو قول عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومجاهد .

قوله تعالى : ﴿ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ ﴾ فيه تأويلان :

الأول : هذا في الطلقة الثالثة ، روى سفيان (٣١٩) ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الطلاق مرتان فأين الثالثة ؟ قال : ﴿ اِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ ﴾ ، وهذا قول عطاء ، ومجاهد .

والثاني : ﴿ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ ﴾ الرجعة بعد الثانية ﴿ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ ﴾ والإمساك عن رجعتها حتى تنقضي العدة ، وهو قول السدي ، والضحاك . الإحسان هو تأدية حقها ، والكف عن أذاها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ يعني من الصداق ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ قرأ حمزة بضم الياء من يخافا ، وقرأ الباقون بفتحها ، والخوف ها هنا بمعنى الظن ، ومنه قول الشاعر :

أتاني كلامٌ عن نصيبٍ يقوله وما خِفْتُ بالإسلامِ أنك عاثبي (٣٢٠)
يعني وما ظننت .

وفي ﴿ أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : أن يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق ، وهو قول ابن عباس .

(٣١٩) هذا حديث مرسل ضعيف رواه الطبري (٥٤٥/٤) وعبد الرزاق في المصنف (٣٠١/٣) وذكره ابن كثير (٢٧٢/١) من رواية ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي رزين ورواه البيهقي (٣٤٠/٧) من طريق سعيد بن منصور وزاد السيوطي في الدر (٦٦٤/١) نسبته لوكيع وأبي داود في ناسخه وابن المنذر والنحاس .

(٣٢٠) هو أبو القول الطهوي والبيت في نوادر ابن زيد (٤٦) ومعاني القرآن للفراء (١٤٦/١) والشطر الثاني في هذين المصدرين :

وما خفت يا سلام أنك عاثبي

والثاني : أن لا تطيع له أمراً ، ولا تبرّ له قسماً ، وهو قول الحسن ،
والشعبي .

والثالث : هو أن يبدي لسانها أنها له كارهة ، وهو قول عطاء .

والرابع : أن يكره كل واحد منهما صاحبه ، فلا يقيم كل واحد منهما ما
أوجب الله عليه من حق صاحبه ، وهو قول طاووس ، وسعيد بن المسيب ،
والقاسم بن محمد ، روى ثابت بن يزيد ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله
ﷺ : « الْمُخْتَلَعَاتُ وَالْمُتَزَعَّاتُ هُنَّ الْمُتَفَقَّاتُ » (٣٢١) . يعني التي تخالغ زوجها
لميلها إلى غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
بِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : افتدت به نفسها من الصداق وحده من غير زيادة ، وهو قول
عليّ ، وعطاء ، والزهري ، وابن المسيب ، والشعبي ، والحكم ، والحسن .

والقول الثاني : يجوز أن تُخالِغَ زوجها بالصدّاق وبأكثر منه ، وهذا قول
عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والنخعي ، والشافعي . روى
عبد الله بن محمد بن عقيل : أن الربيع بنت مَعُوذَ بن عفراء حدثته قالت : كان لي
زوج يُقِلُّ عليّ الخبز إذا حضر ، ويحرمني إذا غاب ، قالت : وكانت مني زَلَّةٌ يوماً
فقلت : أَنْخَلِجْ مِنْكَ بِكُلِّ شَيْءٍ أَمْلِكُهُ ، قال : نعم ، قالت ففعلت ، قالت :
فخاصم عمي معاذ بن عفراء إلى عثمان بن عفان ، فأجاز الخلع ، وأمره أن يأخذ ما
دون عقاص الرأس .

واختلفوا في نسخها ، فَحَكِيَّ عن بكر بن عبد الله أن الخلع منسوخ بقوله
تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا
مِنْهُ شَيْئاً ﴾ [النساء : ٢٠] وذهب الجمهور إلى أن حكمها ثابت في جواز الخلع .

(٣٢١) رواه ابن جرير (٥٦٩/٤) وفي سنده أشعث بن سوار وهو ضعيف وفي سنده أيضاً الحسن
البصري وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث فيه . أيضاً قيس بن الربيع وهو مختلف فيه ولهذا قال
الحافظ ابن كثير (٤٨٥/١) غريب من هذا الوجه ضعيف .

لكن للحديث شاهد من حديث أبي هريرة رواه أحمد (٩٣٤٧) وصححه الشيخ أحمد شاكر .

وقد روى أيوب ، عن كثير مولى سُمرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بامرأة ناشزة ، فأمر بها إلى بيت كثير ، فحبسها ثلاثاً ، ثم دعاها فقال : كيف وجدت مكانك ؟ قالت : ما وجدت راحة منذ كنت إلا هذه الليالي التي حبستني ، فقال لزوجها : اخلعها ولو من قرطها (٣٢٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها الطلقة الثالثة وهو قول السدي .

والثاني : أن ذلك تخيير لقوله تعالى : ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ ، وهو قول مجاهد .

﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾ يعني أنها لا تحل للزوج المطلق ثلاثاً حتى تنكح زوجاً آخر ، وفيه قولان :

أحدهما : أن نكاح الثاني إذا طلقها منه أحلها للأول سواء دخل بها أو لم يدخل ، وهو قول سعيد بن المسيب .

والثاني : أنها لا تحل للأول بنكاح الثاني ، حتى يدخل بها فتذوق عسيلته ويذوق عسيلتها ، للسنّة المروية (٣٢٣) فيه ، وهو قول الجمهور .

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّلنَّعْتِ وَأَوْ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي قاربن انقضاء

(٣٢٢) رواه الطبري (٥٧٦/٤) برقم (٤٨٦٠) ومختصراً برقم (٤٨٦١) .

(٣٢٣) وهي ما رواه مسلم (٤٠٧/١) ، أحمد (٢٢٦/٦) والطبري برقم (٤٨٩٣) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت أن رفاعة القرظي طلق امرأته فبت طلاقها فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير . . . الحديث . وفيه أن النبي ﷺ قال لها لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا ؛ حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك . . . الخ .

عِدَّهْن ، كما يقول المسافر : بلغت بلد كذا إذا قاربه .
﴿ فَأَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ هو المراجعة قبل انقضاء العدة ﴿ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ وهو تركها حتى تنقضي العدة .
﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ هو أن يراجع كلما طلق حتى تطول عدتها إضراراً بها .
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ يعني في قصد الإضرار ، وإن صحت الرجعة ، والطلاق .

روى حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي موسى الأشعري (٣٢٤) : أن رسول الله ﷺ غضب على الأشعرين ، قالوا : يقول أحدهم قد طلقت ، قد راجعت ، ليس هذا بطلاق المسلمين ، طلقوا المرأة في قبل عدتها ولا تتخذوا آيات الله هزواً .
وروى سليمان بن أرقم : أن الحسن حدثهم : أن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُطَلِّقُ أو يعتق ، فيقال : ما صنعت ؟ فيقول : كنت لاعباً ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ طَلَّقَ لَاعِباً أَوْ أَعْتَقَ لَاعِباً جَارَ عَلَيْهِ » (٣٢٥) .
قال الحسن : وفيه نزلت : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ .

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنُ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا

(٣٢٤) رواه ابن جرير برقم (٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦) وصححه سندها الشيخ أحمد شاكر ورواه ابن ماجه بمعناه (٦٥٠/١) من طريق أخرى عنه وحسنها البوصيري في الزوائد ورواه البيهقي (٣٢٢/٧) وفيه زيادة .

وهذه الطرق كلها عن أبي موسى تكسب الحديث قوة .

(٣٢٥) رواه ابن جرير (١٣/٥) وقال ابن كثير (٢٨١/١) مرسل زد على ذلك أن الحديث في إسناده سليمان بن أرقم وهو متروك كما قال أبو داود والدارقطني . وفي سنده أيضاً المبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن وعصام بن رواد وقد ليّنه الحاكم . كما نقله الذهبي في الميزان والحديث زاد السيوطي نسبته في الدر (٦٨٣/١) لابن أبي شيبه في المصنف وابن أبي حاتم وقد رواه ابن مردويه من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء موقوفاً عليه (٤٩٩/١) نقله ابن كثير وعمرو بن عبيد هو المبتدع الضال كان يكذب على الحسن وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦٨٣/١) للطبراني .

بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ ۚ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنُ أَجْلَهُنَّ ﴾ بلوغ الأجل ها هنا [تناهيه] (*) ، بخلاف بلوغ الأجل في الآية التي قبلها ، لأنه لا يجوز لها أن تنكح غيره قبل انقضاء عدتها ، قال الشافعي : فدخل اختلاف المعنيين على افتراق البلوغين .

ثم قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ وفي العضل قولان : أحدهما : أنه المنع ، ومنه قولهم : داء عضال إذا امتنع من أن يُداوَى ، وفلان عُضَلَةٌ أي داهية ، لأنه امتنع بدهائه .

والقول الثاني : أن العضل الضيق ، ومنه قولهم : قد أعضل بالجيش الفضاء ، إذا ضاق بهم . وقال عمر بن الخطاب : قد أعضل بي أهل العراق ، لا يرضون عن والٍ ، ولا يرضى عنهم والٍ ، وقال أوس بن حجر .

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولي وِرَضِيكَ مُقْبِلًا (٣٢) ولكنه النَّائِي إذا كُنْتَ آمِنًا وصاحبك الأذنى إذا الأمرُ أَعْضَلًا

فنهى الله عز وجل أولياء المرأة عن عضلها ومنعها من نكاح مَنْ رضىته من الأزواج .

وفي قوله عز وجل : ﴿ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ تأويلان : أحدهما : إذا تراضى الزوجان .

والثاني : إذا رضيت المرأة بالزوج الكافي (*) . قال الشافعي : وهذا بين في كتاب الله تعالى يدل على أن ليس للمرأة أن تنكح بغير ولي .

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

(*) ما بين المعكوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٣٢٦) ديوانه من قصيدة له برقم (٣١) .

(*) لعله المكافئ والله أعلم .

أحدها : أنها نزلت في معقل بن يسار زوج أخته ، ثم طلقها زوجها وتراضيا بعد العدة أن يتزوجها ، فَعَضَلَهَا معقل ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : أنها نزلت في جابر بن عبد الله مع بنت عم له ، وقد طلقها زوجها ، ثم خطبها فأبى أن يزوجه بها ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنها نزلت عموماً في نهى كل ولي عن مضارة وليته من النساء أن يعضلها عن النكاح ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك ، والزهري .

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَاً لَا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً أَنْيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَاعِلُونَ ﴾ (٢٣٣)

قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ والحوال السنة ، وفي أصله قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من قولهم : حال الشيء إذا انقلب عن الوقت الأول ، ومنه استحالة الكلام لانقلابه عن الصواب .

والثاني : أنه مأخوذ من التحول عن المكان ، وهو الانتقال منه إلى المكان الأول .

وإنما قال حولين كاملين ، لأن العرب تقول : أقام فلان بمكان كذا حولين وإنما أقام حولاً وبعض آخر ، وأقام يومين وإنما أقام يوماً وبعض آخر ، قال الله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ومعلوم أن التعجل في يوم وبعض يوم .

واختلف أهل التفسير فيما دلت عليه هذه الآية من رضاع حولين كاملين ، على تأويلين :

أحدهما : أن ذلك في التي تضع لستة أشهر فإن وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحداً وعشرين شهراً ، استكمالاً لثلاثين شهراً ، لقوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن ذلك أمر برضاع كل مولود يختلف والداه في رضاعه أن يرضع حولين كاملين ، وهذا قول عطاء والثوري .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يريد بالمولود له الأب عليه في ولده للمرضعة له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفيه قولان :

أحدهما : أن ذلك في الأم المطلقة إذا أرضعت ولدها فلها رزقها من الغذاء ، وكسوتها من اللباس . ومعنى بالمعروف أجره المثل ، وهذا قول الضحاك .

والثاني : أنه يعني به الأم ذات النكاح ، لها نفقتها وكسوتها بالمعروف في مثلها ، على مثله من يسار ، وإعسار .

ثم قال تعالى : ﴿ لَا تَضَارُّ وَالِدَتُهُ بِوَلَدِهَا ﴾ أي لا تمتنع الأم من إرضاعه إضراراً بالأب ، وهو قول جمهور المفسرين .

وقال عكرمة : هي الظئر المرضعة دون الأم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ وهو الأب في قول جميعهم ، لا ينزع الولد من أمه إضراراً بها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن الوارث هو المولود نفسه ، وهذا قول قبيصة بن ذؤيب .

والثاني : أنه الباقي من والدي الولد بعد وفاة الآخر منهما ، وهو قول سفيان .

والثالث : أنه وارث الولد ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

والرابع : أنه وارث الولد ، وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : وارثه من عصبته إذا كان أبوه ميتاً سواء كان عمّاً أو أختاً أو ابن أخ أو

ابن عم دون النساء من الورثة ، وهذا قول عمر بن الخطاب ، ومجاهد .
والثاني : ورثته من الرجال والنساء ، وهو قول قتادة .

والثالث : هم مِنْ ورثته من كان منهم ذا رحم محرم ، وهذا قول أبي حنيفة .

والرابع : أنهم الأجداد ثم الأمهات ، وهذا قول الشافعي .

وفي قوله تعالى : ﴿ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن على الوارث مثل ما كان على والده من أجره رضاعته ونفقته ،
وهو قول الحسن ، وقتادة ، وإبراهيم .

والثاني : أن على الوارث مثل ذلك في ألا تضار والدته بولدها ، وهذا قول
الضحاك ، والزهري .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ والفصال : الفصام ، سمي فصالاً لانفصال المولود عن ثدي أمه ، من قولهم قد فاصل فلان فلاناً إذا فارقه من خلطة كانت بينهما . والتشاور : استخراج الرأي بالمشاورة .

وفي زمان هذا الفصال عن تراض قولان :

أحدهما : أنه قبل الحولين إذا تراضى الوالدان بفطام المولود فيه جاز ، وإن رضي أحدهما وأبى الآخر لم يجز ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والزهري ، والسدي .

والقول الثاني : أنه قبل الحولين وبعده ، وهذا قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ يعني لأولادكم ، فحذف اللام اكتفاء بأن الاسترضاع لا يكون للأولاد ، وهذا عند امتناع الأم من إرضاعه ، فلا جناح عليه أن يسترضع له غيرها ظئراً .

﴿ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إذا سلمتم أيها الآباء إلى الأمهات أجور ما أرضعن قبل امتناعهن ، وهذا قول مجاهد ، والسدي .

والثاني : إذا سلمتم الأولاد عن مشورة أمهاتهم إلى من يتراضى به الوالدان في إرضاعه ، وهذا قول قتادة ، والزهري .

والثالث : إذا سَلَّمْتُمْ إِلَى الْمَرْضَعَةِ الَّتِي تَسْتَأْجِرُ أَجْرَهَا بِالْمَعْرُوفِ ، وَهَذَا قَوْلُ سَفِيَّانَ .

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ يعني بالتربص زمان العدة في المتوفى زوجها ، وقيل في زيادة العشرة على الأشهر الأربعة ما قاله سعيد بن المسيب وأبو العالية أن الله تعالى ينفخ الروح في العشرة ، ثم ذكر العشر بالتأنيث تغليباً لليالي على الأيام إذا اجتمعت لأن ابتداء الشهور طلوع الهلال ودخول الليل ، فكان تغليب الأوائل على الثواني أولى .

واختلفوا في وجوب الإحْدَادِ فيها على قولين :

أحدهما : أن الإحْدَادِ فيها واجب ، وهو قول ابن عباس ، والزهرى .

والثاني : ليس بواجب ، وهو قول الحسن .

روى عبد الله بن شداد بن الهاد ، عن أسماء بنت عُمَيْسٍ قالت : لَمَّا أَصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَسْلُبِي ثَلَاثًا ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ » (٣٢٧) . وَالْإِحْدَادُ : الْامْتِنَاعُ مِنَ الزَّيْنَةِ ، وَالطَّيِّبِ ، وَالتَّرَجُّلِ ، وَالنَّقْلَةِ .

(٣٢٧) رواه الطبري (٨٧/٥) برقم (٥٠٨٨ ، ٥٠٨٩) وابن سعد (٢٠٦/٨) وأحمد بمعناه (٣٦٩/٦ ، ٤٣٨) والطحاوي في معاني الآثار (٤٤/٢) والبيهقي (٤٣٨/٧) وصححه ابن حبان كما قال الحافظ في الفتح (٤٢٩/٩) كلهم من طريق محمد بن طلحة عن الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد بن الهاد . . . الحديث وهو مرسل وقد أعله البيهقي بالانقطاع بين عبد الله وأسماء وقال لم يثبت سماع عبد الله من أسماء وقد ضعف البيهقي أيضاً محمد بن طلحة ولم يصب في هذا التضعيف فمحمد ثقة ولهذا تعقبه ابن الترمذاني في الجوهر النقي (٤٣٨/٧) والحديث ضعفه ابن القيم في الزاد بالارسال (٦٩٧/٥) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٢٩/٩) إلى الحديث بأنه « قوي الاسناد » ثم بعد أسطر حكم على الحديث بالشذوذ لمخالفته للأحاديث الصحيحة ولا تعارض بين قول الحافظ هذا وذاك إذ قد يصح السند ولا يلزم منه حجة المتن كما هو معلوم في قواعد الحديث . والحديث ضعفه الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (٦٩٧/٥) .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فإن قيل : فما المعنى في رفع الجناح عن الرجال في بلوغ النساء أجلهن ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أن الخطاب تَوَجَّهَ إلى الرجال فيما يلزم النساء من أحكام العِدَّة ، فإذا بلغن أجلهن ارتفع الجناح عن الرجال في الإنكار عليهن وأخذهن بأحكام عددهن .

والثاني : أنه لا جناح على الرجال في نكاحهن بعد انقضاء عِدَّتِهِنَّ .

ثم في قوله تعالى : ﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ تأويلان : أحدهما : من طيب ، وتزين ، ونقله من مسكن ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

والثاني : النكاح الحلال ، وهو قول مجاهد . وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠] فإن قيل : فهي متقدمة والناسخ يجب أن يكون متأخراً ، قيل هو في التنزيل متأخر ، وفي التلاوة متقدم . فإن قيل : فَلِمَ قُدِّمَ في التلاوة مع تأخره في التنزيل ؟ قيل : ليسبق القارئ إلى تلاوته ومعرفة حكمه حتى إن لم يقرأ ما بعده من المنسوخ أجزاءه .

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

== تنبيه : وقع في رواية ابن سعد وابن حبان بلفظ : «تسلمي بدلاً من تسلي» وخط الحافظ ابن حجر ابن حبان في هذا وبين فضيلة الشيخ أحمد شاکر بأن هذا خطأ من الناسخين وتصحيف منهم . راجع ما كتبه العلامة أحمد شاکر في هذا الصدد (٨٧/٥) تخريج الطبري . تسلبت المرأة : لبست السلاب بكسر السين وهي ثياب الحداد السوداء يلبسها في المأتم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ أما التعريض ، فهو الإشارة بالكلام إلى ما ليس فيه ذكر النكاح ، وأما الخطبة بالكسر فهي طلب النكاح ، وأما الخطبة بالضم فهي كلام يتضمن وعظاً أو بلاغاً .
والتعريض المباح في العدة أن يقول لها : ما عليك أئمة ولعل الله أن يسوق إليك خيراً ، أو يقول : ربّ رجل يرغب فيك ، إلى ما جرى مجرى هذه الألفاظ .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ يعني ما أسررتموه من عقدة النكاح .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾ في السر خمسة تأويلات :

أحدها : أنه الزنى ، وهو قول الحسن ، وأبي مجلز ، والسدي ، والضحاك وقتادة .

والثاني : ألا تأخذوا ميثاقهن وعهودهن في عددهن ألا ينكحن غيركم ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والشعبي .

والثالث : ألا تنكحوهن في عددهن سرّاً ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : أن يقول لها : لا تفوتني نفسك ، وهو قول مجاهد .

والخامس : الجماع ، وهو قول الشافعي .

ثم قال تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ معناه : قولوا قولاً معروفاً ، وهو التعريض . ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ .

وفي الكلام حذف وتقديره : ولا تعزموا على عقدة النكاح ، يعني التصريح بالخطبة . وفي ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه فرض الكتاب أجله ، يريد انقضاء العدة ، فحذف الفرض اكتفاء بما دل عليه الكلام .

والثاني : أنه أراد بالكتاب الفرض تشبيهاً بكتاب .

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي : ﴿ تَمَاسُوهُنَّ ﴾ .

﴿ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ . وفيه قولان :

أحدهما : معناه ولم تفرضوا لهن فريضة .

والثاني : أن في الكلام حذفاً وتقديره : فرضتم أولم تفرضوا لهن فريضة .
والفريضة : الصداق وسمي فريضة لأنه قد أوجب لها ، وأصل الفرض : الواجب ،
كما قال الشاعر :

كانت فريضة ما أتيت كما كان الزَّناء فريضة الرِّجم (٣٢٨)

وكما يقال : فرض السلطان لفلان في الفيء ، يعني أوجب له ذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِرِ ﴾ (*) قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَدِرِ قَدَرُهُ ﴿ أَيِ اعْطَوْهُنَّ مَا يَتَمَتَّعْنَ بِهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِكُمْ فِي الْغِنَى وَالْإِقْتَارِ .

واختلف في قدر المتعة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المتعة الخادم ، ودون ذلك الورق ، ودون ذلك الكسوة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه قدر نصف صداق مثلها ، وهو قول أبي حنيفة .

والثالث : أنه مُقَدَّرُ باجتهاد الحاكم ، وهو قول الشافعي .

ثم قال تعالى : ﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ واختلفوا في وجوبها على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها واجبة لكل مطلقة ، وهو قول الحسن ، وأبي العالية .

(٣٢٨) تقدم تخريج هذا البيت وأنه للناطقة الجعدي .

(*) كذا في الأصول وهل هي قراءة أخرى .

والثاني : أنها واجبة لكل مطلقة إلا غير المدخول بها ، فلا متعة لها ، وهو قول ابن عمر ، وسعيد بن المسيب .

والثالث : أنها واجبة لغير المدخول بها إذا لم يُسم لها صداق ، وهو قول الشافعي .

والرابع : أنها غير واجبة ، وإنما الأمر بها ندب وإرشاد ، وهو قول شريح ، والحكم .

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا
فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ وهو أول الطلاقين لمن كان قبل الدخول كارهاً ، لرواية سعيد ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الذَّوَاقِينَ وَلَا الذَّوَاقَاتِ » (٣٢٩) . يعني الفراق بعد الذوق .

ثم قال تعالى : ﴿ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ يعني صداقاً ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه فنصف ما فرضتم لهن ليس عليكم غيره لهن(*) ، ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَنَّ ﴾ يعني به عفو الزوجة ، ليكون عفوها أدعى إلى خِطْبَتِهَا ، ويرغب الأزواج فيها .

(٣٢٩) رواه الطبري (١٣٩/٥) بسنده عن شهر بن حوشب عن النبي ﷺ وهو مرسل كما ترى وقد ذكره الهيثمي في المجمع (٣٣٥/٤) من حديث عبادة بن الصامت وقال « رواه الطبراني وفيه راو لم يسم وبقيته إسناده حسن » وجاء من حديث أبي موسى مرفوعاً وقال الهيثمي أيضاً (٣٣٥/٤) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري وأحد أسانيد البزار فيه عمران القطان وثقه أحمد وابن حبان وضعفه يحيى ابن سعيد وغيره وقد جمع طرق الحديث الشيخ الألباني في كتابه غاية المرام ص ١٥٧ ، ١٥٨ وقال ابن الأثير في تفسير قوله « الذَّوَاقِينَ وَالذَّوَاقَاتِ » معنى السريعي النكاح . السريعي الطلاق . (*) لاحظ أن القول الثاني لم يذكر .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وطاووس ، والحسن ، وعكرمة ، والسدي .

الثاني : هو الزوج ، وبه قال علي ، وشريح ، وسعيد بن المسيب وجبير بن مطعم ، ومجاهد ، وأبو حذيفة .

والثالث : هو أبو بكر ، والسيد في أمته ، وهو قول مالك .

ثم قال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ وفي المقصود بهذا الخطاب قولان :

أحدهما : أنه خطاب للزوج وحده ، وهو قول الشعبي .

والثاني : أنه خطاب للزوج والزوجة ، وهو قول ابن عباس . وفي قوله : ﴿ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ تأويلان :

أحدهما : أقرب لانتقاء كل واحد منهما ظلم صاحبه .

والثاني : أقرب إلى انتقاء معاصي الله .

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجًا لَا أَرْكَبَانَا فَإِذَا أَمْنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ وفي المحافظة عليها قولان :

أحدهما : ذكرها .

والثاني : تعجيلها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ وإنما خص الوسطى بالذكر وإن دخلت في جملة الصلوات لاختصاصها بالفضل ، وفيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها صلاة العصر ، وهو قول علي ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد

الخدري ، وأبي أيوب ، وعائشة ، وأم سلمة ، وحفصة ، وأم حبيبة (٣٣٠) .

روى عمرو بن رافع ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن حفصة زوج النبي ﷺ أنها قالت لكتاب مصحفها : إذا بلغت مواقيت الصلاة فأخبرني ، حتى أخبرك بما سمعت رسول الله ﷺ ، فلما أخبرها قالت : أكتب ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول (٣٣١) : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ » .

وروى محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني ، عن علي رضي الله عنه قال : لم يُصَلِّ رسول الله ﷺ العصر يوم الخندق إلا بعدما غربت الشمس فقال : « مَا لَهُمْ مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ » (٣٣٢) .

وروى التيمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الصَّلَاةُ الْوُسْطَىٰ صَلَاةُ الْعَصْرِ » (٣٣٣) .

والقول الثاني : أنها صلاة الظهر ، وهو قول زيد بن ثابت ، وابن عمر . قال ابن عمر : هي التي توجه فيها رسول الله ﷺ إلى القبلة .

(٣٣٠) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله « كونها العصر هو المعتمد وبه قال ابن مسعود وأبو هريرة وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول أحمد والذي صار إليه معظم الشافعية لصحة الحديث فيه . قال الترمذي : هو قول أكثر علماء الصحابة وقال الماوردي : هو قول جمهور التابعين . وقال ابن عبد البر : هو قول أكثر أهل الأثر .

وبه قال من المالكية ابن حبيب وابن العربي وابن عطية ويؤيده أيضاً ما روى مسلم عن البراء بن عازب فنزل حافظوا على الصلوات وصلاة العصر فقرأناها ما شاء الله ثم نسخت فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فقال رجل فهي إذن صلاة العصر ، فقال أخبرتك كيف نزلت . اهـ . (١٦٩/٨ فتح) .

(٣٣١) رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ٨٥) وصححها الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري (١٧٨/٥) والحديث ورد بروايات عن حفصة كثيرة أنظرها في الدر المنثور (٧٢٢/١) .

(٣٣٢) رواه البخاري (٧٦/٦ ، ٣١٢/٧ ، ١٤٥/٨ ، ١٦٥/١١) وأبو داود (٤٠٩) وأحمد برقم (٩٩٤) وابن حزم من طريق البخاري (٢٥٢/٤) المحلي والطبري (١٨٦/٥) برقم (٥٤٢٧) بنفس رواية المؤلف كلهم من طريق محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني عن علي .

(٣٣٣) رواه ابن جرير (١٧٠/٥) برقم (٥٣٧٨) والبيهقي (٤٦٠/١ ، ٤٦١) وحسنه الشيخ مقبل في تخريج ابن كثير (٥١٧/١) وأخرجه الطحاوي من طريق آخر عن أبي هريرة كما في الدر (٧٢٦/١) وقد ورد الحديث من طريق أبي صالح عن أبي هريرة موقوفاً رواه البيهقي (٤٦٠/١ ، ٤٦١) وابن حزم (٢٥٨/٤) المحلي (٥٣٩٠) .

وروى ابن الزبير عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة ، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحابه منها ، قال فتزلت : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ وقال إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين (٣٣٤) .

والقول الثالث : أنها صلاة المغرب ، وهو قول قبضة بن ذؤيب لأنها ليست بأقلها ولا بأكثرها ولا تقصر في السفر ، وأن رسول الله ﷺ لم يؤخرها عن وقتها ولم يعجلها .

والقول الرابع : أنها صلاة الصبح ، وهو قول ابن عباس ، وأبي موسى الأشعري ، وجابر بن عبد الله ، قال ابن عباس يصليها بين سواد الليل وبياض النهار ، تعلقاً بقوله تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ولا صلاة مفروضة يقنت فيها إلا الصبح ، ولأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار .

والقول الخامس : أنها إحدى الصلوات الخمس ولا تعرف بعينها ، ليكون أبعث لهم على المحافظة على جميعها ، وهذا قول نافع ، وابن المسيب ، والربيع ابن خثيم .

وفيه قول سادس : أن الصلاة الوسطى صلاة الجمعة خاصة .

وفيه قول سابع : أن الصلاة الوسطى صلاة الجماعة من جميع الصلوات . وفي تسميتها بالوسطى ثلاثة أوجه :

أحدها : لأنها أوسط الصلوات الخمس محلاً ، لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار .

والثاني : لأنها أوسط الصلاة عدداً ، لأن أكثرهن أربع وأقلهن ركعتان .

والثالث : لأنها أفضل الصلوات ووسط الشيء ووسطاه أفضله ، وتكون الوُسْطَى بمعنى الفضْلِ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ وفيه ستة تأويلات :

(٣٣٤) أخرجه أبو داود (٤١١) وأحمد (١٨٣/٥) والطحاوي في معاني الآثار (٩٩/١) والبيهقي (٤٥٨/١) والطبري (٢٠٦/٥) برقم (٥٤٥٩) والبخاري في الكبير في ترجمة الزبرقان وزاد السيوطي في الدر (٧٢٠/١) نسبه .

أحدها : يعني طائعين ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وعطاء .

والثاني : ساكتين عما نهاكم الله أن تتكلموا به في صلاتكم ، وهو قول ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، والسدي ، وابن زيد .

والثالث : خاشعين ، نهياً عن العبث والتفلت ، وهو قول مجاهد ، والربيع ابن أنس .

والرابع : داعين ، وهو مروي عن ابن عباس .

والخامس : طول القيام في الصلاة ، وهو قول ابن عمر .

والسادس : (*) وهو مروي عن ابن عمر أيضاً .

واختلف في أصل القنوت ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن أصله الدوام على أمر واحد .

والثاني : أصله الطاعة .

والثالث : أصله الدعاء .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ الرجال جمع راجل ، والركبان جمع راكب ، مثل قائم وقيام . يعني فإن خفتهم من عدوكم ، فصلوا على أرجلكم أو ركائبكم ، وقوفاً ومشاة ، إلى القبلة وغير القبلة ، مومناً أو غير مومئ ، على حسب قدرته .

واختلف في قدر صلاته ، فذهب الجمهور إلى أنها على عددها تُصَلَّى ركعتين ، وقال الحسن : تُصَلَّى ركعة واحدة إذا كان خائفاً .

واختلفوا في وجوب الإعادة عليه بعد أمنه ، فذهب أهل الحجاز إلى سقوط الإعادة عنه لعذره .

وذهب أهل العراق إلى وجوب الإعادة عليه لأن مشيه فيها عمل ليس منها .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَأُذَكِّرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : معناه فإذا أُمِيتُمْ فصلوا كما عَلَّمَكُمْ ، وهو قول ابن زيد .

(*) وهنا كلمتان مطموستان في المخطوطة .

والثاني : يريد فاذكروه بالثناء عليه والحمد له ، كما علمكم من أمر دينكم ما لم تكونوا تعلمون .

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ﴾ الآية . أما الوصية فقد كانت بدل الميراث ، ثم نسخت بآية الموارث ، وأما الحَوْل فقد كانت عِدَّة المتوفى عنها زوجها ، ونسخت بأربعة أشهر وعشر .

قوله عز وجل : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل : أحدها : (*)

والثاني : أنها لكل مطلقة ، وهذا قول سعيد بن جبير وأحد قولي الشافعي .

وقيل إن هذه الآية نزلت على سبب وهو أن الله عز وجل لما قال : ﴿ وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ فقال رجل : إن أحسنت فعلت ، وإن لم أرد ذلك لم أفعل ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وهذا قول ابن زيد ، وإنما خص المتقين بالذكر - وإن كان عاماً - تشریفاً لهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

(*) هنا جملة مطموسة في الأصل .

النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ يعني ألم تعلم .
﴿ وَهُمْ أَلُوفٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني مُؤْتَلَفِي القلوب وهو قول ابن زيد .

والثاني : يعني ألوفاً في العدد .

واختلف قائلو هذا في عددهم على أربعة أقاويل :

أحدها : كانوا أربعة آلاف ، رواه سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

والثاني : كانوا ثمانية آلاف .

والثالث : كانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وهو قول السدي .

والرابع : كانوا أربعين ألفاً ، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً ، والألوف

تستعمل فيما زاد على عشرة آلاف .

ثم قال تعالى : ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ وفيه قولان :

أحدهما : أنهم فرّوا من الطاعون ، وهذا قول الحسن ، وروى سعيد بن جبير قال : كانوا أربعة آلاف ، خرجوا فراراً من الطاعون ، وقالوا نأتي أرضاً ليس بها موت ، فخرجوا ، حتّى إذا كانوا بأرض كذا ، قال الله لهم : موتوا فماتوا ، فمر عليهم نبي ، فدعاهم أن يحييهم ، فأحياهم الله .

القول الثاني : أنهم فروا من الجهاد ، وهذا قول عكرمة والضحاك .

﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني فأماتهم الله ، كما يقال : قالت السماء فمطرت ، لأن القول مقدمة الأفعال ، فعبر به عنها .

والثاني : أنه تعالى قال قولاً سمعته الملائكة .

﴿ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ إنما فعل ذلك معجزة لنبي من أنبيائه كان اسمه شمعون من أنبياء بني إسرائيل ، وأن مدة موتهم إلى أن أحياهم الله سبعة أيام .

قال ابن عباس ، وابن جريج : رائحة الموت توجد في ولد ذلك السبط من اليهود إلى يوم القيامة .

قوله عز وجل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الجهاد ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : أبواب البر ، وهو قول الحسن ، ومنه قول الشاعر :

وَإِذَا جُوزِيتَ قَرْضًا فَاجْزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ (٣٣٥)

قال الحسن : وقد جهلت اليهود لما نزلت هذه الآية فقالوا : إن الله يستقرض منا ، فنحن أغنياء ، وهو فقير ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

قوله تعالى : ﴿ فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : سبعمائة ضعف ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : لا يعلمه أحد إلا الله ، وهو قول السدي .

﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني في الرزق ، وهو قول الحسن وابن زيد (٣٣٦) .

والثاني : يقبض الصدقات ويبسط الجزاء ، وهو قول الزجاج .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنَاقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا

(٣٣٥) هو لبيد بن ربيعة .

(٣٣٦) قال الإمام أبو جعفر الطبري (٢٨٨/٥) يعني تعالى ذكره بذلك أنه الذي بيده قبض أرزاق العباد وبسطها دون غيره ممن ادعى أهل الشرك به أنهم آلهة واتخذوه رباً دونه يعبدونه . اهـ .

مِنْ دِينِنَا وَابْنَيْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الملاء : الجماعة .
﴿ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ﴾ اختلف أهل التأويل فيه على ثلاثة
أقوال :

أحدها : أنه سمويل (٣٣٧) ، وهو قول وهب بن منبه .

والثاني : يوشع بن نون ، وهو قول قتادة .

والثالث : شمعون ، سمّته أمّه بذلك لأن الله سمع دعاءها فيه ، وهو قول
السدي .

﴿ أَرْبَعٌ لَّنَا مَلَكَائِقَاتٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في سبب سؤالهم لذلك قولان :

أحدهما : أنهم سألو ذلك لقتال العمالقة ، وهو قول السدي .

والثاني : أن الجبابرة الذين كانوا في زمانهم استزلوهم ، فسألوا قتالهم ، وهو
قول وهب والربيع .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى
يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ
الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ فَهُوَ عَدُوٌّ لِّمَا كُنْتُ
بِالْمَلِكِ إِلَّا مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ إلى
قوله : ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾ قال وهب ، والسدي : إنما أنكروا أن يكون
ملكاً عليهم ، لأنه لم يكن من سبط النبوة ، ولا من سبط المملكة ، بل كان من
أخمل سبط في بني إسرائيل .

(٣٣٧) وفي تفسير الطبري (٢٩١/٥) سمويل بالسين المعجمة ومنه تعلم أن ما هنا خطأ .

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ يعني زيادة في العلم وعظماً في الجسم . واختلفوا هل كان ذلك فيه قبل الملك ؟ فقال وهب ابن منبه ، والسدي : كان له ذلك قبل الملك ، وقال ابن زيد : زيادة ذلك بعد الملك .

﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وفي واسع ثلاثة أقاويل :

أحدها : واسع الفضل ، فحذف ذكر الفضل اكتفاء بدليل اللفظ ، كما يقال فلان كبير ، بمعنى كبير القدر .

الثاني : أنه بمعنى موسع النعمة على من يشاء من خلقه .

والثالث : أنه بمعنى ذو سعة .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ ﴾ أي علامة ملكه ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ قال وهب بن منبه : كان قدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين .

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وفي السكينة ستة تأويلات :

أحدها : ريح هفافة لها وجه (٣٣٨) كوجه الإنسان ، وهذا قول علي عليه السلام .

(٣٣٨) قال الإمام النسفي رحمه الله تعالى في تفسيره : التابوت أي صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل تقدم جيشه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي سكون وطمأنينة . ﴿ وَبَقِيَّةٌ ﴾ هي رضاء الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام . مما ترك آل موسى وآل هارون أي مما تركه موسى وهارون و﴿ آيَةً ﴾ مقحم لتفخيم شأنهما ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ يعني التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت من الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه . ثم قال ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ إن في رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملأ طالوت عليكم إن كنتم مصدقين .

والثاني : أنها طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء ، وهذا قول ابن عباس والسدي .

والثالث : أنها روح من الله تعالى يتكلم ، وهذا قول وهب بن منبه .

والرابع : أنها ما يعرف من الآيات فيسكنون إليها ، وهذا قول عطاء بن أبي رباح .

والخامس : أنها الرحمة ، وهو قول الربيع بن أنس .

والسادس : أنها الوقار ، وهو قول قتادة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ وفيها أربعة تأويلات :

أحدها : أن البقية عصا موسى ورُضاض الألواح ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها العلم والتوراة ، وهو قول عطاء .

والثالث : أنها الجهاد في سبيل الله ، وهو قول الضحاك .

والرابع : أنها التوراة وشيء من ثياب موسى ، وهو قول الحسن .

﴿ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ ﴾ قال الحسن : تحمله الملائكة بين السماء والأرض ، ترونه عياناً ، ويقولون : إن آدم نزل بالتابوت ، وبالركن .

واختلفوا أين كان قبل أن يرد إليهم ، فقال ابن عباس ، ووهب كان في أيدي العمالقة ، غلبوا عليه بني إسرائيل ، وقال قتادة كان في برية التيه ، خلفه هناك يوشع بن نون ، قال أبو جعفر الطبري : وبلغني أن التابوت وعصا موسى وبحيرة (٣٣٩) الطبرية ، وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

(٣٣٩) وفي تفسير الطبري (٣١٢/٥) وبلغني أن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية ومنه تعلم أن ما هنا خطأ من الناسخ .

قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ ۚ كَم مِّن فِتْكَ قَلِيلَةٍ ۚ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ وهو جمع جند ، والأجناد للقليل ، وقيل : إنهم كانوا ثمانين ألف مقاتل .

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ اختلفوا في النهر ، فحكى عن ابن عباس والربيع أنه نهر بين الأردن وفلسطين ، وقيل إنه نهر فلسطين ، قال وهب بن منبه : السبب الذي ابتلوا لأجله بالنهر ، شكايتهم قلة الماء وخوف العطش .

﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ أي ليس من أهل ولايتي .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو بالفتح ، وقرأ الباقون « غرفة » بالضم ، والفرق بينهما أن الغرفة بالضم اسم للماء المشروب ، والغرفة بالفتح اسم للفعل .

﴿ فَسَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ قال عكرمة : جاز معه النهر أربعة آلاف ، وناقق ستة وسبعون ألفاً ، فكان داود ممن خلص لله تعالى . قال ابن عباس : إن من استكثر منه عطش ، ومن اغترف غرفة منه روي .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ قيل : كان المؤمنون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً عدة أهل بدر . واختلفوا ، هل تجاوزه معهم كافر أم لا ؟ فحكى عن البراء ، والحسن ، وقتادة : أنه ما تجاوزه إلا مؤمن ، وقال ابن عباس ، والسدي : تجاوزه الكافرون ، إلا أنهم انخذلوا عن المؤمنين .

﴿ قَالُوا : لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ اختلفوا في تأويل ذلك على قولين :

أحدهما : أنه قال ذلك مَنْ قَلَّتْ بصيرته من المؤمنين ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : أنهم أهل الكفر الذين انخذلوا ، وهو قول ابن عباس ، والسدي ،

قال عكرمة : فنافق الأربعة الآلاف إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدة أهل بدر ،
وداود فيهم .

﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ وهم المؤمنون الباقون من الأربعة
الآلاف .

وفي الظن ها هنا قولان :

أحدهما : أنه بمعنى اليقين ، ومعناه الذين يستيقنون أنهم ملاقوا الله كما قال
دريد بن الصُّمَّة :

فقلت لهم ظُنُّوا بِالْقَيِّ مُدْجِج سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ (٣٤٠)
أي تيقنوا .

والثاني : بمعنى الذين يظنون أنهم ملاقوا الله بالقتل في الواقعة .

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ والفئة : الفرقة ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ قال
الحسن : بنصر الله ، وذلك لأن الله إذا أذن في القتال نصر فيه على الوجه الذي
وقع الإذن فيه . ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ يعني بالنصرة والمعونة ، وهذا تفسير الآية
عند جمهور المفسرين .

وذكر بعض من يتعاطى غوامض المعاني ، أن هذه الآية مثَّلَ ضَرْبَهُ الله للدنيا
يشبهها بالنهر ، والشارب منه بالمائل إليها والمستكثر منها ، والتارك لشربه
بالمنحرف عنها والزاهد فيها ، والمغترف منه غرفة بيده بالآخذ منها قدر حاجته ،
وأحوال الثلاثة عند الله مختلفة (٣٤١) .

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ
اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ دُجَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ

(٣٤٠) الأغاني (٤ / ٩) .

(٣٤١) هذا الكلام من التفسير الإشاري الذي يزعم أصحابه أن الآيات لها ظواهر يعلمها العوام ويواطن
يعلمها أهل الحقيقة - زعموا - وهم بهذا القول يهرفون بما لا يعرفون ويقولون ما لا يعلمون .

مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ
اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ في الهزيمة قولان :

أحدهما : أنها ليست من فعلهم وإنما أضيفت إليهم مجازاً .

والثاني : أنهم لما ألجئوا إليها صاروا سبباً لها ، فأضيفت إليهم لمكان الإلجاء . ويحتمل قوله : ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وجهين :

أحدهما : بأمر الله لهم بقتالهم .

الثاني : بمعونة الله لهم على قتالهم .

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ حُكِّيَ أَنْ جَالُوتَ خَرَجَ مِنْ صُفُوفِ عَسْكَرِهِ يَطْلُبُ الْبِرَازَ ؟ فلم يخرج إليه أحد ، فنادى طالوت في عسكره : مَنْ قَتَلَ جَالُوتَ فَلَهُ شَطْرُ مُلْكِي وَأَزْوَاجُهُ ابْنَتِي ، فجاء داود وقد أخذ ثلاثة أحجار ، وكان قصيراً يرعى الغنم ، وقد ألقى الله في نفسه أنه سيقتل جالوت ، فقال لطالوت : أنا أقتل جالوت ، فازدراه طالوت حين رآه ، وقال له : هل جربت نفسك بشيء ؟ قال نعم ، قال : بماذا ؟ قال : وقع دثب في غنمي فضربته ، ثم أخذت رأسه فقطعته في جسمه ، فقال طالوت : الذئب ضعيف ، فهل جربت نفسك في غيره ؟ قال : نعم ، دخل الأسد في غنمي ، فضربته ثم أخذت بِلَحْيَيْهِ فشققتهما ، أفترى هذا أشد من الأسد ، قال : لا ، وكان عند طالوت درع سابعة لا تستوي إلا على من يقتل جالوت ، فأخبره بها وألقاها عليه فاستوت ، وسار إلى جالوت فرماه بحجر فوقع بين عينيه وخرج من قفاه ، فأصاب جماعة من عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن آخرهم ، وكانوا على ما حكاه عكرمة تسعين ألفاً .

واختلفوا ، هل كان داود عند قتله جالوت نبياً ؟ ذهب بعضهم أنه كان نبياً ، لأن هذا الفعل الخارج عن العادة ، لا يكون إلا من نبي ، وقال الحسن : لم يكن نبياً ، لأنه لا يجوز أن يُؤَلَّى مَنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ عَلَى نَبِيٍّ . قال ابن السائب وإنما كان

راعياً فعلى هذا يكون ذلك من توطئة لنبوته من بعد .

ثم إن طالوت ندم على ما بذله لداود من مشاطرته ملكه وتزويجه ابنته ، واختلفوا هل كان ندمه قبل تزويجه ومشاطرته ، أم بعد ، على قولين :

أحدهما : أن طالوت وَفَّى بشرطه ، وزوج داود بابنته ، وخلطه في ملكه بنفسه ثم حسده ، فندم ، وأراد قتله ، فعلمت بنته بأنه يريد قتل زوجها ، وكانت من أعقل النساء ، فنصبت له زق خمر بالمسك ، وألقت عليه ليلاً ثياب داود ، فأقبل طالوت ، وقال لها : أين زوجك ؟ فأشارت إلى الزق ، فضربه بالسيف ، فانفجر منه الخمر وسطع ريح المسك ، فقال يرحمك الله يا داود طبت حياً وميتاً ، ثم أدركته الندامة ، فجعل ينوح عليه ويبكي ، فلما نظرت الجارية إلى جَزَع أبيها ، أخبرته الخبر ، ففرح ، وقاسم داود على شطر ملكه ، وهذا قول الضحاك ، فعلى هذا يكون طالوت على طاعته حين موته ، لتوبته من معصيته .

والقول الثاني : أنه ندم قبل تزويجه على شرطه وبذله ، وعَرَض داود للقتل ، وقال له إن بنات الملوك لا بد لهن من صداق أمثالهن ، وأنت رجل جريء ، فاجعل صداقها قتل ثلاثمائة من أعدائنا ، وكان يرجو بذلك أن يقتل ، فغزا داود وأسر ثلاثمائة ، فلم يجد طالوت بداً من تزويجه ، فزوجه بها ، وزاد ندامة فأراد قتله ، وكان يدس عليه حتى مات ، وهذا قول وهب بن منبه ، فعلى هذا مات طالوت على معصيته لأنه لم يتب من ذنبه .

وروى مكحول ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمُلُوكَ قَدْ قَطَعَ اللَّهُ أَرْحَامَهُمْ فَلَا يَتَوَاصَلُونَ حُبًّا لِلْمُلْكِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَقْتُلَ الْآبَ وَالْإِبْنَ وَالْأَخَ وَالْعَمَّ ، إِلَّا أَهْلَ التَّقْوَى وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ، وَلَزَوَالُ جَبَلٍ عَنْ مَوْضِعِهِ أَهْوَنُ مِنْ زَوَالِ مُلْكٍ لَمْ يَنْقُضْ » (٣٤٢) .

﴿ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ يعني داود ، يريد بالملك السلطان وبالحكمة النبوة - وكان ذلك عند موت طالوت بعد سبع سنين من قتل جالوت على ما حكاه ابن السائب .

(٣٤٢) هذا الحديث منقطع السند فإن مكحولاً لم يسمع من معاذ فالحديث ضعيف بهذا السند .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن الملك الانقياد إلى طاعته ، والحكمة : العدل في سيرته ويكون ذلك بعد موت طالوت عند تفرده بأمر بني إسرائيل .

﴿ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : صنعة الدروع والتقدير في السرد .

والثاني : كلام الطير وحكمة الزبور .

ويحتمل ثالثاً : أنه فعل الطاعات والأمر بها ، واجتناب المعاصي والنهي

عنها ، فيكون على الوجه الأول ﴿ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ داود ، وعلى الثاني : ﴿ مِمَّا يَشَاءُ ﴾

الله ، وعلى الثالث ﴿ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ الله ويشاء داود .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ .

في الدفع قولان :

أحدهما : أن الله يدفع الهلاك عن البر بالفاجر ، قاله عليّ كرم (*) الله

وجهه .

والثاني : يدفع بالمجاهدين عن القاعدين قاله ابن عباس .

وقوله تعالى : ﴿ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لفسد أهل الأرض .

والثاني : لعم الفساد في الأرض . وفي هذا الفساد وجهان :

أحدهما : الكفر .

والثاني : القتل .

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْشَاءَ
اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا

(*) وفي نسخة أخرى للمخطوطة : علي عليه السلام .

فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ تَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَءٍ وَلَا شَفْعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في الآخرة ، لتفاضلهم في الأعمال ، وتحمل الأثقال .
والثاني : في الدنيا بأن جعل بعضهم خليلاً ، وبعضهم كليماً ، وبعضهم ملكاً ، وسخر لبعضهم الريح والشياطين ، وأحيا ببعضهم الموتى ، وأبرأ الأكمه ، والأبرص .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : بالشرائع ، فمنهم من شرع ، ومنهم من لم يشرع .

﴿ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن أوحى إلى بعضهم في منامه ، وأرسل إلى بعضهم الملائكة في يقظته .

والثاني : أن بعث بعضهم إلى قومه ، وبعث بعضهم إلى كافة الناس .

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الحجج الواضحة ، والبراهين القاهرة .

والثاني : أن خلقه من ذكر .

﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بجبريل .

والثاني : بأن نفخ فيه من رُوحه .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾ فيه

وجهان :

أحدهما : ولو شاء الله ما أمر بالقتال بعد وضوح الحجة .

والثاني : ولو شاء الله لاضطرهم إلى الإيمان ، ولما حصل فيهم خيار .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية . مُخْرِجَةٌ مخرج النفي أن يصح إله سوى الله ، وحقيقته إثبات إله واحد وهو الله ، وتقديره : الله الإله دون غيره .

﴿الْحَيُّ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه سمى نفسه حياً لَصَرْفِهِ الْأُمُورَ مَصَارِفَهَا ، وتقدير الأشياء مقاديرها ، فهو حي بالتقدير لا بحياة .

والثاني : أنه حي بحياة هي له صفة .

والثالث : أنه اسم من أسماء الله تَسْمَى بِهِ ، فقلناه تسليماً لأمره .

والرابع : أن المراد بالحي (٣٤٣) الباقي ، قاله السدي ، ومنه قول لبيد :

إِذَا مَا تَرَيْنِي الْيَوْمَ أَصْبَحْتُ سَالِمًا فَلَسْتُ بِأَحْيَا مِنْ كِلَابٍ وَجَعْفَرٍ (*)
﴿الْقَيُّومُ﴾ قرأ عمر بن الخطاب القيام . وفيه ستة تأويلات :

أحدها : القائم بتدبير خلقه ، قاله قتادة .

والثاني : يعني القائم على كل نفس بما كسبت ، حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم به ، لا يخفى عليه شيء منه ، قاله الحسن .

والثالث : معنى القائم الوجود ، وهو قول سعيد بن جبير .

والرابع : أنه الذي لا يزول ولا يحول ، قاله ابن عباس .

والخامس : أنه العالم بالأمور ، من قولهم : فلان يقوم بهذا الكتاب ، أي هو عالم به .

(٣٤٣) قال الإمام ابن جرير (٣٧٦/٥ ، ٣٧٧) أما قوله الحي فإنه يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له بحد ولا آخر له بآمد؛ إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود وآخر ممدود ينقطع بانقطاع أمدها وينقص بانقضاء غايتها .

والسادس : أنه اسم من أسماء الله ، مأخوذ من الاستقامة ، قال أمية بن أبي الصلت :

لم تُخْلَقِ السَّمَاءُ وَالنُّجُومُ وَالشَّمْسُ مَعَهَا قَمَرٌ يَقُومُ
قَدَرَهَا الْمَهِيْمَنُ الْقَيُومُ وَالْحَشَرُ وَالْجَنَّةُ وَالْحَمِيمُ
إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنِهِ عَظِيمٍ (٣٤٤)

﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ السُّنَّةُ : النعاس في قول الجميع ، والنعاس ما كان في الرأس ، فإذا صار في القلب صار نوماً ، وفرَّق المفضل بينهما ، فقال : السُّنَّةُ في الرأس ، والنعاس في العين ، والنوم في القلب .

وما عليه الجمهور من التسوية بين السُّنَّة والنعاس أشبه ، قال عدي بن الرقاع .

وَسَنَانٌ أَقْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرَنْقَتْ فِي عَيْنِهِ سَنَةً وَلَيْسَ بِنَائِمٍ (٣٤٥)
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما بين أيديهم : هو ما قبل خلقهم ، وما خلفهم : هو ما بعد موتهم .

والثاني : ما بين أيديهم : ما أظهره ، وما خلفهم : ما كتموه .
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ أي من معلومه إلا أن يطلعهم عليه ويعلمهم إياه .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ في الكرسي قولان :

أحدهما : أنه من صفات الله تعالى :

والثاني : أنه من أوصاف ملكوته (٣٤٦) .

فإذا قيل إنه من صفاته ففيه أربعة أقاويل :

(٣٤٤) ديوانه (٥٧) .

(٣٤٥) الأغاني (٣١١/٩) ، مجاز القرآن (٧٨/١) .

(٣٤٦) والصحيح أنه من أوصاف ملكوته وأنه موضع القدمين كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما . رواه الحاكم (٢٧٢/٢) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقد قال العلماء : هو (أي الكرسي) بين يدي العرش كالمرقاة له راجع فتح الباري (١٩٩/٨) .

أحدها : أنه علم الله ، قاله ابن عباس (٣٤٧).

والثاني : أنه قدرة الله (*).

والثالث : ملك الله .

والرابع : تدبير الله .

وإذا قيل إنه من أوصاف ملكوته ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه العرش ، قاله الحسن (٣٤٨).

والثاني : أنه سرير دون العرش (٣٤٩).

والثالث : هو كرسي تحت العرش ، والعرش فوق الماء . وأصل الكرسي

العلم ، ومنه قيل للصحيفة فيها علم مكتوب : كراسه ، قال أبو ذؤيب :

مالي بأمرك كرسي أكاتمه ولا بكرسي علم الغيب مخلوق
وقيل للعلماء : الكراسي ، لأنهم المعتمد عليهم كما يقال لهم : أوتاد
الأرض ، لأنهم الذين بهم تصلح الأرض ، قال الشاعر :

يحف بهم بيضُ الوجوه وعُلية كراسيُّ بالأحداث حين تنوبُ (٣٥٠)

أي علماء بحوادث الأمور ، فدلّت هذه الشواهد ، على أن أصح

(٣٤٧) ولم يصح عن ابن عباس هذا التفسير فقد رواه البيهقي في الأسماء والصفات .

وقال البيهقي بعد روايته - تفرد به يحيى بن سعيد السعدي وهو منكر الحديث لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد كما قال النقاد من المحدثين وقد روى البيهقي له شاهداً وفي سنده إبراهيم بن هشام وكذبه أبو زرعة وأبو حاتم ولهذا قال الشيخ محمود محمد شاكر في تخريج الطبري (٤٠١/٥) وهي رواية شاذة لا يقوم عليها دليل من كلام العرب ولذلك رجح أبو منصور الأزهري الرواية الصحيحة عن ابن عباس التي تقول : إن الكرسي موضع القدمين وقال : وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها .

(*) وفي نسخة أخرى للمخطوطة : الكرسي موضع القدمين . اهـ . قلت : وهي الرواية الصحيحة كما تقدم وكان ينبغي لمحقق المطبوعة الإتيان بها .

(٣٤٨) وهذا أيضاً لم يصح عن الحسن فقد رواه ابن جرير (٣٩٩/٥) وفي سنده جوير بن سعيد الأزدي وهو ضعيف جداً .

(٣٤٩) هذا القول الثاني هو أرجح الأقوال كما سبق وأزيد هنا أن رواية ابن عباس رضي الله عنه المتقدمة في التعليق السابق أن الكرسي موضع القدمين . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (١٩٩/٨) وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله .

(٣٥٠) وفي الطبري (٤٠٢/٥) الشطر الأول من البيت : « يحف بهم بيض الوجوه وعُصبة » وكذا في أساس البلاغة للزمخشري مادة (كرس) .

تأويلاته^(٣٥١)، ما قاله ابن عباس ، أنه علم الله تعالى .

وقرأ يعقوب الحضرمي : وُسْعُ كَرْسِيهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِتَسْكِينِ السَّيْنِ مِنْ
وَسْعٍ وَضَمِّ الْعَيْنِ وَرَفْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ ، وَفِي تَأْوِيلِهِ
وَجِهَان :

أحدهما : لا يثقله حفظهما في قول الجمهور .

والثاني : لا يتعاضده حفظهما ، حكاه أبان بن تغلب . وأنشد :

أَلَا بَكَ سَلَمَى الْيَوْمَ بَتَ جَدِيدِهَا وَضُنَّتْ وَمَا كَانَ النَّوَالُ يُؤْوِدِهَا

واختلفوا في الكناية بالهاء إلى ماذا تعود ؟ على قولين :

أحدهما : إلى اسم الله ، وتقديره ولا يُثْقَلُ اللهُ حِفْظَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

والثاني : تعود إلى الكرسي ، وتقديره ولا يثقل الكرسي حفظهما .

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ في العلي تأويلان :

أحدهما : العلي بالاعتدال ونفوذ السلطان^(٣٥٢) .

والثاني : العلي عن الأشباه والأمثال .

وفي الفرق بين العلي والعالِي ، وجهان محتملان :

أحدهما : أن العَالِي هو الموجود في محل العلو ، والْعَلِي هو مستحق
العلو .

والثاني : أن العَالِي هو الذي يجوز أن يُشَارَكَ في علوه ، والْعَلِي هو الذي لا
يجوز أن يُشَارَكَ في علوه ، فعلى هذا الوجه ، يجوز أن نصف الله بالْعَلِيِّ ، ولا
يجوز أن نصفه بالعَالِي ، وعلى الوجه الأول يجوز أن نصفه بهما جميعاً .

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ

(٣٥١) وقد ذهب المؤلف في ترجيح هذا القول مذهب ابن جرير رحمه الله وقد علمت مما تقدم أن هذا

التأويل لا يصح عن ابن عباس فكن على حذر من أمرك .

(٣٥٢) وما الضير في أن نصف الله تعالى بالعلو المطلق فهو عَلِيٌّ عن الأشباه والأمثال وَعَلِيٌّ ذُو عُلُوٍّ
وارتفاع على خلقه لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقته دونه كما وصف نفسه أنه على العرش فمن
أثبت هذا فقد سلم من تحريف المحرفين وتأويل المتكلمين اللهم عفواً .

بِاللَّهِ فَقَدْ اَسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾
قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن ذلك في أهل الكتاب ، لا يُكْرَهُونَ على الدين إذا بذلوا الجزية ، قاله قتادة .

والثاني : أنها نزلت في الأنصار خاصة ، كانت المرأة منهم تكون مِفْلَاةً لا يعيش لها ولد ، فتجعل على نفسها ، إن عاش لها ولد أن تهوِّده ، ترجو به طول العمر ، وهذا قبل الإسلام ، فلما أجلي رسول الله ﷺ بني النضير ، كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالت الأنصار : كيف نصنع بأبنائنا ؟ فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنها منسوخة بفرض القتال ، قاله ابن زيد .

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ فيه سبعة أقوال :

أحدها : أنه الشيطان وهو قول عمر بن الخطاب (٣٥٣) .

والثاني : أنه الساحر ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : الكاهن ، وهو قول سعيد بن جبير (٣٥٤) .

والرابع : الأصنام .

والخامس : مَرَدَّةُ الإنس والجن .

والسادس : أنه كل ذي طغيان طغى على الله ، فيعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، أو بطاعة له ، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

والسابع : أنها النفس لطغيانها فيما تأمر به من السوء ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

(٣٥٣) قال الحافظ رحمه الله (٢٥٢/٨) : رواه عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده وعبد الرحمن

ابن رسته في كتاب الإيمان من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر وإسناده قوي . ١. هـ .

وزاد ابن كثير نسبته لابن جرير وابن أبي حاتم (٣١١/١) .

(٣٥٤) رواه الطبري بإسناد صححه الحافظ ابن حجر (٢٥٢/٨) .

واختلفوا في ﴿ الطَّاغُوتِ ﴾ على وجهين :

أحدهما : أنه اسم أعجمي معرّب ، يقع على الواحد والجماعة .

والثاني : أنه اسم عربي مشتق من الطاغية ، قاله ابن بحر .

﴿ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ فيها أربعة أوجه :

أحدها : هي الإيمان بالله ، وهو قول مجاهد .

والثاني : سنة الرسول .

والثالث : التوفيق .

والرابع : القرآن ، قاله السدي .

﴿ لَا أَنْفِصَامَ لَهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لا انقطاع لها ، قاله السدي .

والثاني : لا انكسار لها ، وأصل الفصم : الصدع .

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أُولَئِكَ ءَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يتولاهم بالنصرة .

والثاني : بالإرشاد .

﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى ، قاله قتادة .

والثاني : يخرجهم من ظلمات العذاب في النار ، إلى نور الثواب في

الجنة .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾

يكون على وجهين :

أحدهما : يخرجونهم من نور الهدى إلى ظلمات الضلالة .

والثاني : يخرجونهم من نور الثواب إلى ظلمة العذاب في النار .
وعلى وجه ثالث لأصحاب الخواطر : أنهم يخرجونهم من نور الحق إلى ظلمات الهوى .
فإن قيل : فكيف يخرجونهم من النور ، وهم لم يدخلوا فيه ؟ فعن ذلك جوابان :

أحدهما : أنها نزلت في قوم مُرْتَدِّين ، قاله مجاهد .
والثاني : أنها نزلت فيمن لم يزل كافراً ، وإنما قال ذلك لأنهم لو لم يفعلوا ذلك بهم لدخلوا فيه ، فصاروا بما فعلوه بمنزلة من قد أخرجهم منه .
وفيه وجه ثالث : أنهم كانوا على الفطرة عند أخذ الميثاق عليهم ، فلما حَمَلُوهم على الكفر أخرجوهم من نور فطرتهم .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ هو النمرود بن كنعان ، وهو أول من تجبر في الأرض وأدعى الربوبية .
﴿ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ فيه قولان :
أحدهما : هو النمرود لما أوتي الملك حاج في الله تعالى ، وهو قول الحسن .

والثاني : هو إبراهيم لما آتاه الله الملك حاجه النمرود ، قاله أبو حذيفة .
وفي المحاجة وجهان محتملان :
أحدهما : أنه معارضة الحجة بمثلها .
والثاني : أنه الاعتراض على الحجة بما يبطلها .

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ يريد أنه يحيي من وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء ، ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل ، فعارض اللفظ بمثله ، وعدل عن اختلاف الفعلين في علتها .

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ فإن قيل : فَلِمَ عَدَلَ إبراهيم عن نصرته حجة الأولى إلى غيرها ، وهذا يضعف الحجة ولا يليق بالأنبياء ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلى نصرته حجة ثم أتبع ذلك بغيره تأكيداً عليه في الحجة .

والجواب الثاني : أنه لما كان في تلك الحجة إشغاب منه بما عارضها به من الشبهة أحب أنه يحتج عليه بما لا إشغاب فيه ، قطعاً له واستظهاراً عليه قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ فإن قيل فهلاً عارضه النمرود بأن قال : فليأت بها ربك من المغرب ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أن الله خذله بالصرف عن هذه الشبهة .

والجواب الثاني : أنه علم بما رأى معه من الآيات أنه يفعل فخاف أن يزداد فضيحة .

﴿ فَبَهَّتِ الَّذِي كَفَرَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني تحير .

والثاني : معناه انقطع ، وهو قول أبي عبيدة .

وقرىء : فَبَهَّتِ الذي كفر بفتح الباء والهاء بمعنى أن الملك قد بهت إبراهيم بشبهته أي سارع بالبهتان .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يعينهم على نصرته الظلم .

والثاني : لا يُخْلَصُهم من عقاب الظلم . ويحتمل الظلم هنا وجهين :

أحدهما : أنه الكفر خاصة .

والثاني : أنه التعدي من الحق إلى الباطل .

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ اختلفوا في الذي مر على قرية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عزير ، قاله قتادة .

والثاني : أنه إرمياء ، وهو قول وهب .

والثالث : أنه الخَضِرُ ، وهو قول ابن إسحاق . واختلفوا في القرية على

قولين :

أحدهما : هي بيت المقدس لما خربَه بُخْتَنْصَرُ ، وهذا قول وهب وقاتدة .

والرابع بن أنس .

والثاني : أنها التي خرج منها الألف حذر الموت ، قاله ابن زيد .

﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ في الخاوية قولان :

أحدهما : الخراب ، وهو قول ابن عباس ، والرابع ، والضحاك .

والثاني : الخالية .

وأصل الخواء الخلو ، يقال خوت الدار إذا خلت من أهلها ، والخواء الجوع

لخلو البطن من الغذاء و ﴿ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ : على أبنيتها ، والعرش : البناء .

﴿ قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعمرها بعد خرابها .

والثاني : يعيد أهلها بعد هلاكهم .

﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ ﴾ أي مكث .

﴿ قَالَ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ لأن الله تعالى أماته في أول النهار ، وأحياه بعد مائة عام آخر النهار^(٣٥٥) ، فقال : يوماً ، ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال : ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ .

﴿ قَالَ : بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لم يتغير ، من الماء الأسن وهو غير المتغير ، قال ابن زيد : والفرق بين الأسن والأجن أن الأجن المتغير الذي يمكن شربه والأسن المتغير الذي لا يمكن شربه .

والثاني : معناه لم تأت عليه السنون فيصير متغيراً^(٣٥٦) ، قاله أبو عبيد . قيل : إن طعامه كان عصيراً وتيناً وعنباً ، فوجد العصير حلواً ، ووجد التين والعنب طرياً جنيئاً .

فإن قيل : فكيف علم أنه مات مائة عام ولم يتغير فيها طعامه ؟ قيل : إنه رجع إلى حاله فعلم - بالآثار والأخبار ، وأنه شاهد أولاد أولاده شيوخاً ، وكان قد خلف آباءهم مُردّاً - أنه مات مائة عام .

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أن عزيزاً خرج من أهله وخلف امرأته حاملاً وله خمسون سنة ، فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه فرجع إلى أهله ، وهو ابن خمسين سنة ، وله ولد هو ابن مائة سنة ، فكان ابنه أكبر منه بخمسين سنة ، وهو الذي جعله الله آية للناس .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ قراءتان :

إحداهما : نشزها بالراء المهملة ، قرأ بذلك ابن كثير ونافع وأبو عمرو ، ومعناه نحيتها . والنشور : الحياة بعد الموت ، مأخوذ من نشر الثوب ، لأن الميت

^(٣٥٥) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله استدل بهذه الآية بعض أئمة الأصول على مشروعية القياس بانها تضمنت قياس إحياء هذه القرية وأهلها وعمارتها لما فيها من الرزق بعد خرابها على إحياء هذا المار . وإحياء حماره بعد موتها بما كان مع المار من الرزق أ . هـ (٢٠٠ / ٨ فتح) .

^(٣٥٦) وهذا التأويل على القراءة الثانية وهي قراءة يعقوب حيث قرأ [لم يتسن] بتشديد النون بلا هاء .

كالمطوي ، لأنه مقبوض عن التصرف بالموت ، فإذا حَيَّ وانبسط بالتصرف قيل : نُشِرَ وأنشِر .

والقراءة الثانية : قرأ بها الباقون ننشِزُها بالزاي المعجمة ، يعني نرفع بعضها إلى بعض ، وأصل النشوز الارتفاع ، ومنه النشز اسم للموضع المرتفع من الأرض ، ومنه نشوز المرأة لارتفاعها عن طاعة الزوج .

وقيل إنَّ الله أحيا عينيه وأعاد بصره قبل إحياء جسده ، فكان يرى اجتماع عظامه وكتساءها لحماً ، ورأى كيف أحيا الله حماره وجمع عظامه .

واختلفوا في القائل له : كم لبثت على ثلاثة أفاويل :

أحدها : أنه ملك .

والثاني : نبي .

والثالث : أنه بعض المؤمنين المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ آدُغْهُنَّ يَأْتِينِكَ سَعْيًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ اختلفوا لِمَ سأله عن ذلك ؟ على قولين :

أحدهما : أنه رأى جيفة تمزقها السباع فقال ذلك ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، والضحاك .

والثاني : لمنازعة النمرود له في الإحياء ، قاله ابن إسحاق . ولأي الأمرين كان ، فإنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد علم الاستدلال .

ولذلك قال الله تعالى له : ﴿ أَوَلَمْ تُوْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني ليزداد يقيناً إلى يقينه ، هكذا قال الحسن ، وقتادة ، وسعيد ابن جبير ، والربيع ، ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك ، لأن الشك في ذلك كفر لا يجوز على نبي .

والثاني : أراد ليطمئن قلبي أنك أجبت مسألتني ، واتخذتني خليلاً كما وعدتني ، وهذا قول ابن السائب .

والثالث : أنه لم يرد رؤية القلب ، وإنما أراد رؤية العين ، قاله الأخفش .

ونفر بعض من قال بغوامض المعاني من هذا الالتزام وقال : إنما أراد إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي القلوب بالإيمان ، وهذا التأويل فاسد بما يعقبه من البيان (٣٥٧) .

وليست الألف في قوله : ﴿ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ﴾ ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب كقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
﴿ قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : هن : الديك ، والطاووس ، والغراب ، والحمام ، قاله مجاهد .

والثاني : أربعة من الشقائين (*) ، قاله ابن عباس .

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ قرأت الجماعة بضم الصاد ، وقرأ حمزة وحده بكسرها ، واختلف في الضم والكسر على قولين :

أحدهما : أن معناه متفق ولفظهما مختلف ، فعلى هذا في تأويل ذلك أربعة أقاويل :

أحدها : معناه اُنْتَفِهْنَ بريشهن ولحومهن ، قاله مجاهد .

والثاني : قَطَّعُهُنَّ ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن . قال الضحاک : هي بالنبطية صرتا ، وهي التشقق .

(٣٥٧) يا ليت أبا الحسن رحمه الله تعقب على قول هذا البعض عند قوله : « فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر » كما تعقب على قولهم هنا وقد أحسن حيث حكم عليه بالفساد .

(*) هكذا بالأصل ولعله الشقاريق جمع شقراق وهو طائر أعظم من الحمام .

والثالث : اَضْمُمُهُنَّ إِلَيْكَ ، قاله عطاء ، وابن زيد .

والرابع : اَمْلَهُنَّ إِلَيْكَ ، والصور : الميل ، ومنه قول الشاعر في وصف إبل :

تَظَلُّ مُعَقَّلَاتِ السُّوقِ خَرَسًا تصور أنوفها ريح الجنوب

والقول الثاني : أن معنى الضم والكسر مختلف ، وفي اختلافهما قولان :

أحدهما : قاله أبو عبيدة أن معناه بالضم : اَجْمَعُهُنَّ ، وبالكسر : قَطَّعُهُنَّ .

والثاني : قاله الكسائي ومعناه بالضم اَمْلَهُنَّ ، وبالكسر : أَقْبَلْ بهن .

﴿ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها كانت أربعة جبال ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : أنها كانت سبعة ، قاله ابن جريج ، والسدي .

والثالث : كل جبل ، قاله مجاهد .

والرابع : أنه أراد جهات الدنيا الأربع ، وهي المشرق والمغرب والشمال

والجنوب ، فمثّلها بالجبال ، قاله ابن بحر .

واختلفوا هل قطع إبراهيم الطير أعضاء صرن به أمواتاً ، أم لا ؟ على قولين :

أحدهما : أنه قَطَّعَهُنَّ أعضاء صرن به أمواتاً ، ثم دعاهن فعَدَّنَ أحياء ليرى

كيف يحيي الله الموتى كما سأل ربه ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : أنه فَرَّقَهُنَّ أحياء ، ثم دعاهن فأَجْبَنَهُنَّ وعدن إليهن ، يستدل بعودهن

إليه بالدعاء ، على عَوْدِ الأموات بدعاء الله أحياء ، ولا يصح من إبراهيم أن يدعو

أمواتاً له ، قاله ابن بحر .

والجزء من كل شيء هو بعضه سواء كان منقسماً على صحة أو غير منقسم ،

والسهم هو المنقسم عليه جميعه على صحة .

فإن قيل : فكيف أجيب إبراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى في قوله :

﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فعنه جوابان :

أحدهما : أن ما سألَهُ موسى لا يصح مع بقاء التكليف ، وما سألَهُ إبراهيم

خاص يصح .

والثاني : أن الأحوال تختلف ، فيكون الأصلح في بعض الأوقات الإجابة ، وفي بعض وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن .
قال ابن عباس : أمر الله إبراهيم بهذا قبل أن يولد له ، وقبل أن يُنزل عليه العُصف .

وحُكي : أن إبراهيم ذبح الأربعة من الطير ، ودق أجسامهن في الهاون لا روحهن(*) ، وجعل المختلط من لحومهن عشرة أجزاء على عشرة جبال ، ثم جعل مناقيرها بين أصابعه ، ثم دعاهن فأتين سعيًا ، تطاير اللحم إلى اللحم ، والجلد إلى الجلد ، والریش إلى الریش ، فذهب بعض من يتفقه من المفسرين إلى من وصى بجزء من ماله لرجل أنها وصية بالعُشر ، لأن إبراهيم وضع أجزاء الطير على عشرة جبال .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾

قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني في الجهاد ، قاله ابن زيد .

والثاني : في أبواب البر كلها .

﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ ضرب الله ذلك مثلاً في أن النفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف ، وفي مضاعفة ذلك في غير ذلك من الطاعات قولان :

أحدهما : أن الحسنة في غير ذلك بعشرة أمثالها ، قاله ابن زيد .

والثاني : يجوز مضاعفتها بسبعمئة ضعف ، قاله الضحاك .

﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء .

والثاني : يضاعف الزيادة على ذلك لمن يشاء .

(*) هكذا بالأصل .

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : واسع لا يَضِيقُ عن الزيادة ، عليم بمن يستحقها ، قاله ابن زيد .
والثاني : واسع الرحمة لا يَضِيقُ عن المضاعفة ، عليم بما كان من النفقة .
ويحتمل تأويلاً ثالثاً : واسع القدرة ، عليم بالمصلحة .

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى^٧
لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ قَوْلٌ
مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا بُطْلُومًا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ
فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ﴾ المَنّ في ذلك أن يقول : أحسنت إليك ونعشتك ، والأذى أن يقول : أنت أبدأ فقير ، ومن أبلاني بك ، مما يؤذي قلب المُعْطَى .

﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ يعني ما استحقوه فيما وعدهم به على نفقتهم .
﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا خوف عليهم في فوات الأجر .
والثاني : لا خوف عليهم من أهوال الآخرة .

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يحزنون على ما أنفقوه .

والثاني : لا يحزنون على ما خلفوه . وقيل إن هذه الآية نزلت في عثمان بن

عفان رضي الله عنه فيما أنفق على جيش العسرة في غزاة تبوك .

قوله تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ يعني قولاً حسناً بدلاً من المن والأذى ويحتمل وجهين :

أحدهما : أن يدني إن أعطى .

والثاني : يدعو إن منع .

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ فيها أربعة تأويلات :

أحدها : يعني العفو عن أذى السائل .

والثاني : يعني بالمغفرة السلامة من المعصية .

والثالث : أنه ترك الصدقة والمنع منها ، قاله ابن بحر .

والرابع : هو يستر عليه فقره ولا يفضحه به .

﴿ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ يحتمل الأذى هنا وجهين :

أحدهما : أنه المن .

والثاني : أنه التعبير بالفقر .

ويحتمل قوله : ﴿ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ وجهين :

أحدهما : خير منها على العطاء .

والثاني : خير منها عند الله .

روى عن النبي ﷺ أنه قال : « الْمَنَانُ بِمَا يُعْطَى لَا يُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا يُزَكِّيهِ وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (٣٥٨).

قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ يريد إبطال الفضل دون الثواب .

ويحتمل وجهاً ثانياً : إبطال موقعها في نفس المُعْطَى

﴿ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ القاصد بنفخته

(٣٥٨) رواه مسلم (رقم ١٠٦ في الإيمان) وأحمد (١٥٨/٥) وأبو داود (٤٠٧٨ ، ٤٠٨٨) والترمذي (١٢١١) (٢٤٥/٧) وابن ماجه (٢٢٠٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وزاد السيوطي نسبه

في الدر (٢٤٨/٢) لعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان .

تنبيه : - لا يصح تصدير الحديث بصيغة التحديث المشعرة بضعف الحديث فإن الحديث صحيح كما رأيت هذا وقد تكرر هذا الصنيع من أبي الحسن رحمه الله فتنبه .

الرياء غير مُثَابٍ ، لأنه لم يقصد وجه الله ، فيستحق ثوابه ، وخالف صاحب المَنِّ والأذى القاصِدَ وجه الله المستحق ثوابه ، وإن كرر عطاءه وأبطل فضله .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ الصفوان : جمع صفوانة ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه الحجر الأملس سُمِّيَ بذلك لصفائه .

والثاني : أنه أَلَيْنُ مِنَ الحجارة ، حكاه أبان بن تغلب .

﴿ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ ﴾ وهو المطر العظيم القطر ، العظيم (*) الوقع .

﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ الصلد من الحجارة ما صَلَبَ ، ومن الأرض ما لَمْ يَنْبِت ، تشبيهاً بالحجر الذي لا يَنْبِت .

﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ يعني مما أنفقوا ، فعَبَّرَ عن النفقة بالكسب ، لأنهم قصدوا بها الكسب ، فضرب هذا مثلاً للمُرَائِي في إبطال ثوابه ، ولصاحب المَنِّ والأذى في إبطال فضله .

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ يحتمل

وجهين :

أحدهما : في نُصرة أهل دينه من المجاهدين .

والثاني : في معونة أهل طاعته من المسلمين .

﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : تثبيتاً من أنفسهم بقوة اليقين ، والنصرة في الدين ، وهو معنى قول

الشعبي ، وابن زيد ، والسدي .

(*) وفي نسخة : الشديد الوقع .

والثاني : يثبتون أين يضعون صدقاتهم ، قاله الحسن ، ومجاهد .
والثالث : يعني احتساباً لأنفسهم عند الله ، قاله ابن عباس ، وقتادة .
والرابع : توطيناً لأنفسهم على الثبوت على طاعة الله ، قاله بعض المتكلمين .

﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ في الربوة قولان :

أحدهما : هي الموضع المرتفع من الأرض ، وقيل المُسْتَوِي في ارتفاعه .
والثاني : كل ما ارتفع عن مسيل الماء ، قاله اليزيدي .

﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ في الوابل وجهان :

أحدهما : المطر الشديد .

والثاني : الكثير ، قال عدي بن زيد :

قليل لها مني وإن سخطت بأن أقول سقيت سقيت الوابل الغدقا
﴿ فَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ وإنما خص الربوة لأن نبتها أحسن ، وريعها أكثر ،
قال الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معيشة خضراء جاد عليها مسبل هطل^(٣٥٩)
والأكمل ، بالضم : الطعام لأن من شأنه أن يؤكل . ومعنى ضعفين : مثلين ،
لأن ضعف الشيء مثله زائداً عليه ، وضعفاه : مثلاه زائداً عليه ، وقيل ضعف
الشيء مثلاه ، والأول قول الجمهور .

﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌ ﴾ الطل : الندى ، وهو دون المطر ، والعرب
تقول : الطل أحد المطرين ، وزرع الطل أضعف من زرع المطر وأقل ريعاً ، وفيه -
وإن قل - تماسك ونفع ، فأراد بهذا ضرب المثل أن كثير البر مثل زرع المطر كثير
النفع ، وقليل البر مثل زرع الطل قليل النفع ، ولا تدع قليل البر إذا لم تفعل
كثيره ، كما لا تدع زرع الطل إذا لم تقدر على زرع المطر .

أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَكُ جَنَّةٌ مِّنْ تَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(٣٥٩) ديوانه (٤٣) والشرط الأول فيه :

ما روضة من رياض الحزن مُعِيشَةً وكذا هو في الطبري (٥/٥٣٥) .

الْأَنْهَارُ لَهَا فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا
إِغْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ وهي البستان .
﴿ مَنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ لأنه من أنفس ما يكون فيها .
﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ لأن أنفسها ما كان ماؤها جارياً .
﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ لأن الكبر قد يُنْسِي من سعى الشباب في كسبه ، فكان
أضعف أملاً وأعظم حسرة .
﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ﴾ لأنه على الضعفاء أحنّ ، وإشفاقه عليهم أكثر .
﴿ فَأَصَابَهَا إِغْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ وفي الإغصار قولان :
أحدهما : أنه السُّمُوم الذي يقتل ، حكاة السدي .
والثاني : الإغصار ريح تهب من الأرض إلى السماء كالعمود تسميها العامة
الزوبعة ، قال الشاعر :

..... إن كنت ريحاً فقد لاقيت إغصاراً

وإنما قيل لها إغصار لأنها تَلْتَفُّ كالتياف الثوب المعصور .

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يوضح لكم الدلائل .

والثاني : يضرب لكم الأمثال .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعتبرون ، لأن المفكر معتبر .

والثاني : تهتدون ، لأن الهداية التَّفَكُّر .

واختلفوا في هذا المثل الذي ضربه الله في الحسرة لسلب النعمة ، من

المقصود به ؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مثل للمرائي في النفقة ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليها ،
قاله السدي .

والثاني : هو مثل للمفرط في طاعة الله لملاذ الدنيا يحصل في الآخرة على
الحسرة العظمى ، قاله مجاهد .

والثالث : هو مثل للذي يختم عمله بفساد ، وهو قول ابن عباس .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ
مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا
فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي
الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ فيه أربعة
أقاويل :

أحدها : يعني به الذهب والفضة ، وهو قول علي عليه السلام .

والثاني : يعني التجارة ، قاله مجاهد .

والثالث : الحلال .

والرابع : الجيد .

﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ من الزرع والثمار .

وفي الكسب وجهان محتملان :

أحدهما : ما حدث من المال المستفاد .

والثاني : ما استقر عليه الملك من قديم وحادث .

واختلفوا في هذه النفقة على قولين :

أحدهما : هي الزكاة المفروضة قاله عبدة السلمي .

والثاني : هي في التطوع ، قاله بعض المتكلمين .

﴿ وَلَا تَيْمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ التيمم : التعمد ، قال الخليل : تقول أممته إذا قصدت أمامه ، ويممته إذا تعمدته من أي جهة كان ، وقال غيره : هما سواء ، والخبيث : الرديء من كل شيء ، وفيه هنا قولان : أحدهما : أنهم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة ، فنزلت هذه الآية ، وهو قول علي ، والبراء بن عازب .

والثاني : أن الخبيث هو الحرام ، قاله ابن زيد .

﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : إلا أن تتساهلوا ، وهو قول البراء بن عازب .

والثاني : إلا أن تحطوا في الثمن ، قاله ابن عباس .

والثالث : إلا بوكس فكيف تعطونه في الصدقة قاله الزجاج .

والرابع : إلا أن ترخصوا لأنفسكم فيه ، قاله السدي ، وقال الطرماح :

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيء
سم رجال يرضون بالإغماض^(٣٦٠)
قوله عز وجل : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ وهو ما خوَّف من الفقر إن أنفق أو تصدق .

﴿ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بالشح .

والثاني : بالمعاصي .

﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما (*) : لكم .

والثاني : عفواً لكم .

﴿ وَفَضلاً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : سعة الرزق .

(٣٦٠) ديوانه (٨٦) .

(*) يياض في الأصل يحتمل لفظة واحدة .

والثاني : مضاعفة العذاب .

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً مِنْ ابْنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَايْعَادُ بِالْشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَايْعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ وَلْيُحْمِدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ » (٣٦١) . ثم تلا هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ في الحكمة سبعة تأويلات :

أحدها : الفقه في القرآن ، قاله ابن عباس .

والثاني : العلم بالدين ، قاله ابن زيد .

والثالث : النبوة .

والرابع : الخشية ، قاله الربيع .

والخامس : الإصابة ، قاله ابن أبي نجيع عن مجاهد .

والسادس : الكتابة (*) ، قاله مجاهد .

(٣٦١) رواه الترمذي (٧٧/٤ - ٧٨) وابن حبان في صحيحه (١٧١/٢) وابن جرير (٥٧١/٥) والنسائي في التفسير في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٣٩/٧) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٣٢١/١) .

كلهم من حديث أبي الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن ابن مسعود مرفوعاً وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وفي نسخة قال : حسن صحيح غريب وهو من حديث أبي الأحوص لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص ورمز له صاحب الجامع الصغير بالصحة (٤٩٩/٢) فيض القدير .

وَضَعَفَ الْحَدِيثَ الْأَلْبَانِيُّ بِعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ اخْتَلَطَ ، فِي الْمَشْكَاةِ (٢٨/١) وَالْجَامِعُ الصَّغِيرُ (٢٨٥/٢) وَقَوْلُ التِّرْمِذِيِّ السَّابِقَ إِعْلَالٌ مِنْهُ لِلْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ لِأَنَّ الْحَدِيثَ قَدْ وَرَدَ مَوْقُوفاً عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ بِرَقْمٍ (٦١٧٢ ، ٦١٧٣ ، ٦١٧٤ ، ٦١٧٥ ، ٦١٧٦) وَكَذَا أَشَارَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ إِلَى إِعْلَالِ الْمَرْفُوعِ بِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفاً مِنْ طَرِيقِ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ كَمَا عِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ مَرْدُودٍ وَنَقَلَهُ ابْنُ كَثِيرٍ (٣٢١/١) .

وَأَيَّمَا كَانَ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِمَّا لَا يَدْخُلُهُ الرَّأْيُ وَلَا يَعْلَمُ بِالْإِجْتِهَادِ .

وسبيل معرفة مثل هذا الوحي فهذا الحديث من المرفوع حكماً الموقوف لفظاً، اللمة هي الهمة، والخطرة تقع في القلب أراد إمام الملك أو الشيطان به والقرب منه فما كان من خطرات القلب فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان .

انظر النهاية لابن الأثير (٧٢/٤)

(*) وفي نسخة : الفهم بدل الكتابة ومنسوباً إلى إبراهيم النخعي .

والسابع : العقل ، قاله زيد بن أسلم .

ويحتمل ثامناً : أن تكون الحكمة هنا صلاح الدين وإصلاح الدنيا .

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ يعني أنه ليس في إبدائها

كراهية .

﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يعود إلى صدقة التطوع ، يكون إخفاؤها أفضل ، لأنه من الرياء أبعد ، فأما الزكاة فإبداؤها أفضل ، لأنه من التهمة أبعد ، وهو قول ابن عباس ، وسفيان .

والثاني : أن إخفاء الصدقتين فرضاً ونفلاً أفضل ، قاله يزيد بن أبي

حبيب(*) ، والحسن ، وقتادة .

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن (مِنْ) زائدة تقديرها : ويكفر عنكم سيئاتكم .

والثاني : أنها ليست زائدة وإنما دخلت للتبويض ، لأنه إنما يكفر بالطاعة من

غير التوبة الصغائر ، وفي تكفيرها وجهان :

أحدهما : يسترها عليهم .

والثاني : يغفرها لهم .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا

(*) وفي نسخه : يزيد بن أبي زيد .

مَنْ خَيْرٌ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

قوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قيل هم فقراء المهاجرين ، وفي أحصروا أربعة أقاويل :
أحدها : أنهم منعوا أنفسهم من التصرف للمعاش خوف العدو من الكفار ،
قاله قتادة ، وابن زيد .

والثاني : منعهم الكفار بالخوف منهم ، قاله السدي .

والثالث : منعهم الفقر من الجهاد .

والرابع : منعهم التشاغل بالجهاد عن طلب المعاش .

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني تصرفاً ، قاله ابن زيد .

والثاني : يعني تجارة ، قاله قتادة ، والسدي .

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ يعني من قلة خبرته بهم ، ومن

التعفف : يعني من التقنع والعفة والقناعة .

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ السمة : العلامة ، وفي المراد بها هنا قولان :

أحدهما : الخشوع ، قاله مجاهد .

والثاني : الفقر ، قاله السدي .

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يسأل وله كفاية .

والثاني : أنه الاشتمال بالمسألة ، ومنه اشتق اسم اللحاف . فإن قيل : فهل كانوا يسألون غير إلحاف ؟ قيل : لا ؛ لأنهم كانوا أغنياء من التعفف ، وإنما تقدير الكلام لا يسألون فيكون سؤالهم إلحافاً .

قال ابن عباس في أهل الصُّفَّة من المهاجرين : لم يكن لهم بالمدينة منازل ولا عشائر وكانوا نحو أربعمائة .

قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ اختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في عليٍّ كرم الله وجهه ، كانت معه أربعة دراهم فأنفقها على أهل الصُّفَّة ، أنفق في سواد الليل درهماً ، وفي وضح النهار درهماً ، وسراً درهماً ، وعلانية درهماً ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله لأنهم ينفقون بالليل والنهار سراً وعلانية ، قاله أبوذر ، والأوزاعي .

والثالث : أنها نزلت في كل مَنْ أنفق ماله في طاعة الله .

ويحتمل رابعاً : أنها خاصة في إباحة الارتفاق بالزروع والثمار ، لأنه يرتفق بها كل مار في ليل أو نهار ، في سر وعلانية ، فكانت أعم لأنها تؤخذ عن الإرادة وتوافق قدر الحاجة .

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ يعني يأخذون الربا فعبر عن الأخذ بالأكل لأن الأخذ إنما يراد للأكل ، والربا : هو الزيادة من قولهم : ربا السوق يربو إذا زاد ، وهو الزيادة على مقدار الدَّيْنِ لمكان الأجل .

﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ يعني من قبورهم يوم القيامة ، وفيه قولان :

أحدهما : كالسكران من الخمر يقطع(*) ظهراً لبطن ، ونسب إلى الشيطان لأنه مطيع له في سكره .

والثاني : قاله ابن عباس ، وابن جبير ، ومجاهد ، والحسن : لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، يعني الذي يخنقه الشيطان في الدنيا من المس ، يعني الجنون ، فيكون ذلك في القيامة علامة لأكل الربا في الدنيا .

واختلفوا في مس الجنون ، هل هو بفعل الشيطان ؟

فقال بعضهم : هذا من فعل الله بما يحدثه من غلبة السوداء فيصرعه ، ينسب إلى الشيطان مجازاً تشبيهاً بما يفعله من إغوائه الذي يصرعه .

وقال آخرون : بل هو من فعل الشيطان بتمكين الله له من ذلك في بعض الناس دون بعض ، لأنه ظاهر القرآن وليس في العقل ما يمنعه .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ قيل إنه يعني ثقيفاً لأنهم كانوا أكثر العرب رباً ، فلما نهوا عنه قالوا : كيف نهى عن الربا وهو مثل البيع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ، ثم أبطل ما ذكروه من التشبيه بالبيع فقال تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وللشافعي في قوله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من العام الذي يجري على عمومته في إباحة كل بيع وتحريم كل ربا إلا ما خصهما دليل من تحريم بعض البيع وإحلال بعض الربا ، فعلى هذا اختلف في قوله ، هل هو من العموم الذي أريد به العموم ، أو من العموم الذي أريد به الخصوص على قولين :

أحدهما : أنه عموم أريد به العموم وإن دخله دليل التخصيص .

والثاني : أنه عموم أريد به الخصوص .

(*) كذا في الأصل ولعله يقع .

وفي الفرق بينهما وجهان :

أحدهما : أن العموم الذي أريد به العموم : أن يكون الباقي من العموم من بعد التخصيص أكثر من المخصوص ، والعموم الذي أريد به المخصوص أن يكون الباقي منه بعد التخصيص أقل من المخصوص .

والفرق الثاني : أن البيان فيما أريد به المخصوص متقدّم على اللفظ ، وأن ما أريد به العموم متأخر عن اللفظ ومقترن به ، [هذا] أحد أقاويله :

والقول الثاني : أنه المجمال الذي لا يمكن [أن] يستعمل في إحلال بيع أو تحريمه إلا أن يقترن به بيان من سنة الرسول ، وإن دل على إباحة البيوع في الجملة دون التفصيل .

وهذا فرق ما بين العموم والمجمال ، أن العموم يدل على إباحة البيوع في الجملة ولا يدل على إباحتها في التفصيل حتى يقترن به بيان .

فعلى هذا القول أنها جملة تختلف في إجمالها ، هل هو لتعارض فيها أو لمعارضه غيرها لها على وجهين :

أحدهما : أنه لما تعارض ما في الآية من إحلال البيع وتحريم الربا وهو بيع صارت بهذا التعارض جملة وكان إجمالها منها .

والثاني : أن إجمالها بغيرها لأن السنة منعت من بيع وأجازت بيعاً فصارت بالسنة جملة .

وإذا صح إجمالها فقد اختلف فيه : -

هل هو إجمال في المعنى دون اللفظ ، لأن لفظ البيع معلوم في اللغة وإنما الشرع أجمل المعنى والحكم حين أحل بيعاً وحرّم بيعاً .

والوجه الثاني : أن الإجمال في لفظها ومعناها ، لأنه لما عدل بالبيع عن إطلاقه على ما استقر عليه في الشرع فاللفظ والمعنى محتملان معاً ، فهذا شرح القول الثاني .

والقول الثالث : أنها داخلة في العموم والمجمال ، فيكون عموماً دخله التخصيص ، ومجمالاً لحقه التفسير ، لاحتمال عمومها في اللفظ وإجمالها في

المعنى ، فيكون اللفظ عموماً دخله التخصيص ، والمعنى مجملاً لحقه التفسير .

والوجه الثاني : أن عمومها في أول الآية من قوله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، وإجمالها في آخرها من قوله : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، فيكون أولها عاماً دخله التخصيص ، وآخرها مجملاً لحقه التفسير .

والوجه الثالث : أن اللفظ كان مجملاً ، فلما بيّنه الرسول صار عاماً ، فيكون داخلًا في المجمل قبل البيان ، في العموم بعد البيان .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ في الموعظة وجهان : أحدهما : التحريم .

والثاني : الوعيد .

﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ قاله السدي : يعني ما أكل من الربا لا يلزمه رده .

﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : في المحاسبة والجزاء .

والثاني : في العفو والعقوبة .

وقيل فيه وجه ثالث : في العصمة والتوفيق .

وقيل فيه وجه رابع : فأمره إلى الله والمستقل في تثبيته على التحريم أو انتقاله إلى الاستباحة .

يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى : ﴿ يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ أي ينقصه شيئاً بعد شيء ، مأخوذ من محاق الشهر لنقصان الهلال فيه ، وفيه وجهان :

أحدهما : يبطله يوم القيامة إذا تصدق به في الدنيا .

والثاني : يرفع البركة منه في الدنيا مع تعذيبه عليه في الآخرة .

﴿ وَيُرِي الْمَصْدَقَاتِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يثمر المال الذي خرجت منه الصدقة .

والثاني : يضاعف أجر الصدقة ويزيدها ، وتكون هذه الزيادة واجبة بالوعد لا بالعمل .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ في الكفار وجهان :

أحدهما : الذي يستر نعم الله ويجحدها .

والثاني : هو الذي يكثر فعل ما يكفر به .

وفي الأثيم وجهان :

أحدهما : أنه من بيت الإثم .

والثاني : الذي يكثر فعل ما يآثم به .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُوْعُسْرَةَ فَظَنَّةٌ
إِلَىٰ مِيسْرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا
تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يا أيها الذين آمنوا بالستهم اتقوا الله بقلوبكم .

والثاني : يا أيها الذين آمنوا بقلوبهم اتقوا الله في أفعالكم .

﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ فيمن نزلت هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها نزلت في ثقيف وكان بينهم وبين عامر وبنو مخزوم ،

فتحاكموا فيه إلى عتاب بن أسيد بمكة وكان قاضياً عليها من قبل رسول الله ﷺ

فقالوا : دخلنا في الإسلام على أن ما كان لنا من الربا فهو باق ، وما كان علينا فهو

موضوع ، فنزل ذلك فيهم وكتب به رسول الله ﷺ إليهم .

والثاني أنها نزلت في بقية من الربا كانت للعباس ومسعود وعبد ياليل وحبيب ابن ربيعة عند بني المغيرة .

قوله عز وجل : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ محمول على أن مَنْ أَرَبَى قبل إسلامه ، وقبض بعضه في كُفْرِهِ وأسلم وقد بقي بعضه ، فما قبضه قبل إسلامه معفو عنه لا يجب عليه رد ، وما بقي منه بعد إسلامه ، حرام عليه لا يجوز له أخذه ، فأما المراباة بعد الإسلام فيجب رَدُّه فيما قبض وبقي ، فيرد ما قبض ويسقط ما بقي ، بخلاف المقبوض في الكفر ، لأن الإسلام يجب ما قبله .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : يعني أن من كان مؤمناً فهذا حكمه .

والثاني : معناه إذا كنتم مؤمنين .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ يعني ترك ما بقي من الربا .

﴿ فَأُذِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر فأذنوا بالمد ، بمعنى : فأعلموا غيركم ، وقرأ الباقون بالقصر بمعنى فاعلموا أنتم ، وفيه وجهان :

أحدهما : إن لم تنتهوا عن الربا أمرت النبي بحربكم .

والثاني : إن لم تنتهوا عنه فأنتم حرب الله ورسوله ، يعني أعداءه .

﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ يعني التي دفعتم ﴿ لَا تَظْلُمُونَ ﴾ بأن تأخذوا الزيادة على رؤوس أموالكم ، ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ بأن تُمنعوا رؤوس أموالكم .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ قيل إن في قراءة أبي ﴿ ذَا عُسْرَةٍ ﴾ وهو جائز في العربية .

وفيه قولان :

أحدهما : أن الإنظار بالعسرة واجب في دين الربا خاصة ، قاله ابن عباس ،

وشريح .

والثاني : أنه عام يجب إنظاره بالعسرة في كل دين ، لظاهر الآية ، وهو قول

عطاء ، والضحاك ، وقيل إن الإنظار بالعسرة في دَيْن الربا بالنص ، وفي غيره من الديون بالقياس .

وفي قوله : ﴿ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ قولان :

أحدهما : مفعلة من اليسر ، وهو أن يوسر ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : إلى الموت ، قاله إبراهيم النخعي .

﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يعني وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم من أن تُنظروه ، روى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا (٣٦٢) ، فدعوا الربا والرُّبِيَّة ، وإن نبي الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها .

قوله عز وجل : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ أي اتقوا بالطاعة فيما أمرتم به من ترك الربا وما بقي منه .

و ﴿ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني إلى جزاء الله .

والثاني : إلى ملك الله .

﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : جزاء ما كسبت من الأعمال .

والثاني : ما كسبت من الثواب والعقاب .

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ يعني بنقصان ما يستحقونه من الثواب ، ولا بالزيادة

على ما يستحقونه من العقاب .

(٣٦٢) رواه الطبري عن الشعبي عن عمر (٣٨/٦) وسنده منقطع بين الشعبي وعمر فإن الشعبي لم يلق عمر وقد رواه البخاري (٢٠٥/٨) فتح عن الشعبي عن ابن عباس بلفظ : « آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا » قال الحافظ رحمه الله المراد بالآخريّة في الربا تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة وأما حكم تحريم الربا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة على ما يدل عليه قوله تعالى في آل عمران في أثناء قصة أحد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ ... الآية أ. هـ . (٢٠٥/٨) فتح قلت : والرواية التي ذكرها المؤلف هنا رواها الطبري (٣٧/٦) وسندها منقطع لأن سعيداً بن المسيب لم يلق عمر كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص ٢٦ - ٢٧ وقد روى الحديث غير الطبري كثيراً فانظره في الدر (١ : ٣٦٥) .

روى ابن عباس أن آخر آية نزلت على النبي ﷺ (٣٦٣) هذه الآية . قال ابن عباس : مكث بعدها سبع ليال .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ
وَلْيَكُتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
فَلْيَكُتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ
شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ
فَلْيَمْلِكْ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا
رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا
فَتُذْكَرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ
تَكُتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ
وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا
شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ ﴾ إلى آخر الآية . في ﴿ تداينتم ﴾ تأويلان :

أحدهما : تجازيتم .

والثاني : تعاملتم .

وفي ﴿ فَآكُتُبُوهُ ﴾ قولان :

أحدهما : أنه ندب ، وهو قول أبي سعيد الخدري ، والحسن ، والشعبي .

والثاني : أنه فرض ، قاله الربيع ، وكعب .

﴿ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ وَعَدَلِ الْكَاتِبُ إِلَّا يَزِيدُ [فِيهِ] إِضْرَاراً بِمَنْ

هو عليه ، ولا ينقص منه ، إضراراً بِمَنْ هو له .

﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ ﴾ وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه فرض على الكفاية كالجهاد ، قاله عامر .

والثاني : أنه واجب عليه في حال فراغه ، قاله الشعبي أيضاً .

والثالث : أنه ندب ، قاله مجاهد .

والرابع : أن ذلك منسوخ بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ ،

قاله الضحاك .

﴿ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ يعني على الكاتب ، ويقرُّ به عند الشاهد .

﴿ وَلَا يَنْخَسُ مِنْهُ شَيْئاً ﴾ أي لا ينقص منه شيئاً .

﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الجاهل بالصواب فيما عليه أن يملِّه على الكاتب ، وهو قول

مجاهد .

والثاني : أنه الصبي والمرأة ، قاله الحسن :

والثالث : أنه المبذر لماله ، المُفْسِدُ في دينه ، وهو معنى قول الشافعي .

والرابع : الذي يجهل قدر المال ، ولا يمتنع من تبذيره ولا يرغب في

تثميته .

﴿ أَوْ ضَعِيفاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الأحمق ، قاله مجاهد ، والشعبي .

والثاني : أنه العاجز عن الإملاء إما بعِيٍّ أَوْ خُرْسٍ ، قاله الطبري .

﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه العبيّ الأخرس ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه الممنوع عن الإملاء إما بحبس أو عيبة .

والثالث : أنه المجنون .

﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : وليّ مَنْ عليه الحق ، وهو قول الضحاك ، وابن زيد .

والثاني : وليّ الحق ، وهو صاحبه ، قاله ابن عباس ، والربيع .

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : من أهل دينكم .

والثاني : من أحراركم ، قاله مجاهد .

﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ يعني فإن لم تكن البينة برجلين ،

فبرجل وامرأتين ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم الأحرار المسلمون العدول ، وهو قول الجمهور .

والثاني : أنهم عدول المسلمين وإن كانوا عبيداً ، وهو قول شريح ، وعثمان

البيتي ، وأبي ثور .

﴿ تَضِلُّ إِحْدَاهُمَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لثلا تضل ، قاله أهل الكوفة .

والثاني : كراهة أن تضل ، قاله أهل البصرة .

وفي المراد به وجهان :

أحدهما : أن تخطيء .

والثاني : أن تنسى ، قاله سييويه .

﴿ فَتُذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنها تجعلها كَذَكَرٍ (*) من الرجال ، قاله سفيان بن عيينة .

والثاني : أنها تذكرها إن نسيت ، قاله قتادة ، والسدي ، والضحاك ، وابن

زيد .

﴿ وَلَا يَأْبِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

(*) وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو زاد المسير () الحجة في القراءات ()

- أحدها : لتَحْمِلُهَا وإثباتها في الكتاب ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والربيع .
- والثاني : لإقامتها وأدائها عند الحاكم ، قاله مجاهد ، والشعبي ، وعطاء .
- والثالث : أنها للتحمل والأداء جميعاً ، قاله الحسن .
- واختلفوا فيه على ثلاثة أقاويل :
- أحدها : أنه ندب وليس بفرض ، قاله عطاء ، وعطية العوفي .
- والثاني : أنه فرض على الكفاية ، قاله الشعبي .
- والثالث : أنه فرض على الأعيان ، قاله قتادة ، والربيع .
- ﴿ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ وليس يريد بالصغير ما كان تافهاً حقيراً كالقيراط والدائق لخروج ذلك عن العرف المعهود .
- ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي أعدل ، يقال : أَقْسَطَ إِذَا عَدَلَ فهو مُقْسِطٌ ، قال تعالى : ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] وَقَسَطَ إِذَا جَارَ ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن : ١٤] .
- ﴿ وَأَقُومُوا لِلشَّهَادَةِ ﴾ فيه وجهان :
- أحدهما : أصحُّ لها ، مأخوذ من الاستقامة .
- والثاني : أحفظ لها ، مأخوذ من القيام ، بمعنى الحفظ .
- ﴿ وَأَذْنَىٰ إِلَّا تَرْتَابُوا ﴾ يحتمل وجهين (*) :
- أحدهما : ألا ترتابوا بِمَنْ عليه حق أن ينكره .
- والثاني : ألا ترتابوا بالشاهد أن يضل .
- ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ يحتمل وجهين :
- أحدهما : أن الحاضرة ما تعجل ولم يداخله أجل في مبيع ولا ثمن .
- والثاني : أنها ما يحوزه المشتري من العروض المنقولة .
- ﴿ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ يحتمل وجهين :
- أحدهما : تتناقلونها من يد إلى يد .

(*) وفي نسخة أمرين .

والثاني : تكثرون تبائعها في كل وقت .

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ يعني أنه غير مأمور بكتبه وإن كان مباحاً .

﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه فرض ، وهو قول الضحاك ، وداود بن علي .

والثاني : أنه ندب ، وهو قول الحسن ، والشعبي ، ومالك ، والشافعي .

﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن المضارة هو أن يكتب الكاتب ما لم يُمل عليه ، ويشهد الشاهد بما لم يُستشهد ، قاله طاووس ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : أن المضارة أن يمنع الكاتب أن يكتب ، ويمنع الشاهد أن يشهد ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء .

والثالث : أن المضارة أن يدعى الكاتب والشاهد وهما مشغولان معذوران ، قاله عكرمة ، والضحاك ، والسدي ، والربيع .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أن تكون المضارة في الكتابة والشهادة .

﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن الفسوق المعصية ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك .

والثاني : أنه الكذب ، قاله ابن زيد .

ويحتمل ثالثاً : أن الفسوق المأثم .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُودِّ الَّذِي أَوْثَمَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّاكُمْ لَعَنَ اللَّهُ إِيْمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِمُ ﴾ (٢٨٣)

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : فرهن ، وقرأ الباقون فرهان ،

وفيها قولان :

أحدهما : أن الرُّهْن في الأموال ، والرَّهَان في الخيل .

والثاني : أن الرَّهَان جمع ، والرُّهْن جمع الجمع مثل ثمار وثمر ، قاله الكسائي ، والفراء .

وفي قوله : ﴿ مَقْبُوضَةٌ ﴾ وجهان :

أحدهما : أن القبض من تمام الرهن ، وهو قبل القبض غير تام ، قاله الشافعي ، وأبو حنيفة .

والثاني : لأنه من لوازم الرهن ، وهو قبل القبض تام ، قاله مالك .

وليس السفر شرطاً في جواز الرهن ، لأن النبي ﷺ رَهَنَ دِرْعَهُ عِنْدَ أَبِي الشَّحْمِ الْيَهُودِيِّ^(٣٦٤) بِالْمَدِينَةِ وَهِيَ حَضْرٌ ، وَلَا عَدَمُ الْكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ شَرْطاً فِيهِ لِأَنَّهُ زِيَادَةٌ وَثِيقَةٌ .

﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً ﴾ يعني بغير كاتب ولا شاهد ولا رهن .

﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ يعني في أداء الحق وترك المُطْلَ به .

﴿ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ في ألا يكتُم من الحق شيئاً .

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه فاجر قلبه ، قاله السدي .

والثاني : مكتسب لإثم الشهادة .

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(٣٦٤) رواه البخاري (١٠٠/٥) ومسلم (رقم ١٦٠٣) والنسائي (٢٨٨/٧) كلهم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . ولفظه .

« اشتري طعاماً من يهودي إلى أجل ، ورهنه درعاً له من حديد » . وللحديث روايات أخرى وألفاظ أخرى وقد عقد العلامة ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث بحثاً حول هذا الحديث فانظره عنه .

قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

قوله عز وجل : ﴿لِّلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾ في إضافة ذلك
إلى الله تعالى قولان :

أحدهما : أنه إضافة تملك تقديره : الله يملك ما في السموات وما في
الأرض .

والثاني : معناه تدبير ما في السموات وما في الأرض .

﴿وَإِنْ تَبَدُّوْا مَا فِىْ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ﴾ إبداء ما في النفس
هو العمل بما أضمره ، وهو مؤاخذ به ومحاسب عليه ، وأما إخفاؤه فهو ما أضمره
وحدث به نفسه ولم يعمل به .

وفيما أراد به قولان :

أحدهما : أن المراد به كتمان الشهادة خاصة ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ،
والشعبي .

والثاني : أنه عام في جميع ما حدث به نفسه من سوء ، أو أضمر من
معصية ، وهو قول الجمهور .

واختلف في هذه الآية ، هل حكمها ثابت في المؤاخذة بما أضمره وحدث به
نفسه ؟ أو منسوخ ؟ على قولين :

أحدهما : أن حكمها ثابت في المؤاخذة بما أضمره ، واختلف فيه من قال
ببوته على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن حكمها ثابت على العموم فيما أضمره الإنسان فيؤاخذ به من
يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، قاله ابن عمر ، والحسن .

والثاني : حكمها ثابت في مؤاخذة الإنسان بما أضمره وإن لم يفعله ، إلا أن
الله يغفره للمسلمين ويؤاخذ به الكافرين والمنافقين ، قاله الضحاك ، والربيع ،

ويكون ﴿ فَيَفْقِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ محمولاً على المسلمين ، ﴿ وَيَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ محمولاً على الكافرين والمنافقين .

والثالث : أنها ثابتة الحكم على العموم في مؤاخذته المسلمين بما حدث لهم في الدنيا من المصائب والأمور التي يحزنون لها ، ومؤاخذة الكافرين والمنافقين بعذاب الآخرة ، وهذا قول عائشة رضي الله عنها .

والقول الثاني : أن حكم الآية في المؤاخذة بما أضمره الإنسان وحدث به نفسه وإن لم يفعله منسوخ . واختلف من قال بنسخها فيما نسخت به على قولين :

أحدهما : بما رواه العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة قال : أنزل الله ﴿ وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ فاشتد ذلك على القوم فقالوا : يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نُحَدِّثُ به أنفسنا ، هلكننا ، فأنزل الله تعالى (٣٦٥) : ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وهو أيضاً قول ابن مسعود .

والثاني : أنها نسخت بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (٣٦٦) : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء ، فقال النبي ﷺ : « قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا » . قال : فالتقى الله الإيمان في قلوبهم ، قال : فأنزل الله : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ ﴾ الآية . فقرا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . فقال تعالى : قد فعلت . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . قال : قد فعلت . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . قال : قد فعلت . ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ . قال : قد فعلت .

(٣٦٥) رواه الطبري (١٠٣/٦) مطولاً عما هنا ومسلم مطولاً أيضاً (٤٦/١ - ٤٧) وابن حبان في صحيحه برقم (١٣٩) وأحمد برقم (٩٣٣٣) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة وزاد السيوطي نسبته في الدر (١٢٧/٢) لأبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٦٦) رواه مسلم (٤٧/١) وأحمد في المسند برقم (٢٠٧٠) والحاكم في المستدرک (٢٨٦/٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والترمذي (برقم ٢٩٩٢) والطبري (١٠٥/٦) برقم (٦٤٥٧) وزاد السيوطي في الدر (١٢٧/٢) نسبته للنسائي وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات .

والذي أقوله فيما أضمره وحدث به نفسه ولم يفعله إنه مؤاخذ بمأثم الاعتقاد دون الفعل ، إلا أن يكون كُفُّه عن الفعل ندماً ، فالندم توبة تمحص عنه مأثم الاعتقاد .

قوله عز وجل : ﴿ ءَمَنَ الرَّسُولُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ﴾ أما إيمان الرسول فيكون بأمرين : تحمُّل الرسالة ، وإبلاغ الأمة ، وأما إيمان المؤمنين فيكون بالتصديق والعمل .

﴿ كُلٌّ ءَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ .

والإيمان بالله يكون بأمرين : بتوحيده ، وقبول ما أنزل على رسوله .
وفي الإيمان بالملائكة وجهان :

أحدهما : الإيمان بأنهم رسل الله إلى أنبيائه .

والثاني : الإيمان بأن كل نفس منهم رقيب وشهيد .

﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ قراءة الجمهور وقرأ حمزة : ﴿ وَكِتَابِهِ ﴾ فمن قرأ ﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ فالمراد به جميع ما أنزل الله منها على أنبيائه . ومن قرأ : ﴿ وَكِتَابِهِ ﴾ ففيه وجهان :

أحدهما : أنه عنى القرآن خاصة .

والثاني : أنه أراد الجنس ، فيكون معناه بمعنى الأول وأنه أراد جميع الكتب والإيمان بها والاعتراف بنزولها من الله على أنبيائه .

وفي لزوم العمل بما فيها ما لم يرد نسخ قولان^(٣٦٧) :

ثم فيما تقدم ذكره من إيمان الرسول والمؤمنين - وإن خرج مخرج الخبر - قولان :

أحدهما : أن المراد به مدحهم بما أخبر من إيمانهم .

والثاني : أن المراد به أنه يقتدي بهم مَنْ سواهم .

ثم قال تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ﴾ يعني في أن يؤمن ببعضهم

(٣٦٧) يعني بالقولين أي قول بلزوم العمل بما فيها وقول بعدم اللزوم .

دون بعض ، كما فعل أهل الكتاب ، فيلزم التسوية بينهم في التصديق ، وفي لزوم التسوية في التزام شرائعهم ما قدمناه من القولين ، وجعل هذا حكاية عن قولهم وما تقدمه خبراً عن حالهم ليجمع لهم بين قول وعمل وماض ومستقبل .

﴿ وَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أي سمعنا قوله وأطعنا أمره .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن يراد بالسماع القبول ، وبالطاعة العمل .

﴿ غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا ﴾ معناه نسألك غفرانك ، فلذلك جاء به منصوباً .

﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ يعني إلى جزائك .

ويحتمل وجهاً ثانياً : يريد به إلى لفائك لتقدم اللقاء على الجزاء .

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ يعني طاقتها ، وفيه

وجهان :

أحدهما : وعد من الله لرسوله وللمؤمنين بالفضل على عباده ألا يكلف نفساً

إلا وسعها .

والثاني : أنه إخبار من النبي ﷺ ومن المؤمنين عن الله ، على وجه الشاء

عليه ، بأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ثم قال : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ يعني لها ما كسبت من

الحسنات ، وعليها ما اكتسبت يعني من المعاصي . وفي كسبت واكتسبت وجهان :

أحدهما : أن لفظهما مختلف ومعناهما واحد .

والثاني : أن كسبت مستعمل في الخير خاصة ، واكتسبت مستعمل في الشر

خاصة .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا ﴾ قال الحسن : معناه : قولوا ربنا لا تؤاخذنا .
﴿ إِنْ نُسِينَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني إن تناسينا أمرك .

والثاني : تركنا ، والنسيان : بمعنى الترك كقوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] ، قاله قطرب .
﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ما تأولوه من المعاصي بالشبهات .

والثاني : ما عمدوه من المعاصي التي هي خطأ تخالف الصواب .
وقد فَرَّقَ أهل اللسان بين « أخطأ » وخطيء ، فقالوا : « أخطأ » يكون على
جهة الإثم وغير الإثم ، وخطيء : لا يكون إلا على جهة الإثم ، ومنه قول
الشاعر :

والناس يَلْحُونُ الأميرَ إِذَا هُمُ خطئوا الصوابَ ولا يُلامُ المرشِدُ^(٣٦٨)
﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : إصرًا أي عهدًا نعجز عن القيام به ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ،
وقتادة .

الثاني : أي لا تمسحنا قردة وخنازير ، وهذا قول عطاء .

الثالث : أنه الذنب الذي ليس فيه توبة ولا كفارة ، قاله ابن زيد .

الرابع : الإصر : الثقل العظيم ، قاله مالك ، والربيع ، قال النابغة :

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم والحامل الإصر عنهم بعدما عرضوا^(*)
﴿ كَمَا حَمَلَتْهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ يعني بني إسرائيل فيما حملوه من قتل
أنفسهم .

(٣٦٨) هو عبيد الله بن الأبرص الأسدي والبيت في ديوانه (٥٤) والبيت فيه
والناس يلحون الأمير إذا غوى ... خطب الصواب ...
(*) ديوان النابغة :

﴿ . . وَلَا تُحْمَلْنَ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ما لا طاقة لنا به مما كُلفه بنو إسرائيل .

الثاني : ما لا طاقة لنا به من العذاب .

﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مالكننا .

الثاني : وليتنا وناصرنا .

﴿ فَأَنْصَرْنَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾

فلما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا ﴾ قال الله تعالى : قد غفرت لكم ،

فلما قرأ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال الله تعالى : لا أوأخذكم .

فلما قرأ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ قال الله

تعالى : لا أحمل عليكم . فلما قرأ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحْمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال الله

تعالى : لا أحملكم . فلما قرأ : ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا ﴾ قال الله تعالى : قد عفوت

عنكم . فلما قرأ : ﴿ وَاعْفِرْ لَنَا ﴾ قال الله تعالى : قد غفرت لكم . فلما قرأ :

﴿ وَارْحَمْنَا ﴾ قال الله تعالى : قد رحمتكم . فلما قرأ : ﴿ فَأَنْصَرْنَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

الْكَافِرِينَ ﴾ قال الله تعالى : قد نصرتكم .

وروى مرثد بن عبد الله عن عقبة بن عامر الجهني^(٣٦٩) قال : سمعت رسول

الله ﷺ يقول : « اقْرَؤُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ خَاتِمَةِ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانِيهَا مِنْ

تَحْتِ الْعَرْشِ » .

وروى أبو سعيد الخدري^(٣٧٠) قال : قال رسول الله ﷺ : « السُّورَةُ التِّي

(٣٦٩) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٥٨/٤) وحسن إسناده ابن كثير في التفسير (٦٠٥/١) وفي مسنده

محمد بن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث لكن للحديث شواهد يرتقي بها إلى الحسن

ذكرها الحافظ ابن كثير في التفسير فراجعها هناك .

(٣٧٠) رواه الديلمي في مسند الفردوس برقم (٣٣٧٦) وفي مسنده إسماعيل بن زياد الشامي ويقال ابن

أبي زياد نقل الذهبي في الميزان (٢٣١/١) عن الدارقطني أنه قال : متروك يضع الحديث .

وذكره صاحب الجامع الصغير ورمز له بالضعف (١٤٩/٤) وقال ابن عدي : منكر الحديث وقال ابن =

تُذَكِّرُ فِيهَا الْبَقْرَةَ فَسَطَّاطُ الْقُرْآنِ ، فَتَعَلَّمُوهَا فَإِنَّ تَعْلِيمَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ قِيلَ : وَمَنْ الْبَطْلَةُ ؟ قَالَ : السَّحْرَةُ .»

== حبان : شيخ دجال لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه .
والحديث رواه الدارمي (٤٤٦/٢) موقوفاً على خالد بن معدان وقال فيه : حدثنا أبو المغيرة عن عبدة
عن خالد قال : فذكر مثله .
لكن الحديث صح من رواية أبي أمامة مرفوعاً بلفظ « اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة
ولا تستطيعها البطلة » .
وقال معاوية أحد رواة البطلة : السحرة رواه مسلم (برقم ٨٠٤) ضمن حديث طويل .

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ ۝ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ (٣) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝ (٤)

﴿ اَلَمْ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وقد ذكرنا تفسير ذلك من قبل .
 فإن قيل : ﴿ اَلَمْ ﴾ اسم من أسماء الله تعالى كان قوله : ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ﴾ نعتاً للمسمى به ، وتفسيره أن ﴿ اَلَمْ ﴾ هو الله لا إله إلا هو .
 وإن قيل : إنه قسم كان واقعاً على أنه سبحانه لا إله إلا هو الحي القيوم ،
 إثباتاً لكونه إلهاً ونفياً أن يكون غيره إلهاً .

وإن قيل بما سواهما من التأويلات كان ما بعده مبتدأ موصوفاً ، وأن الله هو الذي لا إله إلا هو الحي القيوم .

ونزلت هذه الآية إلى نيف وثمانين آية من السورة في وفد نجران من النصاري لما جاؤوا يحاجون النبي ﷺ وكانوا أربعة عشر رجلاً من أشرافهم .

﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بالعدل مما استحقه عليك من أثقال النبوة .

والثاني : بالعدل فيما اختصك به من شرف الرسالة .

وإن قيل بأنه الصدق ففيه وجهان :

أحدهما : بالصدق فيما تضمنه من أخبار القرون الخالية والأمم السالفة .

والثاني : بالصدق فيما تضمنه من الوعد بالشواب على طاعته ، والوعيد بالعقاب على معصيته .

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي لما قبله من كتاب ورسول ، وإنما قيل لما قبله ﴿ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ لأنه ظاهر له كظهور ما بين يديه .

وفي قوله : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه مخبراً بما بين يديه إخبار صدق دل على إعجازه .

والثاني : معناه أنه يخبر بصدق الأنبياء فيما أتوا به على خلاف من يؤمن ببعض ويكفر ببعض .

قوله عز وجل : ﴿ ... إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بدلائله وحججه .

والثاني : بآيات القرآن ، قال ابن عباس يريد وفد نجران حين قَدِمُوا على رسول الله ﷺ لمُحَاجَّتِهِ .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ يعني عذاب جهنم .

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في امتناعه .

الثاني : في قدرته .

﴿ ذُو انتِقَامٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ذو سطوة .

والثاني : ذو اقتضاء .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ

الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَتُفْلِحُوا إِلَّا لَبَبٌ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ يعني القرآن .

﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ اختلف المفسرون في تأويله على سبعة أقاويل :

أحدها : أن المحكم الناسخ ، والمتشابه المنسوخ ، قاله ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : أن المحكم ما أحكم الله بيان حلاله وحرامه فلم تشبهه معانيه ، قاله مجاهد .

والثالث : أن المحكم ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما احتمل أوجهاً ، قاله الشافعي ومحمد بن جعفر بن الزبير .

والرابع : أن المحكم الذي لم تكرر ألفاظه ، والمتشابه الذي تكررت ألفاظه ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن المحكم الفرائض والوعد والوعيد ، والمتشابه القصص والأمثال .

والسادس : أن المحكم ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره ، والمتشابه ما لم يكن إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج عيسى ونحوه ، وهذا قول جابر بن عبد الله .

والسابع : أن المحكم ما قام بنفسه ولم يحتج إلى استدلال .

ويحتمل ثامناً : أن المحكم ما كانت معاني أحكامه معقولة ، والمتشابه ما كانت معاني أحكامه غير معقولة ، كأعداد الصلوات ، واختصاص الصيام بشهر رمضان دون شعبان .

ولإنما جعله محكماً ومتشابهاً استدعاء للنظر من غير اتكال على الخبر ، وقد روى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : « القرآن على ثلاثة أجزاء : حلال فاتبعه ، وحرام فاجتنبه ، ومتشابه يشكل عليك فكله إلى عالمه » (٣٧١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ . ففيه وجهان :

أحدهما : أصل الكتاب .

والثاني : معلوم الكتاب .

وفيه تأويلان :

أحدهما : أنه أراد الآي التي فيها الفرائض والحدود ، قاله يحيى بن يعمر .

والثاني : أنه أراد فواتح السور التي يستخرج منها القرآن ، وهو قول أبي فاختة .

ويحتمل ثالثاً : أن يريد به أنه معقول المعاني لأنه يتفرع عنه ما شاركه في معناه ، فيصير الأصل لفروعه كالأم لحدوثها عنه ، فلذلك سماه أم الكتاب .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ميل عن الحق .

والثاني : شك ، قاله مجاهد .

﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من الحروف المقطعة من حساب الجُمَّل في انقضاء مدة النبي ﷺ .

والثاني : أنه معرفة عواقب القرآن في العلم بورود النسخ قبل وقته .

(٣٧١) لم أهتم إلى تخريجه لكن ورد معناه من أحاديث أخرى انظرها في الدر المنثور . (١٤٩/٢) ، ١٥٠ وما بعدهما) .

والثالث : أن ذلك نزل في وفد نجران (٣٧٢) لَمَّا حَاجَّوْا النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَسِيحِ ، فقالوا : أليس كلمة الله وروحه؟ قال : « بلى » ، فقالوا : حسينا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ وهو قول الربيع .

وفي قوله تعالى : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : الشرك ، قاله السدي .

والثاني : اللبس (٣٧٣) ، قاله مجاهد .

الثالث : الشبهات التي حاج بها وفد نجران .

والرابع : إفساد ذات البين .

﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ في التأويل وجهان :

أحدهما : أنه التفسير .

والثاني : أنه العاقبة المنتظرة .

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : تأويل جميع المتشابه ، لأن فيه ما يعلمه الناس ، وفيه ما لا يعلمه إلا الله ، قاله الحسن .

والثاني : أن تأويله يوم القيامة لما فيه من الوعد والوعيد ، كما قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٣] يعني يوم القيامة ، قاله ابن عباس .

(٣٧٢) حديث الربيع : أخرجه ابن جرير (١٨٦/٦) ونسبه السيوطي في الدر (١٥٠/٢) لابن أبي حاتم وهو حديث معضل .

(٣٧٣) قال الإمام أبو جعفر الطبري (١٩٨/٦) رحمه الله « هذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك فإنه معني بها كل مبتدع في دين الله بدعة » فمال قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعض متشابه آي القرآن ثم حاج به أهل الحق وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات ، ارادةً منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلب لعلم تأويل ، ماتشابه عليه من ذلك ، كائناً من كان ، وأي أصناف المبتدعة كان من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية أو كان سبياً أو حرورياً أو قدرياً ، أو جهمياً . اهـ .

والثالث : تأويله وقت حلوله ، قاله بعض المتأخرين .

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني الثابتين فيه ، العاملين به .

والثاني : يعني المستنبطين للعلم والعاملين ، وفيهم وجهان :

أحدهما : أنهم داخلون في الاستثناء ، وتقديره : أن الذي يعلم تأويله الله والراسخون في العلم جميعاً .

روى ابن أبي نجيح عن ابن عباس أنه قال : أنا ممن يعلم تأويله .

الثاني : أنهم خارجون من الاستثناء ، ويكون معنى الكلام : ما يعلم تأويله

إلا الله وحده ، ثم استأنف فقال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ .

﴿ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : علم ذلك عند ربنا .

والثاني : ما فصله من المحكم والمتشابه ، فنزل من عند ربنا .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

قوله عز وجل : ﴿ كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الدأب : العادة ، (أي) كعادة آل فرعون والذين من قبلهم .

والثاني : أن الدأب هنا الاجتهاد ، مأخوذ من قولهم : دأبت في الأمر ، إذا

اجتهدت فيه .

فإذا قيل إنه العادة ففيما أشار إليه من عاداتهم وجهان :

أحدهما : كعادتهم في التكذيب بالحق .

والثاني : كعادتهم من عقابهم على ذنوبهم .

وإذا قيل إنه الاجتهاد ، احتمل ما أشار إليه من اجتهادهم وجهين :

أحدهما : كاجتهادهم في نصره الكفر على الإيمان .

والثاني : كاجتهادهم في الجحود والبهتان .

وفيمن أشار إليهم أنهم كدأب آل فرعون قولان :

أحدهما : أنهم مشركو قريش يوم بدر ، كانوا في انتقام الله منهم لرسوله والمؤمنين ، كآل فرعون في انتقامه منهم لموسى وبني إسرائيل ، فيكون هذا على القول الأول تذكيراً للرسول والمؤمنين بنعمة سبقت ، لأن هذه الآية نزلت بعد بدر استدعاء لشكرهم عليها ، وعلى القول الثاني وعداً بنعمة مستقبله لأنها نزلت قبل قتل يهود بني قينقاع ، فحقق وعده وجعله معجزاً لرسوله .

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسْأَلُ الْمَهَادُ ﴿١٢﴾
قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ الآية . في سبب نزول هذه

الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها نزلت في قريش قبل بدر بسنة ، فحقق الله قوله ، وصدق رسوله ، وأنجز وعده بمن قتل منهم يوم بدر ، قاله ابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنها نزلت في بني قينقاع لما هلكت قريش يوم بدر ، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام ، وحذرهم مثل ما نزل بقريش ، فأبوا وقالوا : لسنا بكريش الأغمار الذين لا يعرفون الناس ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، قاله قتادة ، وابن إسحاق .

والثالث : أنها نزلت في عامة الكفار .

وفي الغلبة هنا قولان :

أحدهما : بالقهر والاستيلاء ، إن قيل إنها خاصة .

والثاني : بظهور الحجة ، إن قيل إنها عامة .

وفي ﴿ وَبَشِّرِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : بشر ما مهدوا لأنفسهم ، قاله مجاهد .

والثاني : معناه بشر القرار ، قاله الحسن .

وفي بشر وجهان :

أحدهما : أنه مأخوذ من البأس ، وهو الشدة .

والثاني : أنه مأخوذ من البأساء وهو الشر .

قوله عز وجل : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِ الْتَقَاتِ الْفِتْنَةِ تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
يعني المؤمنين من أهل بدر .

﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ يعني مشركي قريش .

﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ وفي مثليهم قولان :

أحدهما : أنهم مثلان زائدان على العدد الْمُتَحَقِّق ، فيصير العدد ثلاثة أمثال ، قاله الفراء .

والثاني : هو المزيد في الرؤية ، قاله الزجاج .

اختلفوا في المخاطب بهذه الرؤية على قولين :

أحدهما : أنها الفئة المؤمنة التي تقاتل في سبيل الله ، بأن أراهم الله مشركي قريش يوم بدر مثلي عدد أنفسهم ، لأن عدة المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وعدة المشركين في رواية عليّ وابن مسعود ألف ، وفي رواية عروة ، وقتادة ، والربيع ما بين تسعمائة إلى ألف ، فقللهم الله في أعينهم تقوية لنفوسهم ، قاله ابن مسعود ، والحسن .

والثاني : أن الفئة التي أراها الله ذلك هي الفئة الكافرة ، أراهم الله المسلمين مثلي عددهم مكثراً لهم ، لتضعف به قلوبهم . والآية في الفتنين هي تقليل الكثير في أعين المسلمين ، وتكثير القليل في أعين المشركين ، وما تقدم من الوعد بالغلبة ، فتحقق ، قتلاً ، وأسراً ، وسبياً .

﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ يعني من أهل طاعته . وفي التأييد وجهان :
أحدهما : أنه المعونة .

والثاني : القوة .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن في نصرة الله لرسوله يوم بدر مع قلة أصحابه عبرة لذوي
البصائر والعقول .

والثاني : أن فيما أبصره المشركون من كثرة المسلمين مع قلتهم عبرة لذوي
الأعين والبصائر .

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِيَكُمْ
بِخَيْرِ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ معنى زين : أي حُسْن حب
الشهوات ، والشهوة من خلق الله في الإنسان ، لأنها ضرورة لا يقدر على دفعها .

وفي المزيّن لحب الشهوات ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الشيطان ، لأنه لا أحد أشد دُماً لها من الله تعالى الذي خلقها ،
قاله الحسن .

الثاني : تأويل أن الله زين حب الشهوات لِمَا جعله في الطباع من المنازعة
كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ [الكهف : ٧] ، قاله الزجاج .

والثالث : أن الله زين من حبها ما حَسَن ، وزين الشيطان من حبها ما قَبَح .

﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ اختلفوا في مقدار القنطار على سبعة أقاويل :

أحدها : أنه ألف ومائتا أوقية ، وهو قول معاذ بن جبل ، وأبي هريرة ورواه زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « الْقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٌ » (٣٧٤) .

والثاني : أنه ألف ومائتا دينار ، وهو قول الضحاك ، والحسن ، وقد رواه الحسن عن النبي ﷺ (٣٧٥) .

والثالث : أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار ، وهو قول ابن عباس .

والرابع : أنه ثمانون ألفاً من الدراهم ، أو مائة رطل من الذهب ، وهو قول سعيد بن المسيب ، وقتادة .

والخامس : أنه سبعون ألفاً ، قاله ابن عمر ، ومجاهد .

والسادس : أنه ملء مسك ثور ذهباً ، قاله أبو نضرة .

والسابع : أنه المال الكثير ، وهو قول الربيع .

وفي ﴿ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أنها المضاعفة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها الكاملة المجتمعة .

والثالث : هي تسعة قناطير ، قاله الفراء .

والرابع : هي المضروبة دراهم أو دنانير ، وهو قول السدي .

والخامس : أنها المجعلولة كذلك ، كقولهم دراهم مدرهمة .

ويحتمل وجهاً سادساً : أن القناطير المذكورة مأخوذة من قنطرة الوادي ، إما لأنها بتركها مُعَدَّة كالقناطر المعبورة ، وإما لأنها معدة لوقت الحاجة ، والقناطير

(٣٧٤) رواه الطبري في التفسير (٢٤٥/٦) وسنده ضعيف فيه مغلط بن عبد الواحد قال فيه ابن حبان :

منكر الحديث جداً وقال أبو حاتم : ضعيف (٣٤٨/١/٤) الجرح والتعديل وفيه أيضاً علي بن زيد بن

جدعان وهو ضعيف وعطاء بن أبي ميمونة وَثَقَهُ أَبُو زُرْعَةَ والنسائي وقال أبو حاتم فيه : لا يمتنع بحديثه

وكان قدرياً وقال ابن عدي : في أحاديثه بعض ما ينكر عليه وقال ابن كثير (٣٥١/١) وهذا

حديث منكر . أ. هـ .

(٣٧٥) ولكنه حديث مرسل رواه ابن جرير (٢٤٥/٦) والمرسل من قسم الضعيف

مأخوذة من عقد الشيء وإحكامه كالقنطرة .

﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ فيها خمسة تأويلات :

أحدها : أنها الراعية ، قاله سعيد بن جبير ، والربيع ، ومنه قوله تعالى :
﴿ وَفِيهِ تَسْمُونَ ﴾ أي ترعون .

والثاني : أن المسومة الحسنة ، قاله مجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

والثالث : أنها المعلمة ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والرابع : أنها المعدة للجهاد ، قاله ابن زيد .

والخامس : أنها من السيمة مقصور وممدود ، قاله الحسن ، قال الشاعر (٣٧٦) :

غلامٌ رماه الله بالحُسْنِ يافعاً له سيماء لا تشقُّ على البصر

﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ هي الإبل ، والبقر ، والغنم من الضأن والمعز ، ولا يقال
النعم لجنس منها على الإنفراد إلا للإبل خاصة .

﴿ وَالْحَرْثِ ﴾ هو الزرع .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن يريد أرض الحرث لأنها أصل ، ويكون الحرث
بمعنى المحروث .

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ائْتِنَا آمَنًا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾
الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : الصابرين عما نهوا عنه من المعاصي .

والثاني : يعني في المصائب .

(٣٧٦) هو أسيد بن عتقاء الفزاري .

انظر : اللسان مادة [سام] .

والثالث : الصائمين .

ويحتمل رابعاً : الصابرين عما زُين للناس من حب الشهوات .

﴿ وَالصَّادِقِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في قولهم .

والثاني في القول والفعل والنية ، والصدق في القول : الإخبار بالحق ،

والصدق في الفعل : إتمام العمل ، والصدق في النية : إمضاء العزم .

﴿ وَالْقَانِتِينَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني المطيعين ، قاله قتادة .

والثاني : معناه القائمون على العبادة ، قاله الزجاج .

﴿ وَالْمُنْفِقِينَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : في الجهاد .

والثاني : في جميع البر .

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني المصلين بالأسحار ، قاله قتادة .

والثاني : أنهم المستغفرون قولاً بالأسحار يسألون الله تعالى المغفرة ، قاله

ابن عمر ، وابن مسعود وأنس بن مالك .

والثالث : أنهم يشهدون الصبح في جماعة ، قاله زيد بن أسلم . والسحر من

الليل هو قبيل الفجر .

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَهُمْ وَمَنْ

يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ

وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ

أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ في هذه الشهادة من الله ثلاثة أقاويل :

أحدها : بمعنى قضى الله أنه لا إله إلا هو .

والثاني : يعني بَيَّنَّ الله أنه لا إله إلا هو .

والثالث : أنها الشهادة من الله بأنه لا إله إلا هو .

ويحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون معناها الإخبار بذلك ، تأكيداً للخبر بالمشاهدة ، كإخبار الشاهد بما شاهد ، لأنه أوكد للخبر .

والثاني : أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأن لا إله إلا هو ، فأما شهادة الملائكة وأولي العلم ، فهي اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته .

﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل .

ويحتمل قيامه بالعدل وجهين :

أحدهما : أن يتكفل لهم بالعدل فيهم ، من قولهم قد قام فلان بهذا الأمر إذا تكفل به ، فيكون القيام بمعنى الكفالة .

والثاني : معناه أن قيام ما خلق وقضى بالعدل أي ثباته ، فيكون قيامه بمعنى الثبات .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المتدين عند الله بالإسلام من سلم من النواهي .

والثاني : أن الدين هنا الطاعة ، فصار كأنه قال : إن الطاعة لله هي الإسلام .

وفي أصل الإسلام قولان :

أحدهما : أن أصله مأخوذ من السلام وهو السلامة ، لأنه يعود إلى السلامة .

والثاني : أن أصله التسليم لأمر الله في العمل بطاعته .

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ في أهل الكتاب الذين اختلفوا ثلاثة

أقاول :

أحدها : أنهم أهل التوراة من اليهود ، قاله الربيع .

والثاني : أنهم أهل الإنجيل من النصارى ، قاله محمد بن جعفر بن الزبير .

والثالث : أنهم أهل الكتب كلها ، والمراد بالكتاب الجنس من غير

تخصيص ، وهو قول بعض المتأخرين .

وفيما اختلفوا فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : في أديانهم بعد العلم بصحتها .

والثاني : في عيسى وما قالوه فيه من غلو وإسراف .

والثالث : في دين الإسلام .

وفي قوله تعالى : ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ وجهان :

أحدهما : طلبهم الرياسة .

والثاني : عدولهم عن طريق الحق .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ : أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ الآية . فيه

وجهان :

أحدهما : أي أسلمت نفسي ، ومعنى أسلمت : انقذت لأمره في إخلاص

التوحيد له .

والثاني : أن معنى أسلمت وجهي : أخلصت قصدي إلى الله في العبادة ،

مأخوذ من قول الرجل إذا قصد رجلاً فرآه في الطريق هذا وجهي إليك ، أي

قصدي .

﴿ وَالْأَمِّينَ ﴾ هم الذين لا كتاب لهم ، مأخوذ من الأمي الذي لا يكتب ،

قال ابن عباس : هم مشركو العرب .

﴿ ءَاسْلَمْتُمْ ﴾ هو أمر بالإسلام على صورة الاستفهام .

فإن قيل : في أمره تعالى عند حجاجهم بأن يقول : ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ ﴾
عدول عن جوابهم وتسليم لحجاجهم ، فعنه جوابان :

أحدهما : ليس يقتضي أمره بهذا القول النهي عن جوابهم والتسليم
بحجاجهم ، وإنما أمره أن يخبرهم بما يقتضيه معتقده ، ثم هو في الجواب لهم
والاحتجاج على ما يقتضيه السؤال .

والثاني : أنهم ما حاجوه طلباً للحق فيلزمه جوابهم ، وإنما حاجوه إظهاراً
للعناد ، فجاز له الإعراض عنهم بما أمره أن يقول لهم .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ
نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ قرأ حمزة : ويقاتلون الذين يأمررون ،
وقيل : إنها كذلك في مصحف ابن مسعود .

وفي ﴿ الْقِسْطِ ﴾ هنا وجهان :

أحدهما : العدل .

والثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ رُوِيَ عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قلت : يا
رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال : رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر
بمعروف أو نهى عن منكر ، ثم قرأ هذه الآية ، ثم قال : « يا أبا عبيدة قتلت بنو
إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثناء عشر
رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهؤهم عن المنكر ، فقتلوا
جميعاً في آخر النهار من ذلك اليوم » (٣٧٧) .

(٣٧٧) رواه ابن جرير (٢٨٥ / ٦) ونسبه السيوطي في الدر (١٦٨ / ٢) لابن أبي حاتم وفي سنده مجهول =

﴿ فَبَشِّرْهُمْ ﴾ أي فأخبرهم ، والأغلب في البشارة إطلاقها على الإخبار بالخير ، وقد تستعمل في الإخبار بالشر كما استعملت في هذا الموضع وفي تسميتها بذلك وجهان :

أحدهما : لأنها تغير بَشْرَةَ الوجه بالسرور في الخير ، وبالغم في الشر .

والثاني : لأنها خبر يستقبل به البشارة .

الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا
أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْهُمْ
لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ يعني خطأ لأنهم علموا بعض ما فيه .

﴿ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ في الكتاب الذي دعوا إليه قولان :

أحدهما : أنه التوراة ، دعي إليها اليهود فأبوا ، قاله ابن عباس .

والثاني : القرآن ، لأن ما فيه موافق لما في التوراة من أصول الدين ، قاله الحسن وقتادة .

وفي قوله تعالى : ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : نبوة النبي ﷺ .

والثاني : أمر إبراهيم وأن دينه الإسلام .

والثالث : أنه حد من الحدود .

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ قال ابن عباس : هذا الفريق

= وهو أبو الحسن الأسدي وفي سنده أيضاً أبو عبيدة الوصابي وثقة ابن معين ، وقال أحمد : ما علمت إلا خيراً ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال مرة : قال لي بعض أهل حمص ليس بصديق ولم يدرك محمد بن حمير وعلة ثالثة للحديث وهو الانقطاع بين أبي عبيدة الوصابي ومحمد بن حمير .

المتولي هم زعماء يهود بني قينقاع : النعمان بن أوفى ، وبحري بن عمرو بن صوريا تولوا عنه في حد الزنى لما أخبرهم أنه الرجم ، ورجم اليهوديين الزانيين .
فإن قيل : التولي عن الشيء هو الإعراض عنه ، قيل : معناه يتولى عن الداعي ويعرض عما دُعي إليه .

قوله عز وجل : ﴿ ... قَالُوا : لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ﴾ هذا من قول اليهود ، واختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنها الأيام التي عبدوا فيها العجل وهي أربعون يوماً ، قاله قتادة ، والربيع .

والثاني : أنها سبعة أيام ، وهذا قول الحسن .
والثالث : أنها أيام متقطعة لانقضاء العذاب فيها ، وهذا قول بعض المتأخرين .

﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ فيه قولان :
أحدهما : هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، قاله قتادة .
والثاني : هو قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ، قاله مجاهد .

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُبْدِكَ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : يريد به ملك أمر الدنيا والآخرة .
والثاني : مالك العباد وما ملكوه ، قاله الزجاج .
والثالث : مالك النبوة ، قاله مجاهد .

﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن المُلْك هنا النبوة ، قاله مجاهد .

والثاني : أنه الإيمان .

والثالث : أنه السلطان .

روى قتادة أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل مُلْك فارس والروم في أمته ،
فأنزل الله هذه الآية (٣٧٨) .

﴿ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : تعز من تشاء بالطاعة ، وتذل من تشاء بالمعصية .

والثاني : تعز من تشاء بالنصر ، وتذل من تشاء بالقهر .

والثالث : تعز من تشاء بالغنَى ، وتذل من تشاء بالفقر .

﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أي أنت قادر عليه (٣٧٩) ، وإنما خَصَّ الخير بالذكر وإن كان قادراً على الخير والشر ، لأنه المرغوب في فعله .

قوله تعالى : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه تدخل نقصان الليل في زيادة النهار ، ونقصان النهار في زيادة الليل ، وهو قول جمهور المفسرين .

والثاني : أن معناه تجعل الليل بدلاً من النهار ، وتجعل النهار بدلاً من الليل ، وهو قول بعض المتأخرين .

﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي : المَيِّتَ بالتشديد ، وقرأ الباقون بالتخفيف .

(٣٧٨) رواه ابن جرير (٦ / برقم ٦٧٩٠ ، ٦٧٩١) وقال قتادة : ودُكِّرَ لنا أن النبي ﷺ سأل ملك فارس والروم ونسبه السيوطي في الدر (١٧١ / ٢) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحديث مرسل كما ترى .

(٣٧٩) قال العلامة الألوسي في قوله «بيدك الخير» . جملة مستأنفة ، وأجراها بعضهم على طرز ما قبلها ، وتعريف الخير للتعميم وتقديم الخير للتخصيص أي (بيدك) التي لا يكتنه عنها ، وبقدرك التي لا يقدر قدرها الخير كله تتصرف به أنت وحدك حسب مشيئتك لا يتصرف به أحد غيرك ولا يملكه أحد سواك ، وإنما خص الخير بالذكر تعليماً لمراعاة الأدب وإلا فذكر الإعزاز والإذلال يدل على أن الخير والشر كلاهما بيده سبحانه ، أ. هـ . روح المعاني (٣ / ١١٥) .

واختلفوا في معناه بالتخفيف والتشديد ، فذهب الكوفيون إلى أن الميت بالتخفيف الذي قد مات ، وبالتشديد الذي لم يمّت بعد .

وحكى أبو العباس عن علماء البصريين بأسرهم أنهما سواء ، وأنشد لابن الرعاء القلابي :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء (٣٨٠)
إنما الميت من يعيش كثيراً كاسفاً بالله قليل الرجاء

وفي تأويل إخراج الحي من الميت قولان :

أحدهما : أنه يخرج الحيوان الحي من النطفة الميتة ، ويخرج النطفة الميتة من الحيوان الحي ، وهذا قول ابن مسعود ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن ، وهذا قول الحسن .

وقال قتادة : وإنما سَمَّى الله يحيى بن زكريا يحيى لأن الله عز وجل أحياه بالإيمان .

﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل مضت .

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَاعَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

(٣٨٠) هو عدي بن الرعاء كما في اللسان مادة [مات] .

وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۖ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا
وَعَالِ إِبْرَاهِيمَ وَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالِ إِبْرَاهِيمَ وَعَالِ عِمْرَانَ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ في آل عمران قولان :

أحدهما : أنه موسى وهارون ابنا عمران .

والثاني : أنه المسيح ، لأن مريم بنت عمران ، وهذا قول الحسن .

وفيما اصطفاهم به ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه اصطفاهم باختيار دينهم لهم ، وهذا قول الفراء .

والثاني : أنه اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل
زمانهم .

والثالث : أنه اصطفاهم باختيارهم للنبوة ، وهذا قول الزجاج .

قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم صاروا ذرية بالتناصر لا بالنسب ، كما قال تعالى :
﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] يعني في الاجتماع على
الضلال ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنهم في التناسل والنسب ، إذ جميعهم من ذرية آدم ، ثم من ذرية
نوح ، ثم من ذرية إبراهيم ، وهذا قول بعض المتأخرين .

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ فيه ثلاثة

أقاويل : -

أحدها : محرراً أي مُخْلِصاً للعبادة ، وهذا قول الشعبي .

والثاني : يعني خادماً للبيعة ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : يعني عتيقاً من الدنيا لطاعة الله ، وهذا قول محمد بن جعفر بن

الزبير .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ : رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ إنما قالت

ذلك اعتذاراً من العدول عن نذرها لأنها أنثى .

ثم قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم

بضم التاء ، فيكون ذلك راجعاً إلى اعتذارها بأن الله أعلم بما وضعت ، وقرأ

الباقون بجزم التاء ، فيكون ذلك جواباً من الله تعالى لها بأنه أعلم بما وضعت

منها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ لأن الأنثى لا تصلح لما يصلح له

الذكر من خدمة المسجد المقدس ، لما يلحقها من الحيض ، ولصيانة النساء عن

التبرج ، وإنما يختص الغلمان بذلك .

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه : من طعن الشيطان الذي يستهل به المولود صارخاً ، وقد

روى ذلك أبو هريرة مرفوعاً^(٣٨١) .

والثاني : معناه من إغوائه لها ، وهذا قول الحسن . ومعنى الرجيم :

المرجوم بالشبه .

فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

(٣٨١) رواه البخاري (١٥٩/٨) ومسلم (٢٢٤/٢) وأحمد برقم (٧٦٩٤، ٧١٨٢) .

ونسبه السيوطي في الدرر (١٨٣/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ورواه الطبري (١/

برقم ٦٨٩١) . وفي مواضع أخرى منه انظرها (٣٣٩/٦) .

زَكَرِيَّا الْمَحْرَبَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ معناه أنه رضيها في النذر الذي نذرت به بإخلاص العبادة في بيت المقدس .

﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ يعني أنشأها إنشاءً حسنًا في غذائها وحسن تربيتها .
 ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ قرأ أهل الكوفة ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ بالتشديد ، ومعنى ذلك أنه دفع كفالتها إلى غيره . وقرأ الباقون : ﴿ كَفَّلَهَا ﴾ بالتخفيف ، ومعنى ذلك أنه أخذ كفالتها إليه .

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمَحْرَبَ ﴾ وهو معروف ، وأصله أنه أكرم موضع في المجلس .

﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الرزق الذي أتاها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنها لم تطعم (*) ثدياً قط حتى تكلمت في المهد ، وإنما كان يأتيها رزقها من الجنة ، وهذا قول الحسن .

واختلف في السبب الذي يأتيها هذا الرزق لأجله على قولين :

أحدهما : أنه كان يأتيها بدعوة زكريا لها .

والثاني : أنه كان ذلك يأتيها لنسبة المسيح عليه السلام .

﴿ قَالَ : يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الله تعالى كان يأتيها بالرزق .

والثاني : أن بعض الصالحين من عباده سخره الله تعالى لها لطفاً منه بها حتى يأتيها رزقها . والأول أشبه .

(*) وفي نسخة : تلقم ولعله أولى مما اختاره محقق المطبوعة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه حكاية عن قول مريم بعد أن قالت هو من عند الله .

والقول الثاني : أنه قول الله تعالى بعد أن قطع كلام مريم .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ أَنفَكُوا مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسِحِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ اختلف في سبب دعائه على قولين :

أحدهما : أن الله تعالى أذن له في المسألة لأن سؤال ما خالف العادة يُمنع منه إلا عن إذن لتكون الإجابة إعجازاً .

والثاني : أنه لما رأى فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف طمع في رزق الولد من عاقر .

﴿ قَالَ : رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ يعني هب لي من عندك ولداً مباركاً ، وقصد بالذرية الواحد .

﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ أي تجيب الدعاء ، لأن إجابة الدعاء بعد سماعه .

قوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي : ﴿ فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ، وفي مناداته قولان :

أحدهما : أنه جبريل وحده ، وهو قول السدي .

والثاني : جماعة من الملائكة .

﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى ﴾ قيل إنما سمّاه

يحيى لأن الله تعالى أحياء بالإيمان ، وسماه بهذا الاسم قبل مولده .

﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةِ مِّنَ اللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بكتاب من الله ، وهذا قول أبي عبيدة وأهل البصرة .

والثاني : يعني المسيح ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والربيع ، والضحاك ، والسدي .

واختلفوا في تسميته كلمة من الله على قولين :

أحدهما : أنه خلقه بكلمته من غير أب (٣٨٢) .

والثاني : أنه سُمِّيَ بذلك لأن الناس يهتدون به في دينهم كما يهتدون بكلام الله عز وجل .

﴿ وَسَيِّدًا ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنه الخليفة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنه التقي ، وهو قول سالم .

والثالث : أنه الشريف ، وهو قول ابن زيد .

والرابع : أنه الفقيه العالم ، وهو قول سعيد بن المسيب .

والخامس : سيد المؤمنين ، يعني بالرياسة عليهم ، وهذا قول بعض المتكلمين .

﴿ وَحَصُورًا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان عَيْنِيًّا لا ماء له ، وهذا قول ابن مسعود ، وابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنه كان لا يأتي النساء ، وهو قول قتادة ، والحسن .

(٣٨٢) قال العلامة الألوسي في قوله « مصدقاً بكلمة من الله » نصب على الحال المقدرة من يحيى والمراد بالكلمة عيسى عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعليه أجله المفسرين وإنما سمي عيسى عليه السلام بذلك لأنه وجد بكلمة - كن - من دون توسط سبب عادي فشابهه البديعيات التي هي عالم الأمر (من) لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة كلمة - أي بكلمة كائنة منه تعالى - وأريد بهذا التصديق الإيمان وهو أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدق أنه كلمة الله تعالى وروح منه في المشهوراً . هـ . روح المعاني (١٤٧/٣) .

والثالث : أنه لم يكن له ما يأتي به النساء ، لأنه كان معه مثل الهدبة(*) ، وهو قول سعيد بن المسيب .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ : رَبِّ أَتْنِي بِغُلَامٍ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ وإنما جاز له أن يقول : وقد بلغني الكبر لأنه بمنزلة الطالب له .

﴿ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ أي لا تلد .

فإن قيل : فلم راجع بهذا القول بعد أن بُشِّرَ بالولد ، ففيه جوابان :

أحدهما : أنه راجع ليعلم على أي حال يكون منه الولد ، بأن يُرَدَّ هو وامرأته إلى حال الشباب ، أم على حال الكبر ، فقيل له : كذلك الله يفعل ما يشاء ، أي على هذه الحال ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنه قال ذلك استعظماً لمقدور الله وتعجباً .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ : رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ﴾ أي علامة لوقت الحمل ليتعجل السرور به .

﴿ قَالَ : ءَايَتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : تحريك الشفتين وهو قول مجاهد .

والثاني : الإشارة ، وهو قول قتادة .

والثالث : الإيماء ، وهو قول الحسن .

﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً ﴾ لم يمنع من ذكر الله تعالى ، وذلك هي الآية .

﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ والعشي : من حين زوال الشمس إلى أن

تغيب ، وأصل العشي الظلمة ، ولذلك كان العشي ضعف البصر ، فسمي ما بعد الزوال عشاء لاتصاله بالظلمة . وأما الإبكار فمن حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى ، وأصله التعجيل ، لأنه تعجيل الضياء .

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ

الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرَيْمُ اقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : اصطفاها على عالمي زمانها ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنه اصطفاها لولادة المسيح ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : طهرك من الكفر ، وهو قول الحسن ومجاهد .

والثاني : طهرك من أدناس الحيض والنفاس ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه تأكيد للاصطفاء الأول بالتكرار .

والثاني : أن الاصطفاء الأول للعبادة ، والاصطفاء الثاني لولادة المسيح .

قوله عز وجل : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني أخلصي لربك ، وهو قول سعيد .

والثاني : معناه أديمي الطاعة لربك ، وهو قول قتادة .

والثالث : أطيلي القيام في الصلاة ، وهو قول مجاهد .

﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ وفي تقديم السجود على الركوع قولان :

أحدهما : أنه كان مقدماً في شريعتهم وإن كان مؤخراً عندنا .

والثاني : أن الواو لا توجب الترتيب ، فاستوى حكم التقديم في اللفظ

وتأخيره ، وأصل السجود الانخفاض الشديد والخضوع ، كما قال الشاعر :

فكلتاها خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدْتُ نَصْرَانَةً لَمْ تَحْنَفْ

وكذلك الركوع إلا أن السجود أكثر انخفاضاً .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه وافعلي كفعلهم .

والثاني : يعني مع الراكعين في صلاة الجماعة .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ يعني ما كان من البشرى بالمسيح .

﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ وأصل الوحي إلقاء المعنى إلى صاحبه ، والوحي إلى الرسل الإلقاء بالإنزال ، وإلى النحل بالإلهام ، ومن بعض إلى بعض بالإشارة ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ . قال العجاج :

..... أوحى لها القرار فاستقرت (٣٨٣)

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم تشاجروا عليها وتنازعوا فيها طلباً لكفالتها ، فقال زكريا : أنا أحق بها لأن خالتها عندي ، وقال القوم : نحن أحق بها لأنها بنت إمامنا وعالمنا ، فاقترعوا عليها بإلقاء أقلامهم وهي القداح مستقبلة لجرية الماء ، فاستقبلت عصا زكريا لجرية الماء مصعدة ، وانحدرت أقلامهم فقرعهم زكريا ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، والربيع .

والقول الثاني : أنهم تدافعوا كفالتها لأن زكريا قد كان كفل بها من غير اقتراع ، ثم لحقهم أزمة ضعف بها عن حمل مؤونتها ، فقال للقوم : ليأخذها أحدكم فتدافعوا كفالتها وتمانعوا منها ، فأقرع بينهم وبين نفسه فخرجت القرعة له ، وهذا قول سعيد .

إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ وفي تسميته بالمسيح قولان :

أحدهما : لأنه مُسِحَ بالبركة ، وهذا قول الحسن وسعيد .

والثاني : أنه مُسِحَ بالتطهر من الذنوب .

قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ وفي سبب كلامه في المهد

قولان :

أحدهما : لتزويه أمه مما قُذِفَتْ به .

والثاني : لظهور معجزته .

واختلفوا هل كان في وقت كلامه في المهد نبياً على قولين :

أحدهما : كان في ذلك الوقت نبياً لظهور المعجزة منه .

والثاني : أنه لم يكن في ذلك الوقت نبياً وإنما جعل الله ذلك تأسيساً لنبوته .

والمهد : مضجع الصبي ، مأخوذ من التمهيد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَكَهَلًا ﴾ وفيه قولان :

أحدهما : أن المراد بالكهل الحليم ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنه أراد الكهل في السن .

واختلفوا في حده على قولين :

أحدهما : بلوغ أربع وثلاثين سنة .

والثاني : أنه فوق حال الغلام ودون حال الشيخ ، مأخوذ من القوة من قولهم

اكتهل البيت إذا طال وقوي .

فإن قيل فما المعنى في الإخبار بكلامه كهلاً وذلك لا يستنكر ؟ ففيه قولان :

أحدهما : أنه يكلمهم كهلاً بالوحي الذي يأتيه من الله تعالى .

والثاني : أنه يتكلم صغيراً في المهد كلام الكهل في السن .

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي

إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

الطَّيْرِ فَنُفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيهِينَ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني من أنصاري مع الله .

والثاني : معناه من أنصاري في السبيل إلى الله ، وهذا قول الحسن .

والثالث : معناه من ينصرني إلى نصر الله .

وواحد الأنصار نصير .

﴿ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ اختلف في تسميتهم بالحواريين على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم ، وهذا قول سعيد بن جبير .

والثاني : أنهم كانوا قَصَّارين يبيضون الثياب ، وهذا قول ابن أبي نجیح .

والثالث : أنهم خاصة الأنبياء ، سموا بذلك لنقاء قلوبهم ، وهذا قول قتادة ، والضحاك . وأصل الحواري : الحَوْر وهو شدة البياض ، ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه ، والحَوْر نقاء بياض العين .

واختلفوا في سبب استنصار المسيح بالحواريين على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه استنصر بهم طلباً للحماية من الكفار الذين أرادوا قتله حين أظهر دعوته ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

والثاني : أنه استنصر بهم ليتمكن من إقامة الحجة وإظهار الحق .

والثالث : لتمييز المؤمن الموافق من الكافر المخالف .

قوله تعالى : ﴿ ... فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني صل ما بيننا وبينهم بالإخلاص على التقوى .

والثاني : أثبت أسماءنا مع أسمائهم لننال ما نالوا من الكرامة .

قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا دَسَّاءًا وَمَكْرَ اللَّهِ أَلَّا يُرِيدَ بَلَاءُ الْعَالَمِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم مكروا بالمسيح عليه السلام بالحيلة عليه في قتله ، ومكر الله في ردهم بالخيلة لإلقاء شبه المسيح على غيره ، وهو قول السدي .

والثاني : مكروا بإضمار الكفر ، ومكر الله بمجازاتهم بالعقوبة . وإنما جاز

قوله : ﴿ وَمَكْرَ اللَّهِ ﴾ على مزاججة الكلام^(٣٨٤) وإن خرج عن حكمه ، نحو قوله :

﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤] وليس

الثاني اعتداءً، وأصل المكر: الالتفاف، ولذلك سمي الشجر الملتف مكرًا، والمكر

هو الاحتيال على الإنسان لالتفاف المكره به .

والفرق بين المكر والحيلة أن الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من غير قصد

إلى الإضرار ، والمكر : التوصل إلى إيقاع المكره به .

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سُبِّحْ فِي يَدَيْكَ وَارْفُكُ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ

فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِ بِهِمْ عَذَابًا

شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ

(٣٨٤) انظر التعليق الذي أسلفناه عند قوله تعالى :

﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ .

﴿٥٧﴾ **ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**
 ﴿٥٨﴾ **ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ : يَا عِيسَى ابْنِي مَتُوفِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : معناه إني قابضك برفعك إلى السماء من غير وفاة بموت ، وهذا قول الحسن ، وابن جريج ، وابن زيد (٣٨٥) .

والثاني : متوفيك وفاة نوم للرفع إلى السماء ، وهذا قول الربيع .

والثالث : متوفيك وفاة بموت ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنه من المقدم والمؤخر بمعنى رافعك ومتوفيك بعده ، وهذا قول الفراء .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ قولان :

أحدهما : رافعك إلى السماء .

والثاني : معناه رافعك إلى كرامتي .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن تطهيره منهم هو منعهم من قتله .

الثاني : أنه إخراجه من بينهم .

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : فوقهم بالبرهان والحجة .

والثاني : بالعز والغلبة .

وفي المعني بذلك قولان :

(٣٨٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/٣٢٢ ، ٣٢٣) : « هذا دليل على أنه لم يكن بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أنه ليس في ذلك خاصية وكذلك قوله : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . الخ ..

أحدهما : أن الذين آمنوا به فوق الذين كذبوه وكذبوا عليه ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، والربيع ، وابن جريج .

والثاني : أن النصارى فوق اليهود ، لأن النصارى أعز واليهود أذل ، وفي هذا دليل على أنه لا يكون لليهود مملكة إلى يوم القيامة بخلاف الروم .

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
 الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ
 ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ
 الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : في عيسى .

والثاني : في الحق .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ : تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا
 وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ والذين
 دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة هم نصارى نجران . وفي قوله : ﴿ نَبْتَهِلْ ﴾
 تأويلان :

أحدهما : معناه نلتعن .

والثاني : ندعو بهلاك الكاذب ، ومنه قول لبيد :

نظر الدهر إليهم فابتهل (٣٨٦)

أي دعا عليهم بالهلاك .

فلما نزلت هذه الآية أخذ النبي ﷺ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم

السلام ثم دعا النصارى إلى المباهلة ، فأحجموا عنها ، وقال بعضهم لبعض : إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً .

قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية وفي المقصود بذلك قولان :

أحدهما : أنهم نصارى نجران ، وهذا قول الحسن والسدي وابن زيد .

والثاني : أنهم يهود المدينة ، وهذا قول قتادة ، والربيع ، وابن جريج .
﴿ وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : هو طاعة الاتباع لرؤسائهم في أوامرهم بمعاصي الله ، وهذا قول ابن جريج .

والثاني : سجود بعضهم لبعض ، وهذا قول عكرمة .

يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰئِنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ وسبب نزول هذه الآية أن اليهود والنصارى اجتمعوا عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا في أمره فقالت

اليهود : ما كان إلا يهودياً ، وقالت النصارى : ما كان إلا نصرانياً ، فنزلت هذه الآية تكذيباً للفرقيين بما بينه من نزول التوراة والإنجيل من بعده .

قوله تعالى : ﴿ هَاتُتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ يعني ما وجدوه في كتبهم .

﴿ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ يعني من شأن إبراهيم .

﴿ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ﴾ يعني شأن إبراهيم .

﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ﴾ فالتمسوه من عِلله .

وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوْكُمْ وَمَا يُضِلُّوْنَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ ﴿٦٩﴾

يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ لَمْ تَكْفُرُوْا بِآيَاتِ اللّٰهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ

﴿٧٠﴾ يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ لَمْ تَلْسُوْا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُمُوْنَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ

﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوْا بِالَّذِيْ أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوْا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِيْنََكُمْ

قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللّٰهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ

قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْصُصُ بِرَحْمَتِهِ

مَن يَشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ لَمْ تَكْفُرُوْنَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وأنتم تشهدون بما يدل على صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة بها ، وهذا قول قتادة ، والربيع ، والسدي .

والثاني : وأنتم تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها .

والثالث : وأنتم تشهدون بما عليكم فيه الحجة .

قوله تعالى : ﴿ يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ لَمْ تَلْسُوْنَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : تحريف التوراة والإنجيل ، وهذا قول الحسن ، وابن زيد .
والثاني : الدعاء إلى إظهار الإسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره
قصداً لتشكيك الناس فيه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : الإيمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد ﷺ .

﴿ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ ﴾ يعني ما وجدوه عندهم من صفة محمد ﷺ ، والبشارة
به في كتبهم عناداً من علمائهم .

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني الحق بما عرفتموه من كتبكم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم .

والثاني : لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم .

واختلف في تأويل ذلك على قولين :

أحدهما : أنهم كافة اليهود ، قال ذلك بعضهم لبعض ، وهذا قول السدي ،

وابن زيد .

والثاني : أنهم يهود خيبر قالوا ذلك لليهود المدينة ، وهذا قول الحسن .

واختلف في سبب نهيمهم أن يؤمنوا إلا لمن تبع دينهم على قولين :

أحدهما : أنهم نُهوا عن ذلك لِئَلَّا يكون طريقاً لعبدة الأوثان إلى تصديقه ،

وهذا قول الزجاج .

والثاني : أنهم نُهوا عن ذلك لِئَلَّا يعترفوا به فيلزمهم العمل بدينه لإقرارهم (*)

بصحته .

﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن في الكلام حذفاً ، وتقديره : قل إن الهدى هدى الله ألا يؤتى

أحد مثل ما أوتيتم أيها المسلمون ، ثم حذف « لا » من الكلام لدليل الخطاب

(*) وفي نسخة : لاعترافهم والمعنى واحد .

عليها مثل قوله تعالى : ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء : ١٧٦] أي لا تضلوا ، وهذا معنى قول السدي ، وابن جريج .

والثاني : أن معنى الكلام : قل إن الهدى هدى الله فلا تجحدوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم .

﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني ولا تؤمنوا أن يُحَاجُّوكُم عند ربكم لأنه لا حجة لهم ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أن معناه حتى يُحَاجُّوكُم عند ربكم ، على طريق التبعيد ، كما يقال : لا تلقاه أو تقوم الساعة ، وهذا قول الكسائي ، والفراء .

قوله تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها النبوة ، وهو قول الحسن ، ومجاهد ، والربيع .

والثاني : القرآن والإسلام ، وهذا قول ابن جريج .

واختلفوا في النبوة هل تكون جزاءً على عمل ؟ على قولين :

أحدهما : أنها جزاء عن استحقاق .

والثاني : أنها تفضل لأنه قال : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ فَإِمَّا ذَلِكُ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦)

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ اختلفوا في دخول الباء على القنطار والدينار على قولين :

أحدهما : أنها دخلت لإلصاق الأمانة كما دخلت في قوله تعالى : ﴿ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

والثاني : أنها بمعنى (على) وتقديره : ومن أهل الكتاب من إن تأمنه على قنطار .

﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والإقتضاء ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد .

والثاني : بالملازمة .

والثالث : قائماً على رأسه ، وهو قول السدي .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّينَ سَبِيلٌ ﴾ يعني في أموال العرب ، وفي سبب استباحتهم له قولان :

أحدهما : لأنهم مشركون من غير أهل الكتاب ، وهو قول قتادة ، والسدي :

والثاني : لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه ، وهذا قول الحسن ،

وابن جريج ، وقد روى سعيد بن جبیر قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : « كَذَبَ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ ، مَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي إِلَّا الْأَمَانَةَ فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ » (٣٨٧) .

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ وفي العهد قولان :

أحدهما : ما أوجب الله تعالى على الإنسان من طاعته وكفّه عن معصيته .

(٣٨٧) رواه ابن جرير (٥٥٢/٦ رقم ٧٢٦٩) ونسبه السيوطي في الدر (٢٤٤/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وهذا الإسناد إلى سعيد بن جبیر جيد لكن الحديث مرسل فهو من قسم الضعيف .

والثاني : ما في عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والانقياد إلى الحق .

﴿ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ . وفي أصل الخلاق قولان :

أحدهما : أن أصله من الخلق بفتح الخاء وهو النفس ، وتقدير الكلام لا نصيب لهم .

والثاني : أن أصله الخلق بضم الخاء لأنه نصيب مما يوجبه الخلق الكريم .

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لا يكلمهم الله بما (٣٨٨) يسرههم ، لكن يكلمهم بما يسوءهم وقت الحساب لأنه قال : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ .

والثاني : لا يكلمهم أصلاً ولكن يرد حسابهم إلى الملائكة .

﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لا يراهم (٣٨٩) .

والثاني : لا يَئْمَنُ عليهم .

﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ أي لا يقضي بركاتهم .

واختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم من أhabar اليهود : أبي رافع ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحيي بن أخطب كتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم حلفوا أنه من عند الله فيما ادعوا به ليس عليهم في الأميين سبيل ، وهو قول الحسن ، وعكرمة .

والثاني : أنها نزلت في الأشعث وخصيم له تنازعا في أرض ، فقام ليحلف ، فنزلت هذه الآية ، فنكل الأشعث واعترف بالحق .

(٣٨٨) وهذا القول رجحه ابن جرير فيما ذكرت سابقاً في سورة البقرة فراجعه هناك .

(٣٨٩) وهذا النظر المنفي في الآية إنما هو نفي نظر خاص لا نفي النظر العام الذي يدل على الإحاطة والشمول فإن الله تعالى ينظر إلى عباده الطائعين والعاصين ولا يحجبهم عنه شيء وهم لا يغيبون عنه سبحانه وتعالى والنظر المنفي في الآية كالنظر المنفي في الحديث لا ينظر الله لرجل لا يقيم صلبه في الصلاة فليس معنى ذلك أن الله تعالى لا ينظر إليه نظر شمول وإحاطة وإنما معنى النفي هنا إنما هو المستلزم لرحمة الله تعالى فلا ينظر الله تعالى لمن في الآية أو الحديث نظر رحمة والله أعلم .

والثالث : أنها نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعته في البيع ، وهذا قول عامر ، ومجاهد .

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ : كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ سبب نزولها ما روى ابن عباس أن قوماً من اليهود قالوا للنبي ﷺ : أئدعوننا إلى عبادتك كما دعا المسيح النصارى ، فنزلت هذه الآية (٣٩٠) .

﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : فقهاء علماء ، وهو قول مجاهد .

والثاني : حكماء أتقياء ، وهو قول سعيد بن جبير .

والثالث : أنهم الولاة الذين يربون أمور الناس ، وهذا قول ابن زيد .

وفي أصل الرباني قولان :

أحدهما : أنه الذي يربُّ أمور الناس بتدبيره ، وهو قول الشاعر (٣٩١) :

وكنتم امرأةً أفضت إليك ربابتي وقبلك ربطني - فضعت - ربوبُ

(٣٩٠) رواه ابن جرير (٥٣٩/٦) برقم (٧٢٩٦ ، ٧٢٩٧) وفي سننه محمد بن أبي محمد مولى آل زيد ابن ثابت . . . وقد تقدم الكلام عليه مراراً والحديث زاد السيوطي نسبته في الدرر (٢٥٠/٢) لابن إسحق وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل .
(٣٩١) هو علقمة بن عبدة .

فسمي العالم ربانياً لأنه بالعلم يدبر الأمور .
والثاني : أنه مضاف إلى عالم الرب ، وهو علم الدين ، ف قيل لصاحب العلم
الذي أمر به الرب رباني .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِهِ وَلَنْ نُصْرَهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ
ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ
تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ .
في الميثاق قولان :

أحدهما : أنه أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا على قومهم بتصديق محمد ﷺ ،
وهذا قول علي ، وابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه أخذ ميثاقهم ليؤمنن بالآخرة ، وهذا قول طاووس (٣٩٢) .

﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ يعني محمداً ﷺ .

﴿ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني من التوراة ، والإنجيل .

﴿ لِتُؤْمِنُوا بِهِ وَلَنْ نُصْرَهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ والإصر :

العهد ، وفيه تأويلان :

أحدهما : معناه : قبلتم على ذلك عهدي .

والثاني : أخذتم على المتبعين لكم عهدي .

﴿ قَالُوا : أَقْرَرْنَا . قَالَ : فَاشْهَدُوا ﴾ يعني على أمتكم بذلك .

﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ عليكم ، وعليهم .

(٣٩٢) وقول طاووس في ابن جرير (٥٥٥/٦) قال أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما
جاء به الآخر منهم .

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ
عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ فيه
سته أقاويل :

أحدها : أن المؤمن أسلم طوعاً والكافر أسلم عند الموت كرهاً ، وهذا قول
قتادة .

والثاني : أنه الإقرار بالعبودية وإن كان فيه من أشرك في العبادة ، وهذا قول
مجاهد .

والثالث : أنه سجود المؤمن طائعاً وسجود ظل الكافر كرهاً ، وهو مروي عن
مجاهد أيضاً .

والرابع : طوعاً بالرغبة والثواب ، وكرهاً بالخوف من السيف ، وهو قول
مطر .

والخامس : أن إسلام الكاره حين أخذ منه الميثاق فأقر به ، وهذا قول ابن
عباس .

والسادس : معناه أنه أسلم بالانقياد والذلة ، وهو قول عامر الشعبي ،
والزجاج .

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ

لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
 الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ
 تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
 يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ
 تَوْبَتُهُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنهم اليهود كفروا بالمسيح ثم ازدادوا كفراً بمحمد لن تقبل توبتهم
 عند موتهم ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم أهل الكتاب لن تقبل توبتهم من ذنوب ارتكبوها مع الإقامة
 على كفرهم ، وهذا قول أبي العالية .

والثالث : أنهم قوم ارتدوا ثم عزموا على إظهار التوبة على طريق التورية ،
 فأطلع الله نبيه على سريرتهم ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنهم اليهود والنصارى كفروا بالنبي ﷺ بعد إيمانهم به قبل مبعته ،
 ثم ازدادوا كفراً إلى حضور آجالهم ، وهذا قول الحسن .

﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
 عَلِيمٌ ﴾ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ في البر ثلاثة
 تأويلات :

أحدها : أن البر ثواب الله تعالى .

والثاني : أنه فعل الخير الذي يستحق به الثواب .

والثالث : أن البر الجنة ، وهو قول السدي .

وفي قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : في الصدقات المفروضات ، وهو قول الحسن .

والثاني : في جميع الصدقات فرضاً وتطوعاً ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : في سبل الخير كلها من صدقة وغيرها .

وروى عمرو بن دينار قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها (سَبَل) إلى رسول الله ﷺ فقال : تَصَدَّقْ بهذه يا رسول الله ، فأعطاه ابنه أسامة ، فقال : يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق بها ، فقال رسول الله ﷺ : « قَدْ قُبِلَتْ صَدَقَتُكَ » (٣٩٣) .

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود أنكروا تحليل النبي ﷺ لحوم الإبل ، فأخبر الله تعالى بتحليلها لهم حين حرّمها إسرائيل على نفسه ، لأنه لما أصابه وجع العرق الذي يقال له عرق النسا ، نذر تحريم العروق على نفسه ، وأحب الطعام إليه ، وكانت لحوم الإبل من أحب الطعام إليه .

وآختلفوا في تحريم إسرائيل على نفسه هل كان بإذن الله تعالى أم لا - على اختلافهم في اجتهاد الأنبياء ... على قولين :

أحدهما : لم يكن إلا بإذنه وهو قول من زعم أن ليس لنبي أن يجتهد .

(٣٩٣) رواه الطبري (٥٩٢/٦ برقم ٧٣٩٧) وهو حديث مرسل وروى مثله سعيد بن منصور وابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن المنكدر كما في الدر المنثور (٢/٢٦٠) .

والثاني : باجتهاده من غير إذن ، وهو قول من زعم أن للنبي أن يجتهد .

واختلفوا في تحريم اليهود ذلك على أنفسهم على قولين :

أحدهما : أنهم حرموه على أنفسهم اتباعاً لإسرائيل .

والثاني : أن التوراة نزلت بتحريمها فحرموها بعد نزولها ، والأول أصح .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٦) فِيهِ آيَةٌ
يُنَبِّتُ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ
أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧)

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ لا اختلاف بين أهل التفسير
أنه أول بيت وضع للعبادة ، وإنما اختلفوا هل كان أول بيت وضع لغيرها على
قولين :

أحدهما : أنه قد كانت قبله بيوت كثيرة ، وهو قول الحسن .

والثاني : أنه لم يوضع قبله بيت ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

وفي ﴿ بَكَّةَ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن بكة المسجد ، ومكة : الحرم كله ، وهذا قول ابن شهاب ،
وضمرة بن ربيعة .

والثاني : أن بكة هي مكة ، وهو قول أبي عبيدة .

والثالث : أن بكة موضع البيت ، ومكة غيره في الموضع يريد القرية ، وروي
ذلك عن مالك .

وفي المأخوذ منه بكة قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الزحمة ، يقال تَبَاكَ القوم بعضهم بعضاً إذا
ازدحموا ، فبكة مُزْدَحِمُ الناس للطواف .

والقول الثاني : أنها سميت بكة ، لأنها تَبُكُ أعناق الجبابرة ، إذا أُلْحِدُوا فيها
بظلم لم يمهلوا .

وفي قوله : ﴿ مُبَارَكاً ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن بركته ما يستحق من ثواب القصد إليه .

والثاني : أنه آمن لمن دخله حتى الوحش ، فيجتمع فيه الصيد والكلب .

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية في مقام إبراهيم أثر قدميه وهو حجر

صلد ؟ والآية في غير المقام : أمن الخائف ، وهيبة البيت وامتناعه من العلو عليه ،

وتعجيل العقوبة لمن عتاه فيه ، وما كان في الجاهلية من أصحاب الفيل .

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ معناه أنه عطف عليه قلوب العرب في الجاهلية فكان

الجانبي إذا دخله أمين .

وأما في الإسلام ففيه قولان :

أحدهما : أنه آمن من النار ، وهذا قول يحيى بن جعدة .

والثاني : من القتال بحظر الإيغال على داخله . وأما الحدود فتقام على من

جنى فيه .

واختلفوا في الجاني إذا دخله في إقامة الحد عليه فيه قولان :

أحدهما : تقام عليه ، وهو مذهب الشافعي .

والثاني : لا تقام حتى يُلجأ إلى الخروج منه ، وهو مذهب أبي حنيفة .

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ وفي الاستطاعة ثلاثة

أقاويل :

أحدها : أنها بالمال ، وهي الزاد والراحلة ، وهو قول الشافعي .

والثاني : أنها بالبدن ، وهو قول مالك .

والثالث : أنها بالمال والبدن ، وهو قول أبي حنيفة .

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ وفيه ثلاثة تأويلات .

أحدها : يعني [من كفر] (*) بفرض الحج فلم يره واجباً ، وهو قول ابن

عباس .

والثاني : هو لا يرى حجة برأ ولا تركه مأثماً ، وهو قول زيد بن أسلم .

والثالث : اليهود ، لأنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ فقالوا نحن مسلمون فأمرُوا بالحج فلم يحجوا ، فأنزل الله هذه الآية .

قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن صدهم عن سبيل الله ما كانوا عليه من الإغراء بين الأوس والخزرج حتى يتذكروا حروب الجاهلية فيتفرقوا ، وذلك من فعل اليهود خاصة ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : أنه تكذيبهم بالنبي ﷺ وإنكارهم ثبوت صفته في كتبهم ، وذلك من فعل اليهود والنصارى ، وهذا قول الحسن .

﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أي تطلبون العوج وهو بكسر العين العدول عن طرائق الحق ، والعوج بالفتح ميلٌ مُتَّصِبٌ من حائط أو قناة .
﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني عقلاء ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَوِ الَّتَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق] :
[٣٧] . والثاني : يعني شهوداً على ما كان من صدهم عن سبيل الله ، وقيل من عنادهم وكذبهم .

يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يعني الأوس والخزرج .

﴿إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني اليهود في إغرائهم بينكم .
﴿يَرُدُّوكُم بِعَدِّ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ فيه أربع أقاويل :
أحدها : هو أن يُطَاع فلا يُعَصَى ، وَيُشْكِر فلا يُكْفَر ويُذَكَّر فلا يُنْسَى ، وهو قول ابن مسعود ، والحسن ، وقتادة (٣٩٤) .
والثاني : هو اتقاء جميع المعاصي ، وهو قول بعض المتصوفين .
والثالث : هو أن يعترفوا بالحق في الأمن والخوف .
والرابع : هو أن يُطَاع ، ولا يُتَّقَى في ترك طاعته أحدٌ سواه .
واختلفوا في نسخها على قولين :
أحدهما : هي محكمة ، وهو قول ابن عباس ، وطاووس .
والثاني : هي منسوخة بقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦]
وهو قول قتادة ، والربيع ، والسدي ، وابن زيد .

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ فيه خمسة تأويلات :
أحدها : الحبل : كتاب الله تعالى ، وهو قول ابن مسعود ، وقتادة ،
والسدي . روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « كِتَابُ اللَّهِ هُوَ حَبْلُ
اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ » (٣٩٥) .

(٣٩٤) ونقل الحافظ ابن كثير (٣٨٨/١) عن ابن أبي حاتم أنه قال :
«وروي نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون وإبراهيم النخعي وطاووس
والحسن وقتادة وابن سنان والسدي نحو ذلك» ١ .
(٣٩٥) ورد مختصراً ومطولاً فرواه ابن جرير (٧٢/٧) مختصراً كرواية المؤلف وزاد السيوطي في الدر =

والثاني : أنه دين الله وهو الإسلام ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : أنه عهد الله ، وهو قول عطاء .

والرابع : هو الإخلاص لله بالتوحيد ، وهو قول أبي العالية .

والخامس : هو الجماعة ، وهو مروي عن ابن مسعود .

وُسُمِّيَ ذلك حبلاً لأن المُمْسِكَ به ينجو مثل المتمسك بالحبل ينجو من بثر أو غيرها .

﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم الجماعة ، وهذا قول ابن مسعود ، وقتادة .

والثاني : عن رسول الله ﷺ .

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ وفيمن أريد بهذه الآية قولان :

أحدهما : أنهم مشركو العرب لِمَا كان بينهم من الصوائل ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنهم الأوس والخزرج لِمَا كان بينهم من الحروب في الجاهلية حتى تطاولت مائة وعشرين سنة إلى أن أَلَّفَ الله بين قلوبهم بالإسلام فتركت تلك الأحقاد ، وهذا قول ابن إسحاق .

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

= (٢٨٤/٢) نسبه لابن أبي شيبة ورمز له في الجامع الصغير بعلامة الحسن (٥٤٨/٤) الفيض والحديث في سنده عطية العوفي وهو ضعيف .

وجاء مطولاً بنحوه رواه أحمد في المسند (١١٢٢٩ ، ١١٥٨٢ ، ١١١٢٠ ، ١١١٤٨) .

والترمذي (٣٤٣/٤) وقال حسن غريب وزاد السيوطي نسبه في الدر (٢٨٥/٢) لابن سعد والطبراني وقال الهيثمي في المجمع (١٦٣/٩) رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده رجال مختلف فيهم وقد ورد الحديث بروايات أخرى صحيحة منها من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً بنحو حديث أبي سعيد رواه أحمد في المسند (٣٦٦/٤ ، ٣٦٧) وابن حبان في صحيحه برقم (١٢٣) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريج ابن حبان في صحيحه برقم (١٢٣) ورواه مسلم مختصراً ومطولاً (٢٣٨ - ٤٣٧/٢) .

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
 وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
 بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ
 ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ يعني به يوم القيامة ، لأن الناس فيه بين
 مثاب بالجنة ومُعاقب بالنار فوصف وجه المثاب بالبياض لإسفاره بالسرور ، ووصف
 وجه المُعاقب بالسواد لإنكسافه بالحزن .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْفُرُونَ ﴾ وفي هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم أربعة أقاويل :

الأول : أنهم الذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنفاق ، وهو قول الحسن .

والثاني : أنهم الذين كفروا بالارتداد بعد إسلامهم ، وهو قول مجاهد .

والثالث : هم الذين كفروا من أهل الكتاب بالنبي ﷺ بعد إيمانهم بِنَعْتِهِ
 ووصفه ، وهو قول الزجاج .

والرابع : هم جميع الكفار لإعراضهم عما يوجهه الإقرار بالتوحيد حين
 أَشْهَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢]
 وهو قول أبي بن كعب .

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
 مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى
 وَإِنْ يُقْتَلُوا كُمْ يُؤْتَوْكُمْ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا تُسْعَرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ

مَاتُفَقُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

﴿ كُتِّمَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ فإن قيل : فَلِمَ قال كتتم خير أمة ولم يقل
أنتم خير أمة ؟ ففيه أربعة أجوبة :

أحدها : أن الله تعالى قد كان قدم البشارة لهم بأنهم خير أمة ، فقال :
﴿ كُتِّمَ ﴾ يعني إلى ما تقدم في البشارة ، وهذا قول الحسن البصري .
وقد روي عن النبي ﷺ قال : « أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا
عَلَى اللَّهِ » (٣٩٦) .

والثاني : أن ذلك لتأكيد الأمر لأن المتقدم مستصحب وليس الأنف متقدماً ،
وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

والثالث : معناه خلقهم خير أمة .

والرابع : كتتم خير أمة في اللوح المحفوظ .

لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ
يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(٣٩٦) رواه الترمذي برقم (٣٠٠١) وأحمد (٦١/٣) وابن ماجه برقم (٤٢٨٨) والحاكم في المستدرک
(٨٤/٤) والطبري بنفس لفظ المؤلف هنا (١٠٤/٧) برقم (٧٦٢١ ، ٧٦٢٢) قال الترمذي حديث
حسن وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الحافظ ابن حجر في الفتح
(١٦٩/٨) هو حديث حسن صحيح .

وزاد السيوطي في الدرر (٢٩٤/٢) نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم
والطبري وابن مردويه وقال الحافظ ابن كثير (٣٩١/١) « يروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد
نحوه » .

قلت : رواية أبي سعيد الخدري التي ذكرها ابن كثير رواها أحمد في المسند مطولة برقم (١١٠٦٩)
وصححها الشيخ أحمد شاکر .

تنبيه : لا يصح تصدير الحديث بصيغة التمریض المشعرة بالضعف .

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾
وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ
رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ ، مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴿ روي عن ابن عباس أن سبب
نزولها أنه أسلم عبد الله بن سلام وجماعة معه ، فقالت أحبار اليهود : ما آمن
بمحمد إلا شرارنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴾ (٣٩٧) .

﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : عادلة ، وهو قول الحسن ، وابن جريج .

والثاني : قائمة بطاعة الله ، وهو قول السدي .

والثالث : يعني ثابتة على أمر الله تعالى ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ،

والرابع .

﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عِندَ اللَّيْلِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ساعات الليل ، وهو قول الحسن ، والرابع .

والثاني : جوف الليل ، وهو قول السدي .

واختلف في المراد بالتلاوة في هذا الوقت على قولين :

أحدهما : صلاة العَتَمَةِ ، وهو قول عبد الله بن مسعود .

والثاني : صلاة المغرب والعشاء ، وهو قول الثوري .

(٣٩٧) رواه ابن جرير في التفسير (١٢٠/٧) وفي سنده محمد بن أبي محمد . وقد سبق الكلام عليه مراراً .

﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني سجود الصلاة .

والثاني : يريد الصلاة لأن القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع ، وهذا قول الزجاج ، والفراء .

والثالث : معناه يتلون آيات الله أثناء الليل وهم مع ذلك يسجدون .

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ اختلفوا في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في أبي سفيان وأصحابه يوم بدر عند تظاهرهم على رسول الله ﷺ .

والثاني : أنها نزلت في نفقة المنافقين مع المؤمنين في حرب المشركين على جهة النفاق .

وفي الصّر تأويلان :

أحدهما : هو البرد الشديد ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه صوت لهب النار التي تكون في الريح ، وهو قول الزجاج ، وأصل الصّر صوت من الصرير .

﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه أن ظلمهم اقتضى هلاك زرعهم .

والثاني : يعني أنهم ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزرع وفي غير وقته فجاءت ريح فأهلكته فضرَب الله تعالى هذا مثلاً لهلاك نفقتهم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنَـتُمْ أَوْلَآءُ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُتُوبُ كَالْوَأءِ أَمْنًا وَإِذَا خُلُوعُ عَصَاكُمْ عَلَيْكُمْ
 الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
 إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا
 وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ قيل إنها نزلت في قوم من
 المسلمين صَافُوا بعض المشركين من اليهود والمنافقين المودة لمصاحبة في
 الجاهلية فنُها عن ذلك .

والبطانة هم خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره ، والأصل البطن ، ومنه بطانة
 الثوب لأنها تلي البطن .

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا يقصرون في أمركم . والخبال : النكال ،
 وأصله الفساد ومنه الخبل الجنون .

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ودوا إضلالكم عن دينكم ، وهو قول السدي .

والثاني : ودوا أن تعتوا في دينكم أي تحملون على المشقة فيه ، وهو قول
 ابن جريج ، وأصل العنت المشقة .

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي بدا منها ما يدل عليها

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما بدا .

وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾
 إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
 ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ واختلَفوا في أي

مكان كان على قولين :

أحدهما : أنه كان يوم أحد ، وهو قول ابن عباس ، والربيع ، وقتادة ، والسدي ، وابن إسحاق .

والثاني : أنه كان يوم الأحزاب ، وهو قول الحسن ، ومجاهد .

﴿ تَبَوَّءُ ﴾ أي تتخذ منزلاً تبوء فيه المؤمنين . ومعنى الآية : أنك ترتب المؤمنين في مواضعهم .

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : سميع بما يقوله المنافقون ، عليم بما يضمرونه من التهديد .

والثاني : سميع لما يقوله المشيرون عليك ، عليم بما يضمرون من نصيح الرأي وغش القلوب .

والثالث : سميع لما يقوله المؤمنون عليم بما يضمرونه من خلوص النية .

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ اختلف فيها على قولين :

أحدهما : أنهم بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار ، وهو قول ابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : أنهم قوم من المهاجرين والأنصار .

وفي سبب همهم بالفشل قولان :

أحدهما : أن عبد الله بن أبي بن سلول دعاهما إلى الرجوع عن لقاء المشركين يوم أحد ، فهما به ولم يفعلوا ، وهذا قول السدي ، وابن جريج .

والثاني : أنهم اختلفوا في الخروج في الغدو والمقام حتى هما بالفشل ، والفشل الجبن .

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ وبدر ماء نزلوا عليه كان لرجل يسمى

بدر ، قال الزبير بن بكار هو بدر بن النضر بن كنانة فسمي باسم صاحبه ، وهذا قول الشعبي ، وقال غيره بل هو اسم له من غير إضافة إلى اسم صاحب .

﴿ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ قولان :

أحدهما : الضعف عن مقاومة العدو .

والثاني : قلة العدد وضعف الحال .

قال ابن عباس : كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً ، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان المشركون ما بين تسعمائة وألف .

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني يوم بدر .

﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾ والكفاية مقدار سد الخلة . والاكتفاء الاقتصار عليه ، والإمداد إعطاء الشيء حالاً بعد حال ، والأصل في الإمداد هو الزيادة ومنه مد الماء وهو زيادته .

﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني من وجههم هذا ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : من غضبهم هذا ، وهو قول مجاهد والضحاك وأبي صالح ، وأصل الفور فور القدر ، وهو غليانها عند شدة الحمى ، ومنه فُورُ الغضب لأنه كُفُورُ القدر .

﴿ يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ قرأ بكسر الواو ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ومعناها : أنهم سَوَّموا خيلهم بعلامة ، وقرأ الباقون بفتح الواو ، ومعناها : أنها سائمة وهي المرسلة في المرعى .

واختلفوا في التسويم على قولين :

أحدهما : أنه كان بالصوف في نواصي الخيل وأذائها ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك .

الثاني : أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر ، وهو قول هشام بن عروة .

واختلفوا في عددهم فقال الحسن : كانوا خمسة آلاف ، وقال غيره كانوا ثمانية آلاف .

قال ابن عباس لم يقاتل الملائكة إلا يوم بدر .

﴿ لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه كان يوم بدر بقتل صناديدهم وقادتهم إلى الكفر ، وهذا قول الحسن وقتادة .

والثاني : أنه كان يوم أحد ، وكان الذي قتل منهم ثمانية عشر رجلاً ، وهذا قول السدي .

﴿ لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا ﴾ ولم يقل وسطاً لأن الطرف أقرب للمؤمنين من الوسط ، فاختص القطع بما هو إليهم أقرب كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ .

[التوبة : ١٢٣] ﴿ أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ ، في ﴿ يَكْبِتُهُمْ ﴾ قولان :

أحدهما : يحزنهم ، وهو قول قتادة ، والربيع .

والثاني : الكبت : الصرع على الوجه ، وهو قول الخليل .

والفرق بين الخائب والأيس أن الخيبة لا تكون إلا بعد أمل ، واليأس قد يكون قبل أمل .

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ليس لك من الأمر شيء في عقابهم واستصلاحهم ، وإنما ذلك إلى الله تعالى في أن يتوب عليهم أو يعذبهم .

والثاني : ليس لك من الأمر شيء فيما تريده وتفعله في أصحابك وفيهم ،

وإنما ذلك إلى الله تعالى فيما يفعله من اللطف بهم في التوبة والاستصلاح أو في العذاب والانتقام .

والثالث : أنزلت على سبب لما كسرت رباعيته ﷺ .

واختلفوا في السبب فيه على قولين :

أحدهما : أن قوماً قالوا بعد كسر رباعيته : كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبينهم ، وهو حريص على هدايتهم فنزلت هذه الآية ، وهذا قول ابن عباس ، وأنس بن مالك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : أن النبي ﷺ هم بعد ذلك بالدعاء عليهم فاستأذن فيه ، فنزلت هذه الآية فكف وإنما لم يؤذن فيه لما في المعلوم من توبة بعضهم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى مَا فَعَلُوا
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ يريد بالاكل الأخذ ، والربا زيادة
القدر مقابلة لزيادة الأجل ، وهوربا الجاهلية المتعارف بينهم بالنساء .

﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ وهو أن يقول له بعد حلول الأجل : إما أن تقضي وإما

أَنْ تُرَبِّيَ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ ضَاعَفَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَفْعَلُ كَذَلِكَ عِنْدَ حُلُولِهِ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَصِيرَ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً .

﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فدل أن الربا من الكبائر التي يستحق عليها الوعيد بالنار .

واختلفوا في نار آكل الربا على قولين :

أحدهما : أنها كنار الكافرين من غير فرق تمسكاً بالظاهر .

والثاني : أنها ونار الفجار أخف من نار الكفار ، لما بينهما من تفاوت المعاصي .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ أما الفاحشة ها هنا ففيها قولان :

أحدهما : الكبائر من المعاصي .

والثاني : الربا وهو قول جابر والسدي .

﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ قيل المراد به الصغائر من المعاصي .

﴿ ذَكِّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم ذكروه بقلوبهم فلم ينسوه ، ليعينهم ذكره على التوبة والاستغفار .

والثاني : ذكروا الله قولاً بأن قالوا : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، فإن الله قد سهل على هذه الأمة ما شدد على بني إسرائيل ، إذ كانوا إذا أذنب الواحد منهم أصبح مكتوباً على بابه من كفارة ذنبه : إجدع أنفك ، إجدع أذنك ونحو ذلك ، فجعل الاستغفار ، وهذا قول ابن مسعود وعطاء بن أبي رباح .

﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾ فيه أربعة تاويلات :

أحدها : أنه الإصرار على المعاصي ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنه مواقعة المعصية إذا هم بها ، وهو قول الحسن .

والثالث : السكوت على المعصية وترك الاستغفار منها ، وهو قول السدي .

والرابع : أنه الذنب من غير توبة .

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم قد أتوا معصية ولا ينسونها ، وقيل : معناه وهم يعلمون الجهة في أنها معصية .

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ
الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه سنن من الله في الأمم السالفة أهلكهم بها .

والثاني : يعني أنهم أهل سنن كانوا عليها في الخير والشر ، وهو قول
الزجاج ، وأصل السنة الطريقة المتبعة في الخير والشر ، ومنه سنة النبي ﷺ ، قال
ليبد بن ربيعة :

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها (٣٩٨)
وقال سليمان بن فيد :

فإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التآسيا (٣٩٩)

(٣٩٨) من معلقة ليبد . أنظر المعلقات السبع .

(٣٩٩) الصواب أنه سليمان ابن قته وقته هي أمه وهو مولى لثيم قریش ترجم له البخاري في التاريخ الكبير
(٣٣ / ٢ / ٢) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٣٦ / ١ / ٢) .

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه القرآن ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنه ما تقدم ذكره في قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ الآية ، وهذا قول ابن إسحاق .

﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ نور وأدب .

﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ يعني أن يصيبكم قرح ، قرأ أبو بكر عن عاصم ، وحمزة ، والكسائي بضم القاف ، وقرأ الباقر بفتحها ، وفيها قولان :

أحدهما : أنها لغتان ومعناها واحد .

والثاني : أن القرح بالفتح : الجراح ، وبالضم ألم الجراح ، وهو قول الأكثرين .

وأما الفرق بين المس واللمس فهو أن اللمس مباشرة بإحساس ، والمس مباشرة بغير إحساس ، وهذا ما ذكره الله تعالى للمؤمنين تسلياً لهم فإن أصابهم يوم أحد قرح فقد أصاب المشركين يوم بدر مثله .

﴿ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُذَوُلْهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ قال الحسن ، وقتادة : أي تكون مرة لفرقة ، ومرة عليها والدولة : الكرة ، يقال أدال الله فلاناً من فلان بأن جعل الكرة له عليه .

﴿ وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : معناه ليبتلي ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : يعني بالتمحيص تخليصه من الذنوب ، وهو قول أبي العباس والزجاج ، وأصل التمحيص عندهما التخليص .

والثالث : معناه وليمحص الله ذنوب الذين آمنوا ، وهو قول الفراء ﴿ وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ قال ابن عباس : ينقصهم .

= والبيت مذكور في اللسان مادة (أس) أنساب الأشراف (٣٣٩/٥)، تاريخ الطبري (١٨٤/٧)، تفسير الطبري (٢٣١/٧).

وقد نبه على التصحيف المتقدم في اسم الشاعر صاحب تخريج الطبري .

﴿ وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَنُّونَ أَلْمُوتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ قيل تمنى الموت بالجهاد من لم يحضر بداراً ، فلما كان يوم أحد أعرض كثير منهم فعاتبهم الله تعالى على ذلك ، هكذا قال الحسن وقتادة ومجاهد .

﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني فقد علمتموه .

والثاني : فقد رأيتم أسبابه .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأٌ مُوَجَّلٌ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ .

سبب نزولها أنه لما أشيع يوم أحد أن النبي ﷺ قد قتل ، قال أناس : لو كان نبياً ما قتل ، وقال آخرون : نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به .

﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ يعني رجعتكم كفاراً بعد

إيمانكم .

﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : من أراد بجهاده ثواب الدنيا أي ما يصيبه من الغنيمة ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة ، وهذا قول ابن إسحاق .

والثالث : من أراد ثواب الدنيا بالنهوض لها بعمل النوافل مع مواجهة الكبائر جوزي عليها في الدنيا دون الآخرة .

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ قرأ بذلك ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وقرأ الباقون ﴿ قَاتِلْ ﴾ ، وفي ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم الذين يعبدون الرب وأحدهم ربي ، وهو قول بعض نحويي البصرة .

الثاني : أنهم الجماعات الكثيرة ، وهو قول ابن مسعود وعكرمة ومجاهد .

والثالث : أنهم العلماء الكثيرون ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والرابع : أن (الربيون) الأتباع ، والربانيون : الولاة ، والربيون الرعية ، وهو قول أبي زيد ، قال الحسن : ما قُتِلَ نبي قط إلا في معركة .

﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ الوهن : الانكسار بالخوف . الضعف نقصان القوة ، الاستكانة الخضوع ، ومعناه فلم يهتوا بالخوف ، ولا ضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بالخضوع .

وقال ابن إسحاق : فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما أصابهم .

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ في ثواب الدنيا قولان :

أحدهما : النصر على عدوهم ، وهو قول قتادة ، والربيع .

والثاني : الغنيمة ، وهو قول ابن جريج ﴿ وَحَسَّنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ الجنة ، في قول الجميع .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ

أَعْقِبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
 النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا
 بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى
 الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم
 بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ
 مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ
 الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ
 ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى
 أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَاتَّبِعْكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ
 لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
 بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ أي تقتلونهم في قول
 الجميع ، يقال حَسَهُ يحسه حَسًا إذا قتله ، لأنه أبطل بمعونته .

﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ ﴾ والفرق بين الإصعاد والصعود أن
 الإصعاد في مستوى الأرض ، والصعود في ارتفاع ، وهذا قول الفراء ، وأبي
 العباس ، والزجاج ، وروي عن ابن عباس (٤٠٠) أنهم صعدوا في جبل أحد فراراً .

﴿ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴾ قيل إنه كان يقول : « يَا عِبَادَ اللَّهِ
 ارْجِعُوا » ذكر ذلك عن ابن عباس ، والسدي ، والربيع .

﴿ فَاتَّبِعْكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ ﴾ فيه قولان :

(٤٠٠) رواها الطبري (٣٠٣/٧) وزاد السيوطي نسبتها في الدر (٣٥٠/٢) لابن المنذر ورواية السدي
 رواها الطبري عقب رواية ابن عباس مباشرة (٣٠٣/٧) .

أحدهما : غمّاً على غم .

والثاني : غمّاً مع غم .

وفي الغم الأول والثاني تأويلان :

أحدهما : أن الغم الأول القتل والجراح ، والغم الثاني الإرجاف بقتل النبي ﷺ ، وهذا قول قتادة ، والرابع .

والثاني : غمّاً يوم أحد بغم يوم بدر ، وهو قول الحسن .

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِّنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ ، وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ وسبب ذلك أن المشركين يوم أحد توعدوا المؤمنين بالرجوع ، فكان من أخذته الأمانة من المؤمنين متأهبين للقتال ، وهم أبو طلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وغيرهم فناموا حتى أخذتهم الأمانة .

﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ من الخوف وهم من المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، ومعتب بن قشير ، ومن معهما أخذهم الخوف فلم يناموا لسوء الظن .

﴿ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ يعني في التكذيب بوعده .

﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إِنَّا أَخْرَجْنَا كَرهًا وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيْنَا مَا خَرَجْنَا ، وهذا قول الحسن .
والثاني : أي ليس لنا من الظفر شيء ، كما وعدنا ، على جهة التكذيب لذلك .

﴿ قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني لو تخلفتم لخرج منكم المؤمنون ولم يتخلفوا بتخلفكم .
والثاني : لو تخلفتم لخرج منكم الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، ولم ينجم قعودهم .

﴿ وَلَيَبْتَليَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر .
والثاني : معناه ليبتلي أولياء الله ما في صدوركم فأضاف الابتلاء إليه تفخيماً لشأنه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا فِيكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ فيهم تأويلان :

أحدهما : هم كل من ولّى الدبر من المشركين بأحد وهذا قول عمر ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : أنهم من هرب إلى المدينة وقت الهزيمة ، وهذا قول السدي .

﴿ إِنَّمَا أَسْتَدْلِيهِمُ الشَّيْطَانُ بِيَغْضٍ مَا كَسَبُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه محبتهم للغنيمة وحرصهم على الحياة .

والثاني : استدلّهم بذكر خطايا سلفت لهم ، وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها ، وهذا قول الزجاج .
﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : حلم عنهم إذ لم يعاجلهم بالعقوبة ، وهذا قول ابن جريج وابن

زيد .

والثاني : غفر لهم الخطيئة ليدل على أنهم قد أخلصوا التوبة .

وقيل : إن الذين بقوا مع النبي ﷺ لم يهزموا ثلاثة عشر رجلاً ، منهم خمسة من المهاجرين : أبو بكر ، وعلي ، وطلحة ، وعبد الرحمن ، وسعد بن أبي وقاص ، والباقيون من الأنصار .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تَحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ﴾ يعني فبرحمة من الله ، و ﴿ مَا ﴾ صلة دخلت لحسن النظم .

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ الفظ : الجافي ،
والغليظ القلب : القاسي ، وجمع بين الصفتين ، وإن كان معناهما واحداً للتأكيد .
﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ وفي أمره بالمشاورة أربعة
أقاويل :

أحدها : أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه ، قال
الحسن : ما شاور قوم قط إلا هُتدوا لأرشد أمورهم .
والثاني : أنه أمره بمشاورتهم تأليفاً لهم وتطبيعاً لأنفسهم ، وهذا قول قتادة ،
والربيع .

والثالث : أنه أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل ، ولتأسي أمته بذلك
بعده عليه السلام ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن
كان عن مشورتهم غنياً ، وهذا قول سفيان .

﴿ وَمَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو بفتح الياء
وضم العين ، وقرأ الباقون يُغَل بضم الياء وفتح الغين .
ففي تأويل من قرأ بفتح الياء وضم الغين ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، فقال بعض الناس أخذها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهذا قول عكرمة ، وسعيد بن جبیر .

والثاني : أنها نزلت في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم في وجهه ، ثم غنم
الرسول فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ أي يقسم
لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم ، وهذا قول ابن عباس ،
والضحاك .

والثالث : أن معناه وما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله إليهم لرهبة منه
ولا رغبة فيهم ، وهذا قول ابن إسحاق .

وأما قراءة من قرأ يُغَل بضم الياء وفتح الغين ففيها قولان :
أحدهما : يعني وما كان لنبي أن يتهمه أصحابه ويخونوه .

والثاني : معناه وما كان لنبي أن يغفل أصحابه ويخونهم ، وهذا قول الحسن ، وقتادة . وأصل الغلول الغلل وهو دخول الماء في خلال الشجر ، فسميت الخيانة غلولاً لأنها تجري في المال على خفاء كجري الماء ، ومنه الغل الحقد لأنه العداوة تجري في النفس مجرى الغلل .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ وفي وجه المنة بذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : ليكون ذلك شرفاً لهم .

والثاني : ليسهل عليهم تعلم الحكمة منه لأنه بلسانهم .

والثالث : ليظهر لهم علم أحواله من الصدق والأمانة والعفة والطهارة .

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه يشهد لهم بأنهم أزكيا في الدين .

والثاني : أن يدعوهم إلى ما يكونون به أزكيا .

والثالث : أنه يأخذ منهم الزكاة التي يطهرهم بها ، وهو قول الفراء .

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتِي الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوَادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ يَا فَوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ يعني بالمصيبة التي أصابتهم يوم أحد ، وبالتالي أصابوها يوم بدر .

﴿ قُلْتُمْ : أَنَّى هَذَا ، قُلْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ في الذي هو من عند أنفسهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : خلافهم في الخروج من المدينة للقتال يوم أحد ، وقد كان النبي ﷺ أمرهم أن يتحصنوا بها ، وهذا قول قتادة ، والربيع .

والثاني : اختيارهم الفداء من السبعين يوم بدر على القتل ، وقد قيل لهم إن فعلتم ذلك قُتِلَ منكم مثلهم ، وهذا قول علي ، وعبيدة السلماني .

والثالث : خلاف الرماة يوم أحد لأمر النبي ﷺ في ملازمة موضعهم .

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيه قولان : أحدهما : ليرى المؤمنين .

والثاني : ليميزوا من المنافقين .

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه .

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعني جاهدوا .

﴿ أَوْ أَدْفَعُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني تكثير السواد وإن لم يقاتلوا وهو قول السدي وابن جريج .

والثاني : معناه رابطوا على الخيل إن لم تقاتلوا ، وهو قول ابن عوف الأنصاري .

﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ قيل إن عبد الله بن عمرو بن حزام قال لهم :

[اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم فقال له ابن أبي] : عَلَامَ نقتل أنفسنا ؟ ارجعوا بنا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم .

﴿ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ لأنهم بإظهار الإيمان لا يحكم

عليهم بحكم الكفار ، وقد كانوا قبل ذلك بإظهار الإيمان أقرب إلى الإيمان ، ثم صاروا بما فعلوه أقرب إلى الكفر من الإيمان .

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني ما يظهرونه من الإسلام وليس

في قلوبهم منه شيء .

وإنما قال : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ ﴾ وإن كان القول لا يكون إلا به لأمرين :
أحدهما : التأكيد .

والثاني : أنه ربما نسب القول إلى الساكت مجازاً إذا كان به راضياً .

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا : لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه حين انخذلوا وقعدوا ، وكانوا نحو ثلثمائة وتحلف عنهم من قُتل منهم (فقالوا) لو أطاعونا وقعدوا معنا ما قُتلوا .

﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ ﴾ أي ادفعوا عن أنفسكم الموت ، ومنه قول الشاعر :

تقول وقد درأت لها وضيئي أهذا دينه أبداً وديني (٤٠١)

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني في خبركم أنهم لو أطاعوا ما قُتلوا .

والثاني : معناه إن كنتم محقين في تشيظكم عن الجهاد فراراً من القتل .

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾
فَرِحِينَ بِمَاءِ آتِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ
اللَّهِ وَفَضْلٍ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ
قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ
سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

(٤٠١) هو المثقب العبدى وقد سبق تخريجه في سورة الفاتحة .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ ﴾ يعني أنهم في الحال وبعد القتل بهذه الصفة . فأما في الجنة فحالهم في ذلك معلومة عند كافة المؤمنين ، وليس يمتنع إحيائهم في الحكمة . وقد روى ابن مسعود (٤٠٢) وجابر (٤٠٣) وابن عباس (٤٠٤) أن النبي ﷺ قال : « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا » . وفي ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضرراً إلا ربُّهم .

والثاني : أنهم أحياء عند ربهم من حيث يعلم أنهم أحياء دون الناس .

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يقولون : إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من كرامة الله ما أصبنا ، وهو قول قتادة ، وابن جريج .

والثاني : أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه فيبشر بذلك فيستبشر كما يستبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه ، وهذا قول السدي .

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ أما الناس في الموضعين وإن كان بلفظ الجمع فهو واحد لأنه تقدير الكلام جاء القول من قبل الناس ، والذين قال لهم الناس هم المسلمون وفي الناس القائل قولان :

(٤٠٢) رواها مسلم (٩٨/٢) والترمذي (٨٤/٤ - ٨٥) وابن جرير (٣٨٦/٧) وزاد السيوطي نسبه في الدر (٣٧٣/٢) لعبد الرزاق في المصنف والفريابي وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في الدلائل من طرق عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود مرفوعاً .

(٤٠٣) رواها أحمد في المسند برقم (١٤٩٣٨) وصححه الشيخ أحمد شاكر .

(٤٠٤) وهي الرواية التي أتى بها المؤلف هنا .

رواها أحمد برقم (٢٣٨٩) وأبو داود (٢٥٢٠) والحاكم (٢٩٧/٢) وفيه زيادة وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وابن جرير (٣٨٥/٧) لكن لم يذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس ولهذا قال الحافظ ابن كثير على زيادة سعيد بن جبير في الإسناد «هذا أثبت» . والحديث ذكره السيوطي في الدر (٣٧١/٢) وزاد نسبه لهناد بن السري وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل .

أحدهما : هو أعرابي جُعِلَ له على ذلك جُعِلَ ، وهذا قول السدي .

والثاني : هو نعيم بن مسعود الأشجعي ، وهذا قول الواقي .

والناس الثاني أبو سفيان وأصحابه . واختلفوا في الوقت الذي أراد أبو سفيان أن يجمع لهم هذا الجمع على قولين :

أحدهما : بعد رجوعه على أحد سنة ثلاث حتى أوقع الله في قلوب المشركين الرعب كفوا ، وهذا قول ابن عباس ، وابن إسحاق ، و قتادة .

والثاني : أن ذلك في بدر الصغرى سنة أربع بعد أحد بسنه ، وهذا قول مجاهد .

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ التخويف من الشيطان والقول من الناس ، وفي تخويف أوليائه قولان :

أحدهما : أنه يخوف المؤمنين من أوليائه المشركين ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، و قتادة (٤٠٥) .

والثاني : أنه يخوف أوليائه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَمَا تُمِيزُونَ بَالِ اللَّهِ

(٤٠٥) وقد استظهر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وقال هذا هو الصواب الذي عليه جمهور المفسرين كلبن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة والنخعي وأهل اللغة كالقراء وابن قتيبة والزجاج وابن الأنباري أنظر الدقائق (١/٣٠٥) .

وَرُسُلِهِۦ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنْهَامُ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُمْ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا
يَحْمِلُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : هم المنافقون ، وهو قول مجاهد وإبن إسحاق .
والثاني : قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام .

﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً ، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَّاً فِي الْآخِرَةِ ﴾ في

إرادته لذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن يحكم بذلك .

والثاني : معناه أنه سيريد في الآخرة أن يحرمهم ثوابهم لإحباط إيمانهم
بكفرهم .

والثالث : يريد أن يحبط أعمالهم بما استحقوه من ذنوبهم ، وهذا قول إبن
إسحاق .

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

الطَّيِّبِ ﴾ الطيب المؤمنون ، والخبث فيه ها هنا قولان :

أحدهما : المنافق ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الكافر ، وهو قول قتادة ، والسدي .

واختلفوا في الذي وقع به التمييز على قولين :

أحدهما : بتكليف الجهاد ، وهذا قول من تأول الخبيث بالمنافق .

والثاني : بالدلائل التي يستدل بها عليهم وهذا قول من تأوله للكافر .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ قيل إن سبب نزول هذا أن قوماً من

المشركين قالوا : إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن ومن لا يؤمن ، فنزلت هذه
الآية .

قال السدي : ما أطلع الله نبيه على الغيب ، ولكنه اجتبه فجعله رسولا .
قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم مانعو الزكاة ، وهو قول السدي .

والثاني : أنهم أهل الكتاب وبخلوا أن يُبينوا للناس ما في كتبهم من نبوة
محمد ﷺ ، وهو قول ابن عباس ، قال ألم تسمع أنه قال : ﴿يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل﴾ ، أي يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان .

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الذي يطوقونه شجاع (*) أقرع ، وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : أنه طوق من النار ، وهذا قول إبراهيم (٤٠٦) .

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا
وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ
بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ
أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ * تَسْبُلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلِتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ

(*) هو نوع شديد السم من الحيات لا ريش له من كثرة السم .

(٤٠٦) ورواه عنه عبد الرزاق وسعيد بن منصور بسند جيد كما قال الحافظ في الفتح (٢٣٠/٨) .

الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا ۖ وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ تَلْبُلُونُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا ﴾ . وفي هذا الأذى ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما روي أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي ﷺ والمؤمنين ويحرض عليهم المشركين حتى قتله محمد بن مسلمة ، وهذا قول الزهري .

والثاني : أن فنحاص (٤٠٧) اليهودي سيد بني قينقاع لما سئل الإمداد قال : احتاج ربكم إلى أن نمده ، وهذا قول عكرمة .

والثالث : أن الأذى ما كانوا يسمعون من الشرك كقول اليهود : عزيز ابن الله ، وكقول النصارى : المسيح ابن الله ، وهذا قول ابن جريج .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الميثاق : اليمين . وفي الذين أوتوا الكتاب ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم اليهود خاصة ، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبیر والسدي .

(٤٠٧) وقد ورد في سبب نزول الآية قولاً آخر عن ابن عباس

قال الحافظ روى ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس أنها نزلت في ما كان بين أبي بكر وبين فنحاص اليهودي في قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ تعالى الله عن قوله فغضب أبو بكر فنزلت .

والثاني : أنهم اليهود والنصارى .

والثالث : أنهم كل من أوتي علم شيء من كتاب فقد أخذ أنبياءهم ميثاقهم .

﴿ لَتَبَيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ليبين نبوة محمد ﷺ ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والسدي .

والثاني : ليبين الكتاب الذي فيه ذكره ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ

يَفْعَلُوا ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أهل الكتاب فرحوا بالاجتماع على تكذيب النبي ﷺ وإخفاء

أمره ، وأحبوا أن يحمداً بما ليس فيهم من أنهم أهل نك وعلم ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنهم أهل النفاق فرحوا بقعودهم عن القتال وأحبوا أن يحمداً بما

ليس فيهم من الإيمان بمحمد ﷺ ، وهذا قول أبي سعيد الخدري ، وابن زيد .

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي

الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ

فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا

فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا

مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا ﴾

في المنادي قولان :

أحدهما : أنه القرآن وهو قول محمد بن كعب القرظي قال : ليس كل الناس

سمع رسول الله ﷺ .

والثاني : أنه النبي ﷺ ، وهو قول ابن جريج وابن زيد . .

﴿ يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ أي إلى الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣] بمعنى إلى هذا . ومنه قول الراجز :

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثَّبَتِ (٤٠٨)

يعني أوحى إليها كما قال تعالى: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة: ٥] أي إليها .

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ فإن قيل فقد علموا أن

الله تعالى منجز وعده فما معنى هذا الدعاء والطلب ، ففي ذلك أربعة أجوبة :

أحدها : أن المقصود به ، مع العلم بإنجاز وعده ، الخضوع له بالدعاء

والطلب .

والثاني : أن ذلك يدعو إلى التمسك بالعمل الصالح .

والثالث : معناه اجعلنا ممن وعده ثوابك .

والرابع : يعني عجل إلينا إنجاز وعدك وتقديم نصرك .

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ وَأُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمَ الْكُفْرَ الْكَفْرَ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سُبُلٍ وَفَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أُذِلَّتْ لَهُمْ جَنَّتِ تَحْتَهَا
 ١٩٥
 أَلَّا نَهْرُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ

قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ وَأُنْثِيَ ﴾ حكى مجاهد ، وعمر بن دينار أن سبب نزول هذه الآية أن أم سلمة قالت : يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء ؟ فنزلت هذه الآية (٤٠٩) .

﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ أي الإناث من الذكور ، والذكور من الإناث .

(٤٠٨) هو العجاج بن روية وقد سبق تخريج البيت .

(٤٠٩) سيأتي تخريجه موسعاً في سورة النساء عند قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ . الآية .

لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ
وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ فإن قيل : فإن
النبي ﷺ لا يجوز عليه الاغترار فكيف خوطب بهذا ؟ فعنه جوابان :
أحدهما : أن الله عز وجل إنما قال له ذلك تأديباً وتحذيراً .

والثاني : أنه خطاب لكل من سمعه . فكأنه قال : لا يغرنك أيها السامع
تقلب الذين كفروا في البلاد .
وفي قلبهم قولان :

أحدهما : يعني قلبهم في نعيم البلاد .

والثاني : قلبهم غير مأخوذين بذنوبهم .

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ
خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ اختلفوا في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في النجاشي ، روى سعيد بن المسيب عن جابر بن
عبد الله أن النبي ﷺ قال : « أَخْرَجُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِي لَكُمْ فَصَلَّى بِنَا أَرْبَعَ
تَكْبِيرَاتٍ ، فَقَالَ هَذَا النِّجَاشِيُّ أَصْحَمَةٌ » فَقَالَ الْمَنَافِقُونَ : انظروا إلى هذا يصلي
على عليج نصراني لم يره قط (٤١٠) فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهو قول قتادة .

(٤١٠) رواه الطبري (٤٩٦/٧) وسنده ضعيف من أجل أبو بكر الهذلي ورواد بن الجراح وابنه عصام بن =

والثاني : أنها نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مُسلمة أهل الكتاب ، وهذا قول مجاهد ، وابن جريج .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ فيه أربعة تأويلات : -

أحدها : اصبروا على طاعة الله ، وصابروا أعداء الله ، ورابطوا في سبيل الله ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن جريج ، والضحاك .

والثاني : اصبروا على دينكم ، وصابروا الوعد الذي وعدكم ، ورابطوا عدوي وعدوكم ، وهو قول محمد بن كعب .

والثالث : اصبروا على الجهاد ، وصابروا العدو ، ورابطوا بملازمة الثغر ، وهو مأخوذ من ربط النفس ، ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ، وهو معنى قول زيد بن أسلم .

والرابع : رابطوا على الصلوات بانتظارها واحدة بعد واحدة : روى العلاء^(٤١١) بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى مَا يَحِطُّ بِهِ اللَّهُ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكَمُ الرِّبَاطُ » .

انتهت سورة آل عمران

= رواد وضعفه الطبري بقوله (ص ٤٩٩) « خبر في إسناده نظر » .

تنبيه : - صلاة النبي ﷺ على النجاشي ثابتة من طرق أخرى صحيحة عن جابر وأبي هريرة وهي موجودة في الصحيحين .

(٤١١) رواه مسلم (٢١٩/١) والترمذي (برقم ٥١) والنسائي (٨٩/١ - ٩٠) وزاد السيوطي نسبه في الدر (٤١٧/٢) لمالك والشافعي وعبد الرزاق وابن أبي حاتم قلت : ورواه الطبري (٥٠٦/٧) برقم (٨٣٩٧) .

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدينة ، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ مفاتيح الكعبة فيسلمها إلى عمه العباس وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم ، وفي ذلك نعمة عليكم لأنه أقرب إلى التعاطف بينكم .

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حواء . قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن خلقت من ضلع آدم ، وقيل الأيسر ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها عليه : « خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ فَهَمُّهَا فِي الرَّجُلِ ، وَخُلِقَ الرَّجُلُ مِنَ التُّرَابِ فَهَمُّهُ فِي التُّرَابِ » (٤١٢) .

(٤١٢) ورد موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه مع اختلاف يسير في ألفاظه رواه ابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٤٤٨/١) وابن المنذر والبيهقي في الشعب كما نسب السيوطي إليهما في الدر (٤٢٣/٢) .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ومعنى قوله تساءلون به ، هو قولهم أسألك بالله وبالرحم ، وهذا قول مجاهد وإبراهيم ، وقرأ حمزة والأرحام بالكسر على هذا المعنى .

وفي الأرحام قول آخر : أنه أراد صِلُوها ولا تقطعوها ، وهو قول قتادة ، والسدي ، لأن الله تعالى قصد بأول السورة حين أخبرهم أنهم من نفس واحدة أن يتواصلوا ويعلموا أنهم إخوة وإن بعدوا .

﴿ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : حفيظاً ، وهو قول مجاهد .

والثاني : عليماً ، وهو قول ابن زيد .

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوهَا بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَّةَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوهَا بِالطَّيِّبِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : الحرام بالحلال ، وهو قول مجاهد .

والثاني : هو أن يجعل الزائف بدل الجيد ، والمهزول بدل السمين ويقول درهم بدرهم ، وشاة بشاة ، وهو قول ابن المسيب والزهري والضحاك والسدي .

والثالث : هو استعجال أكل الحرام قبل إتيان الحلال ، وهو معنى قول مجاهد .

والرابع : أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار والنساء ويأخذ الرجل

الأكبر ، فكان يستبدل الخبيث بالطيب لأن نصيبه من الميراث طيب ، وأخذ الكلب خبيث ، وهو قول ابن زيد .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ أي مع أموالكم ، وهو أن يخلطوها بأموالهم لتصير في ذمتهم فيأكلوا ربحها .
﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ والحُوب : الإثم ، ومنه قولهم تحوب فلان من كذا ، إذا توقى ، قال الشاعر :

فإن مهاجرين تكنفاهُ غداة إذ لقد خطئا وحابا (٤١٣)

قال الحسن البصري : لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولي اليتيم يعزل ماله عن ماله فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] أي فخالطوهم واتقوا إثمهم .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ فيه أربع تأويلات :

أحدها : يعني إن خفتُم ألا تعدلوا في نكاح اليتامى ، فانكحوا ما حل لكم من غيرهن من النساء ، وهو قول عائشة رضي الله عنها .

والثاني : أنهم كانوا يخافون ألا يعدلوا في أموال اليتامى ، ولا يخافون أن لا يعدلوا في النساء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، يريد كما خفتُم ألا تعدلوا في أموال اليتامى ، فهكذا خافوا ألا تعدلوا في النساء ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والسدي ، وقتادة .

والثالث : أنهم كانوا يتوقون أموال اليتامى ولا يتوقون الزنى ، فقال كما خفتُم في أموال اليتامى ، فخافوا الزنى ، وانكحوا ما طاب لكم من النساء ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : أن سبب نزولها ، أن قریشاً في الجاهلية كانت تكثر التزويج بغير عدد محصور ، فإذا كثر على الواحد منهم مؤن زوجاته ، وقُلَّ ماله ، مدَّ يده إلى ما

(٤١٣) هو أمية بن الأسكر الليثي . انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣/١) .

عنده من أموال الأيتام ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ قولان :

أحدهما : أن ذلك عائد إلى النساء وتقديره فانكحوا من النساء ما حل . وهذا قول الفراء .

والثاني : أن ذلك عائد إلى النكاح وتقديره فانكحوا النساء نكاحاً طيباً . وهذا قول مجاهد .

﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ تقديرًا لعددهن وحصرًا لمن أبيح نكاحه منهن وهذا قول عكرمة .

﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ معدول به عن اثنين وثلاث وأربع ، وكذلك أحاد وموحد ، وثناء ومثنى ، وثلاث ومثلث ، ورباع ومربع ، وهو اسم للعدد معرفة ، وقد جاء الشعر بمثل ذلك ، قال تميم بن أبي مقبل :

ترى العثرات الزرق تحت لبانه أحاد ومثنى أضعفتها كواهلُهُ (٤١٤)
وقال آخر :

قتلنا به من بين مثنى وموحد بأربعة منكم وآخر خامس (٤١٥)

قال أبو عبيدة : ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن

(٤١٤) وهو في اللسان في مادة [نعر] واسم الشاعر الصحيح تميم بن أبي بن مقبل وليس أبي مقبل كما هنا والبيت من قصيدة له وردت في معاني القرآن للفراء (٢٥٥/١) والحيوان (٢٣٣/٧) وقد روي البيت في بعضها : النعرات الخضر ، فراد ومثنى .

تنبيه : والبيت في هذه المصادر السابقة وفي الطبري .

نرى النعرات الزرق تحت لبانه ... أحاد ومثنى صغقتها صواهله

(٤١٥) قال صاحب تخريج الطبري عن هذا البيت وقد أورده الطبري (٧٤٤/٧) هكذا :

وإن الظلام المستهام بذكره قتلنا به من بين مثنى وموحد

بأربعة منكم وآخر خامس وساد مع الإظلام في رمح معبد

والبيتان في معاني القرآن للفراء (٢٥٤/١) قال : « وقد كان البيت في المطبوعة والمخطوطة » يقصد مطبوعة ومخطوطة الطبري .

قتلنا به من بين مثنى وموحد بأربعة منكم وآخر خامس

وهو كما ترى ملفق من البيتين اللذين أثبتهما من معاني القرآن .

جهته إلا في بيت للكميت ، فإنه قال في العشرة عُشار وهو قوله :

فلم يَسْتَرِيْثُوْكَ حَتَّى رَمَدَ ت فوق الرجال خِصَالاً عَشَاراً^(٤١٦)

وقال أبو حاتم : بل قد جاء في كلامهم من الواحد إلى العشرة ، وأنشد قول

الشاعر :

ضربت خماس ضربة عبشمي أدار سداس ألا يستقيما

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ يعني في الأربع ، ﴿ فَوَاحِدَةً ﴾ يعني من النساء .

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ يعني في الإماء .

﴿ ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ألا يكثر مَنْ تعولون ، وهو قول الشافعي .

والثاني : معناه ألا تضلوا ، وهو قول ابن إسحاق ، ورواه عن مجاهد .

والثالث : ألا تملوا عن الحق وتجوروا وهو قول ابن عباس^(٤١٧) ، وفتادة ،

وعكرمة .

وأصل العول الخروج عن الحد ومنه عول الفرائض لخروجها عن حد السهام

المسمّاة ، وأنشد عكرمة بيتاً لأبي طالب :

بميزان قسط لا يَخِيسُ شعيرةً ووازن صِدْقٍ وزنه غير عائل^(٤١٨)

أي غير مائل .

وكتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه : إني لست

بميزان قسطٍ لا أعول .

(٤١٦) أنظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (١١٦/١) ، الأغاني (٣/١٣٩) ، اللسان مادة [عشر] .

(٤١٧) وقول ابن عباس هنا ذكره البخاري معلقاً (٢٤٥/٨ فتح) .

وقال الحافظ وصله سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وروناه في فوائد

أبي بكر الأجري بإسناد آخر صحيح إلى الشعبي عن ابن عباس . اهـ . قلت : وقول الحافظ

رحمه الله بإسناد آخر . . . الخ . لا يعني به تصحيح هذا السند الآخر إلى ابن عباس فإن الشعبي لم

يسمع من ابن عباس ، وعلى هذا فالسند الآخر فيه انقطاع . فتنبه .

(٤١٨) من قصيدة لأبي طالب كما في سيرة ابن هشام (٢٩٦/١) .

قوله تعالى : ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ...﴾ اختلف فيمن توجه إليه هذا الخطاب على قولين :

أحدهما : أنه متوجه إلى الأزواج ، وهو قول الأكثرين .
والثاني : أنه متوجه إلى الأولياء ، لأنهم كانوا يملكون في الجاهلية صداق المرأة ، فأمر الله بدفع صدقاتهن إليهن ، وهو قول أبي صالح .
وأما النحلة فهي العطية من غير بدل ، وسمي الدين نَحْلَةً ، لأنه عطية من الله ، وفي تسمية النحل بذلك قولان :

أحدهما : أنه سمي نَحْلًا لما يعطي من العسل .
والثاني : لأن الله تعالى نَحَلَهُ عباده .
وفي المراد بالنحلة في الصداق أربعة تأويلات :
أحدها : يعني فريضة مُسَمَّاة ، وهو قول قتادة ، وابن جريج .
والثاني : أنه نحلة من الله عز وجل لهن بعد أن كان ملكاً للأولياء ، وهو قول أبي صالح .
والثالث : أنه نهى لِمَا كانوا عليه من خِطْبَةِ الشُّغَار ، والنكاح بغير صداق ، وهو قول سليمان بن جعفر بن أبي المعتمر .
والرابع : أنه أراد أن يطيبوا نفساً بدفعه ، كما يطيبون نفساً بالنحل والهيئة ، وهو قول بعض المتأخرين .

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ نَفْسًا﴾ يعني الزوجات إن طبن نفساً عن شيء من صدقاتهن لأزواجهن في قول من جعله خطاباً للأزواج ، ولأوليائهن في قول من جعله خطاباً للأولياء .

﴿فَكُلُّوهُ هَيئًا مَّريئًا﴾ الهنيء ما أعقب نفعاً وشفاء ، ومنه هنا البعير للشفاء ، قال الشاعر (٤١٩) :

متبدلاً تَبْدُو مَحَاسِنَهُ يَضَعُ الهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

(٤١٩) هودريد بن الصمة انظر الأغاني (٢٢١١) واللسان مادة [نقْب] .

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الَّذِينَ يُدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ إِذَا ابْتَلَوُا النَّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ اختلفوا في المراد بالسفهاء في هذا الموضع على أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم الصبيان ، وهو قول سعيد بن جبير ، والحسن .

والثاني : أنهم النساء ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : أنه عنى الأولاد المسرفين أن يقسم ماله فيهم فيصير عيالاً عليهم ، وهو قول ابن عباس ، وابن زيد وأبي مالك .

والرابع : أنه أراد كل سفيه استحق في المال حَجْرًا ، وهو معنى ما رواه الشعبي عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري (٤٢٠) أنه قال : ثلاثة يَدْعُونَ فلا يستجيب الله لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى مالا سفيهاً وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ ، ورجل له على رجل دين لم يُشْهَدْ عليه .

(٤٢٠) اختلف في رفعه ووقفه :

فرواه ابن جرير (٥٦٤/٧) وزاد السيوطي في الدر (٤٣٤/٢) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر موقوفاً ورواه الحاكم عن أبي موسى مرفوعاً (٢٠٣/٢) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى . قال الذهبي لأن الجمهور رووه عن شعبة موقوفاً ورفع معاذ بن معاذ عنه رمز السيوطي للحديث في الجامع بالصحة (٣٣٦/٣) الفيض .

ونقل المناوي في الفيض (٣٣٦/٣) عن الذهبي أنه أقر الحاكم على تصحيحه في كتابه التلخيص ولكنه قال في المذهب هو مع نكارتة إسناده نظيف وأيما كان فإن الحديث إذا كان موقوفاً فهو من المرفوع حكماً لأنه يتحدث عن أشياء ولا مجال للرأي والاجتهاد فيها . وقد صحح الحديث أيضاً الشيخ أحمد شاكر في كتابه عمدة التفسير وتكلم عن الاختلاف في رفعه ووقفه فانظره هناك (١١١/١) .

وأصل السفيه خفة الحِلْمِ فلذلك وصف به الناقص العقل . ووصف به المفسد لماله لنقصان تدبيره ، ووصف به الفاسق لنقصانه عند أهل الدين ، والعلم .

﴿ أَمْوَالُكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني أموال الأولياء ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه عني به أموال السفهاء ، وهو قول سعيد بن جبير .

﴿ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ قرأ نافع وابن عمر ﴿ قِيَامًا ﴾ ومعناها واحد ، يريد أنها قَوَامٌ معاشكم ومعاش سفهائكم .

﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أي أنفقوا أيها الأولياء على السفهاء من أموالهم .

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الوعد بالجميل ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الدعاء له كقوله بارك الله فيك ، وهو قول ابن زيد .

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى ﴾ أي اختبروهم في عقولهم وتمييزهم وأديانهم .

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ يعني الحِلْمُ في قول الجميع .

﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ فيه أربع تأويلات :

أحدها : أن الرشد العقل ، وهو قول مجاهد ، والشعبي .

والثاني : أنه العقل والصلاح في الدين ، وهو قول السدي .

والثالث : أنه صلاح في الدين وإصلاح في المال ، وهو قول ابن عباس ،

والحسن ، والشافعي .

والرابع : أنه الصلاح والعلم بما يصلحه ، وهو قول ابن جريج .

﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ يعني التي تحت أيديكم أيها الأولياء عليهم .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ يعني لا تأخذوها إسرافاً على غير

ما أباح الله لكم ، وأصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما ليس بمباح ، فربما

كان في الإفراط ، وربما كان في التقصير ، غير أنه إذا كان في الإفراط فاللغة المستعملة فيه أن يقال أسرف إسرافاً ، وإذا كان في التقصير قيل سرف يسرف .

قوله تعالى : ﴿ وَبَذَاراً أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ قال ابن عباس : وهو أن تأكل مال اليتيم تبادر أن يكبر ، فيحول بينك وبين ماله .

﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ يعني بماله عن مال اليتيم .

﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه القرض يستقرض إذا احتاج ثم يرده إذا وجد ، وهو قول عمر ، وابن عباس ، وجمهور التابعين .

والثاني : أنه يأكل ما يسد الجوعة ، ويلبس ما يوارى العورة ، ولا قضاء ، وهو قول الحسن ، وإبراهيم ، ومكحول ، وقتادة .

روى شعبة عن قتادة أن عم ثابت بن رفاعه - وثابت يومئذ يتيم في حجره ، أتى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله إن ابن أخي يتيم في حجري ، فما يحل لي من ماله ؟ قال : « أَنْ تَأْكُلَ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقِيَ مَالَكَ بِمَالِهِ وَلَا تَتَّخِذَ مِنْ مَالِهِ وَقْراً » (٤٢٨) .

والثالث : أن يأكل من ثمره ، ويشرب من رِسلِ ماشيته من غير تعرض لِمَا سوى ذلك من فضة أو ذهب ، وهو قول أبي العالية ، والشعبي .

روى القاسم بن محمد قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أيتاماً ، وإن لهم إبلاً ، فماذا يحل لي منها ؟ فقال : إن كنت تبغي ضالتها ، وتهنأ جرباءها ، وتلوط حوضها ، وتفطر عليها يوم وِردِها ، فاشرب من ألبانها غير مُضِرٍّ بنسل ، ولا بأهل في الحلب .

والرابع : أن يأخذ إذا كان محتاجاً أجره معلومة على قدر خدمته ، وهو قول عطاء .

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : ليس

(٤٢١) رواه ابن جرير بسنده عن قتادة (٥٩٠/٧) قال ذكر لنا أن عم ثابت بن رفاعه . . . الحديث وهذا حديث مرسل كما ترى ونسبه السيوطي في الدر (٤٣٧/٢) لعبد بن حميد أيضاً بأطول مما هنا .

لي مال ولي يتيم ، فقال : « كُلُّ مَنْ مَالٍ يَتِيمِكَ غَيْرُ مُسْرِفٍ وَلَا وَاقٍ مَالِكَ بِمَالِهِ » (٤٢٢) .

﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ ليكون بينة في دفع أموالهم إليهم .

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني شهيداً .

والثاني : كافياً من الشهود .

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَخَشَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ وسبب نزول هذه الآية ، في الجاهلية كانوا يؤرثون الذكور دون الإناث ، فروى ابن جريج عن عكرمة قال : نزلت في أم كُجَّة وبناتها وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الأنصار ، وكان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله توفي زوجي وتركني وبنيه ولم تُورث ، فقال عم ولدها : يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ، ولا يحمل كلاً ، ولا ينكأ عدواً يكسب عليها ولا تكسب ، فنزلت هذه الآية .

(٤٢٢) رواه أحمد (١٨٦/٢ ، ٢١٥) وأبو داود (٢٨٧٢) والنسائي (٢٥٦/٦) وابن ماجه (٢٧١٨) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤٣٧/٢) لابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن جارود والنحاس في ناسخه وقواه الحافظ في الفتح (٤٢١/٨) وحسن إسناده الأرناؤوط في جامع الأصول (٦٤١/١١) .

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها ثابتة الحكم . قال سعيد بن جبير : هما وليان ، أحدهما يرث وهو الذي أمر أن يرزقهم أي يعطيهم ، والآخر لا يرث وهو الذي أمر أن يقول لهم قولاً معروفاً ، وبإثبات حكمها قال ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والحسن ، والزهري .

وروي عن عبيدة أنه ولي وصية فأمر بشاة فذبحت ، وصنع طعاماً لأجل هذه الآية وقال : لولا هذه الآية لكان هذا من مالي .

والقول الثاني : أنها منسوخة بآية الموارث ، وهذا قول قتادة ، وسعيد بن المسيب ، وأبي مالك ، والفقهاء .

والثالث : أن المراد بها وصية الميت التي وصى بها أن تفرق فيمن ذكر وفيمن حضر ، وهو قول عائشة .

فيكون ثبوت حكمها على غير الوجه الأول .

واختلف من قال : بثبوت حكمها على الوجه الأول في الوارث إذا كان صغيراً هل يجب على وليه إخراجها من سهمه على قولين :

أحدهما : يجب ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد ، ويقول الولي لهم قولاً معروفاً .

والثاني : أنه حق واجب في أموال الصغار على الأولياء ، وهو قول عبيدة ، والحسن .

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه خطاب للورثة وأوليائهم أن يقولوا لمن حضر من أولي القربى ، واليتامى ، والمساكين قولاً معروفاً عند إعطائهم المال ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : خطاب للآخرين أن يقولوا للدافعين من الورثة قولاً معروفاً ، وهو الدعاء لهم بالرزق والغنى .

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن معناه وليحذر الذين يحضرون ميتاً يُوصي في ماله أن يأمره بتفريق ماله وصية فيمن لا يرثه ولكن ليأمره أن يبقى ماله لولده ، كما لو كان هو الموصي لأثر أن يبقى ماله لولده ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أن معناه وليحذر الذين يحضرون الميت وهو يوصي أن ينهوه عن الوصية لأقربائه ، وأن يأمره بإمساك ماله والتحفظ به لولده ، وهم لو كانوا من أقرباء الموصي ، لأثروا أن يوصي لهم ، وهو قول مقسم ، وسليمان بن المعتمر .

والثالث : أن ذلك أمر من الله تعالى لُولَاةِ الأيتام ، أن يلوهم بالإحسان إليهم في أنفسهم وأموالهم ، كما يجبون أن يكون ولادة أولادهم الصغار من بعدهم في الإحسان إليهم لو ماتوا وتركوا أولادهم يتامى صغاراً ، وهو مروي عن ابن عباس .

والرابع : أن من خشي على ذريته من بعده ، وأحب أن يكف الله عنهم الأذى بعد موته ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ، وهو قول أبي بشر بن الديلمي .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ عبر عن الأخذ بالأكل لأنه مقصود الأخذ .

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني أنهم يصيرون به إلى النار .

والثاني : أنه تمتلئ بها بطونهم عقاباً يوجب النار .

﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ الصلاء لزوم النار ، والسعير إسعار النار ، ومنه قوله

تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢] .

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمٌ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ

فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ
 دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ روى
 السدي قال : كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان ، لا
 يورثون الرجل من ولده إلا من أطاق القتال ، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر
 وترك امرأة يقال لها أم كُجَّة ، وترك خمس أخوات ، فجاءت الورثة فأخذوا ماله ،
 فشكت أم كجة ذلك للنبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ ففرض للثلاث من البنات ،
 إذا انفردت عن ذكّر ، الثلثين ، وفرض الواحدة إذا انفردت النصف ، واختلف في
 الثنتين ، فقال ابن عباس النصف ، من أجل قوله تعالى : ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ وذهب
 الجماعة إلى أن فرضهما الثلثان كالثلاث فصاعداً اعتباراً بالأخوات .

ثم قال تعالى ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ قال ابن عباس : كان المال
 للولد ، وكانت الوصية للوالدين والأقربين ، فنسخ الله تعالى ذلك ، فجعل للذكر مثل
 حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس .

ثم قال : ﴿مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ
 الثُّلُثُ﴾ فسوى بين كل واحد من الوالدين مع وجود الولد في أن لكل واحد منهما
 السدس ، ثم فاضل بينهما مع عدم الولد في أن جعل للأم الثلث والباقي للأب ،
 وإنما كان هكذا لأن الأبوين مع الولد يرثان فرضاً بالولادة التي قد استويا فيها ،
 فسوى بين فرضهما ، وإذا عديم الولد ورثت الأم فرضاً لعدم التعصب فيها ، وورث
 الأب بالتعصب ، لأنه أقوى ميراثاً ، وجعل فرضها شطراً ما حازه الأب بتعصبه ،
 ليصير للذكر مثل حظ الأنثيين .

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ فلا خلاف أن الثلاثة من الأخوة
 يحجبونها من الثلث الذي هو أعلى فرضها إلى السدس الذي هو أقله ، ويكون
 الباقي بعد سدسها للأب .

وَحُكِّيَ عَنْ طَاوُوسٍ أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى الْإِخْوَةِ دُونَ الْأَبِ لِيَكُونَ مَا حَجَبُوهَا عَنْهُ عَائِداً عَلَيْهِمْ لَا عَلَى غَيْرِهِمْ . وَهَذَا خَطَأٌ مِنْ وَجْهَيْنِ :
أحدهما : أَنَّ الْأَبَ يُسْقِطُ مِنْ أَدْلَى بِهِ كَالْجَدِّ .

والثاني : أَنَّ الْعَصْبَةَ لَا يَتَقَدَّرُ لَهُمْ فِي الْمِيرَاثِ فَرَضٌ كَالْأَبْنَاءِ .

فَأَمَّا حَجَبُ الْأُمِّ بِالْأَخْوَيْنِ ، فَقَدْ مَنَعَ مِنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ تَمَسُّكاً بِظَاهِرِ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ وَخَالَفَهُ سَائِرُ الصَّحَابَةِ مُحَجِّبُوا الْأُمَّ بِالْأَخْوَيْنِ فِصَاعِداً ، وَإِنْ لَمْ تَحْجَبْ بِالْأَخِ الْوَاحِدِ لِأَنَّ لَفْظَ الْجَمْعِ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَوْضَعَ مَوْضِعَ التَّنْيَةِ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التَّحْرِيمُ : ٤] مَعَ أَنَّ الْاِثْنَيْنِ تَقُومَانِ فِي الْفَرَائِضِ مَقَامَ الْجَمْعِ الْكَامِلِ ، كَالْأَخَوَاتِ ، وَوَلَدِ الْأُمِّ .

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ فَقَدِمَ الدِّينَ وَالْوَصِيَّةَ عَلَى الْمِيرَاثِ ، لِأَنَّ الدِّينَ حَقٌّ عَلَى الْمَيِّتِ ، وَالْوَصِيَّةُ حَقٌّ لَهُ ، وَهُمَا مُقَدِّمَانِ عَلَى حَقِّ وَرَثَتِهِ ، ثُمَّ قَدِمَ الدِّينَ عَلَى الْوَصِيَّةِ وَإِنْ كَانَ فِي التَّلَاوَةِ مُؤَخَّرًا ، لِأَنَّ مَا عَلَى الْمَيِّتِ مِنْ حَقِّ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مُقَدِّمًا عَلَى مَا لَهُ مِنْ حَقِّ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الْحَارِثِ الْأَعُورِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : إِنْ كُنْتُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْدَيْنِ (٤٢٣) قَبْلَ الْوَصِيَّةِ فَإِنْ قِيلَ : فَلِمَ قَدِمَ ذِكْرُ الْوَصِيَّةِ عَلَى الدِّينِ إِنْ كَانَ فِي الْحُكْمِ مُؤَخَّرًا ؟ قِيلَ لِأَنَّ ﴿ أَوْ ﴾ لَا تَوْجِبُ التَّرْتِيبَ وَإِنَّمَا تَوْجِبُ إِثْبَاتَ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ مُفْرَدًا أَوْ مُصْحُوبًا ، فَصَارَ كَأَنَّهُ قَالَ : مِنْ بَعْدِ أَحَدِهِمَا أَوْ مِنْ بَعْدِهِمَا .

﴿ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ يَعْنِي فِي الدِّينِ أَوْ

الدُّنْيَا .

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ

(٤٢٣) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَجَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَرَحْبِيلَ قَالَ : مَا رَأَيْتُهُمْ إِلَّا تَوَاطَعُوا عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ (٢٦٨/٨) فَتَحَ .

بِهَاءٍ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ
كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ
بِهَاءٍ أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ
فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ
فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ﴾ اختلفوا في الكلاله على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم من عدا الولد ، وهو مروى عن ابن عباس ، رواه طاووس عنه .

والثاني : أنهم من عدا الوالد ، وهو قول الحكم بن عيينة .

والثالث : أنهم من عدا الولد (٤٢٤) والوالد ، وهو قول أبي بكر ، وعمر ،
والمشهور عن ابن عباس

(٤٢٤) أخرجه الترمذي مختصراً (٣/١٩٠) من طريق سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق عن الحارث ،
وأخرجه في الفرائض (٣/١٧٩) من طريق سفيان الثوري وزكريا بن أبي زائدة وابن عيينة وقال هذا
حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي وقد تكلم بعض أهل العلم في
الحارث ..

وابن ماجه في سننه (برقم ٢٧١٥) عن علي بن محمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان به مختصراً وأحمد
مختصراً (١٣١، ٧٩/١) وموطأ من طريق زكريا عن أبي إسحاق عن الحارث (١٤٤/١) وأبو
يعلى في مسنده مختصراً ومفصلاً (٤١/١، ٧٨) والدارقطني في اللعل (٧٠/٤) والحاكم
(٣٣٧/٤) وقال الحارث بن عبد الله على الطريق ولذلك لم يخرج الشيخان . وابن جرير
(٤٦/٨) (برقم ٨٧٣٦ ، ٨٧٣٧ ، ٨٧٣٨) ومدارها كلها على الحارث الأعور وقد ضعفه غير
واحد من أهل العلم ونسبه السيوطي في الدر (٤٤٧/٢) لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر
وابن أبي حاتم وكذا رواه ابن عدي (٤٠٥/٤) كما في نصب الرأية للزيلعي وقد ضعفه الأرناؤوط
في جامع الأصول (١١/٦٣٥) والألباني في الإرواء (٦/٩٤) ومن قبلهم الشافعي كما نقله البيهقي
عنه في السنن (٦/٢٦٧) والبيهقي نفسه ضعفه في المصدر المشار إليه .

وقد روى الشعبي قال: قال أبو بكر: قد رأيت في الكلالة رأياً ، فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له ، وإن يك خطأ فمني والله منه بريء ، إن الكلالة ما خلا الوالد والولد . فلما استُخْلِيفَ عمر قال : إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر في رأي رآه .

ثم اختلفوا في المسمى كلالة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الكلالة الميت ، وهو قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : أنه الحي الوارث ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : أنه الميت والحي ، وهو قول ابن زيد .

وأصل الكلالة الإحاطة ، ومنه الاكليل سمي بذلك لإحاطته بالرأس فكذلك الكلالة لإحاطتها بأصل النسب الذي هو الوالد والولد .

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ فيها خمسة أقاويل :

أحدها : شروط الله ، وهو قول السدي .

والثاني : طاعة الله ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : سنة الله وأمره .

والرابع : فرائض الله التي حدها لعباده .

والخامس : تفصيلات الله لفرائضه .

وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَجِيشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيْنَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ

تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ ﴾ يعني بالفاحشة : الزنى .

﴿ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ﴾ يعني بيّنة يجب بها عليهن الحد .
 ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ اختلفوا في إمساكنهن في البيوت هل هو حد أو موعد بالحد على قولين :

﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ يعني بالسبيل الحد ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَالثَّيْبُ بِالثَّيْبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ » (٤٢٥) .

واختلفوا في نسخ الجلد من حد الثيب على قولين :

أحدهما : أنه منسوخ ، وهو قول الجمهور من التابعين والفقهاء .

والثاني : أنه ثابت الحكم ، وبه قال قتادة ، وداود بن علي ، وهذه الآية عامة في البكر والثيب ، واختلف في نسخها على حسب اختلافهم فيها هل هو حد أو موعد بالحد ، فمن قال : هي حد ، جعلها منسوخة بآية النور(*) ، ومن قال : هي موعد بالحد ، جعلها ثابتة .

قوله عز وجل : ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَنَأْذِيهِمَا ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت في الأبكار خاصة ، وهذا قول السدي ، وابن زيد .

والثاني : أنها عامة في الأبكار والثيب ، وهو قول الحسن ، وعطاء . واختلف في المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ ﴾ على قولين :

(٤٢٥) رواه مسلم (٣٣/٢) والترمذي (٢٤٢/٢) وابن ماجه (٢٥٥٠) وأبو داود (٤٤١٦) والدارمي (١٨١/٢) وأحمد (٣١٣/٥) والطيالسي (٥٨٤) وابن حبان (٣٠١/٦) والبيهقي (٢٢١/٨) ، (٢٢٢) وابن جرير (٨٨١٠) وابن الجارود (٣٧١ ، ٣٧٢) والطحاوي (٧٩/٢) وزاد السيوطي نسبه في الدر (٤٥٧/٢) لعبد الرزاق والنسائي والشافعي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس كلهم من حديث عبادة بن الصامت .

(*) وهي قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ الآية : ٢ .

أحدهما : الرجل والمرأة ، وهو قول الحسن ، وعطاء .
والثاني : البكران من الرجال والنساء ، وهو قول السدي ، وابن زيد .
وفي الأذى المأمور به ثلاثة أقاويل :
أحدها : التعبير والتوبيخ باللسان ، وهو قول قتادة ، والسدي ، ومجاهد .
والثاني : أنه التعبير باللسان ، والضرب بالنعال .
والثالث : أنه مجمل أخذ تفسيره في البكر من آية النور ، وفي الثيب من السنة .

فإن قيل كيف جاء ترتيب الأذى بعد الحبس ؟ ففيه جوابان :
أحدهما : أن هذه الآية نزلت قبل الأولى ، ثم أمر أن توضع في التلاوة بعدها ، فكان الأذى أولاً ، ثم الحبس ، ثم الجلد أو الرجم ، وهذا قول الحسن .
والثاني : أن الأذى في البكرين خاصة ، والحبس في الثيبين ، وهذا قول السدي .

ثم اختلف في نسخها على حسب الاختلاف في إجمالها وتفسيرها .
﴿ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ﴾ يعني تابا من الفاحشة وأصلحا دينهما ، فأعرضوا عنهما بالصفح والكف عن الأذى .

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْلَامَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ اختلف في المراد بالجهالة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن كل ذنب أصابه الإنسان فهو بجهالة ، وكل عاص عصي فهو جاهل ، وهو قول أبي العالية .

والثاني : يريد يعملون ذلك عمداً ، والجهالة العمد ، وهو قول الضحاك ، ومجاهد .

والثالث : الجهالة عمل السوء في الدنيا ، وهو قول عكرمة .

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات .

أحدها : ثم يتوبون في صحتهم قبل موتهم ، وقبل مرضهم ، وهذا قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : قبل معاينة ملك الموت ، وهو قول الضحاك ، وأبي مجلز .

والثالث : قبل الموت ، قال عكرمة : الدنيا كلها قريب .

وقد روى قتادة أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ » (٤٢٦) .

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : وهو قول الجمهور أنها نزلت في عُصَاة المسلمين .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، وهو قول الربيع .

(٤٢٦) رواية المؤلف هنا مرسله لكن الحديث في ابن جرير الطبري (٩٦/٩) عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله ﷺ قال فذكره وهو مرسل أيضاً .
ورواه الطبري (٩٦/٩) عن قتادة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال فذكره وهذا منقطع بين قتادة وعبادة كما قال الحافظ في تخريج الكشاف (ص ٤) ونسبه الحافظ فيه أيضاً لإسحاق بن راهويه وقد ورد الحديث مرفوعاً من حديث ابن عمر رواه أحمد (٦٦١٠) ، (٦٦٤٠٨) والترمذي (برقم ٣٥٣٧) وحسنه وابن ماجه (٤٢٥٣) والحاكم وصححه (٢٥٧/٤) ووافقه الذهبي ، وزاد ابن حجر في تخريج الكشاف نسبته للطبراني وأبي يعلى وقال وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف فيه لكن الشيخ أحمد شاكر صححه في المسند واعتمد توثيق عبد الرحمن بن ثابت .

وصحح الحديث ، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤٦٠/٢) للبيهقي في الشعب .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

فَسَوَّى بَيْنَ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ حَتَّى مَاتَ ، وَبَيْنَ مَنْ تَابَ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ وَهِيَ
[حَالَةٌ] يَعْرِفُهَا مَنْ حَضَرَهَا .

ويحتمل أن يكون عند المعاينة في حال يعلم بها وإن منع من الإخبار بها .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءٍ اتَّيَّمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا
كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا
مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ
مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِمَّنْ
النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ .

وسبب ذلك أن أهل المدينة في الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم عن زوجة ،
كان ابنه وقرابه أولى بها من غيره ومنها بنفسها ، فإن شاء نكحها كأبيه بالصدق
الأول ، وإن شاء زوجها وملك صداقها ، وإن شاء عضلها عن النكاح حتى تموت
فيرثها أو تفتدي منه نفسها بصداقها ، إلى أن توفي أبو قيس بن الأسلت (٤٢٧) عن
زوجته كبيشة بنت معن بن عاصم فأراد ابنه أن يتزوجها فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت

(٤٢٧) وهذا قول عكرمة رواه ابن جرير (١٠٦/٨) وزاد السيوطي في الدر (٤٦٣/٢) نسبته لابن
المنذر .

وقال الحافظ في الفتح (٢٤٧/٨) .

[وبإسناد حسن (أي روى الطبري) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لما توفي أبو قيس
ابن الأسلت أراد أبوه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم في الجاهلية فأنزل الله هذه الآية : ﴿يا أيها
الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا﴾] .

يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ، ولا أنا تركت فأنكح ، فنزلت هذه الآية .

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه خطاب لورثة الأزواج أن [لا] يمنعوهن من التزويج كما ذكرنا ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة .

والثاني : أنه خطاب للأزواج أن [لا] يعضلوا نساءهم بعد الطلاق ، كما كانت قريش تفعل في الجاهلية وهو قول ابن زيد .

والثالث : أنه خطاب للأزواج أن [لا] يحبسوا النساء كرهاً ليفتدين نفوسهن أو يمتن فيرثن الزوج ، وهذا قول قتادة ، والشعبي ، والضحاك .

والرابع : أنه خطاب للأولياء وهذا قول مجاهد .

﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴾ فيها ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الزنى ، وهو قول الحسن ، وأبي قلابة والسدي .

والثاني : أنها الشوز ، وهو قول ابن عباس ، وعائشة .

والثالث : أنها البذاء والأذى .

وقد روي عن مقسم في قراءة ابن مسعود « وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُفْحِشْنَ » .

﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ قال ابن عباس : يعني الولد الصالح .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ يعني أنهم قد ملكن الصداق ، وليس ملكنهن للصداق موقوفاً على التمسك بهن ، بل ذلك لهن مع إمساكنهن ، وفراقهن .

﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ظلماً بالبهتان .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

والثاني : أن ييهتها أن جعل ذلك ليسترجعه منها .

وإنما منع من ذلك مع الاستبدال بهن وإن كان ممنوعاً منه وإن لم يستبدل بهن أيضاً لِثَلَا يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَجُوزُ مَعَ اسْتِبْدَالِ غَيْرِهَا بِهَا أَنْ يَأْخُذَ مَا دَفَعَهُ إِلَيْهَا لِيُدْفَعَهُ إِلَى مَنْ اسْتَبْدَلَ بِهَا مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَمُومًا .

قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن (الإفضاء) الجماع ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أنه الخلوة ، وهو قول أبي حنيفة .

﴿ وَأَخْذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عقد النكاح الذي استحل به الفرج ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وهو قول الضحاك ، والسدي ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

والثالث : أنه ما رواه موسى بن عبيدة عن صعدة بن يسار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النِّسَاءَ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ ، وَمِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوْطِنَ فَرْشَكُمْ أَحَدًا وَلَا يَفْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » (٤٢٨) .

واختلف في ثبوت حكمها أو نسخه على قولين :

أحدهما : أنها محكمة ، لا يجوز له أن يتأخذ منها شيئاً مما أعطهاها سواء

(٤٢٨) أخرجه بهذا السياق ابن جرير (١١٩/٨) وسنده ضعيف من أجل موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف وقد ورد الحديث بإسناد آخر صححه الترمذي (برقم ١١٦٣) من حديث عمرو بن الأحوص الجشمي ومن حديث أبي مرة الرقاشي عن عمه رواه أحمد في المسند (٧٢/٥ - ٧٣) .

تنبيه : - وقع في نسخة المخطوطة عن صعدة بن يسار عن ابن عمر .

وهو خطأ وتصحيحه عن صدقة بن يسار عن ابن عمر والتصحيح من الطبري (١١٩/٨) والكافي الشافي للحافظ ابن حجر (ص ٤٠) وزاد الحافظ فيه نسبته لأبي يعلى والبراز .

كانت هي المريضة للطلاق أو هو ، وهو قول بكر بن عبد الله المزني .
والثاني : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ ، وهذا قول ابن زيد .
وقال أبو جعفر الطبري وغيره : حكمها ثابت إلا عند خوف النشوز فيجوز أن يفاديهما .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم كانوا يَحْلِفُونَ الآباء على نسائهم ، فجاء الإسلام بتحريم ذلك وعفا عما كان منهم في الجاهلية أن يؤاخذوا به إذا اجتنبوه في الإسلام ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة وعطاء ، وعكرمة .

والثاني : يعني لا تنكحوا كنكاح آبائكم في الجاهلية على الوجه الفاسد ، إلا ما سلف منكم في جاهليتكم فإنه معفو عنه إذا كان مما يجوز الإقرار عليه ، وهذا قول بعض التابعين .

والثالث : معناه : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز ، إلا ما قد سلف منهم بالزنى والسفاح ، فإن نكاحهن حلال لكم ، لأنهن لم يَكُنَّ حلالاً ، وإنما كان نكاحهن فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ، وهذا قول ابن زيد .

والرابع : إلا ما قد سلف فدعوه فإنكم تؤاخذون به ، قالوه وهذا من الاستثناء المنقطع ، ومنهم من جعله بمعنى لكن .

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا ﴾ والمقت شدة البغض لقبح مرتكبه ، ومنه قولهم قد مقته الناس إذا أبغضوه ، ورجل مقيت ، وكان يقال لولد الرجل من امرأة أبيه المقتي .

﴿ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ يعني طريقاً .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ
وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ

وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمّهَتْ نِسَائِكُمْ وَرَبَبِّكُمْ الَّتِي
 فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا
 دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ
 مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
 بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاعْتَوْهِنَّ
 أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ
 الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ فيه

أربعة أقاويل :

أحدها : والمحصنات من النساء يعني ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم
 بالسبي ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، وأبي قلابه ، والزهري ، ومكحول ، وابن
 زيد .

وقد روى عثمان البتي عن أبي خليل عن أبي سعيد الخدري قال (٤٢٩) : لما
 سبى رسول الله ﷺ أهل أوطاس ، قلنا : يا نبي الله كيف نفق على نساء قد عرفنا
 أنسابهن وأزواجهن ؟ قال : فنزلت هذه الآية ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ .

والثاني : أن المحصنات ذوات الأزواج حرام على غير أزواجهن إلا ما

(٤٢٩) رواه الطبري (١٥٣/٨) برقم (٨٩٦٩) ، (٨٩٧٠) وأحمد (١١٧١٤) والترمذي وحسنه

(٨٦/٤) كلهم من طريق عثمان البتي به وفي الحديث اختلاف في إسناده فراجع في الطبري

(١٥٣/٨ ، ١٥٤) وزاد السيوطي نسبته في الدر () للفرابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد

وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والطحاوي وابن حبان .

ملكتم أيمانكم من الإماء ، إذا اشتراها مشترٍ بطل نكاحها وحلت لمشتريها ويكون بيعها طلاقها ، وهذا قول ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وابن عباس في رواية عكرمة عنه وسعيد بن المسيب ، والحسن ، قال الحسن : طلاق الأمة يثبت نسبها ، وبيعها ، وعقها ، وهبتها ، وميراثها ، وطلاق زوجها .

الثالث : أن المحصنات من النساء العفائف إلا ما ملكتم أيمانكم بعقد النكاح ، أو ملك اليمين ، وهذا قول عمر ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، وعبيدة السلماني ، وعطاء ، والسدي .

والرابع : أن هذه الآية نزلت في نساء كُنَّ هَاجِرْنَ إلى رسول الله ﷺ ولهن أزواج ، فتزوجهن المسلمون ، ثم قدم أزواجهن مهاجرين ، فنهى المسلمون عن نكاحهن ، وهذا قول أبي سعيد الخدري .

وأصل الإحصان المنع ، ومنه حصن البلد ، لأنه يمنع من العدو ، ودرع حصينة أي منيعة ، وفرس حصان ، لأن صاحبه يمتنع به من الهلكة ، وامرأة حصان ، وهي العفيفة لأنها تمتنع من الفاحشة ، ومنه ﴿ وَمَرِيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم : ١٢] .

﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن معناه : حرم ذلك عليكم كتاباً من الله .

والثاني : معناه الزموا كتاب الله .

والثالث : أن كتاب الله قيم عليكم فيما تستحلونه وتحرمونه .

﴿ وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن معناه ما دون الخمس ، وهو قول السدي .

والثاني : ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم ، وهو قول عطاء .

والثالث : ما وراء ذلكم مما ملكتم أيمانكم ، وهو قول قتادة .

﴿ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴾ يعني أن تلتمسوا بأموالكم إما شراء بثلثين ، أو نكاحاً

بصدق .

﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ يعني متناكحين غير زانين ، وأصل السفاح صب الماء ، ومنه سَفَحَ الدمع إذا صَبَّهُ ، وَسَفَحَ الجبل أسفله لأنه مصب الماء فيه ، وَسَفَّاح الزنى لصب مائه حراماً .

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ أي آتوهن صدقاتهن معلومة ، وهذا قول مجاهد ، والحسن ، وأحد قولي ابن عباس .

والقول الثاني : أنها المتعة إلى أجل مسمى من غير نكاح ، قال ابن عباس كان في قراءة أبيّ : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ، وكان ابن عباس كذلك يقرأ ، وسعيد بن جبیر ، وهذا قول السدي ، وقال الحكم : قال عليّ : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي ، وهذا قول لا يثبت ، والمحكي عن ابن عباس خلافه ، وأنه تاب من المتعة وربما النقد .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه لا حرج عليكم أيها الأزواج إن أعسرتم بعد أن فرضتم لِنِسَائِكُمْ مهراً عن تراض أن ينقصنكم منه ويتركنكم ، وهذا قول سليمان بن المعتمر .

والثاني : لا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم أنتم والنساء اللواتي استمتعتم بهن إلى أجل مسمى ، إذا انقضى الأجل بينكم أن يزيدنكم في الأجل وتزيدوهن في الأجر قبل أن يستبرئن أرحاسهن ، وهذا قول السدي .

والثالث : لا جناح عليكم فيما تراضيتم به ودفعتموه أن يعود إليكم عن تراض ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : كان عليماً بالأشياء قبل خلقها ، حكيماً في تقديره وتديره لها ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن القوم شاهدوا علماً وحكمة ف قيل لهم إن كان كذلك لم يزل ، وهذا قول سيويه .

والثالث : أن الخبر عن الماضي يقوم مقام الخبر عن المستقبل وهذا مذهب الكوفيين .

وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ
 مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ
 مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْنَ
 بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ
 خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ في الطول ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الغنى والسعة الموصلة إلى نكاح الحرّة ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وابن زيد ، والشافعي ، ومالك .

والقول الثاني : هو أن تكون تحته حرة ، وهو قول أبي حنيفة .

والقول الثالث : هو الهوى وهو أن يهوى أمةً فيجوز أن يتزوجها ، إن كان ذا يسار وكان تحته حرة ، وهذا قول جابر ، وابن مسعود ، والشعبي ، وربيعه ، وعطاء .

وأصل الطول الفضل والسعة ، لأن المعنى كالطول في أنه ينال به معالي الأمور ، ومنه قولهم ليس فيه طائل أي لا ينال به شيء من الفوائد ، فكان هو الأصح من تأويلاته .

واختلف في إيمان الأمة هل هو شرط في نكاحها عند عدم الطول على قولين :

أحدهما : أنه شرط لا يجوز نكاح الأمة إلا به ، وهو قول الشافعي .

والثاني : أنه ندب وليس بشرط ، فإن تزوج غير المؤمنة جاز ، وهو قول أبي حنيفة .

قوله تعالى : ﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ﴾ يعني بالمسافحة : المعلننة بالزنى .

﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ ﴾ هو أن تتخذ المرأة خدناً وصديقاً ولا تزني بغيره ، وقد كان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنى ، ويستحلون ما بطن ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا أَلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ .

﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ قرأ بفتح الألف حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم ، ومعنى ذلك أسلمن ، فيكون إحصانها ها هنا إسلامها ، وهذا قول ابن مسعود ، والشعبي ، وروى الزهري قال : جَلَدَ عمر ولاءد أبكاراً من ولاءد الإمارة في الزنى .

وقرأ الباقر بضم الألف ، ومعنى ذلك تزوجن ، فيكون إحصانها ها هنا تزويجها ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن .

﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ ﴾ يعني بها ها هنا الزنى .
﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ يعني نصف حد الحرة .
﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : الزنى ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن زيد ، وبه قال الشافعي .

والثاني : أن العنت الإثم .

والثالث : أنه الحد الذي يصيبه .

والرابع : هو الضرر الشديد في دين أو دنيا . وهو نحو قوله تعالى : ﴿ وَدُّوا مَا عَتَمُوا ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يعني الصبر عن نكاح الأمة لثلا يكون ولده عبداً .

يُرِيدُ اللَّهُ يُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم الزناة ، وهو قول الضحاك .

والثاني : أنهم اليهود والنصارى ، وهو قول السدي .

والثالث : كل متبع شهوة غير مباحة ، وهو قول ابن زيد .

قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ يخفف عنكم في نكاح الإماء ، وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً عن احتمال الصبر عن جماع النساء .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَغُلًّا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الزنى ، والقمار ، والبخس ، والظلم ، وهو قول السدي .

والثاني : العقود الفاسدة ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : إنه نهى أن يأكل الرجل طعام قري وأمر أن يأكله شري ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في سورة النور : ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ [النور: ٦١] إلى قوله : ﴿ أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ وهو قول الحسن ، وعكرمة .

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن التراضي هو أن يكون العقد ناجزاً بغير خيار ، وهو قول مالك ، وأبي حنيفة .

والثاني : هو أن يخير أحدهما صاحبه بعد العقد وقبل الافتراق ، وهو قول شريح ، وابن سيرين ، والشعبي .

وقد روى القاسم بن سليمان الحنفي عن أبيه عن ميمون بن مهران قال : قال رسول الله ﷺ : « الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ وَالْخِيَارُ بَعْدَ الصَّفَقَةِ وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَغْشَى مُسْلِمًا » (٤٣٠) .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني لا يقتل بعضكم بعضاً ، وهذا قول عطاء ، والسدي ، وإنما كان كذلك لأنهم أهل دين واحد فصاروا كنفس واحدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] .

والثاني : نهى أن يقتل الرجل نفسه في حال الغضب والضجر .

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ فيما توجه إليه هذا الوعيد بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه أكل المال بالباطل ، وقتل النفس بغير حق .

والثاني : أنه متوجه إلى كل ما نهى عنه من أول سورة النساء .

والثالث : أنه متوجه إلى قوله تعالى : ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩]

﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني تعدياً واستحلالاً .

والثاني : أنهما لفظتان متقاربتا المعنى فحسن الجمع بينهما مع اختلاف اللفظ تأكيداً .

(٤٣٠) رواه الطبري في تفسيره (٣٢١/٨ برقم ٩١٤٧) وهو مرسل لأن ميمون لم يدرك النبي ﷺ .

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ في الكبائر سبعة

أقاول :

أحدها : أنها كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين منها ، وهذا قول ابن مسعود في رواية مسروق ، وعلقمة ، وإبراهيم .

والثاني : أن الكبائر سبع : الإشراف بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وهذا قول عليّ ، وعمر بن عبد .

والثالث : أنها تسع : الإشراف بالله ، وقذف المحصنة ، وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، وأكل الربا ، وإلحاد بالبيت الحرام ، وهذا قول ابن عمر .

والرابع : أنها أربع : الإشراف بالله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من رَوْح الله ، والأمن من مكر الله ، وهذا قول ابن مسعود في رواية أبي الطفيل عنه .

والخامس : أنها كل ما أوعده الله عليه النار ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، والضحاك .

والسادس : السبعة المذكورة في المقالة الثانية وزادوا عليها الزنى ، والعقوق ، والسرقة ، وسب أبي بكر وعمر .

والسابع : أنها كل ما لا تصح معه الأعمال ، وهذا قول زيد بن أسلم .

﴿ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ يعني من الصغائر إذا اجتنبتم الكبائر ، فأما مع ارتكاب الكبائر ، فإنه يعاقب على الكبائر والصغائر .

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : هو قول الإنسان ليت ما لفلان لي ، ويجوز أن يقول ليت مثله

لي ، ومن قال بهذا اختلفوا في النهي هل هو تحريم أم أدب ، فقال الفراء هو أدب ، وقال غيره هو تحريم .

والقول الثاني : وهو الأشهر - أنها نزلت في نساء تمنين كالرجال في فضلهم ومالهم ، فروى عكرمة أنها نزلت في أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وروى ابن أبي نجيج عن مجاهد عن أم سلمة قالت (٤٣١) : قلت يا رسول الله تغزو الرجال ولا تغزو ، وإنما لنا نصف الميراث ، فنزلت : ﴿ وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ .

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ من الثواب على طاعة الله والعقاب على معصيته ، وللنساء نصيب مثل ذلك ، يعني أن للمرأة بالحسنة عشر أمثالها كالرجل ، وهو قول قتادة .

والثاني : أن معنى ذلك للرجال نصيب مما اكتسبوا من ميراث موتاهم ، وللنساء نصيب منه ، لأن أهل الجاهلية لم يكونوا يورثون النساء ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فيه قولان :

(٤٣١) رواه الطبري برقم (٩٢٣٦ ، ٩٢٣٧ ، ٩٢٤١) وأحمد (٣٢٢/٦) والترمذي (٨٨/٤) والحاكم (٣٠٥/٢ - ٣٠٦) والواحدي في أسباب النزول (ص ١١٠) وعبد الرزاق كما قال الشيخ أحمد شاكر (٢٦٢/٨) تفسير الطبري .

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٠٧/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن مردويه .

وقد أعل الحديث بأن مجاهد أرسله عن أم سلمة . قال الترمذي رحمه الله « هذا حديث مرسل رواه بعضهم عن ابن أبي نجيج عن مجاهد مرسل أن أم سلمة قالت كذا وكذا . . . » وقال الحاكم بعد روايته عن مجاهد عن أم سلمة هذا حديث على شرط الشيخين إن كان سمع من مجاهد عن أم سلمة ووافقه الذهبي على التصحيح .

فالجواب : إن مجاهد أدرك أم سلمة وعاصرها فإنه ولد سنة ٢١ وماتت أم سلمة بعد سنة ستين على الصحيح والمعاصرة تحمل على الاتصال ما لم يكن الراوي مدلساً ومن زعم أن مجاهد مدلساً فقد أخطأ فقد روى الحافظ رحمه الله في الفتح (٩٤/٦) على من اتهم مجاهد بالتدليس وقال : « ليس بمدلس » وكذا في التهذيب (٨٤/١٠) قال الشيخ محمود شاكر بعد بحث موسع في هذا الموضوع عند تفسير الطبري : « فثبت عندنا اتصال الحديث والحمد لله » (٢٦٣/٨) .

أحدهما : إن احتجتم إلى مال غيركم فاسألوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله ولا تتمنوا مال غيركم .

والثاني : العبادة التي تكسب الثواب في الآخرة ، قال رسول الله ﷺ : « إَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ أَنْتِظَارُ الْفَرَجِ » (٤٣٢) .

« إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » أنه قَسَمَ الأرزاق على ما علم وشاء فينبغي أن ترضوا بما قسم وتسالوه من فضله غير متأسفين لغيركم في عطية . والنهي تحريم عند أكثر العلماء ، لأنه ليس لأحد أن يقول : ليت مال فلان لي ، وإنما يقول ليت مثله لي .

(٤٣٢) رواه الطبري (٢٦٨/٨) برقم (٩٢٥٧) وابن مردويه كما نقله ابن كثير (٤٨٨/١) من طريق وكيع عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل لم يسم قال : قال رسول الله : الحديث وهذا سند ضعيف جداً لضعف حكيم بن جبير الأسدي تكلموا فيه قال أحمد : ضعيف مضطرب الحديث وقال أبو حاتم ضعيف الحديث منكر الحديث له رأي غير محمود نسأل الله السلامة غال في التشيع بل كذبه الجوزجاني رحمه الله ولهذا قال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة على الحديث ضعيف جداً (رقم ٤٩٤) .

ورواه ابن مردويه كما نقله ابن كثير (٤٨٨/١) من حديث قيس بن الربيع عن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله الحديث . وهذا سند ضعيف أيضاً فقيس فيه كلام ، وقد روى الحديث الترمذي في كتاب الدعوات (رقم ٥١٤) . من طريق بشر بن معاذ العقدي عن حماد بن واقد عن إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود .

وهذا سند ضعيف أيضاً لضعف حماد بن واقد قال الترمذي بعد روايته للحديث « هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث وحماد بن واقد ليس بالحافظ وروى أبو نعيم هذا الحديث عن إسرائيل عن حكيم عن جبير عن رجل عن النبي ﷺ وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح » .

قلت : يشير الترمذي إلى الحديث الأول المتقدم وقد عرف ما فيه . قال الشيخ الألباني عن حديث حكيم تقييماً على كلام الترمذي (٤٩٩/١) الضعيفة [وإذا كان الأصح أن الحديث حديثه فهو ضعيف جداً] والحديث رمز له السيوطي بالصحة في الجامع فتعقبه المناوي قائلاً : « وليس كما قال ففيه حماد بن واقد » .

قال الترمذي نفسه ليس بالحافظ ، وقال الحافظ العراقي ضعفه ابن معين وغيره ثم نقل المناوي عن ابن حجر تحسينه للحديث فقال : « وقصاري جهده - أي الحديث - أن ابن حجر حسنه » (١٠٨/٤) الفيض .

قلت : - وقد حسنه تبعاً للحافظ أيضاً عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول (١٦٦/٤) من حديث ابن مسعود المتقدم إلا أن هناك خطأ مطبعياً فقد نسب الحديث هناك (١٦٦/٤) لأبي مسعود البدي والصحيح أنه ابن مسعود الأنصاري البدي أيضاً فقد شهد ابن مسعود بداراً .

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلَّذِينَ عَقَدَتْ
 أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾
 قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ وفي
 الموالى قولان :

أحدهما : أنهم العصبه ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن
 زيد .

والثاني : هم الورثة ، وهو قول السدي ، وهو أشبه بقوله تعالى : ﴿ فَهَبْ لِي
 مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ﴾ قال الفضل بن عباس :

مهلاً بني عمن مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفوناً (٤٣٣)
 ﴿ وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ ﴾ هي مفاعلة من عقد
 الحلف ، ومعناه : والذين عاقدت أيمانكم وأيمانهم بالحلف بينكم وبينهم ، فاتوهم
 نصيبهم .

وفي المراد بهذه المعاقدة وبالنصيب المستحق خمسة أقاويل :
 أحدها : أن حلفهم في الجاهلية كانوا يتوارثون به في الإسلام ثم نسخ ذلك
 بقوله تعالى في الأنفال : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال : ٧٥]
 وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة .

والثاني : أنها نزلت في الذين آخى بينهم النبي ﷺ ، من المهاجرين
 والأنصار ، فكان بعضهم يرث بعضاً بتلك المؤاخاة بهذه الآية ، ثم نسخها ما تقدم
 من قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ [النساء : ٣٣] ،
 وهذا قول سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، وابن زيد .

والثالث : أنها نزلت في أهل العقد بالحلف ولكنهم أمروا أن يؤتوا بعضهم

(٤٣٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٢٥) ، الكامل (١/١٢٥) ، الحماسة (١/١٢١) اللسان مادة
 ولى وقد أورد الطبري (٨/٢٧٠) الشطر الثاني .
 [لا تظهر لنا] بدلاً من لا تنبشوا بيننا .

(*) وهي قراءة حفص عن عاصم وحمزة والكسائي زاد المسير (السبعة لابن مجاهد) ص (

بعضاً من النصرة والنصيحة والمشورة والوصية دون الميت ، وهذا قول مجاهد ، وعطاء ، والسدي . وقال رسول الله ﷺ وقد سأله قيس بن عاصم عن الحلف فقال : « لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَا كَانَ مِنْ حِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمْ يُرِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً » (٤٣٤) .

والرابع : أنها نزلت في الذين يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية ، فَأُمِرُوا فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يوصوا لهم عند الموت بوصية ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

والخامس : أنها نزلت في قوم جعل لهم نصيب من الوصية ، ثم هلكوا فذهب نصيبهم بهلاكهم ، فَأُمِرُوا أَنْ يَدْفَعُوا نصيبهم إِلَى ورثتهم ، وهذا قول الحسن البصري .

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا ضَلَّحْتُ قَدِ نَسِيتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ إِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ يعني أهل قيام على نسائهم ، في تأديبهن ، والأخذ على أيديهن ، فيما أوجب الله لهم عليهن .

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ يعني في العقل والرأي .

﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ يعني به الصداق والقيام بالكفاية . وقد روى

(٤٣٤) هذا اللفظ كله رواه الطبري عن أم سلمة برقم (٩٢٩٣) وعن ابن عباس مرفوعاً برقم (٩٢٨٩) ، (٩٢٩٠) وصححه الطبري ص (٢٨١/٨) ورواه أحمد أيضاً (٢٩١١ ، ٣٠٤٦) وأبو يعلى كما في المجمع (١٧٣/٨) ونسبه السيوطي في الدر (٥١٢/٢) لعبد بن حميد وأما حديث قيس بن عاصم فلفظه « لا حلف في الإسلام ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية » .

وقد رواه الطبري برقم (٩٢٩١ ، ٩٢٩٢) والطيالسي برقم (١٠٨٤) وأحمد (٦١/٥) وفيه عند الطبري تقديم وتأخير في الكلام .

جرير بن حازم عن الحسن أن سبب ذلك أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص ، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص فنزلت : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [طه : ١١٤] ونزلت ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ، وكان الزهري يقول : ليس بين الرجل وامرأته قصاص فيما دون النفس .

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ يعني المستقيمات الدين العاملات بالخير ، والقانتات يعني المطيعات لله ولأزواجهن .

﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ يعني حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن ، ولما أوجبه الله من حقه عليهن .

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني يحفظ الله لهن إذ صيرهن كذلك ، وهو قول عطاء .

والثاني : بما أوجبه الله على أزواجهن من مهرهن ونفقتهن حتى صرن بها محفوظات ، وهذا قول الزجاج .

وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال (٤٣٥) : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ النِّسَاءِ امْرَأَةٌ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي مَالِهَا وَنَفْسِهَا » قال ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ إلى آخر الآية .

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ في ﴿ تَخَافُونَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه العلم ، فعبر عنه بالخوف ، كما قال الشاعر :

ولا تدفني بالفلاة فإنني
يعني فإنني أعلم
أخاف إذا ما ميت أن لا أدوقها (٤٣٦)

(٤٣٥) رواه الطبري (برقم ٩٣٢٨) واللفظ له والحاكم (١٦١/٢) .

وقال صحيح على شرط مسلم والطيالسي برقم (٣٠٦) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥١٤/٢)

لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن .

(٤٣٦) هو أبو محجن الثقفي انظر معاني القرآن (١٤٦/١ ، ٢٦٥) وأورده الطبري (٢٩٨/٨) .

ولا تدفني في الفلاة بدلاً من « بالفلاة »

والتأويل الثاني : أنه الظن ، كما قال الشاعر (٤٣٧).

أتاني عن نصر كلام يقوله وما خفت يا سلام أنك عائبي
وهو أن يستر على نشوزها بما تبديه من سوء فعلها .

والنشوز : هو معصية الزوج والامتناع من طاعته بغضاً وكرهاة - وأصل
النشوز : الارتفاع ، ومنه قيل للمكان المرتفع من الأرض نشز ، فسميت الممتنعة
عن زوجها ناشراً لبعدها منه وارتفاعها عنه .

﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَآضِرْبُوهُنَّ ﴾ أما وعظها فهو أن
يأمرها بتقوى الله وطاعته ، ويخوفها استحقاق الوعيد في معصيته وما أباحه الله تعالى
من ضربها عند مخالفته . وفي المراد بقوله : ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾
خمسة أقاويل :

أحدها : ألا يجامعها ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أن لا يكلمها ويوليها ظهره في المضجع ، وهو قول الضحاك ،
والسدي .

والثالث : أن يهجر فراشها ومضاجعتها وهو قول الضحاك ، والسدي .

والرابع : يعني وقولوا لهن في المضجع هُجراً ، وهو الإغلاظ في القول ،
وهذا قول عكرمة ، والحسن .

والخامس : هو أن يربطها بالهजार وهو جبل يربط به البعير ليقرها على
الجماع ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

واستدل برواية ابن المبارك عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال (٤٣٨) :

(٤٣٧) هو أبو الغول الطهوي وقد سبق تخريج هذا البيت ص

(٤٣٨) رواه ابن جرير (٣١٠/٨) برقم (٩٣٧٤) وفيه زيادة في آخره وهي : « إلا عاجل عليها » وأحمد
مطولاً ومختصراً (٤٤٦/٤ ، ٤٤٧) وأبو داود برقم (٢١٤٢ ، ٢١٤٤) .

وابن ماجه بنحوه (١٨٥) والبيهقي (٢٩٥/٧ ، ٣٠٥) مطولاً ومختصراً وهذا الحديث جيد الإسناد
من أجل نسخة بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقد احتج بها كثير من العلماء .

قلت يا رسول الله نساؤنا ما تأتي منها وما نذر؟ قال : « حَرَّتْكَ فَأَتِ حَرَّتْكَ أَنْتَى
شِئْتَ غَيْرَ إِلَّا تَضْرِبَ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحَ وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ ، وَأَطْعِمَ إِذَا طَعِمْتَ
وَأَكْسَ إِذَا اكْتَسَيْتَ ، كَيْفَ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ » ، وليس في هذا الخبر
دليل على تأويله دون غيره .

وأصل الهجر : الترك على قلى ، والهجر : القبيح من القول لأنه مهجور .
﴿ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾ فجعل الله تعالى معاقبتها على النشوز ثلاثة أشياء : وَعَظُّهَا
وَهَجْرُهَا وَضَرْبُهَا . وفي تربيتها إذا نشزت قولان :

أحدهما : أنه إذا خاف نشوزها وعظها وهجرها ، فإن أقامت عليه ضربها .
والثاني : أنه إذا خاف نشوزها وعظها ، فإذا أبدت النشوز هجرها ، فإن
أقامت عليه ضربها ، وهو الأظهر من قول الشافعي .

والذي أبيح له من الضرب ما كان تأديباً يزرعها به عن النشوز غير مبرح ولا
منهك ، روى بشر عن عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ : « اضْرِبُوهُنَّ إِذَا عَصَيْنَكُمْ
فِي الْمَعْرُوفِ ضَرْباً غَيْرَ مُبْرِحٍ » (٤٣٩) .

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ يعني أطعنكم في المضجع
والمباشرة . ﴿ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ فيه تأويلان :
أحدهما : لا تطلبوا لهن الأذى .

والثاني : هو أن يقول لها لست تحبينني وأنت تعصيني ، فيصيرها على ذلك
وإن كانت مطيعة : قال سفيان : إذا فعلت ذلك لا يكلفها أن تحبه لأن قلبها ليس
في يدها .

وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ
يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿ وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ يعني مشاقة كل واحد منهما من صاحبه ، وهو
إتيان ما يشق عليه من أمور أما من المرأة فنشوزها عنه وترك ما لزمها من حقه ، وأما

من الزوج فعدوله عن إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، والشقاق مصدر من قول القائل شاق فلان فلاناً إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه بما يشق عليه ، وقيل لأنه قد صار في شق بالعداوة والمباعدة .

﴿ فَابْتَغُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ وفي المأمور بإيفاد الحكّمين ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه السلطان إذا تراجع إليه الزوجان ، وهو قول سعيد بن جبير ، والضحاك .

والثاني : الزوجان ، وهو قول السدي .

والثالث : أحد الزوجين وإن لم يجتمعا .

﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا ﴾ يعني الحكّمين .

﴿ يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يوفق الله بين الحكّمين في الصلاح بين الزوجين .

والثاني : يوفق الله بينهما بين الزوجين بإصلاح الحكّمين ، والحكمين للإصلاح .

وفي الفرقة إذا رأياها صلاحاً من غير إذن الزوجين قولان :

أحدهما : ليس ذلك إليها لأن الطلاق إلى الزوج .

والثاني : لهما ذلك لأن الحكم مشتق من الحكم فصار كالحاكم بما يراه صلاحاً .

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ معناه واستوصوا بالوالدين إحساناً .

﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ هم قرابة النسب من ذوي الأرحام .

﴿وَالْيَتَامَى﴾ جمع يتيم وهو من مات أبوه ولم يبلغ الحلم .

﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ جمع مسكين وهو الذي قد ركبته ذل الفاقة والحاجة فيتمسكن لذلك .

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ فيه قولان :

أحدهما : بمعنى ذي القرابة والرحم وهم الذين بينك وبينهم قرابة نسب ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : يعني الجار ذي القربى بالإسلام .

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الجار البعيد في نسبه الذي ليس بينك وبينه قرابة ، وهو قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أنه المشرك البعيد في دينه .

والجنب في كلام العرب هو البعيد ، ومنه سُمي الجنب لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل ، قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة :

أتيت حُرَيْثًا زائراً عن جنابةٍ فكان حريث في عطائي جامداً (٤٤٠)

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الرفيق في السفر ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنها زوجة الرجل التي تكون في جنبه ، وهو قول ابن مسعود .

والثالث : أنه الذي يلزمك ويصحبك رجاء نفكك ، وهو قول ابن زيد .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كُلُّ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا مَسْئُولٌ عَنْ صَحَابَتِهِ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » (٤٤١) .

(٤٤٠) ديوانه (٤٩) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٢٦) .

(٤٤١) جزء من حديث في نهاية قصة .

وروى عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ » (٤٤٢).

﴿ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المسافر المجتاز مَرَّاً ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : هو الذي يريد سفراً ولا يجد نفقة ، وهذا قول الشافعي .

والثالث : أنه الضعيف ، وهو قول الضحاک .

والسبيل الطريق ، ثم قيل لصاحب الطريق ابن السبيل ، كما قيل لطير الماء

ابن ماء . قال الشاعر :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الراس ابن ماءٍ مُلْحَقُ (٤٤٣)

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ يعني المملوكين ، فأضاف الملك إلى اليمين لاختصاصها بالتصرف كما يقال تكلم فُوك ، ومشت رجلُك .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ المختال : من كان ذا خيلاء ،

مفتعل من قولك : خَالَ الرجل يَخُولُ خِيلاءً ، وخَالاً ، قال العجاج :

والخال ثوب من ثياب الجهال (والدهرُ فيه غَفْلَةٌ للغفال) (٤٤٤)

والفخور : المفتخر على عباد الله بما أنعم الله عليه من آلائه وبسط عليه من

رزقه .

= رواه ابن جرير (برقم ٩٤٨٢) وإسناده هكذا : قال ابن جرير : حدثنا سهل بن موسى الرازي قال : حدثني ابن أبي فديك عن فلان بن عبد الله عن الثقة عنده أن رسول الله ﷺ قال الحديث .

وهذا الحديث مرسل ضعيف لجهالة من روى عنهم ابن أبي فديك وقد أحسن المؤلف صنعاً بتصديره بصيغة التمریض المشعرة بضعف الحديث .

(٤٤٢) رواه الترمذي برقم (١٩٤٤) وقال : حسن غريب ، وصححه الشيخ شاکر في تخريج الترمذي

والحاكم في المستدرک (١٦٤/٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأحمد (٦٥٦٦)

والطبري برقم (٣٤٨٣) وابن حبان في صحيحه وابن خزيمة كما في الترغيب والترهيب .

لكن نقل المنذري أن الحاكم صححه على شرط مسلم فلي نظر .

وزاد السيوطي في الدر (٥٣٢/٢) نسبته للبخاري في الأدب .

تنبيه : - وقع في نسخة المخطوطة ابن عمر وهذا خطأ والصحيح ابن عمرو .

(٤٤٣) هو ذو الرمة قاله في وصف طائر .

(٤٤٤) ديوانه (٨٦) واللسان مادة [خيل] .

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءَآتِهِمْ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ
 الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنها نزلت في اليهود، بخلوا بما عندهم من التوراة من نبوة محمد ﷺ وكنموه وأمروا الناس بكنمته . ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَاءَ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني نبوة محمد ﷺ ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : يبخلون بالإنفاق في طاعة الله عز وجل ويأمرون الناس بذلك ، وهو قول طاووس ، والبخل أن يبخل بما في يديه ، والشح أن يشح على ما في أيدي الناس يحب أن يكون له .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، وهو قول مجاهد .

والثاني : هم المنافقون ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ القرين هو صاحب الموافق ،

كما قال عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مُقتدي (٤٤٥)

وأصل القرين من الأقران ، والقرن بالكسر المماثل لأقرانه في الصفة ،

والقرن بالفتح : أهل العصر لاقرانهم في الزمان ، ومنه قرن البهيمة لاقرانه بمثله .

وفي المراد يكون قريناً للشيطان قولان :

(٤٤٥) ديوانه في شعراء الجاهلية (٤٦٦) .

أحدهما : أنه مصاحبه في أفعاله .

والثاني : أن الشيطان يقترن به في النار .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أصل المِثْقَال الثقل ، والمِثْقَال مقدار الشيء في الثقل . والذرة : قال ابن عباس هي دودة حمراء ، قال يزيد بن هارون : زعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن .

قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ وشهيد كل أمة نبيها ، وفي المراد بشهادته عليها قولان :

أحدهما : أن يشهد على كل أمة بأنه بلغها ما تقوم به الحجة عليها ، وهو قول ابن مسعود وابن جريج ، والسدي .

والثاني : أن يشهد عليها بعملها ، وهو قول بعض البصريين .

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ يعني رسول الله ﷺ في الشهادة على أمته ، روى ابن مسعود أنه قرأ على رسول الله : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ففاضت عيناه ﷺ (٤٤٦) .

قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الذين تمنوه من تسوية الأرض بهم ، أن يجعلهم مثلها ، كما

(٤٤٦) رواه البخاري (٨١/٩) فتح ، وأحمد (٣٦٠٦ ، ٤١١٨) من طريق الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود ، قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (ص ٧٧) « وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش وله طرق يطول بسطها » . وزاد السيوطي في الدر (٥٤١/٢) نسبته لعبد ابن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل .

قال تعالى في موضع آخر ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ [النبا: ٤٠].

والثاني : أنهم تمنوا لو انفتحت لهم الأرض فصاروا في بطنها .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ
وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا
تَقُولُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : سكارى من الخمر ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، وقد روى عطاء
ابن السائب عن عبد الله بن حبيب^(٤٤٧) : أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً
وشرباً ودعا نفرًا من أصحاب النبي ﷺ فأكلوا وشربوا حتى ثملوا ، ثم قدّموا عمر
فصلى بهم المغرب فقرا : ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ أعبدوا ما تعبّدون وأنتم عابِدُونَ
مَا أُعْبَدُ وَأَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴾ فأنزل الله تعالى هذه الآية
﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ .

والقول الثاني : وأنتم سكارى من النوم ، وهو قول الضحاك ، وأصل
السُّكْر : السُّكْر ، وهو سد مجرى الماء ، فالسُّكْر من الشراب يسد طريق المعرفة .

فإن قيل فكيف يجوز نهى السكران ، ففيه جوابان :

أحدهما : أنه قد يكون سكران من غير أن يخرج إلى حد لا يحتمل معه
الأمر .

والثاني : أنه نهى عن التعرض للسكر وعليه صلاة .

﴿ وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾ فيه قولان :

(٤٤٧) رواه الطبري (٣٧٦/٨ برقم ٩٥٢٥) لكن فيه [فقدموا علياً] بدلاً من [عمر] وقد توسع الحافظ
ابن حجر في طرق هذا الحديث في تخريج تفسير الكشاف للزمخشري فانظره هناك (ص).

أحدهما : أراد سبيل المسافر إذا كان جنباً لا يصلي حتى يتيمم ، وهذا قول ابن عباس في رواية أبي مجلز عنه ، ومجاهد ، والحكم ، وابن زيد .
والثاني : لا يقرب الجنب مواضع الصلاة من المساجد إلا ماراً مجتازاً ، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك ، وابن يسار عنه ، وهو قول جابر ، والحسن ، والزهرري ، والنخعي .

﴿ وَإِنْ كُنتُمْ مَّرْضَىٰ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما انطلق عليه اسم المرض من مستضرّ بالماء وغير مستضرّ ، وهذا قول داود بن علي .

الثاني : ما استضر فيه باستعمال الماء دون ما لم يستضر ، وهذا قول مالك ، وأحد قولي الشافعي .

والثالث : ما خيف من استعمال الماء فيه التلف دون ما لم يُخف ، وهو القول الثاني من قولي الشافعي .

﴿ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما انطلق عليه اسم السفر من قليل وكثير ، وهو قول داود .
والثاني : مسافة يوم وليلة فصاعداً ، وهو قول مالك ، والشافعي رحمهما الله .
والثالث : مسافة ثلاثة أيام ، وهو مذهب أبي حنيفة .

﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ هو الموضع المطمئن من الأرض كان الإنسان يأتيه لحاجته ، فكفى به عن الخارج مجازاً ، ثم كثر استعماله حتى صار كالحقيقة ، والدليل على أن الغائط حقيقة في اسم المكان دون الخارج ، قول الشاعر :

أما أتاك عني الحديث إذ أنا بالغائط أستغيث

وصحت في الغائط يا خبيث

﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ فيه قراءتان :

إحداهما : ﴿ لَمَسْتُمْ ﴾ بغير ألف ، قرأ بها حمزة والكسائي .

والأخرى : ﴿لَمْسْتُمْ﴾ ، وهي قراءة الباقي .

وفي هذه الملامسة قولان :

أحدهما : الجماع ، وهو قول عليّ ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : أن الملامسة باليد والإفضاء ببعض الجسد ، وهو قول ابن مسعود ، وابن عمر ، وعبيدة ، والنخعي ، والشعبي ، وعطاء ، وابن سيرين ، وبه قال الشافعي .

وفي اختلاف القراءتين في ﴿لَمْسْتُمْ﴾ أو ﴿لَامْسْتُمْ﴾ قولان :

أحدهما : أن ﴿لَامْسْتُمْ﴾ أبلغ من ﴿لَمْسْتُمْ﴾ .

والثاني : أن ﴿لَامْسْتُمْ﴾ يقتضي وجوب الوضوء على اللامس والملمس .

﴿وَلَمْسْتُمْ﴾ يقتضي وجوبه على اللامس دون الملموس .

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه التعبد والتحري ، وهو قول سفيان .

والثاني : أنه القصد ، وذكر أنها في قراءة ابن مسعود : فأتوا صعيداً طيباً .

وفي الصعيد أربعة أقاويل :

أحدها : أنها الأرض الملساء التي لا نبات فيها ولا غراس ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها الأرض المستوية ، وهو قول ابن زيد .

والثالث : هو التراب ، وهو قول عليّ ، وابن مسعود ، والشافعي .

والرابع : أنه وجه الأرض ذات التراب والغبار ، ومنه قول ذي الرمة :

كأنه بالضحي ترمي الصعيد به دَبَابَةٌ في عظام الرأس خُرْطُومٌ^(٤٤٨)

وفي قوله تعالى : ﴿طَيِّباً﴾ أربعة أقاويل :

أحدها : حلالاً ، وهو قول سفيان .

والثاني : طاهراً ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

والثالث : تراب الحرث ، وهو قول ابن عباس .

والرابع : أنه مكان حَدَرٍ غير بَطْحٍ ، وهو قول ابن جريج .
﴿ فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ .

فالوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في غسل الوضوء .
فأما مسح اليدين ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : الكفان إلى الزندين دون الذراعين ، وهو قول عمار بن ياسر ،
ومكحول ، وبه قال مالك في أحد قوليهِ ، والشافعي في القديم .
والثاني : الذراعان مع المرفقين ، وهو قول ابن عمر ، والحسن ،
والشعبي ، وسالم بن عبد الله ، والشافعي في الجديد .
والثالث : إلى المنكبين والإبطين ، وهو قول الزهري ، وحكي نحوه عن أبي
بكر .

واختلفوا في جواز التيمم في الجنابة على قولين :

أحدهما : يجوز ، وهو قول الجمهور .

والثاني : لا يجوز وهو قول عمر ، وابن مسعود ، والنخعي .

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : نزلت في قوم من الصحابة أصابتهم جراح ، وهذا قول النخعي .

والثاني : أنها نزلت في إعواز الماء في السفر ، وهو قول عائشة رضي الله

عنها .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا
السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ
غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

فَلِيلًا ﴿٤٦﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ ﴾
فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم قد صاروا لجحودهم صفة رسول الله ﷺ كمشتري الضلالة بالهدى .

والثاني : أنهم كانوا يعطون أخبارهم أموالهم على ما كانوا يصنعونه من التكذيب بالرسول ﷺ .

والثالث : أنهم كانوا يأخذون الرشا ، وقد روى ثابت البناني عن أنس بن مالك : أن النبي ﷺ لعن الراشي ، والمرتشي ، والرائش ، وهو المتوسط بينهما (٤٤٩) .

قوله تعالى : ﴿ ... وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه : اسمع لا سمعت ، وهو قول ابن عباس ، وابن زيد .

والثاني : أنه غير مقبول منك ، وهو قول الحسن ، ومجاهد .

﴿ وَرَاعِنَا لِيَا بِالسِّيْتِهِمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن هذه الكلمة كانت سباً في لغتهم ، فأطلع الله نبيه عليها فنهاهم

عنها .

والثاني : أنها كانت تجري مجرى الهُزء .

والثالث : أنها كانت تخرج مخرج الكبير .

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلُ أَن

(٤٤٩) لم أهدئ إلى تخريجه من حديث أنس ولكن الحديث ورد من حديث ثوبان وعائشة وعبد الله بن عمرو ، وعبد الرحمن بن عوف وأم سلمة ، وساقصتر على تخريجه من رواية ابن عمرو فقد أخرجه الترمذي (٢٥٠/١) وابن ماجه (٢٣١٣) والحاكم (١٠٢/٢ ، ١٠٣) وصححه ووافقه الذهبي وأحمد (١٦٤/٢ ، ١٩٠) ، (١٩٤ ، ٢٠٢) والطبائسي (٢٢٧٦) والبيهقي من طريقه (١٣٨/١٠ - ١٣٩) وقال الترمذي « حسن صحيح » ولفظ الحديث « لعنة الله على الراشي والمرتشي » وهذا لفظ ابن ماجه .

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٤٣/٣) « رواه الطبراني بإسناد جيد » .

نَطْمِسْ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأْيُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يعني اليهود والنصارى .

﴿ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ يعني القرآن .

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني كتبكم .

﴿ مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسْ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن طمس الوجوه هو محو آثارها حتى تصير كالأقفاة ونجعل عيونها في أفقائها حتى تمشي القهقري ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أن نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها ، أي في ضلالها ذمًا لها بأنها لا تصلح أبدًا ، وهذا قول الحسن ، والضحاك ، ومجاهد ، وابن أبي نجيح ، والسدي .

﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ أي نمسخهم قردة ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، والسدي .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾
 أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْرَوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجْدَلَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مِنْ يَشَاءُ ﴾ يعني اليهود في تركيتهم أنفسهم أربعة أقاويل :

أحدها : قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، وهذا قول قتادة ، والحسن .

والثاني : تقديمهم أطفالهم لإمامتهم زعماً منهم أنه لا ذنوب لهم ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة .

والثالث : هو قولهم إن أبناءنا يستغفرون لنا ويزكوننا ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : هو تزكية بعضهم لبعض لينالوا به شيئاً من الدنيا ، وهذا قول ابن مسعود .

﴿ وَلَا يَظْلُمُونَ فَيَلًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أي الفتيل الذي في شق النواة ، وهو قول عطاء ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وأحد قولي ابن عباس . قال الحسن : الفتيل ما في بطن النواة ، والنقير ما في ظهرها ، والقطمير قشرها .

والثاني : أنه ما انفتل بين الأصابع من الوسخ ، وهذا قول السدي ، وأحد قولي ابن عباس .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما ، وهذا قول عكرمة .

والثاني : أن الجبت : الأصنام ، والطاغوت : تراجمة الأصنام ، وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أن الجبت السحر ، والطاغوت : الشيطان ، وهذا قول عمر (٤٥٠)، ومجاهد .

والرابع : أن الجبت الساحر ، والطاغوت الكاهن ، وهذا قول سعيد بن جبير (٤٥١) .

والخامس : أن الجبت حُيي بن أخطب ، والطاغوت كعب بن الأشرف ، وهو قول الضحاك .

(٤٥٠) تقدم تخريج قول عمر رضي الله تعالى عنه عند قوله تعالى :

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ ... الآية .

(٤٥١) تقدم تخريجه ص

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى
 مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ
 مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
 قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ وفي
 النقيير ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الذي يكون في ظهر النواة ، وهذا قول ابن عباس ، وعطاء ،
 والضحاك .

والثاني : أنه الذي يكون في وسط النواة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنه نقر الرجل الشيء بطرف إبهامه ، وهو رواية أبي العالية عن ابن
 عباس .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني
 اليهود .

وفي الناس الذين عناهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم العرب ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنه محمد ﷺ خاصة ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ،
 والضحاك ، والسدي ، وعكرمة .

والثالث : أنهم النبي ﷺ وأصحابه ، وهو قول بعض المتأخرين .

وفي الفضل المحسود عليه قولان :

أحدهما : النبوة ، حسدوا العرب على أن كانت فيهم ، وهو قول الحسن ،
 وقتادة .

والثاني : أنه إباحته للنبي ﷺ نكاح من شاء من النساء من غير عدد(*) ، وهو
 قول ابن عباس ، والضحاك ، والسدي .

(*) وهذا قبل نزول آية الأحزاب ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن أزواج ﴾ راجع القرطبي
 (٢٥٢/٥) .

﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ في الملك العظيم أربعة أقاويل :

أحدها : أنه ملك سليمان بن داود ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : النبوة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : ما أُيِّدوا به من الملائكة والجنود ، وهو قول همام بن الحارث .

والرابع : ما أباحه الله لداود وسليمان من النساء من غير عدد ، حتى نكح داود تسعاً وتسعين امرأة ، ونكح سليمان مائة امرأة ، وهذا قول السدي .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا فَضَّجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا
غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ إلى قوله :
﴿ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ فإن قيل وكيف يجوز أن يُبدلوا جلوداً غير جلودهم التي كانت
لهم في الدنيا فيعذبوا فيها ؟ ولو جاز ذلك لجاز أن يُبدلوا أجساماً ، وأرواحاً ، غير
أجسامهم وأرواحهم التي كانت في الدنيا ، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون المعذبون
في الآخرة بالنار غير الذين وعدهم الله في الدنيا على كفرهم بالعذاب بالنار .
وقد أجاب أهل العلم عنه بثلاثة أجوبة :

أحدها : أن ألم العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذي هو غير الجلد
واللحم ، وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب ، فأما الجلد واللحم
فلا يألمان فسواء أعيد على الكافر جلده الذي كان عليه وجلدٌ غيره .

والجواب الثاني : أنه تُعاد تلك الجلود الأولى جديدة [غير (*)] محترقة .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

والجواب الثالث : أن الجلود المُعَادَةَ إنما هي سراويلهم من قبل أن جعلت لهم لباساً ، فسامها الله جلوداً ، وأنكر قائل هذا القول أن تكون الجلود تحترق وتعاد غير محترقة ، لأن في حال احتراقها إلى حال إعادتها فناءها ، وفي فنائها راحتها ، وقد أخبر الله تعالى : أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم العذاب .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨)

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ في المعنى بذلك أربعة أقاويل :

أحدها : أنه عَنِ وِلَاةِ أمور المسلمين ، وهذا قول شهر بن حوشب ، ومكحول ، وزيد بن أسلم .

والثاني : أنه أمر السلطان أن يعظ النساء ، وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنه خُوطِبَ بذلك النبي ﷺ في عثمان بن أبي طلحة ، أن يرد عليه مفاتيح الكعبة ، وهذا قول ابن جريج .

والرابع : أنه في كل مُؤْتَمَنِ على شيء ، وهذا قول أبي بن كعب ، والحسن ، وقتادة . وقد روى قتادة عن الحسن أن النبي ﷺ قال : « أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » (٤٥٢)

(٤٥٢) رواه الطبري (٤٩٣/٨) هكذا مرسلًا وكذا نقله السيوطي في الدر (٥٧٢/٢) ولم ينسبه إلى غيره .

وقد نقله ابن كثير في التفسير (٤٢٠/٢) قال : « وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال . . . ثم ذكره .

ثم قال رواه الإمام أحمد وأهل السنن .

وعلى هذا القول ملاحظات : فإن الإمام أحمد وأهل السنن لم يرووه عن الحسن عن سمرة بعد البحث والتتبع إنما هو في مسند أحمد من حديث رجل لم يُسَمَّ .

ولو ثبت أن الحسن رواه عن سمرة فإن الحسن مدلس وقد عنعنه فتبقى العلة كما هي التدليس وقد نقل السخاوي في المقاصد (ص ٣١) أن الحارث بن أبي أسامة . رواه من طريقة الحسن عن أبي هريرة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .
يعني أطيعوا الله في أوامره ونواهيه ، وأطيعوا الرسول .

روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ
أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَا اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَا أَمِيرِي فَقَدْ
عَصَانِي » (٤٥٣) .

وفي طاعة الرسول قولان :

أحدهما : اتباع سنته ، وهو قول عطاء .

والثاني : وأطيعوا الرسول إن كان حياً ، وهو قول ابن زيد .

وفي أولي الأمر أربعة أقاويل :

أحدها : هم الأمراء ، وهو قول ابن عباس ، وأبي هريرة (٤٥٤) ، والسدي ،

وابن زيد .

وقد روى هشام عن عروة عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
« سَبِيلِكُمْ بَعْدِي وُلَاةٌ ، فَيَلِيْكُمُ الْبِرُّ بِبِرِّهِ ، وَيَلِيْكُمُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ ، فَاسْمَعُوا لَهُمْ
وَأَطِيعُوا فِي كُلِّ مَا وَافَقَ الْحَقُّ ، وَصَلُّوا وَرَاءَهُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ ، وَإِنْ
أَسَاءُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ » (٤٥٥) .

= وقد ذكر البيهقي في السنن حديث الحسن فقال : « روي - يعني الحديث - عن الحسن عن النبي وهو
منقطع (٢٧١/١٠) السنن ، فأصبح الآن ورود الحديث من ثلاث طرق : الحسن عن النبي مرسلًا -
الحسن عن سمرة مرفوعًا - الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا .

(٤٥٣) رواه أحمد في المسند برقم (٧٣٣٠ ، ٧٤٢٨ ، ٧٦٤٣) والبخاري (٩٩/١٣) ومسلم (رقم
١٨٣٥) والنسائي ١٥٤/٧ والطبري (٤٩٥/٥) من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة
مرفوعاً .

(٤٥٤) وقول أبي هريرة أخرجه الطبري بإسناد صحيح صححه الحافظ في الفتح (٢٥٤/٨) .

(٤٥٥) رواه الطبري (٥٠٢/٨) وسنده ضعيف جداً .

واختلف قائلو هذا القول في سبب نزولها في الأمراء ، فقال ابن عباس :
نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إذ بعثه رسول الله ﷺ في سرية .
وقال السدي : نزلت في عمار بن ياسر ، وخالد بن الوليد حين بعثهما رسول
الله ﷺ في سرية .

والقول الثاني : هم العلماء والفقهاء ، وهو قول جابر بن عبد الله ،
والحسن ، وعطاء ، وأبي العالية .

والثالث : هم أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو قول مجاهد^(٤٥٦) .

والرابع : هم أبو بكر وعمر ، وهو قول عكرمة .

وطاعة وُلاة الأمر تلزم في طاعة الله دون معصيته ، وهي طاعة يجوز أن
تنزل ، لجواز معصيتهم ، ولا يجوز أن تنزل طاعة رسول الله ﷺ ، لامتناع
معصيته .

وقد روى نافع عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الطَّاعَةَ
فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا طَاعَةَ »^(٤٥٧) .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ قال
مجاهد ، وقتادة : يعني إلى كتاب الله وسنة رسوله .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ فيه ثلاثة
تأويلات :

أحدها : أَحْمَدُ عَاقِبَةً ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، وابن زيد .

= ففيه عبد الله بن محمد بن عروة وهو عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير المدني ، قال أبو
حاتم متروك الحديث ضعيف جداً .

وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقات .
تنبيه : - في نسخة المخطوطة وقع عن هشام بن عروة عن أبي صالح عن أبي هريرة والصحيح
عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة ...
الحديث .

(٤٥٦) وقول مجاهد هذا أخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح وصححه الحافظ في الفتح (٢٥٤/٨) .

(٤٥٧) رواه الطبري (٥٠٣/٨) واللفظ له . وينحوه البخاري (٨٢/٦ ، ١٣/١٠٩) الفتح ومسلم
(٨٦/٦) وأحمد برقم (٤٦٦٨ ، ٦٢٧٨) ونسبه السيوطي في الدرر (٥٧٦/٢) لابن أبي شيبة .

والثاني : أظهر حقاً وأبين صواباً ، وهو معنى قول مجاهد .
والثالث : أحسن من تأويلكم الذي لا يرجع إلى أصل ولا يفضي إلى حق ،
وهذا قول الزجاج .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ
اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ
يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ
اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ
قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾
اختلف فيمن نزلت هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في رجل من المنافقين ورجل من اليهود كان بينهما
خصومة ، فقال اليهودي : أحاكمك إلى أهل دينك لأنني أعلم أنهم لا يقبلون
الرشوة ، وقال المنافق : أحاكمك إلى اليهود منهم كعب بن الأشرف ، لأنه علم
أنهم يقبلون الرشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهيته ، فأنزل الله فيهما
هذه الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني المنافق
﴿ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يعني اليهودي . ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾
يعني الكاهن ، وهذا قول الشعبي ومجاهد .

والثاني : أنها نزلت في رجلين من بني النضير وبني قريظة ، وكانت بنو

قريظة في الجاهلية إذا قتلت رجلاً من بني النضير أقادوا من القاتل ، وكانت بنو النضير في الجاهلية إذا قتلت رجلاً من بني قريظة لم تُقد من القاتل وأعطوا ديتة ستين وَسَقاً من تمر ، فلما أسلم ناس من بني قريظة وبني النضير ، قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة فتحاكموا إلى النبي ﷺ ، فقال النَّضِيرِيُّ لرسول الله : إنا كنا في الجاهلية نعطيهم الدية ستين وَسَقاً من تمر ، فنحن نعطيهم اليوم ذلك ، وقالت بنو قريظة : نحن إخوان في النسب والدين وإنما كان ذلك عليه الجاهلية وقد جاء الإسلام ، فأنزل الله تعالى يعيرهم بما فعلوا ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] ، ثم ذكر قول بني النضير ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ثم أَخَذَ النَّضِيرِيُّ فقتله بالقرطي ، فتفاخرت النضير وقريظة ودخلوا المدينة ، فتحاكموا إلى أبي بردة الأسلمي الكاهن ، فأنزل الله في ذلك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ٦٠] يعني في الحال ، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني حين كانوا يهوداً . ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يعني أبا بردة الأسلمي الكاهن ، وهذا قول السدي .

قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ الآية في سبب نزولها قولان : أحدهما : أن عمر قتل منافقاً لم يرض بحكم رسول الله ﷺ ، فجاء إخوانه من المنافقين يطالبون بدمه ، وحلفوا بالله أننا ما أردنا في المطالبة بدمه إلا إحساناً إلى النساء ، وما يوافق الحق في أمرنا .

والثاني : أن المنافقين بعد القَوْدِ من صاحبهم اعتذروا إلى رسول الله ﷺ في محاكمتهم إلى غيره بأن قالوا ما أردنا في عدولنا عنك إلا توفيقاً بين الخصوم وإحساناً بالتقريب في الحكم دون الحمل على مَرِّ الحق ، فنزلت هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني من النفاق الذي يضمرونه .

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ وفي الجمع بين الإعراض والوعظ مع تنافي اجتماعهما في الظاهر - ثلاثة أوجه :

أحدها : أعرض عنهم بالعداوة لهم وعظهم فيما بدا منهم .

والثاني : أعرض عن عقابهم وعظهم .

والثالث : أعرض عن قبول الأعذار منهم وعظهم .

﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن يقول لهم : إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلكم ، فإنه يبلغ من نفوسهم (*) كل مبلغ ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن يجرهم عما هم عليه بأبلغ الزواجر .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾

ومعنى ﴿ شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي وقع بينهم من المشاجرة وهي المنازعة والاختلاف ، سُمِّيَ ذلك مشاجرة ، لتداخل بعض الكلام كتداخل الشجر بالتفافها .

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ ﴾ وفي الحرج تأويلان :

أحدهما : يعني شكاً وهو قول مجاهد .

والثاني : يعني إثماً ، وهو قول الضحاك .

واختلف في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في المنافق واليهودي اللذين احتكما إلى الطاغوت ،

وهذا قول مجاهد ، والشعبي .

والثاني : أنها نزلت في الزبير ورجل من الأنصار قد شهد بدرًا ، تخصما إلى

رسول الله ﷺ في شراج من الحرّة كانا يسقيان به نخلاً ، فقال رسول الله ﷺ :

« أَسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ » فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله

آن كان ابن عمك ، فَتَلَوْنَ وجه رسول الله ﷺ حتى عرف أن قد ساءه ، ثم قال يا

(*) وفي نسخة للمخطوطة : نفوسكم .

زبير : « أَحْسِبِ الْمَاءَ إِلَى الْجُدْرِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثُمَّ خَلَّ سَبِيلَ الْمَاءِ » (٤٥٨) فنزلت هذه الآية ، وهذا قول عبد الله بن الزبير ، وعروة ، وأم سلمة .

وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تِنَّهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ أما الصِّدِّيقُونَ فهو جمع صديق ، وهم أتباع الأنبياء .

وفي تسمية الصديق قولان :

أحدهما : أنه فِعْلٌ من الصَّدَقَ .

والثاني : أنه فِعْلٌ من الصَّدَقَةِ . وأما الشهداء فجمع شهيد ، وهو المقتول في سبيل الله تعالى .

وفي تسمية الشهيد قولان :

أحدهما : لقيامه بشهادة الحق ، حتى قتل في سبيل الله .

والثاني : لأنه يشهد كرامة الله تعالى في الآخرة . ويشهد على العباد بأعمالهم يوم القيامة إذا ختم له بالقتل في سبيل الله .

(٤٥٨) رواه الطبري (٥١٩/٨ برقم ٩٩١٢) والنسائي (٣٠٨/٢ - ٣٠٩) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٥٢٠/١) والإسماعيلي كما نقله الحافظ في الفتح (٢٦/٥) وبنحوه البخاري (٢٦/٥ - ٢٨) ومسلم (٢٢١/٢) وأبو داود (٣٦٣٧) والترمذي (٢٨٩/٢ ، ٢٩٠) وابن ماجه (٢٤٨٠) وابن حبان رقم (٢٣)

من طريق الليث بن سعد عن الزهري عن عروة عن عبد الله بن الزبير .

وأما الصالحون فجمع صالح وفيه قولان :

أحدهما : أنه كل من صلح عمله .

والثاني : هو كل من صلحت سريرته وعلايته .

وأما الرفيق ففيه قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الرفق في العمل .

والثاني : أنه مأخوذ من الرفق في السير .

وسبب نزول هذه الآية على ما حكاه الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والربيع والسدي أن ناساً توهّموا أنهم لا يرون الأنبياء في الجنة لأنهم في أعلى عليين ، وحزنوا وسألوا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾
وَأَنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْبِطَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ
مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْسَ لِي بِشَيْءٍ مِّنْكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَاتِلْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني احذروا عدوكم .

والثاني : معناه خذوا سلاحكم فسماه حذراً لأنه به يتقي الحذر .

﴿ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ والثبات : جمع ثبة ، والثبة العُصبة ، ومنه

قول زهير :

لقد أغدو على ثبة كرام . . . نشاوى واجدين لما نشاء (٤٥٩)

فيكون معنى الآية فانفروا عُصَباً وِفِرْقاً أو جميعاً .

قوله تعالى : ﴿ فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾
يعني يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ، فعبّر عن البيع بالشراء .

﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ فإن
قيل فالوعد من الله تعالى على القتال فكيف جعل على القتل أو الغلبة ؟ قيل لأن
القتال يفضي غالباً إلى القتل فصار الوعد على القتال وعداً على من يفضي إليه ،
والقتال على ما يستحقه من الوعد عليه إذا أفضى إلى القتل والغلبة أعظم ، وهكذا
أخبر .

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ
كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ هي مكة في
قول جميع المفسرين ، لما كانوا عليه ، كما أخبر الله به عنهم ، من استضعاف
الرجال والنساء والولدان وإفтанهم عن دينهم بالعذاب والأذى .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ
الْفِتْنَالِ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كُتِبَ عَلَيْنَا الْفِتْنَالُ لَوْلَا أَخَرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ
لِّمَنِ انْقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَنِيلاً ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا

هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالٌ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾
 مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا
 وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
 الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ
 خَشْيَةً ﴾ فيمن نزلت هذه الآية فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في ناس من الصحابة استأذنوا النبي ﷺ بمكة في قتال
 المشركين فلم يأذن لهم ، فلما كُتِبَ عليهم القتال وهم بالمدينة قال فريق منهم ما
 ذكره الله عنهم ، وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، وهو قول بعض البصريين .

والثالث : أنها نزلت في اليهود .

والرابع : أنها من صفة المؤمن لما طُبِعَ عليه البشر من المخافة ، وهذا قول
 الحسن .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ في البروج
 ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها القصور ، وهو قول مجاهد ، وابن جريج .

والثاني : أنها قصور في السماء بأعيانها (*) تسمى بهذا الاسم ، وهو قول
 السدي ، والربيع .

والثالث : أنها البيوت التي في الحصون وهو قول بعض البصريين .

وأصل البروج الظهور ، ومنه تبرز المرأة إذا أظهرت نفسها .

وفي المُشِيدَةِ ثلاثة أقاويل :

أحدها : المخصصة ، والشيد الحص ، وهذا قول بعض البصريين .

(*) وفي نسخة للمخطوطة : معينة .

والثاني : أن المُشِيدَ المطول في الارتفاع ، يقال شاد الرجل بناءه وأشاده إذا رفعه ، ومنه أشدت بذكر الرجل إذا رَفَعَتْ منه ، وهذا قول الزجاج .

والثالث : أن المُشِيدَ ، بالتشديد : المُطَوَّلُ ، وبالتخفيف : المَجْصُصُ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ في القائلين ذلك قولان :

أحدهما : أنهم المنافقون ، وهو قول الحسن .

والثاني : اليهود ، وهو قول الزجاج .

وفي الحسنة والسيئة ها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : البؤس والرخاء .

والثاني : الخصب والجذب ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : النصر والهزيمة ، وهو قول الحسن ، وابن زيد .

وفي قوله : ﴿ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أي بسوء تدبيرك ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : يعنون بالشؤم الذي لحقنا منك على جهة التطيير به ، وهذا قول

الزجاج ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ [الأعراف : ١٣١] .

قوله تعالى :

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾

اختلف في المراد بهذا الخطاب على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الخطاب متوجه إلى النبي ﷺ وهو المراد به .

والثاني : أنه متوجه إلى النبي ﷺ والمراد به غيره ، وهو قول الزجاج .

والثالث : أنه متوجه إلى الإنسان ، وتقديره : ما أصابك أيها الإنسان من

حسنة فمن الله ، وهذا قول قتادة .

وفي الحسنة والسيئة ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الحسنة النعمة في الدين والدنيا ، والسيئة المصيبة في الدين

والدنيا ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : أن الحسنه ما أصابه يوم بدر ، والسيئه ما أصابه يوم أحد من شج رأسه وكسر ربايعته ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والثالث: أن الحسنه الطاعة ، والسيئه المعصية ، وهذا قول أبي العالية .

قوله تعالى : ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ قولان :

أحدهما : يعني فبذنبك .

والثاني : فبفعلك .

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ وإنما كانت طاعة الله لأنها موافقة لأمر(*) الله تعالى .

﴿ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني حافظاً لهم من المعاصي حتى لا تقع منهم .

والثاني : حافظاً لأعمالهم التي يقع الجزاء عليها فتخاف ألا تقوم بها ، فإن الله تعالى هو المجازي عليها .

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ يعني المنافقين ، أي أمرنا طاعة .

﴿ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ والتبیت كل عمل

دُبِّر ليلاً ، قال عبيد بن همام :

أتوني فلم أرض ما بيّتوا وكانوا أتوني بأمر نُكِرَ (٤٦٠)
لأنكح أيّمهم منذراً وهل يُنكح العبدُ حرّاً لحرّاً

(*) وفي نسخة : لارادة .

(٤٦٠) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣٣/١) والكامل (٣٥/٢)

واللسان مادة [نكر] .

وفي تسمية العمل بالليل بيانا قولان :

أحدهما : لأن الليل وقت المبيت .

والثاني : لأنه وقت البيوت .

وفي المراد بقوله تعالى : ﴿ يَتَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ قولان :

أحدهما : أنها غيّرت ما أضمرت من الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : معناه فدبرت(*) غير الذي تقول على جهة التكذيب ، وهذا قول

الحسن .

﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يكتبه في اللوح المحفوظ ليجازيهم(**) عليه .

والثاني : يكتبه بأن ينزله إليك في الكتاب ، وهذا قول الزجاج .

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ
وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٢﴾

قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ أصل التدبر الدبور(***) ، لأنه النظر

في عواقب الأمور .

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ في الاختلاف ها هنا

ثلاثة أقاويل :

أحدها : تناقض من جهة حق وباطل ، وهذا قول قتادة ، وابن زيد .

(*) وفي نسخة : قدّرت .

(**) وفي نسخة : ليجازوا به .

(***) هكذا بالأصول ويبدو أن صوابها الدبر ودبر الشيء آخره وعقبه فالمتدبر للقرآن ينظر في آخر أمره وما ينتهي إليه من عواقب .

والثاني : من جهة بليغ ومرذول ، وهو قول بعض البصريين .
والثالث : يعني اختلافاً في الأخبار عما يُسرُّون ، وهذا قول الزجاج .
قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ ﴾ في المعنى بهذا قولان :

أحدهما : المنافقون ، وهو قول ابن زيد والضحاك .
والثاني : أنهم ضعفة المسلمين ، وهو قول الحسن ، والزجاج .
﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ وفيهم ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنهم الأمراء ، وهذا قول ابن زيد ، والسدي .
والثاني : هم أمراء السرايا .
والثالث : هم أهل العلم والفقه ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وابن جريج ،
وابن نجيب ، والزجاج .
﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أولو الأمر .
والثاني : أنهم المنافقون أو ضعفة المسلمين المقصودون بأول الآية ، ومعنى يستنبطونه : أي يستخرجونه ، مأخوذ من استنباط الماء ، ومنه سُمِّيَ النبط لاستنباطهم العيون .
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ في فضل الله ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني النبي ﷺ .
والثاني : القرآن .
والثالث : اللطف والتوفيق .
وفي قوله تعالى : ﴿ لَا تَبِعُوا الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أربعة أقاويل :
أحدها : يعني لا تتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم فإنه لم يكن يتبع الشيطان .
والثاني : لعلمه الذين يستنبطون إلا قليلاً منكم وهذا قول الحسن وقتادة .

والثالث : أذاعوا به إلا قليلاً ، وهذا قول ابن عباس ، وابن زيد .
والرابع : لا تبعث الشيطان إلا قليلاً مع الاتباع .

فَقِنْلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ
بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً
حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ
رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾

قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾ في الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة قولان :

أحدهما : أنه مسألة الإنسان في صاحبه أن يناله خير بمسأله أو شر بمسأله ،
وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أن الشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين ، والشفاعة السيئة الدعاء
عليهم ، لأن اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله عليه .
وفي الكفل تأويلان :

أحدهما : أنه الوزر والإثم ، وهو قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنه النصيب ، كما قال تعالى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾
[الحديد : ٢٨] وهو قول السدي ، والربيع ، وابن زيد .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني مقتدرًا ، وهو قول السدي ، وابن زيد .

والثاني : حفيظًا ، وهو قول ابن عباس ، والزجاج .

والثالث : شهيداً ، وهو قول مجاهد .

والرابع : حسيباً ، وهو قول ابن الحجاج ، ويحكي عن مجاهد أيضاً .

والخامس : مجازياً ، وأصل المقيت القوت ، فُسِّمِي به المقتدر لأنه قادر على إعطاء القوت ، ثم صار اسماً في كل مقتدر على كل شيء من قوت وغيره ، كما قال الزبير بن عبد المطلب :

وَذِي ضَعْفٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيْتاً
قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ في المراد بالتحية ها هنا قولان :

أحدهما : أنه الدعاء بطول الحياة .

والثاني : السلام تطوع مستحب ، ورده فرض ، وفيه قولان :

أحدهما : أن فرض رَدِّهِ عَامٌّ في المسلم والكافر ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : أنه خاص في المسلمين دون الكافر ، وهذا قول عطاء .

وقوله تعالى : ﴿ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ يعني الزيادة في الدعاء .

﴿ أَوْ رُدُّوْهَا ﴾ يعني بمثلها ، وروى الحسن أن رجلاً سَلَّمَ على رسول الله ﷺ فقال : السلام عليكم ، فقال رسول الله ﷺ : « وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقال النبي ﷺ : « وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي ﷺ : « وَعَلَيْكُمْ » فقيل : يا رسول الله رددت على الأول والثاني وقلت للثالث وعليكم ، فقال : « إِنَّ الْأَوَّلَ سَلَّمَ وَأَبْقَى مِنَ التَّحِيَّةِ شَيْئاً ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ بِأَحْسَنَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، كَذَلِكَ الثَّانِي ، وَإِنَّ الثَّالِثَ جَاءَ بِالتَّحِيَّةِ كُلِّهَا ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ » (٤٦١) .

(٤٦١) مرسل وقد رواه ابن جرير (٥٨٩/٨) من حديث سلمان بنحوه . وزاد السيوطي في الدر (١٨٨/٢) نسبته لأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وقال السيوطي « بسند حسن » لكن قال الهيثمي في المجمع (٣٣/٨) رواه الطبراني وفيه هشام بن لاحق قواه النسائي وترك أحمد حديثه وبقي رجاله رجال الصحيح .

وقد قال ابن عباس : ترد بأحسن منها على أهل الإسلام ، أو مثلها على أهل الكفر ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ بِالسَّلَامِ فَإِنْ بَدَأُوكُمْ فَقُولُوا : عَلَيْكُمْ » (٤٦٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيئًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني حفيظاً ، وهو قول مجاهد .

والثاني : محاسباً على العمل للجزاء عليه ، وهو قول بعض المتكلمين .

والثالث : كافياً ، وهو قول البلخي .

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وفي تسمية القيامة قولان :

أحدهما : لأن الناس يقومون فيه من قبورهم .

والثاني : لأنهم يقومون فيه للحساب .

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُوالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنْخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَتْلُوكُمْ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقَوَالِ لَكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ أَعْرَابِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا

(٤٦٢) فمن حديث أبي هريرة رواه مسلم برقم (٢١٦٧) ولفظه « لا تبدأ اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » ومن حديث أنس بلفظ « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم » رواه البخاري (٣٦/١١) ومسلم رقم (٢١٦٣) وأبو داود رقم (٥٢٠٧) والترمذي برقم (٣٢٩٦) .

مَارِدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا
 أَيْدِيَهُمْ فَخَذُوهُمْ وَأَقْلَبُوا أَعْيُنَهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ﴾ اختلف فيمن نزلت هذه الآية
 بسببه على خمسة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد ، وقالوا :
 لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، وهذا قول زيد بن ثابت .

والثاني : أنها نزلت في قوم قَدِمُوا المدينة فأظهروا الإسلام ، ثم رجعوا إلى
 مكة فأظهروا الشرك ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

والثالث : أنها نزلت في قوم أظهروا الإسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين
 على المسلمين ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والرابع : أنها نزلت في قوم من أهل المدينة أرادوا الخروج عنها نفاقاً ، وهذا
 قول السدي .

والخامس : أنها نزلت في قوم من أهل الإفك ، وهذا قول ابن زيد .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : معناه ردهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أوقعهم ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أهلكهم ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أضلَّهم ، وهذا قول السدي .

والخامس : نكسهم ، وهذا قول الزجاج .

﴿ أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن تُسَمُّوهم بالهدى وقد سَمَّاهم الله بالضلال عقوبة لهم .

والثاني : تهدوهم إلى الثواب بمدحهم والله قد أضلَّهم بدمهم .

﴿... إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي يدخلون في قوم بينكم وبينهم أمان فلهم منه مثل ما لكم .

قال عكرمة : نزلت في الهلال بن عويمر الأسلمي ، وسراقة بن مالك بن جُعْثَم ، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف .

قال الحسن : هؤلاء بنو مُدَلِج كان بينهم وبين قريش عهد ، وبين رسول الله ﷺ [وقريش] (*) عهد ، فحرم الله من بني مُدَلِج ما حَرَّمَ من قريش .

﴿أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معنى حصرت أي ضاقت ، ومنه حُصِرَ العدو وهو الضيق ، ومنه حصر العداة لأنهم قد ضاقت عليهم مذاهبهم .

ثم فيه قولان :

أحدهما : أنه إخبارٌ من الله عنهم بأن صدورهم حَصِرَتْ .

والثاني : أنه دعاء من الله عليهم بأن تُحَصِرَ صدورهم ، وهذا قول أبي العباس .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ وفي تسليطهم قولان :

أحدهما : بتقوية قلوبهم .

والثاني : بالإذن في القتال ليدافعوا عن أنفسهم .

﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الصلح ، وهو قول الربيع .

والثاني : الإسلام ، وهو قول الحسن .

﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ قال الحسن ، وقتادة ، وعكرمة : هي

منسوخة بقوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَّمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥] .

قوله تعالى : ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ هم

قوم يُظهِرُونَ لقومهم الموافقة ليأمنوهم ، وللمسلمين الإسلام ليأمنوهم ، وفيهم أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل مكة ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنهم من أهل تهامة ، وهذا قول قتادة .

والثالث : قوم من المنافقين ، وهذا قول الحسن .

والرابع : أنه نعيم بن مسعود الأشجعي ، وهذا قول السدي .

﴿ كُلُّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ﴾ أي كلما رُدُّوا إلى المحنة في إظهار

الكفر رجعوا فيه .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ اختلف فيمن نزلت

فيه هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وكان أخا أبي جهل

لأمه قتل الحارث بن زيد من بني عامر بن لؤي ، لأنه كان يعذب عياشاً مع أبي

جهل واختلف أين قتله ، فقال عكرمة ومجاهد : قتله بالحرّة بعد هجرته إلى المدينة

وهو لا يعلم بإسلامه ، وقال السدي : قتله يوم الفتح وقد خرج من مكة وهو لا يعلم

بإسلامه .

والقول الثاني : أنها نزلت في أبي الدرداء حين قتل رجلاً بالشعب فحمل عليه بالسيف^(٤٦٣) ، فقال : لا إله إلا الله ، فبدر فضربه ثم وجد في نفسه فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ، فقال رسول الله ﷺ : « أَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ » وهذا قول ابن زيد . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ يعني وما أُذِنَ الله لمؤمن أن يقتل مؤمناً .

ثم قال : ﴿ إِلَّا خَطَأً ﴾ يعني أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ وليس مما جعله الله له ، وهذا من الاستثناء الذي يسميه أهل العربية : الاستثناء المنقطع ، ومنه قول جرير :

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ على الأرض إلا ريط بُردٍ مرَّحَلٍ^(٤٦٤)
يعني ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد وليس البرد من الأرض .
﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ وفيها قولان :

أحدهما : أنها لا يجزىء عتقها في الكفارة إلا أن تكون مؤمنة بالغة قد صلت وصامت ، وهذا قول ابن عباس ، والشعبي ، والحسن ، وقتادة ، وإبراهيم .

والقول الثاني : أن الصغيرة المولودة من أبوين مسلمين تكون مؤمنة تجزىء في الكفارة ، وهذا قول عطاء ، والشافعي .

﴿ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ في الدية وجهان :

أحدهما : أنها مجملة أخذ ببيانها من رسول الله ﷺ .

والثاني : أنها معهودة تقدم العمل بها ثم توجه الخطاب إليها فجعل الله الرقبة تكفيراً للقاتل في ماله والدية بدلاً من نفس المقتول على عاقلته .

﴿ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أي إن كان قومه كفاراً وهو مؤمن ففي قتله تحرير رقبة مؤمنة وليس فيه دية ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد . قال ابن زيد : لا تؤدي إليهم لأنهم لا يتقوون بها .

(٤٦٣) رواه ابن جرير مطولاً (٣٤/٩) وهو كما ترى مرسل .

(٤٦٤) ديوانه (٤٥٧) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣٧/١)

والثاني : معناه فإن كان من قومٍ عدو لكم يعني أهل حرب إذا كان فيهم مؤمن فقتل من غير علم بإيمانه ففيه الكفارة دون الدية سواء كان وارثه مسلماً أو كافراً وهذا قول الشافعي ، ويكون معنى قوله : ﴿ من قوم إلى قوم ﴾ ، وعلى القول الأول هي مستعملة على حقيقتها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : هم أهل الذمة من أهل الكتاب ، وهو قول ابن عباس ، يجب في قتلهم الدية والكفارة .

والثاني : هم أهل عهد رسول الله ﷺ من العرب خاصة ، وهذا قول الحسن .

والثالث : هم كل من له أمان بذمة أو عهد فيجب في قتله الدية والكفارة ، وهو قول الشافعي .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ فيه قولان : أحدهما : أن الصوم بدل من الرقبة وحدها إذا عدها دون الدية ، وهذا قول الجمهور .

والثاني : أنه بدل من الرقبة والدية جميعاً عند عدها ، وهذا قول مسروق . قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ قال ابن جريج : نزلت في مقيس بن صبابه(*) ، وقد كان رجل من بني فهر قتل أخاه ، فأعطاه النبي ﷺ الدية وضربها على بني النجار ، فقبلها ، ثم بعث رسول الله ﷺ مقيس بن صبابه ومعه الفهري في حاجة فاحتمل مقيس الفهري وكان أيّداً(*) فضرب به الأرض ورضخ رأسه بين حجرين ثم ألقى يغني :

قتلت به فهراً وحملت عقله سراة بني النجار أرباب فارح

(*) وفي الطبري () ضبابه .

(*) يعني قوياً .

فقال رسول الله ﷺ : « أَظُنُّهُ أَحَدَثَ حَدَثًا ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ فَعَلَ لَا أُؤْمِنُهُ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَمٍ فَقُتِلَ عَامَ الْفَتْحِ » (٤٦٥).

وروى سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ... » الآية ، فقليل له : وإن تاب وآمن وعمل صالحاً . قال وأنتى له التوبة (٤٦٦) . قال زيد بن ثابت . فنزلت الشديدة بعد الهدنة بستة أشهر ، يعني قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ بعد قوله : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الفرقان : ٦٨] .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَكَلَهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ .

الآية . قيل إنها نزلت في رجل كانت معه غَنِيْمَاتٌ لقيته سرية لرسول الله ﷺ ، فقال لهم : السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فبدر إليه بعضهم فقتله ، فلما أتى رسول الله ﷺ قال له : « لِمَ قَتَلْتَهُ وَقَدْ أَسْلَمَ » قال إنما قالها تَعَوِّذًا ، قال : « هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ » ثم حمل رسول الله ﷺ ديته إلى أهله وردَّ عليهم غنمه (٤٦٣) .

(٤٦٥) رواه الطبري عنه عن عكرمة (٦١/٩) في التفسير وفي التاريخ (٦٦/٣) والمرفوع منه فيه زيادة لم يذكرها المؤلف هنا وهي لا أؤمنه في حل ولا حرم ولا سلم ولا حزب ، ونسبه السيوطي في الدر (٦٢٣/٢) لابن أبي حاتم من قول سعيد بن جبير .

(٤٦٦) رواه الطبري (٦٤/٩) مختصراً برواية المؤلف ومطولاً (٦٣/٩) ونسب السيوطي الرواية المطولة في الدر (٦٢٣/٢) لسعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن ماجه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والطبراني من طريق سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس .

(٤٦٧) رواه الطبري عن السدي (٧٨/٩) وينحوه عن قتادة (٧٩/٩) وهناك رواية عن سعيد بن جبير قال : خرج المقداد بن الأسود في سرية ... الحديث رواه الطبري (٨٠/٩) .

واختلف في قاتله على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه أسامة بن زيد ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه المقداد ، وهو قول سعيد بن جبير .

والثالث : أبو الدرداء ، وهو قول ابن زيد .

والرابع : عامر بن الأضبط الأشجعي ، وهو قول ابن عمر .

والخامس : هو محمّل بن جثامة الليثي . ويقال إن القاتل لفظته الأرض ثلاث

مرات ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْأَرْضَ لَتَقْبِلُ مَنْ هُوَ شَرُّ مَنْهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَلُهُ لَكُمْ عِبْرَةٌ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْحِجَارَةُ » (٤٦٨) .

﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي كفاراً مثلهم .

﴿ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني بالإسلام .

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ
الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ
قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً
فَنُهَاجُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ
عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

(٤٦٨) رواه الطبري مرفوعاً من حديث ابن عمر (٧٢/٩) ولفظه : « بعث النبي محمّل بن جثامة مبعثاً
فلقيهم عامر بن الأبطح ... الحديث .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاقِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ .

في المراقم خمسة تأويلات :

أحدها : أنه المتحوّل من أرض إلى أرض ، وهذا قول ابن عباس والضحاك . ومنه قول نابغة بني جعدة :

كطودٍ يُلاذ بأركانه . . . عزيز المراقم والمطلب^(٤٦٩)

والثاني : مطلب المعيشة ، وهو قول السدي ، ومنه قول الشاعر :

إلى بلدٍ غير داني المحل . . . بعيد المراقم والمطلب

والثالث : أن المراقم المهاجر ، وهو قول ابن زيد :

والرابع : يعني بالمراقم مندوحة(*) عما يكره .

والخامس : أن يجد ما يرغبهم به ، لأن كل من شخص عن قومه رغبة عنهم فقد أرغهم ، وهذا قول بعض البصريين . وأصل ذلك الرغم وهو الذل . والرغام : التراب لأنه ذليل ، والرغام بضم الراء ما يسيل من الأنف .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَعَةً ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : سعة في الرزق وهو قول ابن عباس .

والثاني : يعني من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى ، وهو قول

قتادة .

والثالث : سعة في إظهار الدين .

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ



الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَلَكُمُ عَدُوًّا مُّبِينًا

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي سرتهم ، لأنه يضرب الأرض

(٤٦٩) ديوانه (٢٢) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣٨/١) واللسان مادة (رغم) وفي هذه المصادر « عزيز

المراقم والمهرب » بدلاً من « والمطلب » وقد أورده الطبري هكذا موافقاً للمصادر .

(*) هكذا بالأصول وفي تفسير ابن عطية والقرطبي المترجح عما يكره .

برجله في سيره كضربه بيده ، ولذلك سُمِّيَ السفر في الأرض ضَرْباً .
﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
اختلف في هذا القصر المشروط بالخوف على قولين :

أحدهما : أنه قَصَرَ أركانها إذا خاف ، مع استيفاء أعدادها فيصلي عند المسايقة والتحام القتال كيف أمكنه قائماً وقاعداً ومومياً ، وهي مثل قوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه قصر أعدادها من أربع إلى ما دونها ، وفيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : أن هذا مشروط بالخوف من أربع إلى ركعتين ، فإن كان آمناً مقيماً لم يقصر ، وهذا قول سعد بن أبي وقاص ، وداد بن علي .

والثاني : أنه قَصَرَ اثنان ، فقصر الأمن من الأربع إلى ركعتين ، وقصر الخوف من ركعتين إلى ركعة ، وهذا قول جابر بن عبد الله والحسن . وقد روى مجاهد عن ابن عباس قال : فرض الله عز وجل على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة .

والثالث : أنه يقصر في سفر خائفاً وآمناً من أربع إلى ركعتين لا غير .
روي عن أبي أيوب عن علي عليه السلام قال (٤٧٠) : سأل قوم من التجار رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾
ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلاً شددتم عليهم ؟ فقال قائل منهم : إن لهم أخرى مثلها في أثرها ، فأنزل الله تعالى بين الصلاتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ إلى قوله : ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ فنزلت صلاة الخوف .

(٤٧٠) رواه ابن جرير (١٢٦/٩) وسنده ضعيف ففيه سيف بن عمر التميمي وهو متروك الحديث وفيه أيضاً عبد الله بن هاشم قال الشيخ محمود شاكر لم أجده له ترجمة ولا ذكراً وضعف الحديث في تخريج الطبري (١٢٦/٩) وقد ضعفه قبله الحافظ ابن كثير (٥٤٨/١) وقال هذا سياق غريب جداً لكن لبعضه شاهد من رواية ابن عباس الزرقني واسمه زيد بن الصامت .

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
 أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى
 لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا
 أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾
 وهذا خطاب للنبي ﷺ أن يصلي في الخوف بأصحابه .

واختلف أهل العلم فيه هل خص به النبي ﷺ ؟ على قولين :

أحدهما : أنه خاص له وليس لغيره من أمة أن يصلي في الخوف كصلاته ،
 لأن المشركين عزموا على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فأطلع الله نبيه
 على سرائرهم وأمره بالتحرز منهم ، فكان ذلك سبب إسلام خالد بن الوليد ،
 فلذلك صار هذا خاصاً للنبي ﷺ ، وهذا القول محكي عن أبي يوسف .

والقول الثاني : أن ذلك عام للنبي ﷺ ولغيره من أمة إذا كان على مثل حاله
 في خوفه ، لأن ذكر السبب الذي هو الخوف يوجب حمله عليه متى وجد كما فعل
 الصحابة بعده حين خافوا وهو قول الجمهور .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ يعني مع النبي ﷺ في الصلاة ،
 وطائفة بإزاء العدو .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المأمورين بأخذ السلاح هم الذين مع رسول الله ﷺ ، وهذا
 قول الشافعي .

والثاني : هم الذين بإزاء العدو يحرسون ، وهذا قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا ﴾ يعني فإذا سجدت الطائفة التي معك في الصلاة .

﴿ فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ ﴾ يعني بإزاء العدو .

واختلفوا في قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِكُمْ ﴾ هل ذلك بعد فراغهم من الصلاة وتمامها بالركعة التي أدركوها معه ؟ على قولين :

أحدهما : قد تمت بالركعة حتى يصلوا معها بعد فراغ الإمام ركعة أخرى ، وهذا قول من أوجب عليه الخوف ركعتين .

ومن قال بهذا اختلفوا هل يتمون الركعة الباقية عليهم قبل وقوفهم بإزاء العدو أو بعده ؟ على قولين :

أحدهما : قبل وقوفهم بإزاء العدو ، وهو قول الشافعي .

والثاني : بعده وهو قول أبي حنيفة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَسَاتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾ يريد الطائفة التي بإزاء العدو تأتي فتصلي مع رسول الله ﷺ الركعة التي بقيت عليه ، وتمضي الطائفة التي صلت فتقف موضعها بإزاء العدو . وإذا صلت مع النبي ﷺ الركعة الباقية عليه ففيه قولان :

أحدهما : أن ذلك فرضها وتسلم بسلامه ، وهذا قول من جعل فرضه في الخوف ركعة .

والقول الثاني : أن عليها ركعة أخرى ، وهذا قول من جعل فرضه في الخوف ركعتين كالأمن ، فعلى هذا متى تفارقه ؟ فعلى قولين :

أحدهما : قبل تشهده .

والثاني : بعده ، وقد روى القولين معاً سهل بن أبي حثمة عن النبي

ﷺ (٤٧١) .

(٤٧١) رواه البخاري (٣٢٩/٧) فتح (١٢٨/٦) وأحمد برقم (٤٤٨/٤) والبيهقي في السنن (٢٥٣/٣ ، ٢٥٤) والطبري رقم (١٠٣٤٦) وللحديث روايات أخرى عند سهل بن أبي حثمة أنظرها في الطبري (١٤٥/٩) .

وهل تتم ركعتها الباقية قبل وقوفها بإزاء العدو ؟ على قولين :

أحدهما : تتمها قبل الوقوف بإزائه ، وهو قول الشافعي .

والثاني : تقف بإزائه قبل إتمامها حتى إذا أتمت الطائفة الأولى ركعتها عادت

فوقفت بإزاء العدو ، ثم خرجت هذه فأتمت ركعتها ، وهذا قول أبي حنيفة .

وهذه الصلاة هي نحو صلاة النبي ﷺ بذات الرقاع .

فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا
أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا
(١٠٣) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا ﴾ يعني ذكر الله
بالتعظيم والتسبيح والتقديس بعد صلاته في خوفٍ وغيره : قال ابن عباس : لم يعذر
أحد في تركه إلا مغلوباً على عقله .

﴿ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني فإذا أقمتم بعد السفر فأتوا الصلاة من غير قصر ، وهذا قول
الحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : معناه فإذا أمنتكم بعد خوفكم فأتوا الركوع والسجود من غير إيماء
ولا مشي ، وهذا قول السدي .

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي فرضاً واجباً ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والثاني : يعني مؤقتة في أوقاتها ونجومها ، كلما مضى نجم جاء نجم ، وهو
قول ابن مسعود ، وزيد بن أسلم .

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾ أي لا تضعفوا في طلبهم لحربهم .

﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ أي ما أصابهم منكم فإنهم يألَمون به كما تألمون بما أصابكم منهم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ أي هذه زيادة لكم عليهم وفضيلة خُصِّصْتُمْ بها دونهم مع التساوي في الألم .
وفي هذا الرجاء اثنان من التأويلات :

أحدهما : معناه أنكم ترجون من نصر الله ما لا يرجون (*) .

والثاني : تخافون من الله ما لا يخافون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾ [نوح : ٣١] أي لا تخافون لله عظمة . ومنه قول الشاعر :

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا أسبعة لاقت معاً أم واحداً (٤٧٢)

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (١٠٨) هَاتِنْتُمْ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً (١١٢) وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ

(*) هكذا في الأصول ولم يذكر التأويل الثاني .

(٤٧٢) أنظر اللسان مادة [رجا] ومعاني القرآن للفراء (٢٨٦/١) .

والأضداد لابن الأنباري (٩) .

مَنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ
وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ
أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الكتاب حق .

والثاني : أن فيه ذكر الحق .

والثالث : أنك به أحق .

﴿ لِيَتَحَكَّمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بما أعلمك الله أنه حق .

والثاني : بما يؤدبك اجتهادك إليه أنه حق .

﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾ أي مخاصماً عنهم ، وهذه الآية نزلت في

طعمة بن أبيرق ، واختلف في سبب نزولها فيه ، فقال السدي : كان قد أودع درعاً
وطعاماً فجحدته ولم تقم عليه بينه ، فهم رسول الله ﷺ بالدفع عنه ، فبين الله تعالى
أمره .

وقال الحسن : إنه كان سرق درعاً وطعاماً فأنكره واتهم غيره وألقاه في منزله ،

وأعانه قوم من الأنصار ، وخاصم النبي ﷺ عنه أوهم بذلك ، فأنزل الله تعالى فيهم
هذه الآية إلى قوله : ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا ﴾ يعني الذي اتهمه السارق وألقى عليه
السرقة .

وقيل : إنه كان رجلاً من اليهود يقال له يزيد بن السمق .

وقيل : بل كان رجلاً من الأنصار يُقال له لبيد بن سهل .

وقيل : طعمة (*) بن أبيرق فارتد فنزلت فيه هذه الآية .

ولحق بمشركي أهل مكة فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ الآية [النساء : ١١٥] .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخْذَنَ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيتْهُمْ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلَيْبَتِكُنَّ إِذَا نَالَ الْأَنْعَمُ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلْيَغْرِتْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثَاءً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن الإناث اللات والعزى ومناة ، وهو قول السدي وابن زيد وأبي مالك .

والثاني : أنها الأوثان ، وكان في مصحف عائشة : ﴿ إِنْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثَاءً ﴾ .

والثالث : الملائكة ، لأنهم كانوا يزعمون أنهم بنات الله ، وهذا قول الضحاك .

(*) هكذا في الأصول وفي سيرة ابن هشام (١٧١/٢) والقرطبي (٣٧٥/٥ ، ٣٧٦) أبو طعمة .

والرابع : الموات الذي لا روح فيه ، لأن إناث كل شيء أرذله ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ ﴾ يعني الإيمان .
 ﴿ وَلَا مَنِيْنَهُمْ ﴾ يعني بطول الأمل في الدنيا ليؤثروها على الآخرة .
 ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَتَكَنَّ إِذَا نَ الْأَنْعَامِ ﴾ أي لِيَقْطَعْنَهَا نُسْكَاً لأوثانهم كالبحيرة والسائبة .

﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :
 أحدها : يعني دين الله ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، وإبراهيم .
 والثاني : أنه أراد به خصاء البهائم ، وهذا قول ابن عباس ، وأنس ، وعكرمة .

والثالث : أنه الوشم ، وهو قول ابن مسعود ، والحسن .
 قال ابن مسعود : « لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ
 وَالْمُتَمِصَّاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغْيِرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ » (٤٧٣) .

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزِيهِ ، وَلَا
 يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
 مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا
 ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
 إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ في الكلام مضمّر

(٤٧٣) قول ابن مسعود هذا مرفوعاً رواه البخاري (٣١٣/١٠ ، ٣١٤) ومسلم رقم (٣١٢٥) وأبو داود
 رقم (٤١٦٩) (الترمذي رقم (٢٧٨٣) والنسائي (١٤٦/٨ - ١٤٨) .

محذوف وتقديره ليس الثواب بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب، على قولين :

أحدهما : أنهم عبدة الأوثان ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنهم أهل الإسلام ، وهو قول مروق ، والسدي .

﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ السوء ما يسوء من القبائح ، وفيه ها هنا ثلاثة

أقاويل :

أحدها : أنه الشرك بالله تعالى ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : أنه الكبائر ، وهذا قول أبي بن كعب .

والثالث : أنه ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان والمصائب جزاء عن

سيئاته كما روى محمد بن قيس بن مخزومة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما

نزلت هذه الآية : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ شقت على المسلمين وبلغت بهم ما

شاء الله أن تبلغ فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : « قَارِبُوا وَسَدُّوا فَفِي كُلِّ مَا

يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النُّكْبَةُ يُنْكَبُهَا أَوْ الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا » (٤٧٤).

وروى الأعمش عن مسلم قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ما أشد هذه الآية

﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ الْمُصِيبَةَ فِي الدُّنْيَا جَزَاءُ » (٤٧٥).

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي

الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُنِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ

تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ الآية . اختلف

في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : هو أن سبب نزولها أنهم في الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا

(٤٧٤) رواه الطبري (٩/٢٤٠) وأحمد في مسنده رقم (٧٣٨٠) والبيهقي في سننه رقم (٣٧٣/٣).

(٤٧٥) رواه الطبري (٩/٢٤٣).

الأطفال ، فلما فرض الله تعالى المواريث في هذه السورة شق ذلك على الناس ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية (*) .

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني المواريث ، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وابن زيد .

والثاني : أنهم كانوا لا يؤتون النساء صدقاتهن ويتملكها أولياؤهن ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ سألوا رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني ما فرض لهن من الصداق وهو قول عائشة .

﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ترغبون عن نكاحهن لقبحهن .

والثاني : تمسكونهن رغبة في أموالهن وجمالهن ، وهو قول عائشة .

وَإِنْ أُمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أُمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الآية اختلف في سبب نزول هذه الآية على قولين :

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني في سبب النزول .

أحدهما : أنها نزلت في رسول الله ﷺ حين هم بطلاق سودة بنت زمعة فجعلت يومها لعائشة على ألا يطلقها ، فنزلت هذه الآية فيها . وهذا قول السدي .
والقول الثاني : أنها عامة في كل امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً .
والنشوز : الترفع عنها لبغضها ، والإعراض : أن ينصرف عن الميل إليها لمؤاخذة أو أثره .

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ إمّا من ترك مهرٍ أو إسقاط قسم .

﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني خيراً من النشوز والإعراض ، وهو قول بعض البصريين .
والثاني : خير من الفرقة ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنفس النساء أحضرت الشح عن حقوقهن من أزواجهن وأموالهن ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه ، وهو قول الحسن .

قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ يعني بقلوبكم ومحبتكم .

﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ولو حرصتم أن تعدلوا في المحبة ، وهو قول مجاهد .
والثاني : ولو حرصتم في الجماع ، وهو قول ابن عباس .

﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾ أي فلا تميلوا بأفعالكم فتتبعوها أهواءكم .

﴿ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ يعني لا أيماء ولا ذات زوج .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ﴾ يعني الزوجين إن تفرقا بالطلاق .

﴿ يُغْنِي اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : يغني الله كل واحد منهما بالقناعة والصبر عن صاحبه ، ومعنى قوله : ﴿ من سعته ﴾ أي من رحمته ، لأنه واسع الرحمة .

والثاني : يغني الله كل واحد منهما عن صاحبه بمن هو خير منه ، ومعنى قوله : ﴿ من سعته ﴾ أي من قدرته لأنه واسع القدرة .

والثالث : يغني الله كل واحد منهما بما لا يكون أنفع له من صاحبه . ومعنى قوله : ﴿ من سعته ﴾ أي من غناه لأنه واسع الغنى .

وَلِلَّهِ مَكَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ روى سهل بن أبي صالح عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه لما نزلت ضرب بيده على ظهر سلمان وقال : « هُمْ قَوْمٌ هَذَا » (٤٧٦) يعني عجم الفرس .

قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ثواب الدنيا النعمة ، وثواب الآخرة الجنة .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفًا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ

(٤٧٦) رواه الطبري (٢٩٩/٩ ، ٤٢/٢٦) ونسبه السيوطي في الدر (٥٠٦/٧) من حديث أبي هريرة لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والذي في الدر من رواية هؤلاء لما نزلت « وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم » قيل من هؤلاء وسلمان رضي الله عنه إلى جنب النبي ﷺ فقال هم الفرس وهذا وقومه .

أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ يعني بالعدل
﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ يعني بالحق .

﴿ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بما عليه من
الحق لخصمه .

﴿ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ أن يشهد عليهم لا لهم .
﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ قال
السدي : نزلت في النبي ﷺ وقد اختصم إليه رجلان : غني وفقير ، فكان ميله مع
الفقير ، يرى أن الفقير لا يظلم الغني ، فأمره الله عز وجل أن يقوم بالقسط في
الغني والفقير فقال : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ
تَعْدِلُوا ﴾ .

وقال ابن عباس : نزلت في الشهادة لهم وعليهم .
﴿ وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا ﴾ قرأ ابن عباس وحمزة بواو واحدة ، وهي من
الولاية أي تلووا أمور الناس أو تركوا ، وهذا للولاية والحكام .

وقرأ الباقر : ﴿ تَلَوْا ﴾ بواوين . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هو أن
يلوي الإنسان لسانه بالشهادة كما يلوي الرجل دين الرجل إذا مطله ، ومنه قول
النبي ﷺ « وَلِيُّ الْوَاحِدِ يُبَيِّحُ عَرَضَهُ وَعُقُوبَتَهُ » (٤٧٧) وقال الأعشى :

يلوونني ديني النهار وأقتضي ديني إذا وقد النعاس الرُّقدا

وتكون على هذه القراءة والتأويل هذا خطاب الشهود .

(٤٧٧) رواه أبو داود برقم (٣٦٢٨) وابن ماجه برقم (٢٤٢٧) .

وابن حبان وصححه (ص ٢٨٣ موارد) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٠٢/٤) والبخاري في
شرح السنة (١٩٥/٨) وحسنه في المصابيح (٣٤٥/٢) وأحمد في المسند (٢٢٢/٤ ، ٣٨٨ ،
٣٨٩) من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي .

يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

قوله تعالى : ﴿ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فإن قيل فكيف قيل لهم ﴿ ءَامِنُوا ﴾ وحكي عنهم أنهم آمنوا ؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : يا أيها الذين آمنوا بمن قبل محمد من الأنبياء آمنوا بالله ورسوله ويكون ذلك خطاباً لليهود والنصارى .

الثاني : معناه يا أيها الذين آمنوا بأفواههم آمنوا بقلوبكم ، وتكون خطاباً للمنافقين .

والثالث : معناه يا أيها الذين آمنوا داوموا على إيمانكم ، ويكون هذا خطاباً للمؤمنين ، وهذا قول الحسن .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ
لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾
الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ
فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ
يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ
إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ، ثم آمنوا بموسى بعد عوده ثم كفروا بعباسى ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم المنافقون آمنوا ثم ارتدوا ، ثم آمنوا ثم ارتدوا ، ثم ماتوا على كفرهم ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنهم قوم من أهل الكتاب قصدوا تشكيك المؤمنين فكانوا يظهرون الإيمان ثم الكفر ثم ازدادوا كفراً بشبوتهم عليه ، وهذا قول الحسن . واختلف لمكان هذه الآية في استتابة المرتد على قولين :

أحدهما : أن المرتد يستتاب ثلاث مرات بدلالة الآية ، فإن ارتد بعد الثلاث قتل من غير استتابة ، وهذا قول علي .

والثاني : يستتاب كلما ارتد ، وهو قول الشافعي والجمهور .

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ ﴾ يعني المنافقين .
﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ ﴾ أي فأعطونا من الغنيمة .

﴿ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : معناه ألم نستول عليكم بالمعونة والنصرة ونمنعكم من المؤمنين بالتخذيـل عنكم .

والثاني : معناه ألم نبين لكم أننا على دينكم ، وهذا قول ابن جريج .
والثالث : معناه ألم نغلب عليكم ، وهو قول السدي . وأصل الاستحواذ الغلبة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ يعني غلب عليهم .
وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني حُجَّة ، وهذا قول السدي .

والثاني : سبيلاً في الآخرة ، وهذا قول علي ، وابن عباس .

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ معنى ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ أي يخادعون نبي الله بما يظهرونه من الإيمان ويبطنونه من الكفر ، فصار خداعهم لرسول الله ﷺ خداعاً لله عز وجل .

﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ يعني الله تعالى ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني يعاقبهم على خداعهم ، فسمى الجزاء على الفعل باسمه (٤٧٨) .

والثاني : أنه أمر فيهم بأمر المُخْتَدِعَ لهم بما أمر به من قبول إيمانهم وإن علم ما يبطنون من كفرهم .

والثالث : ما يعطيهم في الآخرة من النور الذي يمشون به مع المؤمنين ، فإذا جاؤوا إلى الصراط طغىء نورهم ، فتلك خديعة الله إياهم .

﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى ﴾ يحتمل قولين :

أحدهما : متاقلين .

والثاني : مقصّرين .

﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ يعني أنهم يقصدون بما يفعلونه من البر رياء الناس دون طاعة الله تعالى .

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الرياء ، لأنه لا يكون إلا ذكراً حقيراً ، وهو قول قتادة .

(٤٧٨) أنظر التعليق الذي سبق عند قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدَهُم فِي طِفْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

والثاني : يعني سيراً لاقتصاره على ما يظهر من التكبير دون ما يخفي من القراءة والتسييح ، وإنما قل من أجل اعتقادهم لا من قلة ذكرهم . قال الحسن : لأنه كان لغير الله تعالى .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانْتِخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ ﴿١٤٨﴾
 إِنْ بُدِّوْا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوْهُ أَوْ تَعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾
 الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نَحْنُ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني إلا أن يكون مظلوماً فيدعو على من ظلمه ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : إلا أن يكون مظلوماً فيجهر بظلم من ظلمه ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : إلا من ظلم فانتصر من ظالمه ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

والرابع : إلا أن يكون ضيفاً ، فينزل على رجل فلا يحسن ضيافته ، فلا بأس

أن يجهر بذمه ، وهذه رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد .

ثم قال بعد أن أباح الجهر بالسوء من القول لمن كان مظلوماً : ﴿ إِن تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ ﴾ يعني خيراً بدلاً من السوء ، أو تخفوا السوء ، وإن لم تبدوا خيراً اعفوا عن السوء ، كان أولى وأزكى ، وإن كان غير العفو مباحاً .

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ فيه

ثلاثة أفاويل :

أحدها : أن اليهود سألوا محمداً ﷺ ، أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً ، كما نزل على موسى الألواح ، والتوراة مكتوبة من السماء ، وهذا قول السدي ، ومحمد بن كعب .

والثاني : أنهم سألوه نزول ذلك عليهم خاصة ، تحكماً في طلب الآيات ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثالث : أنهم سألوه أن ينزل على طائفة من رؤسائهم كتاباً من السماء بتصديقه ، وهذا قول ابن جريج .

﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الله تعالى بيّن بذلك أن سؤالهم للإغنيات لا للاستبصار كما

أنهم سألوا موسى أن يريهم الله جهرة ، ثم كفروا بعبادة العجل .
والثاني : أنه بين بذلك أنهم سألوا ما ليس لهم ، كما أنهم سألوا موسى من ذلك ما ليس لهم .

﴿ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم سألوه رؤيته جهرة ، أي معاينة .
والثاني : أنهم قالوا : جهرة من القول أرنا الله ، فيكون على التقديم والتأخير ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بظلمهم لأنفسهم .
والثاني : بظلمهم في سؤالهم .
قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾ يعني : بالعهد الذي أخذ عليهم بعد تصديقهم بالتوراة أن يعملوا بما فيها ، فخالفوا بعبادة العجل ونقضوه ، فرفع الله عليهم الطور ، ليتوبوا ، وإلا سقط عليهم فتابوا حينئذ .
﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا أَبْوَابَ سَجْدًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه باب الموضع الذي عبدوا فيه العجل ، وهو من أبواب بيت المقدس ، وهذا قول قتادة .

والثاني : باب حِطَّة فأمروا بدخوله ساجدين لله عز وجل .
﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ قرأ ورش عن نافع ﴿ تَعْدُوا ﴾ بفتح العين وتشديد الدال ، من الاعتداء ، وقرأ الباقر بالتخفيف من عَدَوْت . وعدوهم فيه تجاوزهم حقوقه ، فيكون تعديهم فيه - على تأويل القراءة الثانية - ترك واجباته .
﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ وهو ميثاق آخر بعد رفع الطور عليهم ، غير الميثاق الأول .

وفي قوله تعالى : ﴿ غَلِيظًا ﴾ قولان :

أحدهما : أنه العهد بعد اليمين .
والثاني : أن بعض اليمين ميثاق غليظ .

فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾

قوله تعالى : ﴿... وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها محجوبة عن فهم الإعجاز ودلائل التصديق ، كالمحجوب في غلافة ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : يعني أنها أوعية للعلم وهي لا تفهم احتجاجك ولا تعرف إعجازك ، وهذا قول الزجاج ، فيكون ذلك منهم على التأويل الأول إعرافاً ، وعلى التأويل الثاني إبطالاً .

﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه جعل فيها علامة تدل الملائكة على كفرهم كعلامة المطبوع ، وهو قول بعض البصريين (٤٧٩) .

الثاني : ذمهم بأن قلوبهم كالمطبوع عليها التي لا تفهم أبداً ولا تطيع مرشداً ، وهذا قول الزجاج .

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه تأويلان :

(٤٧٩) وهذا القول غير صحيح ومن أقوال القدرية وقد حكاه ابن القيم عنهم ورد عليهم في كتابه شفاء العليل (٩٠٢٨٩ وما بعدها) وهذا الطبع الذي ذكره الله تعالى إنما هو جزاء كفرهم وإعراضهم كما قال في آية أخرى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وهي أنواع من العقوبات التي يضر بها الله تعالى من خالف أمره وعصى رسله وكلها واقعة بقضاء الله وقدره لا كما زعمت القدرية .

أحدهما : أن القليل منهم يؤمن بالله .

الثاني : لا يؤمنون إلا بقليل ، وهو إيمانهم ببعض الأنبياء دون جميعهم .
 قوله عز وجل : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ،
 أما قولهم : ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ فهو من قول اليهود ، أخبر الله به
 عنهم .

أما ﴿ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ففيه قولان :

أحدهما : أنه من قول اليهود بمعنى رسول الله في زعمه .
 والثاني : أنه من قول الله تعالى لا على وجه الإخبار عنهم ، وتقديره : الذي
 هو رسولي .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم كانوا يعرفونه فألقى شبهه على غيره ، فظنوه المسيح فقتلوه ،
 وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، ووهب ، والسدي .

والثاني : أنهم ما كانوا يعرفونه بعينه ، وإن كان مشهوراً فيهم بالذكر ،
 فارتشى منهم يهودي ثلاثين درهماً ، ودلهم على غيره مؤمهاً لهم أنه المسيح ،
 فشبَّه عليهم .

والثالث : أنهم كانوا يعرفونه ، فخاف رؤساؤهم فتنة عوامهم ، فإن الله منعهم
 عنه ، فعمدوا إلى غيره ، فقتلوه وصلبوه ، وموهَّوا على العامة أنه المسيح ، ليزول
 افتتانهم به .

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم اختلفوا فيه قبل قتله ، فقال بعضهم : هو إله ، وقال
 بعضهم : هو ولد ، وقال بعضهم : هو ساحر ، فشكوا . ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا
 أَتْبَاعُ الظَّنِّ ﴾ الشك الذي حدث فيهم بالاختلاف .

والثاني : ما لهم بحاله من علم - هل كان رسولاً أو غير رسول ؟ - إلا اتباع
 الظن .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وما قتلوا ظنهم يقيناً كقول القائل : ما قتلته علماً ، وهذا قول ابن عباس ، وجوير .

والثاني : وما قتلوا أمره يقيناً أن الرجل هو المسيح أو غيره ، وهذا قول السدي .

والثالث : وما قتلوه حقاً ، وهو قول الحسن .

﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه رفعه إلى موضع لا يجري عليه حكم أحد من العباد ، فصار رفعه إلى حيث لا يجري عليه حكم العباد رفعاً إليه ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : أنه رفعه إلى السماء ، وهو قول الحسن (٤٨٠) .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلا ليؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح ، إذا نزل من السماء ، وهذا قول ابن عباس ، وأبي مالك ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : إلا ليؤمنن بالمسيح قبل موت الكتابي عند المعينة ، فيؤمن بما أنزل الله من الحق وبالمسيح عيسى ابن مريم ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن سيرين ، وجوير .

والثالث : إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي ، وهذا قول عكرمة .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ يعني المسيح ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه يكون شهيداً بتكذيب من كذبه وتصديق من صدقه من أهل عصره .

والثاني : يكون شهيداً أنه بلغ رسالة ربه ، وأقر بالعبودية على نفسه ، وهذا قول قتادة ، وابن جريج .

(٤٨٠) تقدم الكلام على هذا الرفع عند قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ فراجعه هناك .

فِظْلِهِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٥﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَأَعْتَدْنَا
 لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٦﴾ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ
 يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ إِنَّا
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
 وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ ذِكْرًا ﴿١٦٩﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
 مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٧٠﴾

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ
 اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٧١﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ يُعَلِّمُهُ
 وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ
 لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٧٤﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ
 فَأَمَّا خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
 عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٦﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى
 اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
 إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا

لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ فيه قولان :
أحدهما : أنه خطاب للنصارى خاصة .

والثاني : أنه خطاب لليهود والنصارى ، لأن الفريقين غلوا في المسيح ،
فقالَت النصارى : هو الرب ، وقالت اليهود : هو لغير رشدة ، وهذا قول الحسن .
والغلو : مجاوزة الحد ، ومنه غلاء السعر ، إذا جاوز الحد في الزيادة . وغلا
في الدين ، إذا فرط في مجاوزة الحق .

﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾ يعني في غلوهم في المسيح .
﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ رداً على مَنْ جعله إلهاً ، أو
لغير رشدة [أو] ساحراً .

﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ في كلمته ثلاثة أقاويل :
أحدها : لأن الله كَلَّمَهُ حين قال له كن ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .
الثاني : لأنه بشارة الله التي بشر بها ، فصار بذلك كلمة الله .
والثالث : لأنه يهتدى به كما يُهْتَدَى بكلام الله .

﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : سُمِّيَ بذلك لأنه رُوح من الأرواح ، وأضافه الله إلى نفسه تشريفاً
له .

والثاني : أنه سُمِّيَ روحاً ؛ لأنه يحيا به الناس كما يُحْيَوْنَ بالأرواح .
والثالث : أنه سُمِّيَ بذلك لنفخ جبريل عليه السلام ، لأنه كان ينفخ فيه
الروح بإذن الله ، والنفخ يُسَمَّى في اللغة روحاً ، فكان عن النفخ فسمي به . . .
﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا : ثَلَاثَةٌ ، ائْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ في الثلاثة
قولان :

أحدهما : هو قول النصارى أب وابن وروح القدس ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : هو قول من قال : آلهتنا ثلاثة ، وهو قول الزجاج .

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَانٌ مِنْ
رَبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ هو النبي ﷺ ،
لِمَا مَعَهُ مِنَ الْمَعْجَزِ الَّذِي يَشْهَدُ بِصَدَقِهِ .

﴿ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ يعني القرآن سُمِّيَ نُورًا لِأَنَّهُ يَظْهَرُ بِهِ الْحَقُّ ، كَمَا
تَظْهَرُ الْمَرْتَبَاتُ بِالنُّورِ .

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : اعتصموا بالقرآن ، وهذا قول ابن جريج .

والثاني : اعتصموا بالله من زيغ الشيطان وهوى الإنسان .

﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾ في

الهداية قولان :

أحدهما : أن يعطيهم في الدنيا ما يؤديهم إلى نعيم الآخرة ، وهذا قول

الحسن .

والثاني : هو الأخذ بهم في الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو قول بعض المفسرين البصريين .

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرُ أَهْلِكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ الآية . قال البراء ابن عازب : آخر سورة نزلت كاملة سورة براءة ، وآخر آية أنزلت خاتمة ، سورة النساء ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ... ﴾ .

وقال جابر بن عبد الله^(٤٨١) : نزلت هذه الآية في ، وقد سألت رسول الله ﷺ حين عادني في مرضي ، ولي تسع أخوات ، كيف أصنع بمالي ؟ فلم يجبني بشيء ، حتى نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ إلى آخر السورة .

وقال ابن سيرين^(٤٨٢) : نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في مسيرة ، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان ، فبلغها رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان ، وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب ، وهو يسير خلفه .

(٤٨١) رواه البخاري (٢/١٢) الفتح ، مسلم (٥٤/١١ - ٥٦) وأبو داود في سننه (١٦٤/٣) والترمذي (١٨٠/٣) وقال حسن صحيح وابن ماجه (٣٧٢٨) والإمام أحمد (٣٠٧/٣ ، ٣٧٢) والطيالسي (١٣/٢) وأبو نعيم (١٥٧/٧) وابن جرير (٤٣٣/٩) وزاد السيوطي في الدرر نسبه (٧٥٣/٢) لابن سعد وابن المنذر والبيهقي من طرق عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً .

(٤٨٢) رواه ابن جرير (٤٣٥/٩) برقم (٢١٠٨٧٤ ، ٢١٠٨٧٥ ، ٢١٠٨٧٦) وعبد الرزاق وابن المنذر كما في الدر (٧٥٧/٢) وهو حديث منقطع بين حذيفة وابن سيرين كما قال الحافظ ابن كثير (٤٤/٣) وقد رواه البخاري موصولاً عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن حذيفة . ثم قال لا نعلم أحداً رواه إلا حذيفة ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة إلا هذا الطريق ولا رواه عن هشام إلا عبد الأعلى قال ابن كثير (٥٩٤/١) « وكذا رواه ابن مردويه » أي موصولاً .

وقال الهيثمي في المجمع (١٣/٧) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبيدة بن حذيفة وثقه ابن حبان . والحديث قد صححه السيوطي في الدر (٧٥٦/٢) وزاد نسبه لأبي الشيخ في الفرائض والعديني .

مِنْ رَوَائِعِ التَّفَاسِيرِ

النُّكْتُ وَالْحَيُوتُ تَفْسِيرُ الْمَاءِ وَرَدِّي

تَصْنِيفُ

أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حَبِيبِ الْمَاءِ وَرَدِّي الْبَصْرِيِّ

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

لِلْحَزْرَةِ السَّادَةِ

رَاجِعُهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

السَّيِّدُ بْنُ عَبْدِ الصَّوْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

مُؤَسَّسَةُ الْكُتُبِ الثَّقَافِيَّةِ

بِירוْت - لَبْنَان

دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ

بِירוْت - لَبْنَان

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية



مؤسسة الكتب الثقافية

الصفحة - بكاءة الإتحاد الوطني - الطابع السام شقة ٧٨

هايف الكتب

مك ت ٥١١٥ - بريقا - الكتكو

بيروت - لبنان

علا من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

مك: ١١/٩٤٤٤ تللكس : Nasher 41245 Le

هاتف : ٨١٥٥٧٣ - ٣٦٦١٣٥

النُّكْتُ وَالْعُيُونُ
تَفْسِيرُ الْمَافِرِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾.

﴿بعث في الأميين رسولا منهم﴾ يعني في العرب، وفي تسميتهم أميين قولان: أحدهما: لأنه لم ينزل عليهم كتاب، قاله ابن زيد.

الثاني: لأنهم لم يكونوا يكتبون ولا كان فيهم كاتب، قاله قتادة. ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم قريش خاصة لأنها لم تكن تكتب حتى تعلم بعضها في آخر الجاهلية من أهل الحيرة.

الثاني : أنهم جميع العرب لأنه لم يكن لهم كتاب ولا كتب منهم إلا قليل ، قاله المفضل .

فلوقيل : فما وجه الامتنان بأن ^(١) بعث نبياً أمياً؟

فالجواب عنه ثلاثة أوجه :

أحدها : لموافقته ما تقدمت بشارة الأنبياء به .

الثاني : لمشاكلته حاله لأحوالهم ، فيكون أقرب إلى موافقتهم .

الثالث : لينتفي عنه سوء الظن في تعلمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها .

﴿يتلوا عليهم آياته﴾ يعني القرآن .

﴿ويزكيهم﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يجعلهم أزكيا القلوب بالإيمان ، وهو معنى قول ابن عباس .

الثاني : يطهرهم من الكفر والذنوب ، قاله ابن جريج ومقاتل .

الثالث : يأخذ زكاة أعمالهم ، قاله السدي .

﴿ويعلمهم الكتاب﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه القرآن ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الخط بالقلم ، قاله ابن عباس ، لأن الخط إنما فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط .

الثالث : معرفة الخير والشر كما يعرفونه بالكتاب ليفعلوا الخير ويكفوا عن

الشر ، وهذا معنى قول محمد بن إسحق .

﴿والحكمة﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الحكمة السنة ، قاله الحسن .

(١) قال الحافظ ابن كثير (٤ /) (وتخصيص الأمين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى في قوله ﴿وانه لذكر لك ولقومك﴾ وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ وهذا وأمثاله لا يتنافي قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ وقوله ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾ وقوله إخباراً عن القرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم .

الثاني: أنه الفقه في الدين، وهو قول مالك بن أنس.

الثالث: أنه الفهم والاتعاظ، قاله الأعمش.

﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ أي ويعلم آخريين ويزكيهم، وفيه أربعة

أقاويل:

أحدها: أنهم المسلمون بعد الصحابة، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم العجم بعد العرب، قاله الضحاك وقد روي عن^(٢) النبي ﷺ أنه

قال: «رأيت في منامي غنماً سوداً تتبعها غنم غفر» فقال أبو بكر: يا رسول الله تلك

العرب يتبعها العجم، فقال: «كذلك عبرها لي الملك».

الثالث: أنهم الملوك أبناء الأعاجم، قاله مجاهد.

الرابع: أنهم الأطفال بعد الرجال.

ويحتمل خامساً: أنهم النساء بعد الرجال^(٣).

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها النبوة التي خص الله بها رسوله هي فضل الله يؤتيه من يشاء، قاله

مقاتل.

الثاني: الإسلام الذي آتاه الله من شاء من عباده، قاله الكلبي.

الثالث: ما روي أنه قيل يا رسول الله^(٤) ذهب أهل الدثور بالأجور، فأمر

(٢) أفاد القرطبي (٩٣/١٨) أنه رواه ابن أبي ليلى عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وهو علي بن أبي طالب.

ولم اعثر على من خرج الحديث.

(٣) قال الإمام الطبري (٩٦/٢٨) «وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال عني بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا أصحاب النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس لأن الله عز وجل تتم بقوله «وآخرين منهم لما يلحقوا بهم» وكل لاحق بهم من آخرين ولم يخص منهم نوعاً دون نوع فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله أ هـ.

(٤) وذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الأغنياء يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم أموال يمتقون ويتصدقون قال: فإذا صليتم فقولوا: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة والله أكبر أربعاً وثلاثين مرة ولا إله إلا الله عشر مرات فإنكم تدركون به من سبقكم ولا يسبقكم من بعدكم « رواه الترمذي (٤١٠) وحسنه والنسائي (٧٨/٣) وفي الباب عن كعب بن عجرة وأنس وغيرهما.

ذوي الفاقة بالتسبيح والتحميد والتكبير بدلاً من التصديق بالأموال، ففعل الأغنياء مثل ذلك، فقيل لرسول الله ﷺ فقال: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» قاله أبو صالح. ويحتمل خامساً: أنه انقياد الناس إلى تصديقه ﷺ ودخولهم في دينه ونصرته.

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: معناه تفرون من الداء بالدواء فإنه ملاقيكم بانقضاء الأجل.

الثاني: تفرون من الجهاد بالقعود فإنه ملاقيكم بالوعيد.

الثالث: تفرون منه بالطيرة من ذكره حذراً من حلوله فإنه ملاقيكم بالكره

والرضا.

الرابع: أنه الموت الذي تفرون أن تتمنوه حين قال تعالى: ﴿فتمنوا الموت﴾.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

﴿يأياها الذين ءامنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ في

السعي إليها أربعة أقاويل:

أحدها: النية بالقلوب، قاله الحسن.

الثاني : أنه العمل لها ، كما قال تعالى : ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٌ﴾ قاله ابن زيد .
 الثالث : أنه إجابة الداعي ، قاله السدي .
 الرابع : المشي على القدم من غير إسراع ، وذكر أن عمر وابن مسعود كانا يقرآن ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ .

وفي ذكر الله ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها موعظة الإمام في الخطبة ، قاله سعيد بن المسيب .

الثاني : أنها الوقت ، حكاه السدي .

الثالث : أنه الصلاة ، وهو قول الجمهور .

وكان اسم يوم الجمعة في الجاهلية العروبة ، لأن أسماء الأيام في الجاهلية كانت غير هذه الأسماء ، فكانوا يسمون يوم الأحد أول ، والأثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار ، وأنشدني بعض أهل الأدب :

أؤمل أن أعيش وإن يومي بأول أو أهون أو جبار
 أو التالي دبار أو فيومي يمؤنس أو عروبة أو شيار
 وأول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي ^(٥) بن غالب لاجتماع قريش فيه إلى كعب ، وقيل بل سمي في الإسلام لاجتماع الناس فيه للصلاة .

﴿وذروا البيع﴾ منع الله منه عند صلاة الجمعة وحرمه في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها . وفي وقت التحريم قولان :

أحدهما : أنه بعد الزوال [إلى ما] بعد الفراغ منها ، قاله الضحاك .

الثاني : من وقت أذان الخطبة إلى الفراغ من الصلاة ، قاله الشافعي رحمه الله فأما الأذان الأول فمحدث ^(٦) ، فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس به لحضور

(٥) قال الحافظ ابن حجر (٢/٢٩٤) روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة [أي سورة الجمعة] فقال الأنصار : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى كذلك فهلهم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكر فجمعوه يوم العروبة أه فظهر من الأثر أن أول من سمي الجمعة الأنصار .

(٦) وليس المقصود أنه بدعة بل هو من سنن الخلفاء الراشدين التي أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسك به في قوله وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ولكن عثمان رضي الله عنه فعل ذلك لعله فإذا وجدت هذه

الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها، وقد كان عمر أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم، فإذا اجتمعوا أذن في المسجد، فجعله [عثمان] آذنين في المسجد^(٧)، وليس يحرم البيع بعده وقبل الخطبة، فإن عقد في هذا الوقت المحرم بيع لم يبطل البيع وإن كان قد عصى الله، لأن النهي مختص بسبب يعود إلى العاقلين دون العقد، وأبطله ابن حنبل تمسكاً بظاهر النهي^(٨).

﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ يعني أن الصلاة خير لكم من البيع والشراء لأن الصلاة تفوت بخروج وقتها، والبيع لا يفوت.

﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ يعني أدت.

﴿فانتشروا في الأرض﴾ حكى عن عراك^(*) بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فرضيتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين.

﴿وابتغوا من فضل الله﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الرزق من البيع والشراء، قاله مقاتل والضحاك.

الثاني: العمل في يوم السبت، قاله جعفر بن محمد.

الثالث: ما رواه أبو خلف عن أنس قال^(٩): قال رسول الله ﷺ: فإذا قضيت

العة في عصرنا نفعل كما فعل عثمان وإن لم توجد رجعنا إلى الأصل والعمل الذي كان عليه رسول الله ﷺ ولعل مكبرات الصوت عندنا اليوم قد رفعت العلة التي من أجلها فعل عثمان الأذان الثاني. راجع خبر الأذان الثاني كاملاً في البخاري (٣٢٦/٢).

(٧) بل الوارد أن الأذان الأول كان على الزوراء في السوق والثاني خارج المسجد وليس بداخله.

(٨) قال الحافظ ابن كثير (٣٦٧/٤) واتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا على قولين قال: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم وقال القرطبي (١٠٨/١٨): والصحيح فسادُه وفسخه لقوله عليه الصلاة والسلام «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رده» أي مردود والله أعلم.

(*) هو عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني من خيار التابعين قبل مات في المدينة وغير ذلك له ترجمة في تهذيب التهذيب (١٥٦/٧ - ١٥٧) والثقات لابن حبان (٢٨٣/٥).

(٩) ولم يصح هذا الأثر فقد رواه ابن جرير (١٠٣/٢٨) وفي سننه أبو خلف الراوي عن أنس وقيل اسمه حازم كذبه يحيى بن معين وقال أبو حاتم: منكر الحديث. راجع ترجمته في الميزان (٥٢١/٤).

والراوي عن أبي خلف هو أبو عامر الصائغ وكان وضاعاً كما قال الأزدي. راجع ترجمته في الميزان (٥٤٣/٤).

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، قال: ليس بطلب الدنيا لكن من عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ
وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ روى سالم عن جابر قال^(١٠): أقبلت غير ونحن مع رسول الله ﷺ يعني في الخطبة فانفلت الناس إليها وما بقي غير اثني عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية.

وذكر الكلبي أن الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلاء سعر، وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بُر ودقيق وغيره فنزل عند أحجار الزيت^(*) وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه، وكانوا في خطبة الجمعة، فانفضوا إليها، وبقي مع رسول الله ﷺ ثمانية رجال، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾

والتجارة من أموال التجارات.

وفي اللهوها هنا أربعة أوجه:

أحدها: يعني لعباً، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الطبل، قاله مجاهد.

الثالث: أنه المزمар، قاله جابر.

الرابع: الغناء.

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ يعني في خطبته، وروي عن النبي ﷺ^(١١) أنه قال: والذي

وقد ورد نحو هذا الحديث موقوفاً عن ابن عباس رواه ابن مردويه.

كما في الدر (١٦٥/٨).

(١٠) رواه البخاري (٤٩٣/٨) ومسلم (٥٩٠/٢) والترمذي (٣٣١١) وابن جرير (١٠٤/٢٨) وزاد في الدر

(١٦٥/٨) نسبته لسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبه وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن

مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن جابر.

(*) وهو مكان في سوق المدينة.

(١١) رواه أبو يعلى من حديث جابر وساقه ابن كثير في التفسير (٣٦٧/٤) وجاء الأثر مرسلًا بنحوه عن قتادة.

نفسى بيده لو ابتدرتموها حتى لا يبقى معي أحد لسال الوادي بكم ناراً، وإنا قال تعالى: ﴿انفضوا إليها﴾ ولم يقل إليهما، لأن غالب انفضاضهم كان للتجارة دون اللهو.

وقال الأخفش: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً، وكذلك قرأ ابن مسعود.

وفي ﴿انفضوا﴾ وجهان:

أحدهما: ذهبوا.

الثاني: تفرقوا.

فمن جعل معناه ذهبوا أراد التجارة، ومن جعل معناه تفرقوا أراد عن الخطبة وهذا أفصح الوجهين، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر:

انفض جمعهم عن كل نائرة تبقى وتدنس عرض الواجم الشبم

﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم.

الثاني: ما عند الله من رزقكم الذي قسمت لكم خير مما أصبتموه بانفضاضكم من لهوكم وتجارركم.

﴿والله خير الرازقين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الله سبحانه خير من رَزَقَ وأعطى.

الثاني: ورزق الله خير الأرزاق.

ونسبه لعبد بن حميد السيوطي في الدر (١٠٦٧/٨) وورد من مرسل الحسن أيضاً ونسبه السيوطي في الدر (١١٦/٨) لعبد بن حميد.

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ
 يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اخْذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى
 قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا
 تَسْمَعَ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحَسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ
 قُلْ لَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ سئل حذيفة
 ابن اليمان عن المنافق فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به، وهم اليوم شر منهم
 على عهد رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا يكتُمونه وهم اليوم يظهرونه.
 ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني نحلف، فعبّر عن الحلف بالشهادة لأن
 كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مغيب، ومنه قول قيس بن ذريح:
 وأشهد عند الله أنني أحبها فهذا لها عندي فما عندها ليا
 ويحتمل ثانياً: أن يكون ذلك محمولاً على ظاهره أنهم يشهدون أن محمداً
 رسول الله اعترافاً بالإيمان ونفيّاً للنفاق عن أنفسهم، وهو الأشبه.

وسبب نزول هذه الآية ما روى أسباط عن السدي أن عبد الله^(١٢) بن أبي بن سلول كان مع رسول الله ﷺ في غزاة وفيها أعراب يتبعون الناس، وكان ابن أبي يصنع لرسول الله ﷺ في كل يوم طعاماً، فاستقى أعرابي ماء في حوض عمله من أحجار، فجاء رجل من أصحاب ابن أبي بناقة ليسقيها من ذلك الماء فمنعه الأعرابي واقتتلا فشجبه الأعرابي، فأتى الرجل إلى عبد الله [بن أبي] ودمه يسيل على وجهه، فحزنه، فنافق عبد الله وقال: ما لهم رد الله أمرهم إلى تبال، وقال لأصحابه: لا تأتوا محمداً بالطعام حتى يتفرق عنه الأعراب، فسمع ذلك زيد بن أرقم وكان حدثاً، فأخبر عمه، فأتى عمه رسول الله ﷺ فحدثه، فبعث إلى ابن أبي وكان من أوسم الناس وأحسنهم منطوقاً، فأتى رسول الله ﷺ فحلف: والذي بعثك بالحق ما قلت من هذا شيئاً، فصدقه فأنزل الله هذه الآية.

﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ أي إن نافق من نافقك مع علم الله بأنك رسوله فلا يضررك.

ثم قال: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: والله يقسم إن المنافقين لكاذبون في أيماهم.

الثاني: معناه والله يعلم أن المنافقين لكاذبون فيها.

﴿اتخذوا أيماهم جنة﴾ والجنة: الغطاء المانع من الأذى، ومنه قول الأعشى

ميمون.

إذا أنت لم تجعل لعرضك جنة من المال سار الذم كل مسير

وفيه وجهان:

أحدهما: من السبي والقتل ليعصموا بها دماءهم وأموالهم، قاله قتادة.

الثاني: من الموت ألا يُصلَّى عليهم، فيظهر على جميع المسلمين نفاقهم،

وهذا معنى قول السدي.

ويحتمل ثالثاً: جنة تدفع عنهم فضيحة النفاق.

(١٢) هذا الأثر عن السدي ورد مرفوعاً من حديث زيد بن أرقم رواه البخاري (٤٩٤/٨) مسلم (٧٧٢) والترمذي (٣٣٠٩، ٣٣١٠) وابن جرير (١٠٩/٢٨) وزاد السيوطي نسبته في الدر (١٧١/٨) لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والطبراني وابن مردويه.

﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الإسلام بتغيير المسلمين عنه.

الثاني: عن الجهاد بتشيطهم المسلمين وإرجافهم به وتميزهم عنهم، قال عمر ابن الخطاب: ما أخاف عليكم رجلين: مؤمناً قد استبان إيمانه وكافر قد استبان كفره، ولكن أخاف عليكم منافقاً يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره.

﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ يعني حسن منظرهم وتماثل خلقهم.

﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ يعني لحسن منطقهم وفصاحة كلامهم.

ويحتمل ثانياً: لإظهار الإسلام وذكر موافقتهم.

﴿كأنهم خشب مسندة﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه شبههم بالنخل القيام لحسن منظرهم.

الثاني: [شبههم] بالخشب النخرة لسوء مخبرهم.

الثالث: أنه شبههم بالخشب المسندة لأنهم لا يسمعون الهدى ولا يقبلونه، كما

لا تسمعه الخشب المسندة، قاله الكلبي، وقوله: ﴿مسندة﴾ لأنهم يستندون إلى الإيمان لحقن دمائهم.

﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لوجَلهم وخبتهم يحسبون كل صيحة يسمعونها- حتى لو دعا رجل صاحبه أو صاح بناقته - أن العدو قد اضطلم وأن القتل قد حلَّ بهم، قاله السدي.

الثاني: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ كلام ضميره فيه ولا يفتقر إلى ما بعده، وتقديره: يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فطن بهم وعلم فقال: ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ وهذا معنى قول الضحاك.

الثالث: يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم، وأن النبي ﷺ قد أمر فيها بقتلهم، فهم أبداً وجلون ثم وصفهم الله بأن قال: ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

وفي قوله: ﴿فاحذرهم﴾ وجهان:

أحدهما: فاحذر أن تثق بقولهم وتميل إلى كلامهم.

الثاني: فاحذر مما يلبسهم لأعدائك وتخذيْلهم لأصحابك.

﴿قاتلهم الله﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه لعنهم الله ، قاله ابن عباس وأبو مالك .

الثاني : أي أحلهم الله محل من قاتله عدو قاهر ، لأن الله تعالى قاهر لكل معاند ، حكاه ابن عيسى .

وفي قوله : ﴿أَنى يُوَفِّكون﴾ أربعة أوجه :

أحدها : معناه يكذبون ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه يعدلون عن الحق ، قاله قتادة .

الثالث : معناه يصرفون عن الرشد ، قاله الحسن .

الرابع : معناه كيف يضل عقولهم عن هذا ، قاله السدي .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوهُ وُسْهُمُ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ
وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ الآية .

روى سعيد بن جبير^(١٣) أن النبي ﷺ كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل منه حتى يصلي فيه ، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن ابن أبي قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ، فارتحل قبل أن ينزل آخرُ الناس ، وقيل^(١٤) لعبد الله بن

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن حميد كما في الدر (١٧٤/٨) .

(١٤) رواه ابن جرير (١١٠/٢٨) عن قتادة وزاد السيوطي في الدر (١٧٢/٨) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر .

أَبِيّ: ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك، فلوى رأسه، وهذا معنى قوله: ﴿لَوْوَا رُؤُوسَهُمْ﴾ إشارة إليه وإلى أصحابه، أي حركوها وأعرضوا يمنة ويسرة إلى غير جهة المخاطب ينظرون شزراً.

ويحتمل قولاً ثانياً: أن معنى قوله ﴿يَسْتَغْفِر لَكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ يستيتيكم من النفاق لأن التوبة استغفار.

وفيما فعله عبدالله بن أبيّ حين لوى رأسه وجهان: أحدهما: أنه فعل ذلك استهزاء وامتناعاً من فعل ما دعي إليه من إتيان الرسول للاستغفار له، قاله قتادة.

الثاني: أنه لوى رأسه بمعنى ماذا قلت، قاله مجاهد.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يمتنعون، قال الشاعر^(١٥):

صَدَدَتْ الكَاسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو وَكَانَ الكَاسُ مَجْرَاهَا اليمينا

الثاني: يعرضون، قال الأعشى^(١٦):

صَدَّقَ هُرَيْرَةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا جَهْلًا بِأَمِّ خُلَيْدٍ حَبْلٍ مِنْ تَصَل

وفيما يصدون عنه وجهان:

أحدهما: عما دُعوا إليه من استغفار الرسول ﷺ.

الثاني: عن الإخلاص للإيمان.

﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: متكبرون.

الثاني: ممتنعون.

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وسببه أن النبي ﷺ بعد انكفائه من غزاة بني المصطلق في شعبان سنة ست نزل على ماء المريسيع، فتنازع عليه جهجاه، وكان مسلماً وهو رجل من غفار،

(١٥) هو عمرو بن كلثوم والبيت من معلقته راجع شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري.

(١٦) ديوانه: ١٣١.

ورجل يقال له سنان، وكان من أصحاب عبد الله بن أبي، فلطمه جهجاه، فغضب له عبد الله بن أبي وقال: يا معاشر الأوس والخزرج ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سَمَنَ كلبك يأكلك، أوطأنا هذا الرجلَ ديارنا وقاسمناهم أموالنا ولولانا لانفضوا عنه، ما لهم، رد الله أمرهم إلى جهجاه، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرزَ منها الأذل، فسمعه زيد بن أرقم وكان غلاماً، فأعاده على رسول الله ﷺ فاعتذر له قومه، فأنزل الله هذه الآية والتي بعدها^(١٧)

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرضين: النبات

الثاني: خزائن السموات: ما قضاها، وخزائن الأرضين: ما أعطاه.

وفيه لأصحاب الخواطر (ثالث): أن خزائن السموات: الغيوب، وخزائن الأرض القلوب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فيه أربعة

أوجه:

أحدها: أنه عنى بذكر الله [الصلاة] المكتوبة، قاله عطاء.

الثاني: أنه أراد فرائض الله التي فرضها من صلاة وغيرها، قاله الضحاك^(١٨).

الثالث: أنه طاعة الله في الجهاد، قاله الكلبي.

(١٧) راجع سيرة ابن هشام (٣/٣٠٣).

(١٨) وقد رجحه الشوكاني (٥/٢٣٤) وذكره ابن الجوزي وجهاً في زاد المسير (٨/٢٢٧).

الرابع : أنه أراد الخوف من الله عند ذكره .
﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : أنها الزكاة المفروضة من المال ، قاله الضحاك .
الثاني : أنها صدقة التطوع ورفد المحتاج ومعونة المضطر .
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ يحتمل وجهين :
أحدهما : لن يؤخرها عن الموت بعد انقضاء الأجل ، وهو أظهرهما .
الثاني : لن يؤخرها بعد الموت وإنما يعجل لها في القبر (*) .

(*) أي يعجل لها الثواب أو العقاب في القبر على حسب العمل .

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مدنية في قول الأكثرين ، وقال الضحاك : مكية ، وقال الكلبي : هي مكية ومدنية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَاتُ عَمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ﴾ بأنه خلقه ﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ بأنه خلقه ، قاله الزجاج .

الثاني : فمنكم كافر به وإن أقر به (١٩) ، ومنكم مؤمن به .

(١٩) قال القرطبي (١٨/١٣٣) وقال الزجاج : وهو أحسن الأقوال والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة أن الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع أن الله خالق الكفر وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب مع أن الله خالق الكفر .

قال الحسن: وفي الكلام محذوف وتقديره: فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومنكم فاسق، فحذفه لما في الكلام من الدليل عليه.

وقال غيره: لا حذف فيه لأن المقصود به ذكر الطرفين.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بالقول.

الثاني: بإحكام الصنعة وصحة التقدير.

وذكر الكلبي ثالثاً: أن معناه خلق السموات والأرض للحق.

﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني آدم خلقه بيده كرامة له، قاله مقاتل.

الثاني: جميع الخلق لأنهم مخلوقون بأمره وقضائه.

﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي فأحكمها.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

﴿... فقالوا أبشر يهدوننا﴾ يعني أن الكفار قالوا ذلك استصغاراً للبشر أن

يكونوا رسلاً من الله إلى أمثالهم، والبشر والإنسان واحد في المعنى، وإنما يختلفان

في اشتقاق الاسم، فالبشر مأخوذ من ظهور البشرة، وفي الإنسان وجهان:

أحدهما: مأخوذ من الإنس.

والثاني: من النسيان.

﴿فَكَفَرُوا﴾ يعني بالرسول، ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ يعني عن البرهان.

﴿واستغنى الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بسلطانه عن طاعة عباده، قاله مقاتل.

الثاني: واستغنى الله بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه لهم من البيان من

زيادة تدعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ في قوله ﴿غَنِيٌّ﴾ وجهان:

أحدهما: غني عن صدقاتكم، قاله البراء بن عازب.

الثاني: عن عملكم، قاله مقاتل.

وفي ﴿حميد﴾ وجهان:

أحدهما: يعني مستحماً إلى خلقه بما ينعم به عليهم، وهو معنى قول علي.

الثاني: إنه مستحق لحمدهم.

وحكي عن ابن عباس فيه ثالث: معناه يحب من عباده أن يحمده.

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال شريح زعموا كُتِبَ الكذب (٢٠).

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يعني يوم القيامة، ومن تسميته بذلك وجهان:

أحدهما: لأنه يجمع فيه بين كل نبي وأمة.

الثاني: لأنه يجمع فيه بين الظالمين والمظلومين.

ويحتمل ثالثاً: لأنه يجمع فيه بين ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصي.

(٢٠) وفي الحديث «بئس مطية القوم زعموا» رواه أبو داود (٤٩٧٢) والبخاري في الأدب (٧٦٢) والطحاوي (٦٨/١) وفي هذا المجال قال بعضهم «وفي الحديث ذم استعمال هذه الكلمة زعموا وإن كانت في اللغة قد تأتي بمعنى قال كما هو معلوم ولذلك لم تأت في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم مثل قوله تعالى ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُعْثَوْا﴾ ثم أتبع ذلك بقوله ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ ونحو ذلك من الآيات أه راجع أيضاً شرح السنة للبغوي (٤١٣/٣) ومشكل الآثار للطحاوي.

﴿ذلك يومُ التغابن﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه من أسماء يوم القيامة ، ومنه قول الشاعر (٢١) :

وما أرتجي بالعيش من دارٍ فرقةٍ ألا إنما الراحات يوم التغابن

الثاني : لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار ، قال الشاعر :

لعمرك ما شيء يفوتك نيله بغين ولكن في العقول التغابن

الثالث : لأنه يوم غبن فيه المظلوم الظالم ، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً فصار في الآخرة غائباً .

ويحتمل رابعاً : لأنه اليوم الذي أخفاه الله عن خلقه ، والغبن الإخفاء ومنه الغبن في البيع لاستخفائه ، ولذلك قيل مغابن الجسد لما خفي منه .

مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

﴿ما أصاب من مُصيبة﴾ من نفس أو مالٍ أو قول أو فعل يقتضي هما أو يوجب عقاباً عاجلاً أو آجلاً .

﴿إلا بإذن الله﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إلا بأمر الله .

الثاني : إلا بحكم الله تسليماً لأمره وانقياداً لحكمه .

﴿ومن يؤمن بالله يهدي قلبه﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه يهدي قلبه الله تعالى .

الثاني : أنه يعلم أنه من عند الله ويرضى ويسلم ، قاله بشر .

الثالث : أن يسترجع فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

الرابع : هو إذا ابتلي صبر ، وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظلم غفر ، قاله الكلبي .

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ
فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ
مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ
شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقَرُّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
يُضْعِفُهُ لَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾.

فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه أراد قوماً أسلموا بمكة فأرادوا الهجرة فمنعهم أزواجهم وأولادهم
منها وثبطوهم عنها، فنزل ذلك فيهم؛ قاله ابن عباس (٢٢).

الثاني: من أزواجكم وأولادكم من لا يأمر بطاعة الله ولا ينهى عن معصيته، قاله قتادة.

الثالث: أن منهم من يأمر بقطيعة الرحم ومعصية الرب، ولا يستطيع مع حبه ألا
يطيعه، وهذا من العداوة؛ قاله مجاهد.

وقال مقاتل بن سليمان: نبئت أن عيسى عليه السلام قال: من اتخذ أهلاً ومالاً
وولداً كان للدنيا عبداً (٢٣).

الرابع: أن منهم من (٢٤) هو مخالف للدين، فصار بمخالفة الدين عدواً، قاله
ابن زيد.

(٢٢) رواه الترمذي (٣٣١٤) وصححه وزاد السيوطي في الدر (١٨٤/٨) نسبته لابن أبي حاتم وابن جرير
(١٣٤/٢٨) والطبراني والحاكم وصححه (٤٩٠/٤) ووافقه الذهبي وابن مردويه وابن المنذر وعبد بن
حميد والفريابي.

(٢٣) وعلى هذا القول إن لم يتق الله فيهم ويعلمهم ويحسن أدبهم ويربهم على الكتاب والسنة أما إذا
انشغل بهم عن طاعة الله كان يقصر في فرائض الله تعالى أو يرتكب المحرمات من أجلهم فيؤول به
الأمر لما قال نبي الله عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

(٢٤) قال الإمام أبو بكر بن العربي هذا بين وجه العداوة فإن العدو لم يكن عدواً لذاته وإنما عدواً بفعله فإذا

الخامس: أن من حملك منهم على طلب الدنيا والاستكثار منها كان عدواً لك،
قاله سهل.

وفي قوله ﴿فاحذروهم﴾ وجهان:

أحدهما: فاحذروهم على دينكم؛ قاله ابن زيد.

الثاني: على أنفسكم، وهو محتمل.

﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا﴾ الآية. يريد بالعفو عن الظالم، وبالصفح
عن الجاهل، وبالعفوان للمسيء.

﴿فإن الله غفورٌ﴾ للذنوب ﴿رحيمٌ﴾ بالعباد، وذلك أن من أسلم بمكة ومنعه
أهله من الهجرة فهاجر ولم يمتنع قال:

لئن رجعت لأفعلن بأهلي ولأفعلن، ومنهم من قال: لا ينالون مني خيراً أبداً،
فلما كان عام الفتح أمروا بالعفو والصفح عن أهاليهم، ونزلت هذه الآية فيهم.

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بلاء، قاله قتادة.

الثاني: محنة، ومنه قول الشاعر (٢٥):

لقد فتن الناس في دينهم وخلى ابنُ عفان شراً طويلاً
وفي سبب افتتانه بهما وجهان:

أحدهما: لأنه يلهو بهما عن آخرته ويتوفر لأجلهما على دنياه.

الثاني: لأنه يشح لأجل أولاده فيمنع حق الله من ماله، لذلك قال النبي

ﷺ: «الولد مبخله محزنة مجبنة».

فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة. نقله القرطبي
(١٤/١٨).

(٢٥) القرطبي (١٤٣/١٨).

(٢٦) رواه أبو يعلى والبخاري كما في مجمع الزوائد (١٥٥/٨) وقال الإمام الهيثمي: فيه عطية العوفي وهو
ضعيف.

قلت: وزاد الحافظ ابن حجر نسبته في المطالب العالية (٣٩/٣) لأبي بكر بن أبي شيبة والحديث
ضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم: ٧١٦٠.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قال أبو هريرة والحسن وقتادة وابن جبير: هي الجنة. ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن يكون أجرهم في الآخرة أعظم من منفعتهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا، فلذلك كان أجره عظيماً.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني جهدكم، قاله أبو العالية.

الثاني: أن يطاع فلا يعصى، قاله مجاهد.

الثالث: أنه مستعمل فيما يرجونه به من نافلة أو صدقة، فإنه لما نزل قوله تعالى: ﴿آتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ اشتد على القوم فقاموا (*) حتى ورمت عراقبيهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تعالى ذلك تخفيفاً ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخت الأولى، قاله ابن جبير (٢٧).

ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل أن المكروه على المعصية غير مؤاخذ بها لأنه لا يستطيع اتقاءها (٢٨).

﴿وَاسْمَعُوا﴾ قال مقاتل: كتاب الله إذا نزل عليكم.

﴿وَأَطِيعُوا﴾ الرسول فيما أمركم أو نهاكم (٢٩)، قال قتادة: عليها ببيع النبي ﷺ على السمع والطاعة.

﴿وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هي نفقة المؤمن لنفسه، قاله الحسن.

الثاني: في الجهاد، قاله الضحاك.

الثالث: الصدقة، قاله ابن عباس.

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: هوى نفسه، قاله ابن أبي طلحة.

(*) أي قاموا في الصلاة.

(٢٧) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (١٨٦/٨) ونقله ابن كثير (٣٧٧/٤)

(٢٨) أقول «ولكن يستدل من الآية التي في سورة النحل على أن المكروه لا يؤاخذ إذ هي صريحة في ذلك «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان».

(٢٩) قال الحافظ ابن كثير (٣٧٧/٤) قوله تعالى ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسره ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتكم.

الثاني : الظلم ، قاله ابن عيينة .

الثالث : هو منع الزكاة ، قال ابن عباس : من أعطى زكاة ماله فقد وقاه الله شح نفسه .

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : النفقة في سبيل الله ، قاله عمر رضي الله عنه .

الثاني : النفقة على الأهل ، قاله زيد بن أسلم .

الثالث : أنه قول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، رواه ابن حبان .

وفي قوله ﴿حَسَنًا﴾ وجهان محتملان :

أحدهما : أن تطيب بها النفس (*) .

الثاني : أن لا يكون بها ممتناً .

﴿يُضَاعَفْ لَكُمْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بالحسنة عشر أمثالها ، كما قال تعالى في التنزيل (٣٠) .

الثاني : إلى ما لا يحد من تفضله ، قاله السدي .

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ يعني ذنوبكم .

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يشكر لنا القليل من أعمالنا وحليم لنا في عدم تعجيل المؤاخذه بذنوبنا .

الثاني : شكور على الصدقة حين يضاعفها ، حليم في أن لا يعجل بالعقوبة من

[تحريف (٣١)] الزكاة عن موضعها ، قاله مقاتل .

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : السر والعلانية .

الثاني : الدنيا والآخرة .

(*) يعني بالإِنْفَاق .

(٣٠) كما في قوله ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ سورة الأنعام .

(٣١) ويكون ذلك بنقصانها أو إعطائها لمن لا يستحق وهو يعلم أو بالرياء أو بالمن أو بالأذى مما يعرض المزكي لفساد في دينه وثيئته .

سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

قوله تعالى ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ الآية. هذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ [فهو شامل لأئمة فروى قتادة عن أنس قال (٣٢): «طلق رسول الله ﷺ حفصة رضي الله عنها فأت أهلها فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ وقيل له راجعها فإنها قوامة صوامة، وهي من أزواجك في الجنة.».] ﴿لعدتهن﴾ يعني في طهر من غير جماع، وهو طلاق السنة. وفي اعتبار العدد في طلاق السنة قولان:

أحدهما: أنه معتبر وأن من السنة أن يطلق في كل قرء واحدة، فإن طلقها ثلاثاً معاً في قرء كان طلاق بدعة، وهذا قول أبي حنيفة ومالك رحمهما الله.

(٣٢) رواه ابن أبي حاتم وساقه ابن كثير في التفسير (٣٧٧/٤) ورواه ابن جرير (١٣٢/٢٨) عن ابن بشار عن ابن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلاً قال الحافظ ابن كثير «وقد ورد من غير وجه أن الرسول ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».

الثاني : أنه غير معتبر، وأن السنة في زمان الطلاق لا في عدده، فإن طلقها ثلاثاً في قرء كان غير بدعة، قاله الشافعي رحمه الله، وقد روي أن النبي ﷺ كان يقرأ: فطَلَّقُوهُمْ لِقَبْلِ عَدَّتِهِنَّ. وإن طلقها حائضاً أو في طهر جماع كان بدعة، وهو واقع، وزعم طائفة أنه غير^(٣٤) واقع لخلاف المأذون فيه فأما طلاق الحامل وغير المدخول بها والصغيرة واليايسة(*) والمختلعة فلا سنة فيه ولا بدعة.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ﴾ يعني في المدخول بها، لأن غير المدخول بها لا عدة عليها وله أن يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة، ويكون بعدها كأحد الخطاب، ولا تحل له في الثلاث إلا بعد زوج.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ يعني في نساءكم المطلقات.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ يعني في زمان عدَّتِهِنَّ، لوجود

السكنى لهن.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الفاحشة يعني الزنى، والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد، قاله ابن

عمر والحسن ومجاهد.

والثاني: أنه البذاء(*) على أحماثها، وهذا قول عبدالله بن عباس والشافعي.

الثالث: كل معصية لله، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أن الفاحشة خروجهن، ويكون تقدير الآية: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة

بخروجهن من بيوتهن، قاله السدي.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني وهذه حدود الله، وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني طاعة الله، قاله ابن عباس.

الثاني: سنة الله وأمره، قاله ابن جبير.

(٣٣) رواه مالك (٥٨٧/٢) عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه ابن الأنباري عن ابن عمر موقوفاً الدر (١٩٠/٨).

(٣٤) هذا الموضوع أشبهه العلماء بحثاً ودراية في كتب الفقه مكثرين من الاستدلالات الواضحة من السنة

النبوية الشريفة وما ورد في البحث من الآثار النفيسة في أثر عن السلف الصالح.

(*) وهي التي بلغت سن اليأس لكبر سنهما ولم تعد تحيض.

(*) هو أن يطول لسانها على أقارب زوجها كحمايتها.

الثالث: شروط الله، قاله السدي.

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: من لم يرض بها، قاله ابن عباس.

الثاني: من خالفها، قاله ابن جبير.

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فقد ظلم نفسه في عدم الرضا، باكتساب المأثم.

الثاني: في وقوع الطلاق في غير الطهر للشهور لتطويل هذه العدة والإضرار بالزوجة.

﴿لا تدري لعلَّ الله يُحدثُ بعدَ ذلكَ أمراً﴾ يعني رجعة، في قول جميع المفسرين إن طلق دون الثلاث.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً^(٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^(٣) إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ^(٤) قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا^(٥)

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعني قاربن انقضاء عدتهن.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يعني بالإمساك الرجعة.

وفي قوله ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ وجهان:

أحدهما: بطاعة الله في الشهادة، قاله مقاتل.

الثاني: أن لا يقصد الإضرار بها في المراجعة تطويلاً لعدتها. ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وهذا بأن لا يراجعها في العدة حتى تنقضي في منزلها.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ يعني على الرجعة في العدة، فإن راجع من غير شهادة ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء^(٣٥).

(٣٥) والإشهاد مشروع وقد روى أبو داود (٤١٨٦) وابن ماجه (٢٠٢٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أي ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس .

الثاني : أن المخرج علمه بأنه من قبل الله، فإن الله هو الذي يعطي ويمنع، قاله مسروق .

الثالث : أن المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه، قاله علي بن صالح .

الرابع : مخرجاً من الباطل إلى الحق، ومن الضيق إلى السعة، قاله ابن جريج .

الخامس : ومن يتق الله بالطلاق يكن له مخرج في الرجعة في العدة، وأن يكون كأحد الخطاب بعد العدة، قاله الضحاك .

والسادس : ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله الكلبي .

السابع : أن عوف بن مالك الأشجعي أسير^(٣٦) ابنه عوف، فأتى رسول الله ﷺ فشكا إليه ذلك مع ضر أصابه، فأمره أن يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقه للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه، ثم قدم عوف فوقف على أبيه يناديه وقد ملأ الأقبال(*) إبلاً، فلما رآه أتى رسول الله ﷺ فأخبره وسأله عن الإبل فقال : اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الآية، فروى الحسن عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه الله من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها» .

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْغُ أَمْرِهِ﴾ قال مسروق : إن الله قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن

سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال : طلقت بغير سنة ؛ وراجعت بغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام .

(٣٦) رواه الطبري (١٣٨/٢٨) عن السدي ورواه (١٣٨/٢٨) عن سالم بن أبي الجعد مرسلًا وذكره ابن هشام في السيرة وهو السياق الذي أورده المؤلف هنا وقد أورده ابن كثير (٤/٣٨٠) .
(*) الأقبال جمع قبل وهو سفح الجبل .

لم يتوكل عليه، إلا أن من توكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: - يعني وقتاً وأجلاً، قاله مسروق.

الثاني: منتهى وغاية، قاله قطرب والأخفش.

الثالث: مقداراً واحداً، فإن كان من أفعال العباد كان مقدراً بأوامر الله، وإن

كان من أفعال الله ففيه وجهان:

أحدهما: بمشيئته.

الثاني: أنه مقدر بمصلحة عباده.

وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي
لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ
أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا لِيُكْرَمَ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ
لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

﴿وَاللَّاتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ في
الرية ها هنا قولان:

أحدهما: إن ارتبتم فيهن بالدم الذي يظهر منهن لكبرهن فلم تعرفوا أحيض هو
أم استحاضة، فعدتهن ثلاثة أشهر، قاله مجاهد والزهري.

الثاني: إن ارتبتم بحكم عددهن فلم تعلموا بماذا يعتدّن، فعدتهن ثلاثة
أشهر.

روى عمر بن سالم^(٣٧) عن أبي بن كعب قال: قلت: يا رسول الله إن ناساً من
أهل المدينة لما نزلت الآيات التي في البقرة في عدة النساء قالوا: لقد بقي من عدة النساء
عدد لم يذكروا في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض وذوات

(٣٧) رواه الطبري (١٤١/٢٨) والحاكم (٤٩٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في البدل
(٢٠١/٨) نسبه لاسحاق راهويه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.

الحمل، فأنزل الله: ﴿اللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر﴾.

﴿واللائي لم يحضن﴾ يعني كذلك عدتهن ثلاثة أشهر، فجعل لكل قرء شهراً، لأنها تجمع في الأغلب حيضاً وطهرًا.

﴿وأولاتُ الأحمالِ أجلهنَّ أن يضعنَّ حملهنَّ﴾ فكانت عدة الحامل وضع حملها في الطلاق والوفاة.

﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من يتقه في طلاق السنة يجعل له من أمره يسراً في الرجعة، قاله الضحاك.

الثاني: من يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه للطاعة، وهذا معنى قول مقاتل.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقِهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَلْيَنْقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأُتِمُّوا بِبَيْتِكُمْ مَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فُسْرَتُمْ فَلْيَضْعُوهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ إِنَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ يعني سكن الزوجة مستحق على زوجها مدة نكاحها وفي عدة طلاقها بائناً كان أو رجعيًا.

وفي قوله: ﴿من وجدكم﴾ أربعة أوجه:

أحدها: من قوتكم، قاله الأعمش.

الثاني: من سعيكم، قاله الأخفش.

الثالث: من طاقتكم، قاله قطرب.

الرابع: مما تجدون، قاله الفراء، ومعانيها متقاربة. ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقِهِنَّ عَلَيْهِنَّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في المساكن، قاله مجاهد.

الثاني: لتضييقوا عليهن في النفقة، قاله مقاتل. فعلى قول مجاهد أنه التضييق في المسكن فهو عام في حال الزوجية وفي كل عدة، لأن السكنى للمعتدة واجبة في كل عدة في طلاق يملك فيه الرجعة أو لا يملك.
وفي وجوبه في عدة الوفاة قولان^(٣٨)؛

وعلى قول مقاتل أنه التضييق في النفقة فهو خاص في الزوجة وفي المعتدة من طلاق رجعي.

وفي استحقاقها للمطلقة البائن قولان:

أحدهما: لا نفقة للبائن في العدة، وهو مذهب مالك والشافعي رحمهما الله.
الثاني: لها النفقة، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله.

﴿وإن كُنْ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وهذا في نفقة المطلقة الحامل لأنها واجبة لها مدة حملها في قول الجميع سواء كان طلاقاً بائناً أم رجعياً، وإنما اختلفوا في وجوب النفقة لها هل استحقته بنفسها إن كانت بائناً أو بحملها على قولين.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وهذا في المطلقة إذا أرضعت فلها على المطلق أجره رضيعها لأن نفقته ورضاعه واجب على أبيه دونها، ولا أجره لها إن كانت على نكاحه.

﴿وَاتَّبِعُوا بَيْنَكُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: قاله السدي^(٣٩).

الثاني: تراضوا يعني أبوي الولد يتراضيان بينهما إذا وقعت الفرقة بينهما بمعروف في أجرتها على الأب ورضاعها للولد.
﴿وإن تعاسرتم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تضايقتم وتشاكستم، قاله ابن قتيبة.

(٣٨) أي قول بالوجوب وقول بعدمه.

(٣٩) كذا هنا وفي المطبوعة وقد أكملنا النقص من تفسير الطبري (١٤٨/٢٨) ولفظه «اصنعوا بالمعروف فيما بينكم» وفي المخطوطة كلام مضطرب في سطرين.

الثاني : اختلفتم .

﴿فسترضع له أخرى﴾ واختلافهما نوعان :

أحدهما : في الرضاع .

الثاني : في الأجر .

فإن اختلفا في الرضاع فإن دعت إلى إرضاعه فامتنع الأب مكنت منه جبراً ، وإن دعاها الأب إلى إرضاعه فامتنعت ، فإن كان يقبل ثدي غيرها لم تجبر على إرضاعه ويسترضع له غيرها ، وإن كان لا يقبل ثدي غيرها أجبرت على إرضاعه بأجر مثلها .
وإن اختلفا في الأجر فإن دعت إلى أجر مثلها وامتنع الأب إلا تبرعاً فالأم أولى بأجر المثل إذا لم يجد الأب متبرعاً .

وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأم شططاً فالأب أولى به ، فإذا أعسر الأب بأجرتها أخذت جبراً برضاع ولدها .

﴿ . . لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يكلف الله الأب نفقة الموضع إلا بحسب المكنة ، قاله ابن جبير .

الثاني : لا يكلفه الله أن يتصدق ويزكي وليس عنده مال مصدق ولا مزكى ، قاله ابن زيد .

الثالث : أنه لا يكلفه فريضة إلا بحسب ما أعطاه الله من قدرته ، وهذا معنى قول مقاتل .

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني بعد ضيق سعة .

الثاني : بعد عجز قدرة .

وَكَاثِنٍ مِّن قَرِيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا نُّكَرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرْجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورَ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمْ رِزْقًا ﴿١١﴾

﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً﴾ الذكر القرآن، وفي الرسول قولان:

أحدهما: جبريل، فيكونان جميعاً منزلين، قاله الكلبي.

الثاني: أنه محمد ﷺ، فيكون تقدير الكلام: قد أنزل الله إليكم ذكراً وبعث إليكم رسولاً.

﴿يتلوا عليكم آيات الله﴾ يعني القرآن، قال الفراء: نزلت في مؤمني أهل الكتاب.

﴿مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

الثاني: من ظلمة المنسوخ إلى ضياء الناسخ.

الثالث: من ظلمة الباطل إلى ضياء الحق.

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

﴿الله الذي خلق سبع سموات﴾ لا اختلاف بينهم في السموات السبع أنها سماء فوق سماء.

ثم قال ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني سبعاً^(٤٠)، واختلف فيهن على قولين:

أحدهما: وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض، وجعل في كل أرض من خلقه من شاء، غير أنهم تقلّهم أرض وتظلمهم أخرى، وليس تظل السماء إلا أهل الأرض العليا التي عليها عالمنا هذا، فعلى هذا تختص دعوة الإسلام

(٤٠) روى الطبري (١٥٣/٢٨) وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٦ عن ابن مسعود موقوفاً وسنده حسن، ولفظه «خلق الله سبع سموات غلط كل واحدة مسيرة خمسمائة عام وبين كل واحدة منهن خمسمائة عام وفوق السموات الماء والله جل ثناؤه فوق الماء ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم والأرض سبع وبين كل أرضين خمسمائة عام وغلط كل أرض خمسمائة عام.

بأهل الأرض العليا ولا تلزم من في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز.

وفي مشاهدتهم السماء واستمداد الضوء منها قولان:

أحدهما: أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة.

والقول الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء وإن الله خلق لهم ضياء يستمدونه، وهذا قول من جعل الأرض كالكرة.

القول الثاني: حكاه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بينهن البحار وتظل جميعهن السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل هذه الأرض وصول للأخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام عند إمكان الوصول إليهم لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، واحتمل ألا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمتم لكان النص بها وارداً ولكان الرسول بها مأموراً، والله أعلم بصحة ما استأثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه.

ثم قال تعالى ﴿يَنْتَزِلُّ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الوحي، قاله مقاتل، فعلى هذا يكون قوله ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ إشارة إلى ما بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها. الوجه الثاني: أن المراد بالأمر قضاء الله وقدره، وهو قول الأكثرين، فعلى هذا يكون المراد بقوله «بينهن» الإشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها.

ثم قال ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر، ومن العفو والانتقام أمكن، وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ أوجب التسليم بما تفرد به من العلم كما أوجب التسليم بما تفرد به من القدرة، ونحن نستغفر الله من خوض فيما اشتبه وفيما التبس وهو حسب من استعان به ولجأ إليه.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

مدنية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْضَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ
فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى
بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ
بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُنْوَإَ
إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ
يُبْدِلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُؤْمِنَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قُنَّاتٍ تَیْبَتٍ عَیْدَاتٍ سَخِطَتْ تَیْبَتٍ
وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه أراد بذلك المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها ، قاله ابن عباس (٤١).

والثاني : أنه غسل شربه النبي ﷺ عند بعض نسائه ، واختلف فيها فروى عروة

(٤١) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وضعفه السيوطي في الدر (٢١٨/٨).

عن (٤٢) عائشة أنه شربه عند حفصة وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس (٤٣) أنه شربه عند سودة. وروى أسباط عن السدي أنه شربه عند أم سلمة، فقال يعني نساؤه عدا من شرب ذلك عندها: إنا لنجد منك ريح المغافير(*)، وكان يكره أن يوجد منه الريح، وقلن له: جَرَسَتْ(*) نحلته العُرفُط، فحَرَّمَ ذلك على نفسه، وهذا قول من ذكرنا.

الثالث: أنها مارية أم إبراهيم خلا بها رسول الله ﷺ في بيت حفصة بنت عمر وقد خرجت لزيارة أبيها، فلما عادت وعلمت عتبت على النبي ﷺ فحرّمها على نفسه إرضاء لحفصة، وأمرها أن لا تخبر أحداً من نسائه، فأخبرت به عائشة المصافاة كانت بينهما وكانتا تتظاهران على نساء النبي ﷺ أي تتعاونان، فحرّم مارية وطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً، وكان جعل على نفسه أن يُحرّمهن شهراً، فأنزل الله هذه الآية، فراجع حفصة واستحل مارية وعاد إلى سائر نسائه، قاله الحسن وقتادة والشعبي ومسروق والكلبي وهو ناقل السيرة.

واختلف من قال بهذا، هل حرّمها على نفسه يمين آلى بها أم لا، على قولين: أحدهما: أنه حلف يميناً حرّمها بها، فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين، قاله الحسن وقتادة والشعبي.

الثاني: أنه حرّمها على نفسه من غير يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: قد بين الله لكم المخرج من أيمانكم.

(٤٢) رواه البخاري (٢٩٥/١١ - ٢٩٧) ومسلم (١١٠١/٢).

(٤٣) رواه ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وابن المنذر بسند صحيحه السيوطي في الدر (٢١٣/٨) وقال الحافظ في الفتح (٢٩٢/١١) وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة.....

والراجح أن صاحبة العسل زينب لا سودة لأنه طريق عبيد بن عمير أثبت من طرق ابن أبي مليكة بكثير اهـ.

(*) المغافير: شي شبيه بالصمغ فيه حلاوة قاله ابو عبيد ونقله ابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٥/٨).

(*) جرس نحلته العرفط: أي رعت نحل هذا العسل الذي شربته يقال جرس نحل تجرس جرساً إذا أكلت لتعسل ويقال للنحل جراس، والعرفط هو شجر ينضج الصمغ المعروف بالمغافير.

الثاني : قد قدر الله لكم الكفارة في الحنث في أيما نكم .
﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أسرَّ إلى حفصة تحريم ما حرمه على نفسه ، فلما ذكرته لعائشة وأطلع الله نبيه على ذلك عرفها بعض ما ذكرت ، وأعرض عن بعضه ، قاله السدي .

الثاني : أسرَّ إليها تحريم مارية ، وقال لها : اكنميه عن عائشة وكان يومها منه ، وأسرك أن أبا بكر الخليفة من بعدي ، وعمر الخليفة من بعده ، فذكرتها لعائشة ، فلما أطلع الله نبيه ﴿عَرَفَ بعضه وأعرض عن بعض﴾ فكان الذي عرف ما ذكره من التحريم ، وكان الذي أعرض عنه ما ذكره من الخلافة لثلاثا ينتشر ، قاله الضحاك^(٤٤) .
وقرأ الحسن : «عَرَفَ بعضه» بالتخفيف^(٤٥) ، وقال الفراء : وتأويل قوله : عرف بعضه بالتخفيف أي غضب منه وجازى عليه ، ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ يعني بالتوبة اللتين تظاهرتا وتعاونتا من نساء النبي ﷺ على سائرهن وهما عائشة وحفصة .
وفي «صغت» ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني زاغت ، قاله الضحاك .

الثاني : مالت ، قاله قتادة ، قال الشاعر :

تُصْغِي الْقُلُوبُ إِلَى أَغْرٍ مُبَارِكٍ مِنْ نَسْلِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
والثالث : أثمت ، حكاه ابن كامل .
وفيما أخذتا بالتوبة منه وجهان :
أحدهما : من الإذاعة والمظاهرة .

الثاني : من سرورهما بما ذكره النبي ﷺ من التحريم ، قاله ابن زيد .
﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ يعني تعاوننا على معصية رسول الله ﷺ .
﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ يعني وليه ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ يعني وليه أيضاً .

(٤٤) رواه الضحاك عن ابن عباس وأخرجه ابن مردويه كما في الفتح (٢٠٠/١١) وقال الحافظ ابن حجر في سنده ضعف قلت وهو مخالف للأحاديث الصحيحة إذ ليس فيها التصريح بإمارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وإلا لما حصل نزاع بين الصحابة في ذلك ولكن الأحاديث تشير بمجموعها على أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله أبو بكر رضي الله عنه راجع فتح القدير للشوكاني (٢٥٣/٥) .
(٤٥) وهي قراءة الكسائي وحده زاد المسير (٣٠٩/٨) السبعة لابن مجاهد ٦٤ .

﴿وصالح المؤمنين﴾ فيهم خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الأنبياء، قاله قتادة وسفيان.

الثاني: أبو بكر وعمر، قال الضحاك وعكرمة: لأنهما كانا أبوي عائشة وحفصة وقد كانا عوناً له عليهما.

الثالث: أنه عليّ (٤٦).

الرابع: أنهم أصحاب النبي ﷺ، قاله السدي.

الخامس: أنهم الملائكة، قاله ابن زيد.

ويحتمل سادساً: أن صالح المؤمنين من وقى دينه بدينه.

﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ يعني أعواناً للنبي ﷺ، ويحتمل تحقيق تأويله

وجهاً ثانياً: أنهم المستظهر بهم عند الحاجة إليهم.

﴿عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجاً خيراً منك﴾ أما نساؤه فخير نساء الأمة.

وفي قوله ﴿خيراً منك﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أطوع منك.

والثاني: أحب إليه منك.

والثالث: خيراً منك في الدنيا، قاله السدي.

﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني مخلصات، قاله ابن جبير ونرى ألا يستبيح الرسول إلا مسلمة.

الثاني: يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة كثيراً، قاله السدي.

الثالث: معناه مسلمات لأمر الله وأمر رسوله، حكاه ابن كامل.

﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ يعني مصدقات بما أمرن به ونهين عنه.

﴿قَانِتَاتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مطيعات.

الثاني: راجعات عما يكرهه الله إلى ما يحبه.

(٤٦) قال العلامة الألوسي (١٥٤/٢٨) وأنا أقول العموم أولى وهما [أبو بكر وعمر] وكذا علي كرم الله وجهه يدخلان دخولاً أدبياً.

﴿ثَابِتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الذنوب، قاله السدي.

الثاني: راجعات لأمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن.

﴿عَابِدَاتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عابدات لله، قاله السدي.

الثاني: متذللات للرسول بالطاعة، ومنه أخذ اسم العبد لتذله، قاله ابن بحر.

﴿سَائِحَاتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صائمات، قاله ابن عباس والحسن وابن جبير.

قال ابن قتية: سمي الصائم سائحاً لأنه كالسائح في السفر بغير زاد.

وقال الزهري: قيل للصائم سائح لأن الذي كان يسيح في الأرض متعبداً لا زاد

معه كان ممسكاً عن الأكل، والصائم يمسك عن الأكل، فلهذه المشابهة سمي الصائم سائحاً، وإن أصل السياحة الاستمرار على الذهاب في الأرض كالماء الذي يسيح، والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المشتبه، وهو الأكل والشرب والوقاع.

وعندي فيه وجه آخر وهو أن الإنسان إذا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسد

على نفسه أبواب الشهوات انفتحت عليه أبواب الحكم وتجلت له أنوار المتنقلين من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة فتحصل له سياحة في عالم الروحانيات.

الثاني: مهاجرات لأنهن بسفر الهجرة سائحات، قاله زيد بن أسلم.

﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارٍ﴾ أما الثيب فإنما سميت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام

معه، أو إلى غيره إن فارقها، وقيل لأنها ثابتة إلى بيت أبيها، وهذا أصح لأنه ليس كل ثيب تعود إلى زوج.

وأما البكر فهي العذراء سميت بكراً لأنها على أول حالتها التي خلقت بها.

قال الكلبي: أراد بالثيب مثل آسية امرأة فرعون، والبكر مثل مريم بنت عمران.

روى خداش^(٤٧) عن حميد عن أنس قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في

(٤٧) جاء مكان هذه العبارة كلمتان مطموستان في الأصل والعبارة منقولة من جامع الاصول.

ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يا رسول الله إنك يدخل إليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله آية الحجاب، وبلغني عن أمهات المؤمنين شيء [فدخلت عليهن فقلت]: لتكفرن عن رسول الله أو ليلدنه الله أزواجاً خيراً ممن كن حتى دخلت على إحدى أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول (٤٨) الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، فأمسكت فأنزل الله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ الآية.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْلَازُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اكْتَمِلْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ قال خيثمة: كل شيء في القرآن يا أيها الذين آمنوا ففي التوراة يا أيها المساكين.

وقال ابن مسعود: إذا قال الله يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه.

وقال الزهري: إذا قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا افعلوا، فالنبي منهم.

ومعنى قوله: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ أي اصرفوا عنها النار، ومنه قول الراجز:

ولو توقى لوقاه الوافي وكيف يوقى ما الموت لاقى

وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه قوا أنفسكم ، وأهلكم فليقوا أنفسهم ناراً ، قاله الضحاك .

الثاني : قوا أنفسكم ومروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيمكم الله بهم ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

الثالث : قوا أنفسكم بأفعالكم ، وقوا أهليكم بوصيتكم ، قاله علي وقتادة ومجاهد .

وقي الوصية التي تقيهم النار ثلاثة أقاويل :

أحدها : يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته ، قاله قتادة .

الثاني : يعلمهم فروضهم ويؤدبهم في دنياهم ، قاله علي .

الثالث : يعلمهم الخير ويأمرهم به ، ويبين لهم الشر ، وينهاهم عنه .

قال مقاتل : حق ذلك عليه في نفسه وولده وعبيده وإمائه .

﴿وقودها الناس والحجارة﴾ في ذكر الحجارة مع الناس ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الحجارة التي عبدوها ، حتى يشاهدوا ما أوجب مصيرهم إلى النار ، وقد بين الله ذلك في قوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ .

الثاني : أنها حجارة من كبريت وهي تزيد في وقودها النار وكان ذكرها زيادة في الوعيد والعذاب ، قاله ابن مسعود ومجاهد .

الثالث : أنه ذكر الحجارة ليعلموا أن ما أحرق الحجارة فهو أبلغ في إحراق الناس .

روى ابن أبي زائدة قال : بلغني أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية ، وعنده بعض أصحابه ، ومنهم شيخ ، فقال الشيخ : يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال : والذي نفسي بيده لصخرة من جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها ، فوقع الشيخ مغشياً عليه ، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حي ، فقال : يا شيخ قل لا إله إلا الله ، فقال بها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله آمين بيننا ؟ قال : نعم لقول الله تعالى : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾ .

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ يعني غلاظ القلوب، شداد الأفعال وهم الزبانية.
 ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي لا يخالفونه في أمره من زيادة أو نقصان.
 ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يعني في وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه.
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ فيه خمسة تأويلات:
 أحدها: أن التوبة النصوح هي الصادقة الناصحة، قاله قتادة.
 الثاني: أن النصوح أن يغيض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره، قاله الحسن.

الثالث: أن لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها.
 الرابع: أن النصوح هي التي لا يحتاج معها إلى توبة.
 الخامس: أن يتوب من الذنب ولا يعود إليه أبداً، قاله عمر بن الخطاب (٩٦).
 وهي على هذه التأويلات مأخوذة من النصيحة (*) وهي الخياطة.
 وفي أخذها منها وجهان:
 أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب
 بخياطته وتوثيقه.

الثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم كما يجمع الخياط
 الثوب ويلصق بعضه ببعض.

ومنهم من قرأ نصوصاً بضم (٥٠) النون، وتأويلها على هذه القراءة توبة نصح
 لأنفسكم، ويروي نعيم (٥١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشَدَّ
 فِرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتْ يَجْدُهَا بِأَرْضٍ فَلَاةٍ عَلَيْهَا زَاذَةٌ وَسَقَاوَةٌ».

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ

(٤٩) رواه أحمد بن منيع وصححه الحافظ ابن حجر في المطالب (٣/٣٩٠).
 (*) ومنها النصيحة لأن الناصح يلم شعث أخيه المنصوح بنصيحته لأن النصيحة من الدين والدين النصيحة
 كما قال سيد المرسلين. رواه مسلم وغيره.
 (٥٠) وهي قراءة أبو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع زاد المسير (٨/٣١٣) والسبعة لابن مجاهد ص ٦٤١.
 (٥١) رواه البخاري (١١/٨٨ و ٨٩ و ٩٠) ومسلم (٢٧٤٤) والترمذي (٢٤٩٩) جامع الأصول ٥٨١٢.

وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ أما جهاد الكفار فبالسيف، وأما جهاد المنافقين ففيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه باللسان والقول، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: بالغلظة عليهم كما ذكر الله، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه، وليقابلهم بوجه مكفهر، قاله ابن مسعود.

الرابع: بإقامة الحدود عليهم، قاله الحسن.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾
في خيانتهم أربعة أوجه:

أحدها: أنهما كانتا كافرتين، فصارتا خائنتين بالكفر، قاله السدي.

الثاني: منافقتين تظهران الإيمان وتستران الكفر، وهذه خيانتهم قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط (٥٢)، إنما كانت خيانتهم في الدين.

الثالث: أن خيانتهم النميمة، إذا أوحى الله تعالى (*) إليهما [شيئاً] أفشاه إلى المشركين، قاله الضحاك.

الرابع: أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون، وإذا آمن أحد به

(٥٢) رواه ابن جرير (٢٨/١٧٠) وزاد السيوطي في الدر (٨/٢٢٨) نسبته لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس قلت وزاد الحافظ في تخریج الكشف ص ١٧٦ نسبته لابن مردويه، وقال الشوكاني (٥/٢٥٥) على قول ابن عباس وقع الإجماع.
(*) أي إلى نوح ولوط عليها السلام.

أخبرت الجبابة به، وخيانة امرأة لوط أنه كان إذا نزل به ضيف دَخَنْتِ لَتُعْلِمَ قومها أنه قد نزل به ضيف، لما كانوا عليه من إتيان الرجال

قال مقاتل: وكان اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والهة (٥٣).
وقال الضحاك عن عائشة أن جبريل نزل (٥٤) على النبي ﷺ فأخبره أن اسم امرأة نوح واعلة، واسم امرأة لوط والهة.

﴿فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله عن زوجتهما لما عصتا شيئاً من عذاب الله، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة دون الوسيلة.

قال يحيى بن سلام: وهذا مثل ضربة الله ليحذر به حفصة وعائشة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة فقال:

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِي
عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ
مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا أَنْ تُحْسِنَ الصَّلَاةَ

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ﴾ قيل اسمها آسية بنت مزاحم.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ قال أبو العالية: أطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: فإنها تعبد رباً غيري، فقالوا له: اقتلها، فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها (٥٥)، فدعت آسية ربها فقالت: «رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة» الآية،

(٥٣) وفي زاد المسير (٣١٥/٨) والفه.

(٥٤) لم نعثر على تخريجه.

(٥٥) قال السيوطي رحمه الله في الدر (٢٢٩/٨) وأخرج أبو يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة أن فرعون وتدل امرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكانوا إذا تفرقوا عنها أطلقتها الملائكة عليهم السلام

فكشف لها الغطاء فنظرت إلى بيتها في الجنة، فوافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها، فعذبها وهي تضحك وقُبض روحها.

وقولها: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: الشرك.

الثاني: الجماع، قاله ابن عباس.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥٦) فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل مصر، قاله الكلبي.

الثاني: القبط، قاله مقاتل.

﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها﴾ قال المفسرون:

إنه أراد بالفرج الجيب لأنه قال ﴿ففنفخنا فيه من رُوحنا﴾ وجبريل إنما نفخ في

جيبها، ويحتمل أن تكون أحصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا ثَلَاثَةٌ أَوْجُهَ:

أحدها: أن «كلمات ربها» الإنجيل، و«كتبه» التوراة والزبور.

الثاني: أن «كلمات ربها» قول جبريل حين نزل عليها ﴿إنما أنا رسول ربك

لأهب لك غلاماً زكياً﴾، و«كتبه» الإنجيل الذي أنزله من السماء، قاله الكلبي.

الثالث: أن «كلمات ربها» عيسى، و«كتبه» الإنجيل، قاله مقاتل.

﴿وكانت من القانتين﴾ أي من المطيعين في التصديق.

الثاني: من المطيعين في العبادة.

فقال: «ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة فكشف لها عن بيتها في الجنة».

قلت وصححه الحافظ في المطالب (٣/٣٩٠) وبنحوه رواه ابن جرير (٢٨/٥٧١) سليمان.

(٥٦) قال العلامة الألوسي (٢٨/١٦٤) «وفي الآية دليل على أن الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إليه عز وجل ومسألة الخلاص منه تعالى عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء وهو في القرآن كثير. اهـ».

سُورَةُ الْمَلِكِ

مكية عند الكل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَيْنٍ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن التبارك تفاعل من البركة، قاله ابن عباس. وهو أبلغ من المبارك لاختصاص الله بالتبارك واشتراك المخلوقين في المبارك.

الثاني: أي تبارك في الخلق بما جعل فيهم من البركة، قاله ابن عطاء.

الثالث: معناه علا وارتفع، قاله يحيى بن سلام.

وفي قوله «الذي بيده الملك» وجهان:

أحدهما: ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة.

الثاني: ملك النبوة التي أعز بها من اتبعه وأذل بها من خالفه، قاله محمد بن

إسحاق.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إنعام وانتقام.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ يعني الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة.
قال قتادة^(٥٧): كان رسول الله ﷺ يقول: [إن الله أذل] بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء. «
الثاني: أنه خلق الموت والحياة جسمين، فخلق الموت في صورة كبش أملح^(٥٨)، وخلق الحياة في صورة فرس [أثنى بقاء]، وهذا مأثور حكاه الكلبي ومقاتل.

﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه خمسة تأويلات:
أحدها: أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة.
الثاني: أيكم أزهد في الدنيا، قاله سفيان.
الثالث: أيكم أروع عن محارم الله وأسرع إلى طاعة الله، وهذا قول مأثور^(٥٩).
الرابع: أيكم للموت أكثر ذكراً وله أحسن استعداداً ومنه أشد خوفاً وحذراً، قاله السدي.

الخامس: أيكم أعرف بعيوب نفسه.
ويحتمل سادساً: أيكم أرضى بقضائه وأصبر على بلائه.
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ فيه وجهان:

(٥٧) وهو من مرسل قتادة رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر (٢٣٤/٨) وقد رواه الطبري (١/٢٩) واقتصر على الجملة الأولى منه.
(٥٨) وهذا من الاسرائيليات ولم يثبت مرفوعاً. وأما ذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار على صورة كبش أملح مقدور وذلك في الصحيحين وقد تقدمه تخريج الحديث في ذلك وقال العلامة الألوسي (٤/٢٩) «وأما ما روي عن ابن عباس من أنه تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء إلا مات وخلق الحياة في صورة فرس بقاء لا تمر بشيء ولا يجدرائحها شيء إلا حيي فهو أشبه شيء بكلام الصوفية ولا يعقل ظاهره اهـ. وقول المؤلف هنا هو مأثور أي ورد عن ابن عباس وقال القرطبي (٢٠٧/١٨) «وما ذكر عن ابن عباس يحتاج إلى خبر صحيح يقطع العذر اهـ.
(*) زيادة من تفسير القرطبي (٢٠٦/١٨).

(٥٩) وقد ورد مرفوعاً قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ٨٦ رواه داود بن المحبر في كتاب العقل والحارث في مسنده والطبري وابن مردويه من طريقه عن عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن ابن عمر وداود ساقط وأخرجه ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن أنس عن سليمان بن عيسى عن الثوري عن كليب كذلك وإسناده أسقط من الأول. اهـ.

ولفظه «ان النبي ﷺ تلا قوله تعالى «لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا قال أيكم أحسن عملاً وأروع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله».

أحدهما: أي متفق متشابه، مأخوذ من قولهم هذا مطابق لهذا أي شبيه له، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني بعضهن فوق بعض، قال الحسن: وسبع أرضين بعضهن فوق بعض، بين كل سماء وأرض خلق وأمر.

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من اختلاف، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

متفاوتات من الأعنة قطباً حتى وفي عشية أثقالها.

الثاني: من عيب، قاله السدي.

الثالث: من تفرق، قاله ابن عباس.

الرابع: لا يفوت بعضه بعضاً، قاله عطاء بن أبي مسلم.

قال الشاعر^(٦٠):

فَلَسْتُ بِمُذْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي بِلَهْفٍ وَلَا بِلَيْتٍ وَلَا لَوَأْنِي

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ قال قتادة: معناه فانظر إلى السماء.

﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من شقوق، قاله مجاهد والضحاك.

الثاني: من خلل، قاله قتادة.

الثالث: من خروق قاله السدي.

الرابع: من وهن، قاله ابن عباس.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي انظر إلى السماء مرة بعد أخرى.

ويحتمل أمره بالنظر مرتين وجهين:

أحدهما: لأنه في الثانية أقوى نظراً وأحد بصرأ.

الثاني: لأنه يرى في الثانية من سير كواكبها واختلاف بروجها ما لا يراه من

الأولى فيتحقق أنه لا فطور فيها.

وتأول قوم بوجه ثالث: أنه عنى بالمرتين قلباً وبصرأ.

(٦٠) اللسان لهف، الخصائص لابن جني (١٣٥/٣) المقرب لابن عصفور (١٨١/١) (٢٠٠/٢) وشرح الأشموني (٢٨٢/٢) وفي هذه المصادر كلها ولست براجع.

﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي يرجع إليك البصر لأنه لا يرى فطوراً فيرتد.

وفي «خاسئاً» أربعة أوجه :

أحدها : ذليلاً ، قاله ابن عباس .

الثاني : منقطعاً ، قاله السدي .

الثالث : كليلاً ، قاله يحيى بن سلام .

الرابع : مبعداً ، قاله الأخفش مأخوذ من خسأت الكلب إذا أبعدته .

وفي «حسير» ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه النادم ، ومنه قول الشاعر (٦١) :

ما أنا اليوم على شيء خلا يا ابنة القَيْنِ تَوَلَّى بِحَسِيرٍ .

الثاني : أنه الكليل الذي قد ضعف عن إدراك مرآه ، قاله ابن عباس ، ومنه قول

الشاعر (٦٢) :

مَنْ مَدَّ طَرْفًا إِلَى مَا فَوْقَ غَايَتِهِ ارْتَدَّ خَسَانٌ مِنْهُ الطَّرْفُ قَدْ حَسِرَا .

والثالث : أنه المنقطع من الإعياء ، قاله السدي ، ومنه قول الشاعر (٦٣) :

وَالْخَيْلُ شُعْتُ مَا تَزَالُ جِيَادُهَا حَسْرَى تَغَادُرُ بِالطَّرِيقِ سَخْرًا - الْهَاءُ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا

وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ

نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي

ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِفُوا

بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ يعني الكفار ألقوا في جهنم .

(٦١) هو المراد والبيت في اللسان حسر والقرطبي (٢١٠/١٨) .

(٦٢) القرطبي (٢١٠/١٨) .

(٦٣) القرطبي (٢١٠/١٨) .

﴿سمعوا لها شهيقاً﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الشهيق من الكفار عند إلقاءهم في النار .

الثاني : أن الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها ، قال ابن عباس : تشهق إليهم شهقة البغلة للشعير ثم تفرز زفرة لا يبقى أحد إلا خاف .
وفي الشهيق ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الشهيق في الصدور ، قاله الربيع بن أنس .

الثاني : أنه الصياح ، قاله ابن جريج .

الثالث : أن الشهيق هو آخر نهيق الحمار ، والزفير مثل أول نهيق الحمار ، وقيل إن الزفير من الحلق ، والشهيق من الصدر .

﴿وهي تفور﴾ أي تغلي ، ومنه قول الشاعر (٦٤) :

تركتهم قَدْرَكم لا شيءَ فيها وَقَدْرُ القومِ حاميةٌ تفورُ
﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ...﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تنقطع ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : تتفرق ، قاله ابن عباس والضحاك .

وقوله «من الغيظ» فيه ها هنا وجهان :

أحدهما : أنه الغليان ، قال الشاعر :

فيا قلب مهلاً وهو غضبان قد غلا من الغيظ وسط القوم ألا يثبكا .

الثاني : أنه الغضب ، يعني غضباً على أهل المعاصي وانتقاماً لله منهم .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن النذر من الجن ، والرسل من الإنس ، قاله مجاهد .

الثاني : أنهم الرسل والأنبياء ، واحدهم نذير ، قاله السدي .

﴿فَسُحْقاً لأصحاب السَّعِيرِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فبعداً لأصحاب السعير يعني جهنم ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه وادٍ من جهنم يسمى سحقاً ، قاله ابن جبير وأبو صالح ، وفي هذا الدعاء إثبات لاستحقاق الوعيد .

(٦٤) هو حسان بن ثابت والبيت في ديوانه : ١١٧ وفتح القدير (٥/ ٢٦٠)

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾
 أَجْهَرُ وَأَبْهَى إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾
 هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ
 النُّشُورُ ﴿١٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ فيه ستة أوجه :
 أحدها : أن الغيب الله تعالى وملائكته ، قاله أبو العالية .
 الثاني : الجنة والنار ، قاله السدي .
 الثالث : أنه القرآن ، قاله زر بن حبيش .
 الرابع : أنه الإسلام لأنه يغيب ، قاله إسماعيل بن أبي خالد .
 الخامس : أنه القلب ، قاله ابن بحر .
 السادس : أنه الخلوة إذا خلا بنفسه فذكر ذنبه استغفر ربه ، قاله يحيى بن سلام .

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه :
 أحدها : بالتوبة والاستغفار .
 الثاني : بخشية ربهم بالغيب .
 الثالث : لأنهم حلّوا باجتنب الذنوب محل المغفور له .
 ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يعني الجنة .
 ويحتمل وجهاً آخر : أنه العفو عن العقاب ومضاعفة الثواب .
 ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ يعني مذلة سهلة .
 حكى قتادة عن أبي الجلد (٦٥) : أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ،
 فللسودان اثنا عشر [ألفاً] ، وللروم [ثمانية آلاف] ، وللفرس ثلاثة آلاف وللغرب ألف .
 ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه :
 أحدها : في جبالها ، قاله ابن عباس وقتادة ويشير بن كعب .
 الثاني : في أطرافها وفجاجها ، قاله مجاهد والسدي .

(٦٥) وهذا القول أشبه بالاسرائيليات .

الثالث: في طرفها.

ويحتمل رابعاً: في منابت زرعها وأشجارها، قاله الحسن.

﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مما أحله لكم، قاله الحسن.

الثاني: مما أنبته لكم، قاله ابن كامل.

﴿وَالِيهِ النُّشُورُ﴾ أي البعث.

﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوْ لَمَّ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ وَيَقَظْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)

﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني أنه الله تعالى (٦٦)، قاله ابن عباس.

﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تتحرك، قاله يحيى.

الثاني: تدور، قاله قطرب وابن شجرة.

الثالث: تسيل ويجري بعضها في بعض، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر (٦٧):

رَمَيْنَ فَأَقْصَدُنَ الْقُلُوبَ وَلَنْ تَرَى دُمًا مَائِرًا إِلَّا جَرَى فِي الْخِيَاظِ.

(٦٦) وهو القول الراجح والصواب وهو قول جمهور السلف ففي الآية إثبات علو الله وأنه ليس في كل مكان بذاته كما قالت الجهمية بل علمه في كل مكان أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ولا يفهم إنسان من قوله «من في السماء» أن السماء تحويه وتحيط به تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقد ثبت عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله تعالى أنه قال من زعم أن الله في شيء أو على شيء أو من شيء فقد أشرك إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو كان على شيء لكان محمولاً أو كان من شيء لكان محدثاً.

(٦٧) هو أبو حنة النميري والبيت في القرطبي (٢١٦/١٨).

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾
 أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمَّنْ يَمْشِي
 مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ
 وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للهدى والضلالة، ومعناه ليس من يمشي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ ولا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله، كمن يمشي سويًّا معتدلاً ناظرًا ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله. وفيه وجهان: أحدهما: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالمكب على وجهه الكافر يهوي بكفره، والذي يمشي سويًّا المؤمن يهتدي بإيمانه، ومعناه: أَمَّنْ يَمْشِي فِي الضَّلَالَةِ أَهْدَى أَمْ مِنْ يَمْشِي مُهْتَدِيًّا، قاله ابن عباس. الثاني: أن المكب على وجهه أبو جهل بن هشام، ومن يمشي سويًّا عمار بن ياسر، قاله عكرمة.

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الطريق الواضح الذي لا يضل سالكه، فيكون نعتًا للمثل المضروب.

الثاني: هو الحق المستقيم، قاله مجاهد، فيكون جزاء العاقبة الاستقامة وخاتمة الهداية.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خلقكم في الأرض، قاله ابن عباس.

الثاني: نشركم فيها وفرقكم على ظهرها، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: أنشأكم فيها إلى تكامل خلقكم وانقضاء أجلكم.

﴿وَالِيهِ تَحْشَرُونَ﴾ أي تُبْعَثُونَ بعد الموت .

﴿فلما رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ظهرت المساءة على وجوههم كراهة لما شاهدوا ، وهو معنى قول

مقاتل .

الثاني : ظهر السوء في وجوههم ليدل على كفرهم ، كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ

وُجُوهُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

﴿وقيل هذا الذي كُتِبَ بِهِ تَدْعُونَ﴾ وهذا قول خزنة جهنم لهم ، وفي قوله ﴿كُتِبَ

بِهِ تَدْعُونَ﴾ أربعة أوجه :

أحدها : تموتون فيه وتختلفون ، قاله مقاتل .

الثاني : تشككون في الدنيا وتزعمون أنه لا يكون ، قاله الكلبي .

الثالث : تستعجلون من العذاب^(٦٨) ، قاله زيد بن أسلم .

الرابع : أنه دعاؤهم بذلك على أنفسهم ، وهو افتعال من الدعاء ، قاله ابن

قتيبة .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ذاهباً ، قاله قتادة .

الثاني : لا تناله الدلاء ، قاله ابن جبير ، وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون .

﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أن معناه العذب ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الطاهر ، قاله الحسن وابن جبير ومجاهد .

الثالث : أنه الذي تمدد العيون فلا ينقطع .

(٦٨) وهو قوله فيما حكاه الله عنهم في سورة ص . . ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب﴾ .

الرابع : أنه الجاري ، قاله قتادة ، ومنه قول جرير :
 إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبُلْبُكِ غَادَرُوا وَشَلًّا بَعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا
 روى عاصم عن رُزَيْن عن ابن مسعود^(٦٩) قال : سورة الملك هي المانعة من
 عذاب القبر ، وهي في التوراة تسمى المانعة ، وفي الإنجيل تسمى الواقية ، ومن قرأها
 من كل ليلة فقد أكثر وأطاب .

(٦٩) رواه ابن مردويه كما في الدر (٢٣١/٨) ولكن فيه سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر .

ورواه الطبراني وابن مردويه بسند جيد كما في الدر (٢٣٢/٨) عنه رضي الله عنه قال كنا نسميها في عهد
 رسول الله ﷺ المانعة وأنها لفي كتاب الله سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب وقال الهيثمي
 في المجمع (١٢٧/٧) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات . وقد صحت أحاديث غير
 هذه راجعها في الدر (٢٣٠/٨ ، ٢٣٣) .

سُورَةُ الْقَلَمِ

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس: من أولها إلى قوله سبحانه «سَنَسِمْهُ عَلَى الْخَرْطُومِ» مكِّي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: «لو كانوا يعلمون» مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله «يكتبون» مكِّي، ومن بعد ذلك إلى قوله: «من الصالحين» مدني، وباقي السورة مكِّي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَتُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ أَلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿ن﴾ فيه ثمانية أقوال:

أحدها: أن النون الحوت الذي عليه الأرض، قاله ابن عباس من رواية أبي الضحى عنه، وقد رفعه (٧٠).

(٧٠) وقد رواه الطبراني وابن مردويه كما في الدر (٢٤١/٨) ورواه ابن جرير موقوفاً من طريق أبي الضحى عن ابن عباس (١٥/٢٩).

وأما صنيع السيوطي في الدر فيوهم أن الحديث رواه ابن جرير مرفوعاً وليس كذلك. وقد ساق سند المرفوع ابن كثير (٤٠٠/٤) من رواية الطبراني وقال الهيثمي في المجمع (١٢٧/٧) لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل قلت [القاتل الهيثمي] ومؤمل نفسه كثير الخطأ وقد وثقه ابن معين وغيره وضعفه البخاري وغيره وبقي رجاله ثقات.

الثاني : أن النون الدواة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ .

الثالث : أنه حرف من حروف الرحمن ، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه .

الرابع : هولوح من نور، رواه معاوية بن قرة^(٧٢) عن أبيه عن النبي ﷺ .

الخامس : أنه اسم من أسماء السورة، وهو مأثور .

السادس : أنه قسم أقسم الله به ، ولله تعالى أن يقسم بما يشاء ، قاله قتادة .

السابع : أنه حرف من حروف المعجم .

الثامن : أن نون بالفارسية ايدون كن، قاله الضحاك .

ويحتمل تاسعاً : إن لم يثبت به نقل أن يكون معناه : تكوين الأفعال والقلم وما

يسطرون ، فنزل الأقوال جميعاً في قسمه بين أفعاله وأقواله ، وهذا أعم قسمة .

ويحتمل عاشراً^(٧٣) : أن يريد بالنون النفس لأن الخطاب متوجه إليها بغير عينها

بأول حروفها ، والمراد بالقلم ما قدره الله لها وعليها من سعادة وشقاء ، لأنه مكتوب

في اللوح المحفوظ .

أما ﴿والقلم﴾ ففيه وجهان :

أحدهما : أنه القلم الذي يكتبون^(٧٤) به لأنه نعمة عليهم ومنفعة لهم ، فأقسم

بما أنعم ، قاله ابن بحر .

الثاني : أنه القلم الذي يكتب به الذكر على اللوح المحفوظ ، قال ابن جريج :

هو من نور ، طوله كما بين السماء والأرض .

وفي قوله ﴿وما يسطرون﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : وما يعلمون ، قاله ابن عباس .

الثاني : وما يكتبون ، يعني من الذكر ، قاله مجاهد والسدي .

(٧١) رواه الحكم الترمذي مطولاً كما في الدر (٢٤١/٨) وأورده ابن كثير (٤٠١/٤) من رواية ابن أبي حاتم وهي مختصرة وقال حديث مرفوع غريب جداً .

(٧٢) رواه ابن جرير (١٦٠/٢٩) وقال ابن كثير (٤٠١/٤) مرسل غريب من أجل فرات اهـ .

قلت وفرات قال فيه ابن معين ليس بشيء وقال ابن عدي الضعيف بين على رواياته راجع ترجمته في الميزان للذهبي (٣/٣٤٣) .

(٧٣) والأولى رد علم ذلك إلى الله تعالى .

(٧٤) واستظهره ابن كثير (٤٠١/٤) .

الثالث: أنهم الملائكة الكاتبون يكتبون أعمال الناس من خير وشر.
﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ كان المشركون يقولون للنبي ﷺ أنه مجنون به شيطان، وهو قولهم: «يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون» [الحجر: ٦] فأنزل الله تعالى رداً عليهم وتكذيباً لقولهم: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ أي برحمة ربك، والنعمة ها هنا الرحمة.

ويحتمل ثانياً: أن النعمة ها هنا قسم، وتقديره: ما أنت ونعمة ربك بمجنون، لأن الواو والباء من حروف القسم.

وتأوله الكلبي على غير ظاهره، فقال: معناه ما أنت بنعمة ربك بمحقق.

﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثاني: أجراً بغير عمل^(٧٥)، قاله الضحاك.

الثالث: غير ممنون عليك من الأذى، قاله الحسن.

الرابع: غير منقطع، ومنه قول الشاعر:

ألا تكون كإسماعيل إن له رأياً أصيلاً وأجراً غير ممنون

ويحتمل خامساً: غير مقدّر وهو الفضل، لأن الجزاء مقدر، والفضل غير مقدر.

﴿وإنك لعلی خلقٍ عظیم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أدب القرآن، قاله عطية.

الثاني: دين الإسلام، قاله ابن عباس وأبو مالك.

الثالث: على طبع كريم، وهو الظاهر.

وحقيقة الخلق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب سمي خلقاً لأنه

يصير كالخلقة فيه، فأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخيم^(*) فيكون الخلق الطبع

المتكلف، والخيم هو الطبع الغريزي، وقد أوضح ذلك الأعشى^(٧٦) في شعره فقال:

(٧٥) أي بغير عمل زائد على ما كلف به إذ لم يقل أحد أن الأنبياء يسقط عنهم التكليف وقد قال الله تعالى

لنبيه ﷺ «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» يعني الموت.

(*) وهي الطباع.

(٧٦) ديوانه: ١٢٥ وفيه وصارت بدلاً من وعادت. القرطبي (٢٢٨/١٨).

وإذا ذو الفضول ضنّ على المو
أي رجعت الأخلاق إلى طبائعها.

﴿فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل.

الثاني: قاله ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة.

﴿بِأَيْكُمْ الْمُفْتُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني المجنون، قاله الضحاك.

الثاني: الضال، قاله الحسن.

الثالث: الشيطان، قاله مجاهد.

الرابع: المعذب من قول العرب فنتت الذهب بالنار إذا أحميته، ومنه قوله

تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] أي يعذبون.

فَلَا تُطْعِ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيَذْهَبُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ
مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ
زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَلَّى عَلَيْهِ أَيْنُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيَذْهَبُونَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه ودوا لو تكفر فيكفرون، قاله السدي والضحاك.

الثاني: ودوا لو تضعف فيضعفون، قاله أبو جعفر.

الثالث: لو تلين فيلينون، قاله الفراء.

الرابع: لو تكذب فيكذبون، قاله الربيع بن أنس.

الخامس: لو ترخص لهم فيرخصون لك، قاله ابن عباس.

السادس: أن تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك، قاله قتادة.

وفي أصل المداهنة وجهان:

أحدهما: مجاملة العدو وممايلته، قال الشاعر (٧٧):
 لَبَعُضُ الْغَشَمِ أَحْزَمُ فِي أُمُورِ تَنْوِيكَ مِنْ مِدَاهِنَةِ الْعُدُوِّ.
 الثاني: أنها النفاق وترك المناصحة، قاله المفضل، فهي على هذا الوجه
 مذمومة، وعلى الوجه الأول غير مذمومة.

﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ خَلَافٍ مَهِينٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الكذاب، قاله ابن عباس.

الثاني: الضعيف القلب، قاله مجاهد.

الثالث: أنه المكثار من الشر، قاله قتادة.

الرابع: أنه الدليل بالباطل، قاله ابن شجرة.

ويحتمل خامساً: أنه الذي يهون عليه الحنث.

وفي من نزل ذلك فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، قاله السدي.

الثاني: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد.

الثالث: الوليد بن المغيرة، عرض على النبي ﷺ مالاً وحلف أن يعطيه إن

رجع عن دينه، قاله مقاتل.

﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الفتان الطعان، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه الذي يلوي شذقيه من وراء الناس، قاله الحسن.

الثالث: أنه الذي يهمزهم بيده ويضربهم دون لسانه، قاله ابن زيد، والأول

أشبه لقول الشاعر (٧٨):

تَذَلِّي بِوَدٍّ إِذَا لَا قَيْتَنِي كَذِباً وَإِنْ أَغَيْبُ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ.

﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الذي ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض، قاله قتادة.

(٧٧) القرطبي (٢٣١/١٨) وفيه احزم وقد تقدم البيت في سورة الواقعة ولم نره هنا فتنبه.

(٧٨) هو زياد الأعجم والبيت في القرطبي (٢٣٢/١٨) واللسان لمز وفيه

إذا لقيتكَ عن سخط تكاشرنِي وإن تغيت كنت الهامز اللمزة

الثاني : هو الذي يسعى بالكذب ، ومنه قول الشاعر^(٧٩) :

وَمَوْلَى كَبِيتِ النَّمْلَ لَا خَيْرَ عِنْدَهُ لَمَوْلَاهُ إِلَّا سَعِيَةٌ بِنَمِيمٍ .

وفي النميم والنميمة وجهان :

أحدهما : أنهما لغتان ، قاله الفراء .

الثاني : أن النميم جمع نميمة .

﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : للحقوق من ظلم .

الثاني : الإسلام يمنع الناس منه .

﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ يعني بعد كونه «مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ»

معتدٍ أثيم ، هو عتل زنيم ، وفيه تسعة أوجه :

أحدها : أن العُتْلَ الفاحش ، وهو مأثور عن النبي^(٨٠) ﷺ :

الثاني : أنه القوي في كفره ، قاله عكرمة .

الثالث : أنه الوفير الجسم ، قاله الحسن وأبو رزين .

الرابع : أنه الجافي الشديد الخصومة بالباطل ، قاله الكلبي .

الخامس : أنه الشديد الأسر ، قاله مجاهد .

السادس : أنه الباغي ، قاله ابن عباس .

السابع : أنه الذي يعتل الناس ، أي يجبرهم إلى الحبس أو العذاب ، مأخوذ من

العتل وهو الجر ، ومنه قوله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ [الحاقة : ٣٠] .

الثامن : هو الفاحش اللئيم ، قاله معمر ، قال الشاعر^(٨١) :

بَعْتَلُ مِنَ الرِّجَالِ زَنِيمٌ غَيْرُ ذِي نَجْدَةٍ وَغَيْرُ كَرِيمٍ .

التاسع : ما رواه شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم^(٨٢) ، ورواه ابن

(٧٩) فتح القدير (٢٦٨/٥) والقرطبي (٢٣٢/١٨) .

(٨٠) رواه الطبري (٢٤/٢٩) عن القاسم مولى معاوية قال سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم قال الفاحش

اللئيم وزاد في الدر (٢٤٨/٨) نسبته لابن أبي حاتم وقد ورد مثله عن موسى بن عقبة رواه الطبري

(٢٤/٢٩) وابن أبي حاتم أيضاً وهو معضل .

(٨١) القرطبي (٢٣٣/١٨) .

(٨٢) نسبه السيوطي في الدر (٢٤٧/٨) لعبد بن حميد وأحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن

مسعود^(٨٣) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة جواط ولا جعظري ولا العتل الزنيم» فقال رجل: ما الجواط وما الجعظري وما العتل الزنيم؟ فقال رسول الله ﷺ الجواط الذي جمع ومنع، والجعظري الغليظ، والعتل الزنيم الشديد الخلق الرحيب الجوف، المصحح الأكل الشروب الواجد للطعام، الظلوم للناس.

وأما الزنيم ففيه ثمانى تأويلات:

أحدها: أنه اللين^(٨٤)، رواه موسى بن عقبة عن النبي ﷺ.

الثاني: أنه الظلوم، قاله ابن عباس في رواية ابن طلحة عنه.

الثالث: أنه الفاحش، قاله إبراهيم.

الرابع: أنه الذي له زمة كزمة الشاة، قال الضحاك: لأن الوليد بن المغيرة كان له أسفل من أذنه زمة مثل زمة الشاة، وفيه نزلت هذه الآية، قال محمد بن إسحاق: نزلت في الأخنس بن شريق لأنه حليف ملحق^(٨٥) ولذلك سمي زنيماً.

الخامس: أنه ولد الزنى، قاله عكرمة.

السادس: أنه الدعي، قال الشاعر^(٨٦):

زنيمٌ تداعاه الرجالُ زيادةً كما زيدَ في عَرَضِ الأديمِ الأكارعُ.

السابع: أنه الذي يعرف بالأبنة، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثامن: أنه علامة الكفر كما قال تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾، قاله أبو

رزين.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قيل إنه الوليد بن المغيرة، كانت له حديقة بالطائف،

وكان له اثنا عشر ابناً، حكاه الضحاك.

شهر بن حوشب. وشهر وثقه جماعة وضعفه آخرون. وعبد الرحمن بن غنم ليس له صحة على الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع (١٢٨/٧).

(٨٣) رواه أبو داود (٤٨٠١).

(٨٤) كذا هنا في الأصل وهو خطأ والصواب اللثيم والتصحيح من الدر (٢٤٨/٨) والطبري (٢٤/٢٩) وقد تقدم تخريج الحديث وأنه معضل وهو من قسم الضعيف.

(٨٥) يعني انه ابن زنا فليس هو من بني زهرة لكنه ملحق بهم.

(٨٦) هو حسان بن ثابت والبيت في القرطبي (٢٣٤/١٨) وروح المعاني (٢٧/٢٩) وفتح القدير (٢٦٩/٥).

وقال علي بن أبي طالب: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة.

﴿إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ يعني القرآن.

﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني أحاديث الأولين وأباطيلهم.

﴿سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها سمة سوداء تكون على أنفه يوم القيامة يتميز بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بَسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١].

الثاني: أنه يضرب في النار على أنفه يوم القيامة، قاله الكلبي.

الثالث: أنه إشهار ذكره بالقبايح، فيصير موسوماً بالذكر لا بالآثر.

الرابع: هو ما يتليهِ الله به في الدنيا في نفسه وماله وولده من سوء وذل وصغار،

قاله ابن بحر واستشهد بقول الأعشى (٨٧).

فَدَعَهَا وَمَا يَغْنِيكَ وَاعْمَدْ لغيرها بشعرك واغلب أنف من أنت واسم.

وقال المبرد: الخرطوم هو من الناس الأنف، ومن البهائم الشفة.

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ

عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ

أَعْدُوا عَلَيْنَا حَرْثُكُمْ إِن كُنتُمْ صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ

عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرِّ قَدَرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ

مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ

يُبَدِّلَ لَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: إن الذين بلوناهم أهل مكة بلوناهم بالجوع كرتين، كما بلونا أصحاب الجنة حتى عادت رماداً.

الثاني: أنهم قريش بيدر.

حكى ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر خذوهم أخذاً واربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحداً، فضرب الله بهم عند العدو مثلاً بأصحاب الجنة.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ قيل إن هذه الجنة حديقة كانت باليمن بقرية يقال لها ضروان^(٨٨)، بينها وبين صنعاء اليمن اثنا عشر ميلاً، وفيها قولان:

أحدهما: أنها كانت لقوم من الحبشة.

الثاني: قاله قتادة أنها كانت لشيخ من بني إسرائيل له بنون، فكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية أهله، ويتصدق بالباقي، فجعل بنوه يلومونه ويقولون: لئن ولينا لنفعلن، وهو لا يطيعهم حتى مات فورثوها، فقالوا: نحن أحوج بكثرة عيالنا من الفقراء والمساكين «فأقسموا ليصرمونها مصبحين» أي حلفوا أن يقطعوا ثمرها حين يصبحون.

﴿وَلَا يَسْتَنْوْنَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يستنون من المساكين، قاله عكرمة.

الثاني: استنأوهم قول سبحان ربنا، قاله أبو صالح.

الثالث: قول إن شاء الله.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أمر من ربك، قاله ابن عباس.

الثامن: عذاب من ربك، قاله قتادة.

الثالث: أنه عنق من النار خرج من وادي جنتهم، قاله ابن جريج.

﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أي ليلاً وقت النوم، قال الفراء: الطائف لا يكون إلا ليلاً.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كالرماد الأسود، قاله ابن عباس.

(٨٨) وفي القرطبي (٢٣٩/١٨) أنها ضوران على فراسخ من مدينة صنعاء ونسب القول للكليبي.

الثاني: كالليل المظلم، قاله الفراء، قال الشاعر^(٨٩):

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الْجَوْنَ الْبَهِيمُ فما ينجاب عن صبحٍ، صَرِيمُ.

الثالث: كالمصروم الذي لم يبق فيه ثمر.

روى أسباط عن ابن مسعود^(٩٠) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم

والمعاصي، إن العبد ليزنب فيحرم به رزقاً قد كان هيء له، ثم تلا: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا

طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ...﴾ الآيتين قد حرما خير جنتهم بذنبهم.

﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾ أي دعا بعضهم بعضاً عند الصبح.

﴿أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ قال مجاهد: كان الحرث عنباً.

﴿إِنْ كُتِمَ صَارِمِينَ﴾ أي عازمين على صرم حرثكم في هذا اليوم.

﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يتكلمون، قاله عكرمة.

الثاني: يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد، قاله عطاء وقتادة.

الثالث: يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم.

الرابع: لا يتشاورون بينهم.

﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ قاله يحيى بن سلام.

﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ فيه تسعة أوجه:

أحدها: على غيظ، قاله عكرمة.

الثاني: على جدٍ، قاله مجاهد.

الثالث: على منع، قاله أبو عبيدة.

الرابع: على قصد، ومنه قول الشاعر^(٩١):

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَحْرَدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّةِ

(٨٩) اللسان صرم، الطبري (٣١/٢٩)، فتح القدير (٢٧١/٥)، القرطبي (٢٤١/١٨) وفي اللسان فما ينجاب عن ليل بهيم.

(٩٠) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٢٥١/٨) وقد اقتصر المؤلف على جزء منه وسنده ضعيف ففيه ليث بن أبي سليم. وهو ضعيف.

(٩١) فتح القدير (٢٧٢/٥) وفيه «الجنة المحلة» وهو تصحيف والقرطبي (٢٤٢/١٨) روح المعاني (٣١/٢٩) مجاز القرآن (٢٦٦/٢) الكامل ٥٠ الطبري (٣٣/٢٩) شواهد الكشاف ٢٥٤.

أي يقصد قصد الجنة المغلة .

الخامس : على فقر، قاله الحسن .

السادس : على حرص، قاله سفيان .

السابع : على قدرة، قاله ابن عباس .

الثامن : على غضب، قاله السدي .

التاسع : أن القرية تسمى حرذاً، قاله السدي .

وفي قوله : «قادرين» ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني قادرين على المساكين، قاله الشعبي .

الثاني : قادرين على جنتهم عند أنفسهم، قاله قتادة .

الثالث : أن موافاتهم إلى جنتهم في الوقت الذي قدره، قاله ابن بحر .

ويحتمل رابعاً : أن القادر المطاع بالمال والأعوان، فإذا ذهب ماله تفرق أعوانه

فُعَصِيَ وعجز .

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي أنهم لما رأوا أرض الجنة لا ثمرة فيها ولا

شجر قالوا إنا ضالون الطريق وأخطأنا مكان جنتنا، ثم استرجعوا فقالوا :

﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أي حُرِّمْنَا خَيْرَ جَنَّتِنَا، قال قتادة : معناه جوزينا فحُرِّمْنَا .

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني أعدلهم، قاله ابن عباس .

الثاني : خيرهم، قاله قتادة .

الثالث : أعقلهم، قاله ابن بحر .

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لولا تستنون عند قولهم «ليصرمنها مصبحين»، قاله ابن جريج .

الثاني : أن التسبيح هو الاستثناء، لأن المراد بالاستثناء ذكر الله، وهو موجود

من التسبيح .

الثالث : أن تذكروا نعمة الله عليكم فتؤدوا حقه من أموالكم .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتَ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ

تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا خَيْرٌ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ

عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ
شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾

﴿أَمْ لَكُمْ آيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْفَعْلِ﴾ والبالغة المؤكدة بالله .

﴿إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أَمْ لَكُمْ آيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْفَعْلِ أَنَّا لَا نَعَذِّبُكُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٩٢) .

﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أَنَّ الزَّعِيمَ الْكَفِيلَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ .

الثاني : أَنَّهُ الرَّسُولُ ، قَالَ الْحَسَنُ .

ويحتمل ثالثاً : أَنَّهُ الْقِيَمُ بِالْأَمْرِ لِتَقْدِمِهِ وَرِثَاسَتِهِ .

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ
ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ
سَنَنْسُدْ رِجْلَهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كِيدَىٰ مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : عَنْ سَاقِ الْآخِرَةِ ، قَالَ الْحَسَنُ .

الثاني : السَّاقِ الْغَطَاءِ ، قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ (٩٣) :

فِي سَنَةٍ قَدْ كُشِفَتْ عَنْ سَاقِهَا حَمْرَاءُ تَبْرِي اللَّحْمِ عَنْ عِرَاقِهَا

الثالث : أَنَّهُ الْكَرْبُ وَالشَّدَّةُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ (٩٤) :

كُشِفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

(٩٢) لاحظ انه لم يذكر القول الثاني .

(٩٣) القرطبي (٢٤٨/١٨) فتح القدير (٢٧٥/٥) روح المعاني (٣٤/٢٩) .

(٩٤) هو جند طرفة واسمه سعد بن مالك بن ضبيعة والبيت في القرطبي (٢٤٨/١٨) واللسان سوق .

الرابع : هو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا، قال الضحاك : لأنه أول الشدائد، كما قال الراجز^(٩٥) :

قد كشفت عن ساقها فشدوا وجدّت الحرب بكم فجدوا .
فأما ما روي أن الله تعالى يكشف^(٩٦) عن ساقه فإن الله تعالى منزّه عن التبعض والأعضاء وأن ينكشف أو يتغطى ، ومعناه أنه يكشف عن العظيم من أمره ، وقيل يكشف عن نوره .

وفي هذا اليوم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه يوم الكبر والهرم والعجز عن العمل .
الثاني : أنه يوم حضور المنية والمعاناة .

(٩٥) فتح القدير (٢٧٥/٥) والقرطبي (٢٤٨/١٨) .

(٩٦) وهو حديث صحيح لا يصح تصديره بصيغة التمرّض التي تشعر بضعفه فقد رواه البخاري (٣٥٩/١٣) ومسلم (١٦٨/١) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ورواه البخاري مختصراً ولفظه «يكشف ربنا عن ساقه» الحديث هكذا بالاضافة ثم اعلم أيها القاريء الكريم إن هذه الآية من الآيات المتشابهة التي يجب على كل مسلم أن يؤمن بها كما نزلت من غير تعطيل ولا تجسيم وكما قال تعالى عن نفسه «ولم يكن له كفواً أحد» وقال «ليس كمثل شيء» وهو السميع البصير» وكان السلف يملونها كما نزلت فالمجسمة يتركونها على ظاهرها من غير تفويض وتسليم وتنزيه لا بل يعتقدون الجارحة لله تعالى والعباد بالله تعالى . ولقد صدق الإمام أبو جعفر الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية بقوله «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى «لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود» أي معرفة صفاته الواردة في الكتاب والسنة . فكيف تصح عبادة مجسم ينسب الجارحة لله تعالى ولا يفوض النصوص القرآنية إلى الله تعالى مع الإيمان التام بالتنزيه وما أحسن ما روي عن الإمام أحمد بن حنبل والإمام الزاهد ذي النون المصري رحمهما الله تعالى أنهما قالاً «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» لأن التصور ينشأ عن الصور والخيالات والله سبحانه وتعالى منزّه عن مشابهة كل المخلوقات ولقد ثبت أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ صف لنا ربك يا محمد فأنزل الله عليه سورة الإخلاص .

وأما تأويل الكشف عن الساق بالكشف عن نوره فقد ورد ذلك في حديث مرفوع رواه أبو يعلى وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر وابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٤٨ ولكن سنده ضعيف ففي سنده روح بن جناح . وقال البيهقي بعد اخراجه ص ٣٤٨ تفرد به روح بن جناح وهو شامي يأتي بأحاديث منكراً لا يتابع عليها والله أعلم .

قلت وقد رواه روح عن مولى عمر بن عبد العزيز وقال ابن حبان فيه إن «روح» منكر الحديث جداً يروي عن الثقات ما اذا سمعه الانسان شهد له بالوضع والمولى الذي يروي عنه مجهول . قلت ولهذا قال البيهقي : «وموالي عمر بن عبد العزيز فهم كثر» . يعني اشارة الى أنه لم يدر حال هذا المولى فهو مجهول . والله أعلم .

الثالث : أنه يوم القيامة .

﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ فمن قال في هذا اليوم إنه يوم القيامة جعل الأمر بهذا السجود على وجه التكليف .

ومن جعله في الدنيا فلهم في الأمر بهذا السجود قولان :

أحدهما : أنه تكليف .

الثاني : تندم وتوبخ للعجز عنه ، وكان ابن بحر يذهب إلى أن هذا الدعاء إلى السجود إنما كان في وقت الاستطاعة ، فلم يستطيعوا بعد العجز أن يستدركوا ما تركوا .

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾

قال السدي : يعني القرآن .

ويحتمل آخر أي بيوم القيامة .

﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون ، قاله السدي .

الثاني : نتبع النعمة السيئة وننسيهم التوبة ، قاله الحسن .

الثالث : نأخذهم من حيث درجوا ودبوا ، قاله ابن بحر .

الرابع : هو تدريجهم إلى العذاب بإدنائهم منه قليلاً بعد قليل حتى يلاقيهم من حيث لا يعلمون ، لأنهم لو علموا وقت أخذهم بالعذاب ما ارتكبوا المعاصي وأيقنوا بآمالهم .

الخامس : ما رواه إبراهيم بن حماد ، قال الحسن : كم من مستدرج بالإحسان إليه ، وكم من مغبون بالثناء عليه ، وكم من مغرور بالستر عليه .

والاستدراج : النقل من حال إلى حال كالتردد ، ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد منزلة .

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ

نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ فَعَلَّهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن

يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا

ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لقضاء ربك .

الثاني : لنصر ربك ، قاله ابن بحر .

﴿وَلَا تَكُنْ كصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ قال قتادة : إن الله تعالى يعزي نبيه ويأمره

بالصبر ، وأن لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وهو يونس بن متى .

﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أما نداؤه فقله : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

الظالمين .

وفي مكظوم أربعة أوجه :

أحدها : مغموم ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني : مكروب ، قاله عطاء وأبو مالك ، والفرق بينهما أن الغم في القلب ،

والكرب في الأنفاس .

الثالث : محبوس ، والكظم الحبس ، ومنه قولهم : فلان كظم غيظه أي حبس

غضبه ، قاله ابن بحر .

الرابع : أنه المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس ، قاله المبرد .

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : النبوة ، قاله الضحاك .

الثاني : عبادته التي سلفت ، قاله ابن جبير .

الثالث : نداؤه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، قاله ابن زيد .

الرابع : أن نعمة الله عليه إخراجهم من بطن الحوت ، قاله ابن بحر .

﴿لَنُبَدِّدَ بِالعَرَاءِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لألقي بالأرض الفضاء ، قاله السدي ، قال قتادة : بأرض اليمن .

الثاني : أنه عراء يوم القيامة وأرض المحشر ، قاله ابن جرير^(٩٧) .

﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بمعنى ملیم .

(٩٧) جامع البيان (٢٩/٤٥٥) ولكن الذي فيه «وهو الفضاء من الأرض» اهـ . ولم يعين الطبري العراء كما نقله الماوردي هنا ولعله قال ذلك عين قول الطبري .

الثاني : مذب، قاله بكر بن عبد الله، ومعناه أن ندعه مذموماً.
﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ الآية. فيه ستة أوجه :

أحدها : معناه ليصرعونك، قاله الكلبي .

الثاني : ليرمقونك، قاله قتادة .

الثالث : ليزهقونك، قاله ابن عباس، وكان يقرؤها كذلك .

الرابع : لينفذونك، قاله مجاهد .

الخامس : ليمسونك بأبصارهم من شدة نظرهم إليك، قاله السدي .

السادس : ليعتانونك^(٩٨)، أي لينظرونك بأعينهم، قاله الفراء .

وحكي أنهم قالوا : ما رأينا مثل حجمه ونظروا إليه ليعينوه، أي ليصيبوه بالعين،

وقد كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً بعين في نفسه أو ماله تجوّع ثلاثاً ثم

يتعرض لنفسه أو ماله فيقول : تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر مالاً منه ولا

أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله، فأنزل الله هذه الآية .

﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : محمد .

الثاني : القرآن .

﴿وما هو إلا ذِكْرٌ للعالمين﴾ فيه وجهان :

أحدهما : شرف للعالمين، كما قال تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف : ٤٤] .

الثاني : يذكرهم وعد الجنة ووعد النار .

وفي العالمين وجهان :

أحدهما : الجن والإنس، قاله ابن عباس .

الثاني : كل أمة من أمم الخلق ممن يُعرف ولا يُعرف .

(٩٨) قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٠٩) وفي هذه الآية دليل على أن العين لاصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة . . . وقد روى مسلم في صحيحه (٤/١٧١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا اهـ .

قلت وقد أورد الحافظ رحمه الله طائفة كثيرة من الأحاديث التي تثبت تأثير العين والحسد فراجعها في التفسير (٤/٤٠٩ - ٤١١) .

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾
 فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا وَعَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾
 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
 كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ
 وَالْمُوتَفِكَةُ وَالْخَاطِئَةُ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَاطِفَا
 الْمَاءِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لَنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه ما حقَّ من الوعد والوعيد بحلوله ، وهو معنى قول ابن بحر .
 الثاني : أنه القيامة التي يستحق فيها الوعد والوعيد ، قاله الجمهور وفي تسميتها
 بالحاقة ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما ذكرنا من استحقاق الوعد والوعيد بالجزاء على الطاعات
 والمعاصي ، وهو معنى قول قتادة ويحيى بن سلام .
 الثاني : لأن فيها حقائق الأمور ، قاله الكلبي .
 الثالث : لأن حقاً على المؤمن أن يخافها .

وقوله «ما الحاقة» تفخيماً لأمرها وتعظيماً لشأنها.

﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ قال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن فيه «وما أدراك» فقد أدراه إياه وعلمه إياه، وكل شيء قال فيه «وما يدريك» فهو ما لم يعلمه إياه.
وفيه وجهان:

أحدهما: وما أدراك ما هذا الاسم، لأنه لم يكن في كلامه ولا كلام قومه، قاله الأصم.

الثاني: وما أدراك ما يكون في الحاقة.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أما ثمود فقوم صالح كانت منازلهم في الحجر فيما بين الشام والحجاز، قاله محمد بن إسحاق: وهو وادي القرى، وكانوا عرباً.
وأما عاد فقوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف، والأحقاف الرمل بين عُمان إلى حضرموت واليمن كله، وكانوا عرباً ذوي خلق وبسطة، ذكره محمد بن إسحاق.
وأما «القارعة» ففيها قولان:

أحدهما: أنها قرعت بصوت كالصيحة، ويضرب كالعذاب، ويجوز أن يكون في الدنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة.

الثاني: أن القارعة هي القيامة كالحاقة، وهما اسمان لما كذبت بها ثمود وعاد.
وفي تسميتها بالقارعة قولان:

أحدهما: لأنها تفرع بهولها وشدائدها.

الثاني: أنها مأخوذة من القرعة في رفع قوم وحط آخرين، قاله المبرد.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: بالصيحة، قاله قتادة.

الثاني: بالصاعقة، قاله الكلبي.

الثالث: بالذنوب، قاله مجاهد.

الرابع: بطغيانهم، قاله الحسن.

الخامس: أن الطاغية عاقر الناقة، قاله ابن زيد.

﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ روى مجاهد عن ابن عباس قال (٩٩):

(٩٩) تقدم تخريجه في سورة الذاريات والاحقاف.

قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادَ بِالْدُّبُورِ».

فأما صرصر ففيها قولان:

أحدهما: أنها الريح الباردة، قاله الضحاك والحسن، مأخوذ من الصر وهو

البرد.

الثاني: أنها الشديدة الصوت، قاله مجاهد.

وأما العاتية ففيها ثلاثة أوجه:

أحدها: القاهرة، قاله ابن زيد.

الثاني: المجاوزة لحدها.

الثالث: التي لا تبقى ولا ترقب.

وفي تسميتها عاتية وجهان:

أحدهما: لأنها عتت على القوم بلا رحمة ولا رأفة، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنها عتت على خزانها بإذن الله.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾^(١٠٠) اختلف في أولها على ثلاثة

أقوال:

أحدها: أن أولها غداة يوم الأحد، قاله السدي.

الثاني: غداة يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: غداة يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس.

وفي قوله ﴿حُسُومًا﴾ أربعة تأويلات:

أحدها: متتابعات^(١٠٠)، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والفراء، ومنه قول

أمية بن أبي الصلت:

وكم يحيى بها من فرط عام وهذا الدهر مقتبل حُوم.

الثاني: مشائيم، قاله عكرمة والربيع.

الثالث: أنها حسمت الليالي والأيام حتى استوفتها، لأنها بدأت طلوع الشمس

من أول يوم، وانقطعت مع غروب الشمس من آخر يوم، قاله الضحاك.

(١٠٠) ورجحه الطبري (٥٢/٢٩) وابن كثير (٤/١٢٢) والألوسي (٢٩/٤١) والشوكاني (٥/٢٨٠) والقرطبي

(١٨/٢٥٩) الرمخشري (٤/١٣٣).

الرابع : لأنها حسمتهم ولم تبق منهم أحداً، قاله ابن زيد، وفي ذلك يقول الشاعر:

ومن مؤمن قوم هود فأرسل ريحاً دبوراً عقيماً
توالى عليهم فكانت حُسوماً.

﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية﴾ فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : البالية، قاله أبو الطفيل.

الثاني : الخالية الأجواف، قاله ابن كامل.

الثالث : ساقطة الأبدان، خاوية الأصول، قاله السدي.

وفي تشبيههم بالنخل الخاوية ثلاثة أوجه :

أحدها : أن أبدانهم خوت من أرواحهم مثل النخل الخاوية، قاله يحيى بن سلام.

الثاني : أن الريح كانت تدخل في أجوافهم من الخيشوم، وتخرج من أذبارهم، فصاروا كالنخل الخاوية، حكاه ابن شجرة.

الثالث : لأن الريح قطعت رؤوسهم عن أجسادهم، فصاروا بقطعها كالنخل الخاوية.

﴿وجاء فرعونُ ومن قبله﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ومن معه من قومه وهو تأويل من قرأ «ومن قبله» بكسر القاف (١٠١) وفتح الباء.

والثاني : ومن تقدمه، وهو تأويل من قرأ «ومن قبله» بفتح القاف وتسكين الباء.

﴿والمؤتفكاتُ بالخاطئة﴾ في المؤتفكات قولان :

أحدهما : أنها المقلوبات بالخسف.

الثاني : أنها الأفكار وهي الاسم من الأفكة، أي الكاذبة.

والخاطئة : هي ذات الذنوب والخطايا، وفيهم قولان :

أحدهما : أنهم قوم لوط.

الثاني : قارون وقومه، لأن الله خسف بهم.

(١٠١) وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب والكسائي وأبان زاد المسير (٣٤٧/٨) والسبعة لابن مجاهد ٦٤٨.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فعصوا رسول الله إليهم بالتكذيب .

الثاني : فعصوا رسالة الله إليهم بالمخالفة ، وقد يعبر عن الرسالة بالرسول ، قال

الشاعر (١٠٢) :

لقد كَذَّبَ الواشون ما بُحْتُ عندهم بسرّاً ولا أرسلتهم برسول .

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ فيه خمسة أوجه .

أحدها : شديدة ، قاله مجاهد .

الثاني : مُهلكة ، قاله السدي .

الثالث : تربو بهم في عذاب الله أبداً ، قاله أبو عمران الجوني .

الرابع : مرتفعة ، قاله الضحاك .

الخامس : رابية للشر ، قاله ابن زيد .

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ظَهَرَ ، رواه ابن أبي نجيع .

الثاني : زَادَ وكَثُرَ ، قاله عطاء .

الثالث : أَنَّهُ طَغَى عَلَى خَزَانِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، غَضِباً لِرَبِّهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى حَبْسِهِ ،

قاله علي رضي الله عنه .

قال قتادة : زَادَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعاً .

وروي عن ابن عباس أَنَّهُ قَالَ : مَا أَرْسَلَ مِنْ رِيحٍ قَطُّ إِلَّا بِمَكِيلٍ .

وما أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ قَطْرَةٍ قَطُّ إِلَّا بِمِثْقَالٍ ، إِلَّا يَوْمَ نُوحٍ وَعَادَ ، فَإِنَّ الْمَاءَ يَوْمَ نُوحٍ

طَغَى عَلَى خَزَانِهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ ، ثُمَّ قُرَأَ : «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ» الآية .

وإنَّ الرِّيحَ طَغَتْ عَلَى خَزَانِهَا يَوْمَ عَادَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهَا سَبِيلٌ ثُمَّ قُرَأَ . «بَرِيحٍ

صَرَصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ» الآية .

﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ يعني سفينة نوح ، سميت بذلك لأنها جارية على

الماء .

وفي قوله حملناكم وجهان :

(١٠٢) هو كثير عزة والبيت في فتح القدير (٢٨١/٥) والقرطبي (٣٩٢/١٨) .

أحدهما: حملنا آباءكم الذين أنتم من ذريتهم.

الثاني: أنهم في ظهور آبائهم المحمولين، فصاروا معهم، وقد قال العباس بن عبد المطلب ما يدل على هذا الوجه وهو قوله في مدح النبي ﷺ (١٠٣):

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يُخَصَّفُ الورقُ.
ثم هبطت البلاد لا بشرُ أنت ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ.
بل نطفةً تركب السفين وقد ألجم نسرًا وأهله الغرقُ.

﴿لنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ يعني سفينة نوح جعلها الله لكم تذكرة وعظة لهذه الأمة حتى أدركها أوائلهم في قول قتادة، وقال ابن جريج: كانت ألواحها على الجودي.

﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاِعِيَةٌ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: سامعة، قاله ابن عباس.

الثاني: مؤمنة، قاله ابن جريج.

الثالث: حافظة، وهذا قول ابن عباس أيضاً.

قال الزجاج: يقال وعيت لما حفظته في نفسك، وأوعيت لما حفظته في غيرك. وروى مكحول أن النبي (١٠٤) ﷺ قال عند نزول هذه الآية: «سألت ربي أن يجعلها أُذُنٌ عليّ، قال مكحول: فكان عليّ رضي الله عنه يقول: ما سمعت من رسول الله شيئاً قط نسيته إلا وحفظته.

الرابع: [أن الأذن الواعية] أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت من كتاب الله، قاله قتادة.

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ (١٤)
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ (١٥) وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۖ (١٧) يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ (١٨)

(١٠٣) أمالي الزجاجي (٢/٣٤٠) وتأويل مختلف الحديث ٦٥ واللسان خصف واقتصر على رواية البيت الأول.

(١٠٤) رواه الطبري (٢٩/٥٥) وهو مرسل وكذا رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/٤١٣) وسعيد بن منصور كما في تخريج الكشاف ص ١٧٧.

﴿فِيَوْمِئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : القيامة .

الثاني : الصيحة .

الثالث : أنها الساعة التي يفنى فيها الخلق .

﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ في انشقاقها وجهان :

أحدهما : أنها فتحت أبوابها ، قاله ابن جريج .

الثاني : أنها تنشق من المجرة ، قاله علي رضي الله عنه .

وفي قوله «واهيّة» وجهان :

أحدهما : متخرقة ، قاله ابن شجرة ، مأخوذ من قولهم وهى السقاء إذا انخرق ،

ومن أمثالهم (١٠٥) :

خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ وَمَنْ هُرِيقَ بِالْفَلَاحِ مَاؤُهُ

أي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه .

الثاني : ضعيفة ، قاله يحيى بن سلام .

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : على أرجاء السماء ، ولعله قول مجاهد وقتادة .

الثاني : على أرجاء الدنيا ، قاله سعيد بن جبير .

وفي «أرجائها» أربعة أوجه :

أحدها : على جوانبها ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : على نواحيها ، قاله الضحاك .

الثالث : أبوابها ، قاله الحسن .

الرابع : ما استدق منها ، قاله الربيع بن أنس .

ووقوف الملائكة على أرجائها لما يؤمرون به فيهم من جنة أو نار .

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ يعني أن العرش فوق الثمانية وفيهم

ثلاثة أقاويل :

أحدها : ثمانية أملاك من الملائكة ، قاله العباس بن عبد المطلب .

الثاني : ثمانية صفوف من الملائكة ، قاله ابن جبير .

الثالث : ثمانية أجزاء من تسعة ، وهم الكروبيون(*) ، قاله ابن عباس ، وروى أبو هريرة قال (١٠٦) : قال رسول الله ﷺ : «يحملة اليوم أربعة ، وهم يوم القيامة ثمانية» .

وفي قوله ﴿فوقهم﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم يحملون العرش فوق رؤوسهم .

الثاني : أن حملة العرش فوق الملائكة الذين على أرجائها .

الثالث : أنهم فوق أهل القيامة .

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ يعني يوم القيامة ، روى الحسن عن أبي موسى (١٠٧) قال :

قال النبي ﷺ : «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، أما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف من الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله» .

﴿لَا تَخْضَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : لا يخفى المؤمن من الكافر ، ولا البر من الفاجر ، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص .

الثاني : لا تستتر منكم عورة ، كما قال النبي ﷺ (١٠٨) : «يحشر الناس حفاة عراة» .

الثالث : أن خافية بمعنى خفية كانوا يخفونها من أعمالهم حكاه ابن شجرة .

فَأَمَّا مَنْ أَوْقَتْ كُنْهُهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ مَقْرُوءٌ وَكَانَتْ بَيْنَهُ يَمِينُهُ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ

(*) هم الملائكة المقربون .

(١٠٦) وقد تقدم تخريجه وهو مشهور بحديث الصور الطويل رواه أبو يعلى وغيره وهو حديث ضعيف .

(١٠٧) رواه أحمد (٤١٤/٤) وابن ماجه (١٤٣٠/٢) وقاله البوصيري في الزوائد رجال الاسناد ثقات إلا أنه منقطع ، الحسن لم يسمع من أبي موسى قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة .

وقد رواه الترمذي (٢٤٢٥) عن الحسن عن أبي هريرة وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ورواه الطبري (٢٩/٢٩) بنحوه عن ابن مسعود وورد مرسلًا من مرسل قتادة كما أشار إليه الحافظ ابن كثير (٤١٤/٤) .

(١٠٨) وقد ثبت ذلك في أكثر من حديث وقدم بعضها والمؤمن الواعي الفطن هو من يتأهب لهذا اليوم ويستعد له بالتوبة . والندم على ما فرط فيه من حق الله تعالى وكذلك يسارع في الخيرات والطاعات ويبادر بالقربات ويخلص لله تعالى قلبه من الشهوات والشبهات عسى أن يقبل الله فيه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ لأن إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة.
﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ ثقة بسلامته وسروراً بنجاته، لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرج، والشمال من دلائل الغم، قال الشاعر (١٠٩):
أَبْنِي أَفِي يُمْنَى يَدِيكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحُ أَمْ صَيَّرْتَنِي مِنْ شِمَالِكَ.
وفي قوله «هَؤُلَاءِ» ثلاثة أوجه:

أحدها: بمعنى هاكم اقرؤوا كتابيه فأبدلت الهمزة من الكاف، قاله ابن قتيبة.
الثاني: أنه بمعنى هلموا اقرؤوا كتابيه، قال الكسائي: العرب تقول للواحد هاء وللاثنتين هؤما وللثلاثة هؤم.

الثالث: أنها كلمة وضعت لإجابة الداعي عند النشاط والفرح روي (١١٠) أن أعرابياً نادى رسول الله ﷺ بصوت عالٍ فأجابه هؤم بطول صوته.
والهاء من «كتابيه» ونظائرها موضوعة للمبالغة، وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أي علمت، قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك، وقال مجاهد: ظن الآخرة يقين، وظن الدنيا شك.
الثاني: ما قاله الحسن في هذه الآية، أن المؤمن أحسن بره الظن، فأحسن العمل، وأن المنافق أساء بره الظن فأساء العمل.

وفي الحساب ها هنا وجهان:
أحدهما: في البعث.
الثاني: في الجزاء.
﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ بمعنى مَرْضِيَةٍ، قال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري

(١٠٩) هو عبد الله بن الدمنة والبيت في القرطبي (١٨/٢٦٩).

(١١٠) لم أعثر على تخريجه والله أعلم.

يرفعانه^(١١١): إنهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويصحون فلا يمرضون أبداً، ويتنعمون فلا يرون بؤساً أبداً، ويشبون فلا يهرمون أبداً.

﴿في جنة عالية﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: رفعة المكان.

الثاني: عظمة في النفوس.

﴿قطوفها دانية﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: دانية من الأيدي يتناولها القائم والقاعد.

الثاني: دانية الإدراك لا يتأخر حملها ولا نضجها.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيَّ ^(٢٥) وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَّ ^(٢٦)
يَلَيِّنَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ^(٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ^(٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّ ^(٢٩) خُذُوهُ
فَغُلُّوهُ ^(٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ^(٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ^(٣٢) إِنَّهُ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ^(٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ^(٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا
حَمِيمٌ ^(٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ^(٣٦) لَأَيَّا كُلُّهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ^(٣٧)

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابه بشماله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه كان يقول ذلك راجياً.

الثاني: أنه كان مستوراً فافتضح، ومن عادة العرب أن تفرق بين القبول والرد

وبين الكرامة والهوان، باليمين والشمال، فتجعل اليمين بشيراً بالقبول والكرامة، وتجعل الشمال نذيراً بالرد والهوان.

﴿ولم أدْرِ ما حِسَابِيَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لما شاهد من كثرة سيئاته وكان يظنها قليلة، لأنه أحصاه الله ونسوه.

الثاني: لما رأى فيه من عظيم عذابه وأليم عقابه.

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني موتاً لا حياة فيه بعدها، قاله الضحاك.

(١١١) رواه مسلم (٢٧٣٧) والترمذي (٣٢٤١).

الثاني : أنه تمنى أن يموت في الحال ، ولم يكن في الدنيا أكره إليه من الموت ،
قاله قتادة .

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن كثرة ماله في الدنيا لم يمنع عنه في الآخرة .

الثاني : لأن رغبته في زينة الدنيا وكثرة المال هو الذي ألهاه عن الآخرة . .

﴿ هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّة ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه ضللت عن حُجَّتِي ، قاله مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك .

الثاني : سلطانه الذي تسلط به على بدنه حتى أقدم به على معصيته ، وهذا

معنى قول قتادة .

الثالث : أنه كان في الدنيا مطاعاً في أتباعه ، عزيزاً في امتناعه ، وهذا معنى قول

الربيع بن أنس .

وحكي أن هذا في أبي جهل بن هشام ، وذكر الضحاك أنها نزلت في الأسود

ابن عبد الأسد .

﴿ فليس له اليومَ ها هنا حَمِيمٌ ﴾ الحميم : القريب ، ومعناه ليس له قريب ينفعه

ويدفع عنه كما كان يفعل معه في الدنيا .

﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه غسالة أطرافهم ، قاله يحيى بن سلام ، قال الأخفش :

هو فعلين من الغسل .

الثاني : أنه صديد أهل النار ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه شجرة في النار هي أخبث طعامهم ، قاله الربيع بن أنس .

الرابع : أنه الحار الذي قد اشتد نضجه ، بلغة أزد شنوءة .

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ قال مقاتل : سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال :

إن محمداً ساحر ، وقال أبو جهل : إنه شاعر ، وقال عقبة بن معيط : إنه كاهن فقال

اللَّهُ تَعَالَى قَسماً عَلَى كَذِبِهِمْ «فَلَا أُقْسِمُ» أَيُ أَقْسَمُ، و«لَا» صِلَةٌ زَائِدَةٌ.
﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ:

أحدهما: بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون من الخلق، قاله مقاتل.

الثاني: أنه رد لكلام سبق أي ليس الأمر كما يقوله المشركون.

ويحتمل ثالثاً: بما تعلمون وما لا تعلمون، مبالغة في عموم القسم.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: جبريل، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: رسول الله ﷺ، قال ابن قتيبة: وليس القرآن من قول الرسول، إنما هو

من قول الله وإبلاغ الرسول، فاكتفى بفحوى الكلام عن ذكره.

وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾
فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذْكُرُهُ لِلْمُنْقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ
مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ أَيُ تَكَلَّفَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَكَاذِيبِ، حَكَاهُ عَنْ
كِفَارِ قَرِيشٍ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ فِي النَّبِيِّ ﷺ.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ فِيهِ خَمْسَةُ تَأْوِيلَاتٍ:

أحدها: لأخذنا منه قوته كلها، قاله الربيع

الثاني: لأخذنا منه بالحق، قاله السدي والحكم، ومنه قول الشاعر^(١١٢):

إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ
أَيُ بِالِاسْتِحْقَاقِ.

الثالث: لأخذنا منه بالقدرة، قاله مجاهد.

الرابع: لقطعنا يده اليمنى، قاله الحسن.

(١١٢) تقدم تخريجه والشاعر هو الشماخ بن ضرار والبيت في القرطبي (٢٧٥/١٨) وفتح القدير (٢٨٦/٥).

الخامس: معناه: لأخذنا بيمينه إذلاً له واستخفافاً به، كما يقال لما يراد به الهوان، خذوا بيده، حكاه أبو جعفر الطبري.
﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ فيه أربعة أقاويل:
أحدها: أنه نياط القلب ويسمى حبل القلب، وهو الذي القلب معلق به، قاله ابن عباس (١١٣).

الثاني: أنه القلب ومراقه وما يليه، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه الحبل الذي في الظهر، قاله مجاهد.

الرابع: أنه عرق بين العلباء والحلقوم، قاله الكلبي.

وفي الإشارة إلى قطع ذلك وجهان:

أحدهما: إرادة لقتله وتلفه، كما قال الشاعر (١١٤):

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرِبِي بَدَمِ الْوَتِينَ .

الثاني: ما قاله عكرمة أن الوتين إذا قطع لا إن جاع عرق، ولا إن شبع عرق.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني القرآن، وفي التذكرة أربعة أوجه:

أحدها: رحمة.

الثاني: ثبات.

الثالث: موعظة.

الرابع: نجاة.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ قال الربيع: يعني بالقرآن.

﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن.

﴿لِحَسْرَةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعني ندامة يوم القيامة.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يزيد حسرتهم في الدنيا حين لم يقدرُوا على معارضته

عند تحذيرهم أن يأتوا بمثله.

(١١٣) رواه الحاكم (٥٠١/٢) من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده قوي لأنه

من رواية الثوري عن عطاء وسمعه منه قبل الاختلاط أفاده الحافظ في الفتح (٥٣٢/٨) وزاد نسبه

للفريابي والأشجعي.

(١١٤) القرطبي (٢٧٦/١٨) وفيه فاشرقي فتح القدير (٢٨٦/٥) وهو الشماخ والبيت في ديوانه: ٩٢ الطبري

(٦٧/٢٩).

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي حقاً و يقيناً ليكون الكفر حسرة على الكافرين يوم القيامة ، قاله الكلبي .

الثاني : يعني القرآن عند جميع الخلق أنه حق ، قال قتادة : إلا أن المؤمن أيقن به في الدنيا فنفعه ، والكافر أيقن به في الآخرة فلم ينفعه .

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فصلٌ لربك ، قاله ابن عباس .

الثاني : فترهه بلسانك عن كل قبيح .

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قرأه الجمهور بهذين الحرفين في سأل سائل، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه استخبر مستخبر عن العذاب متى يقع، على التكذيب.

الثاني: دعا داع أن يقع البلاء بهم على وجه الاستهزاء، قاله مجاهد.

الثالث: طلب طالب.

﴿بعذابٍ واقعٍ﴾ وفي هذا الطالب ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه النضر بن الحارث، وكان صاحب لواء المشركين يوم بدر، وقد

سأل ذلك في قوله ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢] قاله ابن عباس (١١٥) ومجاهد.

(١١٥) رواه الحاكم (٥٠٢/٢) عن سعيد بن جبير وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي قائلاً على شرط البخاري فقط وأورده السيوطي في الدر (٢٧٧/٨) وزاد نسبه للفرغاني وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الثاني : أنه أبو جهل ، وهو القائل لذلك ، قاله ربيع بن أبي حمزة .

الثالث : أنه قول جماعة من قريش .

وفي هذا العذاب قولان :

أحدهما : أنه العذاب في الآخرة ، قاله مجاهد .

الثاني : أنها نزلت بمكة وعذابه يوم بدر بالقتل والأسر ، قاله السدي .

وقرأ نافع وزيد بن أسلم وابنه «سأل سائل» غير مهموز ، وسائل واد في جهنم ،

وسمي بذلك لأنه يسيل بالعذاب (١١٦) .

﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : ذي الدرجات ، قاله ابن عباس .

الثاني : ذي الفواضل والنعم ، قاله قتادة .

الثالث : ذي العظمة والعلاء .

الرابع : ذي الملائكة ، لأنهم كانوا يعرجون إليه ، قاله قتبية .

الخامس : أنها معارج السماء ، قاله مجاهد .

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي تصعد ، وفي الروح ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه روح الميت حين يقبض ، قاله قبيصة بن ذؤيب ، يرفعه .

الثاني : أنه جبريل ، كما قال تعالى : «نزل به الروح الأمين» .

الثالث : أنه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس ، قاله أبو صالح .

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه يوم القيامة ، قاله محمد بن كعب والحسن .

الثاني : أنها مدة الدنيا ، مقدار خمسين ألف سنة ، لا يدري أحد كم مضى وكم

بقي إلا الله ، قاله عكرمة .

الثالث : أنه مقدار مدة الحساب في عرف الخلق أنه لو تولى بعضهم محاسبة

بعض لكان مدة حسابهم خمسين ألف سنة ، إلا أن الله تعالى يتولاه في أسرع مدة .

(١١٦) وقد استضعف هذا القول ابن كثير (٤/ ٤١٨) وقال «وقال ابن زيد وغيره سأل سائل بعذاب واقع» أي واد في جهنم يسيل في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وروى معاذ عن النبي ﷺ (١١٧) أنه قال: «يحاسبهم الله بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمي نفسه سريع الحساب، وأسرع الحاسبين».

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه الصبر الذي ليس فيه جزع، قاله مجاهد.

الثاني: أنه الصبر الذي لا بث فيه ولا شكوى.

الثالث: أنه الانتظار من غير استعجال، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه المجاملة في الظاهر، قاله الحسن.

وفيما أمر بالصبر عليه قولان:

أحدهما: أمر بالصبر على ما قذفه المشركون من أنه مجنون وأنه ساحر وأنه شاعر، قاله الحسن.

الثاني: أنه أمر بالصبر على كفرهم، وذلك قبل أن يفرض جهادهم، قاله ابن زيد.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه البعث في القيامة.

الثاني: عذاب النار.

وفي المراد بالبعيد وجهان:

أحدهما: مستحيل غير كائن.

الثاني: استبعاد منهم للآخرة.

﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ أي كائناً، لأن ما هو كائن قريب.

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا

(١١٧) لم أعثر عليه ولكن روى الإمام أحمد (٧٥/٣) عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا». ورواه ابن جرير (٧٢/٢٩) عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به. . والسند ضعيف في كليهما ودراج صاحب مناكير كما سبق مراراً. وزاد السيوطي في الدر (٢٨٠/٨) نسبته لابن حبان والبيهقي في البعث.

﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْزُمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِذٍ بَيْنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ
وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى
﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : كدردي الزيت ، قاله ابن عباس .

الثاني : كمذاب الرصاص والنحاس والفضة ، قاله ابن مسعود .

الثالث : كسقيح من دم ، قاله مجاهد .

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ يعني كالصوف المصبوغ ، والمعنى أنها تلين بعد

الشدة ، وتنفرد بعد الاجتماع .

﴿يُبْصَرُونَهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه يبصر بعضهم بعضاً فيتعارفون ، قاله قتادة .

الثاني : أن المؤمنين يبصرون الكافرين ، قاله مجاهد .

الثالث : أن الكافرين يبصرون الذين أضلّوهم في النار ، قاله ابن زيد .

الرابع : أنه يبصر المظلوم ظالمه ، والمقتول قاتله .

﴿يَوْمَ الْمَجْزُمِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يحب .

الثاني : يتمنى ، والمجرم هو الكافر .

﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِذٍ﴾ يعني يفتدي من عذاب جهنم بأعز من كان عليه

في الدنيا من أقاربه ، فلا يقدر .

ثم ذكرهم فقال : ﴿بَيْنِي﴾ .

﴿وصاحبته﴾ يعني زوجته : ﴿وأخيه﴾ .

﴿وفصيلته﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عشيرته التي تنصره ، قاله ابن زيد .

الثاني : أنها أمه التي تربيه ، قاله مالك ، وقال أبو عبيدة : الفصيلة دون القبيلة .

﴿التي تؤويه﴾ فيه وجهان :

أحدهما: التي يأوي إليها في نسبه، قاله الضحاك.

الثاني: يأوي إليها في خوفه.

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها اسم من أسماء جهنم، سميت بذلك لأنها التي تتلظى، وهو اشتداد حرها.

الثاني: أنه اسم الدرك الثامن في جهنم، قاله الضحاك.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنها أطراف اليدين والرجلين، قاله أبو صالح^(١١٨)، قال الشاعر^(١١٩):

إِذَا نَظَرْتُ عَرَفْتُ الْفَخْرَ مِنْهَا وَعَيْنِيهَا وَلَمْ تَعْرِفْ شَوَاهَا.

الثاني: قال الضحاك: هي جهنم تفري اللحم والجلد عن العظم، وقال

مجاهد: جلدة الرأس ومنه قول الأعشى^(١٢٠):

قَالَتْ قُتِيلَةُ مَا لَهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُهُ.

الثالث: أنه العصب والعقب، قاله ابن جبير.

الرابع: أنه مكارم وجهه، قاله الحسن.

الخامس: أنه اللحم والجلد الذي على العظم، لأن النار تشويهه، قاله

الضحاك.

﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ وفي دعائها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها تدعوهم بأسمائهم فتقول للكافر: يا كافر إليّ، وللمنافق: يا منافق

إليّ، قاله الفراء.

الثاني: أن مصير من أدبر وتولى إليها، فكانها الداعية لهم، ومثله قول

الشاعر^(١٢١):

وَلَقَدْ هَبَطْنَا الْوَادِيَيْنِ فَوَادِيَا يَدْعُو الْأَنِيْسَ بِهِ الْعَضِيْضُ الْأَبْكُمُ.

العضيض الأبكم: الذباب، وهو لا يدعو وإنما طينه ينبه عليه، فدعا إليه.

(١١٨) رواه الطبري (٧٧/٢٩) ومسدد كما في المطالب (٣٩٢/٣).

(١١٩) القرطبي (٨٩/١٨).

(١٢٠) فتح القدير (٢٩٠/٥) والقرطبي (٢٨٨/١٨) روح المعاني (٦٠/٢٩).

(١٢١) القرطبي (٢٨٩/٨) وفتح القدير (٢٩١/٥) وفيه القصيص.

الثالث: الداعي خزنة جهنم، أضيف دعاؤهم إليها، لأنهم يدعون إليها.
وفي ما ﴿أدبر وتولى﴾ عنه أربعة أوجه:

أحدها: أدبر عن الطاعة وتولى عن الحق، قاله مجاهد.

الثاني: أدبر عن الإيمان وتولى إلى الكفر، قاله مقاتل.

الثالث: أدبر عن أمر الله وتولى عن كتاب الله، قاله قتادة.

الرابع: أدبر عن القبول وتولى عن العمل.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ يعني الذي أدبر وتولى جمع المال فأوعى، بأن جعله في وعاء حفظاً له ومنعاً لحق الله منه، قال قتادة: فكان جمعاً ممنوعاً.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال الضحاك والكلبي: يعني الكافر. وفي الهلوع

سنة أوجه:

أحدها: أنه البخل، قاله الحسن.

الثاني: الحريص، قاله عكرمة.

الثالث: الضجور، قاله قتادة.

الرابع: الضعيف، رواه أبو الغيث.

الخامس: أنه الشديد الجزع، قاله مجاهد.

السادس: أنه الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾. الآية، قاله ابن

عباس.

وفيه وجهان :

أحدهما: إذا مسه الخير لم يشكر، وإذا مسه الشر لم يصبر، وهو معنى قول عطية .

الثاني: إذا استغنى منع حق الله وشح، وإذا افتقر سأل وألح، وهو معنى قول يحيى بن سلام .

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها: يحافظون على مواقيت الفرض منها، قاله ابن مسعود .

الثاني: يكثررون فعل التطوع منها، قاله ابن جريج .

الثالث: لا يلتفتون فيها، قاله عقبه بن عامر .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما: أن الأمانة ما ائتمنه الناس عليه أن يؤديه إليهم، والعهد: ما عاهد الناس عليه أن يفي لهم به، قاله يحيى بن سلام .

الثاني: أن الأمانة الزكاة أن يؤديها، والعهد: الجنبه أن يغتسل منها وهو معنى قول الكلبي .

ويحتمل ثالثاً: أن الأمانة ما نهى عنه من المحظورات، والعهد ما أمر به من المفروضات (١٢٢) .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما: أنها شهادتهم على أنبيائهم بالبلاغ، وعلى أممهم بالقبول أو الامتناع .

الثاني: أنها الشهادات في حفظ الحقوق بالدخول فيها عند التحمل، والقيام بها عند الأداء .

ويحتمل ثالثاً: أنهم إذا شاهدوا أمراً أقاموا الحق لله تعالى فيه، من معروف يفعلونه ويأمرون به، ومنكر يجتنبونه وينهون عنه .

فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ

(١٢٢) وهذا القول اعم وأشمل وقد أشبعنا الكلام على ذلك في سورة الأحزاب فراجعه .

مِّنْهُمْ أَن يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَن نَّبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوْفُضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مسرعين ، قاله الأخفش ، قال الشاعر (١٢٣) :

بمكة دارهم ولقد أراهم بمكة مهطعين إلى السماع

الثاني : معرضين ، قاله عطية العوفي .

الثالث : ناظرين إليك تعجباً ، قاله الكلبي .

﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : متفرقين ، قاله الحسن ، قال الراعي (١٢٤) :

أخليفة الرحمن إن عشيرتي أمسى سراتهم إليك عزيزنا .

الثاني : محتبين ، قال مجاهد .

الثالث : أنهم الرفقاء والخلطاء ، قاله الضحاك .

الرابع : أنهم الجماعة القليلة ، قاله ابن أسلم .

الخامس : أن يكونوا جلقاً وفرقاً .

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ (١٢٥) خرج على أصحابه وهم جلق فقال : « مالي

أراكم عزين » ، قال الشاعر (١٢٦) :

(١٢٣) فتح القدير (٢٩٣/٥) والقرطبي (٢٩٢/١٨) .

(١٢٤) فتح القدير (٢٩٣/٥) والقرطبي (٢٩٢/١٨) والطبري (٨٦/٢٩) خزانة الأدب (٥٠٢/١) ، جمهرة أشعار العرب (١٧٢ - ١٧٦) .

(١٢٥) رواه الطبري (٨٦/٢٩) وزاد السيوطي في الدر (٢٨٦/٨) نسبته لابن مردويه وقال الحافظ ابن كثير (٤٢٣/٤) وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

قلت ورواه مسلم (٣٢٢/١) من حديث جابر بن سمرة وكذا الطبري (٨٦/٢٩) وغيرها كما في الدر (٢٨٦/٨) .

(١٢٦) فتح القدير (٢٩٣/٥) والقرطبي (٩٣/١٨) .

ترانا عنده والليل داج على أبوابه جلقاً عزيزنا.
﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً﴾ يعني من القبور.
﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ في «نصب» قراءتان: إحداهما بتسكين الصاد،
والأخرى بضمها (١٢٧).

وفي اختلافهما وجهان:
أحدهما: معناهما واحد، قاله المفضل وطائفة، فعلى هذا في تأويله أربعة
أوجه:

أحدها: معناه إلى علم يستبقون، قاله قتادة.
الثاني: إلى غايات يستبقون، قاله أبو العالية.
الثالث: إلى أصنامهم يسرعون، قاله ابن زيد، وقيل إنها حجارة طوال كانوا
يعبدونها.

الرابع: إلى صخرة بيت المقدس يسرعون.
والوجه الثاني من الأصل أن معنى القراءتين مختلف، فعلى هذا في اختلافهما
وجهان:

أحدهما: أن النُّصُب بالتسكين الغاية التي تنصب إليها بصرک، والنُّصُب بالضم
واحد الأنصاب، وهي الأصنام، قاله أبو عبيدة ومعنى «يوفضون» يسرعون، والإيفاض
الإسراع، ومنه قول رؤبة (١٢٨):
يمشين بنا الجد على الإيفاض بقطع أجواز الفلا انفضاض.

(١٢٧) وهي قراءة ابن كثير وعاصم ونافع وأبي عمرو وحزمة والكسائي هكذا «نُصِب» بفتح فسكون وقرئ
«نُصِب» بضم فسكون وهي قراءة ابن عباس وابن مجلز والنخعي راجع زاد المسير (٣٦٦/٨، ٣٦٧)
والسبعة لابن مجاهد ٦٥١ والحجة ٧٢٤، ٧٢٥.
(١٢٨) اللسان «وفض»، الطبري (٧٩/٢٩).



مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ
يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يُغْفِرُ لَكُمْ مِنْ
ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ روى قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال (١٢٩): «أول نبي أرسل نوح»، قال قتادة: بعث من الجزيرة.

واختلف في سنه حين بعث:

قال ابن عباس: بعث وهو ابن أربعين سنة.

وقال عبد الله بن شداد: بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة.

وقال إبراهيم بن يزيد: إنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه في الدنيا.

﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني عذاب النار في الآخرة، قاله ابن عباس.

الثاني: عذاب الدنيا، وهو ما ينزل عليهم بعد ذلك من الطوفان، قاله الكلبي،

(١٢٩) تقدم تخريجه في سورة الأعراف وهود.

وكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى منهم مجيباً، وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه، فيقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن «من» صلة زائدة، ومعنى الكلام يغفر ذنوبكم، قاله السدي.
الثاني: أنها ليست صلة، ومعناه يخرجكم من ذنوبكم، قاله زيد بن أسلم.
الثالث: معناه يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها، قاله ابن شجرة.
﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني إلى موتكم وأجلكم الذي خط لكم، فيكون موتكم بغير عذاب إن آمنتم.

﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: يعني بأجل الله الذي لا يؤخر يوم القيامة، جعله الله أجلاً للبعث،
قاله الحسن.

الثاني: يعني أجل الموت إذا جاء لم يؤخر، قاله مجاهد.

الثالث: يعني أجل العذاب إذا جاء لا يؤخر، قاله السدي.

وفي قوله: «لو كنتم تعلمون» وجهان:

أحدهما: أن ذلك بمعنى إن كنتم تعلمون.

الثاني: لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، قاله الحسن.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ مُّوْضِعَ أَعْيُنِهِمْ فَاصْبَعْهُمْ فِي أَذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشِشْ أَوْثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: دعوتهم ليعبدوك ليلًا ونهاراً.

الثاني: دعوتهم ليلًا ونهاراً إلى عبادتك (١٣٠).

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلا فراراً من طاعتك.

الثاني: فراراً من إجابتي إلى عبادتك.

قال قتادة: بلغني أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا

يغرنك فإن أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك، فحذرنى كما حذرتك.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ يعني كلما دعوتهم إلى الإيمان لتغفر لهم ما

تقدم من الشرك.

﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعو دعاءه ليؤيسوه من إجابة ما لم

يسمعه، قال محمد بن إسحاق: كان حليماً صبوراً.

﴿وَاسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ أي غطوا رؤوسهم وتنكروا لئلا يعرفهم.

﴿وَأَصْرُوا﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه إقامتهم على الكفر، قال قتادة: قدماً قدماً في معاصي الله

لالتهايم عن مخافة الله حتى جاءهم أمر الله.

الثاني: الإصرار: أن يأتي الذنب عمداً، قاله الحسن.

الثالث: معناه أنهم سكتوا على ذنوبهم فلم يستغفروا، قاله السدي.

﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن ذلك كفرهم بالله وتكذيبهم لنوح، قاله الضحاك.

الثاني: أن ذلك تركهم التوبة، قاله ابن عباس، وقوله «استكباراً» تفخيم.

(١٣٠) قال محقق المطبوعة: الفرق بين الوجهين أن الأول معناه أنه دعاهم أن يعبدوا الله في الليل والنهار والثاني معناه أن دعوته لهم مستمرة بالليل والنهار.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَرًا﴾ أي مجاهرة يرى بعضهم بعضاً.
 ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ يعني الدعاء، قال مجاهد: معناه صِحْتُ.
 ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ الدعاء عن بعضهم من بعض، وفيه وجهان:
 أحدهما: أنه دعاهم في وقت سرّاً، وفي وقت جهراً.
 الثاني: دعا بعضهم سرّاً وبعضهم جهراً، وكل هذا من نوح مبالغة في الدعاء
 وتلطفاً في الاستدعاء.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ وهذا فيه ترغيب في التوبة، وقد روى
 حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال (١٣١): الاستغفار ممحاة للذنوب.

وقال: الفضيل: يقول العبد استغفر الله، قال: وتفسيرها أقلني.
 ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ يعني غيثاً متتابعاً (١٣٢)، وقيل إنهم كانوا قد
 أجذبوا أربعين سنة، حتى أذهب الجذب أموالهم وانقطع الولد عن نسائهم، فقال
 ترغيباً في الإيمان.

﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ قال قتادة:
 علم نبي الله نوح أنهم أهل حرص على الدنيا، فقال هلموا إلى طاعة الله فإن من
 طاعته درك الدنيا والآخرة.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه خمسة تأويلات:
 أحدها: ما لكم لا تعرفون لله عظمة، قاله مجاهد وعكرمة.
 الثاني: لا تخشون لله عقاباً وترجون منه ثواباً، قاله ابن عباس في رواية ابن

جبير.

الثالث: لا تعرفون لله حقه ولا تشكرون له نعمه، قاله الحسن.

الرابع: لا تؤدون لله طاعة، قاله ابن زيد.

الخامس: أن الوقار الثبات، ومنه قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» [الأحزاب]:

[٣٣] أي اثبتن، ومعناه لا تثبتون وحدانية الله وأنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه، قال

(١٣١) تخريجه لم أعثر عليه ولكن روى مسلم (٤/٢١٠٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» وروى مسلم (٤/٢١٠٥) نحوه من حديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً.

(١٣٢) وفي الآية دليل على أن الاستغفار يستنزله الله الرزق والامطار.

ابن بحر: دلهم على ذلك فقال: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ فيه وجهان: أحدهما: يعني طوراً نطفة، ثم طوراً علقه، ثم طوراً مضغة، ثم طوراً عظماً، ثم كسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر أنبتنا له الشعر وكملت له الصورة، قاله قتادة.

الثاني: أن الأطوار اختلافهم في الطول والقصر، والقوة والضعف والهم والتصرف، والغنى والفقر.

ويحتمل ثالثاً: أن الأطوار اختلافهم في الأخلاق والأفعال.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنهم سبع سموات على سبع أرضين، بين كل سماء وأرض خلق، وهذا قول الحسن.

والثاني: أنهم سبع سموات طباقاً بعضهن فوق بعض، كالقباب، وهذا قول السدي.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه وجعل القمر فيهن نوراً لأهل الأرض، قاله السدي.

الثاني: أنه جعل القمر فيهن نوراً لأهل السماء والأرض، قاله عطاء.

وقال ابن عباس: وجهه يضيء لأهل الأرض، وظهره يضيء لأهل السماء.

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ يعني مصباحاً لأهل الأرض، وفي إضافته لأهل

السماء القولان الأولان.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني آدم خلقه من أديم الأرض كلها، قاله ابن جريج، وقال خالد بن

معدان: خلق الإنسان من طين، فإنما تلين القلوب في الشتاء.

الثاني: أنبتهم من الأرض بالكبر بعد الصغر، وبالطول بعد القصر، قاله ابن

بحر.

الثالث: أن جميع الخلق أنشأهم بائتذاء ما تنبت الأرض وبما فيها، وهو

محتمل.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني أمواتاً في القبور.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ للنشور بالبعث.
 ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أي مبسوطة، وفيه دليل على أنها مبسوطة.
 ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:
 أحدها: طرقاً مختلفة، قاله ابن عباس.
 الثاني: طرقاً واسعة، قاله ابن كامل.
 الثالث: طرقاً أعلاماً، قاله قتادة.

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا
 مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
 وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ قال أهل التفسير: لبث فيهم ما أخبر الله به
 ألف سنة إلا خمسين عاماً داعياً لهم، وهم على كفرهم وعصيانهم، قال ابن عباس:
 رجا نوح الأبناء بعد الآباء، فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبعة قرون، ثم دعا
 عليهم بعد الإياس منهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، حتى كثر الناس وفشوا:

قال الحسن: كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين.
 ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا﴾ قرىء ولده بفتح الواو وضمها،
 وفيهما قولان:

أحدهما: أن الولد بالضم^(١٣٣) الجماعة من الأولاد، والولد بالفتح واحد منهم،
 قاله الأعمش، قال الربيع بن زياد:

وإِنْ تَكُ حَرْبُكُمْ أَمْسَتْ عَوَانًا فَلِإِنِّي لَمْ أَكُنْ مِمَّنْ جَنَاهَا.
 وَلَكِنْ وَلَدُ سَوْدَةَ أَرِثُوهَا وَخَشَوْا نَارَهَا لِمَنْ اصْطَلَاهَا
 ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ أي عظيماً، والكبَّار أشد مبالغة من كبير.

وفيه وجهان، أحدهما: ما جعلوه لله من الصاحبة والولد، قاله الكلبي.

(١٣٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحزمة والكسائي راجع زاد المسير (٨/٣٧٢، ٣٧٣) والسبعة لابن
 مجاهد ٦٥٢.

الثاني : هو قول كبرائهم لأتباعهم : ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ الآية ، قاله مقاتل .

وفي هذه الأصنام قولان :

أحدهما : أنها كانت للعرب لم يعبدوها غيرهم ويكون معنى الكلام : كما قال قوم نوح لأتباعهم لا تذر آلِهتكم ، قالت العرب مثلهم لأولادهم وقومهم لا تذر وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ، ثم عاد الذكر بعد ذلك إلى قوم نوح (١٣٤).

واختلف في هذه الأسماء ، فقال عروة بن الزبير : اشتكى آدم وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وكان ود أكبرهم وأبرهم به ، وقال غيره (١٣٥) : إن هذه الأسماء كانت لرجال قبل قوم نوح ، فماتوا فحزن عليهم أبناؤهم حزناً شديداً ، فزين لهم الشيطان أن يصورهم لينظروا إليهم ففعلوا ، ثم عبدوها أبناؤهم من بعدهم . وقال محمد بن كعب : كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح فحدث بعدهم من أخذ في العبادة مأخذهم ، فزين لهم إبليس أن يتصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهدهم ، ثم عبدوها من بعدهم قوم نوح ، ثم انتقلت بعدهم إلى العرب فعبدوها ولد إسماعيل .

فأما ود فهو أول صنم معبود ، سمي بذلك لودهم له ، وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل من قول ابن عباس وعطاء ومقاتل ، وفيه يقول شاعرهم :
حَيَّاكَ وَدٌّ فَإِنَّا لَا يَحِلُّ لَنَا لَهُوَ النَّسَاءِ وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا .

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر ، في قولهم ، وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ ، في قول قتادة ، وقال مقاتل : حي من نجران .

قال أبو عثمان النهدي : رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أجرد ، ويسيرون معه لا يهيجونه ، حتى يكون هو الذي يبرك ، فإذا برك نزلوا وقالوا : قد رضي لكم المنزل ، فيضربون عليه بناء ويتزولون حوله .
وأما يعوق فكان لهمدان ببلخ (*) ، في قول قتادة وعكرمة وعطاء .

(١٣٤) لاحظ أنه لم يذكر الا قولاً واحداً فقط .

(١٣٥) هو ابن عباس رضي الله عنه وقد رواه البخاري (٥٣٥/٨) وقال الحافظ ابن حجر (٥٣٧/٨) وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الاصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك .
(*) وهو موضع باليمن .

وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول عطاء ونحوه عن مقاتل (١٣٦).
﴿وقد أضلُّوا كثيراً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يريد أن هذه الأصنام قد ضل بها كثير من قومه .

الثاني : أن أكابر قومه قد أضلوا كثيراً من أصاغرهم وأتباعهم .

﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلّالاً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إلا عذاباً ، قاله ابن بحر واستشهد بقوله تعالى :

﴿إن المجرمين في ضلالٍ وسُعيرٍ﴾ . [القمر : ٤٧]

الثاني : إلا فتنه بالمال والولد ، وهو محتمل .

مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾
وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا
عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ
بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾

﴿وقال نوح رب لا تذرني على الأرض من الكافرين دياراً﴾ اختلفوا في سبب

دعاء نوح على قومه بهذا على قولين :

أحدهما : أنه لما نزلت عليه قوله تعالى : ﴿لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾

[هود : ٣٦] دعا عليهم بهذا الدعاء ، قاله قتادة .

الثاني : أن رجلاً من قومه حمل ولده صغيراً على كتفه ، فمر بنوح ، فقال لابنه :

إحذر هذا فإنه يضلّك فقال : يا أبت أنزلني فأنزله فرماه فشجّه ، فحيث غضب نوح ودعا عليهم .

وفي قوله ﴿دياراً﴾ وجهان :

أحدهما : أحداً ، قاله الضحاك .

الثاني : من يسكن الديار ، قاله السدي .

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي﴾ فيه قولان :

أحدهما: أنه أراد أباه، واسمه لمك، وأمه واسمها منجل، وكانا مؤمنين، قاله الحسن.

الثاني: أنه أراد أباه وجده، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني صديقي الداخل إلى منزلي، قاله ابن عباس.

الثاني: من دخل مسجدي، قاله الضحاك.

الثالث: من دخل في ديني، قاله جوير.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أراد من قومه.

الثاني: من جميع الخلق إلى قيام الساعة، قاله الضحاك.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين.

﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هلاكاً.

الثاني: خساراً، حكاهما السدي.

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى
الرُّشْدِ فَآمَنَ بِهِ وَلَن نَّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا
وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ
الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ اختلف أهل التفسير في
سبب حضور النفر من الجن إلى رسوله الله ﷺ لسماع القرآن على قولين:
أحدهما: أن الله تعالى صرفهم إليه بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾،
[الأحقاف: ٢٩]، قاله ابن مسعود والضحاك وطائفة.

الثاني: أنه كان للجن مقاعد في السماء الدنيا يستمعون منها ما يحدث فيها من
أمور الدنيا، فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ حرس السماء الدنيا من الجن ورجموا
بالشهب، قال السدي: ولم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو أثر له
ظاهر، قال: فلما رأى أهل الطائف اختلاف الشهب في السماء قالوا: هلك أهل
السماء فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسبون مواشيهم، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو:

ويحكم أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها لم يهلك أهل السماء، وإنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمداً فلما رأوها مستقرة كفواً.

وفزعت الجن والشياطين، ففي رواية السدي أنهم أتوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوها فشمها فقال: صاحبكم بمكة فبعث نفرأ من الجن...

وفي رواية ابن عباس^(١٣٧): أنهم رجعوا إلى قومهم فقالوا: ما حال بيننا وبين السماء إلا أمر حدث في الأرض، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، ففعلوا حتى أتوا تهامة، فوجدوا محمداً ﷺ يقرأ. ثم اختلفوا لاختلافهم في السبب، هل شاهد رسول الله ﷺ الجن أم لا؟

فمن قال إنهم صرفوا إليه قال إنه رآهم وقرأ عليهم ودعاهم، روى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: قد أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي؟ فسكتوا، ثم الثانية فسكتوا، ثم الثالثة، فقال ابن مسعود أنا أذهب معك، فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبي دُب، فخط عليّ خطاً ثم قال: لا تجاوزه، ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل حتى غشوة فلم أره، قال عكرمة: وكانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل.

ومن قال إنهم صرفوا في مشارق الأرض ومغاريها لاستعلام ما حدث فيها، قال إن النبي ﷺ لم يره.

روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، وإنما انطلق في نفر من أصحابه إلى سوق عكاظ، فأتوه وهو بنخلة عامداً، إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء.

قال عكرمة: السورة التي كان يقرأها ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ واختلف قائلوا هذا

(١٣٧) رواه البخاري (٥١٨، ٥١٣/٨) ومسلم (٤٤٩) والترمذي (٣٣٢٠) والحاكم وصححه (٥٠٣/٢) وزاد السيوطي في الدر (٢٩٦/٦) نسبه لابن المنذر وابن مردويه والطبراني وعبد بن حميد وإبي نعيم والبيهقي.

(١٣٨) تقدم تخريجه في سورة الأحقاف.

القول في عددهم، فروى عاصم عن زر بن حبیش أنهم كانوا تسعة، أحدهم زوبعة، أتوه في بطن نخلة.

وروى ابن جريج عن مجاهد: أنهم كانوا سبعة، ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل نصيبين، وكانت أسمائهم: حسي ومسي وماصر وشاصر والأرد وأتيان والأحقم^(١٣٩). وحكى جوير عن الضحاك أنهم كانوا تسعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق، وهم سليط وشاصر وماصر وحسا ومنشا ولحقم والأرقم والأرد وأتيان، وهم الذين قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً، وكانوا قد أدركوا رسول الله ﷺ ببطن نخلة في صلاة الصبح فصلوا معه: ﴿فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا أجيئوا داعي الله وأمنوا به﴾.

وقيل إن الجن تعرف الإنس كلها فلذلك توسوس إلى كلامهم.

واختلف في أصل الجن، فروى إسماعيل عن الحسن البصري أن الجن^(١٤٠) ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمناً فهو ولي الله، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً فهو شيطان.

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين وهم يموتون، ومنهم المؤمن والكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس. واختلفوا في مؤمني الجن هل^(١٤١) يدخلون الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم، فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال يدخلون الجنة بإيمانهم، ومن قال هم من ذرية إبليس فلهم فيها قولان:

أحدهما: يدخلونها، وهو قول الحسن.

الثاني: وهو رواية مجاهد، لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قرآناً عَجَباً﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: عجباً في فصاحة كلامه.

الثاني: عجباً في بلاغة مواظمه.

(١٣٩) وفي أسماء هؤلاء اختلاف بين المفسرين.

(١٤٠) وهو الصحيح وقد تقدم في سورة البقرة.

(١٤١) تقدم الخلاف في ذلك في سورة الأنعام وذكرنا أن الراجح أنهم يدخلون الجنة كالإنس.

الثالث : عجباً في عظم بركته .

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مرشد الأمور .

الثاني : إلى معرفة الله .

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ فيه عشرة تأويلات :

أحدها : أمر ربنا ، قاله السدي .

الثاني : فعل ربنا ، قاله ابن عباس .

الثالث : ذكر ربنا ، وهو قول مجاهد .

الرابع : غنى ربنا ، قاله عكرمة .

الخامس : بلاء ربنا ، قاله الحسن .

السادس : مُلك ربنا وسلطانه ، قاله أبو عبيدة .

السابع : جلال ربنا وعظمته ، قاله قتادة .

الثامن : نعم ربنا على خلقه ، رواه الضحاك .

التاسع : تعالى جد ربنا أي تعالى ربنا ، قاله سعيد بن جبير .

العاشر : أنهم عنوا بذلك الجد الذي هو أبو الأب ، ويكون هذا من قول الجن

عن [جهالة] .

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾ فيه قولان :

أحدهما : جاهلنا وهم العصاة منا ، قال قتادة : عصاه سفيه الجن كما عصاه

سفيه الإنس .

الثاني : أنه إبليس ، قاله مجاهد و قتادة ورواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري

عن أبيه عن النبي ﷺ .^(١٤٢)

ومن قوله «شَطَطاً» وجهان :

أحدهما : جوراً ، وهو قول أبي مالك . .

الثاني : كذباً ، قاله الكلبي ، وأصل الشطط البعد ، فعبر به عن الجور لبعده من

العدل ، وعن الكذب لبعده عن الصدق .

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال ابن زيد: إنه كان الرجل في الجاهلية قبل الإسلام إذا نزل بواد قال: إني أعوذ بكبير هذا الوادي - يعني من الجن - من سفهاء قومه، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم، وهو معنى قوله: «وأنه كان رجال».

وفي قوله: ﴿فَزَادَهُمْ رَهَقًا﴾ ثمانية تأويلات:

أحدها: طغياناً، قاله مجاهد.

الثاني: إثماً، قاله ابن عباس وقتادة، قال الأعشى^(١٤٣):

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي عاشق ما لم يُصب رهقاً.
يعني إثماً.

الثالث: خوفاً، قاله أبو العالية والربيع وابن زيد.

الرابع: كفراً، قاله سعيد بن جبیر.

الخامس: أذى، قاله السدي.

السادس: غياً، قاله مقاتل.

السابع: عظمة، قاله الكلبي.

الثامن: سفهاً، حكاه ابن عيسى.

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ
مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي
أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾
﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: طلبنا السماء، والعرب تعبر عن الطلب باللمس تقول جئت لمس الرزق وألتمس الرزق.

الثاني: قاربنا السماء، فإن الملموس مقارب.

﴿فَوَجَدْنَاهَا﴾ أي طرقها.

(١٤٣) ديوانه ١١٦ والقرطبي (١٩/١٠) روح المعاني (٢٩/٨٥) فتح القدير (٥/٣٠٥) اللسان «رهق» الطبري (٢٩/١٠٩).

﴿مُلِثْتُ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ هم الملائكة الغلاظ الشداد.

﴿وَشُهْبًا﴾ جمع شهاب وهو انقضااض الكواكب المحرقة لهم عند استراق

السمع، واختلف في انقضااضها في الجاهلية قبل مبعث الرسول ﷺ على قولين: أحدهما: أنها كانت تنقض في الجاهلية^(١٤٤)، وإنما زادت بمبعث الرسول إنذاراً بحاله، قال أوس بن حجر، وهو جاهلي^(١٤٥):

فَانْقَضَ كَالدُّرِّيِّ يَتَّبِعُهُ نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنْبًا.
وهذا قول الأكثرين.

الثاني: أن الانقضااض لم يكن قبل المبعث وإنما أحدثه الله بعده، قال الجاحظ: وكل شعر روي فيه فهو مصنوع.

﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ يعني أن مرده الجن كانوا يقعدون من السماء الدنيا مقاعد للسمع يستمعون من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة فتجري على ألسنتهم، فحرسها الله حين بعث رسوله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ:

﴿فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ يعني بالشهاب الكوكب المحرق، والرصد من الملائكة.

أما الوحي فلم تكن الجن تقدر على سماعه، لأنهم كانوا مصروفين عنه من قبل.

﴿وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم لا يدرون هل بعث الله محمداً ليؤمنوا به ويكون ذلك منهم رشداً ولهم ثواباً، أم يكفروا به فيكون ذلك منهم شراً وعليهم عقاباً، وهذا معنى قول السدي وابن جريج.

الثاني: أنهم لا يدرون حراسة السماء بالشهب هل شر وعذاب أم رشد وثواب، قاله ابن زيد.

(١٤٤) تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات فراجع.

(١٤٥) روح المعاني (٨٧/٢٩) والقرطبي (١٣/١٩) شواهد الكشاف (٥٠١/٤).

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
 اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَن يُؤْمِنُ
 بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ
 فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا
 ﴿١٥﴾ وَالْوِاسِقُمْ أُولَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْنِئَهُمْ فِيهِ وَمَن
 يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ يعني المؤمنين .

﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني المشركين .

ويحتمل أن يريد بالصالحين أهل الخير، وبـ«دون ذلك» أهل الشر ومن بين
 الطرفين على تدرج، وهو أشبه في حمله على الإيمان والشرك لأنه إخبار منهم عن
 تقدم حالهم قبل إيمانهم .

﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني فرقاً شتى ، قاله السدي .

الثاني : أديانا مختلفة ، قاله الضحاك .

الثالث : أهواء متباينة ، ومنه قول الراعي ^(١٤٦) :

القابض الباسط الهادي بطاعته في فتنة الناس إذ أهواؤهم قِدْدٌ
 ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ يعني القرآن سمعوه من النبي ﷺ فآمنوا به
 وصدقوه على رسالته، وقد كان رسول الله مبعوثاً إلى الجن والإنس .

قال الحسن : بعث الله محمداً إلى الإنس والجن ولم يبعث الله تعالى رسولا
 من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء، وذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن
 قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ .

﴿فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس :

(١٤٦) فتح القدير (٣٠٦/٥) روح المعاني (٨٨/٢٩) القرطبي (١٥/١٩) .

لا يخاف نقصاً في حسناته، ولا زيادة في سيئاته، لأن البخس النقصان، والرهق: العدوان، وهذا قول حكاه الله عن الجن لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم، وقد روى عمار بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال^(١٤٧): بينما عمر بن الخطاب جالساً ذات يوم إذ مرّ به رجل، فقيل له: أتعرف المارّ يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن هو؟ قالوا: سواد بن قارب رجل من أهل اليمن له شرف، وكان له رثي من الجن، فأرسل إليه عمر فقال له: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وأنت الذي أتاك رثي من الجن يظهر لك؟ قال: نعم بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رثي من الجن فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَتَطْلَابِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأُذْنَابِهَا.
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا صَادَقُ الْجَنِّ كَكُذَابِهَا.
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ فَلَيْسَ قَدْ أَتَاهَا كَاذِباً بِهَا.

(١٤٧) أفاد الحافظ في الإصابة (٢٢٠/٣) أن هذا الطريق لحديث عمر رواه الحسن بن سفيان وأبو يعلى والحاكم والبيهقي والطبراني من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي وللحديث طرق عن عمر ومنها عن البراء بن عازب أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق أبي إسحاق عن البراء ومنها عن سواد بن قارب من طريق عباد بن عبد الصمد: سمعت سعيد بن جبير أخبرني سواد بن قارب ومنها عن عبدالله بن عبد الرحمن من طرق أخرجه الحسن بن سفيان عن الحسن بن عمار عن عبدالله بن عبد الرحمن قال دخل سواد بن قارب على عمر ومنها عن أنس مرفوعاً أخرجه ابن شاهين من طريق الفضل بن عيسى القرشي عن العلاء بن زيد عن أنس بن مالك قال: دخل رجل من دوس يقال له سواد بن قارب على النبي ﷺ . . فذكر القصة بطولها راجع بقية الطرق في الإصابة (٢١٩/٣ - ٢٢٠) (تنبيه) قول المؤلف هنا عمار بن عبد الرحمن خطأ والصواب عثمان بن عبد الرحمن والتصويب من الإصابة.

(*) الحديث الذي أورده المؤلف هنا من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب إسناده ضعيف جداً لأن فيه عثمان بن عبد الرحمن وهو متروك الحديث قال البخاري فيه تركوه وقال ابن معين ليس بشيء وقال مرة يكذب وضعفه علي بن المديني جداً وقال النسائي والدارقطني متروك راجع ترجمته في الميزان (٤٣/٣ - ٤٥).

فقلت دعني أنام فإنني أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قاله رأساً، فلما كان الليلة الثانية أتاني فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبتُ للجنّ وتخيارها وشدّها العيس بأكوارها.
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها.
فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ ما بين رابيها وأحجارها

فقلت له دعني فإنني أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً، فلما كان الليلة الثالثة أتاني وضربني برجله، وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتحساسها وشدّها العيس بأخلاصها.
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خيّر الجن كأنجاسها.
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسم بيدك إلى رأسها.

قال: فأصبحت قد امتحن الله قلبي بالإسلام، فرحلت ناقتي فأتيت المدينة، فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه، فقلت اسمع مقالتي يا رسول الله، قال: هات، فأنشأت أقول:

أتاني نجي بين هدئ ورقدٍ ولم يك فيما قد تلوت بكاذبٍ
ثلاث ليال قوله كل ليلةٍ أذاك رسول من لؤي بن غالبٍ
فشمرت من ذيلي الإزار ووسط بي الذمل الوجناء بين السبابِ
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنك مأمول على كل غالبٍ.

(*) وأما طريق أنس المرفوعة فضعيفة جداً بل باطلة.

فإن في سندها الفضل بن عيسى القرشي (كذا في الأصل والصواب: الرقاشي) عن العلاء بن زيد والفضل ضعفوه. وكان قدراً خبيثاً كما قال ابن معين. راجع ترجمته في الميزان (٣/٣٥٦) وقال فيه: سلام بن أبي مطيع: لو أن فضلاً الرقاشي ولد أخراً كان خيراً له وقال أبو زرعة منكر الحديث وزاد أبو حاتم في حديثه بعض الوهن ليس بقوي وأما العلاء بن زيد ويقال زيد أيضاً. فهو متروك الحديث رماه أبو الوليد الطيالسي بالكذب...

وأنتك أدنى المرسلين وسيلةً إلى الله يا بن الأكرمين الأطايب.
فمُرْنَا بما يأتيك يا خيرَ من مشى وإن كَانَ فيما جاء شيبُ الذوائب.
وكن لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ سِواكَ بمغْنٍ عن سوادِ بن قارب.
ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً، حتى رثي الفرح في
وجوههم، قال: فوثب عمر فالتزمه وقال: قد كنت أشتي أن أسمع منك هذا
الحديث، فهل يأتيك رثيك من الجن اليوم؟ قال: [أما] وقد قرأت القرآن فلا، ونعم
العوض كتاب الله عن الجن.

﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ﴾ وهذا إخبار عن قول الجن بحال من فيهم
من مؤمن وكافر، والقاسط: الجائر، لأنه عادل عن الحق، ونظيره الترب والترب،
فالترب الفقير، لأن ذهاب ماله أقعده على التراب، والترب الغني لأز كثره ماله قد
صار كالتراب.

وفي المراد بالقاسطين ثلاثة أوجه:

أحدها: الخاسرون، قاله قتادة.

الثاني: الفاجرون، قاله ابن زيد.

الثالث: الناكثون، قاله الضحاك.

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ ذكر ابن بحر أن كل ما في هذه السورة من
«إن» المكسورة المثقلة فهو حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن فرجعوا إلى
قومهم منذرين، وكل ما فيها من «أن» المفتوحة المخففة أو المثقلة فهو من وحي
الرسول.

وفي هذه الاستقامة قولان:

أحدهما: أنها الإقامة على طريق الكفر والضلالة، قاله محمد بن كعب وأبو
مجلز وغيرهما.

الثاني: الاستقامة على الهدى والطاعة، قاله ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد.

فمن ذهب إلى أن المراد الإقامة على الكفر والضلال فلهم في قوله ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ
مَاءً غَدَقًا﴾ وجهان:

(*) وأما طريق عبد الله بن عبد الرحمن... ففي سندها الحسن بن عمارة قاضي بغداد وهو متروك الحديث.

أحدهما: بلوناهم بكثرة الماء الغدق حتى يهلكوا كما هلك قوم نوح بالغرق، وهذا قول محمد بن كعب.

الثاني: لأسقيناهم ماء غدق ينبت به زرعهم ويكثر مالهم. ﴿لِنَقْتَنَّهُمْ فِيهِ﴾ فيكون زيادة في البلوى، حكى السدي عن عمر في قوله «لأسقيناهم ماء غدقاً» أنه قال: حيثما كان الماء كان المال، وحيثما كان المال كانت الفتنة، فاحتملت الفتنة ها هنا وجهين: أحدهما: افتتان أنفسهم.

الثاني: وقوع الفتنة والشر من أجله. وأما من ذهب إلى أن المراد الاستقامة على الهدى والطاعة فلهم في تأويل قوله «لأسقيناهم ماءً غدقاً» أربعة أوجه: أحدها: معناه لهديناهم الصراط المستقيم، قاله ابن عباس.

الثاني: لأوسعنا عليهم في الدنيا، قاله قتادة. الثالث: لأعطيناهم عيشاً رغداً، قاله أبو العالية. الرابع: أنه المال الواسع، لما فيه من النعم عليهم بحياة النفوس وخصب الزروع، قاله أبو مالك والضحاك وابن زيد. وفي الغدق وجهان:

أحدهما: أنه العذب المعين، قاله ابن عباس، قاله أمية بن أبي الصلت: مِزَاجُهَا سَلْسِيلٌ مَأْوَاهَا غَدَقٌ عَذْبُ الْمَذَاكَةِ لَا مِلْحٌ وَلَا كَدْرُ الثاني: أنه الواسع الكثير، قاله مجاهد، ومنه قول كثير (١٤٨): وهبْتُ لِسُعْدَى مَاءَهُ وَنَسْبَاتَهُ فَمَا كُلُّ ذِي وَدٍّ لَمَنْ وَدَّ وَاهِبُ. لَتَرَوْى بِهِ سُعْدَى وَيُرَوَّى مَحَلُّهَا وَتَغْدُقُ أَعْدَادُ بِهِ وَمُشَارِبُ.

(*) وأما طريق عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير الخ وعباد سماء في الميزان (٣/٣٦٩) عباد بن عبد الحميد وقال مجهول وقال البخاري: فيه نظر وفي نفس الطبقة عباد بن عبد الصمد أبو معمر روى عن أنس وهو بصري وإياه استظهر العلامة المعلمي في تحقيقه للتاريخ الكبير (٤١/٦) كونهما شخص واحد. كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

(*) وأما حديث البراء ففي سنده المتقدم أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس ولعل أصل القصة هو الثابت أما الأشعار وغيرها فغير ثابتة كما قال الحافظ في الإصابة (٢٢٠/) وأصلها في صحيح البخاري () من طريق عن أبيه.

(١٤٨) هو من قصيده له أنشدها لسكينة بنت الحسين مطلعها فالمشارب.

فعلى هذا فيه وجهان :

أحدهما : أنه إخبار عن حالهم في الدنيا .

الثاني : أنه إخبار عن حالهم في الآخرة لنفتنهم فيه .

فإن قيل إن هذا وارد في أهل الكفر والضلال كان في تأويله ثلاثة أوجه :

أحدها : افتتان أنفسهم بزينة الدنيا .

الثاني : وقوع الفتنة والاختلاف بينهم بكثرة المال .

الثالث : وقوع العذاب بهم كما قال تعالى : «يوم هم على النار يُفْتَنُونَ»

[الذاريات : ١٣] أي يعذبون .

وإن قيل إنه وارد في أهل الهدى والطاعة فهو على ما قدمنا من الوجهين .

وهل هو اختبارهم في الدنيا ففي تأويله ثلاثة أوجه :

أحدها : لنختبرهم به ، قاله ابن زيد .

الثاني : لنطهرهم من دنس الكفر .

الثالث : لنخرجهم به من الشدة والجذب إلى السعة والخصب .

فإن قيل إنه إخبار عما لهم في الآخرة ففي تأويله وجهان :

أحدهما : لنخلصهم وننجيهم ، مأخوذ من قَتَن الذهب إذا خلَّصه من غشه بالنار

كما قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا﴾ [طه : ٤٠] أي خلصناك من فرعون .

الثاني : معناه لنصرفهم عن النار ، كما قال تعالى : ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن

الذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتُفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرُ﴾ [الإسراء : ٧٣] أي ليصرفونك ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ

ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ قال ابن زيد : يعني القرآن وفي إعراضه عنه وجهان :

أحدهما : عن القبول ، إن قيل إنها من أهل الكفر .

الثاني : عن العمل ، إن قيل إنها من المؤمنين .

﴿يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جب في النار ، قاله أبو سعيد .

الثاني : جبل في النار إذا وضع يده عليه ذابت ، وإذا رفعها عادت ، وهو

مأثور^(١٤٩) ، وهذان الوجهان من عذاب أهل الضلال .

(١٤٩) وهو قول ابن عباس رواه الحاكم (٥٠٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي وهناد وفي الزهد (١٨٤/٢) وزاد

السيوطي في الدر (٣٠٦/٨) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وقال محقق الزهد لهناد : رجاله ثقات

والوجه الثالث: أنه مشقة من العذاب يتصعد، قاله مجاهد.

وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا
﴿٢٢﴾ إِلَّا لَبِغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً ۖ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا
فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضَعُ نَارَ صِرَاطٍ وَأَقْلُ
عَدَدًا ﴿٢٤﴾

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني الصلوات لله، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنها الأعضاء التي يسجد عليها لله، قاله الربيع.

الثالث: أنها المساجد التي هي بيوت الله للصلوات، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه كل موضع صلى فيه الإنسان، فإنه لأجل السجود فيه يسمى مسجداً.

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي فلا تعبدوا معه غيره، وفي سببه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما حكاه الأعمش أن الجن قالت: يا رسول الله ائذن لنا نشهد معك الصلاة في مسجدك، فنزلت هذه الآية.

الثاني: ما حكاه أبو جعفر محمد بن علي أن الحمس^(١٥٠) من مشركي أهل مكة وهم كنانة وعامر وقريش كانوا يلبون حول البيت: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك

وإسناده صحيح وقد ورد مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري رواه الترمذي (٣٣٢٦) وفي سننه ابن لهيعة وقال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه مرفوعاً من حديث ابن لهيعة وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد قوله موقوف أهـ قلت: والموقوف أيضاً ضعيف رواه هناد في الزهد (١/١٨٤) وابن أبي الدنيا في صفة النار كما نقله محقق الزهد وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف وعلى هذا فالحديث ضعيف مرفوعاً وموقوفاً وسيأتي الحديث المرفوع في سورة المدثر.

(١٥٠) وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يمر بهم وهم يقولون هذه الكلمة ويقول: «لو تركتم هذه» يشير إلى الاستثناء في قولهم إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك» والمعنى أنهم لو تركوا هذا الاستثناء لصاروا موحدين لله تعالى.

لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فأنزل الله هذه الآية نهياً أن يجعل لله شريكاً، وروى الضحاك عن ابن عباس^(١٥١): أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال: «وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» اللهم أنا عبدك وزائرُك، وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتني من النار» وإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال: «اللهم صُبِّ الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَنْزِعْ عَنِّي صَالِحَ مَا أَعْطَيْتَنِي أَبَدًا وَلَا تَجْعَلْ مَعِيشَتِي كَدًّا وَاجْعَلْ لِي فِي الْخَيْرِ جَدًّا»^(١٥٢).

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يعني محمداً، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه قام إلى الصلاة يدعو ربه فيها، وقام أصحابه خلفه مؤتمين، فعجبت الجن من طوعية أصحابه له، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه قام إلى اليهود داعياً لهم إلى الله، رواه ابن جريج.

﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أعواناً، قاله ابن عباس.

الثاني: جماعات بعضها فوق بعض، وهو معنى قول مجاهد، ومنه اللبد

لا اجتماع الصوف بعضه على بعض، وقال ذو الرمة^(١٥٣):

وَمِنْهُمْ أَجْنٍ قَفَرٍ مَّوَارِدُهُ خُضْرٍ كَوَاكِبُهُ مِنْ عَرْمَصٍ لَبِيدٍ.
وفي كونهم عليه لبداً ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم المسلمون في اجتماعهم على رسول الله ﷺ قاله ابن جبير.

الثاني: أنهم الجن حين استمعوا من رسول الله قراءته، قاله الزبير بن العوام.

الثالث: أنهم الجن والإنس في تعاونهم على رسول الله في الشرك، قاله

قتادة.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ يعني ضراً لمن آمن ولا رشداً لمن

كفر، وفيه ثلاثة أوجه:

(١٥١) لم أمتد إلى تخريجه والله أعلم.

(١٥٢) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث.

(١٥٣) ديوانه: ٢٠١.

أحدها: عذاباً ولا نعيماً.

الثاني: موتاً ولا حياة.

الثالث: ضلالاً ولا هدى.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ روى أبو الجوزاء^(١٥٤) عن ابن مسعود قال:

انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط خطاً ثم تقدم عليهم فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له وردان: أنا أرجلهم عنك، فقال: «إني لن يجيرني من الله أحد»

ويحتمل وجهين:

أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد.

الثاني: لن يجيرني مما قدره الله عليّ أحد.

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني ملجأ ولا حرزاً، قاله قتادة.

الثاني: ولياً ولا مولى، رواه أبو سعيد.

الثالث: مذنباً ولا مسلكاً، حكاه ابن شجرة، ومنه قول الشاعر^(١٥٥):

يا لهف نفسي ولهفي غير مُجدية عني وما من قضاء الله مُلتحد.

﴿إِلَّا بِلَاغٍ مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا أملك ضرراً ولا رشداً إلا أن أبلغكم رسالات الله، قاله الكلبي.

الثاني: لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالات الله، قاله مقاتل.

روى مكحول عن ابن مسعود: أن الجن بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة،

وكانوا سبعين ألفاً، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر.

قُلْ إِن أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لِرَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ
فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ

(١٥٤) رواه ابن مردويه والبيهقي في الدلائل كما في الدر (٣٠٨/٨) وفيه ألا أرجلهم يعني أذفعهم برجلي والله أعلم.

(١٥٥) روح المعاني (٩٣/٢٩) فتح القدير (٣١٥/٥) القرطبي (٢٦/١٩)

يَدِّيهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبَّهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ
وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عالم السر، قاله ابن عباس.

الثاني: ما لم تروه مما غاب عنكم، قاله الحسن.

الثالث: أن الغيب القرآن، قاله ابن زيد.

الرابع: أن الغيب القيامة وما يكون فيها^(١٥٦)، حكاه ابن أبي حاتم.

﴿فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾، إلا من ارتضى من رسول ﴿فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلا من ارتضى من رسول الله هو جبريل^(١٥٧)، قاله ابن جبير.

الثاني: إلا من ارتضى من نبي فيما يطلعه عليه من غيب، قاله قتادة.

﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: الطريق، ويكون معناه فإنه يجعل له إلى علم بعض ما كان قبله وما

يكون بعده طريقاً، قاله ابن بحر.

الثاني: أن الرصد الملائكة، وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم حفظة يحفظون النبي ﷺ من الجن والشياطين من أمامه وورائه،

قاله ابن عباس وابن زيد، قال قتادة: هم أربعة.

الثاني: أنهم يحفظون الوحي فما جاء من الله قالوا إنه من عند الله، وما ألقاه

الشیطان قالوا إنه من الشيطان، قاله السدي.

الثالث: يحفظون جبريل إذا نزل بالوحي من السماء أن يسمعه الجن إذا

(١٥٦) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث وقد استدلل الزمخشري بالآية على مذهبه الفاسد في إبطال الكرامات

ورد عليه العلماء. راجع كلام الشوكاني في فتح القدير (٣١٢، ٣١١/٥) فقد رد عليه بكلام رصين جداً.

(١٥٧) قال الإمام القرطبي (٢٨/١٩): قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به

دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما

شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن

ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء

من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه أهـ.

استرقوا السمع ليلقوه إلى كهنتهم قبل أن يبلغه الرسول إلى أمته، قاله الفراء.

﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: ليعلم محمد أن قد بلغ جبريل إليه رسالات ربه، قاله ابن جبير، وقال: ما نزل جبريل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة من الملائكة.
الثاني: ليعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغت رسالات الله وحفظت، قاله قتادة.

الثالث: ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد بلغت عن ربها ما أمرت به، قاله مجاهد.

الرابع: ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما أنزل الله عليهم، ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم، قاله ابن قتيبة.

الخامس: ليعلم الله أن رسنه قد بلغوا عنه رسالاته، لأنبيائه، قاله الزجاج.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ قال ابن جريج: أحاط علماً.

﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ يعني من خلقه الذي يعزب إحصاؤه عن غيره.

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ، وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها: قوله «واصبر على ما يقولون» والتي بعدها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصَفَهُ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ
الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ عَطَاءً
وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا
﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ قال الأخفش: أصله المزممل فأدغم التاء في الزاي، وكذا المدثر.

وفي أصل المزممل: قولان:

أحدهما: المتحمل، يقال زمل الشيء إذا حمله، ومنه الزاملة التي تحمل القماش.

الثاني: المزممل هو المتلفف، قال امرؤ القيس (١٥٨):

(١٥٨) ديوانه: ٢٥ القرطبي (٣٢/٢٩) شرح الفصائد السبع لأبي بكر الأنباري: ١٠٦ فتح القدير (٣١٥/٥).

كَأَن ثَبِيرًا فِي عِزِّهِمْ وَبَلِّغْ كَبِيرُ أَنْسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ .
وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يا أيها المزمل بالنبوة ، قاله عكرمة .

الثاني : بالقرآن ، قاله ابن عباس .

الثالث : بشيابه ، قاله قتادة .

قال إبراهيم : نزلت عليه وهو في قطيفة .

﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني صلِّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ، وفيه وجهان :

أحدهما : إِلَّا قَلِيلًا من أعداد الليالي لا تقمها .

الثاني : إِلَّا قَلِيلًا من زمان كل ليلة لا تقمه وقد كان فرضاً عليه .

وفي فرضه على مَنْ سواه من أُمَّته قولان :

أحدهما : فرض عليه دونهم لتوجه الخطاب إليه ، ويشبه أن يكون قول سعيد ابن جبير .

الثاني : أنه فرض عليه وعليهم فقاموا حتى ورمت أقدامهم ، قاله ابن عباس وعائشة .

وقال ابن عباس : كانوا يقومون نحو قيامه في شهر رمضان ثم نسخ فرض قيامه على الأمة ، واختلف بماذا نسخ عنهم على قولين :

أحدهما : بالصلوات الخمس وهو قول عائشة .

الثاني : بآخر السورة ، قاله ابن عباس .

واختلفوا في مدة فرضه إلى أن نسخ على قولين :

أحدهما : سنة ، قال ابن عباس : كان بين أول المزمل وآخرها سنة .

الثاني : ستة عشر شهراً ، قالت عائشة ، فهذا حكم قيامه في فرضه ونسخه على الأمة .

فأما رسول الله ﷺ فقد كان فرضاً عليه ، وفي نسخه عنه قولان :

أحدهما : المدة المفروضة على أُمَّته في القولين الماضيين .

الثاني : أنها عشر سنين إلى أن خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف لتمييزه

بفضل الرسالة ، قاله سعيد بن جبير .

وقوله «قم الليلَ إِلَّا قليلاً» لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد، والقليل من الشيء ما دون النصف.

حكى عن وهب بن منبه أنه قال: القليل ما دون المعشار والسدس.
وقال الكلبي ومقاتل: القليل الثلث.

وحدّ الليل ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر الثاني.

ثم قال تعالى: ﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ فكان ذلك تخفيفاً إذا لم يكن زمان القيام محدوداً، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم، فروت عائشة أن النبي ﷺ قام في الليل فقال: أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل، وخير الأعمال ما ديم عليه.

ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ»

﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يبين القرآن تبياناً، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم.

الثاني: فسره تفسيراً، قاله ابن جبير.

الثالث: أن تقرأه على نظمه وتواليه، لا تغير لفظاً ولا تقدم مؤخراً مأخوذ من ترتيل الأسنان إذا استوى نبتها وحسن انتظامها، قاله ابن بحر.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً﴾ وهو القرآن، وفي كونه ثقیلاً أربعة تأويلات:

أحدها: أنه إذا أوحى إليه كان ثقیلاً عليه لا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه، وهذا قول عائشة (١٦٠) وعروة بن الزبير (١٦١).

الثاني: العمل به ثقیل في فروضه وأحكامه وحلاله وحرامه، قاله الحسن وقتادة.

الثالث: أنه في الميزان يوم القيامة ثقیل، قاله ابن زبير.

(١٥٩) رواه البخاري (١٠٩/١)، ومسلم (٨٧٢) ومالك (١١٨/١) وأبو داود (٢١٨/١).

(١٦٠) روى البخاري (٣/١) من حديثها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ كيف يأتيك

الوحي... الحديث وفيه قالت ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن

جبينه ليتفصد عرقاً وروى أبو يعلى عنها بسند جيد كما قال الهيثمي في المجمع (١٣٠/٧) قالت كان

النبي ﷺ إذا نزل عليه وجد ما قال الله عز وجل إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً.

(١٦١) رواه الطبري (١٢٧/٢٩).

الرابع: ثقیل بمعنى کریم، مأخوذ من قولهم: فلان ثقیل علیّ أي کریم علیّ، قاله السدي.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أن يكون ثقیل بمعنى ثابت، لثبوت الثقیل في محله، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبداً.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ فيها ستة تأويلات:

أحدها: أنه قيام الليل، بالحبشية، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك.

الثالث: ما بعد العشاء الآخرة، قاله الحسن ومجاهد.

الرابع: أنها ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة، قاله ابن قتية.

الخامس: أنه بدء الليل، قاله عطاء وعكرمة.

السادس: أن الليل كله ناشئة، قال ابن عباس: لأنه ينشأ بعد النهار.

وفي «أشد وطئاً» خمسة تأويلات:

أحدها: مواطأة قلبك وسمعك وبصرك، قاله مجاهد.

الثاني: مواطأة قولك لعملك، وهو مأثور.

الثالث: مواطأة عملك لفراغك، وهو محتمل.

الرابع: أشد نشاطاً، قاله الكلبي، لأنه زمان راحتك.

الخامس: قاله عبادة: أشد وأثبت وأحفظ للقراءة.

وفي قوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه أبلغ في الخير وأمعن في العدل، قاله الحسن.

الثاني: أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، قاله مجاهد وقتادة،

وقرأ أنس بن مالك «وأهيا قيلاً» وقال أهيا وأقوم سواء.

الثالث: أنه أعجل إجابة للدعاء، حكاه ابن شجرة.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني فراغاً طويلاً لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله

ابن عباس وعطاء.

(*) هي الموافقة.

الثاني : دعاء كثيراً ، قاله السدي وابن زيد والسبح بكلامهم هو الذهاب ، ومنه سبح السابح في الماء ^(١٦٢).

﴿واذكر اسم ربك﴾ فيه وجهان :

أحدهما : اقصد بعملك وجه ربك .

الثاني : أنه إذا أردت القراءة فابدأ بسم الله الرحمن الرحيم ، قاله ابن بحر .
ويحتمل وجهاً ثالثاً : واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتتوفر على طاعته وتعديل

عن معصيته .

﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِلًا﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أخلص إليه إخلاصاً ، قاله مجاهد .

الثاني : تعبد له تعبدًا ، قاله ابن زيد .

الثالث : انقطع إليه انقطاعاً ^(١٦٣) ، قاله أبو جعفر الطبري ، ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى ، وجاء في الحديث النهي ^(١٦٤) عن التبتل الذي هو الانقطاع عن الناس والجماعات .

الرابع : وتضرع إليه تضرعاً .

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ فيه قولان :

أحدهما : رب العالمين بما فيه لأنهم بين المشرق والمغرب ، قاله ابن بحر .

الثاني : يعني مشرق الشمس ومغربها .

وفي المراد بالمشرق والمغرب ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه استواء الليل والنهار ، قاله وهب بن منبه .

الثاني : أنه دجنة الليل ووجه النهار ، قاله عكرمة .

الثالث : أنه أول النهار وآخره ، لأن نصف النهار أوله فأضيف إلى المشرق ،

ونصفه آخره فأضيف إلى المغرب .

(١٦٢) لاحظ أنه لم يذكر التأويل الثالث .

(١٦٣) جامع البيان (١٣٢/٢٩) .

(١٦٤) ورد النهي من حديث سعد بن أبي وقاص وسمرة بن جندب مرفوعاً أما حديث سمرة فقد رواه الإمام

أحمد (١٧/٥) والترمذي (٣٨٤/٣) والنسائي (٥٩/٦) وابن ماجه وأما حديث سعد بن أبي وقاص فقد

رواه أحمد (١٧٦/١) والنسائي (٥٨/٦) ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير (٣٠٣/٦) فيض .

﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مُعِينًا .

الثاني : كَفِيلًا .

الثالث : حَافِظًا .

وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَحَجِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَنْقُوتُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : اصفح عنهم وقل سلام ، قاله ابن جريج .

الثاني : أن يعرض عن سفههم ويريههم صغر عداوتهم .

الثالث : أنه الهجر الخالي من ذم وإساءة .

وهذا الهجر الجميل قبل الإذن في السيف (*) .

﴿وذرنني والمكذبين أولي النعمة﴾ قال يحيى بن سلام :

بلغني أنهم بنو المغيرة ، وقال سعيد بن جبيرة : أخبرت أنهم اثنا عشر رجلاً من

قريش .

ويحتمل قوله تعالى : «أولي النعمة» ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قال تعريفاً لهم إن المبالغين في التكذيب هم أولي النعمة .

الثاني : أنه قال ذلك تعليلاً ، أي الذين أطفئ هم أولو النعمة .

الثالث : أنه قال توبيخاً أنهم كذبوا ولم يشكروا من أولاهم النعمة .

﴿ومهلهم قليلاً﴾ قال ابن جريج : إلى السيف .

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ في «أنكالا» ثلاثة أوجه:

أحدها: أغللاً، قاله الكلبي.

الثاني: أنها القيود، قاله الأخفش وقطرب، قالت الخنساء^(١٦٥):

دَعَاكَ فَقَطَعْتَ أَنْكَالَهُ وَقَدْ كُنَّ قُبْلَكَ لَا تَقْطَعُ.

الثالث: أنها أنواع العذاب الشديد، قاله مقاتل، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه

قال^(١٦٦): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ النُّكْلَ عَلَى النُّكْلِ، قِيلَ: وَمَا النُّكْلُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ

الْقَوِيُّ الْمَجْرَبُ عَلَى الْفَرَسِ الْقَوِيِّ الْمَجْرَبِ»، ومن ذلك سمي القيد نكلاً لقوته،

وكذلك الغل، وكل عذاب قوي واشتد.

﴿وِطْعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها شجرة الرقوم، قاله مجاهد.

﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رملاً سائلاً، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المهيل الذي إذا وطئه القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال

أعلاه، قاله الضحاك والكلبي.

﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: شديداً، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: متتابعاً، قاله ابن زيد.

الثالث: ثقيلاً غليظاً، ومنه قيل للمطر العظيم وابل، قاله الزجاج.

الرابع: مهلكاً، ومنه قول الشاعر^(١٦٧):

أَكَلَتْ بَنِيكَ أَكْثَلَ الضَّبِّ حَتَّى وَجَدَتْ مِرَارَةَ [الْكَأِ الْوَيْلِ]. (*)

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

(١٦٥) ديوان الخنساء وفيه ظن بدل كن، القرطبي (٤٦/١٩) فتح القدير (٣١٨/٥) وفيه أتوك بدلاً من

دعاك.

(١٦٦) لم أهتم إلى تخريجه.

(١٦٧) القرطبي (٤٨/١٩).

(*) هاتان الكلمتان أخذناهما من تفسير القرطبي وقد سقطتا من الأصل.

﴿إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ الشيب: جمع أشيب، والأشيب والأشمت الذي اختلط سواد شعره ببياضه، وهو الحين الذي يقلع فيه ذو التصابي عن لهوه، قال الشاعر (١٦٨):

طَرِبْتُ وَمَا بَكَ مَا يُطَرِّبُ وهل يلعب الرجلُ الْأَشْيَبُ
وإنما شاب الولدان في يوم القيامة من هوله.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: ممثلة به، قاله ابن عباس.

الثاني: مثقلة، قاله مجاهد.

الثالث: مخزونة به، قاله الحسن.

الرابع: منشقة من عظمته وشدته، قاله ابن زيد.

﴿وَكَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وعده بأن السماء منفطر به، وكون الجبال كثيباً مهيلًا، وأن يجعل

الولدان شيبًا، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: وعده بأن يظهر دينه على الدين كله، قاله مقاتل.

الثالث: وعده بما بشر وأنذر من ثوابه وعقابه.

وفي المعنى المكنى عنه في قوله «به» وجهان:

أحدهما: أن السماء منفطرة باليوم الذي يجعل الولدان شيبًا، فيكون اليوم قد

جعل الولدان شيبًا، وجعل السماء منفطرة ويكون انفطارها للفناء.

الثاني: معناه أن السماء منفطرة بما ينزل منها بأن يوم القيامة يجعل الولدان

شيبًا، ويكون انفطارها بانفتاحها لتزول هذا القضاء منها.

إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴿إِنْ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِ أَثْلٍ وَنِصْفِهِمْ وَثُلَاثُ وَطَافَةٍ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّنْ خُصَّوهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم

مَرَضَىٰ وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَءَاخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ۚ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿... وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعنى يقدر ساعتها، فاحتمل ذلك وجهين :
أحدهما : تقديرهما لأعمال عباده .
الثاني : لقضائه في خلقه .
﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : لن تطيقوا قيام الليل ، قاله الحسن .
الثاني : يريد تقدير نصف الليل وثلثه وربعه ، قاله الضحاك .
﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل وجهين :
أحدهما : فتاب عليكم من تقصيركم فيما مضى ، فاقروا في المستقبل ما تيسر .
الثاني : فخفف عنكم .
﴿فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : فصلوا ما تيسر من الصلاة ، فعبّر عن الصلاة بالقرآن لما يتضمنها من القرآن .
فعلى هذا يحتمل في المراد بما تيسر من الصلاة وجهان :
أحدهما : ما يتطوع به من نوافله لأن الفرض المقدّر لا يؤمر فيه بما تيسر .
الثاني : أنه محمول على فروض الصلوات الخمس لانتقال الناس من قيام الليل إليها ، ويكون قوله «ما تيسر» محمولاً على صفة الأداء في القوة والضعف ، والصحة والمرض ، ولا يكون محمولاً على العدد المقدّر شرعاً .
الثاني : أن المراد بذلك قراءة ما تيسر من القرآن حملاً للخطاب على ظاهر اللفظ .

فعلى هذا فيه وجهان :

أحدهما: أن المراد به قراءة القرآن في الصلاة فيكون الأمر به واجباً لوجوب القراءة في الصلاة.

واختلف في قدر ما يلزمه أن يقرأ به من الصلاة، فقدره مالك والشافعي بفاتحة الكتاب، لا يجوز العدول عنها ولا الاختصار على بعضها، وقدرها أبو حنيفة بآية واحدة من أي القرآن كانت.

والوجه الثاني: أن المراد به قراءة القرآن من غير الصلاة، فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولاً على الوجوب أو على الاستحباب؟ على وجهين:

أحدهما: أنه محمول على الوجوب ليقف بقراءته على إعجازه ودلائل التوحيد فيه وبعث الرسل، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل التوحيد منه أن يحفظه، لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة.

الثاني: أنه محمول على الاستحباب دون الوجوب، وهذا قول الأكثرين لأنه لو وجب عليه أن يقرأه وجب عليه أن يحفظه. وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقاويل:

أحدها: جميع القرآن، لأن الله تعالى قد يسره على عباده، قاله الضحاك.

الثاني: ثلث القرآن، حكاه جوير.

الثالث: مائتا آية، قاله السدي.

الرابع: مائة آية، قاله ابن عباس.

الخامس: ثلاث آيات كأقصر سورة، قاله أبو خالد الكناني.

﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾ ذكر الله أسباب التخفيف، فذكر منها المرض

لأنه يُعجز.

ثم قال: ﴿وآخرون يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم المسافرون، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ

عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾.

الثاني: أنه التَّكَلُّبُ للتجارة لقوله تعالى: ﴿يَتَتَفَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، قاله ابن

مسعود يرفعه^(١٦٩)، وهو قول السدي.

(١٦٩) لعله يقصد ما رواه الثعلبي من رواية فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفاً أيما رجل جلب

﴿وَأَخْرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني في طاعته، وهم المجاهدون.
 ﴿فَأَقْرُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ نسخ ما فرضه في أول السورة من قيام الليل وجعل ما تيسر منه تطوعاً ونفلاً، لأن الفرض لا يؤمر فيه بفعل ما تيسر منه.
 وقد ذكرنا في أول السورة الأقاويل في مدة الفرض.
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني المفروضة، وهي الخمس لوقتها.
 ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:
 أحدها: أنها هنا طاعة الله والإخلاص له، قاله ابن عباس.
 الثاني: أنها صدقة الفطر، قاله الحارث العكلي.
 الثالث: أنها زكاة الأموال كلها، قاله قتادة وعكرمة.
 ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فيه خمسة تأويلات:
 أحدها: أنه النوافل بعد الفروض، قاله ابن زيد.
 الثاني: قول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قاله ابن حبان.
 الثالث: النفقة على الأهل، قاله زيد بن أسلم.
 الرابع: النفقة من سبيل الله، وهذا قول عمر رضي الله عنه.
 الخامس: أنه أمر بفعل جميع الطاعات التي يستحق عليها الثواب.
 ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني تجدوا ثوابه عند الله ﴿هو خير﴾ يعني مما أعطيتم وفعلتم.

﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ قال أبو هريرة: الجنة.
 ويحتمل أن يكون «أعظم أجراً» الإعطاء بالحسنة عشرين.
 ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ يعني من ذنوبكم.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما كان قبل التوبة.
 ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم بعدها، قاله سعيد بن جبير.

شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقد ضعف هذا الحديث الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص ١٧٩ وقال وصله ابن مردويه بذكر علقمة بن إبراهيم وعبد الله ورقعه أيضاً وزاد ثم قرأ «وآخرون يضربون في الأرض...» الآية.

سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ فُوقًا نَذِرٌ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ ﴿٥﴾
وَلَا تَمَنَّئْ مِنْ نَسْتِكَ كَثُرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿يا أيها المدثر﴾ فيه قولان :

أحدهما : يا أيها المدثر بشيابه ، قاله قتادة .

الثاني : بالنبوة وأثقالها ، قاله عكرمة .

﴿قم﴾ من نومك ﴿فأنذر﴾ قومك عذاب ربك .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : يا أيها الكاتب لنبوته اجهر بإنذارك .

ويحتمل هذا الإنذار وجهين :

أحدهما : إعلامهم بنبوته لأنه مقدمة الرسالة .

الثاني : دعاؤهم إلى التوحيد لأنه المقصود بها .

قال ابن عباس وجابر هي أول سورة نزلت .

﴿وثيابك فطهر﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن المراد بالثياب العمل .

الثاني : القلب .

الثالث: النفس .

الرابع: النساء والزوجات .

الخامس: الثياب الملبوسات على الظاهر .

فمن ذهب إلى أن المراد بها العمل قال تأويل الآية: وعملك فأصلح، قاله مجاهد، ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال (١٧٠):

«يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيها» يعني عمله الصالح والطالح .

ومن ذهب إلى أن المراد بالثياب القلب فالشاهد عليه قول امرئ القيس (١٧١):

وإن تك قد ساءت لك مني خليفةً فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناه وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني: وقلبك فطهر من الغدر وهذا مروي عن ابن عباس، واستشهد بقول الشاعر (١٧٢):

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتنع .
ومن ذهب إلى أن المراد بالثياب النفس فلأنها لابسة الثياب، فكفى عنها بالثياب، ولهم في تأويل الآية ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه ونفسك فطهرها مما نسبك إليه المشركون من شعر أو سحر أو كهانة أو جنون، رواه ابن أبي نجيح وأبو يحيى عن مجاهد .

الثاني: ونفسك فطهرها مما كنت تشكو منه وتحذر، من قول الوليد بن المغيرة، قاله عطاء .

الثالث: ونفسك فطهرها من الخطايا، قاله عامر .

ومن ذهب إلى أن المراد النساء والزوجات فلقوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم

(١٧٠) والذي في التذكرة للقرطبي ص ٢٤٣ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما حضرته الوفاة دعا بشياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الميت يبعث في ثيابه التي مات فيها رواه أبو داود ذكر السيوطي في كتابه شرح الصدور آثاراً عن حذيفة ومعاذ رضي الله عنهما تؤيد هذا الحديث فراجعها .

(١٧١) ديوانه: ١٣ ، شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري: ٤٦ . زاد المسير (٤٠١/٨) .

(١٧٢) هو غيلان بن سلمة والبيت في اللسان ثوب والطبري (١٤٥/٢٩) فتح القدير (٣٢٤/٥) .

لباس هن ﴿[البقرة: ١٨٧] ولهم في تأويل الآية وجهان :

أحدهما : معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفاف .

الثاني : الاستمتاع بهن من القبل دون الدبر، وفي الطهر دون الحيض ،

حكاها ابن بحر

ومن ذهب إلى أن المراد بها الثياب الملبوسة على الظاهر، فلهم في تأويله

أربعة أوجه :

أحدها : معناه وثيابك فأنقي، رواه عطاء عن ابن عباس، ومنه قول امرئ

القيس^(١٧٣) :

ثياب بني عوفٍ طهارى نقيّةً وأوجههم عند المشاهد غرّان

الثاني : وثيابك فشمّر وقصّر، قاله طاووس .

الثالث : وثيابك فطهر من النجاسات بالماء، قاله محمد بن سيرين وابن زيد

والفقهاء .

الرابع : معناه لا تلبس ثياباً إلا [من] كسب حلال مطهرة من الحرام .

﴿والرّجزَ فاهجر﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : يعني الآثام والأصنام، قاله جابر وابن عباس وقتادة والسدي .

الثاني : والشرك فاهجر، قاله ابن جبير .

الثالث : والذنب فاهجر، قاله الحسن .

الرابع : والإثم فاهجر، قاله السدي .

الخامس : والعذاب فاهجر، حكاها أسباط .

السادس : والظلم فاهجر، ومنه قول رؤية بن العجاج^(١٧٤) .

كم رامنا من ذي عديد منه حتى وقمنا كيده بالرجز .

قال السدي : الرّجز بنصب الراء : الوعيد .

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ فيه أربعة تأويلات :

(١٧٣) القرطبي (٦٥/٢٩) فتح القدير (٣٢٤/٥) ديوانه : ٨٣ ونسبه القرطبي لأبي كبشة وهو خطأ وفيه

وأوجههم بيض المسافر .

(١٧٤) ديوانه : ٦٤ .

أحدها: لا تعط عطية تلمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة، قال الضحاك: هذا حرمه الله تعالى على رسوله وأباحه لأمته.

الثاني: معناه لا تمنن بعملك تستكثر على ربك، قاله الحسن.

الثالث: معناه لا تمنن بالنبوة على الناس تأخذ عليها منهم أجراً، قاله ابن زيد.

الرابع: معناه لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد.

ويحتمل تأويلاً خامساً: لا تفعل الخير لتراثي به الناس.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أما قوله «وَلِرَبِّكَ» ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لأمر ربك.

الثاني: لوعد ربك.

الثالث: لوجه ربك.

وفي قوله «فاصْبِرْ» سبعة تأويلات:

أحدها: فاصْبِرْ على ما لا قيت من الأذى والمكروه، قاله مجاهد.

الثاني: على محاربة العرب ثم العجم، قاله ابن زيد.

الثالث: على الحق فلا يكن أحد أفضل عندك فيه من أحد، قاله السدي.

الرابع: فاصْبِرْ على عطيتك لله، قاله إبراهيم.

الخامس: فاصْبِرْ على الوعظ لوجه الله، قاله عطاء.

السادس: على انتظام ثواب عملك من الله تعالى، وهو معنى قول ابن شجرة.

السابع: على ما أمرك الله من أداء الرسالة وتعليم الدين، حكاه ابن عيسى.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني نفخ في الصور^(١٧٥)، قاله ابن عباس، وهل المراد النفخة الأولى

أو الثانية؟ قولان:

أحدهما: الأولى.

والثاني: الثانية.

- الثاني: أن الناقور القلب يجزع إذا دعي الإنسان للحساب، حكاه ابن كامل.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن الناقور صحف الأعمال إذا نشرت للعرض.

(١٧٥) وهو الصواب وعليه أكثر المفسرين.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأَرَّهُمْ
صُعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُمْ فُكِرُوا قَدَرٌ ﴿١٨﴾ فَقُنِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُنِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَفَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا نُبْقِي وَلَا نَذَرُ ﴿٢٨﴾ الْوَاحِدَ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾
عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ قال المفسرون يعني الوليد بن المغيرة المخزومي وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه، وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة لأذى الرسول.

وفي قوله تعالى «وَحِيدًا» تأويلان:

أحدهما: أن الله تفرد بخلق وحده.

الثاني: خلقه وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ولد، قاله مجاهد. فعلى هذا

الوجه في المراد بخلق وحيداً وجهان:

أحدهما: أن يعلم به قدر النعمة عليه فيما أعطي من المال والولد.

الثاني: أن يدلّه بذلك على أنه يبعث وحيداً كما خلق وحيداً.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ فيه ثمانية أقاويل:

أحدها: ألف دينار، قاله ابن عباس.

الثاني: أربعة آلاف دينار، قاله سفيان.

الثالث: ستة آلاف دينار، قاله قتادة.

الرابع: مائة ألف دينار، قاله مجاهد.

الخامس: أنها أرض يقال لها ميثاق، وهذا مروى عن مجاهد أيضاً.

السادس: أنها غلة شهر بشهر، قاله عمر رضي الله عنه.

السابع: أنه الذي لا ينقطع شتاء ولا صيفاً، قاله السدي.

الثامن: أنها الأنعام التي يمتد سيرها في أقطار الأرض للمرعى والسعة، قاله

ابن بحر.

ويحتمل تاسعاً: أن يستوعب وجوه المكاسب فيجمع بين زيادة الزراعة وكسب التجارة ونتاج المواشي فيمد بعضها ببعض لأن لكل مكسب وقتاً.

ويحتمل عاشراً: أنه الذي يتكون نماؤه من أصله كالنخل والشجر.

﴿وَبَيْنَ شُهَدَاءَ﴾ اختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كانوا عشرة، قاله السدي.

الثاني: قال الضحاك: كان له سبعة ولدوا بمكة، وخمسة ولدوا بالطائف.

الثالث: أنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً، قاله ابن جبير.

وفي قوله «شهوداً» ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنهم حضور معه لا يغيبون عنه، قاله السدي.

الثاني: أنه إذا ذكر ذكروا معه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم كلهم رب بيت، قاله ابن جبير.

ويحتمل رابعاً: أنهم قد صاروا مثله من شهود ما كان يشهده، والقيام بما كان يباشره.

﴿وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمْهيداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مهدت له من المال والولد، قاله مجاهد.

الثاني: مهدت له الرياسة في قومه، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: أنه مهد له الأمر في وطنه حتى لا ينزعج عنه بخوف ولا حاجة.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثم يطمع أن أدخله الجنة، كلاً، قاله الحسن.

الثاني: أن أزيده من المال والولد «كلاً» قال ابن عباس:

فلم يزل النقصان في ماله وولده.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: ثم يطمع أن أنصره على كفره.

﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ في المراد «آياتنا» ثلاثة أقاويل:

أحدها: القرآن^(١٧٦)، قاله ابن جبير.

الثاني: محمد ﷺ، قاله السدي.

(١٧٦) وهو الأصح من سياق الآيات.

الثالث: الحق، قاله مجاهد.

وفي قوله «عنيذاً» أربعة تأويلات:

أحدها: معاند، قاله مجاهد وأبو عبيدة، وأنشد قول الحارثي (١٧٧):

إذا نزلت فاجعلاني وسطاً إني كبير لا أطيق العُندا.

الثاني: مباعد، قاله أبو صالح، ومنه قول الشاعر (١٧٨):

أرانا على حال تفرّق بيننا نوى غربة إنّ الفراق عنود.

الثالث: جاحد، قاله قتادة.

الرابع: مُعرض، قاله مقاتل.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أنه المجاهر بعداوته.

﴿سَأَرْهَقُهُ صُعُوداً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: مشقة من العذاب، قاله قتادة.

الثاني: أنه عذاب لا راحة فيه، قاله الحسن.

الثالث: أنها صخرة في النار ملساء يكلف أن يصعدها، فإذا صعدوها زلق منها،

وهذا قول السدي.

الرابع: ما رواه عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري (١٧٩) عن النبي ﷺ

«سَأَرْهَقُهُ صُعُوداً»، قال: هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده

عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت.

ويحتمل إن لم يثبت (١٨٠) هذا النقل قولاً خامساً: أنه تصاعد نفسه للترع وإن

لم يتعقبه موت ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ قال قتادة: زعموا أن الوليد بن المغيرة قال: لقد نظرت فيما

قال هذا الرجل فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما

يُغَلَى، وما أشك أنه سحر، فهو معنى قوله «فَكَّرَ وَقَدَّرَ» أي فكر في القرآن، وقدر فيما

إنه سحر وليس بشعر.

(١٧٧) والبيت في اللسان «عند» فتح القدير (٣٢٦/٥) والقرطبي (٧٣/١٩) والطبري (١٥٤/٢٩).

(١٧٨) القرطبي (٧٣/١٩).

(١٧٩) تقدم تخريجه في سورة الجن في التعليق ١٣.

(١٨٠) وهذا يدل على أن الحديث عند الإمام لم يثبت فعلاً هو حديث ضعيف وقد تقدم تخريجه.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون فكّر في العداوة وقدر في المجاهدة.
﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي عوقب ثم عوقب، فيكون العقاب تكرر عليه مرة بعد أخرى.
الثاني: أي لعن ثم لعن كيف قدر أنه ليس بشعر ولا كهانة، وأنه سحر.
﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ يعني الوليد بن المغيرة، وفي ما نظر فيه وجهان:
أحدهما: أنه نظر في الوحي المنزل من القرآن، قاله مقاتل.

الثاني: أنه نظر إلى بني هاشم حين قال في النبي ﷺ إنه ساحر، ليعلم ما عندهم.

ويحتمل ثالثاً: ثم نظر إلى نفسه فيما أُعطي من المال والولد فطغى وتجبّر.
﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أما عبس فهو قبض ما بين عينيه، وبَسَرَ فيه وجهان:

أحدهما: كلع وجهه، قاله قتادة، ومنه قول بشر بن أبي خازم^(١٨١):
صبحنا تميمًا غداة الجفار بشهباء ملمومةٍ باسرةٍ.
الثاني: تغير، قاله السدي، ومنه قول توبة^(١٨٢):

وقد رايني منها صدود رأيتُه وإغراضها عن حاجتي وبُسورها.
واحتمل أن يكون قد عبس وبسر على النبي ﷺ حين دعاه.
واحتمل أن يكون على من آمن به ونصره.
وقيل إن ظهور العبوس في الوجه يكون بعد المحاورة، وظهور البسور في الوجه قبل المحاورة.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أدبر عن الحق واستكبر عن الطاعة.
الثاني: أدبر عن مقامه واستكبر في مقاله.

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ قال ابن زيد: إن الوليد بن المغيرة قال: إن هذا القرآن إلا سحر يآثره محمد عن غيره فأخذه عمن تقدمه.
ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون معناه أن النفوس تؤثر لحلاوته فيها كالسحر.

(١٨١) القرطبي (٧٥/١٩) فتح القدير (٣٢٧/٥).

(١٨٢) روح المعاني (١٢٤/٢٩) الطبري (١٥٦/٢٩) فتح القدير (٣٢٧/٥) القرطبي (٧٦/١٩).

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي ليس من كلام الله تعالى ، قال السدي : يعنون أنه من قول أبي اليسر عَبْدُ لبني الحضرمي كان يجالس النبي ﷺ ، فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك .

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه اسم من أسماء جهنم مأخوذ من قولهم : سقرته الشمس إذا آلمت دماغه ، فسميت جهنم بذلك لشدة إيلاها .

﴿وما أدراك ما سَقَرٌ لا تَبْقَى ولا تَذَرُ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا تبقى من فيها حياً ، ولا تذر ميتاً ، قاله مجاهد .

الثاني : لا تبقى أحداً من أهلها أن تتناوله ، ولا تذر من العذاب ، حكاه ابن

عيسى .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : لا تبقى صحيحاً ، ولا تذر مستريحاً .

﴿لَوَاحِةً لِلْبَشَرِ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : مغيرة لألوانهم ، قال أبو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعهم أشد سواداً

من الليل .

الثاني : تحرق البشر حتى تلوح العظم ، قاله عطية .

الثالث : أن بشرة أجسادهم تلوح على النار ، قاله مجاهد .

الرابع : أن اللواح شدة العطش ، والمعنى أنها معطشة للبشر ، أي لأهلها ، قاله

الأخفش ، وأنشد (١٨٣) :

سَقَتْنِي عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْمَاءِ شَرِبَةً سَقَاها بِهِ اللَّهُ الرَّهَامَ الْغَوادِيا .

يعني باللوح شدة العطش .

ويحتمل خامساً : أنها تلوح للبشر بهولها حتى تكون أشد على من سبق إليها ،

وأسر لمن سلم منها .

وفي البشر وجهان :

أحدهما : أنهم الإنس من أهل النار ، قاله الأخفش والأكثرون .

الثاني : أنه جمع بشرة ، وهي جلدة الإنسان الظاهرة ، قاله مجاهد وقتادة .

﴿عليها تسعة عشر﴾ هؤلاء خزنة جهنم وهم الزبانية، وعددهم هذا الذي ذكره الله تعالى، وروى عامر عن البراء^(١٨٤) أن رهطاً من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم، فأهوى بأصابع كفية مرتين، فأمسك الإبهام في الثانية، وأخبر الله عنهم بهذا العدد، وكان الاختصار عليه دون غيره من الأعداد إخباراً عما وكل بها وهو هذا العدد، وموافقة لما نزل به التوراة والإنجيل من قبل.

وقد يلوح لي في الاختصار على هذا العدد معنى خفي يجوز أن يكون مراداً، وهو أن تسعة عشر عدد يجمع أكثر القليل من العدد وأقل الكثير، لأن العدد آحاد وعشرات ومئون وألوف، والآحاد أقل الأعداد، وأكثر الآحاد تسعة، وما سوى الآحاد كثير وأقل الكثير عشرة، فصارت التسعة عشر عدداً يجمع من الأعداد أكثر قليلها، وأقل كثيرها، فلذلك ما وقع عليها الاختصار والله أعلم للنزول عن أقل القليل وأكثر الكثير، فلم يبق إلا ما وصفت.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يكون الله حفظ جهنم حتى ضبطت وحفظت بمثل ما ضبطت به الأرض وحفظت به من الجبال حتى رست وثبتت، وجبال الأرض التي أرسيت بها واستقرت عليها تسعة عشر جبلاً، وإن شعب فروعها تحفظ جهنم بمثل هذا العدد، لأنها قرار لعصاة الأرض من الإنس والجن، فحفظت مستقرهم في النار بمثل العدد الذي حفظ مستقرهم في الأرض، وحد الجبل ما أحاطت به أرض تشعب فيها عروقه ظاهره ولا باطنه، وقد عد قوم جبال الأرض فإذا هي مائة وتسعون جبلاً، واعتبروا انقطاع عروقتها رواسي وأوتاداً، فهذان وجهان يحتملهما الاستنباط، والله أعلم بصواب ما استأثر بعلمه.

وذكر من يتعاطى العلوم العقلية وجهاً ثالثاً: أن الله تعالى حفظ نظام خلقه ودبر ما قضاه في عباده بتسعة عشر جعلها المدبرات أمراً وهي سبعة كواكب واثنان عشر

(١٨٤) رواه الترمذي (٣٣٢٧) والبخاري وأحمد وابن مردويه كما في الدر (٣٣٣/٨) من حديث جابر وأما ما ذكره المؤلف هنا فقد رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث كما في الدر (٣٣٢/٨) قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٤٣/٤) بعد أن ساقه من رواية ابن أبي حاتم قال وهذا وقع عند ابن أبي حاتم والمشهور من حديث جابر قلت وقد تقدم تخريج حديثه.

وقال البخاري لا يعرف إلا من حديث مجالد اهـ وقلت ومجالد ضعيف ليس بالقوي.

برجاً، فصار هذا العدد أصلاً في المحفوظات العامة، فلذلك حفظ جهنم، وهذا مدفوع بالشرع وإن راق ظاهره (١٨٥).

ثم نعود إلى تفسير الآية، روى قتادة أن الله تعالى لما قال:

«عليها تسعة عشر» قال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحداً منهم وأنتم أكثر منهم.

قال السدي: وقال أبو الأشد (١٨٦) بن الجمحي: لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرّون إلى الجنة، يقولها مستهزئاً.

فقال الله تعالى:

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا دْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَاحِدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لَمَن شَاءَ
مِنْكُمْ أَن يَنْقُدمَ أَوْ يَنْخَرِ ﴿٣٧﴾

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾

وروى ابن جريج أن النبي (١٨٧) ﷺ نعت خزنة جهنم فقال: كان أعينهم البرق، وكان

(١٨٥) قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٤٤) قوله تعالى «وما يعلم جنود ربك إلا هو» أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى لثلاث يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط لما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة ومن الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من المسلمين والذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها فافهموا صدر هذه الآية وكفروا بآخرها وهو قوله «وما يعلم جنود ربك إلا هو».

(١٨٦) وفي القرطبي (١٩/٧٩) أبو الأشد أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البأس وذكروا أنه كان يسط له الأدم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فلا ينزع إلا قطعاً ويبقى موضع قدمه وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ.

وسياتي عن المصنف هذه القول الثاني في الاسم.

(١٨٧) قال الحافظ في تخرجه الكشف ص ١٨٠ لم أجده.

أفواههم الصياصي، يجرون شعورهم، لأحدهم مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار، ويرمي الجبل عليهم.

﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليستين عدد الخزنة لموافقة التوراة والإنجيل، قاله مجاهد.

الثاني: ليستين أن محمداً نبي لما جاء به من موافقة عدة الخزنة.

﴿وَيُزَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ بذلك، قاله ابن جريج.

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما نار جهنم إلا ذكرى للبشر، قاله قتادة.

الثاني: وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة لنار الآخرة، حكاها ابن عيسى.

الثالث: وما هذه السورة إلا تذكرة للناس، قاله ابن شجرة.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ الواو في «والقمر» واو القسم، أقسم الله تعالى به، ثم أقسم

بما بعده فقال:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذ ولي، قاله ابن عباس.

الثاني: إذ أقبل عند إدبار النهار قاله أبو عبيدة، وقرأ الحسن وأبو عبد الرحمن

إذا دب^(١٨٨)، وهي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب.

واختلف في أدبر ودبر على قولين:

- أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الأخفش.

- الثاني: أن معناهما مختلفان، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه دب إذا خلفته خلفك، وأدبر إذا ولي أمامك، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه دب إذا جاء بعد غيره وعلى دب، وأدبر إذا ولي مدبراً، قاله ابن بحر.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ يعني أضياء وهذا قسم ثالث.

﴿إِنهَا لِأَحْدَى الْكُبَرِ﴾ فيها ثلاثة تأويلات:

أحدها: أي أن تكذيبهم بمحمد ﷺ لأحدى الكبر، أي الكبيرة من الكبائر، قاله

ابن عباس.

(١٨٨) زاد المسير (٤٠٩/٨) والسبعة لابن مجاهد ٦٥٩.

الثاني : أي أن هذه النار لإحدى الكبر، أي لإحدى الدواهي .

الثالث : أن هذه الآية لإحدى الكبر، حكاة ابن عيسى .

ويحتمل رابعاً : أن قيام الساعة لإحدى الكبر، والكُبرُ هي العظائم والغفوبات والشدائد، قال الراجز^(١٨٩) :

يا ابن المُعلَى نزلت إحدى الكُبرِ داهية الدهرِ وصمَاءُ الغِيرِ .
﴿نذيراً للبشر﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن محمداً ﷺ نذير للبشر حين قال له «قم فأنذر» ، قاله ابن زيد .
الثاني : أن النار نذير للبشر، قال الحسن : واللّه ما أنذر الخلائق قط بشيء أدهى منها .

ويحتمل ثالثاً : أن القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد .

﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يتقدم في طاعة الله ، أو يتأخر عن معصية الله ، وهذا قول ابن جريج .

الثاني : أن يتقدم في الخير أو يتأخر في الشر، قاله يحيى بن سلام .

الثالث : أن يتقدم إلى النار أو يتأخر عن الجنة ، قاله السدي .

ويحتمل رابعاً : لمن شاء منكم أن يستكثر أو يقصر، وهذا وعيد وإن خرج مخرج الخبر .

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْلَا نُنْكَرُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ

﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ ﴿٥٦﴾

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ان كل نفس مرتهنة محتبسة بعملها لتحاسب عليه، إلا أصحاب اليمين، وهم أطفال المسلمين فإنه لا حساب عليهم لأنه لا ذنوب لهم، قاله علي رضي الله عنه.

الثاني: كل نفس من أهل النار مرتهنة في النار إلا أصحاب اليمين وهم المسلمون، فإنهم لا يرتنون، وهم إلى الجنة يسارعون، قاله الضحاك.

الثالث: كل نفس بعملها محاسبة إلا أصحاب اليمين وهم أهل الجنة، فإنهم لا يحاسبون، قاله ابن جريج.

﴿وكنّا نخوض مع الخافضين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نكذب مع المكذبين، قاله السدي.

الثاني: كلما غوى غاوغونا معه، قاله قتادة.

الثالث: قولهم محمد كاهن، محمد ساحر، محمد شاعر، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: وكنا أتباعاً ولم نكن متبوعين.

﴿وكنّا نكذب بيوم الدين﴾ يعني يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

﴿حتى أتانا اليقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الموت، قاله السدي.

الثاني: البعث يوم القيامة.

﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ قال قتادة: عن القرآن.

ويحتمل ثالثاً: عن الاعتبار بعقولهم.

﴿كانهم حُمُرٌ مُّسْتَفْرَةٌ﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، يعني مذعورة وقرأ

الباقون بكسرها، يعني هاربة، وأنشد الفراء (١٩٠):

أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدَنَ لُغْرَبٍ.

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ فيه ستة تأويلات:

(١٩٠) القرطبي (٨٩/١٩) اللسان نظر الطبري (١٦٩/٢٩) زاد المسير (٤١٢/٨) وفيه احبس بدلاً من أمسك.

أحدها: أن القسورة الرماة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه القناص أي الصياد، ومنه قول علي:

يا ناس إنني مثل قسورةٍ وإنهم لعداء طالما نفروا.

الثالث: أنه الأسد، قاله أبو هريرة، روى يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه الأسد بلسان الحبشة، قال الفرزدق:

إلى هاديات صعب الرؤوس فساروا للقسور الأصيد.

الرابع: أنهم عصب من الرجال وجماعة، رواه أبو حمزة عن ابن عباس.

الخامس: أنه أصوات الناس، رواه عطاء عن ابن عباس.

السادس: أنه النبل، قاله قتادة.

﴿بل يريد كل امرئٍ منهم أن يُؤتى صُحُفاً مُنْشَرةً﴾ يعني كتباً منشورة وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أن يؤتى كتاباً من الله أن يؤمن بمحمد، قاله قتادة.

الثاني: أن يؤتى براءة من النار أنه لا يقذف بها، قاله أبو صالح.

الثالث: أن يؤتى كتاباً من الله بما أحل له وحرّم عليه، قاله مقاتل.

الرابع: أن كفار قريش قالوا إن بني إسرائيل كانوا إذا أذنب الواحد ذنباً وجده مكتوباً في رقعة، فما بالناس لا نرى ذلك فنزلت الآية، قاله الفراء.

﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو أهل أن تتقي محارمه، وأهل أن يغفر الذنوب، قاله قتادة.

الثاني: هو أهل أن يتقى أن يجعل معه إله غيره، وأهل لمن اتقاه أن يغفر له، وهذا معنى قول رواه أنس^(١٩١) مرفوعاً.

الثالث: هو أهل أن يتقى عذابه وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته.

ويحتمل رابعاً: أهل الانتقام والإنعام.

(١٩١) رواه أحمد (١٤٢/٣) والترمذي (١٦٨/٢) وابن ماجه (٤٢٩٩) وزاد السيوطي في الدر (٣٤٠/٨) نسبته للبخاري والدارمي وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي والحاكم (٥٠٨/٢) وصححه وابن مردويه وابن جرير ولم أجده في تفسيره عند الآية وفي سنده ضعف فهو من رواية سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت عن أنس وسهيل ضعيف كما في التقریب. وقال الترمذي حسن غريب وسهيل ليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به عن ثابت قلت وعلى هذا فتصحيح الحاكم للحديث فيه نظر.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ۚ (١) بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۚ (٢) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ (٣) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ (٤) فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۚ (٥) وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۚ (٦) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ (٧) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَيْنَ الْمَفْرُ ۚ (٨) كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ (٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ (١٠) يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ (١١) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ (١٢) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَادِيرُهُ ۚ (١٣)

قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ اختلفوا في «لا» المبتدأ بها في أول الكلام على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها صلة دخلت مجازاً ومعنى الكلام أقسم بيوم القيامة، قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة، ومثله قول الشاعر:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَىٰ فَاغْتَرَنِي صَبَابَةٌ وَكَادَ ضَمِيرُ الْقَلْبِ لَا يَتَقَطَّعُ .

الثاني: أنها دخلت توكيداً للكلام كقوله: لا والله، وكقول امرئ القيس (١٩٢):

فَلَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدْعِي الْقَوْمَ أَنِّي أَفَرٌّ .

قاله أبو بكر بن عياش.

الثالث: أنها رد لكلام مضى من كلام المشركين في إنكار البعث، ثم ابتدأ

(١٩٢) القرطبي (٩٢/١٩) فتح القدير (٣٣٥/٥) ديوانه: ١٥٤، روح المعاني (٢٩/١٣٥).

القسم فقال: أقسم بيوم القيامة، فرقاً بين اليمين المستأنفة وبين اليمين تكون مجدداً،
قاله الفراء.

وقرأ الحسن: لأُقْسِمُ بيوم القيامة، فجعلها لاماً دخلت على أقسم إثباتاً
للقسم، وهي قراءة ابن كثير (١٩٣).

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه تعالى أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكونان
قَسَمَيْنِ، قاله قتادة.

الثاني: أنه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة، قاله الحسن، ويكون
تقدير الكلام: أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة. وفي وصفها باللوامة
قولان:

أحدهما: أنها صفة مدح، وهو قول من جعلها قسماً:

الثاني: أنها صفة ذم، وهو قول من نفى أن يكون قسماً.

فمن جعلها صفة مدح فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها التي تلوم على ما فات وتندم، قاله مجاهد، فتلوم نفسها على الشر
لم فعلته، وعلى الخير أن لم تستكثر منه.

الثاني: أنها ذات اللوم، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنها التي تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها.

فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى اللائمة.

ومن جعلها صفة ذم فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها التي تلام على سوء ما فعلت.

الثالث: أنها التي لا صبر لها على محن الدنيا وشدائدها، فهي كثيرة اللوم

فيها، فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى الملوثة.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني الكافر.

﴿أَنْ لَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ فنعيدها خلقاً جديداً بعد أن صارت رفاتاً.

﴿بلى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ في قوله «بلى» وجهان :

أحدهما : أنه تمام قوله «أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ» أي بلى نجمعها، قاله الأخفش .
الثاني : أنها استئناف بعد تمام الأول بالتعجب بلى قادرين ، الآية وفيه وجهان :
أحدهما : بلى قادرين على أن نسوي مفاصله ونعيد لها للبعث خلقاً جديداً ، قاله جرير بن عبد العزيز .

الثاني : بلى قادرين على أن نجعل كفه التي يأكل بها ويعمل حافر حمار أو خف بعير ، فلا يأكل إلا بفيه ، ولا يعمل بيده شيئاً ، قاله ابن عباس وقتادة .

﴿بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَّ أَمَامَهُ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه أن يقدم الذنب ويؤخر التوبة ، قاله القاسم بن الوليد .

الثاني : يمضي أمامه قدماً لا ينزع عن فجور ، قاله الحسن .

الثالث : بل يريد أن يرتكب الآثام في الدنيا لقوة أمله ، ولا يذكر الموت ، قاله

الضحاك .

الرابع : بل يريد أن يكذب بالقيامة ولا يعاقب بالنار ، وهو معنى قول ابن زيد .

ويحتمل وجهاً خامساً : بل يريد أن يكذب بما في الآخرة كما كذب بما في الدنيا ، ثم وجدت ابن قتيبة قد ذكره وقال إن الفجور التكذيب واستشهد بأن أعرابياً قصد عمر بن الخطاب وشكا إليه نقب إبله ودبرها ، وسأله أن يحمله على غيرها ، فلم يحمله ، فقال الأعرابي :

أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرُ مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرُ
فاغفر له اللهم إن كان فجرٌ .

يعني إن كان كذبي بما ذكرت .

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ فيه قراءتان :

إحداهما : بفتح الراء (١٩٤) ، وقرأ بها أبان عن عاصم ، وفي تأويلها وجهان :

أحدهما : يعني خفت وانكسر عند الموت ، قاله عبد الله بن أبي إسحاق .

الثاني : شخص وفتح عينه عند معاينة ملك الموت فزعاً ، وأنشد الفراء (١٩٥) :

(١٩٤) السبعة لابن مجاهد ص ٦٦١ وزاد المسير (٤١٨/٨) .

(١٩٥) هو طرفة بن العبد والبيت في ديوانه : ٢١٨ والطبري (١٧٩/٢٩) والقرطبي (٩٤/١٩) اللسان فتح

القدير (٣٣٧/٥) .

فَنَفْسِكَ فَانْعَ وَلَا تَنْعَنِ وداوِ الْكُلُومَ وَلَا تَبْرُقِ.
أي ولا تفزع من هول الجراح.

الثانية: بكسر الراء وقرأ بها الباقون، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: عشى عينيه البرق يوم القيامة، قاله أشهب العقيلي، قال الأعشى:
وكنْتُ أرى في وجه مَيَّةَ لمحَّةً فابْرِقَ مَغْشِيًّا عليّ مكانيا.
الثاني: شق البصر، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الكلابي (١٩٦):

لما أتاني ابن عميرٍ راغباً أعطيتُه عيساً صهاباً فبرق.
﴿وَحَسَفَ الْقَمْرُ﴾ أي ذهب ضوءه، حتى كأن نوره ذهب في خسفٍ من
الأرض.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه جمع بينهما في طلوعهما من المغرب [أسودين مكورين] مظلمين
مقرنين.

الثاني: جمع بينهما في ذهاب ضوءهما بالخسوف لتكامل إظلام الأرض على
أهلها، حكاه ابن شجرة.

الثالث: جمع بينهما في البحر حتى صار نار الله الكبرى.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ أي أين المهرب، قال الشاعر (١٤٠):
أَيْنَ أَفْرٍ وَالْكَبَاشُ تَنْتَطِحُ وَأَيَّ كَبْشٍ حَادٍ عَنْهَا يَفْتَضِحُ.
ويحتمل وجهين:

أحدهما: «أين المفر» من الله استحياء منه.

الثاني: «أين المفر» من جهنم حذراً منها.

ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكافر خاصة من عرضة القيامة دون المؤمن، ثقة

المؤمن ببشرى ربه.

الثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهده

منها.

ويحتمل هذا القول وجهين :

أحدهما : من قول الله للإنسان إذا قاله «أين المفر» قال الله له : «كَلَّا لَا وَزَرَ» .

الثاني : من قول الإنسان إذا علم أنه ليس له مفر قال لنفسه «كَلَّا لَا وَزَرَ»

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أي لا ملجأ من النار، قاله ابن عباس .

الثاني : لا حصن ، قاله ابن مسعود .

الثالث : لا جبل ، [قاله الحسن] .

الرابع : لا محيص ، قاله ابن جبير .

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المستقر المنتهى ، قاله قتادة .

الثاني : أنه استقرار أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار، قاله ابن زيد .

﴿يُنَبِّئُ الْإِنسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ يعني يوم القيامة وفي «بما قدم وأخر»

خمس تأويلات :

أحدها : ما قدم قبل موته من خير أو شر يعلم به بعد موته ، قاله ابن عباس وابن

مسعود .

الثاني : ما قدم من معصية ، وآخر من طاعة ، قاله قتادة .

الثالث : بأول عمله وآخره ، قاله مجاهد .

الرابع : بما قدم من الشر وآخر من الخير ، قال عكرمة .

الخامس : بما قدم من فرض وآخر من فرض ، قاله الضحاك .

ويحتمل سادساً : ما قدم لدنياه ، وما أخر لعقباه .

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه شاهد على نفسه بما تقدم به الحجة عليه ، كما قال تعالى : ﴿اقْرَأْ

كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ .

الثاني : أن جوارحه شاهدة عليه بعمله ، قاله ابن عباس ، كما قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ

نَحْنُتُمُّ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

الثالث : معناه بصير بعيوب الناس غافل عن عيب نفسه فيما يستحقه لها وعليها

من ثواب وعقاب .

والهاء في «بصيرة» للمبالغة.

﴿ولو ألقى معاذيره﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه لو اعتذر يومئذ لم يقبل منه ، قاله قتادة .

الثاني : يعني لو ألقى معاذيره أي لو تجرد من ثيابه ، قاله ابن عباس .

الثالث : لو أظهر حجته ، قاله السدي وقال النابغة (١٩٧) :

لدى إذا ألقى البخيل معاذره .

الرابع : معناه ولو أرخى ستوره ، والستر بلغة اليمن معذار ، قاله الضحاك ، قال

الشاعر (١٩٨) :

ولكنها ضنت بمنزل ساعة علينا وأطت فوقها بالمعاذير .

ويحتمل خامساً : أنه لو ترك الاعتذار واستسلم لم يترك .

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ قُرْآنُهُ

(١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ (٢٤) تَطْنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا قَارَةٌ (٢٥)

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسانه يستذكره

مخافة أن ينساه ، وكان ناله منه شدة ، فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه ، فنهى

عن ذلك حتى يجتمع ، لأن بعضه مرتبط ببعض ، قاله عامر الشعبي .

(١٩٧) فتح القدير (٣٣٧/٢) والقرطبي (٩٧/١٩) .

(١٩٨) فتح القدير (٣٣٨/٥) القرطبي (١٠٠/١٩) .

(١٩٩) رواه البخاري (٣٢٥/٨) ومسلم () والترمذي () وابن جرير (١٨٧/٢٩) وزاد السيوطي

في الدر (٣٤٨/٨) نسبته للطيا لسي وعبد بن حميد والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في

الدلائل وابن الأنباري في المصاحف والنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وأحمد من حديث سعيد بن

جبير عن ابن عباس .

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : إن علينا جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك ، قاله ابن عباس .

الثاني : علينا حفظه وتأليفه ، قاله قتادة .

الثالث : علينا أن نجعله لك حتى تثبته في قلبك ، قاله الضحاك .

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : فإذا بيّناه فاعمل بما فيه ، قاله ابن عباس .

الثاني : فإذا أنزلناه فاستمع قرآنه ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : فإذا تلي عليك فاتبع شرائعه وأحكامه ، قاله قتادة .

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : بيان ما فيه من أحكام وحلال وحرام ، قاله قتادة .

الثاني : علينا بيانه بلسانك إذا نزل به جبريل حتى تقرأه كما أقرأك ، قاله ابن

عباس .

الثالث : علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد أو وعيد ، قاله الحسن .

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تحبون ثواب الدنيا وتذرون ثواب الآخرة ، قاله مقاتل .

الثاني : تحبون عمل الدنيا وتذرون عمل الآخرة .

﴿وَجُودُهُ يُومِئُذٍ نَاصِرَةٌ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني حسنة ، قاله الحسن .

الثاني : مستبشرة ، قاله مجاهد .

الثالث : ناعمة ، قاله ابن عباس .

الرابع : مسرورة ، قاله عكرمة .

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : تنظر إلى ربها في القيامة ، قاله الحسن وعطية العوفي .

الثاني : إلى ثواب ربها ، قاله ابن عمر ومجاهد (٢٠٠) .

(٢٠٠) وهذا القول عده العلماء من الأقوال المردولة لمجاهد التي تخالف الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة في إثبات الرؤية في الآخرة وقد كر عليه العلامة أبو عمر بن عبد البر كما نقله الشوكاني عنه وأما ما نسب

الثالث: تنتظر أمر ربها، قاله عكرمة (٢٠١).

﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كالحة، قاله قتادة.

الثاني: متغيرة، قاله السدي.

﴿تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الفاقرة الداهية، قاله مجاهد.

الثاني: الشر، قاله قتادة.

الثالث: الهلاك، قاله السدي.

الرابع: دخول النار، قاله ابن زيد.

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٦٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٦٨﴾ وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٦٩﴾
إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى
أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٣﴾ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِنْ مَنَى يَمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَعَمِلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ يعني بلوغ الروح عند موته إلى التراقي، وهي أعلى الصدر، واحدها ترقوة.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قال أهله: من راقٍ يرقيه بالرقى وأسماء الله الحسنى، قاله ابن عباس.

الثاني: من طبيب شافٍ، قاله أبو قلابة، قال الشاعر (٢٠٢):

إلى ابن عمر فقد قال القرطبي (١٠٨/١٩) حكاه أي القول الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضاً وليس معروفاً إلا عن مجاهد وحده «قلت كذا القول الثاني ليس بصحيح وقد ثبت عن عكرمة خلافه كما سيأتي راجع فتح القدير (٣٣٨/٥) وروح المعاني (١٤٤/٢٩، ١٤٥) والطبري (٣٩٢/٢٩، ٣٩٣) وابن كثير (٤٥٠/٤) وبعد هذا فإن القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا هو الصواب وما عليه الجمهور وما دونه فخطأ مرذول.

(٢٠١) وقد روى الطبري (١٩٢/٢٩) عن عكرمة قال «تنتظر إلى ربها نظراً راجع التعليق السابق».

(٢٠٢) القرطبي (١١١/١٩) فتح القدير (٣٤١/٥).

هل للفتى من بنات الدهر من واقى أم هل له من حمام الموت من راقى
الثالث: قال الملائكة: مَنْ راقٍ يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب،
رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس.

﴿وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي يتقن أنه مفارق الدنيا.

﴿وَالْتَفَتَ السَّاقِ السَّاقِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: اتصال الدنيا بالآخرة، قاله ابن عباس.

الثاني: الشدة بالشدة والبلاء بالبلاء، وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، قاله

عكرمة ومجاهد، ومنه قول حذيفة بن أنس الهذلي (٢٠٣):

أخو الحرب إن عَضَّتْ به الحربُ عَضَّهَا وإن شَمَرْتُ عن ساقها الحرب شَمَرًا.

الثالث: التَفَتَ ساقاه عند الموت، وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسرين أن

التفاف الساق بالساق عند الميثاق، قال الحسن:

ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جَوًّالاً.

الرابع: أنه اجتمع أمران شديدان عليه: الناس يجهزون جسده، والملائكة

يجهزون روحه، قاله ابن زيد.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنطلق، قاله خارجة.

الثاني: المستقر، قاله مقاتل.

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ هذا في أبي جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله، قاله قتادة.

الثاني: فلا صدق بالرسالة ولا آمن بالمرسل، وهو معنى قول الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: فلا آمن بقلبه ولا عمل بيده.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كذب الرسول وتولى عن المرسل.

الثاني: كذب بالقرآن وتولى عن الطاعة.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ يعني أبا جهل، وفيه ثلاثة أوجه:

(٢٠٣) قال محقق المخطوطة نسب هذا البيت في حاشية تفسير القرطبي إلى حاتم الطائي.

أحدها: يختال في نفسه، قاله ابن عباس.

الثاني: يتبختر في مشيته، قال زيد بن أسلم وهي مشية بني مخزوم.

الثالث: أن يلوي مطاء، والمطا: الظهر، وجاء النهي (٢٠٤) عن مشية المطيطاء وذلك أن الرجل يلقي يديه مع الكفين في مشيه.

﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ* ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ حكى الكلبي ومقاتل: أن النبي ﷺ لقي أبا جهل ببطحاء مكة وهو يتبختر في مشيته، فدفع في صدره وهمزه بيده وقال: «أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ» فقال أبو جهل:

إليك عني أتوعدني يا ابن أبي كبشة ما تستطيع أنت ولاربك الذي أرسلك شيئاً، فنزلت هذه الآية.

وفيه وجهان:

أحدهما: وليك الشر، قال قتادة: وهذا وعيد على وعيد.

الثاني: ويل لك، قالت الخنساء (٢٠٥):

هَمَمْتُ بِنَفْسِي بَعْضَ الْهَمُومِ فَأُولَىٰ لِنَفْسِي أُولَىٰ لَهَا.
سَاحِلُ نَفْسِي عَلَىٰ آلَةٍ فإِذَا عَلَيْهَا وَإِذَا لَهَا.
الآلة: الحالة، والآلة: السرير أيضاً الذي يحمل عليه الموتى.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فهل لا يفترض عليه عمل، قاله ابن زيد.

الثاني: يظن ألا يبعث، قاله السدي.

الثالث: ملغى لا يؤمر ولا ينهى، قاله مجاهد.

الرابع: عبث لا يحاسب ولا يعاقب، قال الشاعر (٢٠٦):

(٢٠٤) تخريجه كما في قوله «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها» رواه ابن المبارك في الزهد رقمه ١٨٧ والترمذي (٤٢/٢ - ٤٣) والعقيلي في الضعفاء (٤٠٨) وابن عدي في الكامل (٣٢٣/١) والبيهقي في الدلائل (ج ٢) من حديث ابن عمر مرفوعاً.

له شاهد من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الهيثمي في المجمع (٢٣٧/١٠) والحديث صححه الألباني في السلسلة ٩٥٦.

(٢٠٥) قول الخنساء ديوانها: فتح القدير (٣٤٢/٥) واقتصر على البيت الأول القرطبي (١١٥/١٩).

(٢٠٦). القرطبي (١١٦/١٩).

فَأَقْسِمَ بِاللَّهِ جَهِدَ الْيَمِينِ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً سُدًى
﴿أَلَمْ يَكْ نُطْفَعَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن معنى يُمنى يراق ، ولذلك سميت مني لإراقة الدماء فيها .

الثاني : بمعنى ينشأ ويخلق ، ومنه قول يزيد بن عامر :

فاسلك طريقك تمشي غير مختشعٍ حتى تلاقِي ما يُمنى لك الماني .

الثالث : أنه بمعنى يشترك أي اشتراك ماء الرجل بماء المرأة .

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ يعني أنه كان بعد النطفة علقه .

﴿فَخَلَقَ فَسْوَى﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : خلق من الأرحام قبل الولادة وسوي بعدها عند استكمال القوة وتمام

الحركة .

الثاني : خلق الأجسام وسواها للأفعال ، فجعل لكل جارحة عملاً ، والله أعلم .

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا
شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ويحيى بن سلام: هي مكية، وقال آخرون فيها مكي من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ إلى آخرها وما تقدم مدني .
قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ في قوله «هل» وجهان:

أحدهما: أنها في هذا الموضع بمعنى قد، وتقدير الكلام: «قد أتى على الإنسان» الآية، على معنى الخبر، قاله الفراء وأبو عبيدة.
الثاني: أنه بمعنى «أتى على الإنسان» الآية، على وجه الاستفهام، حكاه ابن عيسى .

وفي هذا «الإنسان» قولان:

أحدهما: أنه آدم، قاله قتادة والسدي وعكرمة، وقيل إنه خلقه بعد (٢٠٧) خلق السموات والأرض، وما بينهما في آخر اليوم السادس وهو آخر يوم الجمعة .

(٢٠٧) كما ثبت ذلك في حديث مسلم وقد تقدم تخريجه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

الثاني : أنه كل إنسان ، قاله ابن عباس وابن جريج .

وفي قوله تعالى : ﴿ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه أربعون سنة مرت قبل (٢٠٨) أن ينفخ فيه الروح ، وهو ملقى بين مكة والطائف ، قاله ابن عباس في رواية أبي صالح عنه .

الثاني : أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ، ثم نفخ فيه الروح ، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك .

الثالث : أن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر ، وزمان غير محدود ، قاله ابن عباس أيضاً .

وفي قوله ﴿ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مذكوراً ﴾ وجهان :

أحدهما : لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق ، وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أي كان جسداً مصوراً تراباً وطيناً ، لا يذكر ولا يعرف ، ولا يدري ما اسمه ، ولا ما يراد به ، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً ، قاله الفراء ، وقطرب وثعلب . وقال مقاتل : في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً ، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيواناً . ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ يعني بالإنسان في هذا الموضع كل إنسان من بني آدم في قول جميع المفسرين .

وفي النطفة قولان :

أحدهما : ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة ، قاله السدي .

الثاني : أن النطفة ماء الرجل ، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صاراً أمشاجاً . وفي الأمشاج أربعة أقاويل :

أحدها : أنه الأخلاط ، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة ، قاله الحسن وعكرمة ، ومنه قول رؤبة بن العجاج (٢٠٩) :

(٢٠٨) وهو قول الجمهور كما نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٨/٨) .

(٢٠٩) ديوانه : ٣٢ ، الطبري (٢٠٣/١٩) ، القرطبي (١٢٠/١٩) فتح القدير (٣٤٥/٥) .

يطرحن كل مُعْجَلٍ نَشَاجٍ لَمْ يُكْسَ جِلْدًا فِي دَمِ أَمْشَاجٍ.

الثاني: أن الأمشاج الألوان، قاله ابن عباس، وقال مجاهد:

نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء.

روى سعيد عن قتادة عن أنس قال (٢١٠): قال رسول الله ﷺ: ماء الرجل غليظ

أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا فمنه يكون الشبه.

الثالث: أن الأمشاج: الأطوار، وهو أن الخلق يكون طوراً نطفة، وطوراً علقة،

وطوراً مضغة، ثم طوراً عظماً، ثم يكسى العظم لحماً، قاله قتادة.

الرابع: أن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة، قاله ابن مسعود.

وفي قوله ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ وجهان:

أحدهما: نختبره.

الثاني: نكلفه بالعمل.

فإن كان معناه الاختبار ففيما يختبر به وجهان:

أحدهما: نختبره بالخير والشر، قاله الكلبي.

الثاني: نختبر شكره في السراء، وصبره في الضراء، قاله الحسن.

ومن جعل معناه التكليف ففيما كلفه وجهان:

أحدهما: العمل بعد الخلق، قاله مقاتل.

الثاني: الدين، ليكون مأموراً بالطاعة، ومنهياً عن المعاصي.

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: أي يسمع بالأذنين ويبصر بالعينين امتناناً بالنعمة عليه.

الثاني: ذا عقل وتمييز ليكون أعظم في الامتنان حيث يميزه من جميع

الحيوان.

وقال الفراء ومقاتل: في الآية تقديم وتأخير أي فجعلناه سميعاً بصيراً أن نبتيه،

فعلى هذا التقديم في الكلام اختلفوا في ابتلائه على قولين:

أحدهما: ما قدمناه من جعله اختباراً أو تكليفاً.

(٢١٠) رواه البخاري (٣٦٢/٦) من حديث أنس وأحمد (١٠٨/٣) ورواه مسلم من حديث ثوبان

(٣/٣١٥).

الثاني : لنبتليه بالسمع والبصر، قاله ابن قتيبة .

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : سبيل الخير والشر، قاله عطية .

الثاني : الهدى من الضلالة، قاله عكرمة .

الثالث : سبيل الشقاء والسعادة، قاله مجاهد .

الرابع : خروجه من الرحم، قاله أبو صالح والضحاك والسدي .

ويحتمل خامساً : سبيل منافعه ومضاره التي يهتدي إليها بطبعه، وقيل : كمال

عقله .

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إما مؤمناً وإما كافراً، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : إما شكوراً للنعمة وإما كفوراً بها، قاله قتادة .

وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور - مع اجتماعهما في

معنى المبالغة - نفيًا للمبالغة في الشكر وإثباتاً لها في الكفر، لأن شكر الله تعالى لا

يُؤدَّى فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فقل شكره لكثرة النعم

عليه، وكثر كفره وإن قل مع الإحسان إليه .

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلََّا وَسْعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ

مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْثُ

مَسْكِنًا وَيَتِمَّوْا أَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَرْبُدْ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا

نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَمُّوْسًا قَاطِرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَدْ نَهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا

﴿١١﴾ وَجَزْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ في الأبرار قولان :

أحدهما : أنهم الصادقون، قاله الكلبي .

الثاني : المطيعون، قاله مقاتل .

وفيما سَمَّوا به أبراراً ثلاثة أقاويل :

أحدها : سَمَّوا بذلك لأنهم برّوا الآباء والأبناء ، قاله ابن عمر .

الثاني : لأنهم كفوا الأذى ، قاله الحسن .

الثالث : لأنهم يؤدون حق الله ويوفون بالنذر ، قاله قتادة .

وقوله ﴿ مِنْ كَأْسٍ ﴾ يعني الخمر ، قال الضحاك : كل كأس في القرآن وإنما

عنى به الخمر .

وفي قوله ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾ قولان :

أحدهما : أن كافوراً عين في الجنة اسمها كافور ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه الكافور من الطيب فعلى هذا في المقصود منه في مزاج الكأس به

ثلاثة أقاويل :

أحدها : برده ، قال الحسن : يبرد الكافور وطعم الزنجبيل .

الثاني : بريحه ، قاله قتادة : مزج بالكافور وختم بالمسك .

الثالث : طعمه ، قال السدي : كأن طعمه طعم الكافور .

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ يعني أولياء الله ، لأن الكافر لا يشرب منها شيئاً

وإن كان من عباد الله ، وفيه وجهان :

أحدهما : ينتفع بها عباد الله ، قاله الفراء .

الثاني : يشربها ^(٢١١) عباد الله .

قال مقاتل : هي التسنيم ، وهي أشرف شراب الجنة ، يشرب بها المقربون

صرفاً ، وتمزج لسائر أهل الجنة بالخمر واللبن والعسل .

﴿ يُفَجَّرُ وَنَهَا تَفْجِيرًا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يقودونها إلى حيث شاءوا من الجنة ، قاله مجاهد .

الثاني : يمزجونها بما شاءوا ، قاله مقاتل .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن يستخرجوه من حيث شاءوا من الجنة .

وفي قوله «تفجيراً» وجهان :

(٢١١) ولكن قوله «يشرب بها» أفاد معنى زائد على الشراب وهو الري أي يشرب ويروي معاً وهذه هي فائدة الباء هنا .

أحدهما : أنه مصدر قصد به الكثير .

الثاني : أنهم يفجرونه من تلك العيون عيوناً لتكون أمتع وأوسع .
﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : يوفون بما افترض الله عليهم من عبادته ، قاله قتادة .

الثاني : يوفون بما عقدوه على أنفسهم من حق الله ، قاله مجاهد .

الثالث : يوفون بالعهد لمن عاهدوه ، قاله الكلبي .

الرابع : يوفون بالإيمان إذا حلفوا بها ، قاله مقاتل .

ويحتمل خامساً : أنهم يوفون بما أنذروا به من وعيده .

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ قال الكلبي عذاب يوم كان شره مستطيراً ،

وفيه وجهان :

أحدهما : فاشياً ، قاله ابن عباس والأخفش .

الثاني : ممتداً ، قاله الفراء ، ومنه قول الأعشى (٢١٢) :

فبانت وقد أوزنت في الفؤاد
صدعاً على نأيها مستطيراً
أي ممتداً .

ويحتمل وجهاً ثالثاً يعني سريعاً .

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : على حب الطعام ، قاله مقاتل .

الثاني : على شهوته ، قاله الكلبي .

الثالث : على قلته ، قاله قطرب .

﴿مُسْكِينًا وَيتيمًا وأسيرًا﴾ في الأسير ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المسجون المسلم ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه العبد ، قاله عكرمة .

الثالث : أسير المشركين ، قاله الحسن وسعيد بن جبير .

قال سعيد بن جبير : ثم نسخ أسير المشركين بالسيف ، وقال غيره بل هو ثابت

الحكم في الأسير بإطعامه ، إلا أن يرى الإمام قتله .

ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد بالأسير الناقص العقل، لأنه في أسر خبله وجنونه، وإن أسر المشركين انتقام يقف على رأي الإمام وهذا بر وإحسان.

﴿إِنَّمَا نُنْطِئُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ قال مجاهد: إنهم لم يقولوا ذلك، لكن علمه الله منهم فأننى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ جزاء بالفعال، وشكوراً بالمقال وقيل إن هذه الآية نزلت فيمن تكفل بأسرى بدر، وهم سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد وأبو عبيدة.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن العبوس الذي يعبس الوجوه من شره، والقمطير الشديد، قاله ابن زيد.

الثاني: أن العبوس الضيق، والقمطير الطويل، قاله ابن عباس، قال الشاعر (٢١٣):

شديداً عبوساً قمطيراً تخاله تزول الضحى فيه قرون المناكب.

الثالث: أن العبوس بالشفيتين، والقمطير بالجهة والحاجبين، فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم، قاله مجاهد، وأنشد ابن الأعرابي (٢١٤):

يَغْدُو عَلَى الصَّيْدِ يَعُودُ مُنْكَسِرٌ وَيَقْمَطِرُ سَاعَةً وَيَكْفَهِرُ.
﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ قال الحسن النضرة من الوجوه، والسرور في القلوب.

وفي النضرة ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها البياض والنقاء، قاله الضحاك.

الثاني: أنها الحسن والبهاء، قاله ابن جبير.

(٢١٣) قال العلامة ابن الجوزي (٤٤٣/٨) متعباً على هذا القول «وقد ذهب بعض المفسرين أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك قال وهذا منسوخ بآية السيف وليس هذا القول بشيء فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً وهذا محمول على صدق التطوع فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار ذكره القاضي أبو يعلى اهـ.

(٢١٤) القرطبي (١٩/١٣٥).

الثالث : أنها أثر النعمة ، قاله ابن زيد .

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بما صبروا على طاعة الله .

الثاني : بما صبروا على الوفاء بالنذر .

﴿جَنَّةٍ وَحَرِيرًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : جنة يسكنونها ، وحريراً يلبسونه .

الثاني : أن الجنة المأوى ، والحرير أبد العيش في الجنة ، ومنه لبس الحرير

ليلبسون من لذة العيش .

واختلف فيمن نزلت هذه الآية على قولين :

أحدهما : ما حكاه الضحاك عن جابر أنها نزلت في مطعم بن ورقاء الأنصاري

نذر نذراً فوفاه .

الثاني : ما حكاه عمرو عن الحسن^(٢١٥) أنها نزلت في علي وفاطمة . . رضي

الله عنهما - وذلك أن علياً وفاطمة نذرا صوماً فقضياه ، وخبرت فاطمة ثلاثة أقراص من

شعير ليفطر علي على أحدها وتفطر هي على الآخر ، ويأكل الحسن والحسين

الثالث ، فسألها مسكين فتصدقت عليه بأحدها ، ثم سألها يتيم فتصدقت عليه بالآخر ،

ثم سألها أسير فتصدقت عليه بالثالث ، وباتوا طاوين .

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ

قُطُوفُهَا نَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ

قَدَرُوا نَفِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨)

﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا﴾ (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ

نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّنْ فَضَّةٍ

وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا (٢٢)

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وفيها مع ما قدمناه من تفسيرها قولان :

أحدهما : أنها الأسرة ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها كل ما يتكأ عليه ، قاله الزجاج .

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَريراً ﴾ أما المراد بالشمس فيه وجهان :

أحدهما : أنهم في ضياء مستديم لا يحتاجون فيه إلى ضياء ، فيكون عدم الشمس مبالغة في وصف الضياء .

الثاني : أنهم لا يرون فيها شمساً فيتأذون بحرّها ، فيكون عدمها نفيّاً لأذاها .

وفي الزمهرير ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه البرد الشديد ، قال عكرمة لأنهم لا يرون في الجنة حرّاً ولا برداً .

الثاني : أنه لون في العذاب ، قاله ابن مسعود .

الثالث : أنه من هذا الموضع القمر ، قاله ثعلب وأنشد (٢١٦) :

وليلةً ظلامُها قد اعتكّر قطعتها والزمهريرُ ما ظهرُ

وروي ما زهر ، ومعناه أنهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار ، لأن ضوء

النهار بالشمس ، وضوء الليل بالقمر .

﴿ ... وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْليلاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، قاله قتادة .

الثاني : أنه إذا قام ارتفعت ، وإذا قعد نزلت ، قاله مجاهد .

(٢١٦) ولم يصح هذا السبب قال القرطبي (١٩/ ١٣٠) قلت والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعلاً حسناً فهي عامة وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وهذا حديثاً لا يصح ولا يثبت رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله «يوفون بالنذر» . الآية اه قلت وليث هو ابن أبي سليم متكلم فيه بما يوجب الضعف ثم قال القرطبي رواه الجعفي عن قنبر مولى علي قلت وجابر الجعفي ضعيف أيضاً .

وقد أحسن أبو حيان بقوله «وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جداً ظاهرة الاختلاق وفيها أشعار المسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة وأشعار لفاطمة رضي الله عنها تخاطب كل واحد منهم ظاهرها الاختلاق لسفافة ألفاظها وكسر أبياتها وسخافة معانيها اه .

ثم قال القرطبي رحمه الله ما يروج مثل هذا إلا على أهل السجون فيما أرى بلغني أن قوماً يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه ومثل هذه الأحاديث مفتعلة فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها وما من شيء إلا له آفة ومكيدة وآفة الدين وكيد أكثر اه ونقل الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٠ قال قال الحكيم الترمذي هذا حديث خروق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل» ورواه ابن الجوزي في الموضوعات وقال لا نشك في وضعه .

ويحتمل ثالثاً: أن يكون تذليل قطوفها أن تبرز لهم من أكامها وتخلص من نواها (٢١٧).

﴿... وأكوابٍ كانت قواريراً* قواريراً من فضة﴾ أما الأكواب فقد ذكرنا (٢١٨) ما هي من جملة الأواني.

وفي قوله تعالى: «قوارير من فضة» وجهان:

أحدهما: أنها من فضة من صفاء القوارير، قاله الشعبي.

الثاني: أنها من قوارير في بياض الفضة، قاله أبو صالح.

وقال ابن عباس: قوارير كل أرض من تربتها، وأرض الجنة الفضة فلذلك كانت قواريرها فضة.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم قدروها في أنفسهم فجاءت على ما قدروها، قاله الحسن.

الثاني: على قدر ملء الكف، قاله الضحاك.

الثالث: على مقدار لا تزيد فتفيض، ولا تنقص فتغيض، قاله مجاهد.

الرابع: على قدر ريبهم وكفايتهم، لأنه ألد وأشهى، قاله الكلبي.

الخامس: قدرت لهم وقدروا لها سواء، قاله الشعبي.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تمزج بالزنجبيل، وهو مما تستطيبه العرب لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول، قاله السدي وابن أبي نجيج.

الثاني: أن الزنجبيل اسم للعين التي فيها مزاج شراب الأبرار، قاله مجاهد.

الثالث: أن الزنجبيل طعم من طعوم الخمر يعقب الشرب منه لذة، حكاه ابن شجرة، ومنه قول الشاعر (٢١٩):

(٢١٧) القرطبي (١٣٨/١٩) روح المعاني (١٥٨/٢٩) زاد المسير (٤٣٥/٨) فتح القدير (٣٤٩/٥).

(٢١٨) وقد نقل القرطبي قول الماوردي هذا (٣٩/١٩) وقال «وفي هذا بعد فقد روى ابن المبارك قال أخبرنا

سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرها ذهب

أحمر وسقفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وغيرها أمثال القلال والدلاء وأشدّ بياضاً من

اللبن وأحلى من العسل والين من الزبد ليس فيها عجم... الخ.

(٢١٩) كما في سورة الواقعة الآية ١٨ في هذا التفسير.

وَكَأَن طَعْمَ الزَّنَجَبِيلِ بِهِ إِذْ ذُقْتَهُ وَسُلَافَةَ الْخُمْرِ.
﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أنه اسم لها ، قاله عكرمة .

الثاني : معناه سلٌ سبيلاً إليها ، قاله علي رضي الله عنه .

الثالث : يعني سلسلة السبيل ، قاله مجاهد .

الرابع : سلسلة يصرفونها حيث شاءوا ، قاله قتادة .

الخامس : أنها تنسل في حلوقهم انسلالاً ، قاله ابن عباس .

السادس : أنها الحديدية الجري ، قاله مجاهد أيضاً ، ومنه قول حسان بن ثابت (٢٢٠) :

يَسْقُونَ مِنْ وَرَدَ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ كَأْسًا تُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ .
وقال مقاتل : إنما سميت السلسيل لأنها تنسل عليهم في مجالسهم وغرفهم وطرقهم .

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : مخلدون لا يموتون ، قاله قتادة .

الثاني : صغار لا يكبرون وشباب لا يهرمون ، قاله الضحاك والحسن .

الثالث : أي مُسَوَّرُونَ ، قاله ابن عباس ، قال الشاعر (٢٢١) :

وَمُخَلَّدَاتٍ بِاللَّجَيْنِ كَأَنَّمَا أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِزُ الْكُثْبَانِ .
﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ فيه قولان :

أحدها : أنهم مشبهون باللؤلؤ المنثور لكثرتهم ، قاله قتادة .

الثاني : لصفاء ألوانهم وحسن منظرهم وهو معنى قول سفيان .

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ يعني الجنة .

﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يريد كثرة النعمة .

(٢٢٠) هو المسيب بن علس والبيت في آخر ديوان الأعشى : ٣٥٢ زاد المسير (٤٣٧/٨) روح المعاني (١٦٠/٢٩) .

(٢٢١) القرطبي (١٤٣/١٩) فتح القدير (٣٥١/٥) ديوانه : ١٨٤

الثاني : كثرة النعيم .

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لسعته وكثرته .

الثاني : لاستئذان الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام .

ويحتمل ثالثاً : أنهم لا يريدون شيئاً إلا قدروا عليه .

﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وصفه بذلك لأنهم لا يبولون منه ولا يُحْدِثُونَ عنه ، قاله عطية ، قال

إبراهيم التيمي : هو عَرَقٌ يفيض من أعضائهم مثل ريح المسك .

الثاني : لأن خمر الجنة طاهرة ، وخمر الدنيا نجسة ، فلذلك وصفه الله تعالى

بالطهور ، قاله ابن شجرة .

الثالث : أن أنهار الجنة ليس فيها نجس كما يكون في أنهار الدنيا وأرضها حكاة

ابن عيسى .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا

﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا

طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِن هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ

خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

﴿وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ قيل إنه عنى أبا جهل ، يريد بالآثم المرتكب

للمعاصي ، وبالكفور الجاحد للنعم .

﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يعني في أول النهار وآخره ، ففي أوله صلاة

الصبح ، وفي آخره صلاة الظهر والعصر .

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة .

﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني التطوع من الليل .

قال ابن عباس وسفيان: كل تسبيح في القرآن هو صلاة.
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يحتمل في المراد بهم قولين:
أحدهما: أنه أراد بهم اليهود وما كتموه من صفة الرسول ﷺ وصحة نبوته.
الثاني: أنه أراد المنافقين لاستبطانهم الكفر.
ويحتمل قوله ﴿يُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ وجهين:
أحدهما: أخذ الرشا على ما كتموه إذا قيل إنهم اليهود.
الثاني: طلب الدنيا إذا قيل إنهم المنافقون.
﴿وَيَذَرُونَ وراءَهُم يوماً ثقیلاً﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: ما يحل بهم من القتل والجلاء إذا قيل إنهم اليهود.
الثاني: يوم القيامة إذا قيل إنهم المنافقون.
فعلى هذا يحتمل قوله «ثقیلاً» وجهين:
أحدهما: شدائده وأحواله.
الثاني: للقصاص من عباده.
﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ في أسرهم ثلاثة أوجه:
أحدها: يعني مفاصلهم، قاله أبو هريرة.
الثاني: خلقهم، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة قال لبيد (٢٢٢):
سأهم الوجه شديد أسرُهُ مشرف الحارك مجبوك الكفل.
الثالث: أنه القوة، قاله ابن زيد، قال ابن أحمر في وصف فرس (٢٢٣):
يمشي لأوظفة شدادٍ أسرُها صُمَّ السنايك لا تقى بالجدجد.
ويحتمل هذا القول منه تعالى وجهين:
أحدهما: امتناناً عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية.
الثاني: تخويفاً لهم بسلب النعم.
﴿وَإِذَا شئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: أمثال من كفر بالنعم وشكرها.

(٢٢٢) ديوانه: القرطبي (١٩/١٥١) وفيه الكند بدلاً من الكفل واللسان «حبك».

(٢٢٣) القرطبي (١٩/١٥١).

الثاني : من كفر بالرسل بمن يؤمن بها .
﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ يحتمل بالمراد بـ«هذه» وجهين :
أحدهما : هذه السورة .
الثاني : هذه الخلقة التي خلق الإنسان عليها .
ويحتمل قوله «تذكرة» وجهين :
أحدهما : إذكاري ما غفلت عنه عقولهم .
الثاني : موعظة بما تؤول إليه أمورهم .
﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يحتمل وجهين :
أحدهما : طريقاً إلى خلاصه .
الثاني : وسيلة إلى جنته .

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

مكية من قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها، وهي قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُم ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ» فمدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْغَصَفَتْ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَرَقَتْ فَرَقًا ﴿٤﴾
فَالْمَلَقِيَتْ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَذَرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾
وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْقِذَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ
أُجِلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الملائكة ترسل بالمعروف، قاله أبو هريرة وابن مسعود.

الثاني: أنهم الرسل يرسلون بما يُعرفون به من المعجزات، وهذا قول أبي

صالح.

الثالث: أنها الرياح ترسل بما عرفها (٢٢٤) الله تعالى.

ويحتمل رابعاً: أنها السحب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت فيه،

ومن أرسلت إليه.

(٢٢٤) وهو قول الجمهور.

ويحتمل خامساً: أنها الزواجر والمواعظ.

وفي قوله «عُرْفًا» على هذا التأويل ثلاثة أوجه:

أحدها: متتابعات كعُرف الفرس، قاله ابن مسعود.

الثاني: جاريات، قاله الحسن يعني القلوب.

الثالث: معروفات في العقول.

﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الرياح العواصف، قاله ابن مسعود.

الثاني: الملائكة، قاله مسلم بن صبيح.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف.

وفي قوله «عصفاً» وجهان:

أحدهما: ما تذروه في جريها.

الثاني: ما تهلكه بشدتها.

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها الرياح تنشر السحاب، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنها الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح.

الثالث: أنه المطر ينشر النبات، قاله أبو صالح أيضاً.

الرابع: أنه البعث للقيامة تُنشر فيه الأرواح، قاله الربيع.

الخامس: أنها الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد، قاله الضحاك.

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل، قاله ابن عباس.

الثاني: الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام، قاله أبو صالح.

الثالث: أنها الرياح، قاله مجاهد.

الرابع: القرآن.

وفي تأويل قوله «فَرَقًا» على هذا القول وجهان:

أحدهما: فرقه آية آية، قاله الربيع.

الثاني: فرق فيه بين الحق والباطل، قاله قتادة.

﴿فَالْمَلَكِيَّاتِ ذِكْرًا﴾ فيه قولان :

أحدهما : الملائكة تلقي ما حملت من الوحي والقرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء ، قاله الكلبي .

الثاني : الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل إليهم ، قاله قطرب .
ويحتمل ثالثاً : أنها النفوس تلقي في الأجساد ما تريد من الأعمال .
﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ يعني عذراً من الله إلى عباده ، ونُذْراً إليهم من عذابه .
ويحتمل ثانياً : عذراً من الله بالتمكن ، ونذراً بالتحذير .
وفي ما جعله عذراً أو نذراً ثلاثة أقاويل :

أحدها : الملائكة ، قاله ابن عباس .

الثاني : الرسل ، قاله أبو صالح .

الثالث : القرآن ، قاله السدي .

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب ما تقدم من القسم ، لأن في أول السورة قسم ، أقسم الله تعالى إنما توعدون على لسان الرسول من القرآن في أن البعث والجزاء واقع بكم ونازل عليكم .

ثم بين وقت وقوعه فقال :

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي ذهب ضوؤها ومحي نورها كطمس الكتاب .

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي فتحت وشققت .

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ﴾ أي ذهبت ، وقال الكلبي : سويت بالأرض .

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتُتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني أوجدت ، قاله إبراهيم .

الثاني : أجلت ، قاله مجاهد .

الثالث : جمعت ، قاله ابن عباس .

وقرأ أبو عمرو^(٢٢٥) «وقتت» ومعناها عرفت ثوابها في ذلك اليوم ، وتحتمل هذه القراءة وجهاً آخر أنها دعيت للشهادة على أممها .

الْمَنْ هَلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَبَعَهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾

(٢٢٥) ووافقه أبو جعفر إلا أنه خفف القاف زاد المسير (٤٤٧/٨) .

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾
إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ
الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهِ أَرْوَاسَ شَجَرٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا
﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

﴿أَلَمْ تَهْلِكِ الْأُولَى﴾ يعني من العصاة، وفيمن أريد بهم وجهان:
أحدهما: قوم نوح عليه السلام لعموم هلاكهم بالطوفان لأن هلاكهم أشهر
وأعم (٢٢٦)
الثاني: أنه قوم كل نبي استؤصلوا، لأنه في خصوص الأمم أندر.
﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ يعني في هلاكهم بالمعصية كالأولين، إما بالسيف وإما
بالحلاك.

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: أنه تهويل لهلاكهم في الدنيا اعتباراً.
الثاني: أنه إخبار بعذابهم في الآخرة استحقاقاً.
﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: من صفوة الماء، قاله ابن عباس.
الثاني: من ماء ضعيف، قاله مجاهد وقتادة.
الثالث: من مني سائل، قاله ابن كامل.
﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: قاله وهب بن منبه في رحم أمه لا يؤذيه حر ولا برد.
الثاني: مكين حريز لا يعود فيخرج ولا يبيت في الجسد فيدوم، قاله الكلبي.
﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى يوم ولادته.
﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ في قراءة نافع (٢٢٧) مشددة، وقرأ الباقون مخففة،
فمن قرأ بالتخفيف فتأويلها: فملكنا فنعم المالكون. ومن قرأ بالتشديد فتأويلها:
فقضينا فنعم القاضون، وقال الفراء: هما لغتان ومعناها واحد.

(٢٢٦) وهذا القول أشمل وأعم.

(٢٢٧) وهي قراءة الكسائي وأهل المدينة كما في زاد المسير (٤٤٨/٨).

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني كِنَّا ، قاله ابن عباس .

الثاني : غطاء ، قاله مجاهد .

الثالث : مجمعاً ، قاله المفضل .

الرابع : وعاء ، قال الصمصامة بن الطرماح (٢٢٨) :

فأنت اليوم فوق الأرض حيٌّ وأنت غداً تَضُمُّكَ من كِفَات .

﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الأرض تجمع الناس أحياء على ظهرها وأمواتاً في بطنها ، قاله قتادة والشعبي .

الثاني : أن من الأرض أحياء بالعمارة والنبات ، وأمواتاً بالجذب والجفاف ، وهو

أحد قولي مجاهد .

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِيلٍ
وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفُرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلَّ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنَدُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمُ كَيْدٌ
فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ قيل إن الشعبة تكون فوقه ، والشعبة عن

يمينه ، والشعبة عن شماله ، فتحيط به ، قاله مجاهد .

الثاني : أن الشعب الثلاث الضريع والزقوم والغسلين ، قاله الضحاك .

ويحتمل ثالثاً : أن الثلاث الشعب : اللهب والشرر والدخان ، لأنه ثلاثة أحوال

هي غاية أوصاف النار إذا اضطربت واشتدت .

﴿لَا ظِلِيلٍ﴾ في دفع الأذى عنه .

(٢٢٨) فتح القدير (٣٥٨/٥) والقرطبي (١٦١/١٩) وفيه حياً بدلاً من حي .

﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ واللهب ما يعلو عن النار إذا اضطربت من أحمر وأصفر وأخضر.

﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ والشرر ما تطاير من قطع النار، وفي قوله «القصر» خمسة أوجه:

أحدها: أنه أصول الشجر العظام، قاله الضحاك.

الثاني: كالجبل، قاله مقاتل.

الثالث: القصر من البناء وهو واحد القصور، قاله ابن مسعود.

الرابع: أنها خشبة كان أهل الجاهلية يقصدونها، نحو ثلاثة أذرع، يسمونها القصر، قاله ابن عباس.

الخامس: أنها أعناق الدواب، قاله قتادة.

ويحتمل وجهاً سادساً: أن يكون ذلك وصفاً من صفات التعظيم، كنى عنه باسم القصر، لما في النفوس من استعظامه، وإن لم يُردَّ به مسمى بعينه.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني جِمَالاً صُفْراً وأراد بالصفرة السود، سميت صفراً لأن سوادها يضرب إلى الصفرة، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة، قال الشاعر (٢٢٩):

تلك خَيْلي منه وتلك رِكايبِي هُنَّ صُفْرُ أولادها كالزبيبِ.

الثاني: أنها قُلوس (*) السفن، قاله ابن عباس وسعيد بن جبیر.

الثالث: أنها قطع النحاس، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

وفي تسميتها بالجمالات الصفرة وجهان:

أحدهما: لسرعة سيرها.

الثاني: لمتابعة بعضها لبعض.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم، قاله مقاتل.

الثاني: إن استطعتم أن تمتنعوا عني فامتنعوا، وهو معنى قول الكلبي.

(٢٢٩) وهو الأعشى والبيت في القرطبي (١٦٤/١٩) وفتح القدير (٣٥٩/٥).

(*) أي حبالها.

إِنَّ الْمُنِيقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعِيُونَ ﴿٤١﴾ وَفَوَكَهَهُمْ مَمَاشٍ شَتَّى ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا
 وَتَمْنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْزَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا
 لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي صلُّوا لا يصلُّون، قال مقاتل:

نزلت في ثقيف امتنعوا عن الصلاة فنزل ذلك فيهم، وقيل إنه قال ذلك لأهل
 الآخرة تقرِّعاً لهم.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي فبأي كتاب بعد القرآن يصدِّقون.

سُورَةُ النَّبَأِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن النبأ العظيم ﴿﴾ يعني عن أي شيء يتساءل المشركون؟ لأن قريشاً حيث بُعث رسول الله ﷺ جعلت تجادل وتختصم في الذي دعا إليه.

وفي ﴿النبأ العظيم﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: القرآن، قاله مجاهد.

الثاني: يوم القيامة، قاله ابن زيد.

الثالث: البعث بعد الموت، قاله قتادة.

الرابع: عن أمر النبي ﷺ.

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ هو البعث، فأما الموت فلم يختلفوا فيه، وفيه

قولان:

أحدهما: أنه اختلف فيه المشركون من بين مصدق منهم ومكذب، قاله قتادة.

الثاني: اختلف فيه المسلمون والمشركون، فصَدَّقَ به المسلمون وكذَّبَ به

المشركون، قاله يحيى بن سلام.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه وعيد بعد وعيد للكفار، قاله الحسن، فالأول: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ما

ينالهم من العذاب في القيامة، والثاني: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ما ينالهم من العذاب في جهنم.

القول الثاني: أن الأول للكفار فيما ينالهم من العذاب في النار، والثاني

للمؤمنين فيما ينالهم من الثواب في الجنة، قاله الضحاك.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: نعاساً، قاله السدي.

الثاني: سكوناً، قاله قتادة.

الثالث: راحة ودعة، ولذلك سمي يوم السبت سبتاً لأنه يوم راحة ودعة، قال

أبو جعفر الطبري (٢٣٠): يقال سبت الرجل إذا استراح.

الرابع: سُباتاً أي قطعاً لأعمالهم، لأن أصل السبات القطع ومنه قولهم سبت

الرجل شعره إذا قطعه، قال ابن الأنباري: وسمي يوم السبت لانقطاع الأعمال فيه.

ويحتمل خامساً: أن السبات ما قرت فيه الحواس حتى لم تدرك بها الحس.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لباساً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سكوناً، قاله سعيد بن جبير والسدي.

الثاني: غطاء، لأنه يغطي سواده كما يغطي الثوب لابس، قاله أبو جعفر

الطبري (٢٣١).

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ يعني وقت اكتساب، وهو معاش لأنه يعاش فيه.

(٢٣٠) جامع البيان (٣/٣٠).

(٢٣١) جامع البيان (٣/٣٠).

ويحتمل ثانياً: أنه زمان العيش واللذة.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني بالسراج الشمس، وفي الوهَّاج أربعة أقاويل:

أحدها: المنير، قاله ابن عباس.

الثاني: المتألى، قاله مجاهد.

الثالث: أنه من وهج الحر، قاله الحسن.

الرابع: أنه الوقاد، الذي يجمع بين الضياء والجمال.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ان المعصرات الرياح، قاله ابن عباس وعكرمة، قال زيد بن أسلم هي

الجنوب.

الثاني: أنها السحاب، قاله سفيان والربيع.

الثالث: أن المعصرات السماء، قاله الحسن وقتادة.

وفي الشجاج قولان:

أحدهما: الكثير، قاله ابن زيد.

الثاني: المنصب، قاله ابن عباس، وقال عبيد بن الأبرص (٢٣٢):

فثَجَّ أعلاه ثم ارتج أسفلهُ وضاق ذَرْعاً بحمل الماء مُنْصَاحٍ

﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحب ما كان في كمام الزرع الذي يحصد، والنبات: الكلاء

الذي يرعى، وهذا معنى قول الضحاك.

الثاني: أن الحب اللؤلؤ، والنبات: العشب، قال عكرمة: ما أنزل الله من

السماء قطرة إلا أنبتت في الأرض عشباً أو في البحر لؤلؤة.

ويحتمل ثالثاً: أن الحب ما بذره آدميون، والنبات ما لم يبدروه.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها الزرع المجتمع بعضه إلى جنب بعض، قاله عكرمة.

الثاني: أنه الشجر الملتف بالثمر، قاله السدي.

الثالث: أنها ذات الألوان، قاله الكلبي.

(٢٣٢) ديوانه: ... القرطبي (١٩/١٧٤).

ويحتمل رابعاً: أنها التي يلف الزرع أرضها والشجر أعاليها، فيجتمع فيها الزرع والشجر ملتفات.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يعني يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يفصل فيه الحكم بين الأولين والآخرين والمثابين والمعاقبين.

﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ميعاداً للاجتماع.

والثاني: وقتاً للثواب والعقاب.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سُيِّرَتِ أي أزيلت عن مواضعها.

الثاني: نسفت من أصولها.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فكانت هباءً.

الثاني: كالسراب لا يحصل منه شيء كالذي يرى السراب يظنه ماء وليس بماء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني أنها راصدة فجازتهم بأعمالهم، قاله أبو سنان.

الثاني: أن على النار رصدًا، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء

بجواز جاز، ومن لم يجيء بجواز لم يجز، قاله الحسن.

الثالث: أن المرصاد وعيد أوعده الله به الكفار، قاله قتادة.

﴿لِلطَّاغِينَ مَأْبَأٌ﴾ فيه قولان :

أحدهما : مرجعاً ومنقلباً ، قاله السدي .

الثاني : مأوى ومنزلاً ، قاله قتادة .

والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر أو في دنياه بالظلم .

﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابٌ﴾ يعني كلما مضى حقب جاء حقب وكذلك إلى الأبد

واختلفوا في مدة الحقب على سبعة أقاويل :

أحدها : ثمانون سنة ، قاله أبو هريرة .

الثاني : أربعون سنة ، قاله ابن عمر .

الثالث : سبعون سنة ، قاله السدي .

الرابع : أنه ألف شهر ، رواه أبو أمامة (٢٣٣) مرفوعاً .

الخامس : ثلاثمائة سنة ، قاله بشير بن كعب .

السادس : سبعون ألف سنة ، قاله الحسن .

السابع : أنه دهر طويل غير محدود (٢٣٤) ، قاله قطرب .

وفي تعليق لبثهم بالأحقاب قولان :

أحدهما : أنه على وجه التكرير ، كلما مضت أحقاب جاءت بعدها أحقاب ،

وليس ذلك بحد لخلودهم في النار .

الثاني : أن ذلك حد لعذابهم بالحميم والغساق ، فإذا انقضت الأحقاب عذبوا

بغير ذلك من العذاب .

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ في البرد ثلاثة أقاويل :

(٢٣٣) رواه ابن أبي عمر العدني في مسنده وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي أمامة

مرفوعاً كما في الدر المنثور (٣٩٥/٨) قلت : وفي سننه جعفر بن الزبير عن القاسم وكلاهما متروك وقد

ضعفه ابن كثير بهما (٤٦٣/٤) وقال : هذا حديث منكر جداً . وأعله الهيثمي في المجمع (١٣٣/٧)

من رواية الطبراني بجعفر بن الزبير فقط فقصر .

(تنبيه) وقع في ابن كثير (٣٩٥/٨) ابن عمر العدني وهو خطأ والتصويب ابن أبي عمر والتصويب من

المطالب العالية (٢٩٥/٣) والدر (٣٩٥/٨) .

(٢٣٤) وهو الصواب لأن الله تعالى أخبر عن خلود الكافرين في النار أبد الأبدين وما جاء هنا في الآيات من قوله

﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابٌ﴾ يعني كلما مضى زمن يعقبه زمن ودهر يعقبه دهر هكذا أبد الأبدين وما هم منها

بمخرجين راجع القرطبي (١٧٩/١٧٩) .

أحدها: أنه برد الماء، وبرد الهواء، وهو قول كثير من المفسرين.

الثاني: أنه الراحة، قاله قتادة.

الثالث: أنه النوم، قاله مجاهد والسدي وأبو عبيدة.

وأنشد قول الكندي (٢٣٥):

بَرَدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَى فَصْدَنِي عَنْهَا وَعَنْ تَقْبِيلِهَا الْبَرْدُ
يعني النوم.

والشراب ها هنا: العذاب.

ويحتمل أن يريد بالشراب الري (٢٣٦)، لأن الشراب يروي وهم فيها عطاش أبداً.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ أما الحميم ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الحار الذي يحرق، قاله ابن عباس.

الثاني: دموع أعينهم في النار تجتمع في حياض في النار فيُسْقُونَهُ، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه نوع من الشراب لأهل النار، قاله السدي. وأما الغساق ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه القيح الغليظ، قاله ابن عمر.

الثاني: أنه الزمهرير البارد الذي يحرق من برده، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه صديد أهل النار، قاله قتادة.

الرابع: أنه المتنن باللغة الطحاوية، قاله ابن زيد.

﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ وهو جمع وفق، قال أهل التأويل: وافق سوء الجزاء سوء العمل.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يخافون وعيد الله بحسابهم ومجازاتهم، وهذا معنى قول قتادة.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ يعني بآيات القرآن، وفي «كذاباً» وجهان:

(٢٣٥) القرطبي (١٩/١٨٠) فتح القدير (٥/٣٦٦) الطبري (٣٠/١٢).

(٢٣٦) ولعل هذا الاحتمال هو أشبه بالصواب والله أعلم.

أحدهما: أنه الكذب الكثير.

الثاني: تكذيب بعضهم لبعض، ومنه قول الشاعر (٢٣٧):

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ
وهي لغة يمانية.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نجاة من شرها، قاله ابن عباس.

الثاني: فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة، قاله قتادة،
وتحقيق هذا التأويل أنه الخلاص من الهلاك، ولذلك قيل للفلاة إذا قل ماؤها مفازة
تفاؤلاً بالخلاص منها.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ في الكواعب قولان:

أحدهما: النواهد، قاله ابن عباس.

الثاني: العذارى، قاله الضحاك، ومنه قول قيس بن عاصم (٢٣٨):

وَكَمْ مِنْ حَصَانٍ قَدْ حَوَيْنَا كَرِيمَةً
وَمِنْ كَاعِبٍ لَمْ تَذِرْ مَا الْبُؤْسُ مُعْصِرٌ
وفي الاتراب أربعة أقاويل:

أحدها: الأقران، قاله ابن عباس.

الثاني: الأمثال، قاله مجاهد.

الثالث: المتصافيات، قاله عكرمة.

الرابع: المتأخيات، قاله السدي.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مملوءة، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر (٢٣٩):

(٢٣٧) هو الأعشى والبيت في القرطبي (١٨١/١٩) روح المعاني (١٦/١٩) الكامل للمبرد (٥٦٤) الطبري (٢٠/٣٠).

(٢٣٨) فتح القدير (٣٦٩/٥) القرطبي (١٨٣/١٩).

(٢٣٩) هو خدش بن زهير والبيت في القرطبي (١٨٣/١٩) روح المعاني (١٨/٣٠).

أَتَانَا عَامِرٌ يَبْغِي قِرَانَا فَأَتَرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقًا
الثاني : متتابعة يتبع بعضها بعضاً ، قاله عكرمة .

الثالث : صافية ، رواه عمر بن عطاء ، قال الشاعر (٢٤٠) :
لَأَنْتِ أَلَى الْفَوَادِ أَحَبُّ قُرْبًا مِنْ الصَّادِي إِلَى كَأْسٍ دِهَاقٍ .
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ في اللغوها هنا أربعة أقاويل :
أحدها : الباطل ، قاله ابن عباس .

الثاني : الحلف عند شربها ، قاله السدي .

الثالث : الشتم ، قاله مجاهد .

الرابع : المعصية ، قاله الحسن .

وفي «كِذَابًا» ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا يكذب بعضهم بعضاً ، قاله سعيد بن جبیر .

الثاني : أنه الخصومة ، قاله الحسن .

الثالث : أنه المأثم ، قاله قتادة .

وفي قوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ وجهان :

أحدهما : في الجنة ، قاله مجاهد .

الثاني : في شرب الخمر ، قاله يحيى بن سلام .

﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : كافياً ، قاله الكلبي .

الثاني : كثيراً ، قاله قتادة .

الثالث : حساباً لما عملوا ، فالحساب بمعنى العد .

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ
وَالْمَلَائِكَةُ صُفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ
الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ

الْمَرْءُ مَا قَدَمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا ﴿٤٠﴾

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ في الروح هاهنا ثمانية أقاويل :
أحدها: الروح خلق من خلق الله كهيئة الناس وليسوا أناساً، وهم جند لله سبحانه، قاله أبو صالح .

الثاني: أنهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيان .

الثالث: أنهم حفظة على الملائكة، قاله ابن أبي نجيح .

الرابع: أنه ملك من أعظم الملائكة خلقاً، قاله ابن عباس .

الخامس: هو جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير .

السادس: أرواح بني آدم يقومون صفّاً والملائكة صفّاً، قاله الحسن .

السابع: أنهم بنو آدم، قاله قتادة .

الثامن: أنه القرآن، قاله زيد بن أسلم .

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ فيه قولان :

أحدهما: لا يشفعون إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة، قاله الحسن .

الثاني: لا يتكلمون في شيء إلا من أذن له الرحمن شهادة أن لا إله إلا الله،

قاله ابن عباس .

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها: يعني حقاً، قاله الضحاك .

الثاني: قول لا إله إلا الله، قاله أبو صالح .

الثالث: أن الروح يقول يوم القيامة: لا تدخل الجنة إلا بالرحمة، ولا النار إلا

بالعمل، فهو معنى قوله «وقال صواباً» قاله الحسن .

ويحتمل رابعاً: أنه سؤال الطالب وجواب المطلوب، لأن كلام الخلق في

القيامة مقصور على السؤال والجواب .

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ يعني يوم القيامة، وفي تسميته الحق وجهان :

أحدهما: لأن مجيئه حق وقد كانوا على شك .

الثاني: أن الله تعالى يحكم فيه بالحق بالثواب والعقاب .

﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً﴾ فيه وجهان :

أحدهما: سبيلاً، قاله قتادة.

الثاني: مرجعاً، قاله ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: اتخذ ثواباً لاستحقاقه بالعمل لأن المرجع يستحق على المؤمن والكافر.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عقوبة الدنيا، لأنه أقرب العذابين، قاله قتادة، وقال مقاتل: هو قتل قريش ببدر.

الثاني: عذاب يوم القيامة، لأنه آت وكل آت قريب، وهو معنى قول الكلبي.
﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يعني يوم ينظر المرء ما قدّم من عمل خير، قال الحسن: قدّم فقدّم على ما قدّم. ويحتمل أن يكون عامّاً في نظر المؤمن إلى ما قدّم من خير، ونظر الكافر إلى ما قدّم من شر.

﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ قال مجاهد يبعث (٢٤١) الحيوان فيقاد للمنقورة من الناقرة، وللمركوضة من الراكضة، وللمنطوحة من الناطحة، ثم يقول الرب تعالى: كونوا تراباً بلا جنة ولا نار، فيقول الكافر حينئذ: يا ليتني كنت تراباً، وفي قوله ذلك وجهان:

أحدهما: يا ليتني صرت اليوم مثلها تراباً بلا جنة ولا نار، قاله مجاهد.

الثاني: يا ليتني كنت مثل هذا الحيوان في الدنيا وأكون اليوم تراباً، قاله أبو هريرة: وهذه من الأماني الكاذبة كما قال الشاعر:

ألا يا ليتني والمَرْءُ مَيِّتٌ وما يُغْنِي من الحَدَثَانِ لَيْتٌ.

قال مقاتل: نزل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ونزل قوله تعالى: ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ في أخيه الأسود بن عبد الأسد.

(٢٤١) وقد ورد فيه خبر مرفوع صحيح الإسناد تقدم تخريجه عند قوله ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ في سورة الأنعام.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالَسَّيْقَتِ سَبَقًا ﴿٤﴾ فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَيْنَا ذَاكُنَا عِظْمًا نَخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا اتِّلْكَ إِذَا كُرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم ، قاله ابن مسعود ومسروق .

الثاني : هو الموت ينزع النفوس ، قاله مجاهد .

الثالث : هي النفوس حين تنزع ، قاله السدي .

الرابع : هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق ، ومن المشرق إلى المغرب ، قاله

الحسن وقتادة .

الخامس : هي القسي تنزع بالسهم ، قاله عطاء .

السادس : هي الوحش تنزع من الكلاء وتنفر ، حكاه يحيى بن سلام ، ومعنى

« غرقاً » أي إبعاداً في النزع

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها: هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة كنشط العقال، قاله ابن عباس.

الثاني: النجوم التي تنشط من مطالعها إلى مغاربها، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت ينشط نفس الإنسان، قاله مجاهد.

الرابع: هي النفس حيث نشطت بالموت، قاله السدي.

الخامس: هي الأوهاق، قاله عطاء.

السادس: هي الوحش تنشط من بلد إلى بلد، كما أن الهموم تنشط الإنسان من

بلد إلى بلد، قاله أبو عبيدة، وانشد قول همام بن قحافة (٢٤٢):

أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشُطُ الْمُنَاشِيطَا الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسْطًا.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: هي الملائكة سبحوا إلى طاعة الله من بني آدم، قاله ابن مسعود والحسن.

الثاني: هي النجوم تسبح في فلكها، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت يسبح في نفس ابن آدم، قاله مجاهد.

الرابع: هي السفن تسبح في الماء، قاله عطاء.

الخامس: هي الخيل، حكاه ابن شجرة، كما قال عنترة (٢٤٣):

وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ حِينَ تَسُـبِّحُ فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ سَبْحًا

ويحتمل سادساً: أن تكون السابحات الخوض في أهوال القيامة.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، قاله علي رضي الله

عنه ومسروق.

وقال الحسن: سبقت إلى الإيمان.

الثاني: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت يسبق إلى النفس، قاله مجاهد.

الرابع: هي النفس تسبق بالخروج عند الموت، قاله الربيع.

(٢٤٢) وفي القرطبي (١٩/١٩٢) ومجاز القرآن (٢/٢٨٤) والطبري (٣٠/٢٩) واللسان نشط وروح المعاني

(٣٠/٢٤) هميان بن قحافة.

(٢٤٣) القرطبي (١٩/١٩٣) فتح القدير (٥/٣٧٣).

الخامس: هي الخيل، قاله عطاء.
ويحتمل سادساً: أن تكون السابقات ما يسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرٌ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: هي الملائكة، قاله الجمهور، فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان:
أحدهما: تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه.
الثاني: تدبير ما وكلت فيه من الرياح والأمطار.
الثاني: هي الكواكب السبعة، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل؛ وعلى هذا في تدبيرها للأمر وجهان.

أحدهما: تدبير طلوعها وأفولها.
الثاني: تدبير ما قضاه الله فيها من تقلب الأحوال.
ومن أول السورة إلى هذا الموضع قسم أقسم الله به، وفيه وجهان:
أحدهما: أن ذكرها بخالقها.
الثاني: أنه أقسم بها وإن كانت مخلوقة لا يجوز لمخلوق أن يقسم بها، لأن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه.

وجواب ما عقد له القسم ثلاثة أقاويل:
أحدها: أنه مضمّر محذوف وتقديره لو أظهر: لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنْحَسَبُنَّ، فاستغنى بفحوى الكلام وفهم السامع عن إظهاره، قاله الفراء.
الثاني: أنه مظهر، وهو قوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى﴾ قاله مقاتل.

الثالث: هو قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ وفيهما ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الراجفة القيامة، والرادفة البعث، قاله ابن عباس.
الثاني: أن الراجفة النفخة الأولى تمت الأحياء، والرادفة: النفخة الثانية تحيي الموتى، قاله الحسن وقتادة.

وقال قتادة: ذكر أن^(٢٤٤) النبي ﷺ قال: بينهما أربعون، ما زادهم على ذلك ولا سألوه، وكانوا يرون أنها أربعون سنة.

وقال عكرمة: الأولى من الدنيا، والثانية من الآخرة.

الثالث: أن الراجفة الزلزلة التي ترجف الأرض والجبال والرادفة إذا دكنا دكة واحدة، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: أن الراجفة أشراط الساعة، والرادفة: قيامها.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خائفة، قاله ابن عباس.

الثاني: طائفة عن أماكنها، قاله الضحاك.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذليلة، قاله قتادة.

الثاني: خاضعة، قاله الضحاك.

﴿يَقُولُونَ أَتُنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الحافرة الحياة بعد الموت، قاله ابن عباس والسدي وعطية.

الثاني: أنها الأرض المحفورة، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنها النار، قاله ابن زيد.

الرابع: أنها الرجوع إلى الحالة الأولى تكذيباً بالبعث، من قولهم رجع فلان

على قومه إذا رجع من حيث جاء، قاله قتادة، قال الشاعر^(٢٤٥):

أحافرة على صُلَعٍ وشَيْبٍ معاذَ اللَّهِ من جَهْلٍ وطَيْشٍ

﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بالية، قاله السدي.

الثاني: عفنة، قاله ابن شجرة.

الثالث: خالية مجوفة تدخلها الرياح فتنخر، أي تصوت، قاله عطاء والكلبي.

(٢٤٤) وقد ورد ذلك في حديث أبي هريرة وقد سبق تخريجه

(٢٤٥) القرطبي (١٩٧/١٩) والكشاف (١٩١/٤) روح المعاني (٢٧/٣٠) الطبري (٣٣/٣٠) اللسان حفر

فتح القدير (٣٧٤/٥).

ومن قرأ «ناخرة»^(٢٤٦) فإن الناخرة البالية، والناخرة التي تنخر الريح فيها.
﴿تلك إذا كَرَّةٌ خاسِرةٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: باطلة لا يجيء منها شيء، كالخسران، وليست كاسبة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: معناه لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنخسرَنَّ بالنار، قاله قتادة ومحمد بن كعب.

ويحتمل ثالثاً: إذا كنا ننتقل من نعيم الدنيا إلى عذاب الآخرة فهي كرة خاسرة.
﴿فإنما هي زَجْرَةٌ واحدةٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: نفخة واحدة يحيا بها الجميع فإذا هم قيام ينظرون، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: الزجرة الغضب، وهو غضب واحد، قاله الحسن.
ويحتمل ثالثاً: أنه لأمر حتم لا رجعة فيه ولا مثوية.

﴿فإذا هم بالساهرة﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: وجه الأرض، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد، والعرب تسمي وجه الأرض ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهره، قال أمية بن أبي الصلت^(٢٤٧):

وفيها لحمٌ ساهرةٍ وبَحْرٌ وما فاهوا به لهم مُقيم

وقال آخر يوم^(٢٤٨) ذي قار لفرسه:

أَقْدِمَ مَحَاجٍ إِنهَا الْأَسَاوِرُ وَلَا يَهْوِلَنَّكَ رَجُلٌ بِإِدْرَةٍ
فَإِنَّمَا قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَةِ ثُمَّ تَعُوذُ، بَعْدَهَا فِي الْحَافِرَةِ
مَنْ بَعْدَ مَا صِرْتَ عِظَاماً نَاخِرَةً

الثاني: أنه اسم مكان من الأرض بعينه بالشام، وهو الصقع الذي بين جبل أريحا وجبل حسان، يمدّه الله تعالى كيف يشاء، قاله عثمان بن أبي العاتكة.

(٢٤٦) وهي قراءة حمزة وعاصم راجع السبعة لابن مجاهد ٦٧ والحجة في القراءات ص ٧٤٧.

(٢٤٧) ديوانه: ٥٢ اللسان سهر، القرطبي (١٩٩/١٩) الطبري (٣٧/٣٠) فتح القدير (٣٧٥/٥) روح المعاني (٢٨/٣٠).

(٢٤٨) القرطبي (١٩٩/١٩) وفيه «رجل نادره» بدلاً من بادره واللسان مادة نخر.

الثالث: أنها جبل بيت المقدس، قاله وهب بن منبه.

الرابع: أنه جهنم، قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أنها عرضة القيامة لأنها أول مواقف الجزاء، وهم في سهر لا نوم فيه.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْكَبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَارُبُكُمْ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿﴾ فيه قولان:

أحدهما: وهو قول مبشر بن عبيد هو واد بأيلة.

الثاني: وهو قول الحسن، هو واد بفلسطين.

وفي «المقدس» تأويلان:

أحدهما: المبارك، قاله ابن عباس.

الثاني: المطهر، قال الحسن: قدس مرتين.

وفي «طوى» أربعة أقاويل:

أحدها: أنه اسم الوادي المقدس، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة.

الثاني: لأنه مر بالوادي فطواه، قاله ابن عباس.

الثالث: لأنه طوي بالبركة، قاله الحسن.

الرابع: يعني طأ الوادي بقدمك، قاله عكرمة ومجاهد.

ويحتمل خامساً؛ أنه ما تضاعف تقديسه حتى تطهر من دنس المعاصي، مأخوذ

من طي الكتاب إذا ضوعف.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى أن تسلم، قال قتادة.

الثاني: إلى أن تعمل خيراً، قاله الكلبي.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها عصاه ويده ، قاله الحسن وقتادة .

الثاني : أنها الجنة والنار ، قاله السدي .

ويحتمل ثالثاً : أنه كلامه من الشجرة .

قوله ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ فيه وجهان :

أحدهما : حشر السحرة للمعارضة ، ونادى جنده للمحاربة .

الثاني : حشر الناس للحضور ونادى أي خطب فيهم .

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ فيها أربعة أقاويل :

أحدها : عقوبة الدنيا والآخرة ، قال قتادة : عذبه الله في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار .

الثاني : عذاب أول عمره وآخره ، قاله مجاهد .

الثالث : الأولى قوله : «ما علمت لكم من إله غيري» ، والآخرة قوله : «أنا ربكم

الأعلى» ، قاله عكرمة ، قال ابن عباس : وكان بينهما أربعون سنة ، وقال مجاهد : ثلاثون سنة ، قال السدي : وهي الآخرة ثلاثون سنة .

الرابع : عذاب الأولى الإمهال ، والآخرة في النار ، من قوله تعالى : ﴿النار يعرضون عليها﴾ . الآية ، قاله الربيع .

أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ ﴿٣٣﴾

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ معناه أظلم ليلها ، وشاهد الغطش أنه

الظلمة قول الأعشى (٢٤٩) :

عَقَرْتُ لَهُمْ مَوْهِنًا نَاقَتِي وَغَامِرُهُمْ مُذْلِهِمْ غَطِشُ

يعني يغامرهم ليلهم لأنه غمرهم بسواده .

(٢٤٩) القرطبي (٢٠٤/١٩) فتح القدير (٣٧٨/٥) واقتصر على الشطر الثاني ، روح المعاني (٣١/٣٠) .

وفي قوله «وأخرج ضحاها» وجهان:

أحدهما: أضاء نهارها وأضاف الليل والضحي إلى السماء لأن منها الظلمة والضياء.

الثاني: قال ابن عباس أن أخرج ضحاها: الشمس.

﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ في قوله «بعد» وجهان:

أحدهما: مع وتقدير الكلام: والأرض مع ذلك دحاها، لأنها مخلوقة

قبل (٢٥٠) السماء، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أن «بعد» مستعملة على حقيقتها لأنه خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها

بعد السماء، قاله ابن عمر وعكرمة. وفي «دحاها» ثلاثة أوجه:

أحدها: بسطها، قاله ابن عباس، قال أمية بن أبي الصلت (٢٥١):

وَبَثَّ الْخَلْقَ فِيهَا إِذْ دَحَاهَا فَهُمْ قُطَانُهَا حَتَّى التَّنَادِي

قال عطاء: من مكة دحيت الأرض، وقال عبد الله بن عمر: من موضع الكعبة

دحيت.

الثاني: حرثها وشقها، قاله ابن زيد.

الثالث: سواها، ومنه قول زيد بن عمرو (٢٥٢):

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقِيلًا

دحاها فلما استوت شدّها بأيدي وأرسي عليها الجبالا

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ

يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ

السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ

(٢٥٠) وقد تقدم الكلام على أيهما أسبق في الخلق.

(٢٥١) القرطبي (٢٠٤/١٩) (٣١٠/١٥) فتح القدير (٣٧٩/٥) روح المعاني (٣٢/٣٠).

(٢٥٢) روح المعاني (٣٢/٣٠) فتح القدير (٣٧٩/٥) القرطبي (٢٠٥/١٩).

﴿٤٥﴾ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٦﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها النفخة الآخرة، قاله الحسن .

الثاني : أنها الساعة طمت كل داهية، والساعة أدهى وأمر، قاله الربيع .

الثالث : أنه اسم من أسماء القيامة يسمى الطامة، قاله ابن عباس .

الرابع : أنها الطامة الكبرى إذا سيق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، قاله القاسم بن الوليد، وهو معنى قول مجاهد .

وفي معنى «الطامة» في اللغة ثلاثة وجوه :

أحدها : الغاشية .

الثاني : الغامرة .

الثالث : الهائلة، ذكره ابن عيسى، لأنها تطم على كل شيء أي تغطيه .

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هو خوفه في الدنيا من الله عند واقعة الذنب فيقلع، قاله مجاهد .

الثاني : هو خوفه في الآخرة من وقوفه بين يدي الله للحساب، قاله الربيع بن

أنس، ويكون معنى : خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، قال الكلبي : وزجر النفس عن المعاصي والمحارم .

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أي المنزل، وذكر أنها نزلت في مصعب بن

عمير (٢٥٣)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قال ابن عباس : متى زمانها، قاله الربيع .

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فيم يسألك المشركون يا محمد عنها ولست ممن يعلمها، وهو معنى

قول ابن عباس .

الثاني : فيم تسأل يا محمد عنها وليس لك السؤال، وهذا معنى قول عروة بن

الزبير .

(٢٥٣) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨١ لم أجده .

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَّهَاهَا﴾ يعني منتهى علم الساعة: فكف النبي ﷺ عن السؤال وقال (٢٥٤): يا أهل مكة إن الله احتجب بخمس لم يُطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا فمن ادعى علمهن فقد كفر: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾... إلى آخر السورة.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا﴾ يعني القيامة.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ يعني الكفار يوم يرون الآخرة.

﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا.

﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ وهي ما بعد الزوال.

﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ وهو ما قبل الزوال، لأن الدنيا تصاغرت عندهم وقلَّت في أعينهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾.

سُورَةُ عَبَسَ

مكية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَعْصَى ۚ (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصْدَى ۚ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۚ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ۚ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۚ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۚ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ (١٦)

قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ روى سعيد عن قتادة أن ابن أم مكتوم (٢٥٥)، وهو عبد الله بن زائدة من بني فهر، وكان ضريراً، أتى رسول الله رسول الله ﷺ يستقرئه وهو يناجي بعض عظماء قريش - وقد طمع في إسلامهم - قال قتادة: هو أمية بن خلف، وقال مجاهد: هما عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فأعرض النبي ﷺ عن الأعمى وعبس في وجهه، فعاتبه الله تعالى في إعراضه وتولييه، فقال: «عبس وتولى» أي قطب وأعرض «أن جاءه الأعمى» يعني ابن أم مكتوم.

﴿وما يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يؤمن، قاله عطاء.

الثاني: يتعبد بالأعمال الصالحة، قاله ابن عيسى.

الثالث: يحفظ ما يتلوه عليه من القرآن، قاله الضحاك.

(٢٥٥) راجع خبر ابن أم مكتوم موسعاً في الترمذي (٣٣٢٨) وابن حبان (١٧٦٩) ومالك (٢٠٣/١).

الرابع : يتفقه في الدين ، قاله ابن شجرة .

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ﴾ قال السدي : لعله يَزَكِّي وَيَذَكِّرُ ، والألف صلة ، وفي

الذكرى وجهان :

أحدهما : الفقه .

الثاني : العظة .

قال ابن عباس : فكان النبي ﷺ إذا نظر إليه مقبلاً بسط له رداءه حتى يجلس

عليه إكراماً له .

قال قتادة : واستخلفه على صلاة الناس بالمدينة في غزاتين من غزواته ، كل

ذلك لما نزل فيه .

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن هذه السورة تذكرة ، قاله الفراء والكلبي .

الثاني : أن القرآن تذكرة ، قاله مقاتل .

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكْرَهُ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فمن شاء الله ألهمه الذكر ، قاله مقاتل .

الثاني : فمن شاء أن يتذكر بالقرآن أذكره الله ، وهو معنى قول الكلبي .

﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مكرمة عند الله ، قاله السدي .

الثاني : مكرمة في الدين لما فيها من الحكم والعلم ، قاله الطبري (٢٥٦) .

الثالث : لأنه نزل بها كرام الحفظة .

ويحتمل قولاً رابعاً : أنها نزلت من كريم ، لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه .

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ فيه قولان :

أحدهما : مرفوعة في السماء ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : مرفوعة القدر والذكر ، قاله الطبري (٢٥٧) .

(٢٥٦) جامع البيان (٥٣/٣٠) وعبارته فيه قوله «في صحف مكرمة» يعني في اللوح المحفوظ أهد . فلا

أدري من أين نقل المؤلف هنا هذا القول عن الطبري .

(٢٥٧) جامع البيان (٥٣/٣٠) .

ويحتمل قولاً ثالثاً: مرفوعة عن الشُّبه والتناقض.

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: من الدنس، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: من الشرك، قاله السدي.

الثالث: أنه لا يمسها إلا المطهرون، قاله ابن زيد.

الرابع: مطهرة من أن تنزل على المشركين، قاله الحسن.

ويحتمل خامساً: لأنها نزلت من طاهر^(٢٥٨) مع طاهر على طاهر.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن السفارة الكتبة، قاله ابن عباس، قال المفضل: هو مأخوذ من سفر

يسفر سفيراً، إذا كتب، قال الزجاج: إنما قيل للكتاب سِفْرٌ وللكتاب سافر من تبين الشيء وإيضاحه، كما يقال أسفر الصبح إذا وضح ضياؤه وظهر، وسفرت المرأة إذا كشفت نقابها.

الثاني: أنهم القراء، قال قتادة لأنهم يقرؤون الأسفار.

الثالث: هم الملائكة، لأنهم السفارة بين يدي الله ورسله بالرحمة، قال زيد،

كما يقال سَفَر بين القوم إذا بلغ صلاحاً، وأنشد الفراء^(٢٥٩):

وما أَدْعُ السَّفارةَ بين قَوْمِي وما أَمْشي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيْتُ

﴿كَرَامَ بَرَّةٍ﴾ في الكرام ثلاثة أقاويل:

أحدها: كرام على ربهم، قاله الكلبي.

الثاني: كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها، قاله الحسن.

الثالث: يتكرمون على من باشر زوجته بالستر عليه دفاعاً عنه وصيانة له، وهو

معنى قول الضحاك.

ويحتمل رابعاً: أنهم يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم.

وفي «بررة» ثلاثة أوجه:

أحدها: مطيعين، قاله السدي.

(٢٥٨) الظاهر الأول هو الله والثاني هو جبريل والثالث هو نبينا محمد ﷺ.

(٢٥٩) القرطبي (٢١٦/١٩) فتح القدير (٣٨٣/٥) الطبري (٥٤/٣) اللسان (سفر) معاني القرآن (٣٥٨).

الثاني : صادقين واصلين ، قاله الطبري (٢٦٠) .

الثالث : متقين مطهرين ، قاله ابن شجرة .

ويحتمل قولاً رابعاً : أن البررة مَنْ تعدى خيرهم إلى غيرهم ، والخيرة من كان خيرهم مقصوراً عليهم .

قُلْ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّالًا مَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْيْتْنَا فِيهَا بَهْرًا ﴿٢٧﴾ وَعَنْبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعِلُكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ﴿٣٢﴾

﴿قُلْ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ﴾ في «قتل» وجهان :

أحدهما : عُدْب .

الثاني : لعن .

وفي «الإنسان» ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه إشارة إلى كل كافر ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه أمية بن خلف ، قاله الضحاك .

الثالث : أنه عتبة بن أبي لهب حين قال : إني كفرت برب النجم إذا هوى ، فقال

النبي ﷺ : «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبِكَ» فأخذه الأسد في طريق الشام ، قاله ابن جريج والكلبي .

وفي «ما أكفره» ثلاثة أوجه :

أحدها : أن «ما» تعجب ، وعادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله الله ما

أحسنه ، وأخزاه الله ما أظلمه ، والمعنى : أعجبوا من كفر الإنسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا .

الثاني : أي شيء أكفره ، على وجه الاستفهام ، قاله السدي ويحيى بن سلام .

(٢٦٠) جامع البيان (٥٤/٣٠) وليس فيه هذا المعنى الذي أورده المؤلف موجوداً فيه ولعله أورده بمعناه

الثالث : ما ألغنه ، قاله قتادة .

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : خروجه من بطن أمه ، قاله عكرمة والضحاك .

الثاني : سبيل السعادة والشقاوة ، قاله مجاهد .

الثالث : سبيل الهدى والضلالة ، قاله الحسن .

ويحتمل رابعاً : سبيل منفعه ومضاره .

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ فيه قولان :

أحدهما : جعله ذا قبر يدفن فيه ، قاله الطبري ، قال الأعشى (٢٦١) .

لو أَسْنَدَتْ مَيِّتاً إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

الثاني : جعل من يقبره ويواريه ، قاله يحيى بن سلام .

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ يعني أحياه ، قال الأعشى (٢٦٢) .

حتى يقول الناسُ مما رأوا يا عجباً للميتِ الناشرِ

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه الكافر لم يفعل ما أمر به من الطاعة والإيمان ، قاله يحيى بن

سلام .

الثاني : أنه على العموم في المسلم والكافر ، قال مجاهد : لا يقضي أحد أبداً

ما افترض عليه ، وكلاً هاهنا لتكرير النفي وهي موضوعة للرد .

ويحتمل وجه حملة على العموم أن الكافر لا يقضيه عمراً ، والمؤمن لا يقضيه

شهوراً .

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إلى طعامه الذي يأكله وتحيا نفسه به ، من أي شيء كان ، قاله

يحيى .

(٢٦١) ديوانه : ١٣٩ ، القرطبي (٣١٩/١٩) مجاز القرآن (٢/٢٨٦) فتح القدير (٥/٣٨٤) الطبري (٣٠/٥٦)

روح المعاني (٣٠/٤٤) .

(٢٦٢) تقدم تخريج هذا البيت .

الثاني : ما يخرج منه أي شيء كان؟ ثم كيف صار بعد حفظ الحياة وموت الجسد .

قال الحسن : إن ملكاً يثني رقة ابن آدم إذا جلس على الخلاء لينظر إلى ما يخرج منه :

ويحتمل إغراؤه بالنظر إلى وجهين :

أحدهما : ليعلم أنه محل الأقدار فلا يطغى .

الثاني : ليستدل على استحالة الأجسام فلا ينسى (٢٦٣) .

﴿أَنَا صَبِينَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ يعني المطر .

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ يعني بالنبات .

﴿فَأَنْثَبْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا﴾ والقضب : القت والعلف سمي بذلك

لقضبه (*) بعد ظهوره .

﴿وَرَزَقْنَاهَا نَخْلًا * وَحَدائقَ غُلْبًا﴾ فيه قولان :

أحدهما : نخلاً كراماً ، قاله الحسن .

الثاني : الشجر الطوال الغلاظ ، قال الكلبي : الغلب الغلاظ ، قال

الفرزدق (٢٦٤) :

عَوَى فَأَثَارَ أَغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا فَوَيْلَ ابْنِ الْمِرَاغَةِ مَا اسْتِشَارَ

وفي «الحدائق» ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها ما التفت واجتمع ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه نبت الشجر كله .

الثالث : أنه ما أحيط عليه من النخل والشجر ، وما لم يحط عليه فليس بحديقة

حكاه أبو صالح .

ويحتمل قولاً رابعاً : أن الحدائق ما تكامل شجرها واختلف ثمرها حتى عم

خيرها .

(٢٦٣) يعني يستدل على فناء الأجسام فلا ينسى البعث والحساب بين يدي العليم الوهاب .

(*) يعني قطعه .

(٢٦٤) ديوانه : (٣٥٥/١) الطبري (٥٧/٣٠) .

ويحتمل الغلب أن يكون ما غلبت عليه ولم تغلب فكان هيناً.

﴿وفاكهةً وأباً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن الأب ما ترعاه البهائم، قاله ابن عباس: وما يأكله الأدميون الحصيد، قال الشاعر في مدح النبي ﷺ (٢٦٥):

له دعوة ميمونة ريحها الصبا بها يُنبتُ الله الحصيد والأب
الثاني: أنه كل شيء ينبت على وجه الأرض، قاله الضحاك.

الثالث: أنه كل نبات سوى الفاكهة، وهذا ظاهر قول الكلبي.

الرابع: أنه الثمار الرطبة، قاله ابن أبي طلحة.

الخامس: أنه التبن خاصة، وهو يحكي عن ابن عباس أيضاً، قال الشاعر (٢٦٦):

فما لهم مَرَّتْ لَسْوَا م والأب عندهم يُقْدَرُ
ووجدت لبعض المتأخرين سادساً: أن رطب الثمار هو الفاكهة، وبأسها
الأب.

ويحتمل سابعاً: أن الأب ما أخلف مثل أصله كالحبوب، والفاكهة ما لم يخلف
مثل أصله من الشجر.

روي أن عمر بن الخطاب (٢٦٧) قرأ ﴿عبس وتولى﴾ فلما بلغ إلى قوله تعالى:

﴿وفاكهة وأباً﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة، فما الأب؟ ثم قال: لعمرك يا ابن الخطاب إن
هذا هو التكلف وألقى العصا من يده.

وهذا مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم فهم كنبات الزرع بعد

دثوره، وتضمن امتناناً عليهم بما أنعم.

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾

(٢٦٥) القرطبي (٢٢٢/١٩) روح المعاني (٤٧/٣٠).

(٢٦٦) القرطبي (٢٢٢/١٩).

(٢٦٧) رواه ابن جرير (٦١/٣٠) والحاكم (٥١٤/٢) وصححه وزاد السيوطي في الدر (٤٢١/٨) نسبه

لسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب والخطيب صححه سننه ابن كثير (٤٧٣/٤) وقال: وهذا محمول على أنه أراد أنه لا يعرف شكله وجنسه وعينه ولا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله ﴿فأنبتنا فيها حباً﴾...

لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمٌ مَّيْذَانٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَوَجْهُ يَوْمٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾
وَوَجْهُ يَوْمٍ مُّزْجِرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَّقَهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها النفخة الثانية التي يصيح الخلق لاستماعها، قاله الحسن، ومنه قول الشاعر :

يُصِيحُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعَهُ إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

الثاني : أنه اسم من أسماء القيامة، لإصاخة الخلق إليها من الفزع، قاله ابن عباس .

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ وفي فراره منهم ثلاثة أوجه : أحدها : حذراً من مطالبتهم إياه للتبعات التي بينه وبينهم .

الثاني : حتى لا يروا عذابه .

الثالث : لاشتغاله بنفسه، كما قال تعالى بعده :

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمٌ مَّيْذَانٌ يُغْنِيهِ﴾ أي يشغله عن غيره .

﴿وَوَجْهُ يَوْمٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مشرقة .

الثاني : فرحة، حكاه السدي .

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ضاحكة من مسرة القلب .

الثاني : ضاحكة من الكفار شماتة وغيظاً، مستبشرة بأنفسها مسرة وفرحاً .

﴿وَوَجْهُ يَوْمٍ مُّزْجِرَةٌ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه غبار جعل شيئاً لهم ليطمئذوا به فيعرفوا .

الثاني : أنه كناية عن كمد وجوههم بالحزن حتى صارت كالغبرة .

﴿تَرَهَّقَهَا قَتَرَةٌ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : تغشاها ذلة وشدة، قاله ابن عباس .

الثاني : خزي ، قاله مجاهد .

الثالث : سواد ، قاله عطاء .

الرابع : غبار ، قاله السدي ، وقال ابن زيد : القتر ما ارتفعت إلى السماء والغبرة : ما انحطت إلى الأرض .

الخامس : كسوف الوجه ، قاله الكلبي ومقاتل .

﴿أولئك هم الكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ يحتمل جمعه بينهما وجهين :

أحدهما : أنهم الكفرة في حقوق الله ، الفجرة في حقوق العباد .

الثاني : لأنهم الكفرة في أديانهم ، الفجرة في أفعالهم .

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني ذهب نورها وأظلمت، قاله ابن عباس .

الثاني : غُوِّرَتْ، وهو بالفارسية كوبکرد، قاله ابن جبير .

الثالث : اضمحلّت، قاله مجاهد .

الرابع : نكست، قاله أبو صالح .

الخامس : جمعت فألقيت، ومنه كارة الثياب لجمعها، وهو قول الربيع بن

خيثم .

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : تناثرت، قاله الربيع بن خيثم .

الثاني : تغيرت فلم يبق لها ضوء، قاله ابن عباس .

الثالث: تساقطت، قاله قتادة، ومنه قول العجاج (٢٦٨) :

أَبْصَرَ خَرْبَانَ فُضَاءَ فَا نَكَدَرُ تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ
ويحتمل رابعاً: أن يكون انكدارها طمس آثارها، وسميت النجوم نجومًا
لظهورها في السماء بضوئها.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ يعني ذهبت عن أماكنها، قال مقاتل: فسويت بالأرض
كما خلقت أول مرة وليس عليها جبل ولا فيها واد.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ والعشار: جمع عشراء وهي الناقة إذا صار لحملها
عشرة أشهر، وهي أنفس أموالهم عندهم، قال الأعشى (٢٦٩) :

هو الواهبُ المائةَ المصطفَا ةَ إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارًا
فتعطل العشار لاشتغالهم بأنفسهم من شدة خوفهم.

وفي «عطلت» تأويلان:

أحدهما: أهملت، قاله الربيع.

الثاني: لم تحلب ولم تدر، قاله يحيى بن سلام.

وقال بعضهم: العشار: السحاب تعطل فلا تمطر.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها الأرض التي يعشر زرعها فتصير للواحد عُشراً، تعطل
فلا تزرع.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: جمعت، قاله الربيع.

الثاني: اختلطت، قاله أبي بن كعب فصارت بين الناس.

(٢٦٨) والذي في الديوان: ١٧

واني جناحيه من الطور قمر تقضي البازي اذا البازي كسر
ابصر خربان فضاء فانكدر شالي الكلايب اذا أهوى اظفر
وهو في الطبري (٢٢٧/١٩) وروح المعاني (٥١/٣٠) وفيه:

إذا الكرام ابتدوا الباع بدر تقضي البازي إذا البازي كسر
واني جناحيه من الطود خمر أبصر خربان فضاء فانكدر
(٢٦٩) القرطبي (٢٢٩/١٩) ديوانه: ٧٦.

الثالث: حشرت إلى القيامة (٢٧٠) للقضاء فيقتص للجماء من القرناء، قاله السدي.

الرابع: أن حشرها بموتها، قاله ابن عباس.

﴿وإذا البحارُ سُجِّرَتْ﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: فاضت، قاله الربيع.

الثاني: ييست، قاله الحسن.

الثالث: ملئت، أرسل عذبها على مالحتها، ومالحتها على عذبها حتى امتلأت،

قاله أبو الحجاج.

الرابع: فجرت فصارت بحرأ واحداً، قاله الضحاك.

الخامس: سيرت كما سيرت الجبال، قاله السدي.

السادس: هو حمرة مائها حتى تصير كالدم، مأخوذ من قولهم عين سجراء أي

حمراء.

السابع: يعني أوقدت فانقلبت نارأ، قاله علي رضي الله عنه وابن عباس

وأبي بن كعب.

الثامن: معناه أنه جعل ماؤها شرابأ يعذب به أهل النار، حكاه ابن عيسى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف (٢٧١) «سجرت» إخبارأ عن حالها مرة واحدة،

وقرأ الباقر بالتشديد إخبارأ عن حالها في تكرار ذلك منها مرة بعد أخرى.

﴿وإذا النفوسُ زُوجَتْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني عملُ بهن عملٌ مثل عملها، فيحشر العامل بالخير مع العامل

بالخير إلى الجنة، ويحشر العامل بالشر مع العامل بالشر إلى النار، قال عطية العوفي:

حين يكون الناس أزواجأ ثلاثة.

الثاني: يزوج كل رجل نظيره من النساء فإن كان من أهل الجنة زوج بامرأة من

(٢٧٠) وقد تقدم الكلام على حشر البهائم في سورة الأنعام والحكمة من حشرها ولا تنافي بين قول السدي

وابن عباس فهي تحشرأي تجمع ويقتص بعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابأ فذلك مدتها.

(٢٧١) وهي قراءة أبي عمرو كما في زاد المسير (٣٩/٩) والسبعة ٦٧٣ والحجة ص ٧٥٠.

أهل الجنة، وإن كان من أهل النار زوج بامرأة من أهل النار، قاله عمر بن (٢٧٢)
الخطاب، ثم قرأ:

﴿أخشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾.

الثالث: معناه ردت الأرواح إلى الأجساد، فزوجت بها أي صارت لها زوجاً،
قاله عكرمة والشعبي.

الرابع: أنه قرن كل غاو بمن أغواه من شيطان أو إنسان، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل خامساً: زوجت بأن أضيف إلى كل نفس جزاء عملها، فصار
لاختصاصها به كالزويج.

﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ والموءودة المقتولة، كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت
امراته بنتاً دفنها حية، إما خوفاً من السبي والاسترقاق، وإما خشية الفقر والإملاق،
وكان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر الفرزدق (٢٧٣) فقال:

ومنا الذي منعَ الوائداتِ فأحيا الوئيدَ فلم تُؤادِ

وسميت موءودة للثقل الذي عليها من التراب، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يثوده
حفظهما﴾ أي لا يثقله، وقال متمم بن (٢٧٤) نونية:

وموءودة مقبورة في مفازٍ بآمتها موسودة لم تُمهّدِ

فقال توبيخاً لقاتلها وزجراً لمن قتل مثلها ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ واختلف هل
هي السائلة أو المسئلة، على قولين:

أحدهما: وهو قول الأكثرين أنها هي المسئلة: ﴿بأيّ ذنب قُتِلَتْ﴾ فتقول: لا
ذنب لي، فيكون ذلك أبلغ في توبيخ قاتلها وزجره.

الثاني: أنها هي السائلة لقاتلها لم قتلت، فلا يكون له عذر، قاله ابن عباس
وكان يقرأ: وإذا الموءودة سألت.

(٢٧٢) تقدم تخريجه في سورة الصفات وهو أثر صحيح عن عمر.

(٢٧٣) ديوانه (٢٠٣/١) القرطبي (٢٣٣/١٩) مجاز القرآن (٢٧٨/٢) شواهد الكشاف ١٠٢ روح المعاني
(٥٣/٣٠) اللسان وأد.

(٢٧٤) القرطبي (٢٣٢/١٩) وفي اللسان نسبه لحسان بن ثابت ولفظه هناك:

ومؤودة مقرورة في مفاوز بآمتها من درسه لم توسد

قال قتادة: يقتل أحدهما بنته ويغذو كلبه، فأبى الله سبحانه ذلك عليهم.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يعني صحف الأعمال إذا كتب الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تطوى بالموت وتنشر في القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول: ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾.

وقرأ حمزة والكسائي بتشديد (٢٧٥) نُشِرَتْ على تكرار النشر، وقرأ الباقون بالتخفيف على نشرها مرة واحدة، فإن حمل على المرة الواحدة فلقيام الحجة بها، وإن حمل على التكرار ففيه وجهان:

أحدهما: للمبالغة في تقرير العاصي وتبشير المطيع.

الثاني: لتكرير ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني ذهب، قاله الضحاك.

الثاني: كسفت، قاله السدي.

الثالث: طويت، قاله يحيى بن سلام، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾

الآفة.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أحميت، قاله السدي.

الثاني: أوقدت، قاله معمر عن قتادة.

الثالث: سَعَرها غضب الله وخطايا بني آدم، قاله سعيد عن قتادة.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفتْ﴾ أي قُرِبَتْ، قال الربيع: إلى هاتين الآيتين ما جرى

الحديث فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ﴾ يعني ما عملت من خير وشر. وهذا جواب ﴿إِذَا

الشمس كورت﴾ وما بعدها، قال عمر بن الخطاب: لهذا جرى الحديث، وقال

الحسن: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ﴾ قسم وقع على قوله ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ﴾.

فَلَا أَقِيمُ بِالْخَنَسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَسِ (١٦) وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّعَسَ (١٧) وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَّسَ (١٨)

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُسِ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : النجوم التي تخنس بالنهار. وإذا غربت، قاله الحسن وقتادة .

الثاني : خمسة الأنجم وهي : زحل وعطارد والمشتري والمريخ والزهرة، قاله علي (٢٧٦) .

وفي تخصيصها بالذكر وجهان :

أحدهما : لأنها لا تستقبل الشمس، قاله بكر بن عبد الله المزني .

الثاني : لأنها تقطع المجرة، قاله ابن عباس .

الثالث : أن الخنس بقر الوحش، قاله ابن مسعود (٢٧٧) .

الرابع : أنها الظباء، قاله ابن جبير .

ويحتمل تأويلاً خامساً : أنها الملائكة لأنها تخنس فلا ترى، وهذا قَسَمٌ مبتدأ،

و«لا» التي في قوله ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُسِ﴾ فيها الأوجه الثلاثة التي في ﴿لَا أَقْسَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

﴿الجوار الكنس﴾ فيها التأويلات الخمسة :

أحدها : النجوم، قاله الحسن، سميت بالجواري الكنس لأنها تجري في مسيرها .

الثاني : أنها النجوم الخمسة، وهو قول علي .

(٢٧٦) وروى سعيد بن منصور عنه بإسناد حسن قال : هي الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى راجع الفتح (٥٦٣/٨) .

(٢٧٧) رواه عنه عبد الرزاق بإسناد صحيح كما في الفتح (٥٦٣/٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٧) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

والكنس، الغيب، مأخوذ من الكناس وهو كناس الوحش التي تخفي فيه، قال أوس بن حجر (٢٧٨) :

ألم تر أن الله أنزل مُزْنَهُ وَعُفْرُ الطِّبَاءِ فِي الْكِنَاسِ تَقْمَعُ
الثالث: أنها بقر الوحش لاختفائها في كناسها، قال ابن مسعود.

الرابع: الطباء، قال ابن جبير.

الخامس: هي الملائكة.

﴿والليل إذا عَسَسَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أظلم، قال ابن مسعود ومجاهد، قال الشاعر (٢٧٩) :

حتى إذا ما لَيْلُهُنَّ عَسَسَا رَكِبَنَ مِنْ حَدِّ الظَّلَامِ حُنْدَسَا
الثاني: إذا ولى، قال ابن عباس وابن زيد، قال الشاعر (٢٨٠) :

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسسا

الثالث: إذا أقبل، قال ابن جبير وقتادة، وأصله العس وهو الامتلاء، ومنه قيل

للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه، فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه،

﴿والصبح إذا تَنَفَّسَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: طلوع الفجر، قاله عليّ وقتادة.

الثاني: طلوع الشمس، قاله الضحاك.

وفي «تنفس» وجهان:

أحدهما: بان إقباله.

الثاني: زاد ضوؤه.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون تنفس بمعنى طال، مأخوذ من قولهم قد تنفس

النهار إذا طال.

(٢٧٨) القرطبي (١٩/٢٣٨) الطبري (٣٠/٧٧) اللسان قمع.

(٢٧٩) القرطبي (١٩/٢٣٩).

(٢٨٠) هو علقمة بن قرط والبيت في مجاز القرآن (٢/٢٨٨) والقرطبي (١٩/٢٣٦) والطبري (٣٠/٧٩)

وروح المعاني (٣٠/٥٨).

﴿إِنَّهٗ لَقَوْلُ رَسولٍ كَرِيمٍ﴾ وهو جواب القسم، يعنى القرآن.
وفي الرسول الكريم قولان:

أحدهما: جبريل، قاله الحسن وقتادة والضحاك.

الثاني: النبي ﷺ، قاله ابن عيسى، فإن كان المراد به جبريل فمعناه قول رسول لله كريم عن رب العالمين لأن أصل القول الذي هو القرآن ليس من الرسول، إنما الرسول فيه مبلغ على الوجه الأول، ومبلغ إليه على الوجه الثاني.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ هو جبريل في أصح القولين، يعنى مطاعاً فيمن نزل عليه من الأنبياء، أميناً فيما نزل به من الكتب.

﴿وما صاحبكم بمجنونٍ﴾ يعنى النبي ﷺ.

﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ وفي الذي رآه قولان:

أحدهما: أنه رأى ربه بالأفق المبين، وهو معنى قول ابن مسعود.

الثاني: رأى جبريل^(٢٨١) بالأفق المبين على صورته التي هو عليها، وفيها

قولان:

أحدهما: أنه رآه ببصره، قاله ابن عباس وعائشة.

الثاني: بقلبه، ولم يره ببصره، قاله أبو ذر.

وفي «الأفق» قولان:

أحدهما: أنه مطلع الشمس.

الثاني: أقطار السماء ونواحيها، قال الشاعر^(٢٨٢):

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالُغُ
فعلى هذا فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه رآه في أفق السماء الشرقي، قاله سفيان.

والثاني: في أفق السماء الغربي، حكاه ابن شجرة.

(٢٨١) وهو القول الراجح رجحه ابن كثير (٤/٤٨٠) والطبري (٣٠/٨١) والألوسي (٣٠/٦٠) وفتح القدير للشوكاني (٥/٣٩١).

(٢٨٢) هو الفرزدق والبيت في القرطبي (١٩/٢٤١) وفتح القدير (٥/٣٩١).

الثالث: أنه رآه نحو أجياد، وهو مشرق مكة، قاله مجاهد، ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ قرأ بالظاء ابن (٢٨٣) كثير وأبو عمرو والكسائي وفيه وجهان: أحدهما: وما محمد على القرآن بمتهم أن يأتي بما لم ينزل عليه، قاله ابن عباس.

الثاني: بضيف عن تأديته، قاله الفراء. وقرأ الباقون بالضاد، وفيه وجهان: أحدهما: وما هو ببخيل أن يعلم كما تعلم (٢٨٤). الثاني: وما هو بمتهم أن يؤدي ما لم يؤمر به. ﴿فأين تذهبون﴾ فيه وجهان: أحدهما: فإلى أين تعدلون عن كتاب الله تعالى وطاعته، قاله قتادة. الثاني: فأني طريق أهدى لكم وأرشد من كتاب الله، حكاه ابن عيسى. ويحتمل ثالثاً: فأين تذهبون عن عذابه وعقابه. ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا أن يشاء الله لكم. الثاني: وما تشاؤون الهداية إلا أن يشاء الله بتوفيقه (٢٨٥): وقيل إن سبب نزول (٢٨٦) هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: ذلك إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

(٢٨٣) وهي قراءة ابن عباس وقد رواها عنه ابن أبي حاتم بسند صحيح كما في الفتح (٥٦٣/٨). (٢٨٤) وروى عبد الرزاق بسند صحيح عن إبراهيم النخعي قال الظننين المتهم والضنين البخيل الفتح (٥٦٣/٨).

(٢٨٥) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثالث إلا إذا اعتبرنا سبب النزول وجهاً ثالثاً. (٢٨٦) رواه ابن جرير (٩٤/٣٠) بسنده عن سليمان بن موسى قال: لما نزلت «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل... فذكره.

وزاد السيوطي في الدر (٤٣٦/٨) نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم قلت: وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي هريرة مثله كما في الدر (٤٣٦/٨).

سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ

مكية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَغْرَرًا بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : انشقت .

الثاني : سقطت ، قال الشاعر :

كانوا سعاداً سماء الناس فانفطرت فأصبح الشمل لم ترفع له عُمَد

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ يعني تساقطت ، قال ابن عباس ، تسقط سواد لا

ضوء لها .

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يبست ، قاله الحسن .

الثاني : خلطت فصارت بحرأ واحداً ، وهذا معنى قول ابن عباس ، قال : وهو

سبعة أبحر فتصير بحرأ واحداً .

الثالث: فجر عذبتها في مالحها، ومالحها في عذبتها، قاله قتادة.
ويحتمل رابعاً: أي فاضت.

﴿وإذا القبور بُعِثَتْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بحثت وثُورت، قاله ابن عباس وعكرمة، وقال الفراء: فيخرج ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها ثم تخرج الموتى.

الثاني: حركت للبعث، قاله السدي.

الثالث: بعث من فيها من الأموات، قاله قتادة.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما عملت وما تركت، قاله أبو رزين.

الثاني: ما قدمت من طاعة، وأخرت من حق الله، قاله ابن عباس.

الثالث: ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث.

ويحتمل ما قدمت من معصية وأخرت من طاعة، لأنه خارج مخرج الوعيد، وهذا جواب ﴿إذا السماء انفطرت﴾ لأنه خبر، وجعلها الحسن قَسْماً وقعت على قوله ﴿علمت نفس﴾ الآية.

والأظهر ما عليه الجماعة من أنه خبر وليس بقسم.

﴿يا أيها الإنسان ما غرَّكَ بربِّكَ الكريم﴾ في الإنسان ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه إشارة إلى كل كافر (٢٨٧).

الثاني: أنه أبي بن خلف، قاله عكرمة.

الثالث: أنه أبو الأشد (٢٨٨) بن كلدة بن أسد الجمحي، قاله ابن عباس.

وفي الذي غرَّه قولان:

أحدهما: عدوه الشيطان، قاله قتادة.

الثاني: جهله، وهو قول عمر بن الخطاب (٢٨٩).

(٢٨٧) وهو الراجح كما في فتح القدير للشوكاني (٣٩٥/٥).

(٢٨٨) وقيل هو أبو الأشدين وقد سبق الكلام عليه في سورة المدثر.

(٢٨٩) رواه عنه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر (٤٣٩/٨).

ويحتمل قولاً ثالثاً: إنه إمهاله.

«الكريم» الذي يتجاوز ويصفح، وروى الحسن أن عمر بن الخطاب لما قرأ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ .. الآية، قال: حمقه وجهله.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: فسوى خلقك وعدل خلقك.

الثاني: فسوى أعضائك بحسب الحاجة وعدلها في المماثلة لا تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل.

الثالث: فسواك إنساناً كريماً وعدل بك عن أن يجعلك حيواناً بهيماً.

قال أصحاب الخواطر: سَوَّاكَ بالعقل وعدلك بالإيمان.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما شاء ركبك من شبه أم أو أب أو خال أو عم، قاله مجاهد.

الثاني: من حسن أو قبح أو طول أو قصر أو ذكر أو أنثى، قاله ابن عيسى.

الثالث: في أي صورة من صور الخلق ركبك حتى صرت على صورتك التي

أنت عليها أيها الإنسان لا يشبهك شيء من الحيوان.

وروى موسى بن علي بن رباح (٢٩٠) اللخمي عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ

قال لجده: ما وَلَدَ لك؟ قال: يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية،

قال رسول الله: ومن عسى أن يشبه؟ قال: إما أباه وإما أمه، فقال عليه السلام عندها:

مه لا تقولن هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها

وبين آدم أما قرأت في كتاب الله: في أي صورة ما شاء ركبك.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

(٢٩٠) رواه الطبري (٨٧/٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٤٣٩/٨) نسبته للبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن

شاهين وابن قانع والطبراني وابن مردويه كلهم من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن جده.

وسند الحديث ضعيف فيه المطهر بن الهيثم الراوي عن موسى بن علي والمطهر متروك وبه أعلمه

الهيثمي في المجموع (١٣٥/٧) وقال الحافظ ابن كثير (٤٨١/٤) وهذا الحديث لو صح لكان فيصلاً

في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك

الحديث وقال ابن حبان: يروي عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأئمة أ هـ.

أحدها: بالحساب والجزاء، قاله ابن عباس.

الثاني: بالعدل والقضاء، قاله عكرمة.

الثالث: بالدين الذي جاء به محمد ﷺ وهو الإسلام، حكاه ابن عيسى.

﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ يعني الملائكة، يحفظ كل إنسان ملكان، أحدهما عن يمينه يكتب الخير، والآخر عن شماله يكتب الشر (٢٩١).

﴿كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كراماً على الله، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: كراماً بالإيمان، قاله السدي.

الثالث: لأنهم لا يفارقون ابن آدم إلا في موطنين عند الغائط وعند الجماع (٢٩٢) يعرضان عنه ويكتبان ما تكلم به، فلذلك كره الكلام عند الغائط والجماع.

ويحتمل رابعاً: كراماً لأداء الأمانة فيما يكتبونه من عمله فلا يزيدون فيه ولا ينقصون منه.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ قولان:

أحدهما: في الآخرة فيكون نعيم الأبرار في الجنة والثواب، وجحيم الفجار في النار بالعقاب.

(٢٩١) وهما المذكوران في قوله «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» وأحدهما يكتب الحسنات وهو رقيب والثاني يكتب السيئات وهو عتيد.

(٢٩٢) وقد ورد هذا مرفوعاً ومقطوعاً.

أما المرفوع فمن حديث ابن عباس رضي الله عنه رواه البزار كما في الدر (٤٤٠/٨) وفي سننه حفص بن سليمان وهولين الحديث. راجع تفسير ابن كثير (٤٨٢/٤) وله طريق أخرى عن ابن عباس وهي مطولة يرويها ابن مردويه كما في الدر (٤٤٠/٨) والله أعلم بحالها.

أما المقطوع فقد رواه ابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٤٨٢/٤) من حديث مجاهد.

والقول الثاني: أنه في الدنيا، فعلى هذا فيه أربعة أوجه ذكرها أصحاب الخواطر.

أحدها: النعيم القناعة، والجحيم الطمع.

الثاني: النعيم التوكل، والجحيم الحرص.

الثالث: النعيم الرضا بالقضاء، والجحيم السخط فيما قدر وقضى.

الرابع: النعيم بالطاعة، والجحيم بالمعصية.

﴿وما هُم عنها بغائبين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن القيامة تحقيقاً للبعث فعلى هذا يجوز أن يكون هذا الخطاب متوجهاً إلى الأبرار والفجار جميعاً.

الثاني: عن النار، ويكون الخطاب متوجهاً إلى الفجار دون الأبرار، والمراد بأنهم لا يغيون عنها أمران:

أحدهما: تحقيق الوعيد.

الثاني: تخليد الفجار.

﴿وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ يعني يوم الجزاء، وهو يوم

القيامة، وفي تكراره وجهان:

أحدهما: تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره.

الوجه الثاني: أن الأول خطاب للفجار والثاني خطاب للأبرار ترغيباً.

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ يعني لا يملك مخلوق لمخلوق نفعاً ولا

ضرراً.

﴿والأمر يومئذ لله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الجزاء بالثواب والعقاب.

الثاني: في العقوبة والانتقام.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

مكية في قول ابن مسعود والضحاك ويحيى بن سلام، ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل، قال مقاتل: هي أول سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثمانين آيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ إلى آخرها مكى، وقال الكلبي وجابر بن زيد: قد نزلت بين مكة والمدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال ابن عباس: (٢٩٣) كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلاً، إلى أن أنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل، قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا.

أعمض بعض المتعمقة فحمله على استيفاء العبادة بين الناس جهراً، وفي النقصان سراً.

(٢٩٣) رواه الطبري (٩١/٣٠) وابن ماجه (٧٤٨/٢) وزاد السيوطي في الدر (٤٤١/٨) نسبته للطبراني والنسائي وابن مردويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن ابن عباس وزاد الحافظ في تخريج الكشاف ص ٢٨ نسبته لابن حبان والحاكم.

وفي «ويل» سبعة أقاويل :

أحدها : أنه واد في جهنم ، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً (٢٩٤) .

الثاني : صديد أهل النار ، قاله ابن مسعود .

الثالث : أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة .

الرابع : أنه الهلاك ، قاله بعض أهل اللغة .

الخامس : أنه أشق العذاب .

السادس : أنه النداء بالخسار والهلاك ، وقد تستعمله العرب في الحرب والسلب .

السابع : أن أصله ويّ لفلان ، أي الجور لفلان ، ثم كثر استعمال الحرفين فوصلا بلام الإضافة .

والمطفف : مأخوذ من الطفيف وهو القليل ، والمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن .

قال الزجاج : بل مأخوذ من طف الشيء وهي جهته .

﴿الذين إذا أكتالوا على الناس يَسْتَوْفُونَ﴾ أي من الناس ، ويريد بالاستيفاء الزيادة على ما استحق .

﴿وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ يعني كالوا لهم أو وزنوا لهم بحذف هذه الكلمة لما في الكلام من الدلالة عليها ، ﴿يخسرون﴾ ، ينقصون فكان المطفف يأخذ زائداً ويعطي ناقصاً .

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يوم يقومون من قبورهم ، قاله ابن جبير .

الثاني : يقومون بين يديه تعالى للقضاء ، قاله يزيد بن الرشك .

قال أبو هريرة (٢٩٥) : قال النبي ﷺ لبشير الغفاري : كيف أنت صانع يوم يقوم

(٢٩٤) وهو ضعيف وقد مر تخريجه .

(٢٩٥) أخرجه الطبري (٩٣/٣٠) وابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٤٨٤/٤) وابن مردويه كما في الدر

(٤٤٣/٨) من حديث أبي هريرة .

الناس فيه مقدار ثلاثمائة سنة لرب العالمين، لا يأتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بأمر، قال بشير: المستعان الله.

الثالث: أنه جبريل يقوم لرب العالمين، قاله ابن جبير (٢٩٦).

ويحتمل رابعاً: يقومون لرب العالمين في الآخرة بحقوق عباده في الدنيا.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُنَادَىٰ
عَلَيْهِمْ إِنَّا نَادَيْنَاكَ أَصْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ
عَنِ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ أما «كلا» ففيه وجهان:

أحدهما: حقاً.

الثاني: أن كلا للزجر والتنبيه.

وأما «سجّين» ففيه ثمانية أقاويل:

أحدها: في سفال، قاله الحسن.

الثاني: في خسار، قاله عكرمة.

الثالث: تحت الأرض السابعة، رواه البراء بن عازب مرفوعاً (٢٩٧).

قال ابن أسلم: سجّين: الأرض السافلة، وسجّيل: سماء الدنيا.

(٢٩٦) وهذا القول ضعيف لأن سياق الآيات بخلافه.

(٢٩٧) وجاء ذلك في حديث البراء الطويل في صفة قبض الروح وقد رواه أبو داود (١١٦-١١٥/٥) والبيهقي في عذاب القبر رقم ٢١ والأجري (٣٧٠) في الشريعة والطيلسي (١٥٤/١) وأحمد (٢٨٧٤) وابن أبي شيبه (٣٨٠/٣) والمروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٣٠-٤٣١) والحاكم (٣٧-٣٨) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٤٦٧/٤) وعبد الرزاق (٥٨٠/٣) وابن ماجه (٤٩٤/١) مختصراً والطبري (١٢٩/٨) مختصراً وهناد (٢٠٥/١) وزاد في الدر (٨٣/٤) نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وقال من طرق صحيحة وقد حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٩٠/٤) والبيهقي بعد تخريجه عن جماعة من الثقات.

قال مجاهد: سَجَّينَ صخرة في الأرض السابعة، فيجعل كتاب الفجار تحتها.

الرابع: هو جب في جهنم، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ (٢٩٨) أنه قال: الفلق جُبٌّ في جهنم مغطى، وسَجَّينَ جب في جهنم مفتوح.
الخامس: أنه تحت خد إبليس، قاله كعب الأحبار.

السادس: أنه حجر أسود تحت الأرض تكتب فيه أرواح الكفار، حكاه يحيى بن سلام.
السابع: أنه الشديد قاله أبو عبيدة وأنشد (٢٩٩):

ضرباً تَوَاصَّتْ به الأبطالُ سَجَّينا

الثامن: أنه السجن، وهو فَعِيلٌ من سَجَنَتْه، وفيه مبالغة، قاله الأخفش وعلي بن عيسى، ولا يمتنع أن يكون هو الأصل واختلاف التأويلات في محله.

ويحتمل تاسعاً: لأنه يحل من الإعراض عنه والإبعاد له محل الزجر والهوان ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:
أحدها: مكتوب، قاله أبو مالك.

الثاني: أنه مختوم، وهو قول الضحاك.

الثالث: رُقِمَ له بَشَرٌ لا يزداد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد، قاله محمد بن كعب وقتادة.

ويحتمل قولاً رابعاً، إن المرقوم المعلوم.

﴿كَلَّابِلٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن «ران» طبع على قلوبهم، قاله الكلبي.

الثاني: غلب على قلوبهم، قاله ابن زيد، ومنه قول الشاعر (٣٠٠):

(٢٩٨) رواه ابن جرير (٩٦/٣٠) وسنده ضعيف قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٨٥) وهو حديث غريب منكر لا يصح.

(٢٩٩) هو تميم بن مقبل وصدر البيت «ورفقة يضربون البيض ضاحية» والبيت في القرطبي (١٩/٢٥٨) وفتح القدير (٣٩٩/٥).

(٣٠٠) القرطبي (١٩/٢٦٠).

وكم ران من ذنب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي ران وانجلى
 الثالث: ورود الذنب على الذنب (٣٠١) حتى يعمى القلب، قاله الحسن.
 الرابع: أنه كالصدإ يغشى القلب كالغيم الرقيق، وهذا قول الزجاج.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾
 يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي
 وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمْ مِنْ مَسْكٍ وَعِ
 ذَلِكِ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ أَجْلُو مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
 الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن عليين الجنة، قاله ابن عباس.

الثاني: السماء السابعة، قاله ابن زيد، قال قتادة: وفيها أرواح المؤمنين.

الثالث: قائمة العرش اليمنى، قاله كعب.

الرابع: يعني في علو وصعود إلى الله تعالى، قاله الحسن.

الخامس: سدرة المنتهى، قاله الضحاك.

ويحتمل سادساً: أن يصفه بذلك لأنه يحل من القبول محلاً عالياً.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الطراوة والغضارة، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنها البياض، قاله الضحاك.

الثالث: أنها عين في الجنة يتوضؤون منها ويغتسلون فتجري عليهم نضرة

النعيم، قاله علي.

(٣٠١) وهو الصواب وقد ورد فيه حديث مرفوع من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه «إن العبد إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت» فذلك قول الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ورواه الترمذي (٣٣٣١) وقال: حسن صحيح وصححه غير واحد من أهل العلم.

ويحتمل رابعاً: أنها استمرار البشري بدوام النعمة.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ وفي الرحيق ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عين في الجنة مشوب بمسك، قاله الحسن.

الثاني: أنه شراب أبيض يختمون به شراهم، قاله ابن أبي الدرداء.

الثالث: أنه الخمر في قول الجمهور، ومنه قول حسان (٣٠٢):

يسقون من ورد البريض عليهم بَرْدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

لكن اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الصافية، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنها أصفى الخمر وأجوده، قاله الخليل.

الثالث: أنها الخالصة من غش، حكاه الأخفش.

الرابع: أنها العتيقة.

وفي «مختوم» ثلاثة أقاويل:

أحدها: ممزوج، قاله ابن مسعود.

الثاني: مختوم في الإناء بالختم، وهو الظاهر.

الثالث: ما روى أبي بن كعب (٣٠٣) قال: قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم؟

قال: عُذْرَانِ الْخَمْرِ.

﴿خَتَامُهُ مِسْكٌ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: مزاجه مسك، قاله مجاهد.

الثاني: عاقبته مسك، ويكون ختامه آخره، كما قال الشاعر:

صرف ترقرق في الحانوت باطنه بالفلفل الجون والرمان مختوما

قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك.

الثالث: أن طعمه وريحه مسك، رواه ابن أبي نجيح.

الرابع: أن ختمه الذي ختم به إناءه مِسْكٌ، قاله ابن عباس.

(٣٠٢) تقدم تخريجه في سورة الانسان.

(٣٠٣) لم نعر على تخريجه.

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فليعمل العاملون ، قاله مجاهد .

الثاني : فليبادر المبادرون ، قاله أبو بكر بن عياش والكلبي .

وفيما أخذ منه التنافس والمنافسة وجهان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الشيء النفيس ، قاله ابن جرير (٣٠٤) .

الثاني : أنه مأخوذ من الرغبة فيما تميل النفوس إليه ، قاله المفضل .

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن التسنيم الماء ، قاله الضحاك .

الثاني : أنها عين في الجنة ، فيشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لأصحاب

اليمين ، قاله ابن مسعود .

وقال حذيفة بن اليمان : تسنيم عين في عدن ، وعدن دار الرحمن وأهل عدن

جيرانه .

الثالث : أنها خفايا أخفاها الله لأهل الجنة ، ليس لها شبه في الدنيا ولا

يعرف مثلها (٣٠٥) .

وأصل التسنيم في اللغة أنها عين ماء تجري من علو إلى سفلى ، ومنه سنام

البعير لعلوه من بدنه ، وكذلك تسنيم القبور .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أن يكون المراد به لذة شربها في الآخرة أكثر من لذته

في الدنيا ، لأن مزاج الخمر يلذ طعمها ، فصار مزاجها في الآخرة يفضل لذة مزاجها

من تسنيم لعلو الآخرة على الدنيا .

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ

﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ

لضَّالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ

(٣٠٤) جامع البيان (١٠٨/٣٠) .

(٣٠٥) كيف لا تعرف العرب هذه اللفظة وقد وقعت في كلامهم .

يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوْبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ قرأ عاصم في رواية حفص فكهين بغير ألف وقرأ غيره بألف (٣٠٦)، وفي القراءتين أربعة تأويلات :
أحدها : فرحين ، قاله السدي .

الثاني : معجبين ، قاله ابن عباس ، ومنه قول الشاعر :

ولقد فكهت من الدنيا فقاتلوا يوم الخميس بلا سلاح ظاهر الثالث : لاهين .

الرابع : ناعمين ، حكى هذين التأويلين علي بن عيسى .

وروى عوف عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ قال ربكم عز وجل : (٣٠٧) وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمني ، فإذا خافني في الدنيا أمنتته يوم القيامة ، وإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة .

﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ هذا سؤال المؤمنين في الجنة عن الكفار حين فارقوهم ، وفيه تأويلان :

أحدهما : معناه هل أثيب الكفار ما كانوا يعملون في الكفر ، قاله قتادة .

الثاني : هل جوزي الكفار على ما كانوا يفعلون ، قاله مجاهد .
فيكون «ثوب» مأخوذاً من إعطاء الثواب .

ويحتمل تأويلاً ثالثاً : أن يكون معناه هل رجع الكفار في الآخرة عن تكذيبهم في الدنيا على وجه التوبيخ ، ويكون مأخوذاً من المثاب الذي هو الرجوع ، لا من الثواب الذي هو الجزاء ، كما قال تعالى : ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس﴾ أي مرجعاً .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : هل رجع من عذاب الكفار على ما كانوا يفعلون ، لأنهم قد علموا أنهم عذبوا ، وجاز أن يظنوا في كرم الله أنهم قد رحموا .

(٣٠٦) السبعة لابن مجاهد ٦٧٦ زاد المسير (٦١/٩) .

(٣٠٧) هذا الحديث من مرسل الحسن والمرسل من قسم الضعيف كما هو معلوم ولم أعثر على تخريج الحديث والله أعلم .

سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ

مكية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًا حَافِلًا يَكْفِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقَلُبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وهذا من أشراط الساعة، قال علي رضي الله عنه: تنشق السماء من المجرة، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه محذوف الجواب وتقديره: إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدم من خير وشر.

الثاني: أن جوابه ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًا﴾.

الثالث: معناه أذكر إذا السماء انشقت.

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ معنى أذنت لربها أي سمعت لربها، ومنه قول

النبي ﷺ (٣٠٨) ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن أي ما استمع الله لشيء، وقال الشاعر (٣٠٩):

صُمْ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا.
أي سمعوا.

﴿وَحَقَّتْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أطاعت، قاله الضحاك.

الثاني: معناه حق لها أن تفعل ذلك، قاله قتادة، ومنه قول كثير (٣١٠):

فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا وَحَقَّتْ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتْ .
ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها جمعت، مأخوذ من اجتماع الحق على نافية وحكى ابن الأنباري أن ﴿أذنت لربها وحقت﴾ جواب القسم، والواو زائدة.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أن البيت كان قبل الأرض بألفي عام، فمدت الأرض من تحته، قاله

ابن عمر.

الثاني: أنها أرض القيامة، قاله مجاهد، وهو أشبه بسياق الكلام.

وفي ﴿مُدَّتْ﴾ وجهان:

أحدهما: سويت، فدكت الجبال ويبيت البحار، قاله السدي.

الثاني: بسطت، قاله الضحاك، وروى علي بن الحسين أن النبي ﷺ (٣١١) قال:

(٣٠٨) رواه البخاري (٤١٨/١٣) والبخاري (٤٨٥/٤) من حديث أبي هريرة.

ورواه أبو داود (١٤٦٩) وأحمد (١٤٧٦) من حديث سعد بن أبي وقاص وصححه الأرناؤوط

في تخريج شرح السنة للبخاري.

(٣٠٩) هو قعنب بن أم صاحب البيت في اللسان أذن، فتح القدير (٤٠٦/٥) روح المعاني (٧٨/٣٠)

الطبري (١١٢/٣٠) مجاز القرآن (١٧٧/١) القرطبي (٢٦٧/١٩) والاقضاب ٢٩٢، شواهد الكشاف

١٤٣ زاد المسير (٦٢/٩).

(٣١٠) القرطبي (٢٦٩/١٩) فتح القدير (٢٠٦/٥).

(٣١١) الطبري (١١٣/٣٠) الحاكم (٥٧٦/٤) هكذا مرسلًا بل معضلاً وقد اقتصر المؤلف على جزء منه وقد

رواه الحاكم (٥٧٠/٤) بسند جيد كما قال السيوطي في الدر (٤٥٦/٨) عن جابر مرفوعاً. لكن في

رواية الحاكم عن علي بن الحسين عن رجل من أهل العلم ولم يسمه.

إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدمه .

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أَلْقَتْ ما في بطنها من الموتى ، وتخلت عمن على ظهرها من الأحياء ، قاله ابن جبير .

الثاني : أَلْقَتْ ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها ، وهو معنى قول قتادة .

ويحتمل ثالثاً : هو أعم ، أنها أَلْقَتْ ما استودعت ، وتخلت مما استحفظت لأن الله استودعها عباده أحياء وأمواتاً ، واستحفظها بلاده مزارع وأقواتاً .

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إِنَّكَ سَاعٍ إِلَى رَبِّكَ سَعِيًّا حتى تلاقي ربك ، قاله يحيى بن سلام ، ومنه قول الشاعر (٣١٢) :

وَمَضَتْ بِشَاشَةً كُلَّ عَيْشٍ صَالِحٍ وَبَقِيَتْ أَكْدَحُ لِلْحَيَاةِ وَأَنْصَبُ
أي أعمل للحياة .

ويحتمل قولاً ثالثاً : أن الكادح هو الذي يكدح نفسه في الطلب إن تيسر أو تعسر .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ روي أن النبي ﷺ قال (٣١٣) :

«يعرض الناس ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجداً ومعادير ، وفي الثالثة تطير الكتب من الأيدي ، فبين أخذ كتابه بيمينه ، وبين أخذ كتابه بشماله» .

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وفي الحساب ثلاثة أقاويل :

أحدها : يجازى على الحسنات ويتجاوز له عن السيئات ، قاله الحسن .

الثاني : ما رواه صفوان بن سليم عن عائشة قالت (٣١٤) : سئل رسول الله عن

(٣١٢) القرطبي (٢٧١/١٩) روح المعاني (٧٩/٣٠) .

(٣١٣) رواه الترمذي (٢٤٢٧) وابن ماجه (٤٢٧٧) وأحمد (٤١٤/٤) وقال الترمذي : لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى .

(٣١٤) رواه ابن جرير (١١٥/٣٠) والحاكم (٥٨٠/٤) وصححه وأحمد (٤٧/٦) وزاد السيوطي في الدر (٤٥٦/٨) نسبه لابن مردويه .

الذي يحاسب حساباً يسيراً، فقال: يعرف عمله ثم يتجاوز عنه، ولكن من نوقش الحساب فذلك هو الهالك.

الثالث: أنه العرض، روى ابن أبي مليكة عن عائشة (٣١٥) رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ فقال: ذلك العرض يا عائشة، من نوقش في الحساب يهلك.

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ قال قتادة: إلى أهله الذين قد أعدهم الله له في الجنة.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يريد أهله الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب، يقال: حار يحور، إذا رجع، ومنه الحديث: أعوذ (٣١٦) بالله من الحور بعد الكور، يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة، وروي: «بعد الكون»، ومعناه انتشار الأمر بعد تمامه.

وسئل معمر عن الحور بعد الكون فقال: الرجل يكون صالحاً ثم يتحول امرء سوء.

وقال ابن الأعرابي: الكُتِّي: هو الذي يقول: كنت شاباً وكنت شجاعاً، والكانني: هو الذي يقول: كان لي مال وكنت أهب وكان لي خيل وكنت أركب، وأصل الحور الرجوع، قال لبيد (٣١٧):

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع.
وقال عكرمة وداود بن أبي هند: يحور كلمة بالحشية، ومعناها يرجع وقيل

(٣١٥) رواه ابن جرير (١١٦/٣٠) واللفظ له والبخاري (١٧٦/١) و(٥٣٥/٨) (٣٤٧/١١) ومسلم (٢٢٤/٤) والترمذي (٦٩٢) وقال: حسن صحيح وزاد السيوطي في الدر (٤٥٦/٨) نسبته لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٣١٦) لم أهد إلى تخريجه وإن كنت قد قرأت تأويله في كتاب شأن الدعاء للإمام الخطابي.
الحور: الضلالة وتقلب الحال.

الكور: الإيمان والهداية والله أعلم.

(٣١٧) ديوانه: ١٦٩ روح المعاني (٨١/٣٠) زاد المسير (٦٥/٩) القرطبي (٢٧٣/١٩).

للقصار حوارى لأن الثياب ترجع بعمله إلى البياض .

﴿بلى إن ربه كان به بصيراً﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : مشاهداً لما كان عليه .

الثاني : خبيراً بما يصير إليه .

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ
طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ
﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿فلا أقسم بالشفق﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه شفق الليل وهو الحمرة ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه بقية ضوء الشمس ، . قاله مجاهد .

الثالث : أنه ما بقي من النهار ، قاله عكرمة .

الرابع : أنه النهار ، رواه ابن أبي نجيح .

﴿واللَّيْلِ وما وسق﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : وما جمع ، قاله مجاهد ، قال الراجز (٣١٨) :

إن لنا قلائصاً حقائقاً مستوسقات أو يجدن سائقاً

الثاني : وما جنّ وستر ، قاله ابن عباس .

الثالث : وما ساق ، لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء إلى مأواه ، قاله عكرمة .

الرابع : وما عمل فيه ، قاله ابن جبير ، وقال الشاعر (٣١٩) :

ويوماً ترانا صالحين وتارةً تقوم بنا كالواسق المتلبّب
أي كالعامل .

(٣١٨) هو العجاج والبيت في اللسان «وسق» وملحق ديوانه : ٨٤ مجاز القرآن ٢/٢٩١ والطبري (١٢٠/٣٠)

والقرطبي (٢٧٥/١٩) روح المعاني (٨١/٣٠) .

(٣١٩) القرطبي (٢٧٧/١٩) وروح المعاني (٨٢/٣٠) وفيه :

فيوماً

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إذا استوى ، قاله ابن عباس ، وقولهم اتسق الأمر إذا انتظم واستوى .

قال الضحاك : ليلة أربع عشرة هي ليلة السواء .

الثاني : والقمر إذا استدار ، قاله عكرمة .

الثالث : إذا اجتمع ، قاله مجاهد ، ومعانيها متقاربة .

ويحتمل رابعاً : إذا طلع مضيئاً .

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ فيه سبعة تأويلات :

أحدها : سماء بعد سماء ، قاله ابن مسعود والشعبي :

الثاني : حالاً بعد حال ، فطيماً بعد رضيع وشيخاً بعد شاب ، قاله عكرمة ، ومنه

قول الشاعر (٣٢٠) :

كَذَلِكَ الْمَرْءُ إِنْ يُنْسَأَ لَهُ أَجَلٌ يَرْكَبُ عَلَى طَبَقٍ مِنْ بَعْدِهِ طَبَقٌ

الثالث : أمراً بعد أمر ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقر

بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقماً بعد صحة ، قاله الحسن .

الرابع : منزلة بعد منزلة ، قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة ، وقوم

كانوا مرتفعين في الدنيا فاتضعوا في الآخرة ، قاله سعيد بن جبير .

الخامس : عملاً بعد عمل ، يعمل الآخر عمل الأول ، قاله السدي .

السادس : الآخرة بعد الأولى ، قاله ابن زيد .

السابع : شدة بعد شدة ، حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء ، وفي كل حال من هذه

شدة ، وقد روى معناه جابر مرفوعاً (٣٢١) .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : بما يُسِرُّون في قلوبهم ، قاله ابن عباس .

(٣٢٠) القرطبي (٢٧٩/١٩) .

(٣٢١) وقد أورده الحافظ ابن كثير (٤٩٠/٤) من رواية ابن أبي حاتم وقال : قال ابن أبي حاتم ذكر

عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن ابن آدم . . فذكره قال الحافظ ابن كثير : هذا حديث منكر

وإسناده فيه ضعف ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم .

الثاني : بما يكتمون من أفعالهم ، قاله مجاهد .

الثالث : بما يجمعون من سيئاتهم ، مأخوذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه وهو

معنى قول ابن زيد .

﴿فلهم أجرٌ غيرٌ ممنون﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : غير محسوب ، قاله مجاهد .

الثاني : غير منقوص ، قاله السدي .

الثالث : غير مقطوع ، قاله ابن عباس .

الرابع : غير مكدر بالمن والأذى ، وهو معنى قول الحسن .

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُلْ أَصْحَابُ
الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ
شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿والسما ذات البروج﴾ هذا قسم، وفي البروج أربعة أقاويل :

أحدها : ذات النجوم، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك .

الثاني : ذات القصور، قاله ابن عباس .

الثالث : ذات الخلق الحسن، قاله المنهال بن عمرو .

الرابع : ذات المنازل، قاله يحيى بن سلام وهي اثنا عشر برجاً رصدتها العرب

والعجم، وهي منازل الشمس والقمر .

﴿واليوم الموعود﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه (٣٢٢) يوم القيامة، وسمي

بذلك لأنهم وعدوا فيه بالجزاء بعد البعث .

(٣٢٢) رواه ابن جرير (١٢٨/٣٠) والترمذي (٣٣٣٩) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/٤٩٠)

﴿وشاهدٍ ومَشْهُودٍ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، روى ذلك أبو هريرة عن النبي ﷺ .

الثاني : أن الشاهد يوم النحر ، والمشهود يوم عرفة ، قاله إبراهيم .

الثالث : أن الشاهد الملائكة ، والمشهود الإنسان ، قاله سهل بن عبد الله .

الرابع : أن الشاهد الجوارح ، والمشهود النفس ، وهو محتمل .

الخامس : أن المشهود يوم القيامة .

وفي الشاهد على هذا التأويل خمسة أقاويل :

أحدها : هو الله تعالى ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : هو آدم عليه السلام ، قاله مجاهد .

الثالث : هو عيسى ابن مريم ، رواه ابن أبي نجیح .

الرابع : هو محمد ﷺ ، قاله الحسن بن علي وابن عمر وابن الزبير ، لقوله

تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ .

الخامس : هو الإنسان ، قاله ابن عباس .

﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ قال الفراء : هذا جواب القسم ، وقال غيره : الجواب

﴿إِنْ بَطَّشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ﴾ والأخدود : الشق العظيم في الأرض ، وجمعه أخاديد ، ومنه

الخد لمجاري الدموع فيه ، والمخدة لأن الخد يوضع عليها . وهي حفائر شقت في

الأرض وأوقدت ناراً وألقي فيها مؤمنون امتنعوا من الكفر .

واختلف فيهم ، فقال عليّ : إنهم من الحبشة ، وقال مجاهد : كانوا من أهل

نجران ، وقال عكرمة كانوا نبطاً ، وقال ابن عباس : كانوا من بني إسرائيل ، وقال عطية

وسنده ضعيف قال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه قلت : وهو ضعيف كما في التقريب لابن حجر .

وقال الحافظ ابن كثير (٤/٤٩٠) وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيد الربذي وهو ضعيف وقد ورد موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه . قلت : ورواه ابن جرير (٣٠/١٢٨) .

قلت : وللمرفوع شاهد من حديث أبي مالك الأشعري رواه ابن جرير (٣٠/١٢٨) والطبراني كما في المجمع (٧/١٣٥) إلا أن في سنده ، محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف وبه أغله الهيثمي .

العوفي، هم دانيال وأصحابه، وقال الحسن: هم قوم من أهل اليمن^(٣٢٣)، وقال عبد الرحمن بن الزبير: هم قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين، وقال الضحاك: هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبيع الحميري وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، وحفر لهم أخدوداً أحرقهم فيه، وقال السدي: الأخدود ثلاثة: واحد بالشام وواحد بالعراق، وواحد باليمن.

وفي قوله: ﴿قَتِلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ وجهان: أحدهما: أهلك المؤمنون.

الثاني: لعن الكافرون الفاعلون، وقيل إن النار صعدت إليهم وهم شهود عليها فأحرقتهم، فلذلك قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ يعني في الدنيا.

﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن أصحاب الأخدود هم على عذاب المؤمنين فيها شهود، وهو ظاهر من قول قتادة.

الثاني: أنهم شهود على المؤمنين بالضلال، قاله مقاتل.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ هُوَبٌ مِثْلُ بَعِيدٍ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَرِيبٌ أَنْ تُجِيبَهُ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ فيه أربعة تأويلات:

(٣٢٣) انظر خبر أصحاب الأخدود وحديث صهيب الرومي رواه مسلم (٢٠٠٥) وأحمد (١٧/٦) والترمذي (٦٩/٢) والطبري (٣٣/٣٠) وزاد الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٣ النسائي وابن حبان والطبراني وإسحاق وأبي يعلى والبخاري.

أحدها: يحيى ويميت، قاله ابن زيد.
 الثاني: يميت ثم يحيى، قاله السدي.
 الثالث: يخلق ثم يبعث، قاله يحيى بن سلام.
 الرابع: يبدى العذاب ويعيده، قاله ابن عباس.
 ويحتمل خامساً: يبدى ما كلف من أوامره ونواهيه، ويعيد ما جرى عليه من
 ثواب وعقاب.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ في الغفور وجهان:

أحدهما: الساتر للعيوب.

الثاني: العافي عن الذنوب.

وفي الودود وجهان:

أحدهما: المحب (٣٢٤).

الثاني: الرحيم.

وفيه ثالث: حكاه المبرد عن إسماعيل بن إسحاق القاضي أن الودود هو الذي لا
 ولد له، وأنشد قول الشاعر (٣٢٥):

وَأَرْكُبُ فِي الرَّوْعِ عُريَانَةً ذُلُولَ الْجَنَاحِ لِقَاحاً وَدُوداً
 أي لا ولد لها تحن إليه، ويكون معنى الآية أنه يغفر لعباده، وليس ولد يغفر لهم
 من أجله، ليكون بالمغفرة متفضلاً من غير جزاء.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الكريم، قاله ابن عباس.

الثاني: العالي، ومنه المجد لعلوه وشرفه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه من صفات الله تعالى، وهو قول من قرأ بالرفع.

(٣٢٤) وهو قول ابن عباس رواه الطبري (١٣٨/٣٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكره البخاري
 معلقاً في صحيحه (٥٦٨/٨) وجزم به فقال: قال ابن عباس وهذا يدل على صحة الأثر كما هو معروف من
 صنيع البخاري ولفظه في ابن جرير «الحبيب».

(٣٢٥) القرطبي (٢٦٩/١٩) فتح القدير (٤١٣/٥) روح المعاني (٩٢/٣٠).

الثاني : أنه من صفة العرش ، وهو قول من قرأ بالكسر (٣٢٦) .

ويحتمل إن كان صفة للعرش وجهاً ثالثاً : أنه المحكم .

﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن اللوح هو المحفوظ عند الله تعالى ، وهو تأويل من قرأ بالخفض .

الثاني : أن القرآن هو المحفوظ ، وهو تأويل من قرأ بالرفع (٣٢٧) وفيما هو محفوظ

منه وجهان :

أحدهما : من الشياطين .

الثاني : من التغيير والتبديل .

وقال بعض المفسرين : إن اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه .

(٣٢٦) وهي قراءة حمزة والكسائي والمفضل عن عاصم زاد المسير (٧٨/١٩) السبعة لابن مجاهد (٦٧٨) .
(٣٢٧) وهي قراءة أبي العالية وأبي الجوزاء وأبي عمران وابن السميع كما في زاد المسير (٧٩/٩) والسبعة لابن مجاهد (٦٧٨) .

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ
عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿والسماء والطارق﴾ هما قسمان: «والسماء» قَسَمٌ، «والطارق» قَسَمٌ.

«الطارق» نجم، وقد بيّنه الله تعالى بقوله: ﴿وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب﴾ ومنه قول هند بنت عتبة: (٣٢٨).

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقِ
تقول: نحن بنات النجم افتخاراً بشرفها، وإنما سمي النجم طارقاً لاختصاصه بالليل، والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقاً، قال الشاعر:
أَلَا طَرَقَتْ بِاللَّيْلِ مَا هَجَعُوا هِنْدُ وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالصَّدْ
وأصل الطرق الدق، ومنه سميت المطرقة، فسمي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه في الوصول إلى الدق.

(٣٢٨) اللسان طرق ونسبه في موضع آخر إلى هند بن بياض بن رباح بن طارق الأغاني (٢٤٣/١٣) القرطبي (٢/٢٠) فتح القدير (٤١٨/٥).

وفي قوله «النجم الثاقب» ستة أوجه :

أحدها : المضيء ، قاله ابن عباس .

الثاني : المتوهج^(٣٢٩) ، قاله مجاهد .

الثالث : المنقّص ، قاله عكرمة .

الرابع : أن الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها ، قاله الفراء .

الخامس : الثاقب : الشياطين حين ترمى ، قاله السدي .

السادس : الثاقب في مسيره ومجراه ، قاله الضحاك .

وفي هذا النجم الثاقب قولان :

أحدهما : أنه زُحل ، قاله عليّ .

الثاني : الثريّا ، قاله ابن زيد .

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : «لما» بمعنى^(٣٣٠) إلّا ، وتقديره : إن كل نفس إلّا عليها حافظ ، قاله

قتادة .

الثاني : أن «ما» التي بعد اللام صله زائدة ، وتقديره : إن كل نفس لعلها

حافظ ، قاله الأخفش .

وفي الحافظ قولان :

أحدهما : حافظ من الله يحفظ عليه أجله ورزقه ، قاله ابن جبير .

الثاني : من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أو شر ، قاله قتادة .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون الحافظ الذي عليه عقله ، لأنه يرشده إلى مصالحه ،

ويكفّه عن مضاره .

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ فيه قولان :

أحدهما : من بين صلب الرجل وترائبه ، قاله الحسن^(٣٣١) وقَتادة .

(٣٢٩) ذكره البخاري معلقاً (٥٦٨/٨٠) وجزم به قال الحافظ وصله الفريابي والطبري من طريق مجاهد به .

(٣٣٠) وقد ورد ذلك عن ابن عباس مثل قول قتادة وقد صححه ابن حجر وذكره البخاري معلقاً (٥٦٩/٨)

ورواه ابن أبي حاتم وقد أنكر أبو عبيد هذا وقال لم نسمع لقول «لما» بمعنى «إلا» شاهداً في كلام العرب .

(٣٣١) والمشهور أن الترائب للمرأة وهذا هو المشهور وكل التفسير المنقولة عن الحسن وقَتادة على هذا .

الثاني : بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء .

وفي الترائب ستة أقاويل :

أحدها : أنه الصدر، قاله ابن عياض ، ومنه قول دريد بن الصمة .

فإن تُدْبِرُوا نأخذكم في ظهوركم وإن تُقْبِلُوا نأخذكم في الترائب .

الثاني : ما بين المنكبين إلى الصدر، قاله مجاهد .

الثالث : موضع القلادة، قاله ابن عباس، قال الشاعر (٣٣٢) :

والزعفران على ترائبها شرق به اللَّبَاتُ والنَّحْرُ

الرابع : أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل، قاله ابن جبير، وحكى الزجاج

أن الترائب أربعة أضلاع من يمين الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر .

الخامس : أنها بين اليدين والرجلين والعينين، قاله الضحاك .

السادس : هي عصارة القلب، قاله معمر بن أبي حبيبة .

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : على أن يرد المني في الإحليل، قاله مجاهد .

الثاني : على أن يرد الماء في الصلب، قاله عكرمة .

الثالث : على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا،

ومن الصبا إلى النطفة، قاله الضحاك .

الرابع : على أن يعيده حيًّا بعد موته، قاله الحسن وعكرمة وقتادة .

الخامس : على أن يحبس الماء فلا يخرج .

ويحتمل سادساً : على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة لأن الكفار

يسألون الله فيها الرجعة .

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي تَظْهَرُ .

ويحتمل ثانياً : أن تبلى بظهور السرائر في الآخرة بعد استتارها في الدنيا .

وفيها قولان :

(٣٣٢) هو المخبل السعدي والبيت في القرطبي (٥/٢٠) والطبري (١٤٥/٣٠) (٥١/٢٨) .

أحدهما: كل ما استسر به الإنسان من خير وشر، وأضره من إيمان أو كفر، كما قال الأحوص (٣٣٣):

سَتُبْلَى لَكُمْ فِي مُضْمَرِ السَّرِّ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ وَدَّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ.
الثاني: هو ما رواه خالد عن زيد (٣٣٤) بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ:
الأمانة ثلاث: الصلاة والصوم والجنابة، استأمن الله ابن آدم على الصلاة، فإن شاء
قال: قد صليت ولم يُصَلِّ، استأمن الله ابن آدم على الصوم، فإن شاء قال: قد
صمت ولم يصم، استأمن الله ابن آدم على الجنابة، فإن شاء قال: قد اغتسلت ولم
يغتسل، اقرؤوا إن شئتم: «يوم تُبْلَى السَّرَائِرُ».

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن القوة العشيرة، والناصر: الحليف، قاله سفيان .
الثاني: فما له من قوة في بدنه، ولا ناصر من غيره يتمتع به من الله، أو يتنصر
به على الله، وهو معنى قول قتادة.

ويحتمل ثالثاً: فما له من قوة في الامتناع، ولا ناصر في الاحتجاج.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَآكِيذُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤُودًا ﴿١٧﴾

﴿والسماء ذات الرجع﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ذات المطر (٣٣٥)، لأنه يرجع في كل عام، قاله ابن عباس.

الثاني: ذات السحاب، لأنه يرجع بالمطر.

الثالث: ذات الرجوع إلى ما كانت، قاله عكرمة.

الرابع: ذات النجوم الراجعة، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد، وهذا قَسَمٌ.

(٣٣٣) شواهد الكشاف (٣/٤) ونسبه لمجنون ليلي خزانة الأدب (٣٢٢/١) القرطبي (٨/٢٠) وفيه سيقى لها في مضمر وكذا هو في روح المعاني (٩٩٩/٣٠).

(٣٣٤) وهذا الحديث من مراسلات زيد وقد ذكره الثعلبي عن عطاء كما في القرطبي (١٠/٢٠).

(٣٣٥) رواه الحاكم (٥٢٠/٢) وصححه سننه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٦٩/٨).

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ فيها أربعة أقاويل :

أحدها : ذات النبات لانصداع الأرض عنه ، قاله ابن عباس .

الثاني : ذات الأودية ، لأن الأرض قد انصدعت بها ، قاله ابن جريج .

الثالث : ذات الطرق التي تصدعها المشاة ، قاله مجاهد .

الرابع : ذات الحرث لأنه يصدعها .

ويحتمل خامساً : ذات الأموات ، لانصداعها عنهم للنشور وهذا قسمان .

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ على هذا وقع الْقَسْمُ ، وفي المراد بأنه قول فصل قولان :

أحدهما : ما قدّمه عن الوعيد من قوله تعالى : «إنه على رجعه لقادر يوم تبلى

السرائر» الآية . تحقيقاً لوعيده ، فعلى هذا في تأويل قوله «فَصْلٍ» وجهان :

أحدهما : حد ، قاله ابن جبير .

الثاني : عدل ، قاله الضحاك .

القول الثاني : أن المراد بالفصل القرآن تصديقاً لكتابه ، فعلى هذا في تأويل

قوله «فصل» وجهان :

أحدهما : حق ، قاله ابن عباس .

الثاني : ما رواه الحارث عن (٣٣٦) عليّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«كتاب الله فيه خير ما قبلكم ، وحكم ما بعدكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، مَنْ تركه

مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهَدَى فِي غَيْرِهِ أَضْلَهُ اللَّهُ .»

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ وهذا تمام ما وقع عليه القسم ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : باللعب ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني : بالباطل ، قاله وكيع والضحاك .

الثالث : بالكذب ، قاله السدي .

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعني أهل مكة حين اجتمعوا في دار الندوة على المكر

برسول الله ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

يُخْرِجُوكَ﴾ فقال هاهنا : «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا» أي يمكرون مكرآ .

(٣٣٦) تقدم تخريجه في سورة الفاتحة وهو حديث ضعيف مرفوعاً لضعف الحارث الأعور الراوي عن علي بن أبي طالب .

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ يعني بالانتقام في الآخرة بالنار، وفي الدنيا بالسيف.

﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيدًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قريباً، قاله ابن عباس.

الثاني: انتظاراً، ومنه قول الشاعر:

رُؤِيدُكَ حَتَّى تَنْطُوِي ثُمَّ تَنْجَلِي عَمَايَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَأَلَّقِ

الثالث: قليلاً، قاله قتادة.

قال الضحاك: فقتلوا يوم بدر.

وفي «مهْل» «وَأَهْل» وجهان:

أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد.

الثاني: معناهما مختلف، فمهْل الكف عنهم، وأمهْل انتظار العذاب لهم.

سُورَةُ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ
الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ
الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَنُبَشِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ
يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَنْجِبْنَاهَا الْأَشَقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَى ﴿١٣﴾

قوله تعالى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فيه أربعة أقاويل :
أحدها : عظم ربك الأعلى ، قاله ابن عباس والسدي ، والاسم صلة قصد بها
تعظيم المسمى ، كما قال لبيد (٣٣٧) :
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ
الثاني : نزه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه ، ذكره الطبري (٣٣٨) .
الثالث : معناه ارفع صوتك بذكر ربك ، قال جرير (٣٣٩) :
قَبَّحَ الْإِلَهَ وَجْوهَ تَغْلَبَ كَلَمًا سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا تَكْبِيرًا .

(٣٣٧) سبق تخريج هذا البيت .

(٣٣٨) جامع البيان (١٥١/٣٠) .

(٣٣٩) القرطبي (١٥/٢٠) فتح القدير (٤٢٣/٥) .

الرابع : صلّ لربك ، فعلى هذا في قوله «اسم ربك» ثلاثة أوجه :
أحدها : بأمر ربك .

الثاني : بذكر ربك أن تفتتح به الصلاة .

الثالث : أن تكون ذاكرةً لربك بقلبك في نيتك للصلاة .

وروي أن عليّاً وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا :
«سبحان ربي الأعلى» امتثالاً لأمره تعالى في ابتدائها ، فصار الاقتداء بهم في قراءتها ،
وقيل إنها في قراءة أبي : «سبحان ربي الأعلى» وكان ابن عمر يقرؤها كذلك .
﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني أنشأ خلقهم ثم سَوَاهُمْ فأكملهم .

الثاني : خلقهم خلقاً كاملاً وسَوَى لكل جارحة مثلاً .

الثالث : خلقهم بإنعامه وسَوَى بينهم في أحكامه ، قال الضحاك :
خلق آدم فَسَوَى خلقه .

ويحتمل رابعاً : خلق في أصلاب الرجال ، وسَوَى في أرحام الأمهات .

ويحتمل خامساً : خلق الأجساد فَسَوَى الأفهام .

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : قَدَّرَ الشقاوة والسعادة ، وهداه للرشد والضلالة ، قاله مجاهد .

الثاني : قدر أرزاقهم وأقواتهم ، وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنساً ، ولمراعيتهم
إن كانوا وحشاً .

الثالث : قدرهم ذكوراً وإناثاً ، وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى ، قاله السدي .

ويحتمل رابعاً : قدر خلقهم في الأرحام ، وهداهم الخروج للتمام .

ويحتمل خامساً : خلقهم للجزاء ، وهداهم للعمل .

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ يعني النبات ، لأن البهائم ترعاه ، قال الشاعر^(٣٤٠) :

وقد يَبْتُبُ المرعى على دِمَنِ الثَّرى وَتَبَقَّى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ
﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الغثاء ما يبس من النبات حتى صار هشيماً تذروه الرياح .

(٣٤٠) هوزفرين الحارث والبيت في القرطبي (١٦/٢٠) .

والأحوى: الأسود، قال ذي الرمة (٣٤١):

لمياء في شَفَتَيْهَا حُوءٌ لَعَسَ وفي اللّثاتِ وفي أنيابها شَنَبٌ
وهذا معنى قول مجاهد.

الثاني: أن الغناء ما احتمل السيل من النبات، والأحوى: المتغير، وهذا معنى قول السدي.

الثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، ومعناه أحوى فصار غناء، والأحوى: ألوان النبات الحي من أخضر وأحمر وأصفر وأبيض، ويعبر عن جميعه بالسواد كما سمي به سواد العراق، وقال امرؤ القيس:

وغيثٍ دائمٍ التّهتاتِ نِ حاوي النبتِ أذهم
والغناء: الميت اليابس، قال قتادة: وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها.

﴿سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معنى قوله: فلا تنسى، أي فلا تترك العمل إلا ما شاء الله أن يترخص لك فيه، فعلى هذا التأويل يكون هذا نهياً عن الشرك.

والوجه الثاني: أنه إخبار من الله تعالى أنه لا ينسى ما يقرئه من القرآن، حكى ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يقرؤه خيفة أن ينساه، فأنزل الله تعالى:

﴿سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ يعني القرآن.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: إلا ما شاء الله أن يؤخر إنزاله عليك فلا تقرؤه، حكاه ابن عيسى.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ فيه أربعة تأويلات

أحدها: أن الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك، وما يخفى هو ما نسخ من حفظك.

الثاني: أن الجهر ما علمه، وما يخفى ما سيتعلمه من بعد، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الجهر ما قد أظهره، وما يخفى ما تركه من الطاعات.

﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: نيسرك لأن تعمل خيراً، قاله ابن عباس.

الثاني: للجنة، قاله ابن مسعود.

الثالث: للدين اليسر وليس بالعسر، قاله الضحاك.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ وفيما يذكر به وجهان:

أحدهما: بالقرآن، قاله مجاهد.

الثاني: بالله رغبة ورهبة، قاله ابن شجرة.

وفي قوله: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ وجهان:

أحدهما: يعني إن قبلت الذكرى وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني: يعني ما نفعت الذكرى، فتكون «إِنْ» بمعنى ما الشرط، لأن الذكرى

نافعة بكل حال، قاله ابن شجرة.

﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ يعني يخشى الله، وقد يتذكر من يرجوه، إلا أن تذكرة

الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء، وإن تعلقت

بالخشية والرجاء.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ يعني يتجنب التذكرة الكافر الذي قد صار بكفره شقياً.

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هي نار جهنم، والصغرى نار الدنيا، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: الكبرى نار الكفار في الطبقة السفلى من جهنم، والصغرى نار المذنبين

في الطبقة العليا من جهنم، وهو معنى قول الفراء.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يموت ولا يجد روح الحياة، ذكره ابن عيسى.

الثاني: أنه يعذب لا يستريح ولا يتنفع بالحياة، كما قال الشاعر^(٣٤٢):

ألا ما لنفسٍ لا تموتُ فينْقُضي عنها ولا تحيا حياةً لها طعمُ

(٣٤٢) القرطبي (٢١/٢٠) فتح القدير (٤٢٥/٥).

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

﴿قد أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : من تطهر من الشرك بالإيمان ، قاله ابن عباس .

الثاني : من كان صالح عمله زكياً نامياً ، قاله الحسن والربيع (٣٤٣) .

لم يذكر الثالث راجع التعليق ص . ٤٤ .

الرابع : أنه عنى زكاة الأموال كلها ، قاله أبو الأحوص .

ويحتمل خامساً : أنه من ازداد خيراً و صلاحاً .

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ فيه ستة أوجه :

أحدها : أن يوحد الله ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن يدعو ويرغب إليه .

الثالث : أن يستغفره ويتوب إليه .

الرابع : أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ، ليكون استيفاءه

لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه .

الخامس : أن يذكر اسم ربه بلسانه عند إحرامه بصلاته ، لأنها لا تنعقد إلا

بذكره .

السادس : أن يفتح كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم .

وفي قوله «فَصَلَّى» ثلاثة أقاويل :

أحدها : الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس .

الثاني : صلاة العيد ، قاله أبو سعيد الخدري (٣٤٤) .

الثالث : هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاة ، قاله أبو الأحوص .

وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فيه وجهان :

(٣٤٣) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث ويحتمل أن يكون «من أعطى صدقة الفطر كما قاله أبو سعيد الخدري

وعطاء وقتادة أو تكثر بتقوى الله قاله الزجاج راجع زاد المسير (٩١/٩) .

(٣٤٤) قال الشوكاني في فتح القدير (٤٢٥/٥) «ولا يخفى بعد هذا القول فإن السورة مكية ولم تفرض زكاة الفطر

وصلاة العيد إلا بالمدينة» وبنحوه قال القرطبي (٢٢/٢٠) .

أحدهما: أن المراد بها الكفار، فيكون تأويلها: بل تؤثرن الحياة الدنيا على الآخرة.

الثاني: أن المراد بها المسلمون، فيكون تأويلها: يؤثرن الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خير للمؤمن من الدنيا، وأبقى للجزء.

الثاني: ما قاله قتادة خير في الخير وأبقى في البقاء.

ويحتمل به وجهاً ثالثاً: يتحرر به الوجهان، والآخرة خير لأهل الطاعة وأبقى على أهل الجنة.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني أن الآخرة خير وأبقى في الصحف الأولى، قاله قتادة.

الثاني: أن ما قصه الله في هذه السورة هو من الصحف الأولى.

الثالث: هي كتب الله كلها، وحكى وهب بن منبه في المبتدأ أن جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس، وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم، وأنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد عليهم السلام.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى
نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمَنُ وَلَا
يَغْنَى مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ فيها قولان :
أحدهما : أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال ، قاله ابن عباس والضحاك .
الثاني : أنها النار تغشى وجوه الكفار ، قاله ابن جبير .
ويحتمل ثالثاً : أنها في هذا الموضع النفخة الثانية للبعث لأنها تغشى جميع
الخلق .

و«هل» فيها وجهان :
أحدهما : أنها في موضع قد ، وتقدير الكلام قد أتاك حديث الغاشية ، قاله
قطرب .

الثاني : أنها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله ، ومعناه ألم يكن قد أتاك حديث
الغاشية ، فقد أتاك ، وهو معنى قول الكلبي .

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ في الوجوه ها هنا قولان :
أحدهما : عنى وجوه الكفار كلهم ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أنها وجوه اليهود والنصارى ، قاله ابن عباس .

وفي قوله «يومئذٍ» وجهان :

أحدهما : يعني يوم القيامة ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : في النار ، قاله قتادة .

«خاشعة» فيه وجهان :

أحدهما : يعني ذليلة بمعاصيها ، قاله قتادة .

الثاني : أنها تخشع بعد ذل من عذاب الله فلا تتنعم ، قاله سعيد بن جبير .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن تكون خاشعة لتظاهرها بطاعته بعد اعترافها بمعصيته .

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ في «عاملة» وجهان :

أحدهما : في الدنيا عاملة بالمعاصي ، قاله عكرمة :

الثاني : أنها تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى ، فأعملها في النار بالانتقال

من عذاب إلى عذاب ، قاله قتادة .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أي باذلة للعمل بطاعته إن ردت .

وفي قوله «ناصبة» وجهان :

أحدهما : ناصبة في أفعال المعاصي (٣٤٥) .

الثاني : ناصبة في النار ، قاله قتادة .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أي ناصبة بين يديه تعالى مستجيبة بعفوه .

﴿تَصَلَّى نَاراً حَامِيَةً﴾ فإن قيل فما معنى صفتها بالحماة وهي لا تكون إلا حامية

وهو أقل أحوالها ، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة ؟ قيل قد اختلف في المراد

بالحامية ها هنا على أربعة أوجه :

أحدها : أن المراد بذلك أنها دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التي ينقطع

حميها بانطفائها .

الثاني : أن المراد بالحامية أنها حمى يمنع من ارتكاب المحظورات وانتهاك

(٣٤٥) أي تبة وقال ابن عباس : هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل وعلى الكفر مثل عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم .

المحارم، كما قال النبي ﷺ (٣٤٦): «وإن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

الثالث: معناه أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملاستها أو ترام مماساتها كما يحمي الأسد عرينه، ومثله قول النابغة (٣٤٧):

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي.
الرابع: أنها حامية مما غيظ وغضب، مبالغة في شدة الانتقام، وقد بين الله ذلك بقوله ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

﴿تُسْقَى مِنَ عَيْنِ آيَةٍ﴾ فيه أربعة أوجه:
أحدها: قاله ابن زيد.

الثاني: حاضرة.

الثالث: قد بلغت إناها(*) وحن شربها، قاله مجاهد.

الرابع: يعني قد أنى حرها فانتهى واشتد، قاله ابن عباس.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنها شجرة تسميها قريش الشبرق، كثيرة الشوك، قاله ابن عباس، قال قتادة وإذا ييس في الصيف فهو ضريع، قال الشاعر (٣٤٨).

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وعاد ضريعاً نازعته النحائض
الثاني: السلم(*)، قال أبو الجوزاء: كيف يسمن من يأكل الشوك.

الثالث: أنها الحجارة، قاله ابن جبير.

(٣٤٦) جزء من حديث «إن الحلال بين والحرام بين» من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً رواه البخاري (١١٦/١) ومسلم (١٥٩٩).

وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي تدور عليها مدار الشريعة وقد مدحه العلماء وشرحوه ومن أجمل من شرحه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم فراجع.

(٣٤٧) ديوانه: ٢٤٥ وفيه . . . القرطبي (٢٩/٢٠).

(*) حرها: أي متناهية في الحرارة.

(٣٤٨) وهو أبو ذؤيب والبيت في القرطبي (٢٠ /) وروح المعاني (١١٣/٣٠) فتح القدير (٤٢٩/٥) وفي روح المعاني صار بدلاً من عاد. وفي كل هذه المصادر بان عنه بدلاً من نارغته.

(*) وهو شجر له شوك ينمو في الصحراء.

الرابع: أنه النوى المحرق، حكاه يوسف بن يعقوب عن بعض الأعراب.

الخامس: أنه شجر من نار، قاله ابن زيد.

السادس: أن الضريع بمعنى المضروع، أي الذي يضرعون عنده طلباً للخلاص منه، قاله ابن بحر (٣٤٩).

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَّةٌ ۖ
فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۖ وَنَارٌ مَّصْفُوفَةٌ ۖ
وَزَرَائِبٌ مَّبْنُوتَةٌ ۖ

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عالية، قاله الضحاك.

الثاني: أعالي الجنة وغرفها، لأنها منازل العلو والارتفاع.

فعلى هذا في ارتفاعهم فيها وجهان:

أحدهما: ليلتذوا بالعلو والارتفاع.

الثاني: ليشاهدوا ما أعد الله لهم فيها من نعيم.

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَّةٌ﴾ قال الفراء والأخفش: أي لا تسمع فيها كلمة لعو وفي

المراد بها سبعة أقاويل:

أحدها: يعني كذباً، قاله ابن عباس.

الثاني: الإثم، قاله قتادة.

الثالث: أنه الشتم، قاله مجاهد.

الرابع: الباطل، قاله يحيى بن سلام.

الخامس: المعصية، قاله الحسن.

السادس: الحلف فلا تسمع في الجنة حالف يمين برة ولا فاجرة، قاله

الكلبي.

(٣٤٩) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٩٧/٩) فإن قيل إنه قد أخبر في هذه الآية ليس لهم طعام إلا من ضريع وفي مكان آخر «ولا طعام إلا من غسيل» الحاقة: ٣٦ فكيف الجمع بينهما فالجواب أن النار دركات وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه غسيل ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قاله ابن قتبية.

السابع: لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى، لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم، قاله الفراء.

﴿فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ﴾ والسُرر جمع سرير، وهو مشتق من السرور وفي وصفها بأنها مرفوعة ثلاثة أوجه:

أحدها: لأن بعضها مرفوع فوق بعض.

الثاني: مرفوعة في أنفسهم لجلالته وحبهم لها، قاله الفراء.

الثالث: أنها مرفوعة المكان لارتفاعها وعلوها.

فعلى هذا في وصفها بالعلو والارتفاع وجهان:

أحدهما: ليلتذ أهلها بارتفاعها، قاله ابن شجرة.

الثاني: ليشاهدوا بارتفاعهم عليها ما أعطوه من مُلك وأتوه من نعيم، قاله ابن

عيسى.

فأما قوله ﴿وأكوابٌ موضوعةٌ﴾ فالأكواب: الأواني، وقد مضى القول في

تفسيرها.

وفي قوله «موضوعة» وجهان:

أحدهما: في أيديهم للاستمتاع بالنظر إليها لأنها من ذهب وفضة.

الثاني: يعني أنها مستعملة على الدوام، لاستدامة شربهم منها، قاله المفضل.

﴿ونمارقٌ مّصفوفةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الوسائد، واحدها نمركة، قاله قتادة.

الثاني: المرافق، قاله ابن أبي طلحة، قال الشاعر:

وريم أحّم المقلتين محبّب زرابيّه مبثوثةً ونمارقّه.

﴿وزرابيُّ مبثوثةٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: هي البسط الفاخرة، قاله ابن عيسى.

الثاني: هي الطنافس المخملة، قاله الكلبي والفراء.

وفي «المبثوثة» أربعة أوجه:

أحدها: مبسوطة، قاله قتادة.

الثاني: بعضها فوق بعض، قاله عكرمة.

الثالث : الكثيرة ، قاله الفراء .

الرابع : المتفرقة ، قاله ابن قتيبة .

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾
لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الآيات ، وفي ذكره لهذه ثلاثة أوجه :

أحدها : ليستدلوا بما فيها من العبر على قدرة الله تعالى ووحدانيته .

الثاني : ليعلموا بقدرته على هذه الأمور أنه قادر على بعثهم يوم القيامة ، قاله

يحيى بن سلام .

الثالث : أن الله تعالى لما نعت لهم ما في الجنة عجب منه أهل الضلالة ، فذكر

لهم ذلك مع ما فيه من العجائب ليزول تعجبهم ، قاله قتادة .

وفي «الإبل» هاهنا وجهان :

أحدهما : وهو أظهرهما وأشهرهما : أنها الإبل من النعم .

الثاني : أنها السحاب ، فإن كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات الدالة

على قدرة الله والمنافع العامة لجميع خلقه (٣٥٠) .

وإن كان المراد بها من النعم فإن الإبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات ، لأن

ضروره أربعة :

حلوبة ، وركوبة ، وأكولة ، وحمولة والإبل تجمع هذه الخلال الأربع ، فكانت

النعمة بها أعم ، وظهور القدرة فيها أتم .

ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إنما أنت واعظ .

الثاني : ذكّرهم النعم ليخافوا النقم .

(٣٥٠) وهو قول أبي العباس المبرد كما في روح المعاني (١١٦/٣٠) .

﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسيِّطِرٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : لست عليهم بمسلط، قاله الضحاك .

الثاني : بجبار، قاله ابن عباس .

الثالث : برب، قاله الحسن، ومعنى الكلام لست عليهم بمسيطر أن تكرههم على الإيمان .

ثم قال : ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ فليست له بمذكر، لأنه لا يقبل تذكيرك، قاله السدي .

الثاني : إلا من تولى وكفر فكله إلى الله تعالى، وهذا قبل القتال، ثم أمر بقتالهم، قاله الحسن .

وفي «تَوَلَّى وكفر» وجهان :

أحدهما : تولى عن الحق وكفر بالنعمة .

الثاني : تولى عن الرسول وكفر بالله تعالى، قاله الضحاك .

﴿فِيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ يعني جهنم .

ويحتمل أن يريد الخلود فيها، لأنه يصير بالاستدامة أكبر من المنقطع .

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي مرجعهم .

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ يعني جزاءهم على أعمالهم، فيكون ذلك جامعاً بين

الوعد والوعيد ثواباً على الطاعات وعقاباً على المعاصي .

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ۝١٤

قوله تعالى ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قسم أقسم الله تعالى به، وهو انفجار الصبح من أفق المشرق، وهما فجران (٣٥١): فالأول منهما مستطيل كذنب السرحان يبدو كعمود نور لا عرض له، ثم يغيب لظلام يتخلله، ويسمى هذا الفجر المبشر للصبح، وبعضهم يسميه الكاذب لأنه كذب بالصبح.

وهو من جملة الليل لا تأثير له في صلاة ولا صوم.

وأما الثاني فهو مستطيل النور منتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق لأنه صدقك عن الصبح، قال الشاعر:

(٣٥١) وذلك لأن النبي ﷺ يقول فيمارواه ابن خزيمة (٢١٠/٣) وهو صحيح من حديث ابن عباس مرفوعاً، الفجر فجران فأما الأول فإنه لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة وأما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة.

شعب الكلاب الضاريات فزاده ناراً بذى الصبح المصدق يخفق
وبه يتعلق حكم الصلاة والصوم، وقد ذكرنا ذلك من قبل.

وفي قسم الله بالفجر أربعة أقاويل:

أحدها: أنه عنى به النهار وعبر عنه بالفجر لأنه أوله، قاله ابن عباس.
الثاني: أن الفجر الصبح الذي يبدأ به النهار من كل يوم، قاله علي رضي الله
عنه.

الثالث: أنه عنى به صلاة الصبح، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أنه أراد به فجر يوم النحر خاصة، قاله مجاهد.

وفي ﴿وليلٍ عشرٍ﴾ - وهي قسم ثان - أربعة أقاويل:

أحدها: هي عشر ذي الحجة، قاله ابن عباس، وقد روى أبو الزبير عن جابر أن
رسول الله ﷺ قال (٣٥٢): «والفجر وليالٍ عشر»، قال: عشر الأضحى.

الثاني: هي عشر من أول المحرم، حكاه الطبري (٣٥٣).

الثالث: هي العشر الأواخر من شهر، رمضان، وهذا مروى عن ابن عباس.

الرابع: هي عشر موسى عليه السلام التي أتمها الله سبحانه له، قاله مجاهد.

﴿والشفع والوتر﴾ وهذا قسم ثالث، وفيهما تسعة أقاويل:

أحدها: أنها الصلاة، فيها شفع وفيها وتر، رواه عمران بن حصين عن

النبي ﷺ (٣٥٤).

(٣٥٢) رواه الطبري (١٦٩/٣٠) وقال الحافظ ابن كثير (٥٠٥/٤) ورواه النسائي عن محمد بن رافع
وعبد بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن
الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندي أن المسند في رفعه نكارة والله أعلم أه وزاد
السيوطي نسبته في الدر (٥٠٠/٨) لأحمد والبخاري وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي
في الشعب.

وقال الهيثمي في المجمع (١٣٧/٧) رواه البخاري وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عتبة وهو
ثقة أه وهذا القول اختاره الطبري.

(٣٥٣) جامع البيان (١٦٩/٣٠) وحكاه عن ابن عباس ولكن الإسناد إليه مسلسل بالضعفاء.

(٣٥٤) رواه الطبري (١٧٢/٣٠) وأحمد (٤٤٢/٤) والترمذي (١٧٠/٢) والحاكم (٥٢٢/٢) وصححه
ووافقه الذهبي وفيه نظر فإن الراوي عن عمران شيخ من أهل البصرة مجهول ولم يوثقه إلا ابن حبان.

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٠٢/٨) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه وقال الحافظ ابن كثير

الثاني: هي صلاة المغرب، الشفع منها ركعتان، والوتر الثالثة، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية.

الثالث: أن الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة، رواه أبو الزبير عن جابر عن النبي ﷺ (٣٥٥).

الرابع: أن الشفع يوماً منى الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، والوتر الثالث بعدهما، قاله ابن الزبير.

الخامس: أن الشفع عشر ذي الحجة، والوتر أيام منى الثلاثة، قاله الضحاك.

السادس: أن الشفع الخلق من كل شيء، والوتر هو آدم وحواء، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجه حواء فصار شفعاً بعد وتر، رواه ابن نجيج.

التاسع: أنه العدد لأن جميعه شفع ووتر، قاله الحسن.

ويحتمل عاشراً: أن الشفع الحيوان، لأنه ذكر وأنثى، والوتر الجماد.

ويحتمل حادي عشر: أن الشفع ما ينمى، والوتر ما لا ينمى (٣٥٦).

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرْ﴾ وهذا قسم رابع، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هي ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها.

الثاني: هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله، وسئل محمد بن كعب عن قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرْ﴾ فقال أسرياً ساري، ولا تبيتن إلا بجمع، يعني بمزدلفة.

الثالث: أنه أراد عموم الليل كله.

وفي قوله ﴿إِذَا يَسِرْ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

(٥٠٦/٤) «وعندي أن وقفه على عمران أشبه» قلت: ومما يؤيد قول ابن كثير أن الإمام ابن جرير رواه موقوفاً عليه (١٧١/٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٥٠٢/٨) نسبة الموقوف لعبد الرزاق وعبد بن حميد. (٣٥٥) رواه ابن جرير (١٧٢/٣٠).

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الثامن.

(٣٥٦) قال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٤٣٣/٥) بعد سرد الأقوال: «ولا يخفك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط البين والضعف الظاهر والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخطر الخاطيء والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب وهما معروفان» أهد.

الثاني: إذا سار، لأن الليل يسير بمسير الشمس والفلك فينتقل من أفق إلى أفق، ومنه قولهم جاء الليل وذهب النهار.

الثالث: إذا سار فيه أهله، لأن السرى سير الليل.
﴿هل في ذلك قَسَمٌ لَّذِي هَجَرَ﴾ وفي ذي الحَجَر لأهل التأويل خمسة أقاويل:
أحدها: لذي عقل، قاله ابن عباس.

الثاني: لذي حلم، قاله الحسن.
الثالث: لذين دين، قاله محمد بن كعب.

الرابع: لذي ستر، قاله أبو مالك.

الخامس: لذي علم، قاله أبو رجاء.

والحجر: المنع، ومنه اشتق اسم الحجر لامتناعه بصلاته، ولذلك سميت الحجرة لامتناع ما فيها بها، ومنه سمي حجر المولى عليه لما فيه من منعه عن التصرف، فجاز أن يحمل معناه على كل واحد من هذه التأويلات لما يضمنه من المنع.

وقال مقاتل: «هل» هاهنا في موضع إن، وتقدير الكلام: إن في ذلك قسماً لذي حجر.

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعادٍ * إرم﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: أن إرم هي الأرض، قاله قتادة.

الثاني: دمشق^(٣٥٧)، قاله عكرمة.

الثالث: الإسكندرية، قاله محمد بن كعب.

الرابع: أن إرم أمة من الأمم، قاله مجاهد، قال الشاعر:

كما سخرت به إرم فأضحوا مثل أحلام النيام^(٣٥٨)

الخامس: أنه اسم قبيلة من عاد، قاله قتادة.

(٣٥٧) قال الحافظ ابن كثير (٤/٥٠٧، ٥٠٨) ومن زعم أن المراد بقوله إرم ذات العماد مدينة دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو أسكندرية كما روي عن القرطبي أو غيرها ففيه نظر... إلى أن قال وإنما نهت على ذلك لثلاث يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية... الخ. فراجع فإن كلامه رصين.

(٣٥٨) قال محقق المطبوعة هكذا ورد في الأصل وهو غير موزون.

السادس: أن إرم اسم جد عاد، قاله محمد بن إسحاق، وحكى عنه أنه أبوه، وأنه عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح.
 السابع: أن معنى إرم القديمة، رواه ابن أبي نجيح.
 الثامن: أنه الهلاك، يقال: أرم بنو فلان، أي هلكوا، قاله الضحاك.
 التاسع: أن الله تعالى رمهم رمًا فجعلهم رميمًا، فلذلك سماهم، قاله السدي.

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقَاوِيلَ :

أحدها: ذات الطُول، قال ابن عباس مأخوذ من قولهم رجل معمد، إذا كان طويلًا، وزعم قتادة. أنه كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعًا.
 الثاني: ذات العمد لأنهم كانوا أهل خيام وأعمدة، ينتجعون الغيوث^(٣٥٩)، قاله مجاهد.

الثالث: ذات القوة والشدة، مأخوذ من قوة الأعمدة، قاله الضحاك، وحكى ثور بن يزيد أنه قال^(٣٦٠): أنا شداد بن عاد، وأنا الذي رفعت العمد، وأنا الذي شددت بذراعي بطن السواد^(٣٦١)، وأنا الذي كنزت كنزاً على سبعة أذرع لا تخرجه إلا أمة محمد.

الرابع: ذات العمد المحكم بالعماد، قاله ابن زيد.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ :

أحدهما: لم يخلق مثل مدينتهم ذات العمد في البلاد، قاله عكرمة.

الثاني: لم يخلق مثل قوم عاد في البلاد، لطولهم وشدتهم، قاله الحسن.

﴿وَتُؤَمِّدُونَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ :

أحدهما: يعني قطعوا الصخر ونقبوه ونحتوه حتى جعلوه بيوتاً، كما قال تعالى :

(٣٥٩) يعني أنهم كانوا ينتقلون حيث يكون المطر يطلبون الكلاً حيث كان فلا يقيمون في موضع.

(٣٦٠) وهذا الاثر رواه ابن أبي حاتم كما في الفتح (٥٧٢/٨) من طريق وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة

وفيه ألفاظ منكرة وعبد الله بن قلابة لا يعرف وفيها أيضاً عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف إلا في روايته عن

العبادلة. راجع أيضاً تفسير ابن كثير (٥٠٨/٤) فتح القدير (٤٣٥/٥).

(٣٦١) هكذا وقع في المطبوعة وهو خطأ والصواب الواد والتصويب من الفتح لابن حجر (٥٧٢/٨)

والقرطبي (٤٧/٢٠).

﴿وتنتحون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ قال الشاعر (٣٦٢):
ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالةً زائلٌ
وقال آخر (٣٦٣):

وهم ضربوا في كل صماءٍ صعدة بأيدي شديده من شداد السواعد.
الثاني: معناه طافوا لأخذ الصخر بالوادي، كما قال الشاعر (٣٦٤):

ولا رأيت قاروصاً قبلها حَمَلَتْ ستين وسقاً ولا جابت به بلدًا.
وأما «الواد» فقد زعم محمد بن إسحاق أنه وادي القرى، وروى أبو الأشهب
عن أبي نضرة قال (٣٦٥): أتى رسول الله ﷺ في غزاة تبوك على وادي ثمود، وهو على
فرس أشقر، فقال: أسرعوا السير فإنكم في وادي ملعون.

﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ فيه أربعة أقاويل:
أحدها: أن الأوتاد الجنود، فلذلك سمي بذِي الأوتاد لكثرة جنوده، قاله ابن
عباس.

الثاني: لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد يشدها في أيديهم، قاله الحسن،
ومجاهد، قال الكلبي: بمثل ذلك عذب فرعون زوجته آسية بنت مزاحم عندما آمنت
حتى ماتت.

الثالث: أن الأوتاد البنيان فسمي بذِي الأوتاد لكثرة بنائه، قاله الضحاك.
الرابع: لأنه كانت له فطال وملاعب على أوتاد وحبال يلعب له تحتها، قاله
قتادة.

ويحتمل خامساً: أنه ذو الأوتاد لكثرة نخله وشجره، لأنها كالأوتاد في الأرض.
﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ فيه أربعة أوجه:
أحدها: قسط عذاب كالعذاب بالسوط، قاله ابن عيسى.

(٣٦٢) هو لبيد بن ربيعة وقد تقدم هذا البيت.

(٣٦٣) الطبري (١٧٩/٣٠).

(٣٦٤) هو الزبير حينما نزل الكوفة راجع القرطبي (٤٨/٢٠).

(٣٦٥) وثبت من حديث ابن عمر في البخاري (٨٨/٨) ومسلم (٢٩٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم مثل ما أصابهم».

الثاني : خلط عذاب ، لأنه أنواع ومنه قول الشاعر (٣٦٦) :

أَحَارَتْ إِنَّا لَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنَا تَزِيلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمًا

الثالث : أنه وجع من العذاب ، قاله السدي .

الرابع : أنه كل شيء عذب الله به فهو سوط عذاب ، قاله قتادة .

وقال قتادة : كان سوط عذاب هو الغرق .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلْمَرَصَادِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بالطريق .

الثاني : بالانتظار ، كما قال طرفة :

أَعَاذُلُ إِنَّ الْجَهْلَ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى وَإِنَّ الْمَنَايَا لِلرِّجَالِ بِمَرَصَدٍ .

فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْلَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا

أَبْلَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَأَتَّكِرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا

تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا

﴿١٩﴾ وَتَحِبُّونَ الْكُلَّ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

﴿وتأكلون التراث أكلاً لماً﴾ والتراث : الميراث ، وفي قوله «لماً» أربعة

تأويلات :

أحدها : يعني شديداً ، قاله السدي .

الثاني : يعني جمعاً ، من قولهم لمت الطعام لماً ، إذا أكلته جمعاً ، قاله

الحسن .

الثالث : معناه سفه سفاً ، قاله مجاهد .

الرابع : هو أنه إذا أكل مال نفسه ألمّ بمال غيره فأكله ، ولا يتفكر فيما أكل من

خبث وطيب ، قاله ابن زيد .

ويحتمل خامساً : أنه ألمّ بما حرم عليه ومنع منه .

(٣٦٦) هو الملتمس اللسان مادة «سيط» وفي رواية البيت نشاط دماؤنا فتح القدير (٤٣٦/٥) روح المعاني

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني كثيراً ، قاله ابن عباس ، والجَمُّ الكثير ، قال الشاعر ^(٣٦٧) :
 إِنَّ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًا
 الثاني : فاحشاً تجمعون حلاله إلى حرامه ، قاله الحسن .
 ويحتمل ثالثاً : أنه يحب المال حب إجمام له واستبقاء فلا ينتفع به في دين ولا دنيا وهو أسوأ أحوال ذي المال .

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ وَآنِي لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَعِيَ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ وَآنِي لَهُ الذِّكْرَى﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يتوب وكيف له بالتوبة ، لأن التوبة بالقيامة لا تنفع ، قاله الضحاك .
 الثاني : يتذكر ما عمل في دنياه وما قدم لآخرته ، وآني له الذكرى في الآخرة ، وإنما ينتفع في الدنيا ، قاله ابن شجرة .

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فيه وجهان :

أحدهما : قدمت من دنياي لحياتي في الآخرة ، قاله الضحاك .

الثاني : قدمت من حياتي لمعادي في الآخرة ذكره ابن عباس .

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا﴾ قرأ الكسائي ^(٣٦٨) لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء وتأويلها على قراءته لا يعذب عذاب الكافر الذي يقول «يا ليتني قدمت لحياتي» أحد ، وقرأ الباقون بكسر الذال والثاء وتأويلها أنه لا يعذب عذاب الله أحد غفر الله له ، قاله ابن عباس والحسن ، فيكون تأويله على

(٣٦٧) تقدم تخريج هذا البيت في سورة النجم .

(٣٦٨) زاد المسير (١٢٢/٩) السبعة لابن مجاهد (ص ٦٨٥) الحجة في القراءات ٧٦٣ .

القراءة الأولى محمولاً على الآخرة، وعلى القراءة الثانية محمولاً على الدنيا.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: يعني المؤمنة، قاله ابن عباس.

الثاني: المجيبة، قاله مجاهد.

الثالث: المؤمنة بما وعد الله، قاله قتادة.

الرابع: الآمنة، وهو في حرف أبي بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة.

الخامس: الراضية، قاله مقاتل.

السادس: ما قاله بعض أصحاب الخواطر: المطمئنة إلى الدنيا، ارجعي إلى

ربك في تركها.

السابع: ما قاله الحسن أن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن

اطمأنت النفس إلى الله عز وجل، واطمأن الله إليها.

﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى جسدك عند البعث في القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني: إلى ربك عند الموت في الدنيا، قاله أبو صالح.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: إلى ثواب ربك في الآخرة.

﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رضيت عن الله ورضي عنها، قاله الحسن.

الثاني: رضيت بثواب الله ورضي بعملها، قاله ابن عباس.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في عبادي، وهو في حرف أبي بن كعب: فادخلي في عبادي.

الثاني: في طاعتي، قاله الضحاك.

الثالث: معناه فادخلي مع عبادي، قاله السدي.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: في رحمتي، قاله الضحاك.

الثاني: الجنة التي (٣٦٩) هي دار الخلود ومسكن الأبرار، وهو قول الجمهور.

(٣٦٩) ولا يختلف هذا القول عن قول الضحاك فإن الجنة من رحمة الله تعالى لعباده وفي الحديث القدسي

وقال أسامة بن زيد: بشرت النفس المطمئنة بالجنة عند الموت، وعند البعث وفي الجنة.

واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على أربعة أقاويل:

- أحدها: أنها نزلت في أبي بكر^(٣٧٠)، فروى ابن عباس أنها نزلت وأبو بكر جالس فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا، فقال ﷺ: «أما أنه سيقال لك هذا».
- الثاني: أنها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة^(٣٧١)، قاله الضحاك.
- الثالث: أنها نزلت في حمزة، قاله بريدة الأسلمي.
- الرابع: أنها عامة في كل المؤمنين، رواه عكرمة والفراء.

الصحيح «اختصمت الجنة والنار... الحديث وفيه فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء... الحديث».

(٣٧٠) ورد هذا من مرسل ابن جبير رواه ابن جرير (١٩١/٣٠) وقال ابن كثير (٥١٢/٤) هو مرسل حسن.

(٣٧١) والطريق إلى الضحاك ضعيفة لأن فيها جوبير وهو متروك. وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم كما في الدر (٥١٣/٨).

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ
﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ومعناه على أصح الوجوه:

أُقْسِمُ بهذا البلد، وفي «البلد» قولان:

أحدهما: مكة، قاله ابن عباس.

الثاني: الحرم كله، قاله مجاهد.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حل لك ما صنعتته في هذا البلد من قتال أو غيره، قاله ابن عباس

ومجاهد.

الثاني: أنت مُحِلٌّ في هذا البلد غير مُحَرَّمٍ في دخولك عام الفتح، قاله الحسن

وعطاء.

الثالث: أن يستحل المشركون فيه حرمتك وحرمة من اتبعك توبيخاً للمشركين.

ويحتمل رابعاً: وأنت حالٌ أي نازل في هذا البلد، لأنها نزلت عليه وهو بمكة

لم يفرض عليه الإحرام ولم يؤذن له في القتال، وكانت حرمة مكة فيها أعظم، والقسم بها أفخم.

﴿ووالد وما وَلَدَ﴾ فيه أربعة أوجه.

أحدها: آدم وما ولد (٣٧٢)، قاله مجاهد وقتادة والحسن والضحاك.

الثاني: أن الوالد إبراهيم وما ولد، قاله أبو عمران الجوني.

الثالث: أن الوالد هو الذي يلد، وما ولد هو العاقر الذي لا يلد، قاله ابن عباس.

الرابع: أن الوالد العاقر (٣٧٣)، وما ولد التي تلد، قاله عكرمة.

ويحتمل خامساً: أن الوالد النبي ﷺ، لتقدم ذكره، وما ولد أمته، لقوله عليه السلام (١٤٥) إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم، فأقسم به وبأتمته بعد أن أقسم بيلده مبالغة في تشريفه.

﴿لقد خلقنا الإنسان في كَبَدٍ﴾ إلى هاهنا انتهى القسم وهذا جوابه وفي قوله «في كَبَدٍ» سبعة أقاويل:

أحدها: في انتصاب في بطن أمه وبعد ولادته (٣٧٤)، خص الإنسان بذلك تشريفاً، ولم يخلق غيره من الحيوان منتصباً، قاله ابن عباس وعكرمة.

(٣٧٢) واختار الطبري القول بالعموم (١٦٩/٣٠).

(٣٧٣) وهذا القول بعيد جداً فإن هناك تضاد بين العاقر والوالد فكيف يفسر الوالد بالعاقر.

(*) جزء من حديث رواه أبو داود (رقم ٨) والنسائي (٣/١) وابن ماجه (٣١٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً. (٣٧٤) قال القرطبي (٦٣، ٦٢/٢٠) قال علماؤنا أول ما يكابد قطع سرتة ثم إذا أقمط قماطاً وشد رباطاً يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت أسنانه وتحرك لسانه ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ثم يكابد المعلم وصولته والموت وسياسته والأستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ثم يكابد شغل الأولاد والخدمة والأجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهزم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العين وغم الدين، ووجع السن وألم الأذن ويكابد مختاً في المال والنفس مثل الضرب والجس ولا يمضي عليه يوم إلا ويقاسي فيه شدة ولا يكابد إلا مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم مساءلة الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار قال الله تعالى «لقد خلقنا الإنسان في كبد» فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد ودل هذا على أن له خالقاً دبره وقضى عليه بهذه الأحوال فليمتثل أمره.

الثاني: في اعتدال، لما بيّنه بعد من قوله ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ الآيات، حكاه ابن شجرة.

الثالث: يعني من نظفة ثم من علقه ثم من مضغة، يتكبد في الخلق مأخوذ من تكبد الدم وهو غلظه، ومنه أخذ أسم الكبد لأنه دم قد غلظ، وهو معنى قول مجاهد.

الرابع: في شدة لأنها حملته كرهاً ووضعته كرهاً، مأخوذ من المكابدة، ومنه قول لبيد^(٣٧٥):

يا عين هلاً بكيتِ أريدَ إذ قُمنا وقامَ الخصومُ في كبدٍ.
رواه ابن أبي نجیح .

الخامس: لأنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، قاله الحسن.

السادس: لأنه خلق آدم في كبد السماء، قاله ابن زيد.

السابع: لأنه يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء، لأنه لا يخلو من أحدهما، رواه ابن عمر.

ويحتمل ثامناً: يريد به أنه ذو نفور وحمية، مأخوذ من قولهم لفلان كبد، إذا كان شديد النفور والحمية.

وفيمن أريد بالإنسان هاهنا قولان:

أحدهما: جميع الناس.

الثاني: الكافر يكابد شبهات.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه الله أن يبعثه بعد الموت، قاله السدي.

الثاني: أيحسب الإنسان أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، اله قتادة.

الثالث: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد بأخذ ماله، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أيحسب أن لن يذله أحد، لأن القدرة عليه ذل له.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا﴾ فيه وجهان:

(٣٧٥) اللسان كبد، الطبري (١٩٨/٣٠) روح المعاني (١٣٥/٣٠).

أحدهما: يعني كثيراً.

الثاني: مجتمعاً بعضه على بعض، ومنه سمي اللبّد لاجتماعه وتلييد بعضه على بعض.

ويحتمل ثالثاً: يعني مالاً قديماً، لاشتقاقه من الأبد، أو للمبالغة في قدمه من عهد لبّد^(٣٧٦)، لأن العرب تضرب المثل في القدم بلبّد، وذكر قدمه لطول بقائه وشدة ضنّه به.

وقيل إن هذا القائل أبو الأشد الجمحي، أنفق مالا كثيراً في عداوة رسول الله ﷺ والصد عن سبيل الله، وقيل بل هو النضر بن الحارث.

وهذا القول يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون استطالة بما أنفق فيكون طغياناً منه.

الثاني: أن يكون أسفاً عليه، فيكون ندماً منه.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن لم يره الله، قاله مجاهد.

الثاني: أن لم يره أحد من الناس فيما أنفقه، قاله ابن شجرة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أيحسب أن لم يظهر ما فعله أن لا يؤاخذ به، على وجه

التهديد، كما يقول الإنسان لمن ينكر عليه فعله، قد رأيت ما صنعت، تهديداً له، فيكون الكلام على هذا الوجه وعيداً، وعلى ما تقدم تكديباً.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ فيهما أربعة تأويلات:

أحدها: سبيل الخير والشر^(٣٧٧)، قاله علي رضي الله عنه والحسن.

الثاني: سبيل الهدى والضلالة، قاله ابن عباس.

الثالث: سبيل الشقاء والسعادة، قاله مجاهد.

الرابع: الشدين ليتغذى بهما^(٣٧٨)، قاله قتادة والربيع بن خثيم.

(٣٧٦) هو اسم نسر معروف عند العرب عمّر طويلاً.

(٣٧٧) رواه الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود وصححه الحاكم كما في الفتح (٥٧٤/٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٣٨/٧) رواه الطبراني بإسناد فيه عاصم بن أبي النجود وهو ثقة وفيه ضعف وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

(٣٧٨) وقد تعقب ابن جرير هذا القول (٢٠١/٣٠) ورجع القول الأول هنا.

قال قطرب: والنجد هو الطريق المرتفع، فأرض نجد هي المرتفعة، وأرض تهامة هي المنخفضة.
ويحتمل على هذا الاشتقاق خامساً: أنهما الجنة والنار، لارتفاعهما عن الأرض.

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ وَأَطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي
مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بُتِئْنَاهُمُ
أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنها طريق النجاة، قاله ابن زيد.

الثاني: أنها جبل في جهنم، قاله ابن عمر.

الثالث: أنها نار دون الحشر، قاله قتادة.

الرابع: أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف، قاله الضحاك، قال الكلبي: صعوداً وهبوطاً.

الخامس: أن يحاسب نفسه وهواه وعدوه الشيطان، قاله الحسن.

قال الحسن: عقبة واللّه شديدة.

ويحتمل سادساً: اقتحام العقبة خالصة من الغرض (٣٧٩).

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: اقتحام العقبة فك رقبة، قاله الزجاج.

الثاني: معناه فلم يقتحم العقبة إلا مَنْ فكَّ رقبة أو أطعم، قاله الأخفش.

ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ وهذا خطاب للنبي ﷺ ليعلمه اقتحام العقبة،

ثم بين تعالى ما تقتحم به العقبة.

فقال: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ فيه وجهان:

(٣٧٩) قال محقق المطبوعة هكذا في الأصل وربما كان الصواب خلاصه من تبعة الفرض أي الفريضة.

أحدهما: إخلاصها من الأسر.

الثاني: عتقها من الرق، وسمي المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط من رقبته، وسمي عتقاً فكها لأنه كفك الأسير من الأسر، قال حسان بن ثابت: كم من أسير فككناه بلا ثمنٍ وَجَزَّ ناصية كُنَّا مَوالِئِها وروى عقبة بن عامر الجهني أن النبي عليه السلام قال(*) : من أعتق رقبة مؤمنة فهي فداؤه من النار.

ويحتمل ثالثاً: أنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناّب المعاصي وفعل الطاعات، ولا يمنع الخير من هذا التأويل، وهو أشبه بالصواب.

ثم قال تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي مجاعة، لقحط أو غلاء. ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ ويحتمل أن يريد ذا جوار. ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: أن ذا المتربة هو المطروح على الطريق لا بيت له، قاله ابن عباس، الثاني: هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره، قاله مجاهد.

الثالث: أنه ذو العيال، قاله قتادة.

الرابع: أنه المديون، قاله عكرمة.

الخامس: أنه ذو زمانة، قاله أبو سنان.

السادس: أنه الذي ليس له أحد، قاله ابن جبير.

السابع: أن ذا المتربة: البعيد التربة، يعني الغريب البعيد عن وطنه، رواه

عكرمة عن ابن عباس.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالصبر على طاعة الله، قاله الحسن.

الثاني: بالصبر على ما افترض الله عليه، قاله هشام بن حسان.

الثالث: بالصبر على ما أصابهم، قاله سفيان.

(*) أخرجه الحاكم (٢/٢١١) من طريق الطيالسي وهو فيه (١٠٠٠) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله

شاهد عن أبي موسى الأشعري ووائل بن الاسقع أنه وافقه الذهبي على التصحيح.

قلت: وفي سنده الحسن البصري وقد عنعنه.

ورواية الطيالسي سقط منها الحسن بن قتادة بن قيس الجذامي والله أعلم.

ويحتمل رابعاً: بالصبر على الدنيا وعن شهواتها.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي بالتراحم فيما بينهم، فرحموا الناس كلهم ويحتمل ثانياً: وتواصوا بالآخرة لأنها دار الرحمة، فيتواصوا بترك الدنيا وطلب الآخرة.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ يعني الجنة، وفي تسميتهم أصحاب الميمنة أربعة

أوجه:

أحدها: لأنهم أخذوا من شق آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: لأنهم أوتوا كتابهم بأيمانهم، قاله محمد بن كعب.

الثالث: لأنهم ميامين على أنفسهم، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: لأن منزلهم عن اليمين، قاله ميمون.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالقرآن، قاله ابن جبير.

الثاني: هي جميع دلائل الله وحُججه، قاله ابن كامل.

﴿هُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ يعني جهنم، وفي تسميتهم بذلك أربعة أوجه:

أحدها: لأنهم أخذوا من شق آدم الأيسر، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: لأنهم أوتوا كتابهم بشمالهم، قاله محمد بن كعب.

الثالث: لأنهم مشائيم على أنفسهم، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: لأن منزلهم عن اليسار، وهو مقتضى قول ميمون.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: المؤصدة المطبقة، قاله ابن عباس وأبو هريرة وقتادة.

الثاني: مسدودة، قاله مجاهد.

الثالث: لها حائط لا باب له، قاله الضحاك.

سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية عند جميعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ هذان قسمان :

قَسَمٌ بالشمس ، وقَسَمَ بضحاها ، وفي ضحاها أربعة أوجه :

أحدها : هو إشراقها ، قاله مجاهد .

الثاني : انبساطها ، قاله اليزيدي .

الثالث : حرها ، قاله السدي .

الرابع : هذا النهار ، قاله قتادة .

ويحتمل خامساً : أنه ما ظهر بها من كل مخلوق ، فيكون القسم بها

وبالمخلوقات كلها .

﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ ففيه وجهان :

أحدهما : إذا ساواها ، قاله مجاهد .

الثاني : إذا تبعها ، قاله ابن عباس .

وفي اتباعه لها ثلاثة أوجه :

أحدها: أول ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس يرى القمر عند سقوطها، قاله قتادة.

الثاني: الخامس عشر من الشهر يطلع القمر مع غروب الشمس، قاله الطبري (٣٨٠).

الثالث: في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها، وتكون أمامه وهو وراءها، وإذا كان في النصف الأخير كان هو أمامها وهي وراءه، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: أنه خلفها في الليل، فكان له مثل ما لها في النهار لأن تأثير كل واحد منهما في زمانه، فللشمس النهار. وللقمر الليل.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أضواءها، يعني الشمس لأن ضوءها بالنهار يجلي ظلمة الليل، قاله مجاهد.

الثاني: أظهرها، لأن ظهور الشمس بالنهار، ومنه قول قيس بن الخطيم (٣٨١):
تجلت لنا كالشمس بين غمامة بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجب
ويحتمل ثالثاً: أن النهار جلى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر لاستناره ليلاً وانتشاره نهاراً.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أظلمها، يعني الشمس، وهو مقتضى قول مجاهد.

الثاني: يسترها، ومنه قول الخنساء (٣٨٢):

أَرْعَى النُّجُومَ وَمَا كُلُّفْتُ رِغْيَتَهَا وَتَارَةً أَتَغْشَى فَضْلَ أَطْمَارِي
﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: والسماء وبنائها، قاله قتادة.

الثاني: معناه ومن بناها وهو الله تعالى، قاله مجاهد والحسن.

ويحتمل ثالثاً: والسماء وما في بنائها، يعني من الملائكة والنجوم، فيكون هذا

(٣٨٠) جامع البيان (٢٠٨/٣٠)

(٣٨١) القرطبي (٧٤/٢٠) فتح القدير (٤٤٨/٥).

(٣٨٢) اللسان رعى.

قَسَمًا بِمَا فِي السَّمَاءِ، وَيَكُونُ مَا تَقْدِمُهُ قَسَمًا بِمَا فِي الْأَرْضِ.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه بَسَطَها، قاله سفيان وأبو صالح.

الثاني: معناه قَسَمَها، قاله ابن عباس.

الثالث: يعني ما خلق فيها، قاله عطية العوفي، ويكون طحّاها بمعنى خلقها،

قال الشاعر (٣٨٣):

وما تَدْرِي جَذِيمَةُ مَنْ طَحَّاها ولا من ساكنُ العَرْشِ الرَفِيعِ

ويحتمل رابعاً: أنه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز، لأنه حياة لما خلق

عليها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ في النفس قولان:

أحدهما: آدم، ومن سواها: الله تعالى، قاله الحسن.

الثاني: أنها كل نفس.

وفي معنى سواها على هذا القول وجهان:

أحدهما: سوى بينهم في الصحة، وسوى بينهم في العذاب جميعاً، قاله ابن

جريج.

الثاني: سوى خلقها وعدل خلقها، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: سَوَّاهَا بالعقل الذي فضلها به على جميع الحيوانات.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ في «أَلْهَمَهَا» تأويلان:

أحدهما: أعلمها، قاله مجاهد.

الثاني: ألزَمَها (٣٨٤)، قاله ابن جبير.

وفي «فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا» ثلاثة تأويلات:

أحدها: الشقاء والسعادة، قاله مجاهد.

الثاني: الشر والخير، قاله ابن عباس.

الثالث: الطاعة والمعصية، قاله الضحاك.

(٣٨٣) فتح القدير (٤٤٩/٥) القرطبي (٧٥/٢٠).

(٣٨٤) يعني أن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور فالخلق لله والإنسان له القدرة على الاختيار وسلوك أي الطريقين.

ويحتمل رابعاً: الرهبة والرغبة لأنهما داعيا الفجور والتقوى.

وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس^(٣٨٥) أن النبي عليه السلام كان إذا قرأ هذه الآية «فألهمها فجورها وتقواها» رفع صوته: اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وأنت خير من زكاها.

﴿قد أفلح من زكاها﴾ على هذا وقع القسم، قال ابن عباس: فيها أحد عشر قسماً.

وفيه وجهان: أحدهما: قد أفلح من زكى الله نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال.

الثاني: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال.
وفي زكاها وجهان:

أحدهما: طهرها، وهو قول مجاهد.

الثاني: أصلحها، وهو قول سعيد بن جبير.

﴿وقد خاب من دساها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على ما قضى وقد خاب من دسى الله نفسه.
الثاني: من دسى نفسه.

وفي «دساها» سبعة تأويلات:

أحدها: أغواها وأضلها، قاله مجاهد وسعيد بن جبير، لأنه دسى نفسه في المعاصي، ومنه قول الشاعر^(٣٨٦):

وأنت الذي دسيت عمراً فأصبحت حلائلهم فيهم أرامل ضيعة
الثاني: إثمها وفجورها، قاله قتادة.

الثالث: خسرها، قاله عكرمة.

(٣٨٥) وهذه رواية ابن أبي حاتم ونقلها ابن كثير (٤١٦/٤) وهذا سند ضعيف لأن فيها جوير وهو متروك والضحاك لم يلق ابن عباس كما قال ابن كثير قلت: وله طريق أخرى عن ابن عباس فيها ابن لهيعة رواها الطبراني وقال الهيثمي في المجمع (١٣٨/٧) إسناده حسن وزاد السيوطي في الدر (٥٢٩/٨) نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

ولحديث ابن عباس شاهد من حديث أبي هريرة رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥١٦/٨) وله شاهد أيضاً من حديث عائشة وزيد بن أرقم راجع الدر (٥٢٩/٨).

(٣٨٦) القرطبي (٧٧/٢٠) روح المعاني (١٤٣/٢٠) فتح القدير (٤٤٩/٥) اللسان دساوفيه:

أنت الذي دسيت عمراً فأصبحت نساؤهم فيهم أرامل ضيع

الرابع : كذبها، قاله ابن عباس .

الخامس : أشقاها، قاله ابن سلام .

السادس : جنبها في الخير، وهذا قول الضحاك .

السابع : أخفاها وأخملها بالبخل، حكاه ابن عيسى .

كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا ﴿١١﴾ إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَفَسَّوْنَهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : بطغيانها ومعصيتها، قاله مجاهد وقتادة .

الثاني : بأجمعها، قاله محمد بن كعب .

الثالث : بعذابها، قاله ابن عباس .

قالوا كان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى .

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه فغضب عليهم .

الثاني : معناه فأطبق عليهم .

الثالث : معناه فدمر عليهم، وهو مثل دمدم، كلمة بالحشية نطقت بها العرب .

﴿فَسَّوْنَهَا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فسوى بينهم في الهلاك، قاله السدي ويحيى بن سلام .

الثاني : فسوى بهم الأرض، ذكره ابن شجرة .

ويحتمل ثالثاً : فسوى من بعدهم من الأمم .

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ولا يخاف الله عقبي ما صنع بهم من الهلاك، قاله ابن عباس .

الثاني : لا يخاف الذي عقرها عقبي ما صنع من عقرها، قاله الحسن .

ويحتمل ثالثاً : ولا يخاف صالح عقبي عقرها، لأنه قد أنذرهم ونجاه الله تعالى

حين أهلكهم .

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾
وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾

قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : إذا أظلم ، قاله مجاهد .

الثاني : غطى وستر ، قاله ابن جبير .

الثالث : إذا غشى الخلائق فعمهم وملأهم ، قاله قتادة ، وهذا قسم .

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إذا أضاء ، قاله مجاهد .

الثاني : إذا ظهر ، وهو مقتضى قول ابن جبير .

ويحتمل ثالثاً : إذا أظهر ما فيه من الخلق ، وهذا قسم ثانٍ .

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ قال الحسن : معناه والذي خلق الذكر والأنثى (٣٨٧)

فيكون هذا قسماً بنفسه تعالى .

ويحتمل ثانياً : وهو أشبه من قول الحسن أن يكون معناه وما خلق من الذكر

(٣٨٧) وإلى هذا القول ذهب الشوكاني (٤٥٢/٥) .

والأنثى، فتكون «من» مضمرة المعنى محذوفة اللفظ، وميزهم بخلقهم من ذكر وأنثى عن الملائكة الذين لم يخلقوا من ذكر وأنثى، ويكون القسم بأهل طاعته من أوليائه وأنبيائه، ويكون قسمه بهم تكريمة لهم وتشريفاً.

وفي المراد بالذكر والأنثى قولان:

أحدهما: آدم وحواء، حكاها ابن عيسى.

الثاني: من كل ذكر وأنثى.

فإن حمل على قول الحسن فكل ذكر وأنثى من آدمي وبهيمة، لأن الله خلق جميعهم.

وإن حمل على التخريج الذي ذكرت أنه أظهر، فكل ذكر وأنثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته، وهذا قسم ثالث:

﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَتَّى﴾ أي مختلف، وفيه وجهان:

أحدهما: لمختلف الجزاء، فمنكم مثاب بالجنة، ومنكم معاقب بالنار.

الثاني: لمختلف الأفعال، منكم مؤمن وكافر، وبر وفاجر، ومطيع وعاص.

ويحتمل ثالثاً: لمختلف الأخلاق، فمنكم راحم وقاس، وحليم وطائش، وجواد وبخيل، وعلى هذا وقع القسم.

وروى ابن مسعود^(٣٨٨) أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وفي أمية وأبي ابني خلف حين عذبا بلالاً على إسلامه، فاشتراه أبو بكر. ووفى ثمنه بركة وعشر أواق، وأعتقه لله تعالى، فنزل ذلك فيه.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ قال ابن مسعود يعني أبا بكر.

وفي قوله «أعطى» ثلاثة أوجه:

أحدها: من بذل ماله، قاله ابن عباس.

الثاني: اتقى محارم الله التي نهى عنها، قاله قتادة.

الثالث: اتقى البخل، قاله مجاهد.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: بتوحيد الله، وهو قول لا إله إلا الله، قاله الضحاك.

(٣٨٨) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن مسعود كما في الدر (٥٣٤/٨).

الثاني : بموعد الله ، قاله قتادة .

الثالث : بالجنة ، قاله مجاهد .

الرابع : بالشواب ، قاله خفيف .

الخامس : بالصلاة والزكاة والصوم ، قاله زيد بن أسلم .

السادس : بما أنعم الله عليه ، قاله عطاء .

السابع : بالخلف من عطائه ، قاله الحسن ، ومعاني أكثرها متقاربة .

﴿فَسَيُسَّرُّهُ لِلْيُسْرَى﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : للخير ، قاله ابن عباس .

الثاني : للجنة ، قاله زيد بن أسلم .

ويحتمل ثالثاً : فسيسر (٣٨٩) له أسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ قال ابن مسعود : يعني بذلك أمية وأبياً ابني خلف .

وفي قوله «بخل» وجهان :

أحدهما : بخل بماله الذي لا يبقى ، قاله ابن عباس والحسن .

الثاني : بخل بحق الله تعالى ، قاله قتادة .

«واستغنى» فيه وجهان :

أحدهما : بماله ، قاله الحسن .

الثاني : عن ربه ، قاله ابن عباس .

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ فيه التأويلات السبعة (٣٩٠) .

﴿فَسَيُسَّرُّهُ لِلْعُسْرَى﴾ فيه وجهان :

أحدهما : للشر من الله تعالى ، قاله ابن عباس .

الثاني : للنار ، قاله ابن مسعود .

ويحتمل ثالثاً : فسنعسر عليه أسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها

فعند نزول هاتين الآيتين يروي قتادة عن خلود عن أبي الدرداء أن (٣٩١) رسول الله ﷺ

(٣٨٩) وهذا يدل على أن للإنسان مشيئة واختيار وإرادة وأن العمل لا ينافي القدر السابق .

(٣٩٠) يعني المتقدم ذكرها في قوله «وصدق بالحسنى» .

(٣٩١) رواه البخاري (٢٤١/٣) ومسلم (١٠١٠) وأحمد (١٩٧/٥) من حديث أبي هريرة وأما حديث أبي

الدرداء فقد رواه الطبري (٢٢١/٣٠) .

قال : «ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا و ملكان يناديان : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ .

الآية والتي بعدها .

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إذا تردى في النار، قاله أبو صالح وزيد بن أسلم .

الثاني : إذا مات فتردى في قبره، قاله مجاهد وقناة .

ويحتمل ثالثاً : إذا تردى في ضلاله وهوى في معاصيه .

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن نبين سبل الهدى والضلالة، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : بيان الحلال والحرام، قاله قناة .

ويحتمل ثالثاً : علينا ثواب هداه الذي هدينا .

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ثواب الدنيا والآخرة، قاله الكلبي والفراء .

الثاني : ملك الدنيا وملك الآخرة، قاله مقاتل .

ويحتمل ثالثاً : الله المُجَازِي في الدنيا والآخرة .

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه تنغيظ، قاله الكلبي .

الثاني : تشتعل، قاله مقاتل .

الثالث : تنهج (٣٩٢)، قاله مجاهد، وأنشد لعلي رضي الله عنه :

(٣٩٢) ذكره البخاري معلقاً كما في الفتح (٥٧٧/٨) وجزم به ووصفه الفريابي كما ذكر الحافظ .

كَأَنّ الْمَلْحَ خَالَطَهُ إِذَا مَا تَلَطَّى كَالْعَقِيقَةِ فِي الظَّلَالِ
﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أَيِ الشَّقِيِّ .

﴿الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ فِيهِ وَجْهَانِ :

أحدهما : كَذَبَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، قَالَ قَتَادَةُ .

الثاني : كَذَبَ الرَّسُولَ وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ .

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ فِيهِ وَجْهَانِ :

أحدهما : وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ نِعْمَةٍ يُجَازِيهِ بِهَا إِلَّا أَنْ يَفْعَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ

رَبِّهِ فَيَسْتَحِقَّ عَلَيْهَا الْجِزَاءَ وَالْثَوَابَ ، قَالَ قَتَادَةُ .

الثاني : وَمَا لِبَلَالٍ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حِينَ اشْتَرَاهُ فَأَعْتَقَهُ مِنَ الرِّقِّ وَخَلَّصَهُ مِنَ الْعَذَابِ

نِعْمَةً سَلَفَتْ جَازَاهُ عَلَيْهَا بِذَلِكَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ وَعَتَقَهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ .

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :

أحدهما : يَرْضَى بِمَا أُعْطِيَهِ لِسَعْتِهِ .

الثاني : يَرْضَى بِمَا أُعْطِيَهِ لِقَنَاعَتِهِ ، لِأَنَّهُ مِنْ قَنَعَ بِغَيْرِ عَطَاءٍ كَانَ أَطْوَعَ لِلَّهِ .

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ
الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

قوله تعالى ﴿والضحى﴾ هو قَسَمٌ، وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس، قاله السدي.

الثاني: أنه صدر النهار، قاله قتادة.

الثالث: هو طلوع الشمس، قاله قطرب.

الرابع: هو ضوء النهار في اليوم كله، مأخوذ من قولهم ضحى فلان الشمس،

إذا ظهر لها، قاله مجاهد، والاشتقاق لعلي بن عيسى.

﴿والليل إذا سجي﴾ وهو قَسَمٌ ثانٍ، وفيه خمسة تأويلات:

أحدها: إذا أقبل، قاله سعيد بن جبیر.

الثاني: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

الثالث: إذا استوى، قاله مجاهد.

الرابع: إذا ذهب، قاله ابن حنظلة عن ابن عباس.

الخامس: إذا سكن الخلق فيه، قاله عكرمة وعطاء وابن زيد، مأخوذ من قولهم سجي البحر إذا سكن، وقال الراجز (٣٩٣):

يا حبذا القمرأ والليل الساج وطُرُقٌ مِثْلُ ملاءِ النَّسَاجِ
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ اختلف في سبب نزولها، فروى الأسود بن قيس (٣٩٤) عن جندب أن رسول الله ﷺ رمي بحجر في إصبعه فدميت، فقال:

هل أنت إلا أصبَعُ دَمِيتِ وفي سبيل الله ما لَقِيتِ
قال فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت له امرأة يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزل عليه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. وروى هشام عن عروة (٣٩٥) عن أبيه قال (٣٩٦): أبطأ جبريل عن النبي ﷺ فجزع لذلك جزعاً شديداً، قالت عائشة: فقال كفار قريش: إنا نرى ربك قد قلاك، مما رأوا من جزعه، فنزلت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، وروى ابن جريج (٣٩٧) أن جبريل لبث عن النبي ﷺ اثني عشرة ليلة فقال المشركون: لقد ودع محمداً ربّه، فنزلت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. وفي «ودَّعَكَ» قراءتان:

أحدهما: قراءة الجمهور ودَّعَكَ بالتشديد، ومعناها: ما اتقطع الوحي عنك توديعاً لك.

والثانية: بالتخفيف (٣٩٨)، ومعناها: ما تركك إغراضاً عنك.

«وما قلى» أي ما أبغضك، قال الأخطل:

(٣٩٣) رواه الطبري (٢٣٠/٣٠) ونسبهما الزجاج للحارث، الكامل (١٦/١) والقرطبي (٩١/٢٠) اللسان سجي.

(٣٩٤) رواه الترمذي (٣٣٤٥): وصححه والطبري (٢٣١/٣٠) بنحوه مختصراً وابن أبي حاتم واللفظ له كما في الدر (٥٤٠/٨).

وقال الحافظ ابن كثير (٥٢٢/٤) بعد أن أورده من رواية ابن أبي حاتم و«وحق له هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سبباً لتركة القيام ونزول هذه السورة.

(٣٩٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب هشام بن عروة عن أبيه والتصويب من الطبري (٢٣٢/٣٠) وابن كثير (٥٢٢/٤).

(٣٩٦) رواه الطبري (٢٣٢/٣٠).

(٣٩٧) وهذا من مراسيل ابن جريج.

(٣٩٨) وهي قراءة عمر بن الخطاب وأنس وعروة وأبي العالية وابن يعمر وابن أبي عبله وأبي حاتم عن يعقوب زاد المسير (١٥٧/٩).

المهديات لمن هوين نسيئةً والمحسنات لمن قلّين مقيلاً
﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ روى ابن عباس قال (٣٩٩): عرض على رسول
الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده، فسّر بذلك، فأنزل الله تعالى: «وَلِلْآخِرَةِ
خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» الآية.

وفي قوله ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ وجهان:

أحدهما: وللآخرة خير لك مما أعجبك في الدنيا، قاله يحيى بن سلام.
الثاني: أن مالك في مرجعك إلى الله تعالى أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا،
قاله ابن شجرة.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعطيك من النصر في الدنيا، وما يرضيك من إظهار الدين.
الثاني: يعطيك المنزلة في الآخرة، وما يرضيك من الكرامة.
﴿أَلَمْ يَجْعَلْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ واليتيم بموت الأب، وقد كان رسول الله ﷺ فقد
أبويه وهو صغير، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات فكفله عمه أبو طالب، وفيه
وجهان:

أحدهما: أنه أراد يتم الأبوة بموت من فقدته من أبويه، فعلى هذا في قوله تعالى
«فَآوَى» وجهان:

أحدهما: أي جعل لك مأوى لتربيتك، وقيماً يحنو عليك ويكفلك وهو أبو
طالب بعد موت عبد الله وعبد المطلب، قاله مقاتل.
الثاني: أي جعل لك مأوى نفسك، وأغناك عن كفالة أبي طالب، قاله
الكلبي.

والوجه الثاني: أنه أراد باليتيم الذي لا مثيل له ولا نظير، من قولهم درة
يتيمة، إذا لم يكن لها مثيل، فعلى هذا في قوله «فَآوَى» وجهان:
أحدهما: فأواك إلى نفسه واختصك برسالته.

(٣٩٩) رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير وفي إسناده الأوسط معاوية بن أبي العباس قال الهيثمي لم أعرفه
المجمع (١٣٩/٧) وأما إسناده الكبير فحسنة ورواه الطبري بنحوه (٢٣٢/٣٠) والحاكم (٥٢٦/٢)
وصححه سننه ابن كثير (٥٢٢/٤).

الثاني: أن جعلك مأوى الأيتام بعد أن كنت يتيمًا، وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولًا، تذكيرًا بنعمه عليه، وهو محتمل.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه، قاله ابن عيسى.

الثاني: ووجدك ضالًّا عن النبوة فهداك إليها، قاله الطبري^(٤٠٠).

الثالث: ووجد قومك في ضلال فهداك إلى إرشادهم، وهذا معنى قول

السدي.

الرابع: ووجدك ضالًّا عن الهجرة فهداك إليها.

الخامس: ووجدك ناسيًا فأذكرك، كما قال تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾.

السادس: ووجدك طالبًا القبلة فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى الطلب،

لأن الضال طالب.

السابع: ووجدك متحيرًا في بيان ما نزل عليك فهداك إليه، فيكون الضلال

بمعنى التحير، لأن الضال متحير.

الثامن: ووجدك ضائعًا في قومك فهداك إليه، ويكون الضلال بمعنى الضياع،

لأن الضال ضائع.

التاسع: ووجدك محبًّا للهداية فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى المحبة،

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي في محبتك، قال الشاعر:

هذا الضلال أشاب مِنِّي المفرقا والعارضين ولم أكن مُتَحَقِّقًا

عَجَبًا لِعَزَّةٍ فِي اخْتِيَارِ قَطِيعَتِي بعد الضلال فحبُّها قد أخلَقًا

وقرأ الحسن: ووجدك ضالًّا فهدي، أي وجدك الضالًّا فاهتدى بك،

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: وجدك ذا عيال فكفاك، قاله الأخفش، ومنه قول جرير^(٤٠١):

اللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ فَرِيضَةً لابن السبيل وللفقير العائل

الثاني: فقيرًا فيسر لك، قاله الفراء، قال الشاعر^(٤٠٢):

(٤٠٠) جامع البيان (٢٣٢/٣٠).

(٤٠١) القرطبي (٩٩/٢٠) فتح القدير (٤٥٨/٥) روح المعاني (١٦٣/٣٠).

(٤٠٢) وهو أحيحة بن الجلاح الأوسي والبيت في معاني القرآن للفراء (٢٥٥/١) الطبري

وما يَذْري الفقيرُ متى غناه وما يَذْري الغني متى يَعِيلُ
أي متى يفتقر.

الثالث: أي وجدك فقيراً من الحُجج والبراهين، فأغناك بها.

الرابع: ووجدك العائلُ الفقير فأغناه الله بك، روي أن النبي ﷺ قال بصوته الأعلى ثلاث مرات: «يَمُنُّ ربي عليّ وهو أهلُ المَن».

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: فلا تحقر، قاله مجاهد.

الثاني: فلا تظلم، رواه سفيان.

الثالث: فلا تستذل، حكاه ابن سلام.

الرابع: فلا تمنعه حقه الذي في يدك، قاله الفراء.

الخامس: ما قاله قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم، وهي في قراءة ابن مسعود:

فلا تَكْهَرْ، قاله أبو الحجاج: الكهر الزجر.

روى أبو عمران الجوني عن أبي هريره أن رجلاً^(٤٠٤) شكى إلى النبي ﷺ قسوة

قلبه، فقال: «إن أردت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين».

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ في رده إن منعته، ورّده برحمة ولين، قاله قتادة.

الثاني: السائل عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة، وأجبه برفق ولين، قاله

سفيان.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ في هذه النعمة ثلاثة تأويلات:

أحدها: النبوة، قاله ابن شجرة، ويكون تأويل قوله فحدث أي ادع قومك.

الثاني: أنه القرآن، قاله مجاهد، ويكون قوله: فحدث أي فبلغ أمتك.

الثالث: ما أصاب من خير أو شر، قاله الحسن.

«فحدث» فيه على هذا وجهان:

أحدهما: فحدث به الثقة من إخوانك، قاله الحسن.

الثاني: فحدث به نفسك، وندب إلى ذلك ليكون ذكراً شكرياً.

(٥٤٩/٧) (٢٣٣/٣٠) والقرطبي (٩٩/٢٠) مجاز القرآن (٣٠٢/٢) اللسان (عيل) فتح القدير

(٤٥٨/٥).

(٤٠٣) رواه ابن مردويه والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر (٥٤٤/٨).

(٤٠٤) رواه أحمد (٢٦٣/٢).

سُورَةُ الْإِنشِرَاحِ

مكية بالإجماع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ
﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وهذا تقرير من الله تعالى لرسوله ﷺ عند
انشراح صدره لما حمله من نبوته.

وفي «نشرح» وجهان:

أحدهما: أي أزال همك منك حتى تخلو لما أمرت به.

الثاني: أي نفتح لك صدرك ليتسع لما حملته عنه فلا يضيق، ومنه تشريح
اللحم لأنه فتحه لتقديده.

وفيما شرح صدره ثلاثة أقاويل:

أحدها: الإسلام، قاله ابن عباس.

الثاني: بأن ملئ حكمة وعلماً، قاله الحسن.

الثالث: بما منّ عليه من الصبر والاحتمال، قاله عطاء.

ويحتمل رابعاً: بحفظ القرآن وحقوق النبوة.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: وغفرنا لك ذنبك، قاله مجاهد، وقال قتادة: كان للنبي ذنوب أثقلت فغفرها الله تعالى له.

الثاني: وحططنا عنك ثقلك، قاله السدي. وهي في قراءة ابن مسعود: وحللنا عنك وقرك.

الثالث: وحفظناك قبل النبوة في الأربعين من الأدناس حتى نزل عليك الوحي وأنت مطهر من الأدناس.

ويحتمل رابعاً: أي أسقطنا عنك تكليف ما لم تُطَقه، لأن الأنبياء وإن حملوا من أثقال النبوة ما يعجز عنه غيرهم من الأمة فقد أعطوا من فضل القوة ما يستعينون به على ثقل النبوة، فصار ما عجز عنه غيرهم ليس بمطابق.

﴿الذي أنقضَ ظَهْرَكَ﴾ أي أثقل ظهرك، قاله ابن زيد كما ينقض البعير من الحمل الثقيل حتى يصير نقضاً.

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أثقل ظهره بالذنوب حتى غفرها.

الثاني: أثقل ظهره بالرسالة حتى بلغها.

الثالث: أثقل ظهره بالنعم حتى شكرها.

﴿ورفعنا لك ذِكْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ورفعنا لك ذكرك بالنبوة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: ورفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا.

الثالث: أن تذكر معي إذا ذكرت، روى أبو سعيد الخدري (٤٠٥) عن النبي ﷺ

أنه قال: أتاني جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقول أتدري كيف رفعت

ذكرك؟ فقال: الله أعلم، فقال: إذا ذكرتُ ذِكرتُ، قاله قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا

والآخرة، فليس خطيب يخطب ولا يتشهد، ولا صاحب صلاة إلا ينادي:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فيه وجهان:

(٤٠٥) رواه ابن جرير (٢٣٥/٣٠) وسنده ضعيف.

وزاد السيوطي في الدر (٤٥٩/٨) نسبه لابن مردويه وابن المنذر وأبي نعيم في الدلائل وأبي يعلى.

أحدهما: إن مع اجتهد الدنيا خير الآخرة.

الثاني: إن مع الشدة رخاء، ومع الصبر سعة، ومع الشقاوة سعادة، ومع الحزونة سهولة.

ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن مع العسر يسراً عند الله ليفعل منهما ما شاء.

الثاني: إن مع العسر في الدنيا يسراً في الآخرة.

الثالث: إن مع العسر لمن بُلي يسراً لمن صبر واحتسب بما يوفق له من القناعة أو بما يعطى من السعة.

قال ابن مسعود^(٤٠٦): والذي نفسي بيده لو كان العسر في حَجَرٍ لطلبه اليسر حتى يدخل عليه «ولن يغلب عسرٌ يُسرَيْن».

وإنما كان العسر في الموضعين واحداً، واليسر اثنين، لدخول الألف واللام على العسر، وحذفها من اليسر.

وفي تكرار «مع العسر يسراً» وجهان:

أحدهما: ما ذكرنا من أفراد العسر وتثنية اليسر، ليكون أقوى للأمل وأبعث على الصبر، قاله ثعلب.

الثاني: للإطناب والمبالغة، كما قالوا في تكرار الجواب فيقال بلى بلى، لا لا، قاله الفراء وقال الشاعر^(٤٠٧):

هَمَمْتُ بِنَفْسِي بَعْضَ الْهُمُومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِي أَوْلَى لَهَا.
﴿فَإِذَا فَرَّغْتَ فَانصَبْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: فإذا فرغت من الفرائض فانصب من قيام الليل، قاله ابن مسعود.

الثاني: فإذا فرغت من صلاتك فانصب في دعائك، قاله الضحاك.

(٤٠٦) ورد هذا الحديث موصولاً ومرسلاً.

ورواية المؤلف هنا أخرجهما عبد بن حميد وسندها جيد كما قال الحافظ في الفتح (٥٨٣/٨) وزاد السيوطي في الدر (٥٥١/٨) نسبته لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في الصبر وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤٠٧) هي الخنساء وتقدم تخريج هذا البيت في سورة القيامة.

- الثالث: فإذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك، قاله الحسن وقتادة.
- الرابع: فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك، قاله مجاهد.
- ويحتمل تأويلاً خامساً: فإذا فرغت من إبلاغ الرسالة فانصب لجهاد عدوك.
- ﴿وإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:
- أحدها: فارغب إليه في دعائك، قاله ابن مسعود.
- الثاني: في معونتك.
- الثالث: في إخلاص نيتك، قاله مجاهد.
- ويحتمل رابعاً: فارغب إليه في نصرك على أعدائك.

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: هي مدنية.

قوله تعالى ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ هما قَسَمَان، وفيهما ثمانية تأويلات: أحدها: أنهما التين والزيتون المأكولان، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد. الثاني: أن التين دمشق، والزيتون بيت المقدس، قاله كعب الأحبار وابن زيد (٤٠٨).

الرابع: أن التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس، قاله الحارث وابن زيد.

الخامس: الجبل الذي عليه التين، والجبل الذي عليه الزيتون، قاله ابن قتيبة، وهما جبلان بالشام يقال لأحدهما طور زيتا، وللآخر طور تينا، وهو تأويل الربيع.

(٤٠٨) لاحظ أن التأويل الثالث لم يذكر.

والأولى تفسير الآية على ظاهرها لأنه لا دليل على صرفها عن ظاهرها واختار ابن جرير (٢٣٨/٣٠) القول الأول وهو الصواب.

وحكى ابن الأنباري أنهما جبلان بين حلوان وهمدان، وهو بعيد.
السادس: أن التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد ايليا، قاله
محمد بن كعب.

السابع: أن التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي، والزيتون
مسجد بيت المقدس، قاله ابن عباس.

الثامن: أنه أراد بهما نعم الله تعالى على عباده التي منها التين والزيتون، لأن
التين طعام، والزيتون إدام.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو قَسَم ثالث وفيه قولان:

أحدهما: أنه جبل بالشام، قاله قتادة.

الثاني: أنه الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، قاله كعب
الأخبار.

وفي قوله «سينين» أربعة أوجه:

أحدها: أنه الحسن بلغة الحبشة، ونطقت به العرب، قاله الحسن وعكرمة.

الثاني: أنه المبارك، قاله قتادة.

الثالث: أنه اسم البحر^(٤٠٩)، حكاه ابن شجرة.

الرابع: أنه اسم للشجر الذي حوله، قاله عطية.

﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني بالبلد مكة وحرمها، وفي الأمين وجهان:

أحدهما: الأمن أهله من سبي أو قتل، لأن العرب كانت تكف عنه في الجاهلية
أن تسبي فيه أحداً أو تسفك فيه دمًا.

الثاني: يعني المأمون على ما أودعه الله تعالى فيه من معالم الدين، وهذا قَسَم
رابع.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ وفي المراد بالإنسان هاهنا قولان:

أحدهما: أنه أراد عموم الناس، وذكر الإنسان على وجه التكثير لأنه وصفه بما
يعم لجميع الناس.

الثاني: أنه أراد إنساناً بعينه عنه بهذه الصفة، وإن كان صفة الناس.

(٤٠٩) هكذا في الأصل ولعل الصواب الجبل.

واختلف فيمن أَرادَهُ اللهُ تعالى ، على خمسة أوجه :

أحدها : أنه عنى كلدة بن أسيد ، قاله ابن عباس .

الثاني : أبا جهل ، قاله مقاتل (*) .

الخامس : أنه عنى رسول الله ﷺ .

وفي قوله ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أربعة أقاويل :

أحدها : في أعدل خلق (٤١٠) ، قاله ابن عباس .

الثاني : في أحسن صورة ، قاله أبو العالية .

الثالث : في شباب وقوة ، قاله عكرمة .

الرابع : منتصب القامة ، لأن سائر الحيوان مُنْكَبٌّ غير الإنسان ، فإنه منتصب ،

وهو مروي عن ابن عباس .

ويحتمل خامساً : أي في أكمل عقل ، لأن تقويم الإنسان بعقله ، وعلى هذا وقع

القَسَم .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إلى الهرم بعد الشباب ، والضعف بعد القوة ، قاله الضحاك والكلبي ،

ويكون أسفل بمعنى بعد التمام .

الثاني : بعد الكفر ، قاله مجاهد وأبو العالية ، ويكون أسفل السافلين محمولاً

على الدرك الأسفل من النار .

ويحتمل ثالثاً : إلى ضعف التمييز بعد قوّته .

﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ فيه ستة أوجه :

أحدها : غير منقوص ، قاله ابن عباس ، وقال الشاعر :

يا عين جودي بدمع غير ممنون
.....

الثاني : غير محسوب ، قاله مجاهد .

الثالث : غير مكدر باليمن والأذى ، قاله الحسن .

الرابع : غير مقطوع ، قاله ابن عيسى .

(*) لاحظ أن الوجهين الثالث والرابع غير مذكورين فلقد سقطا من الأصل .

(٤١٠) رواه ابن المنذر عنه بسند حسن كما قال الحافظ في الفتح (٨/٥٨٤) .

الخامس: أجر بغير عمل، قاله الضحاك.

وحكي أن من بلغ الهرم كتب له أجر ما عجز عنه من العمل الصالح.

السادس: أن لا يضر كل أحد منهم ما عمله في كبره، قاله ابن مسعود.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حكم الله تعالى، قاله ابن عباس.

الثاني: الجزاء، ومنه قول الشاعر (٤١١):

دَنَا تَمِيمًا كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا دَانَتْ أَوَائِلُهُمْ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ وهذا تقرير لمن اعترف من الكفار بصانع

قديم، وفيه وجهان:

أحدهما: بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً، قاله ابن عيسى.

الثاني: أحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلاً بين الخلق وفيه مضمحل محذوف،

وتقديره: فلم ينكرون مع هذه الحال البعث والجزاء.

وكان علي رضي الله عنه إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ قال: بلى وأنا

على ذلك من الشاهدين، ونختار ذلك.

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ روي عن عبيد بن عمير^(٤١٢) قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ أول ما أتاه بنمط فغطه فقال: اقرأ، فقال: واللّه ما أنا بقارىء، فغطه ثم قال: اقرأ، فقال: واللّه ما أنا بقارىء، فغطه غطاءً شديداً ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أي استفتح قراءتك باسم ربك الذي خلق وإنما قال الذي خلق لأن قريشاً كانت تعبد آلهة ليس فيهم خالق غيره تعالى، فميّز نفسه بذلك ليزول عنه الالتباس.

روت عائشة^(٤١٣) رضي الله عنها أنها أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ثم بعدها «نون والقلم»، ثم بعدها «يا أيها المدثر» ثم بعدها «الضحى».

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ يريد بالإنسان جنس الناس كلهم، خلقوا من علق بعد النطفة، والعلق جمع علقة، والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق

(٤١٢) وهذا السياق رواه ابن إسحق في السيرة (٢٥٣/١).

ورواه البخاري (٥٨٥/٨) والطبري (٢٥١/٣٠) وغيره من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٤١٣) رواه ابن الأنباري عنها في كتاب المصاحف كما في الدر (٥٦٢/٨).

لرطوبتها بما تمر عليه، فإذا جفت لم تكن علقه، قال الشاعر^(٤١٤):

تَرْكُنَاهُ يَخْرُ عَلَى يَدَيْهِ يَمْجُ عَلَيْهِمَا عَلَقَ الْوَتِينَ
ويحتمل مراده بذلك وجهين:

أحدهما: أن يبين قدر نعمته على الإنسان بأن خلقه من علقه مهية حتى صار بشراً سوياً وعاقلاً متميزاً.

الثاني: أنه كما نقل الإنسان من حال إلى حال حتى استكمل، كذلك نقلك من الجهالة إلى النبوة حتى تستكمل محلها.
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي الكريم.

ويحتمل ثانياً: اقرأ بأن ربك هو الأكرم، لأنه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على نعمة كرمه. قال إبراهيم بن عيسى الشكري: من كرمه أن يرزق عبده وهو يعبد غيره.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي عَلَّمَ الكاتب أن يكتب بالقلم، وسمي قلماً لأنى يقلم أي يقطع، ومنه تقليم الظفر.

وروى مجاهد عن ابن عمر قال: خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال لسائر الخلق: كن، فكان، القلم والعرش وجنة عدن وآدم.

وفيمن علمه بالقلم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أراد آدم عليه السلام، لأنه أول من كتب، قاله كعب الأحبار.

الثاني: إدريس وهو أول من كتب، قاله الضحاك.

الثالث: أنه أراد كل من كتب بالقلم، لأنه ما علم إلا بتعليم الله له، وجمع بذلك بين نعمته تعالى عليه في خلقه وبين نعمته تعالى عليه في تعليمه استكمالاً للنعمة عليه.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الخط بالقلم، قاله قتادة وابن زيد.

الثاني: علمه كل صنعة علمها فتعلم، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: علمه من حاله في ابتداء خلقه ما يستدل به على خلقه وأن ينقله

من بعد على إرادته.

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ ﴿١٩﴾

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ في «كلا» هاهنا وجهان :

أحدهما : أنه ردّ وتكذيب ، قاله الفراء .

الثاني : أنه بمعنى إلا ، وكذلك ﴿كلا سوف يعلمون﴾ ، قاله أبو حاتم

السجستاني .

وفي قوله «ليطغى» أربعة أوجه :

أحدها : معناه ليعصى ، قاله مجاهد .

الثاني : ليطر ، قاله الكلبي .

الثالث : ليرتفع من منزلة إلى منزلة ، قاله السدي .

الرابع : ليتجاوز قدره ، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ . قاله ابن شجرة .

﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ أي عن ربه ، قاله ابن عباس .

ويحتمل ثانياً : استغنى بماله وثروته ، وقال الكلبي : نزلت في أبي جهل .

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ فيه وجهان :

أحدهما : المنتهى ، قاله الضحاك .

الثاني : المرجع في القيامة .

ويحتمل ثالثاً : يرجعه الله إلى النقصان بعد الكمال ، وإلى الموت بعد الحياة .

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ نزلت في أبي جهل ، روى أبو هريرة (٤١٥)

أن أبا جهل قال : واللات والعزى لئن رأيت محمداً يصلي بين أظهركم لأطآن رقبته ولأعفرن وجهه في التراب ، ثم أتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ رقبته ، فما فجأه منه

(٤١٥) رواه مسلم (٢٥١٤/٤) وابن جرير (٢٥٦/٣٠) والسيوطي نسبته في الدر (٥٦٥/٨)

للنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي وأبي نعيم .

وينحوه رواه البخاري (١٥٧/٨) عن ابن عباس .

إلا وهو ينكص، أي يرجع على عقبه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهواء وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

وروى الحسن^(٤١٦) أن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل».

وكانت الصلاة التي قصد فيها أبو جهل رسول الله صلاة الظهر. وحكى جعفر بن^(٤١٧) محمد أن أول صلاة جماعة جمعت في الإسلام، يوشك أن تكون التي أنكرها أبو جهل، صلاها رسول الله ﷺ ومعه علي رضي الله عنه فمر به أبو طالب ومعه ابنه جعفر فقال: صل جناح ابن عمك، وانصرف مسروراً يقول:

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعَفَرًا ثَقَتِي عِنْدَ مُلِمِّ الزَّمَانِ وَالْكُرْبِ
وَاللَّهُ لَا أَخْذَلَ النَّبِيَّ وَلَا يَخْذِلُهُ مَنْ كَانَ ذَا حَسَبٍ
لَا تَخْذَلُوا وَانصُرُوا ابْنَ عَمِّكُمْ أَخِي لِأُمِّي مِنْ بَنِيهِمْ وَأَبِي
فسمع رسول الله ﷺ بذلك.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني أبا جهل، ويكون فيه إضمار، وتقديره: ألم يكن خيراً له.
الثاني: هو النبي ﷺ كان على الهدى في نفسه، وأمر بالتقوى في طاعة ربه.
وفي قوله «أَرَأَيْتَ» احتمال الوجهين:
أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ.

الثاني: خطاب عام له ولأئمة، والمراد به على الوجهين هدايته، ويكون في الكلام محذوف، وتقديره: هكذا كان يفعل به.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: كذب بالله وتولى عن طاعته.
الثاني: كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان.
ويحتمل ثالثاً: كذب بالرسول وتولى عن القبول.

(٤١٦) هذا من مراسيل الحسن وهي شبه الريح عندهم.

(٤١٧) هذا الأثر معضل.

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: ألم تعلم يا محمد أن الله يرى أبا جهل؟

الثاني: ألم تعلم يا أبا جهل أن الله يراك؟

وفيه وجهان:

أحدهما: يرى عمله ويسمع قوله.

الثاني: يراك في صلاتك حين نهاك أبو جهل عنها.

ويحتمل ثالثاً: يرى ما هم به أبو جهل فلا يمكنه من رسوله.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: يعني لناخذن بناصيته، قاله ابن عباس، وهو عند العرب أبلغ في

الاستدلال والهوان، ومنه قول الخنساء:

جززنا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون أن لن تُجزأ

الثاني: معناه تسويد الوجوه وتشويه الخلقة بالسفعة السوداء، مأخوذ من قولهم

قد سفعت النار أو الشمس إذا غيرت وجهه إلى حالة تشويه، وقال الشاعر: (٤١٨)

أثافي سُفْعاً مُعَرَّسَ مِرْجَلٍ وَنُؤِيّاً كَجِذَمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

والناصية شعر مقدم الرأس، وقد يعبر بها عن جملة الإنسان، كما يقال هذه

ناصية مباركة إشارة الى جميع الإنسان.

ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يعني ناصية أبي جهل كاذبة في قولها، خاطئة

في فعلها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني أبا جهل، والنادي مجلس أهل الندى والجود ومعنى

«فليدع ناديه» أي فليدع أهل ناديه من عشيرة أو نصير.

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ والزبانية هم الملائكة من خزنة جهنم، وهم أعظم الملائكة

خلقاً وأشدّهم بطشاً، والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه، قال

الشاعر (٤١٩):

(٤١٨) هوزهير بن أبي سلمى والبيت في القرطبي (١٢٥/٢٠) فتح القدير (٤٧٠/٥) واقتصر على الشطر

الأول.

(٤١٩) القرطبي (١٢٦/٢٠) فتح القدير (٤٧٠/٥) روح المعاني (١٨٨/٣٠).

مَطَاعِيمٌ فِي الْقُصُوى مَطَاعِينَ فِي الْوَعَى زبَانِيَّةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلُومَهَا
﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ﴾ قال أبو هريرة: كَلَّا لَا تَطْعُ أَبَا جَهْلٍ فِي أَمْرِهِ.

ويحتمل نهيهِ عن طاعته وجهين:

أحدهما: لَا تَقْبَلْ قَوْلَهُ إِنْ دَارَكَ وَلَا رَأْيَهُ إِنْ قَارَبَكَ.

الثاني: لَا تَجِبْهُ عَنْ قَوْلِهِ، وَلَا تَقَابِلْهُ عَلَى فِعْلِهِ، وَمِنْهُ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ (٤٢٠)

ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَطْعُ فِينَا مَسَافِرًا» أَي لَا تَجِبْ دَعَاءَهُ لِأَنَّ الْمَسَافِرَ يَدْعُو بِانْقِطَاعِ
الْمَطَرِ فَلَوْ أَجِيبَتْ دَعْوَتُهُ لَهْلَكَ النَّاسُ.

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ فِيهِ وَجْهَان:

أحدهما: اسْجُدْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ مُصَلِّيًا، وَاقْتَرِبْ أَنْتَ يَا أَبَا جَهْلٍ مِنَ النَّارِ، قَالَ
زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ.

الثاني: اسْجُدْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ فِي صَلَاتِكَ لِتَقْرُبَ مِنْ رَبِّكَ، فَإِنْ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ
الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذَا سَجَدَ لَهُ.

وَرَوَى جَوْبِيرٌ عَنِ الضَّحَّاكِ (٤٢١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَنْزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ أَرْبَعَ
وِثْمَانُونَ آيَةً، وَأَنْزَلَ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ مِائَةَ وَأَرْبَعَ آيَاتٍ، وَأَنْزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ
الْحَارِثِ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ آيَةً.

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ فَقَدْ رَوَى
فِي تَرْتِيبِ السُّورِ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ أَحَادِيثَ، أَوْفَاهَا مَا رَوَاهُ آدَمُ بْنُ أَبِي أَنَاسٍ عَنْ أَبِي
شَيْبَةَ شَعِيبِ بْنِ زُرَيْقٍ (٤٢٢) عَنْ عَطَاءِ الْخِرَاسَانِيِّ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ هَذَا مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ
بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ فِيمَا بَلَّغْنَا: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» ثُمَّ «نِ
وَالْقَلَمِ، الْمِزْمَلِ، الْمَدْثَرِ، تَبَّتْ، إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ، اللَّيْلِ، الْفَجْرِ،
الضُّحَى، أَلَمْ نَشْرَحْ، الْعَصْرَ، الْعَادِيَاتِ، الْكَوْثَرَ، أَلْهَآكُم، أَرَأَيْتَ، الْكَافِرُونَ، الْفِيلُ،
الْفُلُقُ، الْإِخْلَاصُ، النِّجْمُ، عَبَسَ، الْقَدْرُ، وَالشَّمْسُ، الْبُرُوجُ، التِّينُ، لِإِيلَافِ،

(٤٢٠) لَمْ أَعْثَرْ عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥٣٦) وَابْنُ مَاجَةَ (٣٨٦٢) وَابْنُ خَالٍ فِي الْأَدَبِ

(٣٢) وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَهْنِ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ دَعْوَةُ

الْمُظْلَمِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ.

(٤٢١) وَهَذَا الْأَثَرُ لَا يَصِحُّ فَجَوْبِيرٌ مَتْرُوكٌ.

(٤٢٢) رَاجِعِ الْإِتْقَانَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ لِلْسَيُوطِيِّ

القارعة، القيامة، الهُمزة، المرسلات، ق، البلد، الطارق، القمر، ص، الأعراف،
 قل أوحى، يس، الفرقان، الملائكة، مريم، طه، الواقعة، الشعراء، النمل،
 القصص، بنو إسرائيل، يونس، هود، يوسف، الحجر، الأنعام، الصافات، لقمان،
 سبأ، الزمر، المؤمن، حم السجدة، عسق، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف،
 الذاريات، الغاشية، الكهف، النحل، نوح، إبراهيم، الأنبياء، قد أفلح، السجدة،
 الطور، الملك، الحاقة، سأل سائل، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم،
 العنكبوت، المطففين.

فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة .

وكان فيما نزل بالمدينة البقرة، ثم الأنفال، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة،
 النساء، الزلزلة، الحديد، سورة محمد، الرعد، الرحمن، هل أتى، الطلاق، لم
 يكن، الحشر، النصر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات،
 التحريم^(٤٢٣)، الجمعة، الصف، الفتح، المائدة، براءة.

فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة .

ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره، وقد اختلف الناس في نزول السور
 اختلافاً كثيراً، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشنى فذكرته .

(٤٢٣) لاحظ أنه لم يذكر سورة التغابن وهي مدنية نزلت بعد التحريم .

سُورَةُ الْقَدْرِ

مكية في قول الأكثرين، ومدنية في قول الضحاك، وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني جبريل، أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي.

الثاني: يعني القرآن؛ وفيه قولان:

أحدهما: ما روى ابن عباس قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في

ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ الى السفارة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته (٤٢٤) السفارة على جبريل في عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالاً في الشهور والأيام.

(٤٢٤) هذا القول لا يصح فقد قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة.

القول الثاني: (٤٢٥) أن الله تعالى ابتداءً بإنزاله في ليلة القدر، قاله الشعبي .
واختلف في ليلة القدر (٤٢٦) مع اتفاقهم أنها في العشر الأواخر من رمضان،
وأنها في وتر العشر أوجد، إلا ابن عمر فإنه زعم أنها في الشهر كله .

فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنها في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين
لحديث أبي سعيد الخدري، وذهب أبي بن كعب وابن عباس إلى أنها في ليلة سبع
وعشرين .

واختلف في الدليل، فاستدل أبي بأن النبي ﷺ قال: (٤٢٧) من علامتها أن
تصبح الشمس لا شعاع لها، قال: وقد رأيت ذلك في صبيحة سبع وعشرين، واستدل
ابن عباس بأن رسول الله ﷺ قال: (٤٢٨) سورة القدر ثلاثون كلمة فهي في قوله
«سلام» و«هي» الكلمة السابعة والعشرون، فدل أنها فيها .

وقال آخرون: هي في ليلة أربع وعشرين للخبر المروي في تنزيل الصحف،
وقال آخرون: إن الله تعالى ينقلها في كل عام من ليلة إلى أخرى ليكون الناس في
جميع العشر مجتهدين، ولرويتها متوقعين .

وفي تسميتها ليلة القدر أربعة أوجه:
أحدها: لأن الله تعالى قدر فيها إنزال القرآن .
الثاني: لأن الله تعالى يقدر فيها أمور السنة، أي يقضيها، وهو معنى قول
مجاهد .

الثالث: لعظم قدرها وجلالة خطرها، من قولهم رجل له قدر، ذكره ابن
عيسى .

الرابع: لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً .
﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تنبيهاً لرسول الله ﷺ على فضلها، وحثاً له على
العمل فيها، قال الشعبي: وليلتها كيومها، ويومها كليلتها .

(٤٢٥) وهو الصواب .

(٤٢٦) وقد وصل اختلافهم فيها إلى ما يربو على العشرين قولاً اطلبها من مظانها كالفتح ونيل الأوطار .

(٤٢٧) رواه البخاري (٤/٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٤) ومسلم (٢/٨٢٤، ٨٢٦) من حديث عبد الله بنحوه .

(٤٢٨) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم .

قال الفراء: كل ما في القرآن من قوله تعالى: «وما أدراك» فقد أدراه، وما كان من قوله «وما يدريك» فلم يدره.

قال الضحاك: لا يقدر الله في ليلة القدر إلا السعادة والنعم، ويقدر في غيرها البلاء والنقم، وقال عكرمة: كان ابن عباس يسمي ليلة القدر ليلة التعظيم، وليلة النصف من شعبان ليلة البراءة، وليليتي العيدين ليلة الجائزة.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: ليلة القدر خير من عمر ألف شهر، قاله الربيع.

الثاني: أن العمل في ليلة القدر خير من العمل في غيرها ألف شهر، قاله مجاهد.

الثالث: أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قاله قتادة.

الرابع: أنه كان رجل في بني إسرائيل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأخبر الله تعالى أن قيام ليلة القدر خير من عمل ذلك الرجل ألف شهر، رواه ابن أبي نجيح ومجاهد.

الخامس: أن ملك سليمان كان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين كان خمسمائة شهر، فصار ملكهما ألف شهر، فجعل العمل في ليلة القدر خيراً من زمان ملكهما (٤٢٩).

﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ قال أبو هريرة: الملائكة في ليلة القدر في

الأرض أكثر من عدد الحصى.

وفي «الروح» ها هنا أربعة أقاويل:

أحدها: جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: حفظة الملائكة، قاله ابن أبي نجيح.

الثالث: أنهم أشرف الملائكة وأقربهم من الله، قاله مقاتل.

الرابع: أنهم جند من جند الله من غير الملائكة، رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً (٤٣٠).

(٤٢٩) لاحظ أنه لم يذكر القول السادس.

(٤٣٠) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس موقوفاً كما في الدر (٣٩٩/٨).

ويحتمل إن لم يثبت فيه نص قولاً خامساً: أن الروح الرحمة تنزل بها الملائكة على أهلها، دليله قوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي بالرحمة.

﴿يَأْذَنُ رَبُّهُمْ﴾ يعني بأمر ربهم.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ يعني يُقْضَى فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ رِزْقٍ وَأَجَلٍ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ.

وقرأ ابن عباس: من كل امرئ، فتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل امرئ مسلم.

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن ليلة القدر هي ليلة سالمة من كل شر، لا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان، قاله مجاهد.

الثاني: أن ليلة القدر هي سلام وخير وبركة، قاله قتادة.

الثالث: أن الملائكة تسلم على المؤمنين في ليلة القدر إلى مطلع الفجر، قاله الكلبي.

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

مكية في قول يحيى بن سلام، وعند الجمهور مدنية وهو الصواب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾
قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾ معناه لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب، ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الأوثان من العرب، وغيرهم الذين ليس لهم كتاب.. «منفكين» فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لم يكونوا منتهين عن الشرك ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ حتى يتبين لهم الحق.
وهذا قول ثان: لم يزالوا مقيمين على الشرك والريبة حتى تأتيهم البينة، يعني الرسل، قاله الربيع.

الثالث: لم يفرقوا ولم يختلفوا أن الله سيبعث إليهم رسولا حتى بعث الله محمداً ﷺ فاختلَفوا وتفرقوا، فمنهم من آمن بربه، ومنهم من كفر، قاله ابن عيسى.

الرابع: لم يكونوا لتركوا منفكين من حجج الله تعالى، حتى تأتيهم البينة التي تقوم بها عليهم الحجة، قال امرؤ القيس:

إِذَا قُلْتُ أَنْفَكَ مِنْ حُبِّهَا أَبَى عَالِقُ الْحُبِّ إِلَّا لُزُومَا

وفي «البينة» ها هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : القرآن ، قاله قتادة .

الثاني : الرسول الذي بانث فيه دلائل النبوة .

الثالث : بيان الحق وظهور الحجج .

وفي قراءة أبي بن كعب : ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين

منفكين ، وفي قراءة ابن مسعود : لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين .

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني محمداً .

﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يعني القرآن .

ويحتمل ثانياً : يتعقب بنبوته نزول الصحف المطهرة على الأنبياء قبله .

وفي «مطهرة» وجهان :

أحدهما : من الشرك ، قاله عكرمة .

الثاني : مطهرة الحكم بحسن الذكر والثناء ، قاله قتادة .

ويحتمل ثالثاً : لتزولها من عند الله .

﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني كتب الله المستقيمة التي جاء القرآن بذكرها ، وثبت فيه

صدقها ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : يعني فروض الله العادلة ، قاله السدي .

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني اليهود والنصارى .

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ فيه قولان :

أحدهما : القرآن ، قاله أبو العالية .

الثاني : محمد ﷺ ، قاله ابن شجرة .

ويحتمل ثالثاً : البينة ما في كتبهم من صحة نبوته .

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مُقَرِّين له بالعبادة .

الثاني : ناوين بقلوبهم وجه الله تعالى في عبادتهم .

الثالث : إذا قال لا إله إلا الله أن يقول على أثرها «الحمد لله» ، قاله ابن جرير . (٤٣١)

(٤٣١) جامع البيان (٢٦٣/٣٠) ولكن ليس فيه كما قال المؤلف هنا وهالك عبارة ابن جرير «يقول تعالى ذكره

ويحتمل رابعاً: إلا ليخلصوا دينهم في الإقرار بنبوته.
﴿حُنفاء﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: متبعين.

الثاني: مستقيمين، قاله محمد بن كعب.

الثالث: مخلصين، قاله خفيف.

الرابع: مسلمين، قاله الضحاك، وقال الشاعر: (٤٣٢)

أَخْلِيفَةُ الرَّحْمَنِ إِنَّا مَعْشَرٌ حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

الخامس: يعني حجاجاً، قاله ابن عباس؛ وقال عطية العوفي: إذا اجتمع

الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد الحنيف كان معناه المسلم،

وقال سعيد بن جبير: لا تسمى العرب الحنيف (٤٣٣) إلا لمن حج واختن.

السادس: أنهم المؤمنون بالرسول كلهم، قاله أبو قلابة.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه ذلك دين الأمة المستقيمة.

الثاني: وذلك دين القضاء القيم، قاله ابن عباس.

الثالث: وذلك الحساب المبين، قاله مقاتل.

ويحتمل رابعاً: وذلك دين من قام لله بحقه

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ

هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

«وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين

يقول مفردين له الطاعة لا يخلطون طاعتهم لربهم بشرك فأشركت اليهود بقولهم إن عزيزاً ابن الله

والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك وجحودهم نبوة محمد ﷺ.

(٤٣٢) هو الراعي النميري وسيأتي البيت في سورة الماعون: القرطبي (١٤/٢٠).

(٤٣٣) يعني أن يكون على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن ملته الختان والحج وهما من الكلمات التي

ابتلاه الله بها.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

آياتها ٨

نزلتها ٩٩

مدنية في قول ابن عباس وقتادة وجابر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ
مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ
يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

قوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي حركت الأرض حركتها، والزلزلة
شدة الحركة، فيكون من زل يزل (٤٣٤).

وفي قوله ﴿زِلْزَالَهَا﴾ وجهان:

أحدهما: لأنها غاية زلازلها المتوقعة.

الثاني: لأنها عامة في جميع الأرض، بخلاف الزلازل المعهودة في بعض

الأرض.

وهذا الخطاب لمن لا يؤمن بالبعث وعيد وتهديد، ولمن يؤمن به إنذار وتحذير،

واختلف في هذه الزلزلة على قولين: أحدهما: أنها في الدنيا من أشراط الساعة، وهو

قول الأكثرين.

(٤٣٤) هكذا في الأصل ولعل الصواب فيكون من زلزل.

الثاني : أنها الزلزلة يوم القيامة ، قاله خارجة بن زيد وطائفة .
﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه :
أحدها :

الثاني : ما عليها من جميع الأثقال ، وهذا قول عكرمة .
ويحتمل قول الفريقين ^(٤٣٥) .

ويحتمل رابعاً : أخرجت أسرارها التي استودعتها ، قال أبو عبيدة : إذا كان الثقل في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها .
﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ما لها زلزلت زلزالها .

الثاني : ما لها أخرجت أثقالها .

وفي المراد بهذا «الإنسان» قولان :

أحدهما : أن المراد جميع الناس من مؤمن وكافر ، وهذا قول من جعله في الدنيا من أشراط الساعة لأنهم لا يعلمون جميعاً أنها من أشراط الساعة في ابتداء أمرها حتى يتحققوا عمومها ، فلذلك سأل بعضهم بعضاً عنها .

الثاني : أنهم الكفار خاصة ، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة ، لأن المؤمن يعترف بها فهو لا يسأل عنها ، والكافر جاحد لها فلذلك يسأل عنها .

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها ، قاله أبو هريرة ورواه مرفوعاً ^(٤٣٦) ، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة .

الثالث : تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها ، قال ابن مسعود : فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى ، وأن أمر الآخرة قد أتى ، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم ، وعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن .

وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقاويل :

(٤٣٥) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث هنا فيحتمل قوله ويحتمل قول الفريقين هو القول الثالث .

(٤٣٦) رواه الترمذي (١٧١/٤) وقال حسن صحيح غريب والحاكم (٥٣٣/٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٩٢/٨) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب .

أحدها: أن الله تعالى يقلبها حيواناً ناطقاً فتتكلم بذلك (٤٣٧).

الثاني: أن الله تعالى يحدث الكلام فيها.

الثالث: يكون الكلام منها بياناً يقوم مقام الكلام.

﴿بَأْنُ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أوحى إليها بأن ألهمها فاطاعت، كما قال العجاج: (٤٣٨)

أَوْحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَّاتِ الثُّبَّتِ

الثاني: يعني قال لها، قاله السدي.

الثالث: أمرها، قاله مجاهد.

وفيما أوحى لها وجهان:

أحدهما: أوحى لها بأن تحدث أخبارها.

الثاني: بأن تخرج أثقالها.

ويحتمل ثالثاً: أوحى لها بأن تزلزل زلزالها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يوم القيامة يصدرون من بين يدي الله تعالى فرقاً مختلفين في

قدرهم وأعمالهم، فبعضهم إلى الجنة وهم أصحاب الحسنات، وبعضهم إلى النار

وهم أصحاب السيئات، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنهم في الدنيا عند غلبة الأهواء يصدرون فرقاً، فبعضهم مؤمن،

وبعضهم كافر، وبعضهم محسن، وبعضهم مسيء، وبعضهم محق، وبعضهم

مبطل.

﴿لِيرَوَا أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني ثواب أعمالهم يوم القيامة.

ويحتمل ثالثاً: أنهم عند النشور يصدرون أشتاتاً من القبور على اختلافهم في

الأمم والمعتقد بحسب ما كانوا عليه في الدنيا من اتفاق أو اختلاف ليروا أعمالهم في

(٤٣٧) لعل الصواب أنها تتكلم بكلام لا ندرى كيفيته كما أخبرنا ربنا بذلك ولا أفضل من الوقوف عند هذا.

(٤٣٨) مجاز القرآن (٣٠٦/٢) القرطبي (١٤٩/٢٠) البحر المحيط (٥٠١/٨) روح المعاني (١٠/٣٠)

اللسان وحي.

موقف العرض من خير أو شر فيجازون عليها بثواب أو عقاب، والشتات: التفرق والاختلاف، قال لبيد:

إِنْ كُنْتَ تَهْوِينَ الْفِرَاقَ فَفَارِقِي لَا خَيْرَ فِي أَمْرِ الشَّتَاتِ
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ في هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن معنى يَرَهُ أي يعرفه.

الثاني: أنه يرى صحيفة عمله.

الثالث: أن يرى خير عمله ويلقاه.

وفي ذلك قولان:

أحدهما: أنه يلقي ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً، لأن الآخرة هي دار الجزاء.

الثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة حتى يصير إليها وليس عليه سيئة.

وإن كان كافراً رأى جزاء حسناته في الدنيا، وجزاء سيئاته في الآخرة حتى يصير إليها وليس له حسنة، قاله طاووس.

ويحتمل ثالثاً: أنه جزاء ما يستحقه من ثواب وعقاب عند المعايينة في الدنيا ليوفاه في الآخرة.

ويحتمل المراد بهذه الآية وجهين:

أحدهما: إعلامهم أنه لا يخفى عليه صغير ولا كبير.

الثاني: إعلامهم أنه يجازي بكل قليل وكثير.

وحكى مقاتل بن سليمان أنها نزلت في ناس بالمدينة كانوا لا يتورعون من الذنب الصغير من نظرة أو غمزة أو غيبة أو لمسة، ويقولون إنما وعد الله على الكبائر، وفي ناس يستقلون الكسرة والجوزة والثمرة ولا يعطونها، ويقولون إنما نجزي على ما نعطيه ونحن نحبه، فنزل هذا فيهم.

وروي أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق أتى النبي ﷺ يستقرئه، فقرأ

(٤٣٩) رواه ابن المبارك في الزهد (ص ٣٧) وأحمد (١١٣/٣) وزاد السيوطي في الدر (٥٩٥/٨) نسبه

عليه هذه الآية، فقال صعصعة: حسبي حسبي إن عملت مثقال ذرة خيراً رأيته، وإن عملت مثقال ذرة شراً رأيته.

وروى أبو أيوب الأنصاري (٤٤٠): قال كان رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه يتغديان إذ نزلت هذه السورة، فقاما وأمسكا.

لعبد بن حميد والنسائي والطبراني وابن مردويه وقال الهيثمي في المجمع (١٤١/٧) رواه أحمد والطبراني مرسلًا ومتصلًا ورجال الجميع رجال الصحيح. قلت: رواه النسائي في التفسير كما في الإصابة (١٨٦/٢).

(٤٤٠) رواه ابن مردويه كما في الدر (٥٩٤/٨).

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا﴾ في العاديات قولان:

أحدهما: أنها الخيل في الجهاد، قاله ابن عباس وأنس والحسن، ومنه قول الشاعر (٤٤١):

وطعنة ذاتِ رشاشٍ واهية طعنتها عند صدور العادية
يعني الخيل.

الثاني: أنها الإبل في الحج، قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود (٤٤٢) ومنه قول صفية بنت عبد المطلب:

فلا والعاديات غداة جَمْعٍ بأيديها إذا صدع الغبار

(٤٤١) القرطبي (١٥٤/٢٠).

(٤٤٢) رواه سعيد بن منصور عنه بإسناد حسن كما في الفتح (٥٩٩/٨).

يعني الإبل، وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو، وهو تباعد الرجل في سرعة المشي؛ وفي قوله «صبحاً» وجهان:

أحدهما: أن الصبح حممة الخيل عند العدو، قاله من زعم أن العاديات الخيل.

الثاني: أنه شدة النفس عند سرعة السير، قاله من زعم أنها الإبل، وقيل إنه لا يضح بالحممة^(٤٤٣) في عدوه إلا الفرس والكلب، وأما الإبل فصبحها بالنفس؛ وقال ابن عباس: صبحها: قول سائقها أج أج؛ وهذا قسم، ﴿فالموريات قدحاً﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنها الخيل توري النار بحوافرها إذا جرت من شدة الوقع، قاله عطاء. الثاني: أنها نيران الحجيج بمزدلفة، قاله محمد بن كعب. الثالث: أنها نيران المجاهدين إذا اشتعلت فكثرت نيرانها إرهاباً، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها تهيج الحرب بينهم وبين عدوهم، قاله قتادة. الخامس: أنه مكر الرجال، قاله مجاهد؛ يعني في الحروب. السادس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل وأوضح بها الحق وفضح بها الباطل، قاله عكرمة، وهو قسم ثانٍ. ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الخيل تغير على العدو صبحاً، أي علانية، تشبيهاً بظهور الصبح، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الإبل حين تعدو صبحاً من مزدلفة إلى منى، قاله علي رضي الله عنه.

﴿فأثرن به نقعاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: «أثرن به غباراً، والنقع الغبار، قاله قتادة، وقال عبد الله بن رواحة: (٤٤٤):

(٤٤٣) وهو قول ابن عباس رواه سعيد بن منصور بإسناد حسن عنه كمال قال في الفتح.

(٤٤٤) والبيت لحسان في ديوانه: ١٩ وروح المعاني (٢١٦/٣٠).

عَدِمْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَشِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنْفِي كَدَاءِ
الثاني : النقع ما بين مزدلفة إلى منى ، قاله محمد بن كعب .

الثالث : أنه بطن الوادي ، فلعله يرجع إلى الغبار المثار من هذا الموضع .
﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ فيه قولان :

أحدهما : جمع العدو حتى يلتقي الزحف ، قاله ابن عباس والحسن .

الثاني : أنها مزدلفة تسمى جمعا لاجتماع الحاج بها وإثارة النقع في الدفع إلى منى ، قاله مكحول .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ فيه سبعة أقاويل :

أحدها : لكفور ، قاله قتادة ، والضحاك ، وابن جبير ، ومنه قول الأعشى^(٤٤٥) :

أَحْدِثْ لَهَا تَحْدِثَ لَوْضْلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ لَوْضْلَ الزَّائِرِ الْمُعْتَادِ
وقيل : إن الكنود هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير .

الثاني : أنه اللوام لربه ، يذكر المصائب وينسى النعم ، قاله الحسن ، وهو قريب من المعنى الأول .

الثالث : أن الكنود الجاحد للحق ، وقيل إنما سميت كندة لأنها جحدت أباه ،
وقال إبراهيم بن زهير الشاعر^(٤٤٦) :

دَعِ الْبَخْلَاءَ إِنْ شَمَخُوا وَصَدُّوا وَذَكَّرِي بُخْلٍ غَانِيَةٍ كَنُودِ
الرابع : أن الكنود العاصي بلسان كندة وحضرموت ، ذكره يحيى بن سلام .

الخامس : أنه البخيل بلسان مالك بن كنانة ، وقال الكلبي : الكنود بلسان كندة
وحضرموت : العاصي ، وبلسان مضر وربيعة : الكفور ، وبلسان مالك بن كنانة : البخيل
السادس : أنه ينفق نعم الله في معاصي الله .

السابع : ما رواه القاسم عن أبي أمامة قال^(٤٤٧) : قال رسول الله ﷺ : الكنود

القرطبي (١٥٨/٢٠) فتح القدير (١٨٢/٥) .

وفي المصادر السابقة منسوب لعبد الله بن رواحة .

(٤٤٥) ديوانه : ٥٦ القرطبي (١٦١/٢٠) .

(٤٤٦) القرطبي (١٦١/٢٠) ونسبة لإبراهيم بن هرمة .

(٤٤٧) رواه ابن جرير (٢٧٨/٣٠) وسنده ضعيف لأن فيه جعفر بن الزبير وهو متروك وقال الهيثمي في

المجمع (١٤٢/٦) رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما جعفر بن الزبير وهو ضعيف وفي الآخر من لم

الذي يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع رفده، وقال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة، وعلى هذا وقع القسم بجميع ما تقدم من السورة.

﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الله تعالى على كفر الإنسان لشهيد، قاله ابن جريج.

الثاني: أن الإنسان شاهد على نفسه، لأنه كنود، قاله ابن عباس.

﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ يعني الإنسان، وفي الخير ها هنا وجهان:

أحدهما: المال، قاله ابن عباس، ومجاهد وقتادة.

الثاني: الدنيا، قاله ابن زيد.

ويحتمل ثالثاً: أن الخير ها هنا الاختيار، ويكون معناه: وإنه لحب اختياره

لنفسه لشديد.

وفي قوله ﴿لشديد﴾ وجهان:

أحدهما: لشديد الحب للخير، وشدة الحب قوته وتزايد.

الثاني: لشحيح بالمال يمنع حق الله منه، قاله الحسن، من قولهم فلان شديد

أي شحيح.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من فيها من الأموات.

الثاني: معناه مات.

الثالث: بحث، قاله الضحاك، وهي في قراءة ابن مسعود: بُحِثِرَ ما في القبور.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ميز ما فيها، قاله الكلبي.

الثاني: استخرج ما فيها.

الثالث: كشف ما فيها.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي عالم، ويحتمل وجهين:

أحدهما: لخبير بما في نفوسهم.

الثاني: لخبير، بما تؤول إليه أمورهم.

أعرفه قلت: وضعفه السيوطي في الدر (٦٠٣/٨) وزاد نسبه لابن عساكر والبيهقي وابن مردويه وقد روي الحديث موقوفاً على أبي أمامة من طريق آخر رواه الطبري (٢٧٨/٣٠).

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مكية في قولهم جميعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ
النَّاسُ كَأَفْرَاشٍ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ * ما القارِعَةُ ﴿فيه وجهان:

أحدهما: أنها العذاب، لأنها تفرع قلوب الناس بهولها.

ويحتمل ثالثاً: (٤٤٨) أنها الصيحة لقيام الساعة، لأنها تفرع بشدائدها.

وقد تسمى بالقارعة كل داهية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا

تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] قال الشاعر: (٤٤٩)

مَتَى تُقَرَّعُ بِمَرَوَاتِكُمْ نُسُوكُمْ وَلَمْ تُوقَدْ لَنَا فِي الْقَدْرِ نَارُ

﴿ما القارعة﴾ تعظيماً لها، كما قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾.

(٤٤٨) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني.

(٤٤٩) القرطبي (١٦٤/٢٠).

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ وفي الفراش قولان :

أحدهما : أنه الهمج الطائر من بعوض وغيره، ومنه الجراد، قاله الفراء،
الثاني : أنه طير يتساقط في النار ليس ببعوض ولا ذباب، قاله أبو عبيدة وقتادة.
وفي ﴿المبثوث﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه المبسوط، قاله الحسن.

الثاني : المتفرق، قاله أبو عبيدة.

الثالث : أنه الذي يحول بعضه في بعض، قاله الكلبي.

وإنما شبه الناس الكفار يوم القيامة بالفراش المبثوث لأنهم يتهافون في النار كتهافت الفراش.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ والعِهْن : الصوف ذو الألوان في قول أبي عبيدة، وقرأ ابن مسعود «كالصوف».

وقال ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ لخفته، وضعفه، فشبه به الجبال لخفتها، وذهابها بعد شدتها وثباتها.

ويحتمل أن يريد جبال النار تكون كالعهن لحرمتها وشدة لهبها، لأن جبال الأرض تسير ثم تنسف حتى يدك بها الأرض دكاً.
﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ميزان ذو كفتين توزن به (٤٥٠) الحسنات والسيئات، قاله الحسن،
قال أبو بكر رضي الله عنه : (٤٥١) وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً.

الثاني : الميزان هو الحساب، قاله مجاهد، ولذلك قيل : اللسان وزن الإنسان، وقال الشاعر : (٤٥٢)

قد كنت قبل لقائكم ذا مِرَّةٍ عندي لكل مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ
أي كلام أعارضه به.

(٤٥٠) وهو الصواب للأحاديث الكثيرة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

(٤٥١) جزء من حديث موقوف أوصى فيه أبو بكر عمر رضي الله عنه رواه الطبري وغيره.

(٤٥٢) الطبري (٢٨٢/٣٠)، القرطبي (١٦٦/٢٠) فتح القدير (١٨٦/٥) اللسان وزن.

الثالث: أن الموازين الحجج والدلائل، قاله عبد العزيز بن يحيى، واستشهد فيه بالشعر المتقدم.

وفي الموازين وجهان:

أحدهما: جمع ميزان.

الثاني: أنه جمع موزون.

﴿فهو في عيشة راضية﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني في عيشة مرضية، قال قتادة: وهي الجنة.

الثاني: في نعيم دائم، قاله الضحاك، فيكون على الوجه الأول من المعاش، وعلى الوجه الثاني من العيش.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الهاوية جهنم، سماها أمًّا له لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه،

قاله ابن زيد، ومنه قول أمية بن أبي الصلت (٤٥٣).

فالأرض مَعْقِلُنَا وَكَانَتْ أُمَّنَا فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نُؤَلَّدُ
وسميت النار هاوية لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها.

الثاني: أنه أراد أم رأسه يهوي عليها في نار جهنم، قاله عكرمة.

وقال الشاعر: (٤٥٤)

يَا عَمْرُو لَوْنَالْتَكِ أَرْحَامُنَا كُنْتَ كَمَنْ تَهْوِي بِهِ الْهَاوِيَةُ

(٤٥٣) فتح القدير (١٨٧/٥) القرطبي (١٦٧/٢٠).

(٤٥٤) القرطبي (١٦٧/٢٠) فتح القدير (١٨٧/٥).

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

قوله تعالى : ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ في ﴿أَلْهَكُم﴾ وجهان : أحدهما : أشغلكم .

الثاني : أنساكم ، ومعناه ألهاكم عن طاعة ربكم وشغلكم عن عبادة خالقكم . وفي ﴿التكاثر﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : التكاثر بالمال والأولاد ، قاله الحسن .

الثاني : التفاخر بالعشائر والقبائل ، قاله قتادة .

الثالث : التشاغل بالمعاش والتجارة ، قاله الضحاك (٤٥٥) .

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر (٤٥٦) زوّاراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار .

(٤٥٥) الأولى تفسير التكاثر بكل ما يشغل ويلهي عن طاعة الله .

(٤٥٦) قال العلامة القرطبي (١٧١/٢٠) قال العلماء ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى

الثاني: ما حكاه الكلبي وقتادة: أن حيين من قريش، بني عبد مناف وبني سهم، كان بينهما ملاحاة فتعادوا بالسادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيّداً وعزاً وعزيزاً وأعظم نفراً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثروهم بنو عبد مناف، فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعُدّوا الأحياء والأموات، فعُدّوهم فكثرتهم بنو سهم، فأنزل الله تعالى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يعني بالعدد ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي حتى ذكرتم الأموات في المقابر.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثم كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿هذا وعيد وتهديد، ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ.

ويحتمل أن يعدل به عن التأكيد فيكون فيه وجهان:

أحدهما: كلا سوف تعلمون عند المعايعة أن ما دعوتكم إليه حق، ثم كلا سوف تعلمون عند البعث أن ما وعدتكم صدق.

الثاني: كلا سوف تعلمون عند النشور أنكم مبعوثون، ثم كلا سوف تعلمون في القيامة أنكم معذبون.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ معناه لو تعلمون في الحياة قبل الموت من البعث والجزاء ما تعلمونه بعد الموت منه.

﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علم الموت الذي هو يقيني لا يعتريه شك، قاله قتادة.

الثاني: ما تعلمونه يقيناً بعد الموت من البعث والجزاء، قاله ابن جريج.

وفي ﴿كَلَّا﴾ في هذه المواضع الثلاثة وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى «إلا»، قاله أبو حاتم.

الثاني: أنها بمعنى حقاً، قاله الفراء.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن هذا خطاب للكفار الذين وجبت لهم النار.

الثاني: أنه عام، فالكافر هي له دار والمؤمن يمر على صراطها.

طاعة ربه أن يكثر من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات ومؤتم البنين والبنات ويواظب على مشاهدة المحتضرين وزيارة قبور أموات المسلمين فهذه ثلاث أمور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه الخ.

روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: (٤٥٧) قال رسول الله ﷺ: يرفع الصراط وسط جهنم، فنانج مسلم، ومكدوس في نار جهنم.

﴿ثُمَّ لَتَرَوْنها عَيْنَ اليَقِينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عين اليقين المشاهدة والعيان.

الثاني: أنه بمعنى الحق اليقين، قاله السدي.

ويحتمل تكرار رؤيتها وجهين:

أحدهما: أن الأول عند ورودها.

والثاني: عند دخولها.

﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: الأمن والصحة، قاله ابن مسعود؛ وقال سعيد بن جبیر: الصحة والفراغ (٤٥٨)، للحديث.

الثاني: الإدراك بحواس السمع والبصر، قاله ابن عباس.

الثالث: ملاذ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله الأنصاري.

الرابع: أنه الغداء والعشاء، قاله الحسن.

الخامس: هو ما أنعم الله عليكم بمحمد ﷺ، قاله محمد بن كعب.

السادس: عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن، قاله الحسن أيضاً والمفضل.

السابع: ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه (٤٥٩) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» عن شعب البطون وبارد الماء وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم، وهذا السؤال يعم المؤمن والكافر، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وسؤال الكافر تقريع لأنه قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية. ويحتمل أن يكون ذلك تذكيراً بما أوتوه، ليكون جزاء على ما قدموه.

(٤٥٧) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٦١١/٨).

(٤٥٨) يعني ما رواه الترمذي (٢٤١٩) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حسن بشواهد وحسن الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٤٣٦/١٠).

(٤٥٩) جزء من الحديث المتقدم.

سُورَةُ الْعَصْرِ

مكية، وفي إحدى الروايتين عن ابن عباس وقتادة أنها مدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾
قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ﴾ وهذا قسم، فيه قولان:

أحدهما: أن العصر الدهر، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم.
الثاني: أنه العشي ما بين زال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة، ومنه قول
الشاعر (٤٦٠):

تَرَوِّحُ بَنِي أَعْمُرٍ قَدْ قَصَرَ الْعَصْرُ فِي الرُّوحَةِ الْأُولَى الْغَنِيمَةُ وَالْأَجْرُ
وخصه بالقسم لأن فيه خواتيم الأعمال.

ويحتمل ثالثاً: أن يريد عصر الرسول ﷺ لفضله بتجديد النبوة فيه.
وفيه رابع: أنه أراد صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى، لأنها أفضل
الصلوات، قاله مقاتل.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يعني بالإنسان جنس الناس.
وفي الخسر أربعة أوجه:

(٤٦٠) القرطبي (١٧٩/٢٠) فتح القدير (٤٩١/٥).

أحدها: لفي هلاك، قاله السدي.

الثاني: لفي شر، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: لفي نقص، قاله ابن شجرة.

الرابع: لفي عقوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ وكان علي رضي الله عنه يقرؤها^(٤٦١): والعصر ونوائب الدهر إِنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ وإنه فيه إلى آخر الدهر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ في الحق ثلاثة

تأويلات:

أحدها: أنه التوحيد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنه الله، قاله السدي.

ويحتمل رابعاً: أن يوصي مُخَلَّفِيهِ عند حضور المنية ألا يُمُوتَنَّ إلا وهم

مسلمون.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على طاعة الله، قاله قتادة.

الثاني: على ما افترض الله، قاله هشام بن حسان.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: بالصبر عن المحارم واتباع الشهوات^(٤٦٢).

(٤٦١) يحتمل أن تكون هذه القراءة على سبيل التفسير والله أعلم والأثر الوارد عن علي رضي الله عنه رواه ابن جرير (٢٩٠/٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٦٢١/٨) للفرجاني وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف والحاكم.

(٤٦٢) وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لو قدر الناس هذه السورة لكفتهم» وذلك لما فيها من مراتب يحصل للشخص بها غاية الكمال أحدها معرفة الحق والثانية العمل به والثالث تعليمه وبذله لمن هوله أهل والرابع صبره على تعلمه.

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدرِيكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن الهمزة المغتاب، واللمزة العيَاب، قاله ابن عباس، ومنه قول زياد الأعجم (٤٦٣) :

تُذَلِّي بُوْدِي إِذَا لَا قِيْتَنِي كَذِباً وَإِنْ أُغَيَّبْتُ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ.
الثاني : أن الهمزة الذي يهزم الناس، واللمزة الذي يلزمهم بلسانه، قاله ابن زيد.

الثالث : أن الهمزة الذي يهزم في وجهه إذا أقبل، واللمزة الذي يلزمه من خلفه إذا أدبر، قاله أبو العالية، ومنه قول حسان (٤٦٤) :

(٤٦٣) روح المعاني (٢٢٩/٣٠) وفيه.

إذا لقيت عن سخط تكاشرلي وكذا في القرطبي (١٨٢/٢٠) والطبري (٢٩١/٢٠) وقد تقدم تخريج هذا البيت في سورة القلم.

(٤٦٤) ديوانه : ١٤٨ والبيت فيه.

مجلله شنارا مضرمة تاجج كالشواظ
كهمة ضيغم يحيي عربناً شديد مغارز الأضلاع غاظي

والقرطبي (١٨١/٢٠).

همزتك فاختَضَعْتَ بذُلِّ نَفْسٍ بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشُّوَاطِئِ
 الرابع: أن الهمزة الذي يعيب جهرًا بيد أو لسان، واللمزة الذي يعيبهم سرًا
 بعين أو حاجب، قاله عبد الملك بن هشام.
 قال رؤبة:

..... فِي ظِلِّ عَصْرِي بَاطِلِي وَلَمْزِي
 واختلفوا فيمن نزلت فيه على خمسة أقاويل:

أحدها: في أبي بن خلف، قاله عمار.
 الثاني: في جميل بن عامر الجمحي، قاله مجاهد.
 الثالث: في الأخنس بن شريق الثقفي، قاله السدي.
 الرابع: في الوليد بن المغيرة، قاله ابن جريج.
 الخامس: أنها مرسله على العموم من غير تخصيص، وهو قول الأكثرين.
 ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ فيه أربعة أوجه:
 أحدها: يعني أحصى عدده، قاله السدي.
 الثاني: عدد أنواع ماله، قاله مجاهد.
 الثالث: لما يكفيه من الشين، قاله عكرمة.
 الرابع: اتخذ ماله لمن يرثه من أولاده.
 ويحتمل خامسًا: أنه فاخر بعدده وكثرته.
 ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ فيه وجهان:
 أحدهما: يزيد في عمره، قاله عكرمة.
 الثاني: يمنعه من الموت، قاله السدي.
 ويحتمل ثالثًا: ينفعه بعد موته.

﴿كَأَلَّا لَيَنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه اسم باب من أبواب جهنم، قاله ابن واقد، وقال الكلبي هو الباب
 السادس.

الثاني: أنه اسم درك من أدراك جهنم، وهو الدرك الرابع، قاله الضحاك.

الثالث: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله ابن زيد.

وفي تسميتها بذلك وجهان:

أحدهما: (٤٦٥) لأنها تحطم ما ألقى فيها، أي تكسره وتهده، ومنه قول الراجز:
 إنا حَطَمْنَا بِالْقُضِيبِ مُضْعَبًا يَوْمَ كَسَرْنَا أَنْفَهُ لِيَغْضَبَا
 ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ﴾ روى خالد بن أبي عمران (٤٦٦) عن النبي ﷺ أن
 النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت، ثم إذا صعدوا تعود، فذلك
 قوله ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ، الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ﴾. ويحتمل اطلاعها على الأفئدة
 وجهين:

أحدهما: لتحس بألم العذاب مع بقاء الحياة ببقائها.

الثاني: استدل بما في قلوبهم من آثار المعاصي وعقاب على قدر استحقاقهم
 لألم العذاب، وذلك بما استبقاه الله تعالى من الإمارات الدالة عليه.
 ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:
 أحدها: مطبقة، قاله الحسن والضحاك.

الثاني: مغلقة بلغة قريش، يقولون آصد الباب إذا أغلقه، قاله مجاهد
 ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات (٤٦٧):

إِنْ فِي الْقَصْرِ لَوْ دَخَلْنَا غَزَالًا مُّصْفَقًا مُّوَصَّدًا عَلَيْهِ الْحِجَابُ

الثالث: مسدودة الجوانب لا يفتح منها جانب، قاله سعيد بن المسيب، وقال
 مقاتل بن سليمان: لا يدخلها رُوح ولا يخرج منها غم.
 ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها موصدة بعمد ممددة، قاله ابن مسعود، وهي في قراءته «بِعَمَدٍ
 ممددة».

الثاني: أنهم معذبون فيها بعمد محددة، قاله قتادة.

الثالث: أن العمد الممددة الأغلال في أعناقهم، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها قيود في أرجلهم، قاله أبو صالح.

الخامس: معناه في دهر ممدود، قاله أبو فاطمة.

(٤٦٥) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني.

(٤٦٦) القرطبي (١٨٤/٢٠) روح المعاني (٢٣١/٣٠).

(٤٦٧) لم أعر عليه ولكن ورد مثله في قول محمد بن كعب رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ
كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : ألم تخبر فتعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل .
الثاني : ألم تر آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل ، لأن النبي ﷺ لم ير أصحاب
الفيل .

واختلف في مولده عليه السلام من عام الفيل على ثلاثة أقاويل :
أحدها : أن مولده بعد أربعين سنة من عام الفيل ، قاله مقاتل .
الثاني : بعد ثلاث وعشرين سنة منه ، قاله الكلبي وعبيد بن عمير .
الثالث : أنه عام الفيل (٤٦٨) ، روي ذلك عن النبي ﷺ وروي عنه أنه قال :
ولدت يوم الفيل (٤٦٩) .

واختلف في سبب الفيل على قولين :

(٤٦٨) القرطبي (١٨٥/٢٠) وفتح القدير (٤٩٤/٥) .
(٤٦٩) وهو أشهر الأقوال كما قال ابن كثير (٥٤٩/٤) ولا خلاف بين الجمهور في هذا راجع البداية والنهاية
(١/٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢) .

أحدهما: ما حكاه ابن عباس: أن أبرهة بن الصباح بنى بيعة بيضاء^(٤٧٠) يقال لها القليس، وكتب إلى النجاشي إني لست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع ذلك رجل من كنانة، فخرج إلى القليس ودخلها ليلاً فأحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة فحلف بالله ليسيرون إلى الكعبة فيهدمها، فجمع الأحابيش وجند الأجناد، وسار، ودليله أبو رغال، حتى نزل بالمغمس، وجعل على مقدمته الأسود بن مقصود حتى سبى سرح مكة وفيه مائتا بعير لعبد المطلب قد قلد بعضها، وفيه يقول عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف:

لاهمّ أخزّ الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة فيها التقليدُ.
بين حراء، وثبير فالبيد يحبسها وهي أولات التطريدُ.
فضّمها إلى طماطم سُود قد أجمعوا ألا يكون معبودُ.
ويهدموا البيت الحرام المعمود والمروتين والمشاعر السودُ
أخفّره ياربّ وأنت محمودُ

وتوجه عبد المطلب وكان وسيماً جسيماً لا تأخذه العين إلى أبرهة، وسأله في إبله التي أخذت، فقال أبرهة: لقد كنت أعجبني حين رأيتك وقد زهدت الآن فيك، قال: ولم؟ قال: جئت لأهدم بيتاً هو دينك ودين آبائك فلم تكلمني فيه، وكلمتني في مائتي بعير لك، فقال عبد المطلب: الإبل أنا ربها، وللبيت رب سيمنعه، فقال أبرهة: ما كان ليمنعه مني، فقال عبد المطلب: لقد طلبته تبع سيف بن ذي يزن وكسرى فلم يقدروا عليه، وأنت ذاك فرد عليه إبله، وخرج عبد المطلب وعاد إلى مكة، فأخبر قريشاً بالتحرز في الجبال، وأتى البيت وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

لاهمّ إنّ العبدَ يَمُ نَعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حَلَالَكُ.
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومَحَالُهُمْ غَدَوْاً مَحَالَكُ.
إنّ كنتَ تاركَهُم وقَبْ لَتَنَا فأمْرُ ما بدا لَكُ.
المحال: القوة.

(٤٧٠) لم أهدت إلى تخريجه مرفوعاً وإنما وقفت عليه موقوفاً من حديث ابن عباس وجابر أنهما قالا ولد رسول الله ﷺ عام الفيل رواه ابن أبي شيبة عنهما ورواه البيهقي كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٦١/١) عن ابن عباس موقوفاً. قلت: ورواه ابن: إسحاق في السيرة وسنده حسن عن قيس بن مخزومه قال ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل كنا لنتين، ورواه الترمذي (٣٦٢٣).

الثاني: ما حكاه الكلبي ومقاتل يزيد أحدهما وينقص أن فتية من قريش خرجوا إلى أرض الحبشة تجاراً، فنزلوا على ساحل البحر على بيعة النصارى في حقف من أحفافها، قال الكلبي تسمى البيعة ماسرجيان، وقال مقاتل: تسمى الهيكل، فأوقدوا ناراً لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف فاضطربت البيعة ناراً فاحترقت، فأتى الصريخ إلى النجاشي فأخبره، فاستشاط غضباً، وأتاه أبرهة بن الصباح وحجر بن شراحيل وأبو يكسوم الكنديون، وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة، وكان النجاشي هو الملك، وأبرهة صاحب الجيش، وأبو يكسوم نديم الملك وقيل وزيره، وحجر بن شراحيل من قواده، وقال مجاهد: أبو يكسوم هو أبرهة بن الصباح، فساروا بالجيش ومعهم الفيل، قال الأكثرون: هو فيل واحد، وقال الضحاك: كانت ثمانية فيلة، ونزلوا بذئ المجاز، واستاقوا سرح مكة، وفيها إبل عبد المطلب، وأتى الراعي نذيراً فصعد الصفا وصاح: واصباحاه! ثم أخبر الناس بمجيء الجيش والفيل، فخرج عبد المطلب وتوجه إلى أبرهة وسأله في إبله، فردّها مستهزئاً ليعود لأخذها إذا دخل مكة.

واختلف في النجاشي هل كان معهم أم لا، فقال قوم: كان معهم، وقال الآخرون: لم يكن معهم.

وتوجه الجيش إلى مكة لإحراق الكعبة، فلما ولى عبد المطلب بإبله احترزها في جبال مكة، وتوجه إلى مكة من طريق منى، وكان الفيل إذا بعث إلى الحرم أحجم، وإذا عدل به عنه أقدم، قال محمد بن إسحاق: كان اسم الفيل محمود^(٤٧١)، وقالت عائشة: رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين مقعدين يستطعمان أهل مكة.

ووقفوا بالمغمس فقال عبد الله بن مخزوم: (٤٧٢)

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمس
حبسته في هيئة المكرس وما لهم من فرج ومنفس .
المكرس: المطروح المنكوس.

(٤٧١) راجع هذا الخبر بطوله في سيرة ابن هشام (٥٣/١).

(٤٧٢) وهذا لا يصح نسبه إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بل لعلها لم تولد وقد نسبت هذا الكلام لعتاب بن أسيد.

وبصر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه لطير غريبة بأرضنا، ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية، وإنها أشباه اليعاسيب، وكان في مناقيرها وأرجلها حجارة، فلما أطلت على القوم ألقته عليهم حتى هلكوا، قال عطاء بن أبي رباح: جاءت الطير عشية فباتت، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم، وقال عطية العوفي: سألت عنها أبا سعيد الخدري: فقال: حمام مكة منها.

وأقلت من القوم أبرهة ورجع إلى اليمن فهلك في الطريق.
وقال الواقدي: أبرهة هو جد النجاشي الذي كان في زمان رسول الله ﷺ فلما أيقنوا بهلاك القوم، قال الشاعر (٤٧٣):

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب.
يعني بالأشرم أبرهة، سمي بذلك لأن أرباط ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه، أي وقع بعضه على بعض.

وقال أبو الصلت بن مسعود (٤٧٤)، وقيل بل قاله عبد المطلب:
إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا نَاطِقَاتٌ لَأَيْمَارِي بِهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ.
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْمَسِ حَتَّى مَرَّ يَغْوِي كَأَنَّهُ مَعْقُورُ.
﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ لأنهم أرادوا كيد قريش بالقتل والسبي، وكيد البيت بالتخريب والهدم.

يحكى عن عبد المطلب بعد ما حكيناه عنه أنه أخذ بحلقة الباب وقال:
يا رب لا نرجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماكا.
إن عدو البيت من عاداك امنعهم أن يخربوا قراكا.
ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس له سريع، ينظر ما لقوا فإذا القوم مشدخون، فرجع يركض كاشفاً عن فخذه، فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيراً أو نذيراً. فلما دنا من ناديهم بحيث يُسمعهم قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم، فكانت أموال بني عبد المطلب، وبها كانت رئاسة عبد المطلب لأنه احتمل

(٤٧٣) هو نفيل بن حبيب كما في السيرة لابن هشام.

(٤٧٤) وقال ابن هشام (٦٢/١) وهي تروى لامية بن أبي الصلت.

ما شاء من صفراء وبيضاء، ثم خرج أهل مكة بعده فنهبوا، فقال عبد المطلب:
 أَنْتَ مَنَعْتَ الْحُبْشَ وَالْأَفْيَالَ وَقَدْ رَعَوْا بِمَكَّةَ الْأَجْيَالَ.
 وَقَدْ خَشِينَا مِنْهُمْ الْقِتَالَ وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُمْ مِيعَالًا.
 وشكراً وحمداً لك ذا الجلالا.

ويحتمل تضليل كيدهم وجهين:

أحدهما: أن كيدهم أضلهم حتى هلكوا.

الثاني: أن هلاكهم أضل كيدهم حتى بطل.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من طير السماء، قال سعيد بن جبیر: لم ير قبلها ولا بعدها مثلاً
 ويروي جوير عن الضحاك عن ابن عباس، قال^(٤٧٥): سمعت رسول الله ﷺ يقول:
 إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ.

القول الثاني: أنها العنقاء المغرب التي تضرب بها الأمثال، قاله عكرمة.

الثالث: أنها من طير الأرض، أرسلها الله تعالى من ناحية البحر، مع كل طائر
 ثلاثة أحجار، حجران في رجله، وحجر في منقاره، قاله الكلبي. وكانت سوداً،
 خضر المناقير طوال الأعناق، وقيل: بل كانت أشباه الطوايط، وقالت عائشة: كن
 أشباه الخطاطيف.

واختلف في «أبابيل» على خمسة أقاويل:

أحدها: أنها الكثيرة، قاله الحسن وطاوس.

الثاني: المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثالث: أنها المتفرقة من ها هنا وها هنا، قاله ابن مسعود والأخفش، ومنه قول

الشاعر:

إِنْ سَلَوًا عِدَاكَ الْمَوْتَ عَارِفَةً لَوْ لَا سَلُولَ مَشِينَا أَبَابِيلًا.
 أي متفرقين.

الرابع: أن الأبابل المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم.

الخامس: أن تكون جمعاً بعد جمع، قاله أبو صالح وعطاء، ومنه قول الشاعر:

(٤٧٥) وهذا الطريق ضعيف لأن جوير متروك الحديث.

وأبائيل من خيول عليها كأسود الأداء تحت العوالي .
وقال إسحاق بن عبد الله بن الحارث: الأبائيل مأخوذ من الإبل المؤبلة، وهي الأقاطيع .

واختلف النحويون هل للأبائيل واحد من جنسه، فذهب أبو عبيدة والفراء وثعلب إلى أنه لا واحد له كالعباديد والسماطيط، وذهب آخرون إلى أن له واحد، واختلفوا في واحده، فذهب أبو جعفر الرؤاسي إلى أن واحده إبالة مشددة، وقال الكسائي: واحدها إبول، وقال ابن كيسان واحده إبيّل .

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها: أن السجيل كلمة فارسية هي سنك وكل، أولها حجر، وآخرها: طين، قاله ابن عباس .

الثاني: أن السجيل هو الشديد، قاله أبو عبيدة، ومنه قول ابن مقبل (٤٧٦):
ورجلٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ عَرَضٍ ضَرْباً تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّيلًا
الثالث: أن السجيل اسم السماء الدنيا، فنسبت الحجارة إليها لتزولها منها، قاله ابن زيد .

الرابع: أنه اسم بحر من الهواء، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه، قاله عكرمة وفي مقدار الحجر قولان :

أحدهما: أنه حصى الخذف، قاله مقاتل .

الثاني: كان الحجر فوق العدسة ودون الحمصة، قاله أبو صالح: رأيت في دار أم هانئ نحو قفيز من الحجارة التي رمي بها أصحاب الفيل مخططة بحمرة كأنها الجزع، وقال ابن مسعود: ولما رمت الطير بالحجارة بعث الله ريحها فزادتها شدة، وكانت لا تقع على أحد إلا هلك ولم يسلم منهم إلا رجل من كندة، فقال:

فإنك لو رأيت ولم تربه لدى جنب المغمس ما لقينا
خشيت الله إذ قذبت طيراً وظل سحابة مرّت علينا
وباتت كلها تدعو بحق كأن لها على الحُشاني دينا

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها: أن العصف ورق الزُّرع، والمأكول الذي قد أكله الدود، قاله ابن عباس.

الثاني: أن العصف المأكول هو الطعام، وهذا قول حسين بن ثابت.

الثالث: أنه قشر الحنطة إذا أكل ما فيه، رواه عطاء بن السائب.

الرابع: أنه ورق البقل إذا أكلته البهائم فرائثه، قاله ابن زيد.

الخامس: أن العصف التين والمأكول القصيل للدواب، قاله سعيد بن جبير والحسن، واختلف فيما فعله الله بهم، فقال قوم: كان ذلك معجزة لنبي كان في ذلك الزمان، وقيل إنه كان خالد بن سنان^(٤٧٧).

وقال آخرون: بل كان تمهيداً وتوطيداً لنبوة^(٤٧٨) محمد ﷺ لأنه ولد في عامه وقيل في يومه.

(٤٧٧) لم يصح الحديث في ذلك.

(٤٧٨) وهذه الأشياء تسمى بالإرهاصات بين يدي النبوة.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية في قول الأكثرين ، ومدينة في قول الضحاك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ ① إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

قوله تعالى ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ الإيلاف مأخوذ من أَلَفَ يَأْلِفُ، وهي العادة المألوفة، ومنه قولهم ائتلف القوم .

وفي قوله ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ أربعة أقاويل :

أحدها : نعمتي على قريش ، لأن نعمة الله عليهم أن ألفه لهم ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني : لإيلاف الله لهم لأنه ألفهم إيلافاً ، قاله الخليل بن أحمد .

الثالث : لإيلاف قريش حَرَمِي وقيامهم ببيتي ، وهذا معنى قول الحسن .

الرابع : لإيلاف ما ذكره من رحلة الشتاء والصيف في معاشهم ، قاله مكحول .

وفي اللام التي في «لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ» قولان :

أحدهما : أنه صلة يرجع إلى السورة المتقدمة من قولهم ﴿ألم تتركيف﴾ إلى أن

قال : ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ لإيلاف قريش ، فصار معناه أن ما فعله بأصحاب الفيل لأجل (٤٧٩) إيلاف قريش ، قاله ثعلب ، وكان عمر وأبي بن كعب لا يفصلان بين

(٤٧٩) وهذا هو سر ترتيب سورة قريش بعد الفيل كما قال السيوطي في تناسق السور في تناسب السور .

السورتين ويقرأنهما كالسورة الواحدة، ويريان أنهما سورة واحدة، أي: ألم تر لإيلاف قريش.

الثاني: أن اللام صلة ترجع إلى ما بعدها من قوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ويكون معناه لنعمتي على قريش فليعبدوا ربَّ هذا البيت، قاله أهل البصرة، وقرأ عكرمة، ليألف قريش، وكان يعيب على من يقرأ «لإيلاف قريش».

وقرأ بعض أهل مكة: إلاف قريش، واستشهد بقول أبي طالب يوصي أخاه أبا لهب برسول الله ﷺ:

فَلَا تَتْرَكْنَهُ مَا حَيَّتْ لِمَعْظَمٍ وَكُنْ رَجُلًا ذَا نَجْدَةٍ وَعَفَافٍ
تَذُوذُ الْعِدَا عَنْ غُصْبَةٍ هَاشِمِيَةٍ أَلَا فُهِمُ فِي النَّاسِ خَيْرُ إِلَافٍ

وأما قريش تلده فهم بنو النضر بن كنانة، وقيل بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ومن لم تلده فهر فليس من قريش، وعلى المشهور أن بني النضر بن كنانة ومن تلده: من قريش، وإن لم يكونوا من بني فهر، وقد كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنًا، قال الشاعر^(٤٨٠):

أَبُونَا قَصِيٌّ كَانَ يُدْعَى مَجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ
وَاخْتَلَفُوا فِي تَسْمِيَتِهِمْ قَرِيشًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَقَاوِيلَ:

أحدها: لتجمعهم بعد التفرق، والتقريش التجميع، ومنه قول الشاعر^(٤٨١):
إِخْوَةٌ قَرَشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا فِي حَدِيثٍ مِنْ دَهْرِهِمْ وَقَدِيمٍ
الثاني: لأنهم كانوا تجارًا يأكلون من مكاسبهم، والتقريش التكسب.

الثالث: أنهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلعة فيسدون خلته، والقرش: التفتيش، قال الشاعر:

أَيُّهَا الشَّامْتُ الْمَقْرَشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لَهُ إِبْقَاءُ
الرابع: أن قريشًا اسم دابة في البحر، من أقوى دوابه، سميت قريشًا لقوتها وأنها تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلو، قاله ابن عباس واستشهد بقول الشاعر^(٤٨٢):

(٤٨٠) روح المعاني (٢٣٩/٣٠) القرطبي (٢٠٢/٢٠).

(٤٨١) هو أبو جلدة اليشكري والبيت في روح المعاني (٢٣٩/٣) والقرطبي (٢٠٣/٢٠).

(٤٨٢) هو الحارث بن حلزة اليشكري والبيت في القرطبي (٢٠٣/٢٠) وروح المعاني (٢٣٩/٣٠).

هكذا في العباد حي قريش .
 ولهم آخر الزمان نبي
 يملأ الأرض خيلة ورجالا
 تأكل الغث والسمين ولا تت
 وقريش هي التي تسكن البحر
 سلطت بالعلو في لجج البحر
 ﴿إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ كانت لقريش في كل عام رحلتان والرحلة
 السفرة، لما يعانى فيها من الرحيل والتزول، رحلة في الصيف ورحلة في الشتاء طلباً
 للتجارة والكسب.

واختلف في رحلتي الشتاء والصيف على قولين:
 أحدهما: أن كلتا الرحلتين إلى فلسطين، لكن رحلة الشتاء في البحر، طلباً
 للدفء، ورحلة الصيف على بصرى وأذرعات، طلباً للهواء، قاله عكرمة.
 الثاني: أن رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية، ورحلة الصيف إلى الشام
 لأنها بلاد باردة، قاله ابن زيد.

فإن قيل فما المعنى في تذكيرهم رحلة الشتاء والصيف؟ ففيه جوابان:
 أحدهما: أنهم كانوا في سفرهم آمنين من العرب لأنهم أهل الحرم، فذكرهم
 ذلك ليعلموا نعمته عليهم في أمنهم مع خوف غيرهم.
 الثاني: لأنهم كانوا يكسبون فيتوسعون ويطمعون ويصلون، كما قال الشاعر
 فيهم (٤٨٣):

يا أيها الرجل المحوّل رحلته
 الآخذون العهد من آفاقها
 والرائثون وليس يُوجد رائث
 والخالطون غنيهم بفقرهم
 عمرو العلا هشم الثريد لقومه
 فذكرهم الله تعالى هذه النعمة.

هَلَا نَزَلَتْ بِأَلِ عَبْدِ مَنَافٍ .
 والراحلون لرحلة الإيلاف.
 والقائلون هَلُمُّ لِلأُضْيَافِ .
 حتى يصير فقيرهم كالكافي.
 ورجال مكة مستنون عجاف .

(٤٨٣) هوتبع والأبيات في القرطبي (٢٠٣/٢٠) وفيها اختلاف يسير.

ولابن عباس في رحلة الشتاء والصيف قول ثالث: أنهم كانوا يشتون بمكة لدفتها، ويصيفون بالطائف لهوائها، كما قال الشاعر (٤٨٤):

تَشْتِي بِمَكَّةَ نَعْمَةً وَمَصِيفُهَا بِالطَّائِفِ

وهذه من جلائل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف، فذكرهم الله تعالى هذه النعمة.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أمرهم الله تعالى بعبادته، وفي تعريف نفسه لهم بأنه رب هذا البيت وجهان:

أحدهما: لأنه كانت لهم أوثان، فميز نفسه عنها.

الثاني: أنهم بالبيت شرفوا على سائر العرب، فذكر لهم ذلك تذكيراً بنعمته.

وفي معنى هذا الأمر والضمير في دخول الفاء على قوله «فليعبدوا» أربعة أوجه:

أحدها: فليعبدوا رب هذا البيت بأنه أنعم عليهم برحلة الشتاء والصيف.

الثاني: فليألفوا عبادة رب هذا البيت كما ألفوا رحلة الشتاء والصيف.

الثالث: فليعبدوا رب هذا البيت لأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

الرابع: فليتركوا رحلة الشتاء والصيف بعبادة رب هذا البيت، فإنه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ليتوفروا بالمقام على نصرة رسوله والذب عن دينه.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أطعمهم من جوع بما أعطاهم من الأموال وساق إليهم من الأرزاق،

قاله ابن عيسى.

الثاني: أطعمهم من جوع بما استجاب فيهم دعوة إبراهيم عليه السلام. حين

قال: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، قاله ابن عباس.

الثالث: أن جوعاً أصابهم في الجاهلية، فألقى الله في قلوب الحبشة أن

يحملوا إليهم طعاماً، فحملوه، فخافت قريش منهم وظنوا أنهم قدموا لحربهم،

فخرجوا إليهم متحززين، فإذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأعانوهم بالأقوات، فهو

معنى قوله ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾.

﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : آمنهم من خوف العرب أن يسبوهم أو يقاتلوهم تعظيماً لحرمة الحرم ،
لما سبقت لهم من دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال :

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ ، قاله ابن عباس .

الثاني : من خوف الحبشة مع الفيل ، قاله الأعمش .

الثالث : آمنهم من خوف الجذام ، قاله الضحاك والسدي وسفيان الثوري .

الرابع : يعني آمن قريشاً ألا تكون الخلافة إلا فيهم ، قاله علي رضي الله عنه .

سُورَةُ الْمَاعُونِ

مكية في قول عطاء وجابر، ومدينة في قول ابن عباس وقتادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾
وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَءَوْفُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بالحساب، قاله عكرمة ومجاهد.

الثاني: بحكم الله تعالى، قاله ابن عباس.

الثالث: بالجزاء الثواب والعقاب.

واختلف فيمن نزل هذا فيه على خمسة أوجه:

أحدها: أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: في الوليد بن المغيرة، قاله السدي.

الثالث: في أبي جهل.

الرابع: في عمرو بن عائذ، قاله الضحاك.

الخامس: في أبي سفيان وقد نحر جزوراً، فأتاه يتيماً، فسأله منها، فقرعه

بعضاً، قاله ابن جريج.

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بمعنى يحقر اليتيم، قاله مجاهد.

الثاني: يظلم اليتيم، قاله السدي.

الثالث: يدفع اليتيم دفعاً شديداً، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ أي يدفعون إليها دفعاً.

وفي دفعه اليتيم وجهان:

أحدهما: يدفعه عن حقه ويمنعه من ماله ظلماً له وطمعاً فيه، قاله الضحاك.

الثاني: يدفعه إبعاداً له وزجراً، وقد قرئ «يَدْعُ الْيَتِيمَ»^(٤٨٥) مخففة، وتأويله على هذه القراءة يترك اليتيم فلا يراعيه اطراحاً له وإعراضاً عنه. ويحتمل على هذه القراءة تأويلاً ثالثاً: يدع اليتيم لاستخدامه وامتهانه قهراً واستطالة.

﴿وَلَا يَخُصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أي لا يفعله ولا يأمر به، وليس الذم عاماً حتى يتناول من تركه عجزاً، ولكنهم كانوا ييخلون ويعتذرون لأنفسهم يقولون ﴿أَنْطَعِمَ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ فنزلت هذه الآية فيهم، ويكون معنى الكلام لا يفعلونه إن قدروا، ولا يحثون عليه إن عجزوا.

﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الآية، وفي إطلاق هذا الذم إضمار، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه المنافق، إن صلاها لوقتها لم يرج ثوابها، وإن صلاها لغير وقتها لم يخش عقابها، قاله الحسن.

الثاني: أن إضماره ظاهر متصل به، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ الآية. وإتمام الآية في قوله: ﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ما بعدها من قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ إضماراً فيها وإن كان نطقاً ظاهراً.

وليس السهو الذي يطرأ عليه في صلاته ولا يقدر على دفعه عن نفسه هو الذي ذم به، لأنه عفو.

وفي تأويل ما استحق به هذا الذم ستة أوجه:

أحدها: أن معنى ساهون أي لاهون^(٤٨٦)، قاله مجاهد.

(٤٨٥) وهي قراءة الحسن وأبي رجاء ونقل عن علي كما في الفتح (٦٠٢/٨).

(٤٨٦) قال الحافظ ابن كثير (٤ /) قوله «قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» أما عن فعلها بالكلية كما قال ابن عباس وأما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قال

الثاني : غافلون ، قاله قتادة .

الثالث : أن لا يصلّيها سراً ويصلّيها علانية رياء للمؤمنين ، قاله الحسن .

الرابع : هو الذي يلتفت يمنة ويسرة هواناً بصلاته ، قاله أبو العالية .

الخامس : هو ألا يقرأ ولا يذكر الله ، قاله قطرب .

السادس : هو ما روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص (٤٨٧) عن أبيه قال : سألت

رسول الله ﷺ عن «الذين هم عن صلاتهم ساهون» فقال : هم الذين يؤخرون الصلاة عن مواقيتها .

﴿الذين هم يُراءون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : المنافقون الذين يراءون بصلاتهم ، يصلّونها مع الناس إذا حضروا ،

ولا يصلّونها إذا غابوا ، قاله علي وابن عباس .

الثاني : أنه عام في ذم كل من رأى لعمله ولم يقصد به إخلاصاً لوجه ربه .

روي عن النبي ﷺ أنه قال (٤٨٨) : «يقول الله تعالى : مَنْ عَمِلَ عملاً لغيري فقد أشرك

بي وأنا أغنى الشركاء عن الشرك» .

﴿وَيَمْنَعُونَ الماعون﴾ فيه ثمانية تأويلات :

أحدها : أن الماعون الزكاة ، قاله علي وابن عمر والحسن وعكرمة و قتادة ، قال

الراعي (٤٨٩) :

مسروق وأبو الضحى وأما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخر دائماً أو غالباً وأما عن أداؤها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور وأما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية . .

(٤٨٧) رواه ابن جرير (٣١٣/٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٦٤٢/٨) نسبته لأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي

حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في سننه وقال الهيثمي في المجمع (١٤٣/٧) بعد

روايته من طريق الطبراني «فيه عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف جداً ورواه ابن جرير (٣١١/٣٠)

والفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه موقوفاً على سعد ورجح الحاكم

وقفه كذا البيهقي كما في الدر (٦٤٢/٨) ونسبه الحافظ في الفتح (٦٠٢/٨) لعبد الرزاق أيضاً .

(٤٨٨) رواه ابن ماجه (٤٢٠٢) ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال قال الله عز وجل : «أنا

أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك» .

وقال المنذري في الترغيب والترهيب رواة ابن ماجه ثقات وزاد نسبته لابن خزيمة في صحيحه والبيهقي

والحديث صححه الألباني الترغيب والترهيب (١٨/١) .

(٤٨٩) تقدم تخريج هذه الآيات .

أَخْلَيْفَةُ الرَّحْمَنِ إِنَّا مَعَشَرٌ حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بِكْرَةً وَأَصِيلًا.
عَرَبٌ نَرَى لِلَّهِ فِي أَمْوَالِنَا حَقَّ الزَّكَاةِ مُنْزَلًا تَنْزِيلًا
قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيَضِيعُوا التَّهْلِيلَا
الثاني: أنه المعروف، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه الطاعة، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه المال بلسان قريش، قاله سعيد بن المسيب والزهري.

الخامس: أنه الماء إذا احتيج إليه ومنه الماء المعين وهو الجاري، قال
الأعشى (٤٩٠):

بَأَجُودٍ مِنَّا بِمَاعُونِهِ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغْمِ
السادس: أنه ما يتعاوره الناس بينهم، مثل الدلو والقدر والفأس، قاله ابن
عباس (٤٩١)، وقد روي مأثوراً (٤٩٢).

السابع: أنه منع الحق، قاله عبد الله بن عمر.

الثامن: أنه المستغل من منافع الأموال، مأخوذ من المعنى وهو القليل، قاله
الطبري (٤٩٣) وابن عيسى.

ويحتمل تاسعاً: أنه المعونة بما خف فعله وقل ثقله.

(٤٩٠) ديوانه: ١٧٠ القرطبي (٢١٤/٢٠) والطبري (٣١٤/٣٠) وفتح القدير (٥٠٠/٥).

(٤٩١) رواه الطبري (٣١٨/٣٠) والطبراني كما في المجمع (١٤٣/٧) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.

(٤٩٢) وهذا المأثور ورد موقوفاً له حكم الرفع من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فرواه البزار والطبراني ولفظه
كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ الدلو والفأس والقدر قال الهيثمي في المجمع (١٤٣/٧).
رجال الطبراني رجال الصحيح.

ورواه أبو داود (١٦٥٧) والنسائي كما في الفتح (٦٠٣/٨) ولفظه كنا نعد الماعون على عهد رسول الله
ﷺ عارية الدلو والقدر وزاد السيوطي في الدر (٤٠٠/٦) نسبته لسعيد بن منصور وابن أبي شيبه والبزار
وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي.
(٤٩٣) جامع البيان (٣١٣/٣٠).

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ
هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فيه تسعة تأويلات :

أحدها : أن الكوثر النبوة، قاله عكرمة .

الثاني : القرآن، قاله الحسن .

الثالث : الإسلام، حكاه المغيرة .

الرابع : أنه نهر في الجنة، رواه ابن (٤٩٤) عمر وأنس (٤٩٥) مرفوعاً .

الخامس : أنه حوض النبي (٤٩٦) ﷺ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة، قاله

عطاء .

(٤٩٤) رواه الترمذي (٣٣٥٨) وابن ماجه (٤٣٣٤) وأحمد (١١٢/٢) وإسناده صحيح كما قال الأرناؤوط في

تخريج جامع الأصول (٤٣٩/٢) وزاد السيوطي في الدر (٤٠٣/٦) نسبته لابن أبي شيبه وابن المنذر
وابن مردويه وابن أبي حاتم .

(٤٩٥) رواه مسلم (٣٠٠/١) وابن جرير (٣٢٤/٣٠) وأبو داود (٤٧٤٧، ٤٧٤٨) والنسائي

(١٣٤، ١٣٣/٣) وزاد السيوطي في الدر (٦٤٧/٨) نسبته للبيهقي في سننه وابن مردويه وابن أبي شيبه
وأحمد .

(٤٩٦) ولا ينافي هذا القول القول الذي قبله فإن النبي ﷺ له نهر في الجنة يصب في حوض أمام باب الجنة

يشرب منه الناس في أرض المحشر قبل دخول الجنة .

- السادس : أنه الخير الكثير، قاله ابن عباس .
- السابع : أنه كثرة أمته، قاله أبو بكر بن عياش .
- الثامن : أنه الإيثار، قاله ابن كيسان .
- التاسع : أنه رفعة الذكر، وهو فوعل من الكثرة .
- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :
- أحدها : الصلاة المكتوبة، وهي صلاة الصبح بمزدلفة، قاله مجاهد .
- الثاني : صلاة العيد، قاله عطاء .
- الثالث : معناه اشكر ربك، قاله عكرمة .
- ﴿وَانْحَرْ﴾ فيه خمسة تأويلات :
- أحدها : وانحر هديك أو أضحتك، قاله ابن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة .
- الثاني : وانحر أي وسل، قاله الضحاك .
- الثالث : معناه أن يضع اليمين على الشمال عند نحره في الصلاة، قاله عليّ (٤٩٧) وابن عباس رضي الله عنهما .
- الرابع : أن يرفع يديه في التكبير، رواه عليّ (٤٩٨) .
- الخامس : أنه أراد واستقبل القبلة في الصلاة بنحرك، قاله أبو الأحوص ومنه قول الشاعر (٤٩٩) :

(٤٩٧) رواه ابن جرير (٣٢٥/٣٠) والبخاري في تاريخه (٤٣٧/٦) والحاكم (٥٣٧/٢) وزاد السيوطي في الدر (٦٥٠/٨) نسبه لابن أبي شيبه وابن أبي حاتم والدارقطني في الأفراد وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه ولكن قال الحافظ ابن كثير (٥٥٨/٤) . ولا يصح وعند الشعبي مثله .

(٤٩٨) رواه ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة وابن مردويه والبيهقي ولا شك أن القول الأول الذي ذكره المصنف هو الصواب وهو قول الجمهور ولهذا قال العلامة ابن كثير (٥٥٩/٤) والصحيح القول الأول أن المراد بالتحريض المناسك ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه . الخ .

(٤٩٩) وقد رواه علي مرفوعاً ولم يصح هذا الحديث فقد أخرجه الحاكم (٥٣٨/٢) وزاد السيوطي في الدر (٦٥٠/٨) نسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه قال العلامة الألوسي (٤٤٧/٣٠) نقلاً عن السيوطي وحديث عليّ كرم الله وجهه أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم بسند ضعيف .

وقال الحافظ ابن كثير (٥٥٩/٤) حديث منكر جداً بل أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات قلت : لأن في سنده إسرائيل بن حاتم وهو صاحب عجائب لا تعتمد عليه وأصبح شيعي متروك عند النسائي . أفاده الذهبي في تهذيب المستدرک (٥٣٨/٢) .

أَبَا حَكَمٍ هَلْ أَنْتَ عَمُّ مُجَالِدٍ وَسَيْدُ أَهْلِ الْأَبْطَحِ الْمَتَاحِرِ.
أي المتقابل.

﴿إِنْ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ في شأنك وجهان:

أحدهما: مبغضك، قاله ابن شجرة.

الثاني: عدوك، قاله ابن عباس.

وفي «الأبتر» خمسة تأويلات:

أحدها: أنه الحقير الذليل، قاله قتادة.

الثاني: معناه الفرد الوحيد، قاله عكرمة.

الثالث: أنه الذي لا خير فيه حتى صار مثل الأبتر، وهذا قول مأثور^(٥٠٠).

الرابع: أن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده، قد بتر فلان فلما مات لرسول الله ﷺ ابنه القاسم بمكة، وإبراهيم بالمدينة، قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده، فنزلت الآية، قاله السدي وابن زيد.

الخامس: أن الله تعالى لما أوحى إلى رسول الله ﷺ ودعا قريش إلى الإيمان، قالوا ابتتر منا محمد، أي خالفنا وانقطع عنا، فأخبر الله تعالى رسوله أنهم هم المبتورون، قاله عكرمة^(٥٠١) وشهر بن حوشب.

واختلف في المراد من قريش بقوله ﴿إِنْ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ على ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه أبو لهب، قاله عطاء.

الثاني: أبو جهل، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه العاص بن وائل، قاله عكرمة^(٥٠٢). والله أعلم.

(٥٠٠) روح المعاني (٢٤٧/٣٠) فتح القدير (٥٠٢/٥) القرطبي (٢٠/٢١٩).

(٥٠١) وروى البزار بسند صحيحه ابن كثير (٥٥٩/٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا (الصابي) المنبتر من قومه يزعم أنه جاء ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية فقال أنتم خير منه فنزلت ﴿إِنْ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

(٥٠٢) وقيل هو كعب بن الأشرف كما سبق في التعليق الذي قبله.

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الآيات، ذكر محمد بن إسحاق أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمّية بن خلف لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد. ونعبد ما تعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذنا بحظك منه، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فصار حرف الأمر في هذه السورة وسورة الإخلاص والمعوذتين متلوّاً، لأنها نزلت جواباً، عني بالكافرين قوماً معينين، لا جميع الكافرين، لأن منهم من آمن، فعبد الله، ومنهم من مات أو قتل على كفره، وهم المخاطبون بهذا القول فمنهم المذكورون.

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني من الأوثان.

﴿ولا أنتم عابدون ما أَعْبُدُ﴾ يعني الله تعالى وحده، الآيات.

فإن قيل : ما فائدة هذا التكرار؟

قيل : فيه وجهان : أحدهما : أن قوله في الأول «لا أعبد» و «لا تعبدون» يعني في الحال، وقوله الثاني : يعني في المستقبل، قاله الأخفش.

الثاني : أن الأول في قوله «لا أعبد» و «لا أنتم» الآية يعني في المستقبل (٥٠٣)، والثاني : إخبار عنه وعنهم في الماضي، فلم يكن ذلك تكراراً لاختلاف المقصود فيهما.

فإن قيل : فلم قال «ما أَعْبُدُ» ولم يقل «من أَعْبُدُ»؟

قيل : لأنه مقابل لقوله : ﴿ولا أنا عابد ما عَبَدْتُمْ﴾ وهي أصنام وأوثان، ولا يصلح فيها إلا «ما» دون «من» فحمل الثاني على الأول ليتقابل الكلام ولا يتنافى.

﴿لكم دينكم ولي دين﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لكم دينكم الذي تعتقدونه من الكفر، ولي ديني الذي أعتقده من الإسلام، قاله يحيى بن سلام.

الثاني : لكم جزاء عملكم، ولي جزاء عملي.

وهذا تهديد منه لهم، ومعناه وكفى بجزاء عملي ثواباً، قاله ابن عيسى.

قال ابن عباس : ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة، لأنها توحيد وبراءة من الشرك (٥٠٤).

(٥٠٣) في هذه الآيات تأكيد واضح لاستقلالية الإيمان وأن العقيدة الإسلامية لا تقبل أنصاف الحلول مطلقاً إذ أن أركان الإيمان وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة على الإطلاق فمن اعتراه ريب أو شك في عقيدته فقد ضل ضلالاً بعيداً ومجرد النطق بكلام الكفر يخرج الشخص عن الإسلام ويحبط عمله الصالح قال تعالى : ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ ولو أن شخصاً نوى بقلبه أن يكفر بعد حين فقد ارتد عن الإسلام بمجرد هذه النية ولا يعود إلى الإسلام إلا بعد التبرؤ من كفره ثم الإتيان بالشهادتين ولا ينفعه الاستغفار قبل الشهادتين.

(٥٠٤) كيف لا وقد اشتملت هذه السورة على نوعي التوحيد القولي والعملي ولهذا كان رسول الله ﷺ يقرأ بها في مناسبات خاصة.

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ أما النصر فهو المعونة مأخوذ من قولهم قد نصر الغيث الأرض إذا أعان على نباتها ومنع من قحطها، قال الشاعر (٥٠٥):
إذا انسلخ الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وأنصري أرض عامر.
وفي المعنى بهذا النصر قولان:

أحدهما: نصر الرسول على قريش، قاله الطبري.

الثاني: نصره على كل من قاتله من أعدائه، فإن عاقبة النصر كانت له.
وقيل: إذا جاء نصره بإظهاره إياك على أعدائك، والفتح: فتحه مكة وقيل المراد حين نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم. وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزاً للإشعار بأن المقدرات متوجهة (٥٠٦) حين إلى أوقاتها المعينة لها، فتعرف منها شيئاً فشيئاً، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكره.

(٥٠٥) هو الراعي النميري والبيت في اللسان نصر والقرطبي (٢٣٠/٢٠) وفتح القدير (٥٠٩/٥) وفيه إذا انصرف الشهر الحرام...

(٥٠٦) يعني أن الأشياء كانت سابقة في القدر معلومة ومكتوبة وتظهر إلى عالم الوجود في أوقاتها التي قدرها الله لها.

وفي هذا الفتح قولان:

أحدهما: فتح مكة، قاله الحسن ومجاهد.

الثاني: فتح المدائن والقصور، قاله ابن عباس وابن جبير، وقيل ما فتحه عليه من العلوم.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل اليمن، وروى عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال:

«الدين يمان والفقہ يمان والحكمة يمانية» وروي عنه (٥٠٨) عليه السلام أنه قال: إني لأجد نفس ربكم من قبل اليمن» وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه الفرج لتتابع إسلامهم أفواجا.

الثاني: معناه أن الله تعالى نفس الكرب عن نبيه بأهل اليمن، وهم الأنصار.

القول الثاني: أنهم سائر الأمم الذين دخلوا في الإسلام، قاله محمد بن كعب.

وقال الحسن: لما فتح الله على رسوله مكة، قالت العرب بعضهم لبعض: أيها القوم ليس لكم به ولا بالقوم يد، فجعلوا يدخلون في دين الله أفواجا أمة أمة.

قال الضحاك: والأمة أربعون رجلا، وقال ابن عباس: الأفواج «الزمر»، وقال الكلبي: الأفواج القبائل.

وروى جابر بن عبد الله (٥٠٩) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَسَيُخْرِجُونَ أَفْوَاجًا».

(٥٠٧) رواه ابن جرير (٣٣٢/٣٠) ولفظه عن ابن عباس «قال بينا رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قال: «الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن» قيل يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الإيمان يمان والفقہ يمان والحكمة يمانية».

(٥٠٨) قال الحافظ في تخریج الكشف ص ١٨٩ رواه الطبراني في الأوسط ومسند الشاميين من طريق حريز بن عثمان عن شبيب بن روح عن أبي هريرة به في حديث أوله الإيمان يمان ولا يأس بإسناده وله شاهد من حديث سلمة بن نفيل السكوني في مسند البزار والطبراني في الكبير والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٦٢ وفي إسناده إبراهيم بن سليمان الأفيطس قال البزار إنه غير مشهور والراوي عنه عبد الله بن سالم الحمصي وكان أبو داود يذمه.

(٥٠٩) رواه أحمد (٣٤٣/٣) وزاد السيوطي في الدر (٦٦٤/٨) نسبته لابن مردويه.

«أفواجاً» جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وقبائل سائر العرب.

«يدخلون» حال، على أن «رأيت» بمعنى أبصرت، أو مفعول ثان على أن رأيت بمعنى علمت.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ في أمره بهذا التسبيح والاستغفار وجهان: أحدهما: أنه أراد بالتسبيح الصلاة، قاله ابن عباس، وبلاستغفار مداومة الذكر.

الثاني: أنه أراد صريح التسبيح، الذي هو التنزيه والاستغفار من الذنوب. روت عائشة قالت (٥١٠): كان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، فقلت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثها؟ فقال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها». وفي قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ وجهان:

أحدهما: قابل التوبة.

والثاني: متجاوز عن الصغائر.

وفي أمره بهذا بعد النصر والفتح وجهان:

أحدهما: ليكون ذلك منه شكراً لله تعالى على نعمه، لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر.

الثاني: أنه نعى إليه نفسه، ليجد في عمله.

قال ابن عباس: وداع من الله، ووداع من الدنيا، فلم يعيش بعدها إلا سنتين مستديماً التسبيح والاستغفار كما أمر، وكان قد لبث أربعين سنة لم يوح إليه، ورأى رؤيا النبوة سنتين، ومات في شهر ربيع الأول وفيه هاجر.

وقال مقاتل (٥١١): نزلت هذه السورة بعد فتح الطائف، والفتح فتح مكة،

(٥١٠) رواه ابن جرير (٣٠/٣٣٣، ٣٣٣) واللفظ له والبخاري مختصراً (٨/٥٦٤) وزاد السيوطي في الدر (٨/٦٦٣) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه وله ألفاظ كثيرة متقاربة فراجعها في الدر (٨/٦٦٣، ٦٦٤).

(٥١١) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٩ ذكره الثعلبي عن مقاتل وأسند إليه دون الكتاب.

والناس أهل اليمن، وهي آية موت النبي ﷺ فلما نزلت قرأها على أبي بكر وعمر وفرحوا بالنصر وبدخول الناس أفواجاً في دين الله عز وجل، وسمعتها العباس فبكى، فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عم؟» فقال: نعت إليك نفسك، قال: إنه لكما تقول..».

وهذه السورة تسمى التوديع، عاش النبي بعدها حولاً على قول مقاتل، وحولين^(٥١٢) على قول ابن عباس، ثم حج رسول الله ﷺ من قابل، فنزل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية، فعاش بعدها ثمانين يوماً، ثم نزلت «لقد جاءكم رسول» فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً، ثم نزلت ﴿وانتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فعاش بعدها واحداً وعشرين يوماً.

وقال مقاتل: عاش بعدها^(٥١٣) سبعة أيام، والله أعلم وصلوات الله عليه متتابعة لا تنقطع على مر الأزمان وكر الأوان، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

(٥١٢) وهذه الأقوال كلها فيها نظر فإن هذه السورة نزلت في حجة الوداع وانتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه في ربيع الأول من السنة الثالثة.

(٥١٣) أي بعد نزول هذه الآية وهي قوله ﴿وانتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾.

سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ اختلف في سبب نزولها في أبي لهب على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب^(٥١٤) أتى النبي ﷺ فقال: ماذا أعطى إن آمنت بك يا محمد؟ قال: ما يعطى المسلمون، قال: ما عليهم فضل؟ قال: وأي شيء تبتغي؟ قال: تباً لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

الثاني: ما رواه ابن عباس أنه لما نزل^(٥١٥) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليها، ثم نادى يا صباحاه! فاجتمع الناس إليه، فقال: أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟ قالوا:

(٥١٤) رواه الطبري (٣٣٦/٣٠).

(٥١٥) رواه البخاري (٦٠٩/٨) ومسلم (١٩٤/١) بمعناه والطبري (٣٣٦/٣٠) وزاد السيوطي في الدر

(٦٦٦/٨) نسبته لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وأبي

نعيم.

نعم، قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟! فأنزل الله تعالى هذه السورة.

الثالث: ما حكاه عبد الرحمن بن كيسان أنه كان (٥١٦) إذا وفد على النبي ﷺ وفد انطلق إليهم أبو لهب، فيسألونه عن رسول الله ويقولون: أنت أعلم به، فيقول لهم أبو لهب: إنه كذاب ساحر، فيرجعون عنه ولا يلقونه، فأتاه وفد، ففعل معهم مثل ذلك، فقالوا: لا نصرف حتى نراه ونسمع كلامه، فقال لهم أبو لهب: إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتباً له وتعساً، فأخبر بذلك النبي ﷺ فاكتأب له، فأنزل الله تعالى «تَبَّتْ» السورة، وفي «تَبَّتْ» خمسة أوجه:

أحدها: خابت، قاله ابن عباس.

الثاني: ضلّت، وهو قول عطاء.

الثالث: هلكت، قاله ابن جبير.

الرابع: صُفِرَتْ من كل خير، قاله يمان بن رثاب.

حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قتل عثمان بن عفان سمع الناس هاتفاً يقول (٥١٧):

لَقَدْ خَلَّوْكَ وَانْصَدَعُوا فَمَا آبُوا وَلَا رَجَعُوا
وَلَمْ يَوْفُوا بِنَذْرِهِمْ فَيَا تَبًّا لِمَا صَنَعُوا

والخامس: خسرت، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

تَوَاعَدَنِي قَوْمِي لَيْسَعُوا بِمَهْجَتِي بِجَارِيَةِ لَهُمْ تَبًّا لَهُمْ تَبًّا.

وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا لَهْبٌ﴾ وجهان:

أحدهما: يعني نفس أبي لهب، وقد يعبر عن النفس باليد كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ أي نفسك.

الثاني: أي عمل أبي لهب، وإنما نسب العمل إلى اليد لأنه في الأكثر يكون

بها.

(٥١٦) ذكره القرطبي (٢٠/٢٣٥).

(٥١٧) وهو قول عبد الله بن كثير أخرجه عنه الفاكهي كما أفاده الحافظ في الفتح (٨/٦٠٩).

وقيل إنه كني أبا لهب لحُسْنِه^(٥١٨) وتَلَهَّب وجنته، وفي ذكر الله له بكنيته دون اسمه ثلاثة أوجه:

أحدها: لأنه كان بكنيته أشهر منه باسمه.

الثاني: لأنه كان مسمى بعبد هشم، وقيل إنه عبد العزى فلذلك عدل عنه.

الثالث: لأن الاسم أشرف من الكنية، لأن الكنية إشارة إليه باسم غيره، ولذلك دعا الله أنبياءه بأسمائهم.

وفي قوله ﴿وَتَبَّ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنه تأكيد للأول من قوله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ فقال بعده «وتب» تأكيداً.

الثاني: يعني تبَّتْ يدا أبي لهب بما منعه الله تعالى من أذى لرسوله، وتب بما له عند الله من أليم عقابه.

الثالث: يعني قد تَبَّ، قاله ابن عباس.

الرابع: يعني وتَبَّ ولد أبي لهب، قاله مجاهد.

وفي قراءة ابن مسعود: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وقد تب، جعله خبراً، وهي على قراءة غيره تكون دعاء كالأول.

وفيما تبَّتْ عنه يدا أبي لهب وجهان:

أحدهما: عن التوحيد، قاله ابن عباس.

الثاني: عن الخيرات، قاله مجاهد.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ في قوله «ما أغنى عنه» وجهان:

أحدهما: ما دفع عنه.

الثاني: ما نفعه، قاله الضحاك.

وفي ﴿مَالُهُ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه أراد أغنامه، لأنه كان صاحب سائمة، قاله أبو العالية.

الثاني: أنه أراد تليده وطارفه، والتليد: الموروث، والطارف: المكتسب.

وفي قوله ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ وجهان:

(٥١٨) قال الحافظ في الفتح (٦٠٩/٨) ولا حجة فيه لمن قال بجواز تكنية المشرك على الإطلاق بل محل الجواز إذا لم يقتض ذلك التعظيم له أو دعت الحاجة إليه.

أحدهما: عمله الخبيث، قاله الضحاك.

الثاني: ولده، قاله ابن عباس.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أولادكم من كسبكم»^(٥١٩).

وكان ولده عتبة بن أبي لهب مبالغاً في عداوة النبي ﷺ كأبيه، فقال حين نزلت ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ كفرت بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، وتفل في وجه رسول الله ﷺ إلى الشام، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فأكله الأسد^(٥٢٠).

وفيما لم يغن عنه ماله وما كسب وجهان:

أحدهما: في عداوته النبي ﷺ.

الثاني: في دفع النار عنه يوم القيامة.

﴿سَيُصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ في سين سيصلى وجهان:

أحدهما: أنه سين سوف.

الثاني: سين الوعيد، كقوله تعالى ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ و﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلُوعٍ﴾.

وفي ﴿يُصْلَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: صلي النار، أي حطباً ووقوداً، قاله ابن كيسان.

الثاني: يعني تصليه النار، أي تنضجه، وهو معنى قول ابن عباس، فيكون

على الوجه الأول صفة له في النار، وعلى الوجه الثاني صفة للنار.

وفي ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وجهان:

أحدهما: ذات ارتفاع وقوة واشتعال، فوصف ناره ذات اللهب بقوتها، لأن قوة

النار تكون مع بقاء لهبها.

الثاني: ما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده.

وهذه الآية تشتمل على أمرين:

(٥١٩) جزء من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً أوله... إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن... الحديث.

رواه أبو داود ٣٥٢٨ والترمذي ١٣٥٨ والنسائي (٢٤١/٧) وصححه الشيخ الأرنؤوط في تخريج جامع الأصول (٥٧٠/١٠).

(٥٢٠) ورد هذا في السيرة بالفاظ متقاربة.

أحدهما: وعيد من الله حق عليه بكفره.

الثاني: إخبار منه تعالى بأنه سيموت على كفره، وكان خبره صدقاً، ووعيده حقاً.

﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ وهي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان.

وفي ﴿حمالة الحطب﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنها كانت تحتطب الشوك فتلقيه في طريق النبي ﷺ ليلاً، قاله ابن عباس (٥٢١).

الثاني: أنها كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر، فكان يحتطب فعيّرت بأنها كانت تحتطب، قاله قتادة.

الثالث: أنها كانت تحتطب الكلام وتمشي بالنميمة، قاله الحسن والسدي فسمي الماشي بالنميمة حمال الحطب لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب، قال الشاعر (٥٢٢):

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ حَمَلُوا الْحَطَبَ هُمُ الْوُشَاةُ فِي الرُّضَا وَفِي الْغَضَبِ.
عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ تَتَرَى وَالْحَرْبُ.

وقال آخر (٥٢٣):

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تُصْطَدْ عَلَى ظَهَرِ لَأْمِيَةٍ وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ وَالرُّطْبِ.
الرابع: أنه أراد ما حملته من الآثام في عداوة رسول الله ﷺ لأنه كالحطب في مصيره إلى النار.

﴿في جديها حبل من مسد﴾ جيدها: عنقها.

وفي ﴿حبل من مسد﴾ سبعة أقاويل:

أحدها: أنه سلسلة من حديد، قاله عروة بن الزبير، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿ذرعها سبعون ذراعاً﴾ قال الحسن: سميت السلسلة مسداً لأنها ممسودة، أي مفتولة.

(٥٢١) رواه ابن جرير (٣٣٨/٣٠) وزاد السيوطي (٦٦/٨) نسبته لليهقي في الدلائل وابن عساكر وسنده ضعيف.

(٥٢٢) القرطبي (٢٣٩/٢٠) فتح القدير (٥١٢/٥) روح المعاني (٢٦٣/٣٠).

(٥٢٣) القرطبي (٢٣٩/٢٠) فتح القدير (٥١٢/٥) روح المعاني (٢٦٣/٣٠).

الثاني : أنه حبل من ليف النخل ، قاله الشعبي ، ومنه قول الشاعر :

أعوذ بالله من ليل يُقربني إلى مُضاجعةٍ كالدُّلكِ بالمَسدِ .

الثالث : أنها قلادة من ودع ، على وجه التعبير لها ، قاله قتادة .

الرابع : أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها ، قاله الحسن ، ذكرت به على وجه التعبير أيضاً .

الخامس : أنها قلادة من جوهر فاخر ، قالت لأنفقتها في عداوة محمد ، ويكون ذلك عذاباً في جيدها يوم القيامة .

السادس : أنه إشارة إلى الخذلان ، يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوطة في جيدها بحبل من مسد .

السابع : أنه لما حملت أوزار كفرها صارت كالحاملة لحطب نارها التي تصلي بها .

روى الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر^(٥٢٤) أنه لما نزلت «تبت يدا» في أبي لهب وامراته أم جميل أقبلت ولها ولولة وفي يدها قهر وهي تقول :
مُذَمَّمًا عَصَيْنَا وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا
وَدَيْنَهُ قَلَيْنَا .

ورسول الله ﷺ في المسجد ، ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله قد أقبلت وإنني أخاف أن تراك ، فقال : إنها لن تراني ، وقرأ قرآناً اعتصم به ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ فأقبلت على أبي بكر ، ولم تر رسول الله ، فقالت : يا أبا بكر إنني أخبرت أن صاحبك هجاني ، فقال : لا ورب هذا البيت ، ما هجاك ، فقلت فعثرت في مرطها ، فقالت : تعس مذمم ، وانصرفت .

(٥٢٤) رواه الحميدي (٣٢٣/١) واللفظ له وأبو يعلى وابن أبي حاتم كما في الفتح (٦١٠/٨) من حديث أسماء بنت أبي بكر ورواه الحاكم (٣٦١/٢) من حديثها مختصراً . قال الهيثمي بعدما ساقه رواه أبو يعلى وفيه تدرس جد أبي الزبير ولم أعرفه ، أهد قال العلامة الأعظمي في تخريجه على الحميدي (١٥٥/١) قلت وتدوس تصحيف والصواب تدرس ولا يطمئن القلب بأنه فيه تدرس جد أبي الزبير بل فيه ابن تدرس وهو أبو الزبير نفسه نسب إلى جده وقال الحافظ في الفتح (١١٧/٧) رواه أبو يعلى بإسناد حسن وتدرس ومسلم بن تدرس والد أبي الزبير لم أجدهما فيما عندي من كتب الرجال .

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اختلف في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن اليهود قالوا للنبي ﷺ هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله؟ فنزلت هذه السورة جواباً لهم ، قاله قتادة .

الثاني^(٥٢٥) : أن مشركي قريش قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك ، فانزل الله هذه السورة ، وقال : يا محمد انسبني إلى هذا ، وهذا قول أبي بن كعب .

الثالث : ما رواه أبو روق عن الضحاك أن المشركين^(٥٢٦) أرسلوا عامر بن

(٥٢٥) وهذا القول هو المشهور .

(٥٢٦) رواه أحمد (١٣٣/٥) والترمذي (١٧٢/٢) والطبري (٣٤٢/٣٠) من حديث ابن سعد الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب وفي سنده ضعف ورواه الحاكم (٥٤٠/٣) من حديث ابن سعد الصغاني به وصححه ووافقه الذهبي .

وأورده السيوطي في الدر (٨ /) وزاد نسبه للبخاري في تاريخه وابن خزيمة وابن أبي حاتم في السنة

الطفيل إلى رسول الله ﷺ فقالوا: قل له شققت عصانا وسيبت آلهتنا وخالفت دين آبائك، فإن كنت فقيراً أغنيناك وإن كنت مجنوناً داويناك، وإن هويت امرأة زوجناكها، فقال رسول الله ﷺ: لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة، أنا رسول الله إليكم، أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادته، فأرسلوه ثانية وقالوا له: قل له بين لنا جنس معبودك، فأنزل الله هذه السورة، فأرسلوه الثالثة وقالوا: قل له لنا ثلاثمائة وستون صنماً لا تقوم بحوائجنا، فكيف يقوم إله واحد بحوائج الخلق كلهم؟ فأنزل الله سورة الصفات إلى قوله ﴿إِنَّ إِلَهًا لَّوَاحِدٌ﴾ يعني في جميع حوائجكم، فأرسلوه رابعة وقالوا: قل له بين لنا أفعال ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية، وقوله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾.

﴿قل هو الله أحد﴾ خرج مخرج جواب السائل عن الله تعالى، فقال لرسوله ﷺ ﴿قل هو الله أحد﴾ والأحد: هو المتفرد بصفاته الذي لا مثل له ولا شبه.

فإن قيل: فلم قال «أحد» على وجه النكرة، ولم يقل «الأحد»؟ قيل عنه جوابان: أحدهما: أنه حذف لام التعريف على نية إضممارها فصارت محذوفة في الظاهر، مثبتة في الباطن، ومعناه قل هو الله الأحد.

الثاني: أنه ليس بنكرة، وإنما هو بيان وترجمة، قاله المبرد.

فأما الأحد والواحد ففيهما وجهان:

أحدهما: أن الأحد لا يدخل العدد، والواحد يدخل في العدد، لأنك تجعل للواحد ثانياً، ولا تجعل للأحد ثانياً.

الثاني: أن الأحد يستوعب جنسه، والواحد لا يستوعب، لأنك لو قلت فلان لا

والبغوي في معجمه وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي بن كعب.

ورواه الترمذي (١٧٢/٢) عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية مرسلاً ولم يذكر فيه أبي بن كعب وقال هذا أصح من حديث ابن سعد الصغاني ورواه الطبري (٣٤٣/٣) عن محمد بن عوف عن شريح عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر، ومجالد ليس بالقوي وذكره ابن كثير (٥٦٥/٤) من رواية أبي يعلى من طريق مجالد عن الشعبي به وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٦/٧) من رواية الطبراني في الأوسط وأبي يعلى وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً وابن مسعود راجع تفسير ابن كثير (٥٦٦/٤) وحديث جابر حسنه السيوطي في الدر (٦٦٩/٨).

يقاومه أحد، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر، فصار الأحد أبلغ من الواحد.

وفي تسميتها بسورة الإخلاص ثلاثة أوجه:

أحدها: لأن في قراءتها خلاصاً من عذاب الله.

الثاني: لأن فيها إخلاص لله من كل عيب ومن كل شريك وولد، قاله عبد الله ابن المبارك.

الثالث: لأنها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهي.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أن الصمد المصمت الذي لا جوف له، قاله الحسن وعكرمة

والضحاك وابن جبير، قال الشاعر:

شَهَابٌ حُرُوبٌ لَا تَزَالُ جِيَادُهُ عَوَاسٍ يَغْلُكُنَ الشَّكِيمَ الْمُصَمِّدَا

الثاني: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، قاله الشعبي.

الثالث: أنه الباقي الذي لا يفنى، قاله قتادة، وقال الحسن: إنه الدائم الذي

لم يزل ولا يزال.

الرابع: هو الذي لم يلد ولم يولد، قاله محمد بن كعب.

الخامس: أنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم، قاله ابن عباس، ومنه قول

الشاعر (٥٢٧):

أَلَا بَكْرُ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بَعْمَرِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ.

السادس: أنه السيد الذي قد انتهى سؤده (٥٢٨)، قاله أبو وائل وسفيان وقال

الشاعر (٥٢٩):

عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ خُذْهَا حُذَيْفَ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ.

السابع: أنه الكامل الذي لا عيب فيه، قاله مقاتل، ومنه قول الزبرقان:

سَارُوا جَمِيعاً بِنُصْفِ اللَّيْلِ وَاعْتَمَدُوا إِلَّا رَهِينَةً إِلَّا السَّيِّدُ الصَّمَدُ.

(٥٢٧) هو سبرة بن عمرو الأسدي والبيت في مجاز القرآن (٣١٦/٢) والسمط (٩٣٣) والطبري (٣٤٧/٣٠)

والقرطبي (٢٤٥/٢٠) وفتح القدير (٥١٦/٥) واللسان (صمد) وروح المعاني (٢٧٣/٣٠) وفتح

الباري (٦١٢/٨).

(٥٢٨) وقد ورد عن ابن عباس رواه الطبري (٣٤٦/٣٠).

(٥٢٩) اللسان «صمد» فتح القدير (٥١٦/٥) القرطبي (٢٤٥/٢٠) روح المعاني (٢٧٣/٣٠).

الثامن: أنه المقصود إليه في الرغائب، والمستغاث به في المصائب، قاله السدي.

التاسع: أنه المستغني عن كل أحد قاله أبو هريرة.

العاشر: أنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، قاله الحسين بن فضيل.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يلد فيكون والدًا، ولم يولد فيكون ولدًا، قاله ابن عباس.

الثاني: لم يلد فيكون في العز مشاركًا، ولم يولد فيكون موروثًا هالكًا، قاله الحسين بن فضيل.

ولأنما كان كذلك لأمرين:

أحدهما: أن هاتين صفتا نقص فانتفتا عنه.

الثاني: أنه لا مثل له، فلو وَلَدَ أو وُلِدَ لصار ذا مثل، والله تعالى منزّه عن أن يكون له مثل.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يكن له مثل ولا عدیل، قاله أبي بن كعب وعطاء.

الثاني: يعني لم تكن له صاحبة، فنفي عنه الولد والوالدة والصاحبة، قاله

مجاهد.

الثالث: أنه لا يكافئه في خلقه أحد، قاله قتادة وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم

يكن له أحد كُفُوًا، فقدم خبر كان على اسمها لتتساق أو آخر الآي على نظم واحد.

سُورَةُ الْفَلَقِ

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

وهذه والناس معوذتا رسول الله ﷺ حين سحرته اليهود^(٥٣٠)، وقيل إن المعوذتين كان يقال لهما «المقشقتان» أي مبرئتان من النفاق، وزعم ابن مسعود أنهما^(٥٣١) دعاء تعوذ به وليستا من القرآن، وهذا قول خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت^(٥٣٢).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فيه ستة تأويلات :

(٥٣٠) وهو مشهور بحديث السحر وقد تقدم تخريجه في سورة البقرة والكلام عليه.
 (٥٣١) رواه البزار كما في الفتح (٦١٥/٨) وقال البزار ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة ثم ذكر الحافظ رحمه الله ما يؤيد كلام البزار فراجعه فإنه مهم.
 (٥٣٢) وقد أول بعض العلماء ما جاء عن ابن مسعود راجع الفتح (٦١٥/٨).

أحدها: أن الفلق سجن في جهنم، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله أبو عبد الرحمن.

الثالث: أنه الخلق كله، قاله الضحاك.

الرابع: أنه فلق الصبح^(٥٣٣)، قاله جابر بن عبد الله ومنه قول الشاعر^(٥٣٤):

يا ليلة لم أتمها بت مُرتفقا أزعى النجوم إلى أن نورَ الفلق.

الخامس: أنها الجبال والصخور تنفلق بالمياه.

السادس: أنه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب

والنوى وكل شيء من نبات وغيره، قاله الحسن.

ولأصحاب الغوامض أنه فلق القلوب للأفهام حتى وصلت إليها ووصلت فيها،

وأصل الفلق الشق الواسع، وقيل للصبح فلق لفلق الظلام عنه كما قيل له فجر

لانفجار الضوء منه.

﴿مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن شر ما خلق جهنم، قاله ثابت البناني.

الثاني: إبليس وذريته، قاله الحسن.

الثالث: من شر ما خلق في الدنيا والآخرة، قاله ابن شجرة.

وفي هذا الشر وجهان:

أحدهما: أنه محمول على عمومه في كل شر.

الثاني: أنه خاص في الشر الذي يستحق المصاب به الثواب.

﴿وَمِنْ شَرٍّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني الشمس إذا غربت، قاله ابن شهاب.

الثاني: القمر إذا ولج أي دخل في الظلام.

روى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة^(٥٣٥) أنها قالت: أخذ رسول الله

(٥٣٣) وهو الصواب وقد اختاره الطبري (٣٥١/٣٠) والبخاري في صحيحه (٦١٣/٨) وابن كثير (٧٣/٤).

(٥٣٤) القرطبي (٢٥٤/٢٠) فتح القدير (٥١٩/٥).

(٥٣٥) رواه الترمذي (١٧٢/٢) وصححه وأحمد (٦١/٦) والطبري (٣٥٢/٣٠) والحاكم (٥٤٧/٢)

وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٨ /) نسبه لابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة

وابن مردويه وحسنه الحافظ في الفتح (٦١٣/٨) وهذا القول هو الصواب لأن الأثر يدل عليه.

ﷺ بيدي ثم نظر إلى القمر فقال: يا عائشة تعوذني بالله من شر غاسقٍ إذا وقب، وهذا الغاسق إذا وقب.

الثالث: أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه الليل، لأنه يخرج السباع من آجامها، والهوام من مكانها ويبعث أهل الشر على العبث والفساد، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي، قال الشاعر (٥٣٦):

يا طَيْفَ هِنْدٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي أَرْقًا إِذْ جِئْنَا طَارِقًا وَاللَّيْلُ قَدْ غَسَقَا.
وأصل الغسق الجريان بالضرر، مأخوذ من قولهم غسقت القرحة إذا جرى صديدها، والغسق: صديد أهل النار، لجريانه بالعذاب وغسقت عينه إذا جرى دمعها بالضرر في الحلق.

فعلى تأويله أنه الليل في قوله «إذا وقب» أربعة تأويلات:

أحدها: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

الثاني: إذا دخل، قاله الضحاك.

الثالث: إذا ذهب، قاله قتادة.

الرابع: إذا سكن، قاله اليمان بن رثاب.

«وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» قال أهل التأويل: من السواحر ينقشن في عقد الخيوط للسحر، قال الشاعر (٥٣٧):

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ النَّافِثَاتِ فِي عِصْمَةِ الْعَاضَةِ الْمُعْصِمَةِ.
وربما فعل قوم في الرقى مثل ذلك، طلباً للشفاء، كما قال متم بن نويرة (٥٣٨):

نَفَقْتُ فِي الْخَيْطِ شَبِيهِ الرَّقَى مِنْ خَشْيَةِ الْجَنَّةِ وَالْحَاسِدِ.
وقد روى الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (٥٣٩) أنه قال: من عقد عقدة ثم

(٥٣٦) القرطبي (٢٥٦/٢٠).

(٥٣٧) اللسان «عضه» القرطبي (٢٥٧/٢٠): .

(٥٣٨) القرطبي (٢٥٧/٢٠) فتح القدير (٥٢٠/٥).

(٥٣٩) رواه ابن مردويه كما في الدر (٦٩٠/٨) ولم يذكر القول الأخير ومن تعلقه.

نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلّق شيئاً وكل إليه، والنفث: النفخ في العقد بلا ريق، والتفل: النفخ فيها بريق، وفي ﴿شر النفثات في العقد﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: أنه إيهام للأذى^(٥٤١) وتخيل للمرض من غير أن يكون له تأثير في الأذى والمرض، إلا استشعار ربما أحزن، أو طعام ضار ربما نفذ بحيلة خفية. الثاني: أنه قد يؤدي بمرض لعارض ينفصل فيتصل بالمسحور فيؤثر فيه كتأثير العين، وكما ينفصل من فم المثائب ما يحدث في المقابل له مثله.

الثالث: أنه قد يكون ذلك بمعونة من خدم الجن يمتحن الله بعض عباده. فأما المروي من سحر النبي ﷺ فقد أثبتته أكثرهم^(٥٤١)، وأن قوماً من اليهود^(٥٤٢) سحروه وألقوا عقدة سحره في بثر حتى أظهره الله عليها.

روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي ﷺ اشتكى شكاوى شديدة، فبينما هو بين النائم واليقظان إذا ملكان أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله، فقال أحدهما: ما شكواه؟ فقال الآخر: مطبوب، (أي مسحور، والطب: السحر) قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي فطرحه في بثر ذروان تحت صخرة فيها، فبعث رسول الله ﷺ عمار بن ياسر فاستخرج السحر منها، ويروى أن فيه إحدى عشرة عقدة، فأمر بحل العقد، فكان كلما حل عقدة وجد راحة، حتى حلت العقد كلها، فكأنما أنشط من عقال، فنزلت عليه المعوذتان، وهما إحدى عشرة آية بعدد العقد، وأمر أن يتعوذ بهما.

وأنكره آخرون، ومنعوا منه في رسول الله ﷺ وإن صح في غيره، لما في استمراره عليه من خبل العقل، وأن الله تعالى قد أنكر على من قال في رسوله حيث يقول: ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾.

﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ أما الحسد فهو تمنّي زوال نعمة المحسود وإن لم يصّر للحاسد مثلها، والمنافسة^(٥٤٤) هي تمنّي مثلها وإن لم تزل، فالحسد شر

(٥٤١) وهذا أشبه بقول المعتزلة الذين يقولون أن السحر تخيل لا حقيقة له وقد تكلمنا على ذلك في سورة البقرة فراجع.

(٥٤١) لكن هذا لم يؤثر على عقل رسول الله ﷺ ولم يتعد الجسد الشريف.

(٥٤٢) والذي فعله من اليهود هو لبيد بن الأعصم وسيأتي ذكره في الحديث الآتي.

(٥٤٣) وهي رواية عن ابن عباس رواها ابن مردويه كما في الدر (٦٨٧/٨).

(٥٤٤) وهي ما تسمى بالغبطة.

مذموم، والمنافسة رغبة مباحة، وقد روي أن النبي ﷺ قال^(٥٤٥): المؤمن يغبط والمنافق يحسد.

وفي الاستعاذة من شر حاسد إذا حسد وجهان:
أحدهما: من شر نفسه وعينه، فإنه ربما أصاب بها فعان وضر، والمعيون المصاب بالعين، وقال الشاعر:

قد كان قومك يحسبونك سيّدا وإخال أنك سيّد مغيون.
الثاني: أن يحمله فرط الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فإنه يتبع المساوىء ويطلب العثرات، وقد قيل إن الحسد^(٥٤٦) أول ذنب عصي الله به في السماء والأرض فحسد إبليس آدم حتى أخرجه من الجنة، وأما في الأرض فحسد قاييل بن آدم لأخيه هابيل حتى قتله، نعوذ بالله من شر ما استعاذنا منه.

وافتح السورة بـ«قُلْ» لأن الله تعالى أمر نبيه أن يقولها، وهي من السورة لنزولها معها، وقد قال بعض فصحاء السلف: احفظ القلائل، وفيه تأويلان:
أحدهما: قل «قُلْ» في كل سورة ذكر في أوائلها لأنه منها.
والثاني: احفظ السورة التي في أولها «قُلْ» لتأكيدا بالأمر بقراءتها.

(٥٤٥) لم أهتم إلى نخريجه والله أعلم.

(٥٤٦) وقد ورد نحوه من قول جنادة بن أبي أمية رواه أبو الشيخ في التوبخ رقم ٦٩، ٨٣ وسنده صحيح.

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ
شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ
﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وإنما ذكر أنه رب الناس، وإن كان رباً لجميع الخلق
لأمرين:

أحدهما: لأن الناس معظمون، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا.
الثاني: لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يُعِيذُ منهم.
﴿مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ لأن في الناس ملوكاً، فذكر أنه ملكهم، وفي
الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ الخناس هو الشيطان، وفي تسميته بذلك
وجهان: أحدهما: لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَّاسِ﴾ يعني النجوم لاختفائها بعد الظهور.

الثاني: لأنه يرجع عن ذكر الله، والخنس الرجوع، قال الراجز^(٥٤٧):
وصاحب يَمْتَعِسُ امْتِعَاسَا يَزْدَادُ مِنْ خَنَسِهِ خَنَاسَا.

(٥٤٧) القرطبي (٢٠/٢٦٢) وفيه يزداد من خنسه.

وأما «الوسواس» ها هنا ففيه وجهان :

أحدهما : أنه الشيطان لأنه يوسوس للإنسان ، وقد روى ابن جبير عن ابن عباس (٥٤٨) في قوله «الوسواس الخناس» قال : الشيطان جائم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله تعالى خنس ، فعلى هذا يكون في تأويل الخناس وجهان :

أحدهما : الراجع بالوسوسة على الهوى .

الثاني : أنه الخارج بالوسوسة في اليقين .

الوجه الثاني : أنه وسواس الإنسان من نفسه ، وهي الوسوسة التي يحدث بها نفسه .

وقد روي عن النبي (٥٤٩) ﷺ أنه قال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لَأُمْتِي عَمَّا وَسَّوَسَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمَ بِهِ .

﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان هي الدعاء إلى طاعته بما يصل إلى القلب من قول متخيل ، أو يقع في النفس من أمر متوهم ومنه الموسوس إذا غلب عليه الوسوسة ، لما يعتريه من المسرة ، وأصله الصوت الخفي ، قال الأعشى (٥٥٠) :

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل .

﴿من الجنة والناس﴾ أما وسواس الجنة فهو وسواس الشيطان على ما قدمناه ، وأما وسواس الناس ففيه وجهان :

أحدهما : أنها وسوسة الإنسان من نفسه ، قاله ابن جريج .

الثاني : أنه إغواء من يغويه من الناس .

قال قتادة : إن من الإنس شياطين ، وإن من الجن شياطين ، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن .

(٥٤٨) رواه ابن جرير (٣٥٥/٣٠) وزاد في الدر (٦٩٤/٨) نسبه لابن أبي شيبة وابن مردويه .

(٥٤٩) رواه مسلم (١١٦/١) من حديث أبي هريرة مرفوعاً ولفظه إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا .

(٥٥٠) اللسان ولس ديوانه : ١٣١ .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٥٥١) أن النبي ﷺ كان يعوذ حسناً وحسيناً فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ونحن نستعيذ بالله مما عوذ ونستمدّه جميل ما عوذ.

وفقنا الله وقارته لتدبر ما فيه وتفهم معانيه، فيه توفيقنا وعليه توكلنا، والحمد لله وحده وكفى، وصلواته على رسوله محمد المصطفى، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين.

(٥٥١) رواه البخاري (٢٩٣/٦) والترمذي (٢٠٦١).
وأبو داود (٤٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فهرس المجلد الأول

٣		مقدمة التحقيق
٦		التعريف بتفسير الماوردي
٧		مصادر الماوردي في تفسيره
٩		ترجمة الماوردي
١٥		منهج التحقيق
١٦		مخطوطات الكتاب
٢١		مقدمة المصنف
٢٣		أسماء القرآن
٤٢		الاستعاذة

سورة الفاتحة

٤٧		تفسير قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الآية (١)
٥٣		تفسير قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ الآيتان (٢ و ٢)
٥٥		تفسير قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ الآية (٤)
٥٧		تفسير قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ الآية (٥)
		تفسير قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم
٥٨		غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الآيتان (٦ و ٧)

سورة البقرة

٦٣		تفسير قوله تعالى: ﴿آلَمْ﴾ الآية (١)
٦٧		تفسير قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ الآية (٢)
٦٩		تفسير قوله تعالى: ﴿ويقيمون الصلاة...﴾ الآية (٣)
٧٠		تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك...﴾ الآية (٤)
٧١		تفسير قوله تعالى: ﴿أولئك على هدى من ربهم...﴾ الآيتان (٥ و ٦)

- ٧٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ختم الله على قلوبهم...﴾ الآية (٧)
- ٧٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله...﴾ الآيات (٨ - ١٠)
- ٧٤ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض...﴾ الآيتان (١١ و ١٢)
- ٧٥ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس...﴾ الآية (١٣)
- ٧٦ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا...﴾ الآيتان (١٤ و ١٥)
- ٧٩ تفسير قوله تعالى : ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى...﴾ الآيات (١٦ - ١٨)
- ٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿أو كصيب من السماء...﴾ الآيتان (١٩ و ٢٠)
- ٨٣ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم...﴾ الآيتان (٢١ و ٢٢)
- ٨٤ تفسير قوله تعالى : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا...﴾ الآيتان (٢٣ و ٢٤)
- ٨٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ويشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ الآية (٢٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها...﴾
- ٨٧ الآيتان (٢٦ و ٢٧)
- ٩٠ تفسير قوله تعالى : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم...﴾ الآية (٢٨)
- ٩٢ تفسير قوله تعالى : ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً...﴾ الآية (٢٩)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...﴾
- ٩٣ الآية (٣٠)
- ٩٨ تفسير قوله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها...﴾ الآيات (٣١ - ٣٣)
- ١٠١ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...﴾ الآية (٣٤)
- ١٠٣ تفسير قوله تعالى : ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة...﴾ الآيتان (٣٥ و ٣٦)
- ١٠٨ تفسير قوله تعالى : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات...﴾ الآيات (٣٧ - ٣٩)
- ١١٠ تفسير قوله تعالى : ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي...﴾ الآيتان (٤٠ و ٤١)
- ١١٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل...﴾ الآيتان (٤٢ و ٤٣)
- ١١٤ تفسير قوله تعالى : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم...﴾ الآيات (٤٤ - ٤٧)
- ١١٦ تفسير قوله تعالى : ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً...﴾ الآية (٤٨)
- ١١٧ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا نجيناكم من آل فرعون...﴾ الآيتان (٤٩ و ٥٠)
- ١١٩ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا وعدنا موسى أربعين ليلة...﴾ الآيات (٥١ - ٥٣)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم...﴾
- ١٢٢ الآية (٥٤)

تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى

الله جهرة...﴾ الآيتان (٥٥ و ٥٦)

- تفسير قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام...﴾ الآية (٥٧) ١٢٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية...﴾ الآيتان (٥٨ و ٥٩) ١٢٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه...﴾ الآية (٦٠) ١٢٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قلمت يا موسى لن نصبر على طعام واحد...﴾ الآية (٦١) ١٢٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا...﴾ الآية (٦٢) ١٣١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم...﴾ الآيات (٦٣ - ٦٦) ١٣٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة...﴾ الآيات (٦٧ - ٧١) ١٣٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفساً...﴾ الآيتان (٧٢ و ٧٣) ١٤٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك...﴾ الآية (٧٤) ١٤٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿أفقطمعون أن يؤمنوا لكم...﴾ الآيات (٧٥ - ٧٧) ١٤٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون...﴾ الآيتان (٧٨ و ٧٩) ١٤٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة...﴾ الآية (٨٠) ١٥٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته...﴾ ١٥٣
- الآيتان (٨١ و ٨٢) ١٥٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل...﴾ الآية (٨٣) ١٥٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم...﴾ الآيات (٨٤ - ٨٦) ١٥٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ الآية (٨٧) ١٥٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا غلف...﴾ الآيتان (٨٨ و ٨٩) ١٥٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿بشما اشتروا به أنفسهم...﴾ الآية (٩٠) ١٥٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قيل لهم آمنوا بما أنزل الله...﴾ الآيتان (٩١ و ٩٢) ١٥٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور...﴾ الآية (٩٣) ١٦٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة...﴾ ١٦١
- الآيات (٩٤ - ٩٦) ١٦١
- تفسير قوله تعالى: ﴿قل من كان عدواً لجبريل...﴾ الآيتان (٩٧ و ٩٨) ١٦٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات...﴾ الآيات (٩٩ - ١٠٣) ١٦٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا...﴾ الآيتان (١٠٤ و ١٠٥) ١٦٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها...﴾ الآيتان (١٠٦ و ١٠٧) ١٧٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل...﴾ ١٧٢
- الآيات (١٠٨ - ١١٠) ١٧٢

- تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى...﴾
 الآيات (١١١ - ١١٣) ١٧٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه...﴾
 الآية (١١٤) ١٧٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب...﴾ الآية (١١٥) ١٧٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً...﴾ الآيات (١١٦ و ١١٧) ١٧٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يعلمون...﴾ الآية (١١٨) ١٧٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً...﴾ الآية (١١٩) ١٨٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...﴾ الآيات (١٢٠ و ١٢١) ١٨١
- تفسير قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم...﴾ الآيات (١٢٢ - ١٢٤) ١٨٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً...﴾ الآية (١٢٥) ١٨٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً...﴾
 الآيات (١٢٦ - ١٢٨) ١٨٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم...﴾ الآية (١٢٩) ١٩١
- تفسير قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه...﴾
 الآيات (١٣٠ - ١٣٢) ١٩٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت...﴾
 الآيات (١٣٣ - ١٣٥) ١٩٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا...﴾ الآيات (١٣٦ - ١٣٨) ١٩٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿قل أتحتاجوننا في الله...﴾ الآيات (١٣٩ - ١٤٣) ١٩٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء...﴾ الآية (١٤٤) ٢٠١
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولئن أنيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية...﴾ الآية (١٤٥) ٢٠٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه...﴾ الآيات (١٤٦ و ١٤٧) ٢٠٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها...﴾ الآية (١٤٨) ٢٠٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام...﴾ الآيات (١٤٩ و ١٥٠) ٢٠٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم...﴾ الآيات (١٥١ - ١٥٤) ٢٠٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع...﴾ الآيات (١٥٥ - ١٥٧) ٢٠٨

- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ الآية (١٥٨) ٢١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ...﴾
- الآيات (١٥٩ - ١٦٢) ٢١٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْهَيْكَمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾ الآية (١٦٣ و ١٦٤) ٢١٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً...﴾
- الآيات (١٦٥ - ١٦٧) ٢١٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية (١٦٨ و ١٦٩) ٢٢٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ الآية (١٧٠ - ١٧٣) ٢٢١
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ...﴾
- الآيات (١٧٤ - ١٧٦) ٢٢٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ...﴾
- الآية (١٧٧) ٢٢٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي
- الْقَتْلِ...﴾ الآية (١٧٨ و ١٧٩) ٢٢٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ
- تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ...﴾ الآية (١٨٠ - ١٨٢) ٢٣١
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾
- الآيات (١٨٣ و ١٨٤) ٢٣٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...﴾
- الآية (١٨٥) ٢٣٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ الآية (١٨٦) ٢٤٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ الآية (١٨٧) ٢٤٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾ الآية (١٨٨) ٢٤٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ...﴾ الآية (١٨٩) ٢٤٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ...﴾
- الآيات (١٩٠ - ١٩٣) ٢٥١
- تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ...﴾ الآية (١٩٤) ٢٥٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآية (١٩٥) ٢٥٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...﴾ الآية (١٩٦) ٢٥٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ...﴾ الآية (١٩٧) ٢٥٨

- تفسير قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم...﴾
- الآية (١٩٨) ٢٦٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس...﴾ الآية (١٩٩) ٢٦١
- تفسير قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله...﴾ الآيات (٢٠٠-٢٠٢) ٢٦٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات...﴾ الآية (٢٠٣) ٢٦٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا...﴾
- الآيات (٢٠٤-٢٠٧) ٢٦٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة...﴾
- الآيتان (٢٠٨ و ٢٠٩) ٢٦٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله...﴾ الآيات (٢١٠-٢١٢) .. ٢٦٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة...﴾ الآية (٢١٣) ٢٧١
- تفسير قوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
- خلوا من قبلكم...﴾ الآيات (٢١٤-٢١٦) ٢٧٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه...﴾
- الآيتان (٢١٧ و ٢١٨) ٢٧٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر...﴾ الآيتان (٢١٩ و ٢٢٠) .. ٢٧٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن...﴾ الآية (٢٢١) ٢٨٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض...﴾ الآيتان (٢٢٢ و ٢٢٣) ٢٨٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم...﴾ الآيتان (٢٢٤ و ٢٢٥) ٢٨٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم...﴾ الآيتان (٢٢٦ و ٢٢٧) ٢٨٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء...﴾ الآية (٢٢٨) ٢٩٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان...﴾
- الآيتان (٢٢٩ و ٢٣٠) ٢٩٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف...﴾
- الآية (٢٣١) ٢٩٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن...﴾
- الآية (٢٣٢) ٢٩٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين...﴾
- الآية (٢٣٣) ٢٩٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً...﴾ الآية (٢٣٤) ... ٣٠٢

- تفسير قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء...﴾ الآية (٢٣٥) ٣٠٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن...﴾ الآية (٢٣٦) ٣٠٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن...﴾ الآية (٢٣٧) ٣٠٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى...﴾ الآية (٢٣٨ و ٢٣٩) ٣٠٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم...﴾ الآيات (٢٤٠ - ٢٤٢) ٣١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم...﴾ الآيات (٢٤٣ - ٢٤٥) ٣١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل...﴾ الآية (٢٤٦) ٣١٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً...﴾ الآية (٢٤٧) ٣١٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم...﴾ الآية (٢٤٨) ٣١٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿فلما فصل طالوت بالجنود...﴾ الآية (٢٤٩) ٣١٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده...﴾ الآيات (٢٥٠ - ٢٥٢) ٣١٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض...﴾ الآية (٢٥٣ و ٢٥٤) ٣٢١
- تفسير قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم...﴾ الآية (٢٥٥) ٣٢٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين...﴾ الآية (٢٥٦) ٣٢٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا...﴾ الآية (٢٥٧) ٣٢٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه...﴾ الآية (٢٥٨) ٣٢٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية...﴾ الآية (٢٥٩) ٣٣١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى...﴾ الآية (٢٦٠) ٣٣٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله...﴾ الآية (٢٦١) ٣٣٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله...﴾ الآية (٢٦٢ - ٢٦٤) ٣٣٧

- تفسير قوله تعالى : ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله...﴾
 ٣٣٩ الآية (٢٦٥)
 تفسير قوله تعالى : ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب...﴾
 ٣٤٠ الآية (٢٦٦)
 تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما
 ٣٤٢ كسبتم...﴾ الآيات (٢٦٧ - ٢٦٩)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر...﴾
 ٣٤٥ الآيتان (٢٧٠ و ٢٧١)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ليس عليك هدام...﴾ الآيات (٢٧٢ - ٢٧٤)
 ٣٤٥
 تفسير قوله تعالى : ﴿الذين يأكلون الربا...﴾ الآية (٢٧٥)
 ٣٤٧
 تفسير قوله تعالى : ﴿يُمحَق الله الربا...﴾ الآيتان (٢٧٦ و ٢٧٧)
 ٣٥٠
 تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
 ٣٥١ ما بقي من الربا...﴾ الآيات (٢٧٨ - ٢٨١)
 تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أهل
 ٣٥٤ مسمى فاكتبوه...﴾ الآية (٢٨٢)
 ٣٥٨
 تفسير قوله تعالى : ﴿وإن كنتم على سفر...﴾ الآية (٢٨٣)
 ٣٥٨
 تفسير قوله تعالى : ﴿الله ما في السموات وما في الأرض...﴾
 ٣٥٩ الآيتان (٢٨٤ و ٢٨٥)
 ٣٦٣ تفسير قوله تعالى : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها...﴾ الآية (٢٨٦)

سورة آل عمران

- تفسير قوله تعالى : ﴿الَمْ الله لا إله إلا هو الحي القيوم...﴾
 ٣٦٧ الآيات (١ - ٤)
 تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في
 ٣٦٨ السماء...﴾ الآيات (٥ - ٩)
 تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا
 ٣٧٢ أولادهم من الله شيئاً...﴾ الآيتان (١٠ و ١١)
 ٣٧٣ تفسير قوله تعالى : ﴿قل للذين كفروا سَتُغْلِبُونَ...﴾ الآيتان (١٢ و ١٣)
 ٣٧٥ تفسير قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ للناس حب الشهوات...﴾ الآيتان (١٤ و ١٥)
 ٣٧٧ تفسير قوله تعالى : ﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنّا...﴾ الآيتان (١٦ و ١٧)

- تفسير قوله تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو...﴾ الآيات (١٨ - ٢٠) ٣٧٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
- النبيين بغير حق...﴾ الآيات (٢١ و ٢٢) ٣٨١
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب...﴾
- الآيات (٢٣ - ٢٥) ٣٨٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل اللهم مالك الملك...﴾ الآيات (٢٦ و ٢٧) ٣٨٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون
- المؤمنين...﴾ الآيات (٢٨ - ٣٤) ٣٨٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿إذ قالت امرأة عمران...﴾ الآيات (٣٥ و ٣٦) ٣٨٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿فقبلها ربها بقبول حسن...﴾ الآية (٣٧) ٣٨٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿هنالك دعا زكريا ربه...﴾ الآيات (٣٨ - ٤١) ٣٨٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك
- وطهرك...﴾ الآيات (٤٢ - ٤٤) ٣٩١
- تفسير قوله تعالى : ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك
- بكلمة منه اسمه المسيح...﴾ الآيات (٤٥ - ٤٧) ٣٩٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة...﴾ الآيات (٤٨ - ٥٤) ٣٩٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك
- إليّ...﴾ الآيات (٥٥ - ٥٨) ٣٩٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم...﴾
- الآيات (٥٩ - ٦٣) ٣٩٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
- وبينكم...﴾ الآيات (٦٤ - ٦٨) ٣٩٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَدَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم...﴾
- الآيات (٦٩ - ٧٤) ٤٠٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده
- إليك...﴾ الآيات (٧٥ و ٧٦) ٤٠٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً
- قليلاً...﴾ الآية (٧٧) ٤٠٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب...﴾
- الآيات (٧٨ - ٨٠) ٤٠٥

- ٤٠٦ تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾ الْآيَاتُ (٨١ و ٨٢)
- ٤٠٧ تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ...﴾ الْآيَاتُ (٨٣ - ٨٥)
- ٤٠٧ تفسير قوله تعالى : ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ...﴾
- ٤٠٧ الْآيَاتُ (٨٦ - ٩١)
- ٤٠٨ تفسير قوله تعالى : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...﴾ الْآيَةُ (٩٢)
- ٤٠٩ تفسير قوله تعالى : ﴿كُلِ الطَّعَامَ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ الْآيَاتُ (٩٣ - ٩٥)
- ٤١٠ تفسير قوله تعالى : ﴿إِنْ أُولَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَةُ...﴾ الْآيَاتُ (٩٦ و ٩٧)
- ٤١٠ تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ...﴾
- ٤١٢ الْآيَاتُ (٩٨ - ١٠١)
- ٤١٢ تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ...﴾
- ٤١٣ الْآيَاتُ (١٠٢ و ١٠٣)
- ٤١٣ تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾
- ٤١٤ الْآيَاتُ (١٠٤ - ١٠٩)
- ٤١٥ تفسير قوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ الْآيَاتُ (١١٠ - ١١٢)
- ٤١٦ تفسير قوله تعالى : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً...﴾ الْآيَاتُ (١١٣ - ١١٧)
- ٤١٦ تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً
- ٤١٨ من دونكم...﴾ الْآيَاتُ (١١٨ - ١٢٠)
- ٤١٨ تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ
- ٤١٩ مقاعد للقتال...﴾ الْآيَاتُ (١٢١ - ١٢٣)
- ٤١٩ تفسير قوله تعالى : ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ
- ٤٢١ بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين...﴾ الْآيَاتُ (١٢٤ - ١٢٩)
- ٤٢١ تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا
- ٤٢٣ مضاعفة...﴾ الْآيَاتُ (١٣٠ - ١٣٦)
- ٤٢٥ تفسير قوله تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ...﴾ الْآيَاتُ (١٣٧ - ١٤٣)
- ٤٢٥ تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾
- ٤٢٧ الْآيَاتُ (١٤٤ - ١٤٨)
- ٤٢٧ تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾
- ٤٢٩ الْآيَاتُ (١٤٩ - ١٥٣)
- ٤٢٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعِسًا...﴾
- ٤٣٠ الْآيَاتُ (١٥٤ و ١٥٥)

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا...﴾
- الآيات (١٥٦ - ١٦٤) ٤٣٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها...﴾
- الآيات (١٦٥ - ١٦٨) ٤٣٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً...﴾
- الآيات (١٦٩ - ١٧٥) ٤٣٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر...﴾
- الآيات (١٧٦ - ١٨٠) ٤٣٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿قد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء...﴾ الآيات (١٨١ - ١٨٦)
- ٤٤٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب...﴾ الآيات (١٨٧ - ١٨٩)
- ٤٤١
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب...﴾ الآيات (١٩٠ - ١٩٤)
- ٤٤٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿فاستجاب لهم ربهم...﴾ الآية (١٩٥)
- ٤٤٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿لا يغررنك تقلب الذين كفروا في البلاد...﴾
- الآيات (١٩٦ - ٢٠٠) ٤٤٤

سورة النساء

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة...﴾ الآية (١)
- ٤٤٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وآتوا اليتامى أموالهم...﴾ الآيات (٢ - ٤)
- ٤٤٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم...﴾ الآيتان (٥ و ٦)
- ٤٥٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون...﴾
- الآيات (٧ - ١٠) ٤٥٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿يوصيكم الله لأولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين...﴾
- الآية (١١) ٤٥٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم...﴾ الآية (١٢)
- ٤٥٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿تلك حدود الله...﴾ الآيتان (١٣ و ١٤)
- ٤٦١
- تفسير قوله تعالى : ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم...﴾ الآيتان (١٥ و ١٦)
- ٤٦١

٤٦٣	تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ... ﴾
٤٦٣	الآيتان (١٧ و ١٨)
٤٦٥	تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا
٤٦٨	النساء كرهاً... ﴾ الآيات (١٩ - ٢٢)
٤٦٨	تفسير قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ... ﴾ الآيتان (٢٣ و ٢٤)
٤٧٢	تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ
٤٧٣	المؤمنات... ﴾ الآية (٢٥)
٤٧٣	تفسير قوله تعالى : ﴿ يَرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ... ﴾ الآيات (٢٦ - ٢٨)
٤٧٤	تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
٤٧٤	بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ... ﴾ الآيات (٢٩ - ٣١)
٤٧٦	تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ... ﴾
٤٧٦	الآية (٣٢)
٤٧٩	تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ... ﴾
٤٨٠	الآية (٣٣)
٤٨٣	تفسير قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... ﴾ الآية (٣٤)
٤٨٣	تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا... ﴾ الآية (٣٥)
٤٨٤	تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً... ﴾ الآية (٣٦)
٤٨٧	تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ... ﴾
٤٨٧	الآيات (٣٧ - ٣٩)
٤٨٨	تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنْ لِلَّهِ لَا يَظْلَمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ... ﴾ الآيات (٤٠ - ٤٢)
٤٨٩	تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ
٤٨٩	سَكَارَى... ﴾ الآية (٤٣)
٤٩٢	تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيباً مِنْ
٤٩٢	الكتاب... ﴾ الآيات (٤٤ - ٤٦)
٤٩٣	تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ... ﴾
٤٩٣	الآيتان (٤٧ و ٤٨)
٤٩٤	تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ... ﴾ الآيات (٤٩ - ٥٢)
٤٩٦	تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ... ﴾ الآيات (٥٣ - ٥٥)
٤٩٧	تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً... ﴾
٤٩٧	الآيتان (٥٦ و ٥٧)

- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ الآية (٥٨) ٤٩٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ الآية (٥٩) ٤٩٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ...﴾ الآيات (٦٠ - ٦٣) ٥٠١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ الآيات (٦٤ و ٦٥) ٥٠٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ الآيات (٦٦ - ٧٠) ٥٠٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ...﴾ الآيات (٧١ - ٧٤) .. ٥٠٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآيات (٧٥ و ٧٦) .. ٥٠٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ...﴾ الآيات (٧٧ - ٧٩) ٥٠٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ الآيات (٨٠ و ٨١) ٥٠٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ...﴾ الآيات (٨٢ و ٨٣) ٥١٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُلْفُ إِلَّا نَفْسُكَ...﴾ الآيات (٨٤ - ٨٧) ٥١٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ...﴾ الآيات (٨٨ - ٩١) ٥١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً...﴾ الآيات (٩٢ و ٩٣) ٥١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا...﴾ الآية (٩٤) ٥٢٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآيات (٩٥ - ١٠٠) ٥٢١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية (١٠١) ٥٢٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ...﴾ الآية (١٠٢) ٥٢٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا...﴾ الآيات (١٠٣ و ١٠٤) ٥٢٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾ الآيات (١٠٥ - ١١٥) .. ٥٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ الآيات (١١٦ - ١٢٢) ٥٢٩

	تفسير قوله تعالى : ﴿ليس بآمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب...﴾
٥٣٠	الآيات (١٢٣ - ١٢٦)
٥٣١	تفسير قوله تعالى : ﴿ويستفتونك في النساء...﴾ الآية (١٢٧)
٥٣٢	تفسير قوله تعالى : ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً...﴾ الآيات (١٢٨ - ١٣٠)
	تفسير قوله تعالى : ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض...﴾
٥٣٤	الآيات (١٣١ - ١٣٤)
٥٣٤	تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط...﴾ الآية (١٣٥) ..
	تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله...﴾
٥٣٦	الآيات (١٣٦ - ١٤٠)
٥٣٧	تفسير قوله تعالى : ﴿الذين يتربصون بكم...﴾ الآية (١٤١)
	تفسير قوله تعالى : ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم...﴾
٥٣٨	الآيتان (١٤٢ و ١٤٣)
	تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون
٥٣٩	المؤمنين...﴾ الآيات (١٤٤ - ١٥٢)
	تفسير قوله تعالى : ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من
٥٤٠	السماء...﴾ الآيتان (١٥٣ - ١٥٤)
	تفسير قوله تعالى : ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله...﴾
٥٤٢	الآيات (١٥٥ - ١٥٩)
	تفسير قوله تعالى : ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
٥٤٥	أحلّت لهم...﴾ الآيات (١٦٠ - ١٧١)
	تفسير قوله تعالى : ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله...﴾
٥٤٧	الآيات (١٧٢ - ١٧٥)
	تفسير قوله تعالى : ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة...﴾
٥٤٨	الآية (١٧٦)

فهرس المجلد الثاني

سورة المائدة

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود...﴾ الآية (١ و ٢) ٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة...﴾ الآية (٣) ٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿يسألونك ماذا أحل لهم...﴾ الآية (٤) ١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿اليوم أحلت لكم الطيبات...﴾ الآية (٥) ١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم...﴾ الآية (٦) ١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه...﴾ الآيات (٧ - ١١) ١٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل...﴾ الآيات (١٢ - ١٤) ... ٢٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا...﴾ الآيات (١٥ و ١٦) ... ٢١
- تفسير قوله تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح
ابن مريم...﴾ الآيات (١٧ - ١٩) ٢٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٦) ٢٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق...﴾ الآيات (٢٧ - ٣١) ٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل
أنه من قتل نفساً بغير نفس...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٤) ٣١
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه
الوسيلة...﴾ الآيات (٣٥ - ٤٠) ٣٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر...﴾ الآيات (٤١ - ٤٤) ٣٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس...﴾ الآيات (٤٥ - ٤٧) . ٤٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وانزلنا إليك الكتاب بالحق...﴾ الآيات (٤٨ - ٥٠) ٤٤

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
- ٤٥ والنصارى أولياء...﴾ الآيات (٥١ - ٥٣)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن
- ٤٨ دينه...﴾ الآيات (٥٤ - ٥٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا
- ٤٩ دينكم هزواً ولعباً...﴾ الآيات (٥٧ - ٦٣)
- ٥٠ تفسير قوله تعالى : ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة...﴾ الآيات (٦٤ - ٦٦)
- ٥٣ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك...﴾ الآية (٦٧)
- ٥٤ تفسير قوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء...﴾ الآيات (٦٨ - ٧١)
- تفسير قوله تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح
- ٥٦ ابن مريم...﴾ الآيات (٧٢ - ٧٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
- ٥٧ ضرراً ولا نفعاً...﴾ الآيات (٧٦ - ٨٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات
- ٥٨ ما أحل الله لكم...﴾ الآيات (٨٧ و ٨٨)
- ٥٩ تفسير قوله تعالى : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم...﴾ الآية (٨٩)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر
- ٦٣ والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان...﴾ الآيات (٩٠ - ٩٣)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من
- ٦٥ الصيد...﴾ الآيات (٩٤ و ٩٥)
- ٦٩ تفسير قوله تعالى : ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه...﴾ الآيات (٩٦ - ٩٩)
- ٧٠ تفسير قوله تعالى : ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب...﴾ الآيات (١٠٠ - ١٠٢)
- ٧٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة...﴾ الآيات (١٠٣ و ١٠٤)
- ٧٥ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم...﴾ الآيات (١٠٤ - ١٠٨)
- ٧٧ تفسير قوله تعالى : ﴿يوم يجمع الله الرسل...﴾ الآية (١٠٩)
- تفسير قوله تعالى : ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك...﴾
- ٧٨ الآيات (١١٠ و ١١١)
- ٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿إذ قال الحواريون...﴾ الآيات (١١٢ - ١١٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت
- ٨٦ قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين...﴾ الآيات (١١٦ - ١١٨)

تفسير قوله تعالى: ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم...﴾ الآيات (١١٩ و ١٢٠) ٩٠

سورة الأنعام

تفسير قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض...﴾ الآيات (١ - ٣) ٩١

تفسير قوله تعالى: ﴿وما تأتئهم من آية من آيات ربهم

إلا كانوا عنها معرضين...﴾ الآيات (٤ - ١١) ٩٤

تفسير قوله تعالى: ﴿قل لمن ما في السموات والأرض...﴾ الآيات (١٢ - ١٦) ٩٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضرٍ...﴾ الآيات (١٧ - ٢١) ٩٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً...﴾ الآيات (٢٢ - ٢٦) ١٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار...﴾ الآيات (٢٧ - ٣٠) ١٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قد خسر الذي كذبوا بقاء الله...﴾ الآيات (٣١ و ٣٢) ١٠٦

تفسير قوله تعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون...﴾ الآيات (٣٣ - ٣٦) ١٠٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية...﴾ الآيات (٣٧ - ٣٩) ١١٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله...﴾ الآيات (٤٠ - ٤٥) ١١٣

تفسير قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم...﴾

الآيات (٤٦ - ٥٤) ١١٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك نفصل الآيات...﴾ الآيات (٥٥ - ٥٩) ١٢٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل...﴾ الآيات (٦٠ - ٦٢) ١٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر...﴾ الآيات (٦٣ - ٦٥) ١٢٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وكذب به قومك...﴾ الآيات (٦٦ - ٦٩) ١٢٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً...﴾ الآية (٧٠) ١٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا...﴾

الآيات (٧١ - ٧٣) ١٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر...﴾ الآيات (٧٤ - ٧٩) ١٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وحاجه قومه...﴾ الآيات (٨٠ - ٨٣) ١٣٧

تفسير قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق...﴾ الآيات (٨٤ - ٩٠) ١٣٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره...﴾ الآيات (٩١ و ٩٢) ١٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً...﴾ الآيات (٩٣ و ٩٤) ١٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله فالق الحب والنوى...﴾ الآيات (٩٥ - ٩٧) ١٤٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة...﴾ الآيات (٩٨ و ٩٩) ١٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن...﴾ الآية (١٠٠) ١٥٠

- تفسير قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض...﴾ الآيات (١٠١-١٠٣) ١٥١
- تفسير قوله تعالى: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم...﴾ الآيات (١٠٤ و ١٠٥) ١٥٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك...﴾ الآيات (١٠٦-١٠٨) ١٥٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم...﴾ الآيات (١٠٩ و ١١٠) ١٥٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة...﴾ الآية (١١١) ١٥٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً...﴾ الآيات (١١٢ و ١١٣) .. ١٥٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿أفغير الله أبتغي حكماً...﴾ الآيات (١١٤ و ١١٥) ١٥٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك...﴾ الآيات (١١٦-١٢٠) ١٦٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه...﴾ الآية (١٢١) ١٦١
- تفسير قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه...﴾ الآية (١٢٢) ١٦٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها...﴾
- الآيات (١٢٣ و ١٢٤) ١٦٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام...﴾ الآية (١٢٥) ١٦٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً...﴾ الآيات (١٢٦ و ١٢٧) ١٦٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً...﴾ الآية (١٢٨) ١٦٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً...﴾ الآية (١٢٩) ١٦٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم...﴾ الآية (١٣٠) ١٧٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم...﴾
- الآيات (١٣١ و ١٣٢) ١٧١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وربك الغني ذو الرحمة...﴾ الآيات (١٣٣-١٣٥) ١٧٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام
- نصيباً...﴾ الآية (١٣٦) ١٧٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل
- أولادهم شركائهم...﴾ الآية (١٣٧) ١٧٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر...﴾ الآية (١٣٨) ١٧٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة
- لذكورنا...﴾ الآيات (١٣٩ و ١٤٠) ١٧٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات...﴾ الآيات (١٤١ و ١٤٢) ١٧٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنتين...﴾ الآيات (١٤٣ و ١٤٤) .. ١٨٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً

- على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة... ﴿ الآية (١٤٥) ١٨١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر... ﴿ الآية (١٤٦) .. ١٨٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة... ﴿ الآيات (١٤٧ - ١٥١) ١٨٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن... ﴿ الآيات (١٥٢ و ١٥٣) ١٨٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب... ﴿ الآيات (١٥٤ و ١٥٥) ١٨٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا... ﴿ الآيات (١٥٦ - ١٥٨) ١٩٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً... ﴿ الآية (١٥٩) ١٩٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها... ﴿ الآية (١٦٠) ١٩٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم... ﴿ الآيات (١٦١ - ١٦٣) ١٩٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿قل أغير الله أبغي رباً... ﴿ الآيات (١٦٤ و ١٦٥) ١٩٦

سورة الأعراف

- تفسير قوله تعالى: ﴿الْمَصّ كتاب أنزل إليك... ﴿ الآيات (١ - ٣) ١٩٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿وكم من قرية أهلكناها... ﴿ الآيات (٤ - ٧) ٢٠٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحق... ﴿ الآيات (٨ و ٩) ٢٠١
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد مكناكم في الأرض... ﴿ الآيات (١٠ و ١١) ٢٠٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك... ﴿ الآيات (١٢ - ١٥) .. ٢٠٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم... ﴿ الآيات (١٦ و ١٧) ٢٠٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿قال اخرج منها مذهباً... ﴿ الآيات (١٨ - ٢١) ٢٠٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿فدلّاهما بغرور... ﴿ الآيات (٢٢ و ٢٣) ٢١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو... ﴿ الآيات (٢٤ و ٢٥) .. ٢١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً... ﴿ الآية (٢٦) ٢١٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان... ﴿ الآية (٢٧) ٢١٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة... ﴿ الآيات (٢٨ - ٣٠) ٢١٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد... ﴿ الآية (٣١) .. ٢١٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج

- ٢١٨ لعباده... ﴿الآية (٣٢)﴾
- ٢١٩ تفسير قوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش...﴾ الآية (٣٣)
- ٢٢٠ تفسير قوله تعالى: ﴿ولكل أمة أجل...﴾ الآيات (٣٤ - ٣٦)
- ٢٢١ تفسير قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً...﴾ الآيات (٣٧ - ٣٩)
- ٢٢٢ تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا...﴾ الآيتان (٤٠ و ٤١)
- تفسير قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
- ٢٢٤ نفساً إلا وسعها...﴾ الآيتان (٤٢ و ٤٣)
- ٢٢٥ تفسير قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار...﴾ الآيات (٤٤ - ٤٧)
- تفسير قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم
- ٢٢٧ بسيماهم...﴾ الآيات (٤٨ - ٥١)
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم...﴾
- ٢٢٨ الآيتان (٥٢ و ٥٣)
- تفسير قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
- ٢٢٩ في ستة أيام...﴾ الآية (٥٤)
- ٢٣٠ تفسير قوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية...﴾ الآيتان (٥٥ و ٥٦)
- ٢٣٢ تفسير قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً...﴾ الآيتان (٥٧ و ٥٨)
- ٢٣٢ تفسير قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه...﴾ الآيات (٥٩ - ٦٩)
- ٢٣٣ تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده...﴾ الآيات (٧٠ - ٧٢)
- ٢٣٤ تفسير قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً...﴾ الآيات (٧٣ - ٧٨)
- ٢٣٧ تفسير قوله تعالى: ﴿فتولّى عنهم...﴾ الآيات (٧٩ - ٨٤)
- ٢٣٨ تفسير قوله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعبياً...﴾ الآيات (٨٥ - ٨٧)
- ٢٣٩ تفسير قوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه...﴾ الآيتان (٨٨ و ٨٩)
- ٢٤١ تفسير قوله تعالى: ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه...﴾ الآيات (٩٠ - ٩٢)
- ٢٤١ تفسير قوله تعالى: ﴿فتولّى عنهم...﴾ الآيات (٩٣ - ٩٥)
- ٢٤٣ تفسير قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا...﴾ الآيات (٩٦ - ١٠٠)
- تفسير قوله تعالى: ﴿تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها...﴾
- ٢٤٣ الآيتان (١٠١ و ١٠٢)
- ٢٤٤ تفسير قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى...﴾ الآيات (١٠٣ - ١٠٨)
- ٢٤٥ تفسير قوله تعالى: ﴿قال الملأ من قوم فرعون...﴾ الآيات (١٠٩ - ١١٤)
- تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن

- ٢٤٥ نكون نحن الملقيين... ﴿الآيات (١١٥ - ١٢٢)﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قال فرعون آمتمم به قبل أن
- ٢٤٧ أذن لكم... ﴿الآيات (١٢٣ - ١٢٩)﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين... ﴿الآيتان (١٣٠ و ١٣١)﴾ ..
- تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا مهما تأتنا به
- ٢٥١ من آية... ﴿الآيات (١٣٢ - ١٣٥)﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿فانتقمنا منهم... ﴿الآيتان (١٣٦ و ١٣٧)﴾
- ٢٥٤ تفسير قوله تعالى: ﴿وجاوزنا بيني إسرائيل البحر... ﴿الآيات (١٣٨ - ١٤١)﴾ ...
- ٢٥٥ تفسير قوله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة... ﴿الآية (١٤٢)﴾
- ٢٥٦ تفسير قوله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا... ﴿الآية (١٤٣)﴾
- ٢٥٧ تفسير قوله تعالى: ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على
- ٢٥٩ الناس برسالاتي... ﴿الآيتان (١٤٤ و ١٤٥)﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون... ﴿
- ٢٦١ الآيتان (١٤٦ و ١٤٧)﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده
- ٢٦٢ من حلهم عجلاً جسداً... ﴿الآيات (١٤٨ - ١٥١)﴾
- ٢٦٤ تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين اتخذوا العجل... ﴿الآيات (١٥٢ - ١٥٤)﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً
- ٢٦٥ لميقاتنا... ﴿الآية (١٥٥)﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا
- ٢٦٦ حسنة... ﴿الآية (١٥٦)﴾
- ٢٦٨ تفسير قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي... ﴿الآية (١٥٧)﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله
- ٢٧٠ إليكم جميعاً... ﴿الآيتان (١٥٨ و ١٥٩)﴾
- ٢٧٠ تفسير قوله تعالى: ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً... ﴿الآيات (١٦٠ - ١٦٢)﴾ ..
- ٢٧١ تفسير قوله تعالى: ﴿واسألهم عن القرية... ﴿الآية (١٦٣)﴾
- ٢٧٢ تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قالت أمة منهم... ﴿الآيات (١٦٤ - ١٦٦)﴾
- ٢٧٣ تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربك... ﴿الآية (١٦٧)﴾
- ٢٧٣ تفسير قوله تعالى: ﴿وقطعناهم في الأرض أمماً... ﴿الآيات (١٦٨ - ١٧٠)﴾
- ٢٧٥ تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم... ﴿الآية (١٧١)﴾

تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ

- ٢٧٧ من ظهورهم ذريتهم... ﴿الآيات (١٧٢ - ١٧٤)
- ٢٧٩ تفسير قوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا... ﴿الآيات (١٧٥ - ١٧٧)
- ٢٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي... ﴿الآيات (١٧٨ - ١٨٠)
- ٢٨٢ تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ... ﴿الآية (١٨١)
- ٢٨٣ تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا سنستدرجهم... ﴿الآيات (١٨٢ - ١٨٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ
- ٢٨٤ مرساها... ﴿الآية (١٨٧)
- تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا... ﴿
- ٢٨٥ الآية (١٨٨)
- ٢٨٦ تفسير قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... ﴿الآيتان (١٨٩ و ١٩٠)
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ
- ٢٨٧ يُخْلَقُونَ... ﴿الآيات (١٩١ - ١٩٨)
- ٢٨٧ تفسير قوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ... ﴿الآيتان (١٩٩ و ٢٠٠)
- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ
- ٢٨٩ من الشيطان... ﴿الآيتان (٢٠١ و ٢٠٢)
- ٢٨٩ تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ... ﴿الآية (٢٠٣)
- ٢٩٠ تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ... ﴿الآيات (٢٠٤ - ٢٠٦)

سورة الأنفال

- ٢٩٢ تفسير قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ... ﴿الآية (١)
- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ
- ٢٩٤ وجلت قلوبهم... ﴿الآيات (٢ - ٤)
- ٢٩٥ تفسير قوله تعالى : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ... ﴿الآيات (٥ - ٨)
- ٢٩٧ تفسير قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ... ﴿الآيتان (٩ و ١٠)
- ٢٩٩ تفسير قوله تعالى : ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ آمَنَةً مِنْهُ... ﴿الآيات (١١ - ١٤)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ
- ٣٠٢ الذين كفروا زحفاً... ﴿الآيتان (١٥ و ١٦)
- ٣٠٤ تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ... ﴿الآيتان (١٧ و ١٨)
- ٣٠٥ تفسير قوله تعالى : ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ... ﴿الآية (١٩)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

- الله ورسوله... ﴿الآيات (٢٠ - ٢٣)﴾ ٣٠٦
تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا
الله وللرسول... ﴿الآية (٢٤)﴾ ٣٠٧
تفسير قوله تعالى : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة... ﴿الآيات (٢٥ و ٢٦)﴾ ٣٠٩
تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول... ﴿الآيات (٢٧ و ٢٨)﴾ ٣١٠
تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا... ﴿الآية (٢٩)﴾ ٣١١
تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ يكره لك الذين كفروا... ﴿الآيات (٣٠ - ٣٣)﴾ ٣١٢
تفسير قوله تعالى : ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله... ﴿الآيات (٣٤ و ٣٥)﴾ ٣١٤
تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم
ليصدوا عن سبيل الله... ﴿الآيات (٣٦ و ٣٧)﴾ ٣١٦
تفسير قوله تعالى : ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم... ﴿الآيات (٣٨ - ٤٠)﴾ ٣١٨
تفسير قوله تعالى : ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء
فإن لله خمسه... ﴿الآية (٤١)﴾ ٣١٨
تفسير قوله تعالى : ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا... ﴿الآية (٤٢)﴾ ٣٢١
تفسير قوله تعالى : ﴿إذ يريكهم الله في منامك
قليلاً... ﴿الآيات (٤٣ و ٤٤)﴾ ٣٢٢
تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم
فئة فاثبتوا... ﴿الآيات (٤٥ و ٤٦)﴾ ٣٢٣
تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من
ديارهم بطراً... ﴿الآيات (٤٧ - ٤٩)﴾ ٣٢٤
تفسير قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة... ﴿الآيات (٥٠ و ٥١)﴾ ٣٢٦
تفسير قوله تعالى : ﴿كدأب آل فرعون... ﴿الآيات (٥٢ - ٥٤)﴾ ٣٢٦
تفسير قوله تعالى : ﴿إن شر الدواب عند الله الذين
كفروا... ﴿الآيات (٥٥ - ٥٧)﴾ ٣٢٧
تفسير قوله تعالى : ﴿وإما تخافن من قوم خيانة... ﴿الآية (٥٨)﴾ ٣٢٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا
إنهم لا يعجزون... ﴿الآيات (٥٩ و ٦٠)﴾ ٣٢٨
تفسير قوله تعالى : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها... ﴿الآيات (٦١ - ٦٣)﴾ ٣٣٠

- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ...﴾ الآيات (٦٤ - ٦٦) ٣٣١
- تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَنَّ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآيات (٦٧ - ٦٩) ٣٣٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى...﴾ الآيات (٧٠ و ٧١) ٣٣٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا...﴾ الآية (٧٢) ٣٣٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ ٣٣٥
- الآيات (٧٣ - ٧٥) ٣٣٥

سورة التوبة

- تفسير قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآيات (١ و ٢) ٣٣٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآية (٣) ٣٣٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...﴾ الآيات (٤ و ٥) ٣٤٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ...﴾ الآية (٦) ٣٤١
- تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ...﴾ الآيات (٧ و ٨) ٣٤٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ الآيات (٩ - ١٢) ٣٤٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ...﴾ الآيات (١٣ - ١٦) ٣٤٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ...﴾ الآيات (١٧ و ١٨) ٣٤٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَجِّ...﴾ الآيات (١٩ - ٢٢) ٣٤٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾ الآيات (٢٣ و ٢٤) ٣٤٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٧) ٣٤٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾ الآيات (٢٨ و ٢٩) ٣٥٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيرُ بْنُ اللَّهِ...﴾ الآيات (٣٠ و ٣١) ٣٥٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ كَثُرَ مِنْ الْأَحْبَارِ...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٥) ٣٥٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ عَدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا...﴾ الآية (٣٦) ٣٥٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ...﴾ الآية (٣٧) ٣٦٠

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا...﴾ الآيةان (٣٨ و ٣٩) ٣٦٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله...﴾ الآية (٤٠) ٣٦٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿انفروا خفاً وثقلاً...﴾ الآية (٤١) ٣٦٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿لو كان عرضاً قريباً...﴾ الآية (٤٢) ٣٦٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم...﴾ الآيةان (٤٣ - ٤٧) ٣٦٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل...﴾ الآية (٤٨) ٣٦٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني...﴾ الآيةان (٤٩ - ٥١) ٣٧٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين...﴾ الآيةان (٥٢ - ٥٤) ٣٧١
- تفسير قوله تعالى : ﴿فلا تعجبك أموالهم...﴾ الآيةان (٥٥ - ٥٧) ٣٧١
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات...﴾ الآيةان (٥٨ و ٥٩) ... ٣٧٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين...﴾ الآية (٦٠) ٣٧٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي...﴾ الآية (٦١) ٣٧٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم...﴾ الآيةان (٦٢ و ٦٣) ٣٧٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة...﴾ الآية (٦٤) ٣٧٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب...﴾ الآيةان (٦٥ - ٦٨) ٣٧٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكهم قوة...﴾ الآية (٦٩) ٣٨٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم يأتيهم نبا الذين من قبلهم...﴾ الآيةان (٧٠ - ٧٢) ٣٨٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار...﴾ الآيةان (٧٣ و ٧٤) ٣٨٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله...﴾ الآيةان (٧٦ - ٧٨) ٣٨٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات...﴾ الآية (٧٩) ٣٨٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿استغفر لهم أولاً تستغفر لهم...﴾ الآية (٨٠) ٣٨٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول

- الله... ﴿الآيتان (٨١ و ٨٢)﴾ ٣٨٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿فإن رجعتك الله إلى طائفة منهم...﴾ الآية (٨٣) ٣٨٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً...﴾ الآية (٨٤) ٣٨٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم...﴾ الآيات (٨٥ - ٨٧) ٣٨٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم...﴾ الآيات (٨٨ - ٩٣) ٣٩٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم...﴾ الآيات (٩٤ - ٩٦) ٣٩٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً...﴾ الآيات (٩٧ - ٩٩) ٣٩٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار...﴾ الآية (١٠٠) ٣٩٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وممن حولهم من الأعراب منافقون...﴾ الآية (١٠١) ٣٩٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم...﴾ الآية (١٠٢) ٣٩٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم...﴾ الآيات (١٠٣ - ١٠٥) ٣٩٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله...﴾ الآية (١٠٦) ٣٩٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً...﴾ الآيتان (١٠٧ و ١٠٨) ٤٠٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان...﴾ الآيتان (١٠٩ و ١١٠) ٤٠٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم...﴾ الآية (١١١) ٤٠٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿التائبون العابدون...﴾ الآية (١١٢) ٤٠٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين...﴾ الآيتان (١١٣ و ١١٤) ٤٠٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم...﴾ الآيات (١١٥ - ١١٧) ٤١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا...﴾ الآيتان (١١٨ و ١١٩) ٤١٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله...﴾ الآيات (١٢٠ - ١٢٢) ٤١٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين

- ٤١٥ يلونكم من الكفار... ﴿ الآية (١٢٣) .
- ٤١٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة... ﴾ الآيات (١٢٤ و ١٢٥) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ أو لا يرون أنهم يفتنون في كل
- ٤١٦ عام مرة أو مرتين... ﴾ الآيات (١٢٦ و ١٢٧) .
- ٤١٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم... ﴾ الآيات (١٢٨ و ١٢٩) .
- سورة يونس**
- ٤٢٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ ألر تلك آيات الكتاب الحكيم... ﴾ الآيات (١ و ٢) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات
- ٤٢٢ والأرض في ستة أيام... ﴾ الآيات (٣ - ٦) .
- ٤٢٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا... ﴾ الآيات (٧ - ١٠) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو يجعل الله للناس الشر
- ٤٢٥ استعجالهم بالخير... ﴾ الآية (١١) .
- ٤٢٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر... ﴾ الآيات (١٢ - ١٧) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
- ٤٢٨ ولا ينفعهم... ﴾ الآيات (١٨ و ١٩) .
- ٤٢٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية... ﴾ الآيات (٢٠ - ٢٣) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء
- ٤٣٠ أنزلناه من السماء... ﴾ الآيات (٢٤ و ٢٥) .
- ٤٣٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة... ﴾ الآيات (٢٦ و ٢٧) .
- ٤٣٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً... ﴾ الآيات (٢٨ - ٣٣) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ قل هل من شركائكم من
- ٤٣٤ يبدأ الخلق ثم يعيده... ﴾ الآيات (٣٤ - ٣٦) .
- ٤٣٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى... ﴾ الآيات (٣٧ - ٤٠) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم
- ٤٣٦ عملكم... ﴾ الآيات (٤١ - ٤٥) .
- ٤٣٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ وإما نرينك بعض الذي نعدهم... ﴾ الآيات (٤٦ - ٤٩) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ قل أرايتم إن أتاكم عذابه
- ٤٣٧ يياتاً أو نهاراً... ﴾ الآيات (٥٠ - ٥٦) .
- تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة
- ٤٣٩ من ربكم... ﴾ الآيات (٥٧ - ٦١) .

تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ

عليهم... ﴿الآيات (٦٢ - ٧٠) ٤٤٠

تفسير قوله تعالى : ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ... ﴿الآيات (٧١ - ٧٣) ٤٤٢

تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا... ﴿الآيات (٧٤ - ٧٨) ٤٤٤

تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ

عليهم... ﴿الآيات (٧٩ - ٨٣) ٤٤٥

تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ

آمِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا... ﴿الآيات (٨٤ - ٨٦) ٤٤٦

تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ... ﴿الآيات (٨٧ - ٨٩) ٤٤٧

تفسير قوله تعالى : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ... ﴿الآيات (٩٠ - ٩٣) ٤٤٩

تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ... ﴿الآيات (٩٤ - ٩٧) ٤٥٠

تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا

إِيمَانُهَا... ﴿الآية (٩٨) ٤٥١

تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي

الْأَرْضِ كُلِّهِمْ... ﴿الآيات (٩٩ - ١٠٣) ٤٥٢

تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ

فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي... ﴿الآيات (١٠٤ - ١٠٧) ٤٥٣

تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ... ﴿الآيتان (١٠٨ و ١٠٩) ٤٥٣

سورة هود

تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ... ﴿الآيات (١ - ٤) ٤٥٥

تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ... ﴿الآية (٥) ٤٥٧

تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا... ﴿الآية (٦) ٤٥٨

تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ... ﴿الآيتان (٧ و ٨) ٤٥٩

تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ

تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى

- الله كذباً... ﴿الآيات (١٨ - ٢٢)﴾ ٤٦٢
تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
- وأخبتوا إلى ربهم... ﴿الآيتان (٢٣ و ٢٤)﴾ ٤٦٤
تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه... ﴿الآيات (٢٥ - ٢٨)﴾ ٤٦٥
تفسير قوله تعالى: ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالأ... ﴿الآيتان (٢٩ و ٣٠)﴾ ٤٦٦
تفسير قوله تعالى: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن
- الله... ﴿الآيات (٣١ - ٣٤)﴾ ٤٦٧
تفسير قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه... ﴿الآية (٣٥)﴾ ٤٦٨
تفسير قوله تعالى: ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن
- من قومك إلا من قد آمن... ﴿الآيات (٣٦ - ٣٩)﴾ ٤٦٨
تفسير قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور... ﴿الآية (٤٠)﴾ ٤٧١
تفسير قوله تعالى: ﴿وقال اركبوا فيها... ﴿الآيات (٤١ - ٤٣)﴾ ٤٧٣
تفسير قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك... ﴿الآية (٤٤)﴾ ٤٧٤
تفسير قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه... ﴿الآيات (٤٥ - ٤٧)﴾ ٤٧٤
تفسير قوله تعالى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا... ﴿الآيات (٤٨ - ٥٢)﴾ ٤٧٦
تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا هود ما جئنا ببينة... ﴿الآيات (٥٣ - ٦٠)﴾ ٤٧٧
تفسير قوله تعالى: ﴿والى ثمود أخاهم صالحاً... ﴿الآية (٦١)﴾ ٤٧٨
تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا
- مرجواً قبل هذا... ﴿الآيتان (٦٢ و ٦٣)﴾ ٤٧٩
تفسير قوله تعالى: ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم
- آية... ﴿الآيات (٦٤ - ٦٨)﴾ ٤٨٠
تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم
- بالبشرى... ﴿الآيات (٦٩ - ٧٣)﴾ ٤٨١
تفسير قوله تعالى: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروح... ﴿الآيات (٧٤ - ٧٦)﴾ ٤٨٦
تفسير قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً
- سواء بهم... ﴿الآيات (٧٧ - ٧٩)﴾ ٤٨٧
تفسير قوله تعالى: ﴿قال لو أن لي بكم قوة
- أو آوي إلى ركن شديد... ﴿الآيتان (٨٠ و ٨١)﴾ ٤٩٠
تفسير قوله تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها
- سافلها... ﴿الآيتان (٨٢ و ٨٣)﴾ ٤٩٢

- ٤٩٤ تفسير قوله تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً...﴾ الآية (٨٤)
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان
- ٤٩٥ بالقسط...﴾ الآيتان (٨٥ و ٨٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك
- ٤٩٦ أن نترك ما يعبد آباؤنا...﴾ الآية (٨٧)
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت
- ٤٩٧ على بينة من ربي...﴾ الآية (٨٨)
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويا قوم لا يجرمكم شقاقي أن
- ٤٩٨ يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح...﴾ الآيتان (٨٩ و ٩٠)
- تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً
- ٤٩٨ مما نقول...﴾ الآيتان (٩١ و ٩٢)
- ٥٠١ تفسير قوله تعالى : ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم...﴾ الآيات (٩٣ - ٩٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان
- ٥٠٢ مبين...﴾ الآيات (٩٦ - ١٠١)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ
- ٥٠٣ القرى...﴾ الآيات (١٠٢ - ١٠٥)
- ٥٠٤ تفسير قوله تعالى : ﴿فأما الذين شقوا ففي النار...﴾ الآيتان (١٠٦ و ١٠٧)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأما الذين سعدوا ففي
- ٥٠٦ الجنة...﴾ الآية (١٠٨)
- تفسير قوله تعالى : ﴿فلا تكن في مرية مما
- ٥٠٧ يعبد هؤلاء...﴾ الآيات (١٠٩ - ١١٣)
- ٥٠٨ تفسير قوله تعالى : ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار...﴾ الآيتان (١١٤ و ١١٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿فلولا كان من القرون
- ٥١٠ من قبلكم...﴾ الآيتان (١١٦ و ١١٧)
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس
- ٥١١ أمة واحدة...﴾ الآيتان (١١٨ و ١١٩)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وكلأ نقص عليك من أنباء
- ٥١٢ الرسل...﴾ الآيات (١٢٠ - ١٢٣)

فهرس المجلد الثالث

سورة يوسف

- تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ آيَاتَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ... ﴾ الآيات (١ - ٣) ٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ... ﴾ الآية (٤) ٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ... ﴾ الآية (٥) ٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رِبْكَ... ﴾ الآية (٦) ٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَلَكِّينَ... ﴾ الآيات (٧ - ١٠) ٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ... ﴾ الآيتان (١١ و ١٢) ١٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لِيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ... ﴾ الآيات (١٣ - ١٥) ١٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ... ﴾ الآيات (١٦ - ١٨) ١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ... ﴾ الآيتان (١٩ و ٢٠) ١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ... ﴾ الآيتان (٢١ و ٢٢) ١٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ... ﴾ الآية (٢٣) ٢٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا... ﴾ الآية (٢٤) ٢٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ... ﴾ الآيات (٢٥ - ٢٩) ٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسُوا فِي الْمَدِينَةِ... ﴾ الآيات (٣٠ - ٣٤) ٣٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا
الآيات... ﴾ الآية (٣٥) ٣٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجَنَ فَتَيَانِ... ﴾ الآية (٣٦) ٣٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ
إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ... ﴾ الآيتان (٣٧ و ٣٨) ٣٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا صَاحِبِي السَّجَنَ... ﴾ الآيات (٣٩ - ٤١) ٣٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا... ﴾ الآية (٤٢) ٣٩

تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الملك إني أرى سبع

- ٤١ بقرات سمان... ﴿الآيات (٤٣ - ٤٩)
- ٤٥ تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الملك اثنتوني به... ﴿الآيات (٥٠ - ٥٢)
- ٤٧ تفسير قوله تعالى : ﴿وما أبرئ نفسي... ﴿الآيات (٥٣ - ٥٥)
- ٥٢ تفسير قوله تعالى : ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض... ﴿الآيات (٥٦ و ٥٧)
- ٥٣ تفسير قوله تعالى : ﴿وجاء إخوة يوسف... ﴿الآيات (٥٨ - ٦٢)
- ٥٦ تفسير قوله تعالى : ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم... ﴿الآيات (٦٣ و ٦٤)
- ٥٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ولما فتحوا متاعهم... ﴿الآيات (٦٥ و ٦٦)
- ٥٩ تفسير قوله تعالى : ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد... ﴿الآيات (٦٧ و ٦٨)
- ٦٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ولما دخلوا على يوسف... ﴿الآية (٦٩)
- ٦١ تفسير قوله تعالى : ﴿فلما جهزهم بجهازهم... ﴿الآيات (٧٠ - ٧٢)
- تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا
- ٦٣ لنفسد في الأرض... ﴿الآيات (٧٣ - ٧٦)
- ٦٤ تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل... ﴿الآية (٧٧)
- تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبا
- ٦٦ شيخاً كبيراً... ﴿الآيات (٧٨ و ٧٩)
- ٦٦ تفسير قوله تعالى : ﴿فلما استياسوا منه... ﴿الآيات (٨٠ - ٨٢)
- ٦٨ تفسير قوله تعالى : ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً... ﴿الآيات (٨٣ - ٨٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من
- ٧١ يوسف وأخيه... ﴿الآيات (٨٧ و ٨٨)
- ٧٤ تفسير قوله تعالى : ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه... ﴿الآيات (٨٩ - ٩٢)
- ٧٦ تفسير قوله تعالى : ﴿اذهبوا بقميصي هذا... ﴿الآيات (٩٣ - ٩٥)
- ٧٨ تفسير قوله تعالى : ﴿فلما أن جاء البشير... ﴿الآيات (٩٦ - ٩٨)
- ٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿فلما دخلوا على يوسف... ﴿الآيات (٩٩ و ١٠٠)
- ٨٤ تفسير قوله تعالى : ﴿رب قد آتيتني من الملك... ﴿الآية (١٠١)
- ٨٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك... ﴿الآيات (١٠٢ - ١٠٤)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وكأين من آية في السموات
- ٨٧ والأرض... ﴿الآيات (١٠٥ - ١٠٨)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً
- ٨٨ نوحى إليهم... ﴿الآيات (١٠٩ و ١١٠)
- ٨٩ تفسير قوله تعالى : ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب... ﴿الآية (١١١)

سورة الرعد

- تفسير قوله تعالى : ﴿الْأَمْرُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ...﴾ الآية (١) ٩١
- تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ
- عَمَدٍ تَرْوَاهَا...﴾ الآيات (٢ - ٤) ٩٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ...﴾ الآية (٥) ٩٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ...﴾ الآية (٦) ٩٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ...﴾ الآيات (٧ - ٩) ... ٩٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ...﴾ الآيتان (١٠ و ١١) .. ٩٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ الآيتان (١٢ و ١٣) .. ١٠٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ...﴾ الآية (١٤) ١٠٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
- وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا...﴾ الآية (١٥) ١٠٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية (١٦) ١٠٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ...﴾ الآية (١٧) ١٠٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى...﴾ الآيتان (١٨ و ١٩) ... ١٠٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُوَفُّونَ بِعَهْدِ اللَّهِ...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٤) ١٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٧) ١٠٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ...﴾ الآيتان (٢٨ و ٢٩) .. ١١٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ
- مِنْ قَبْلُهَا أُمَمٌ...﴾ الآية (٣٠) ١١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ
- بِهِ الْجِبَالُ...﴾ الآية (٣١) ١١٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىءَ بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ الآيتان (٣٢ و ٣٣) .. ١١٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الآيتان (٣٤ و ٣٥) ١١٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ
- بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾ الآيتان (٣٦ و ٣٧) ١١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ...﴾ الآيتان (٣٨ و ٣٩) ١١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مَا نَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي
- نَعْدُهُمْ...﴾ الآيتان (٤٠ و ٤١) ١١٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ الآيتان (٤٢ و ٤٣) ١١٩

سورة إبراهيم

- ١٢٠ تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ الآية (١ - ٣)
- ١٢١ تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِمْ﴾ الآية (٤ و ٥)
- ١٢٣ تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الآية (٦ - ٨)
- ١٢٤ تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية (٩)
- ١٢٥ تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَتْ رَسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ الآية (١٠ - ١٢)
- ١٢٦ تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرَسُلِهِمْ﴾ الآية (١٣ - ١٧)
- ١٢٨ تفسير قوله تعالى : ﴿مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كِرَامَادٌ﴾ الآية (١٨)
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ
- ١٢٩ السماوات والأرض بالحق﴾ الآية (١٩ - ٢١)
- ١٣٠ تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قَضَى الْأَمْرُ﴾ الآية (٢٢ و ٢٣)
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
- ١٣١ كلمة طيبة﴾ الآية (٢٤ - ٢٦)
- ١٣٥ تفسير قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الآية (٢٧ - ٣٠)
- ١٣٧ تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الآية (٣١)
- تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
- ١٣٧ وأنزل من السماء ماء﴾ الآية (٣٢ - ٣٧)
- ١٤٠ تفسير قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلُنُ﴾ الآية (٣٨ - ٤٣)
- ١٤١ تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ الآية (٤٤ - ٤٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مَخْلُوفًا وَعَدَهُ
- ١٤٣ رسله﴾ الآية (٤٧ و ٤٨)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مَقْرَنِينَ فِي
- ١٤٤ الأصفاد﴾ الآية (٤٩ - ٥١)
- ١٤٦ تفسير قوله تعالى : ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ الآية (٥٢)

سورة الحجر

- ١٤٧ تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْكُتُبَ أُنْزِلَتْ مِنْ قِبَلِكُمْ﴾ الآية (١ - ٣)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا
- ١٤٨ ولها كتاب معلوم﴾ الآية (٤ و ٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي
- ١٤٨ نزل عليه الذكر﴾ الآية (٦ - ٩)

- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين...﴾ الآيات (١٠ - ١٣) ١٤٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء...﴾ الآيات (١٤ و ١٥) ١٥٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً...﴾ الآيات (١٦ - ٢٠) ١٥٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه...﴾ الآيات (٢١ - ٢٥) ١٥٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال...﴾ الآيات (٢٦ و ٢٧) ١٥٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال...﴾ الآيات (٢٨ - ٣٨) ١٥٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض...﴾ الآيات (٣٩ - ٤٤) ١٦٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن المتقين في جنات وعيون...﴾ الآيات (٤٥ - ٥٠) ١٦١
- تفسير قوله تعالى : ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم...﴾ الآيات (٥١ - ٥٦) ١٦٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون...﴾ الآيات (٥٧ - ٦٠) ١٦٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون...﴾ الآيات (٦١ - ٦٦) ١٦٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون...﴾ الآيات (٦٧ - ٧٢) ١٦٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين...﴾ الآيات (٧٣ - ٧٧) ١٦٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين...﴾ الآيات (٧٨ و ٧٩) ١٦٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين...﴾ الآيات (٨٠ - ٨٤) ١٦٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق...﴾ الآيات (٨٥ و ٨٦) ١٦٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني...﴾ الآيات (٨٧ و ٨٨) ١٧٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقل إني أنا النذير المبين...﴾ الآيات (٨٩ - ٩٣) ١٧٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿فاصدع بما تؤمر...﴾ الآيات (٩٤ - ٩٩) ١٧٤

سورة النحل

- ١٧٧ تفسير قوله تعالى : ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه...﴾ الآية (١)
- ١٧٨ تفسير قوله تعالى : ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره...﴾ الآية (٢)
- ١٧٩ تفسير قوله تعالى : ﴿خلق السموات والأرض بالحق...﴾ الآيات (٣-٧)
- ١٨٠ تفسير قوله تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها...﴾ الآية (٨)
- ١٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿وعلى الله قصد السبيل...﴾ الآيات (٩-١٣)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً...﴾ الآيات (١٤-١٨)
- ١٨٢ تفسير قوله تعالى : ﴿والله يعلم ما تُسرّون وما تعلنون...﴾ الآيات (١٩-٢٥)
- ١٨٣ تفسير قوله تعالى : ﴿قد مكر الذين من قبلهم...﴾ الآيات (٢٦ و ٢٧)
- ١٨٥ تفسير قوله تعالى : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾ الآيات (٢٨ و ٢٩)
- ١٨٦ تفسير قوله تعالى : ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم...﴾ الآيات (٣٠-٣٢)
- ١٨٦ تفسير قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة...﴾ الآيات (٣٣-٤٢)
- ١٨٧ تفسير قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم...﴾ الآيات (٤٣ و ٤٤)
- ١٨٩ تفسير قوله تعالى : ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات...﴾ الآيات (٤٥-٤٧)
- ١٩٠ تفسير قوله تعالى : ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء...﴾ الآيات (٤٨-٥٠)
- ١٩٠ تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين...﴾ الآيات (٥١-٥٥)
- ١٩٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم...﴾ الآيات (٥٦-٦٠)
- ١٩٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم...﴾ الآيات (٦١ و ٦٢)
- ١٩٥ تفسير قوله تعالى : ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك...﴾ الآيات (٦٣-٦٧)
- ١٩٧ تفسير قوله تعالى : ﴿وأوحى ربك إلى النحل...﴾ الآيات (٦٨ و ٦٩)
- ١٩٨ تفسير قوله تعالى : ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم...﴾ الآية (٧٠)
- ٢٠٠

- تفسير قوله تعالى : ﴿والله فضل بعضكم على بعض
- في الرزق...﴾ الآية (٧١) ٢٠١
- تفسير قوله تعالى : ﴿والله جعل لكم من أنفسكم
- أزواجاً...﴾ الآية (٧٢) ٢٠٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله
- ما لا يملك لهم رزقاً...﴾ الآيات (٧٣ - ٧٥) ٢٠٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وضرب الله مثلاً رجلين...﴾ الآية (٧٦) ٢٠٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿والله غيب السموات والأرض...﴾ الآيات (٧٧ - ٧٩) ٢٠٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿والله جعل لكم من بيوتكم
- سكناً...﴾ الآيات (٨٠ - ٨٣) ٢٠٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم نبعث من كل أمة
- شهِيداً...﴾ الآيات (٨٤ - ٨٨) ٢٠٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم نبعث في كل أمة
- شهِيداً عليهم...﴾ الآية (٨٩) ٢٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان...﴾ الآية (٩٠) ٢٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم...﴾
- الآيتان (٩١ و ٩٢) ٢٠٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لجعلكم
- أمة واحدة...﴾ الآيات (٩٣ - ٩٦) ٢١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو
- أنثى...﴾ الآيات (٩٧ - ١٠٠) ٢١٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية...﴾ الآيتان (١٠١ و ١٠٢) ٢١٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما
- يعلمه بشر...﴾ الآيات (١٠٣ - ١٠٥) ٢١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه
- إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان...﴾ الآيات (١٠٦ - ١٠٩) ٢١٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا
- من بعد ما فتنوا...﴾ الآيات (١١٠ - ١١٣) ٢١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً
- طيباً...﴾ الآيات (١١٤ - ١١٩) ٢١٧

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمُ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا

لِلَّهِ...﴾ الآيات (١٢٠ - ١٢٣) ٢١٨

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَعَلَ السَّبِيتَ عَلَى الَّذِينَ

اِخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾ الآيتان (١٢٤ و ١٢٥) ٢٢٠

تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ

مَا عَاقِبْتُمْ بِهِ...﴾ الآيات (١٢٦ - ١٢٨) ٢٢١

سورة الإسراء

تفسير قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا

مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...﴾ الآية (١) ٢٢٣

تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾ الآيتان (٢ و ٣) ٢٢٧

تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي

الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ...﴾ الآيات (٤ - ٨) ٢٢٨

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ الآيتان (٩ و ١٠) ٢٣١

تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ

دُعَاءَ بِالْخَيْرِ...﴾ الآيتان (١١ و ١٢) ٢٣٢

تفسير قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ

فِي عُنُقِهِ...﴾ الآيتان (١٣ و ١٤) ٢٣٣

تفسير قوله تعالى : ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ...﴾ الآية (١٥) ٢٣٤

تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً...﴾ الآية (١٦) ٢٣٥

تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن

بَعْدِ نُوحٍ...﴾ الآيات (١٧ - ١٩) ٢٣٦

تفسير قوله تعالى : ﴿كَأَلَّا نَمْدَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ

مِنَ عَطَاءِ رَبِّكَ...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٤) ٢٣٧

تفسير قوله تعالى : ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ...﴾ الآية (٢٥) ٢٣٨

تفسير قوله تعالى : ﴿وَأْتِذَا الْقُرْىِ حَقُّهُ...﴾ الآيات (٢٦ - ٣٠) ٢٣٩

تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً

إِمْلَاقٍ...﴾ الآيات (٣١ - ٣٣) ٢٤٠

تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ

إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ الآيتان (٣٤ و ٣٥) ٢٤١

- تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم...﴾ الآية (٣٦) ٢٤٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تمشي في الأرض مرحاً...﴾ الآيات (٣٧ - ٤١) ٢٤٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون...﴾ الآيتان (٤٢ و ٤٣) ٢٤٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿تسبح له السموات السبع...﴾ الآية (٤٤) ٢٤٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قرأت القرآن...﴾ الآيتان (٤٥ و ٤٦) ٢٤٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿نحن أعلم بما يستمعون...﴾ الآيتان (٤٧ و ٤٨) ٢٤٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً...﴾ الآيات (٤٩ - ٥٢) ٢٤٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن...﴾ الآية (٥٣) ٢٤٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ربكم أعلم بكم﴾ الآيتان (٥٤ و ٥٥) ٢٤٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه...﴾ الآيتان (٥٦ و ٥٧) ٢٥٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة...﴾ الآيتان (٥٨ و ٥٩) ٢٥٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس...﴾ الآية (٦٠) ٢٥٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...﴾ الآيتان (٦١ و ٦٢) ٢٥٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال اذهب فممن تبعك منهم...﴾ الآيات (٦٣ - ٦٥) ٢٥٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ الآيتان (٦٦ و ٦٧) ٢٥٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر...﴾ الآيتان (٦٨ و ٦٩) ٢٥٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم...﴾ الآية (٧٠) ٢٥٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم...﴾ الآيتان (٧١ و ٧٢) ٢٥٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك...﴾ الآيات (٧٣ - ٧٥) ٢٥٩

تفسير قوله تعالى : ﴿وإن كادوا ليستفزونك من

- الأرض...﴾ الآيات (٧٦ و ٧٧) ٢٦١
- تفسير قوله تعالى : ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس...﴾ الآيات (٧٨ و ٧٩) ٢٦٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق...﴾ الآيات (٨٠ و ٨١) ... ٢٦٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ونزل من القرآن ما هو
- شفاء ورحمة للمؤمنين...﴾ الآية (٨٢) ٢٦٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض
- ونأى بجانبه...﴾ الآيات (٨٣ و ٨٤) ٢٦٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح...﴾ الآية (٨٥) ٢٦٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي
- أوحينا إليك...﴾ الآيات (٨٦ - ٨٩) ٢٧١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى
- تفجر لنا من الأرض ينبوعاً...﴾ الآيات (٩٠ - ٩٣) ٢٧٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا
- إذ جاءهم الهدى...﴾ الآيات (٩٤ و ٩٥) ٢٧٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم...﴾ الآيات (٩٦ و ٩٧) .. ٢٧٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا
- بآياتنا...﴾ الآيات (٩٨ - ١٠٠) ٢٧٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى تسع
- آيات بينات...﴾ الآيات (١٠١ - ١٠٤) ٢٧٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل...﴾ الآيات (١٠٥ و ١٠٦) ... ٢٧٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا...﴾ الآيات (١٠٧ - ١٠٩) ٢٧٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل ادعوا الله أو
- ادعوا الرحمن...﴾ الآيات (١١٠ و ١١١) ٢٨٠

سوف الكهف

تفسير قوله تعالى : ﴿الحمد لله الذي أنزل على

- عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً...﴾ الآيات (١ - ٥) ٢٨٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم
- إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً...﴾ الآيات (٦ - ٨) ٢٨٤

- تفسير قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
والرقيم...﴾ الآيات (٩ - ١٢) ٢٨٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِالْحَقِّ...﴾ الآيات (١٣ - ١٦) ٢٨٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ
عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ...﴾ الآية (١٧) ٢٩٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيَّاقًا وَهُمْ رُقُودٌ...﴾ الآية (١٨) ٢٩١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا
بَيْنَهُمْ...﴾ الآيتان (١٩ و ٢٠) ٢٩٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَتَتْهُمْ أَعْرَابٌ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية (٢١) ٢٩٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ الآية (٢٢) ٢٩٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لشيءٍ إني فاعِلٌ
ذلك غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ...﴾ الآيتان (٢٣ و ٢٤) ٢٩٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ
سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا...﴾ الآيتان (٢٥ و ٢٦) ٢٩٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَآتِلْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ
كِتَابِ رَبِّكَ...﴾ الآيتان (٢٧ و ٢٨) ٣٠٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَم...﴾ الآية (٢٩) ٣٠٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا...﴾ الآيتان (٣٠ و ٣١) ٣٠٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٦) ٣٠٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ...﴾ الآيات (٣٧ - ٤١) ٣٠٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ...﴾ الآيات (٤٢ - ٤٤) ٣٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ...﴾ الآيتان (٤٥ و ٤٦) ٣٠٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَسِیرُ الْجِبَالِ...﴾ الآيات (٤٧ - ٤٩) ٣١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ الآية (٥٠) ٣١٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ...﴾ الآية (٥١) ٣١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِي

- الذين زعمتم... ﴿الآيتان (٥٢ و ٥٣)﴾ ٣١٦
تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن
- للناس من كل مثل... ﴿الآية (٥٤)﴾ ٣١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا... ﴿الآيتان (٥٥ و ٥٦)﴾ ٣١٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات
- ربه فأعرض عنها... ﴿الآيات (٥٧ - ٥٩)﴾ ٣١٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لفتهاه... ﴿الآيات (٦٠ - ٦٥)﴾ ٣٢١
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال له موسى هل أتبعك... ﴿الآيات (٦٦ - ٧٠)﴾ ٣٢٥
تفسير قوله تعالى : ﴿فانطلقا حتى إذا ركبا
- في السفينة... ﴿الآيات (٧١ - ٧٤)﴾ ٣٢٦
تفسير قوله تعالى : ﴿قال ألم أقل لك إنك لن
- تستطيع معي صبراً... ﴿الآيات (٧٥ - ٧٨)﴾ ٣٣٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿أما السفينة فكانت لمساكين... ﴿الآية (٧٩)﴾ ٣٣١
تفسير قوله تعالى : ﴿وأما الغلام فكان أبواه
- مؤمنين... ﴿الآيتان (٨٠ و ٨١)﴾ ٣٣٣
تفسير قوله تعالى : ﴿وأما الجدار فكان لغلامين
- يتيمين... ﴿الآية (٨٢)﴾ ٣٣٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن ذي القرنين... ﴿الآيتان (٨٣ و ٨٤)﴾ ٣٣٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿فأتبع سبياً... ﴿الآيات (٨٥ - ٨٨)﴾ ٣٣٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ثم أتبع سبياً... ﴿الآيات (٨٩ - ٩١)﴾ ٣٣٩
تفسير قوله تعالى : ﴿ثم أتبع سبياً حتى إذا بلغ
- بين السدين... ﴿الآيات (٩٢ - ٩٦)﴾ ٣٤٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿فما استطاعوا أن يظهره... ﴿الآيات (٩٧ - ٩٩)﴾ ٣٤٤
تفسير قوله تعالى : ﴿وعرضنا جهنم يومئذ
- للكافرين عرضاً... ﴿الآيات (١٠٠ - ١٠٢)﴾ ٣٤٦
تفسير قوله تعالى : ﴿قل هل ننبتكم بالآخسرين
- أعمالاً... ﴿الآيات (١٠٣ - ١٠٦)﴾ ٣٤٧
تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
- كانت لهم جنات الفردوس نزلاً... ﴿الآيتان (١٠٧ و ١٠٨)﴾ ٣٤٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مدداً

لكلمات ربي... ﴾ الآيتان (١٠٩ و ١١٠) ٣٤٩

سورة مريم

تفسير قوله تعالى : ﴿ تَهَيَّعْ ذَكَرَ رَحْمَةِ رَبِّكَ

عَبْدُهُ زَكَرِيَّا... ﴾ الآيات (١ - ٦) ٣٥٢

تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى... ﴾ الآية (٧) ٣٥٦

تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي

غُلَامٌ... ﴾ الآيتان (٨ و ٩) ٣٥٧

تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً... ﴾ الآيتان (١٠ و ١١) ٣٥٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ... ﴾ الآيات (١٢ - ١٥) ٣٥٩

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ... ﴾ الآيات (١٦ - ٢١) ٣٦١

تفسير قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ

مَكَانًا قَصِيًّا... ﴾ الآيتان (٢٢ و ٢٣) ٣٦٣

تفسير قوله تعالى : ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا... ﴾ الآيات (٢٤ - ٢٦) ٣٦٤

تفسير قوله تعالى : ﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ... ﴾ الآيات (٢٧ - ٣٣) ٣٦٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ

الْحَقِّ... ﴾ الآيات (٣٤ - ٣٧) ٣٧٢

تفسير قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ... ﴾ الآيات (٣٨ - ٤٥) ٣٧٣

تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتُمْ أَنْتُمْ عَن

آلِهَتِي... ﴾ الآيات (٤٦ - ٤٨) ٣٧٤

تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾ الآيتان (٤٩ و ٥٠) ٣٧٥

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى... ﴾ الآيات (٥١ - ٥٣) ٣٧٥

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ... ﴾ الآيتان (٥٤ و ٥٥) ٣٧٦

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ... ﴾ الآيتان (٥٦ و ٥٧) ٣٧٧

تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... ﴾ الآية (٥٨) ٣٧٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ... ﴾ الآيتان (٥٩ و ٦٠) ٣٧٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ

عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ... ﴾ الآيات (٦١ - ٦٣) ٣٨٠

تفسير قوله تعالى : ﴿وما ننزل إلا بأمر

الله... ﴿الآيتان (٦٤ و ٦٥) ٣٨١

تفسير قوله تعالى : ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت

لسوف أخرج حياً... ﴿الآيات (٦٦ - ٧٠) ٣٨٢

تفسير قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها... ﴿الآيتان (٧١ و ٧٢) ٣٨٤

تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا بتلى عليهم آياتنا

بينات... ﴿الآيتان (٧٣ و ٧٤) ٣٨٥

تفسير قوله تعالى : ﴿قل من كان في الضلالة

فليمدد له الرحمن مدياً... ﴿الآيتان (٧٥ و ٧٦) ٣٨٦

تفسير قوله تعالى : ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا... ﴿الآيات (٧٧ - ٨٠) ٣٨٧

تفسير قوله تعالى : ﴿واتخذوا من دون الله

آلهة... ﴿الآيات (٨١ - ٨٤) ٣٨٨

تفسير قوله تعالى : ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن

وفداً... ﴿الآيات (٨٥ - ٨٧) ٣٨٩

تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً... ﴿الآيات (٨٨ - ٩٨) ٣٩٠

سورة طه

تفسير قوله تعالى : ﴿طه ما أنزلنا عليك

القرآن لتشقى... ﴿الآيات (١ - ٨) ٣٩٢

تفسير قوله تعالى : ﴿وهل أتاك حديث موسى... ﴿الآيتان (٩ و ١٠) ٣٩٤

تفسير قوله تعالى : ﴿فلما أتاها نودي يا موسى... ﴿الآيات (١١ - ١٦) ٣٩٥

تفسير قوله تعالى : ﴿وما تلك بيمينك يا

موسى... ﴿الآيات (١٧ - ٢١) ٣٩٨

تفسير قوله تعالى : ﴿واضمم يدك إلى جناحك... ﴿الآيات (٢٢ - ٣٥) ٤٠٠

تفسير قوله تعالى : ﴿قال قد أوتيت سؤالك

يا موسى... ﴿الآيات (٣٦ - ٤٠) ٤٠١

تفسير قوله تعالى : ﴿واصطنعتك لنفسى... ﴿الآيات (٤١ - ٤٤) ٤٠٤

تفسير قوله تعالى : ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن

يفرط علينا... ﴿الآيات (٤٥ - ٤٨) ٤٠٥

تفسير قوله تعالى : ﴿قال فمن ربكما يا موسى... ﴿الآيات (٤٩ - ٥٢) ٤٠٥

- تفسير قوله تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدياً...﴾ الآيات (٥٣-٥٦) ٤٠٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال أجبنا لتخرجنا من أرضنا...﴾ الآيات (٥٧-٥٩) ٤٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿فتولى فرعون فجمع كيده...﴾ الآيات (٦٠-٦٤) ٤٠٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى...﴾ الآيات (٦٥-٧٠) ٤١٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم...﴾ الآيات (٧١-٧٣) ٤١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنه من يأت ربه مجرمًا...﴾ الآيات (٧٤-٧٩) ٤١٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم...﴾ الآيات (٨٠-٨٢) ٤١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى...﴾ الآيات (٨٣-٨٩) ٤١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل...﴾ الآيات (٩٠-٩٤) ٤١٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال فما خطبك يا سامري...﴾ الآيات (٩٥-٩٨) ٤٢١
- تفسير قوله تعالى : ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق...﴾ الآيات (٩٩-١٠١) ٤٢٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿يوم ينفخ في الصور...﴾ الآيات (١٠٢-١٠٤) ٤٢٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن الجبال...﴾ الآيات (١٠٥-١٠٨) ٤٢٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن...﴾ الآيات (١٠٩-١١٢) ٤٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وكذلك أنزلناه قرآنًا عربيًّا...﴾ الآيات (١١٣ و ١١٤) ٤٢٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي...﴾ الآيات (١١٥-١٢٢) ٤٢٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال اهبطا منها جميعاً...﴾ الآيات (١٢٣-١٢٦) ٤٣٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وكذلك نجزي من أسرف...﴾ الآيات (١٢٧-١٣٠) ٤٣١
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم...﴾ الآيات (١٣١ و ١٣٢) ٤٣٣

تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية

من ربه...﴾ الآيات (١٣٣ - ١٣٥) ٤٣٤

سورة الأنبياء

تفسير قوله تعالى : ﴿اقترب للناس حسابهم...﴾ الآيات (١ - ٦) ٤٣٥

تفسير قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً

نوحى إليهم...﴾ الآيات (٧ - ٩) ٤٣٨

تفسير قوله تعالى : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم...﴾ الآيات (١٠ - ١٥) .. ٤٣٨

تفسير قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما

بينهما لاعبين...﴾ الآيات (١٦ - ٢٠) ٤٤٠

تفسير قوله تعالى : ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض

هم ينشرون...﴾ الآيات (٢١ - ٢٣) ٤٤١

تفسير قوله تعالى : ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة...﴾ الآيات (٢٤ - ٢٩) ٤٤٢

تفسير قوله تعالى : ﴿أو لم ير الذين كفروا أن

السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما...﴾ الآيات (٣٠ - ٣٣) ٤٤٣

تفسير قوله تعالى : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك

الخلد...﴾ الآيات (٣٤ و ٣٥) ٤٤٦

تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا رآك الذين كفروا...﴾ الآيات (٣٦ - ٤٠) ٤٤٧

تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد استهزئ برسل من

قبلك...﴾ الآيات (٤١ - ٤٣) ٤٤٨

تفسير قوله تعالى : ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم...﴾ الآيات (٤٤ - ٤٧) ٤٤٩

تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى وهارون

الفرقان...﴾ الآيات (٤٨ - ٥٠) ٤٤٩

تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده...﴾ الآيات (٥١ - ٥٦) ٤٥٠

تفسير قوله تعالى : ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم...﴾ الآيات (٥٧ - ٦٣) ٤٥١

تفسير قوله تعالى : ﴿فرجعوا إلى أنفسهم...﴾ الآيات (٦٤ - ٦٧) ٤٥٢

تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا حرقوه...﴾ الآيات (٦٨ - ٧٠) ٤٥٣

تفسير قوله تعالى : ﴿ونجيناه ولوطلاً...﴾ الآيات (٧١ - ٧٥) ٤٥٤

تفسير قوله تعالى : ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل...﴾ الآيات (٧٦ و ٧٧) ٤٥٥

تفسير قوله تعالى : ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان

في الحرث...﴾ الآيات (٧٨ - ٨٢) ٤٥٦

- تفسير قوله تعالى : ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني
 مسني الضر...﴾ الآيات (٨٣ و ٨٤) ٤٦١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل...﴾ الآيات (٨٥ و ٨٦) .. ٤٦٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وذا النون إذ ذهب
 مغاضباً...﴾ الآيات (٨٧ و ٨٨) ٤٦٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وزكريا إذ نادى ربه...﴾ الآيات (٨٩ و ٩٠) ٤٦٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿والتي أحصنت فرجها...﴾ الآيات (٩١ - ٩٤) ٤٦٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وحرام على قرية أهلكناها
 أنهم لا يرجعون...﴾ الآيات (٩٥ - ٩٧) ٤٧٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنكم وما تعبدون من دون
 الله حصب جهنم...﴾ الآيات (٩٨ - ١٠٣) ٤٧٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿يوم نطوي السماء كطيّ
 السجل للكتب...﴾ الآية (١٠٤) ٤٧٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد كتبنا في الزبور من
 بعد الذكر...﴾ الآيات (١٠٥ - ١٠٧) ٤٧٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما
 ألهمكم إله واحد...﴾ الآيات (١٠٨ - ١١٢) ٤٧٦

فهرس المجلد الرابع

سورة الحج

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾
 ٥ إن زلزلة الساعة شيء عظيم... ﴿الآيتان (١ و ٢)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾
 ٦ بغير علم... ﴿الآيتان (٣ و ٤)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس إن كنتم﴾
 ٦ في ريب من البعث... ﴿الآيات (٥ - ٧)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في﴾
 ٩ الله بغير علم... ﴿الآيات (٨ - ١٠)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾
 ١٠ على حرف... ﴿الآيات (١١ - ١٣)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾
 ١١ وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار... ﴿الآيات (١٤ - ١٧)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله يسجد له﴾
 ١٢ من في السموات ومن في الأرض... ﴿الآية (١٨)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿هذان خصمان اختصموا في﴾
 ١٣ ربهم... ﴿الآيات (١٩ - ٢٢)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا﴾
 ١٥ الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار... ﴿الآيات (٢٣ - ٢٥)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان﴾
 ١٧ البيت... ﴿الآيتان (٢٦ و ٢٧)﴾
- تفسير قوله تعالى : ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾... ﴿الآيتان (٢٨ و ٢٩)﴾
 ١٩

- ٢١ تفسير قوله تعالى : ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله...﴾ الآيتان (٣٠ و ٣١)
- ٢٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله...﴾ الآيتان (٣٢ و ٣٣)
- ٢٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً...﴾ الآيتان (٣٤ و ٣٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله...﴾ الآية (٣٦)
- ٢٥ تفسير قوله تعالى : ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها...﴾ الآية (٣٧)
- ٢٨ تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا...﴾ الآيات (٣٨ - ٤١)
- ٢٨ تفسير قوله تعالى : ﴿وإن يكذبوك...﴾ الآيات (٤٢ - ٤٦)
- ٣٠ تفسير قوله تعالى : ﴿ويستعجلونك بالعذاب...﴾ الآيتان (٤٧ و ٤٨)
- ٣٢ تفسير قوله تعالى : ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين...﴾ الآيات (٤٩ - ٥١)
- ٣٣ تفسير قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته...﴾ الآيات (٥٢ - ٥٤)
- ٣٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه...﴾ الآيات (٥٥ - ٥٧)
- ٣٦ تفسير قوله تعالى : ﴿والذين هاجروا في سبيل الله...﴾ الآيات (٥٨ - ٦٠)
- ٣٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ذلك بأن الله يولي الجليل في النهار...﴾ الآيات (٦١ - ٦٦)
- ٣٨ تفسير قوله تعالى : ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه...﴾ الآيات (٦٧ - ٧٢)
- ٣٨ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له...﴾ الآيتان (٧٣ و ٧٤)
- ٣٩ تفسير قوله تعالى : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً...﴾ الآيتان (٧٥ و ٧٦)
- ٤٠ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا...﴾ الآيتان (٧٧ و ٧٨)
- ٤١

سورة المؤمنون

- ٤٤ تفسير قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾ الآيات (١ - ١١)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ
 ٤٧ من طين...﴾ الآيات (١٢ - ١٦)
 ٤٩ تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ...﴾ الآية (١٧)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 ٥٠ بقدر...﴾ الآيات (١٨ - ٢٢)
 ٥١ تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ...﴾ الآيات (٢٣ - ٢٥)
 تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا
 ٥٢ كَذَبُونَ...﴾ الآيات (٢٦ - ٣٠)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
 ٥٣ قَرْنًا آخَرِينَ...﴾ الآيات (٣١ - ٤١)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا
 ٥٤ آخَرِينَ...﴾ الآيات (٤٢ - ٤٤)
 ٥٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ...﴾ الآيات (٤٥ - ٥٠)
 تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسْلُ كُلُوا
 ٥٦ مِنَ الطَّيِّبَاتِ...﴾ الآيات (٥١ - ٥٦)
 تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ
 ٥٨ مُشْفِقُونَ...﴾ الآيات (٥٧ - ٦١)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا
 ٥٩ وَسَعَهَا...﴾ الآيات (٦٢ - ٦٧)
 ٦١ تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ...﴾ الآيات (٦٨ - ٧٥)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا
 ٦٤ لِرَبِّهِمْ...﴾ الآيات (٧٦ - ٨٣)
 ٦٥ تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا...﴾ الآيات (٨٤ - ٩٢)
 تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا
 ٦٥ يُوْعَدُونَ...﴾ الآيات (٩٣ - ٩٨)
 ٦٦ تفسير قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ...﴾ الآيتان (٩٩ و ١٠٠)
 ٦٧ تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ...﴾ الآيات (١٠١ - ١٠٧)

- ٦٨ تفسير قوله تعالى : ﴿قال اخسثوا فيها ولا تكلمون...﴾ الآيات (١٠٨ - ١١١)
- ٦٨ تفسير قوله تعالى : ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين...﴾ الآيات (١١٢ - ١١٦)
- ٦٩ تفسير قوله تعالى : ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه...﴾ الآيات (١١٧ و ١١٨)

سورة النور

- ٧٠ تفسير قوله تعالى : ﴿سورة أنزلناها وفرضناها...﴾ الآيات (١ و ٢)
- ٧٢ تفسير قوله تعالى : ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة...﴾ الآية (٣)
- ٧٤ تفسير قوله تعالى : ﴿والذين يرمون المحصنات...﴾ الآيات (٤ و ٥)
- ٧٥ تفسير قوله تعالى : ﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ الآيات (٦ - ١٠)
- ٧٩ تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم...﴾ الآية (١١)
- ٨٠ تفسير قوله تعالى : ﴿لولا إذ سمعتموهم ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً...﴾ الآيات (١٢ و ١٣)
- ٨١ تفسير قوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة...﴾ الآيات (١٤ - ١٩)
- ٨٢ تفسير قوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم...﴾ الآيات (٢٠ و ٢١)
- ٨٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين...﴾ الآيات (٢٢ - ٢٥)
- ٨٤ تفسير قوله تعالى : ﴿الخبيثات للخبيثين...﴾ الآية (٢٦)
- ٨٥ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا...﴾ الآيات (٢٧ - ٢٩)
- ٨٩ تفسير قوله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم...﴾ الآية (٣٠)
- ٩٠ تفسير قوله تعالى : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن...﴾ الآية (٣١)
- ٩٧ تفسير قوله تعالى : ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٤)

- تفسير قوله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض...﴾ الآية (٣٥) ١٠١
- تفسير قوله تعالى : ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع...﴾ الآيات (٣٦ - ٣٨) ١٠٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب
- بقية...﴾ الآيتان (٣٩ و ٤٠) ١٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله يسيح له
- من في السموات والأرض...﴾ الآيتان (٤١ و ٤٢) ١١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً...﴾ الآيتان (٤٣ و ٤٤) ١١٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿والله خلق كل دابة من
- ماء...﴾ الآيتان (٤٥ و ٤٦) ١١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسل...﴾ الآيات (٤٧ - ٥٢) ١١٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم...﴾ الآيتان (٥٣ و ٥٤) ١١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
- الصالحات ليستخلفنهم في الأرض...﴾ الآيات (٥٥ - ٥٧) ١١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم
- الذين ملكت أيمانكم...﴾ الآيات (٥٨ - ٦٠) ١١٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ليس على الأعمى حرج...﴾ الآية (٦١) ١٢٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
- ورسله...﴾ الآية (٦٢) ١٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
- كدعاء بعضكم بعضاً...﴾ الآيتان (٦٣ و ٦٤) ١٢٨
- سورة الفرقان**
- تفسير قوله تعالى : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
- ليكون للعالمين نذيراً...﴾ الآيات (١ - ٣) ١٣٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا
- إفك افتراه...﴾ الآيات (٤ - ٦) ١٣١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا مال هذا الرسول
- يأكل الطعام...﴾ الآيات (٧ - ١٤) ١٣٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل أذلك خير أم جنة
- الخلد...﴾ الآيتان (١٥ و ١٦) ١٣٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون...﴾ الآيات (١٧ - ١٩) ١٣٥

- تفسير قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق...﴾ الآية (٢٠) ١٣٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا...﴾ الآيات (٢١ - ٢٤) ١٣٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٩) ١٤٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً...﴾ الآيات (٣٠ - ٣٤) ١٤٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ الآيات (٣٥ - ٤٠) ١٤٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً...﴾ الآيات (٤١ - ٤٤) ١٤٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل...﴾ الآيات (٤٥ - ٤٧) ١٤٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته...﴾ الآيات (٤٨ - ٥٠) ١٤٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً...﴾ الآيات (٥١ - ٥٤) ١٤٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم...﴾ الآيات (٥٥ - ٦٠) ١٥٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً...﴾ الآيتان (٦١ و ٦٢) ١٥٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً...﴾ الآيات (٦٣ - ٦٧) ١٥٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر...﴾ الآيات (٦٨ - ٧١) ١٥٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿والذين لا يشهدون الزور...﴾ الآيات (٧٢ - ٧٤) ١٥٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأولئك يجزون الغرفة بما صبروا...﴾ الآيات (٧٥ - ٧٧) ١٦١

سورة الشعراء

- تفسير قوله تعالى : ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين...﴾ الآيات (١ - ٩) ١٦٣

- ١٦٥ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ...﴾ الآيات (١٠ - ٢٢) تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ...﴾
- ١٦٨ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ...﴾ الآيات (٢٣ - ٣٧) تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ...﴾
- ١٦٩ ﴿مَعْلُوم...﴾ الآيات (٣٨ - ٥١) تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي...﴾ الآيات (٥٢ - ٥٩) تفسير قوله تعالى : ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مَشْرِقِينَ...﴾ الآيات (٦٠ - ٧٧) تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يُهْدِينِ...﴾ الآيات (٧٨ - ٨٢) تفسير قوله تعالى : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا...﴾ الآيات (٨٣ - ٨٩) تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ...﴾ الآيات (٩٠ - ١٠٤) تفسير قوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ...﴾ الآيات (١٠٥ - ١٢٢) تفسير قوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ...﴾ الآيات (١٢٣ - ١٣٥) تفسير قوله تعالى : ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ...﴾ الآيات (١٣٦ - ١٥٢) تفسير قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ...﴾ الآيات (١٥٣ - ١٥٨) تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ...﴾ الآيات (١٥٩ - ١٨٤) تفسير قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ...﴾ الآيات (١٨٥ - ١٩١) تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ الآيات (١٩٢ - ١٩٩) تفسير قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ...﴾ الآيات (٢٠٠ - ٢٠٩) تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ...﴾ الآيات (٢١٠ - ٢٢٠) تفسير قوله تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ...﴾ الآيات (٢٢١ - ٢٢٧) تفسير قوله تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ...﴾

سورة النمل

- تفسير قوله تعالى : ﴿طَسَّ تَلَكَّ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مَبِين...﴾ الآيات (١ - ٦) تفسير قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا...﴾ الآيات (٧ - ١٤) تفسير قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا...﴾

تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا داود وسليمان

علماً...﴾ الآيات (١٥ - ١٩) ١٩٧

تفسير قوله تعالى : ﴿وتفقد الطير...﴾ الآيتان (٢٠ و ٢١) ٢٠١

تفسير قوله تعالى : ﴿فمكث غير بعيد...﴾ الآيات (٢٢ - ٢٦) ٢٠٢

تفسير قوله تعالى : ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت

من الكاذبين...﴾ الآيات (٢٧ - ٣١) ٢٠٥

تفسير قوله تعالى : ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني

في أمري...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٥) ٢٠٧

تفسير قوله تعالى : ﴿فلما جاء سليمان...﴾ الآيتان (٣٦ و ٣٧) ٢١٠

تفسير قوله تعالى : ﴿قال يا أيها الملأ أياكم

يأتيني بعرشها...﴾ الآيات (٣٨ - ٤٠) ٢١١

تفسير قوله تعالى : ﴿قال نكروا لها عرشها...﴾ الآيات (٤١ - ٤٤) ٢١٤

تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود

أخاهم صالحاً...﴾ الآيات (٤٥ - ٤٧) ٢١٨

تفسير قوله تعالى : ﴿وكان في المدينة تسعة رهط

يفسدون في الأرض...﴾ الآيات (٤٨ - ٥٣) ٢١٩

تفسير قوله تعالى : ﴿ولوطاً إذ قال لقومه...﴾ الآيات (٥٤ - ٥٨) ٢٢٠

تفسير قوله تعالى : ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده

الذين اصطفى...﴾ الآيات (٥٩ - ٦١) ٢٢١

تفسير قوله تعالى : ﴿أمن يجب المضطر إذا دعاه...﴾ الآية (٦٢) ٢٢٢

تفسير قوله تعالى : ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر

والبحر...﴾ الآيتان (٦٣ و ٦٤) ٢٢٣

تفسير قوله تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات

والأرض الغيب إلا الله...﴾ الآيات (٦٥ - ٧٠) ٢٢٤

تفسير قوله تعالى : ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم

صادقين...﴾ الآيات (٧١ - ٨١) ٢٢٤

تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا وقع القول عليهم...﴾ الآية (٨٢) ٢٢٦

تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم نحشر من كل أمة

فوجاً...﴾ الآيات (٨٣ - ٨٦) ٢٢٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم ينفخ في الصور...﴾ الآيات (٨٧ - ٩٠) ٢٢٩

تفسير قوله تعالى : ﴿إنما أمرت أن أعبد

رب هذه البلدة...﴾ الآيات (٩١ - ٩٣) ٢٣١

سورة القصص

تفسير قوله تعالى : ﴿طسّم تلك آيات الكتاب

المبين...﴾ الآيات (١ - ٦) ٢٣٣

تفسير قوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى

أن أرضعيه...﴾ الآيات (٧ - ٩) ٢٣٥

تفسير قوله تعالى : ﴿وأصبح فؤاد أم موسى

فارغاً...﴾ الآيات (١٠ - ١٣) ٢٣٧

تفسير قوله تعالى : ﴿ولما بلغ أشده واستوى...﴾ الآيات (١٤ - ١٧) ٢٤٠

تفسير قوله تعالى : ﴿فأصبح في المدينة خائفاً

يترقب...﴾ الآيتان (١٨ و ١٩) ٢٤٢

تفسير قوله تعالى : ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى...﴾ الآية (٢٠) ٢٤٤

تفسير قوله تعالى : ﴿فخرج منها خائفاً يترقب...﴾ الآيات (٢١ - ٢٤) ٢٤٤

تفسير قوله تعالى : ﴿فجاءته إحداهما تمشي على

استحياء...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٨) ٢٤٧

تفسير قوله تعالى : ﴿فلما قضى موسى الأجل...﴾ الآيات (٢٩ - ٣٢) ٢٤٩

تفسير قوله تعالى : ﴿قال رب إنني قتلت منهم

نفساً...﴾ الآيات (٣٣ - ٣٧) ٢٥٢

تفسير قوله تعالى : ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ

ما علمت لكم من إله غيري...﴾ الآيات (٣٨ - ٤٢) ٢٥٣

تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ الآية (٤٣) ٢٥٤

تفسير قوله تعالى : ﴿وما كنت بجانب الغربي...﴾ الآيات (٤٤ - ٤٧) ٢٥٥

تفسير قوله تعالى : ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا...﴾ الآيات (٤٨ - ٥١) ٢٥٥

تفسير قوله تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب من

قبله...﴾ الآيات (٥٢ - ٥٥) ٢٥٧

تفسير قوله تعالى : ﴿إنك لا تهدي من أحببت...﴾ الآيتان (٥٦ و ٥٧) ٢٥٩

تفسير قوله تعالى : ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت

معيشتها...﴾ الآيتان (٥٨ و ٥٩) ٢٦٠

تفسير قوله تعالى : ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع

الحياة الدنيا...﴾ الآيات (٦٠ و ٦١) ٢٦١

تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم يناديهم...﴾ الآيات (٦٢ - ٦٧) ٢٦١

تفسير قوله تعالى : ﴿وربك يخلق ما يشاء...﴾ الآيات (٦٨ - ٧٠) ٢٦٢

تفسير قوله تعالى : ﴿قل أرأيتم إن جعل الله

عليكم الليل سرمداً...﴾ الآيات (٧١ - ٧٥) ٢٦٣

تفسير قوله تعالى : ﴿إن قارون كان من قوم

موسى...﴾ الآيات (٧٦ و ٧٧) ٢٦٤

تفسير قوله تعالى : ﴿قل إنما أوتيته على علم

عندي...﴾ الآية (٧٨) ٢٦٨

تفسير قوله تعالى : ﴿فخرج على قومه في

زينته...﴾ الآيات (٧٩ و ٨٠) ٢٦٩

تفسير قوله تعالى : ﴿فخسفنا به وبداره

الأرض...﴾ الآيات (٨١ و ٨٢) ٢٦٩

تفسير قوله تعالى : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها

للذين لا يريدون علواً في الأرض...﴾ الآيات (٨٣ و ٨٤) ٢٧١

تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذي فرض عليك القرآن

لرأذك إلى معاد...﴾ الآيات (٨٥ - ٨٨) ٢٧٢

سورة العنكبوت

تفسير قوله تعالى : ﴿الَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا

أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ...﴾ الآيات (١ - ٤) ٢٧٤

تفسير قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ

أَجَلَ اللَّهُ لَات...﴾ الآيات (٥ - ٩) ٢٧٦

تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا

بِاللَّهِ...﴾ الآيات (١٠ - ١٣) ٢٧٧

تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى

قَوْمِهِ...﴾ الآيات (١٤ و ١٥) ٢٧٨

تفسير قوله تعالى : ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه

اعبدوا الله...﴾ الآيات (١٦ - ٢٣) ٢٧٩

- تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ...﴾ الآيات (٢٤ - ٢٧) ٢٨٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتَاتُونَ الْفَاحِشَةَ...﴾ الآيات (٢٨ - ٣٠) ٢٨١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى...﴾ الآيات (٣١ - ٤٣) ٢٨٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...﴾ الآيتان (٤٤ و ٤٥) ٢٨٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ الآية (٤٦) ٢٨٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾ الآيات (٤٧ - ٤٩) ٢٨٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ...﴾ الآيات (٥٠ - ٥٢) ٢٨٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ...﴾ الآيات (٥٣ - ٥٥) ٢٨٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَايَ فَاعْبُدُونِ...﴾ الآيات (٥٦ - ٦٣) ٢٩٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُو وَلَعِبٌ...﴾ الآيات (٦٤ - ٦٦) ٢٩٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُونًا...﴾ الآيات (٦٧ - ٦٩) ٢٩٣

سورة الروم

- تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ غَلِبَتْ الرُّومُ...﴾ الآيات (١ - ٧) ٢٩٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ الآيات (٨ - ١٠) ٣٠٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...﴾ الآيات (١١ - ١٦) ٣٠١
- تفسير قوله تعالى : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ...﴾ الآيات (١٧ - ١٩) ٣٠٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ...﴾ الآيتان (٢٠ و ٢١) ٣٠٥

- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض...﴾ الآيتان (٢٢ و ٢٣) ٣٠٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً...﴾ الآيتان (٢٤ و ٢٥) ٣٠٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وله من في السموات والأرض...﴾ الآيتان (٢٦ و ٢٧) ٣٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم...﴾ الآيتان (٢٨ و ٢٩) ٣١٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً...﴾ الآيات (٣٠ - ٣٢) ٣١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا مسَّ الناس ضرّاً...﴾ الآيات (٣٣ - ٣٧) ٣١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿فأت ذا القربى حقه...﴾ الآيات (٣٨ - ٤٠) ٣١٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ظهر الفساد في البر والبحر...﴾ الآيتان (٤١ و ٤٢) ٣١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين القيم...﴾ الآيات (٤٣ - ٤٥) ٣١٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات...﴾ الآيتان (٤٦ و ٤٧) ٣١٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿الله الذي يرسل الرياح...﴾ الآيات (٤٨ - ٥١) ٣٢٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿فإنك لا تسمع الموتى...﴾ الآيات (٥٢ - ٥٤) ٣٢٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم تقوم الساعة...﴾ الآيات (٥٥ - ٥٧) ٣٢٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل...﴾ الآيات (٥٨ - ٦٠) ٣٢٤

سورة لقمان

- تفسير قوله تعالى : ﴿الَمْ تَلِك آيات الكتاب الحكيم...﴾ الآيات (١ - ٥) ٣٢٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث...﴾ الآيتان (٦ و ٧) ٣٢٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم...﴾ الآيات (٨ - ١١) ٣٢٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة...﴾ الآية (١٢) ٣٣١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه...﴾ الآيات (١٣ - ١٥) ٣٣٣

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا بني إن تك مثقال حبة من خردل...﴾ الآيات (١٦ - ١٩) ٣٣٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم ترو أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض...﴾ الآيتان (٢٠ و ٢١) ٣٤٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن...﴾ الآيات (٢٢ - ٢٤) ٣٤٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٨) ٣٤٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار...﴾ الآيتان (٢٩ و ٣٠) ٣٤٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله...﴾ الآيتان (٣١ و ٣٢) ٣٤٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم...﴾ الآية (٣٣) ٣٤٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله عنده علم الساعة...﴾ الآية (٣٤) ٣٤٩

سورة السجدة

- تفسير قوله تعالى : ﴿آلم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين...﴾ الآيات (١ - ٣) ٣٥٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام...﴾ الآيات (٤ - ٦) ٣٥٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه...﴾ الآيات (٧ - ٩) ٣٥٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا أنذا ضللنا في الأرض...﴾ الآيتان (١٠ و ١١) ٣٥٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسور رؤوسهم...﴾ الآيات (١٢ - ١٤) ٣٥٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً...﴾ الآيات (١٥ - ١٧) ٣٦٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون...﴾ الآيات (١٨ - ٢٢) ٣٦٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ الآيات (٢٣ - ٢٥) ٣٦٥

تفسير قوله تعالى : ﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا

من قبلهم...﴾ الآيتان (٢٦ و ٢٧) ٣٦٧

تفسير قوله تعالى : ﴿ويقولون متى هذا الفتح...﴾ الآيات (٢٨ - ٣٠) ٣٦٨

سورة الأحزاب

تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي اتق الله

ولا تطع الكافرين...﴾ الآيات (١ - ٣) ٣٦٩

تفسير قوله تعالى : ﴿ما جعل الله لرجل من قبلي في جوفه...﴾ الآيتان (٤ و ٥) ٣٧٠

تفسير قوله تعالى : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من

أنفسهم...﴾ الآيات (٦ - ٨) ٣٧٣

تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا

نعمة الله عليكم...﴾ الآيتان (٩ و ١٠) ٣٧٨

تفسير قوله تعالى : ﴿هنالك ابتلي المؤمنون...﴾ الآيات (١١ - ١٣) ٣٨٠

تفسير قوله تعالى : ﴿ولو دخلت عليهم من

أقطارها...﴾ الآيات (١٤ - ١٧) ٣٨٣

تفسير قوله تعالى : ﴿قد يعلم الله المعوقين

منكم...﴾ الآيتان (١٨ و ١٩) ٣٨٤

تفسير قوله تعالى : ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا...﴾

الآيات (٢٠ - ٢٢) ٣٨٧

تفسير قوله تعالى : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا

ما عاهدوا الله عليه...﴾ الآيتان (٢٣ و ٢٤) ٣٨٩

تفسير قوله تعالى : ﴿ورد الله الذين كفروا

بغیظهم...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٧) ٣٩١

تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك

إن كنتن تردن الحياة الدنيا...﴾ الآيتان (٢٨ و ٢٩) ٣٩٣

تفسير قوله تعالى : ﴿يا نساء النبي من يأت

منكن بفاحشة مبينة...﴾ الآيتان (٣٠ و ٣١) ٣٩٧

تفسير قوله تعالى : ﴿يا نساء النبي لستن كأحد

من النساء...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٤) ٣٩٨

تفسير قوله تعالى : ﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾ الآية (٣٥) ٤٠٢

- تفسير قوله تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
- ٤٠٤ إذا قضى الله ورسوله أمراً...﴾ الآية (٣٦)
- ٤٠٥ تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه...﴾ الآية (٣٧)
- تفسير قوله تعالى : ﴿ما كان على النبي من حرج
- ٤٠٧ فيما فرض الله له...﴾ الآية (٣٨)
- ٤٠٨ تفسير قوله تعالى : ﴿الذين يبلغون رسالات الله...﴾ الآيتان (٣٩ و ٤٠)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا
- ٤٠٩ الله ذكراً كثيراً...﴾ الآيات (٤١ - ٤٤)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك
- ٤١٠ شاهداً ومبشراً ونذيراً...﴾ الآيات (٤٥ - ٤٨)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا
- ٤١٢ نكحتم المؤمنات...﴾ الآية (٤٩)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا
- ٤١٣ لك أزواجك...﴾ الآية (٥٠)
- ٤١٥ تفسير قوله تعالى : ﴿ترجي من تشاء منهم...﴾ الآية (٥١)
- ٤١٦ تفسير قوله تعالى : ﴿لا يحل لك النساء من بعد...﴾ الآية (٥٢)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
- ٤١٧ بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم...﴾ الآيتان (٥٣ و ٥٤)
- ٤٢٠ تفسير قوله تعالى : ﴿لا جناح عليهن في آبائهن...﴾ الآية (٥٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون
- ٤٢١ على النبي...﴾ الآية (٥٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله
- ٤٢٢ لعنهم الله...﴾ الآيتان (٥٧ و ٥٨)
- ٤٢٣ تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك...﴾ الآيات (٥٩ - ٦٢)
- ٤٢٥ تفسير قوله تعالى : ﴿يسألك الناس عن الساعة...﴾ الآيات (٦٣ - ٦٨)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا
- ٤٢٦ لا تكونوا كالذين آذوا موسى...﴾ الآية (٦٩)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا
- ٤٢٧ اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً...﴾ الآيتان (٧٠ و ٧١)

تفسير قوله تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على

السماوات والأرض... ﴿الآيتان (٧٢ و ٧٣) ٤٢٨

سورة سبأ

تفسير قوله تعالى : ﴿الحمد لله الذي له ما

في السماوات وما في الأرض... ﴿الآيتان (١ و ٢) ٤٣١

تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا

الساعة... ﴿الآيات (٣ - ٦) ٤٣٢

تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم

على رجل... ﴿الآيات (٧ - ٩) ٤٣٣

تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً... ﴿الآيتان (١٠ و ١١) ٤٣٥

تفسير قوله تعالى : ﴿ولسليمان الريح... ﴿الآيتان (١٢ و ١٣) ٤٣٧

تفسير قوله تعالى : ﴿فلما قضينا عليه الموت... ﴿الآية (١٤) ٤٤٠

تفسير قوله تعالى : ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم

آية جنتان... ﴿الآيات (١٥ - ١٧) ٤٤٢

تفسير قوله تعالى : ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى

التي باركنا فيها... ﴿الآيتان (١٨ و ١٩) ٤٤٤

تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه... ﴿الآيات (٢٠ - ٢٣) ٤٤٧

تفسير قوله تعالى : ﴿قل من يرزقكم من السماوات

والأرض... ﴿الآيات (٢٤ - ٢٧) ٤٤٩

تفسير قوله تعالى : ﴿وما أرسلناه إلا كافة

للناس... ﴿الآيات (٢٨ - ٣٠) ٤٥٠

تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن

بهذا القرآن... ﴿الآيات (٣١ - ٣٣) ٤٥٠

تفسير قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير

إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون... ﴿الآيات (٣٤ - ٣٩) ٤٥١

تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم يحشرهم جميعاً... ﴿الآيات (٤٠ - ٤٥) ٤٥٤

تفسير قوله تعالى : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة... ﴿الآية (٤٦) ٤٥٥

تفسير قوله تعالى : ﴿قل ما سألتكم من أجر

فهو لكم... ﴿الآيات (٤٧ - ٥٠) ٤٥٦

تفسير قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ فرعوا﴾
 ٤٥٧ ﴿الآيات (٥١ - ٥٤)﴾

سورة فاطر

- تفسير قوله تعالى : ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض...﴾ الآية (١) ٤٦١
- تفسير قوله تعالى : ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها...﴾ الآيات (٢ - ٦) ٤٦٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد...﴾ الآيتان (٧ و ٨) ٤٦٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿والله الذي أرسل الرياح...﴾ الآيات (٩ - ١١) ٤٦٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما يستوي البحران...﴾ الآيات (١٢ - ١٤) ٤٦٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله...﴾ الآيات (١٥ - ١٨) ٤٦٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما يستوي الأعمى والبصير...﴾ الآيات (١٩ - ٢٦) ٤٦٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء...﴾ الآيتان (٢٧ و ٢٨) ٤٧٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يتلون كتاب الله...﴾ الآيتان (٢٩ و ٣٠) ٤٧١
- تفسير قوله تعالى : ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق...﴾ الآيتان (٣١ و ٣٢) ٤٧٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿جنت عدن يدخلونها...﴾ الآيات (٣٣ - ٣٥) ٤٧٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم...﴾ الآيتان (٣٦ و ٣٧) ٤٧٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض...﴾ الآيات (٣٨ - ٤١) ٤٧٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم...﴾ الآيتان (٤٢ و ٤٣) ٤٧٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم...﴾ الآيتان (٤٤ و ٤٥) ٤٧٩

فهرس المجلد الخامس

سورة يس

- ٥ تفسير قوله تعالى : ﴿يس والقرآن الحكيم...﴾ الآيات (١ - ٧) ٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنا جعلنا في أعناقهم
- ٦ أغلالاً...﴾ الآيات (٨ - ١٢) ٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب
- ١٠ القرية...﴾ الآيات (١٣ - ١٧) ١٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا إنا تطيرنا
- ١١ بكم...﴾ الآيات (١٨ و ١٩) ١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وجاء من أقصى المدينة
- ١٣ رجل يسعى...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٥) ١٣
- ١٤ تفسير قوله تعالى : ﴿قيل ادخل الجنة...﴾ الآيات (٢٦ و ٢٧) ١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما أنزلنا على قومه
- ١٥ من بعده...﴾ الآيات (٢٨ - ٣٢) ١٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وآية لهم الأرض الميتة
- ١٦ أحييناها...﴾ الآيات (٣٣ - ٣٦) ١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وآية لهم الليل نسلخ
- ١٧ منه النهار...﴾ الآيات (٣٧ - ٤٠) ١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم
- ١٩ في الفلك المشحون...﴾ الآيات (٤١ - ٤٤) ١٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين
- ٢٠ أيديكم وما خلفكم...﴾ الآيات (٤٥ - ٤٧) ٢٠

- تفسير قوله تعالى : ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين...﴾ الآيات (٤٨ - ٥٠) ٢٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون...﴾ الآيات (٥١ - ٥٤) ٢٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون...﴾ الآيات (٥٥ - ٥٨) ٢٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون...﴾ الآيات (٥٩ - ٦٢) ٢٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون...﴾ الآيات (٦٣ - ٦٧) ٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن نعمه ننكسه في الخلق...﴾ الآيات (٦٨ - ٧٠) ٢٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا...﴾ الآيات (٧١ - ٧٣) ٣١
- تفسير قوله تعالى : ﴿واتخذوا من دون الله آلهة...﴾ الآيات (٧٤ - ٧٦) ٣٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة...﴾ الآيات (٧٧ - ٨٠) ٣٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم...﴾ الآيات (٨١ - ٨٣) ٣٤

سورة الصافات

- تفسير قوله تعالى : ﴿والصافات صفاً...﴾ الآيات (١ - ٥) ٣٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب...﴾ الآيات (٦ - ١٠) ٣٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً...﴾ الآيات (١١ - ١٩) ٤٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٦) ٤٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون...﴾ الآيات (٢٧ - ٣٧) ٤٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنكم لذائقو العذاب الأليم...﴾ الآيات (٣٨ - ٤٩) ٤٦

٤٩	تفسير قوله تعالى : ﴿فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ...﴾ الآيات (٥٠ - ٦١)
٥٠	تفسير قوله تعالى : ﴿أَذْكَرُ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ...﴾ الآيات (٦٢ - ٧٤)
٥٢	تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ...﴾ الآيات (٧٥ - ٨٢)
٥٣	تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ...﴾ الآيات (٨٣ - ٨٧)
٥٥	تفسير قوله تعالى : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ...﴾ الآيات (٨٨ - ٩٨)
٥٨	تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينَ...﴾ الآيات (٩٩ - ١١٣)
٦٣	تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ...﴾ الآيات (١١٤ - ١٢٢)
٦٣	تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ...﴾ الآيات (١٢٣ - ١٣٢)
٦٥	تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ...﴾ الآيات (١٣٣ - ١٣٨)
٦٦	تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ...﴾ الآيات (١٣٩ - ١٤٨)
٧٠	تفسير قوله تعالى : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ...﴾ الآيات (١٤٩ - ١٦٠)
٧١	تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ...﴾ الآيات (١٦١ - ١٦٩)
٧٣	تفسير قوله تعالى : ﴿فَكُفِّرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ...﴾ الآيات (١٧٠ - ١٧٩)
٧٤	تفسير قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ...﴾ الآيات (١٨٠ - ١٨٢)

سورة ص

٧٥	تفسير قوله تعالى : ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ...﴾ الآيات (١ - ٣)
٧٨	تفسير قوله تعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذَرٌ مِنْهُمْ...﴾ الآيات (٤ - ١١)
٨٠	تفسير قوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ...﴾ الآيات (١٢ - ١٦)
٨٣	تفسير قوله تعالى : ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ...﴾ الآيات (١٧ - ٢٠)
٨٤	تفسير قوله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَاُ الْخَصْمِ...﴾ الآيات (٢١ - ٢٥)

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة
 ٩٠ في الأرض...﴾ الآية (٢٦)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والأرض
 ٩١ وما بينهما باطلاً...﴾ الآيات (٢٧ - ٣٣)
 ٩٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا سليمان...﴾ الآيات (٣٤ - ٤٠)
 ١٠١ تفسير قوله تعالى : ﴿واذكر عبدنا أيوب...﴾ الآيات (٤١ - ٤٤)
 ١٠٤ تفسير قوله تعالى : ﴿واذكر عبدنا إبراهيم...﴾ الآيات (٤٥ - ٤٨)
 تفسير قوله تعالى : ﴿هذا ذكر وإن للمتقين
 ١٠٥ لحسن مثاب...﴾ الآيات (٤٩ - ٥٤)
 تفسير قوله تعالى : ﴿هذا وإن للطاغين لشرّ
 ١٠٦ مثاب...﴾ الآيات (٥٥ - ٦٤)
 ١٠٩ تفسير قوله تعالى : ﴿قل إنما أنا منذر...﴾ الآيات (٦٥ - ٧٠)
 تفسير قوله تعالى : ﴿إذ قال ربك للملائكة إني
 ١١٠ خالق بشراً من طين...﴾ الآيات (٧١ - ٨٨)

سورة الزمر

- تفسير قوله تعالى : ﴿تنزيل الكتاب من الله
 ١١٣ العزيز الحكيم...﴾ الآيات (١ - ٤)
 تفسير قوله تعالى : ﴿خلق السموات والأرض
 ١١٤ بالحق...﴾ الآيتان (٥ و ٦)
 تفسير قوله تعالى : ﴿إن تكفروا فإن الله غنيّ
 ١١٦ عنكم...﴾ الآيات (٧ - ٩)
 تفسير قوله تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين
 ١١٨ آمنوا اتقوا ربكم...﴾ الآيات (١٠ - ١٢)
 تفسير قوله تعالى : ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي
 ١١٩ عذاب يوم عظيم...﴾ الآيات (١٣ - ١٦)
 تفسير قوله تعالى : ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن
 ١١٩ يعبدوها...﴾ الآيات (١٧ - ٢٠)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله أنزل
 ١٢١ من السماء ماء...﴾ الآيتان (٢١ و ٢٢)

- ١٢٢ تفسير قوله تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث...﴾ الآية (٢٣)
تفسير قوله تعالى : ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء
١٢٣ العذاب...﴾ الآيات (٢٤ - ٢٦)
تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
١٢٤ من كل مثل...﴾ الآيات (٢٧ - ٣١)
تفسير قوله تعالى : ﴿فمن أظلم ممن كذب على
١٢٦ الله...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٥)
١٢٧ تفسير قوله تعالى : ﴿أليس الله بكاف عبده...﴾ الآيات (٣٦ - ٤٠)
تفسير قوله تعالى : ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب
١٢٨ للناس بالحق...﴾ الآيات (٤١ و ٤٢)
تفسير قوله تعالى : ﴿أم اتخذوا من دون الله
١٢٩ شفعاء...﴾ الآيات (٤٣ - ٤٨)
تفسير قوله تعالى : ﴿فإذا مس الإنسان ضرر
١٣٠ دعانا...﴾ الآيات (٤٩ - ٥٢)
تفسير قوله تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا
١٣١ على أنفسهم...﴾ الآيات (٥٣ - ٥٩)
تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم القيامة ترى الذين
١٣٣ كذبوا على الله وجوههم مسودة...﴾ الآيات (٦٠ - ٦٦)
تفسير قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق
١٣٤ قدره...﴾ الآية (٦٧)
تفسير قوله تعالى : ﴿ونفخ في الصور فصعق من في
١٣٥ السموات ومن في الأرض...﴾ الآيات (٦٨ - ٧٠)
تفسير قوله تعالى : ﴿وسيق الذين كفروا إلى
١٣٧ جهنم زمراً...﴾ الآيات (٧١ - ٧٤)
تفسير قوله تعالى : ﴿وترى الملائكة حافين من
١٣٩ حول العرش...﴾ الآية (٧٥)

سورة غافر

- تفسير قوله تعالى : ﴿حَمَّ تنزيل الكتاب من الله
١٤١ العزيز العليم...﴾ الآيات (١ - ٣)

	تفسير قوله تعالى : ﴿وما يجادل في آيات الله إلا
١٤٢	الذين كفروا...﴾ الآيات (٤ - ٦)
	تفسير قوله تعالى : ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله
١٤٤	يسبحون بحمد ربهم...﴾ الآيات (٧ - ٩)
	تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت
١٤٥	الله أكبر...﴾ الآيات (١٠ - ١٤)
١٤٧	تفسير قوله تعالى : ﴿رفيع الدرجات ذو العرش...﴾ الآيات (١٥ - ١٧)
١٤٩	تفسير قوله تعالى : ﴿وأُنذِرهم يوم الأزفة...﴾ الآيات (١٨ - ٢٠)
	تفسير قوله تعالى : ﴿أو لم يسيروا في
١٥٠	الأرض...﴾ الآيتان (٢١ و ٢٢)
	تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
١٥١	وسلطان مبين...﴾ الآيات (٢٣ - ٢٧)
	تفسير قوله تعالى : ﴿وقال رجل مؤمن من آل
١٥٢	فرعون...﴾ الآيتان (٢٨ و ٢٩)
١٥٤	تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الذين آمن...﴾ الآيات (٣٠ - ٣٥)
	تفسير قوله تعالى : ﴿وقال فرعون يا هامان
١٥٥	ابن لي صرحاً...﴾ الآيات (٣٦ - ٤٠)
	تفسير قوله تعالى : ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم
١٥٧	إلى النجاة وتدعونني إلى النار...﴾ الآيات (٤١ - ٥٠)
١٦٠	تفسير قوله تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا...﴾ الآيات (٥١ - ٥٦)
	تفسير قوله تعالى : ﴿لخلق السموات والأرض أكبر
١٦٢	من خلق الناس...﴾ الآيات (٥٧ - ٦٠)
	تفسير قوله تعالى : ﴿الله الذي جعل لكم الليل
١٦٣	لتسكنوا فيه...﴾ الآيات (٦١ - ٦٨)
	تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون
١٦٤	في آيات الله...﴾ الآيات (٦٩ - ٨١)
١٦٥	تفسير قوله تعالى : ﴿أفلم يسيروا في الأرض...﴾ الآيات (٨٢ - ٨٥)
	سورة فصلت
	تفسير قوله تعالى : ﴿حمّ تنزيل من الرحمن
١٦٧	الرحيم...﴾ الآيات (١ - ٥)

- تفسير قوله تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر﴾
 ١٦٨ ﴿... مثلکم﴾ الآيات (٦ - ٨)
 تفسير قوله تعالى : ﴿قل أنکم لتکفرون بالذي خلق﴾
 ١٦٩ الأرض في يومين... ﴿...﴾ الآيات (٩ - ١٢)
 تفسير قوله تعالى : ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتکم﴾
 ١٧٣ صاعقة... ﴿...﴾ الآيات (١٣ - ١٨)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى﴾
 ١٧٥ النار... ﴿...﴾ الآيات (١٩ - ٢٤)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وقيضنا لهم قرناء...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٩)
 ١٧٧ تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾
 ١٧٩ ثم استقاموا... ﴿...﴾ الآيات (٣٠ - ٣٢)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا﴾
 ١٨١ إلى الله وعمل صالحاً... ﴿...﴾ الآيات (٣٣ - ٣٦)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ومن آياته الليل والنهار﴾
 ١٨٣ والشمس والقمر... ﴿...﴾ الآيات (٣٧ - ٣٩)
 تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾
 ١٨٤ لا يخفون علينا... ﴿...﴾ الآيات (٤٠ - ٤٣)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾
 ١٨٦ لقالوا لولا فصلت آياته... ﴿...﴾ الآيات (٤٤ و ٤٥)
 تفسير قوله تعالى : ﴿من عمل صالحاً فلنفسه...﴾ الآيات (٤٦ - ٤٨)
 ١٨٧ تفسير قوله تعالى : ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء﴾
 ١٨٧ الخير... ﴿...﴾ الآيات (٤٩ - ٥١)
 تفسير قوله تعالى : ﴿قل أرأيتم إن كان من﴾
 ١٨٩ عند الله... ﴿...﴾ الآيات (٥٢ - ٥٤)

سورة الشورى

- تفسير قوله تعالى : ﴿حم عسق كذلك يوحي﴾
 ١٩١ إليك... ﴿...﴾ الآيات (١ - ٦)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً﴾
 ١٩٣ عربياً... ﴿...﴾ الآيات (٧ و ٨)

- تفسير قوله تعالى : ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
- أولياء...﴾ الآيات (٩ - ١٢) ١٩٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى
- بِهِ نُوحًا...﴾ الآيتان (١٣ و ١٤) ١٩٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَذَلِكَ فَادِعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا
- أُمِرْتَ...﴾ الآية (١٥) ١٩٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَحَابُّونَ فِي
- اللَّهِ...﴾ الآيات (١٦ - ١٨) ١٩٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ...﴾ الآيات (١٩ - ٢٢) ٢٠٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَبْشُرُ اللَّهُ
- عِبَادَهُ...﴾ الآيتان (٢٣ و ٢٤) ٢٠١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ
- عِبَادِهِ...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٨) ٢٠٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ
- وَالْأَرْضِ...﴾ الآيات (٢٩ - ٣١) ٢٠٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ
- كَالْأَعْلَامِ...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٥) ٢٠٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ
- الدُّنْيَا...﴾ الآيات (٣٦ - ٣٩) ٢٠٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
- مِثْلُهَا...﴾ الآيات (٤٠ - ٤٣) ٢٠٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
- وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ...﴾ الآيات (٤٤ - ٤٦) ٢٠٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ...﴾ الآيتان (٤٧ و ٤٨) ٢١٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآيتان (٤٩ و ٥٠) ٢١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ
- إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾ الآيات (٥١ - ٥٣) ٢١١

سورة الزخرف

- تفسير قوله تعالى : ﴿حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ...﴾ الآيات (١ - ٨) ٢١٤

- تفسير قوله تعالى : ﴿وَلئن سألنهم من خلق السموات والأرض...﴾ الآيات (٩ - ١٤) ٢١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً...﴾ الآيات (١٥ - ٢٠) ٢١٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله...﴾ الآيات (٢١ - ٢٥) ٢٢٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه...﴾ الآيات (٢٦ - ٣٥) ٢٢١
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين...﴾ الآيات (٣٦ - ٤٥) ٢٢٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون...﴾ الآيات (٤٦ - ٥٠) ٢٢٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ونادى فرعون في قومه...﴾ الآيات (٥١ - ٥٦) ٢٢٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً...﴾ الآيات (٥٧ - ٦٥) ٢٣٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم...﴾ الآيات (٦٦ - ٧٣) ٢٣٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون...﴾ الآيات (٧٤ - ٨٠) ٢٣٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين...﴾ الآيات (٨١ - ٨٩) ٢٤٠

سورة الدخان

- تفسير قوله تعالى : ﴿حَمّ والكتاب المبين...﴾ الآيات (١ - ٨) ٢٤٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿بل هم في شك يلعبون...﴾ الآيات (٩ - ١٦) ٢٤٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون...﴾ الآيات (١٧ - ٣٣) ٢٤٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى...﴾ الآيات (٣٤ - ٣٧) ٢٥٥

- تفسير قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السموات والأرض
وما بينهما لاعبين...﴾ الآيات (٣٨ - ٤٢) ٢٥٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن شجرة الزقوم طعام
الأتيم...﴾ الآيات (٤٣ - ٥٠) ٢٥٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن المتقين في مقام
أمين...﴾ الآيات (٥١ - ٥٩) ٢٥٨

سورة الجاثية

- تفسير قوله تعالى : ﴿حمّ تنزيل الكتاب من الله
العزیز الحكيم...﴾ الآيات (١ - ٥) ٢٦٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿تلك آيات الله نتلوها
عليك بالحق...﴾ الآيات (٦ - ١١) ٢٦١
- تفسير قوله تعالى : ﴿الله الذي سخر لكم البحر...﴾
الآيات (١٢ - ١٥) ٢٦٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل
الكتاب...﴾ الآيات (١٦ - ٢٠) ٢٦٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿أم حسب الذين اجترحوا
السيئات...﴾ الآيات (٢١ - ٢٣) ٢٦٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا
الدنيا...﴾ الآيات (٢٤ - ٢٦) ٢٦٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولله ملك السموات والأرض...﴾
الآيات (٢٧ - ٢٩) ٢٦٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته...﴾ الآيات (٣٠ - ٣٧) ٢٦٩

سورة الأحقاف

- تفسير قوله تعالى : ﴿حمّ تنزيل الكتاب من الله
العزیز الحكيم...﴾ الآيات (١ - ٦) ٢٧٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات...﴾ الآيات (٧ - ٩) ٢٧٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل أرايتم إن كان من
عند الله وكفرتم به...﴾ الآيات (١٠ - ١٤) ٢٧٣

- تفسير قوله تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه
 ٢٧٥ إحصاناً...﴾ الآيات (١٥ و ١٦)
 تفسير قوله تعالى : ﴿والذي قال لوالديه أف
 ٢٧٩ لكما...﴾ الآيات (١٧ - ٢٠)
 تفسير قوله تعالى : ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر
 ٢٨٢ قومه بالأحقاف...﴾ الآيات (٢١ - ٢٥)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم
 ٢٨٤ فيه...﴾ الآيات (٢٦ - ٢٨)
 تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً
 ٢٨٥ من الجن...﴾ الآيات (٢٩ - ٣٢)
 تفسير قوله تعالى : ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق
 ٢٨٧ السموات والأرض ولم يعبى بخلقهن...﴾ الآيات (٣٣ - ٣٥)

سورة محمد

- تفسير قوله تعالى : ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل
 ٢٩٠ الله أضل أعمالهم...﴾ الآيات (١ - ٣)
 تفسير قوله تعالى : ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا
 ٢٩٢ فضرب الرقاب...﴾ الآيات (٤ - ٩)
 تفسير قوله تعالى : ﴿أفلم يسيرا في الأرض...﴾ الآيات (١٠ - ١٣)
 ٢٩٥ تفسير قوله تعالى : ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن
 ٢٩٦ زين له سوء عمله...﴾ الآيات (١٤ و ١٥)
 تفسير قوله تعالى : ﴿ومنهم من يستمع إليك...﴾ الآيات (١٦ - ١٩)
 ٢٩٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٣)
 ٣٠٠ تفسير قوله تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن...﴾ الآيات (٢٤ - ٢٨)
 ٣٠٢ تفسير قوله تعالى : ﴿أم حسب الذين في قلوبهم
 ٣٠٤ مرض...﴾ الآيات (٢٩ - ٣١)
 تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن
 ٣٠٥ سبيل الله...﴾ الآيات (٣٢ - ٣٥)
 تفسير قوله تعالى : ﴿إنما الحياة الدنيا لعب
 ٣٠٦ ولهو...﴾ الآيات (٣٦ - ٣٨)

سورة الفتح

- تفسير قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً...﴾ الآيات (١ - ٣) ٣٠٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين...﴾ الآيات (٤ - ٧) ٣١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً...﴾ الآيات (٨ - ١٠) ٣١٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب...﴾ الآيات (١١ - ١٥) ٣١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل للمخلفين من الأعراب...﴾ الآيات (١٦ و ١٧) ٤١٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...﴾ الآيات (١٨ و ١٩) ٣١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وعدكم الله مغام كثيرة...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٤) ٣١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام...﴾ الآيات (٢٥ و ٢٦) ٣١٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق...﴾ الآيات (٢٧ و ٢٨) ٣٢١
- تفسير قوله تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار...﴾ الآية (٢٩) ٣٢٢

سورة الحجرات

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله...﴾ الآيات (١ - ٣) ٣٢٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات...﴾ الآيات (٤ و ٥) ٣٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...﴾ الآيات (٦ - ٨) ٣٢٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...﴾ الآيات (٩ و ١٠) ٣٣٠

تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا

- يسخر قوم من قوم... ﴿ الآية (١١) ٣٣١
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا
- كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم... ﴿ الآية (١٢) ٣٣٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم
- من ذكر وأنثى... ﴿ الآية (١٣) ٣٣٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿قالت الأعراب آمناً... ﴿ الآيات (١٤ - ١٨) ٣٣٦

سورة ق

- تفسير قوله تعالى : ﴿ق والقرآن المجيد... ﴿ الآيات (١ - ٥) ٣٣٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿أفلم ينظروا إلى السماء
- فوفهم... ﴿ الآيات (٦ - ١١) ٣٤١
- تفسير قوله تعالى : ﴿كذبت قبلهم قوم نوح... ﴿
- الآيات (١٢ - ١٥) ٣٤٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم
- ما توسوس به نفسه... ﴿ الآيات (١٦ - ٢٢) ٣٤٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿وقال قرينه هذا ما لديّ
- عتيد... ﴿ الآيات (٢٣ - ٢٩) ٣٥٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت... ﴿
- الآيات (٣٠ - ٣٥) ٣٥٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وكم أهلكنا قبلهم
- من قرن... ﴿ الآيات (٣٦ - ٤٠) ٣٥٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿واستمع يوم يناد المناد
- من مكان قريب... ﴿ الآيات (٤١ - ٤٥) ٣٥٧

سورة الذاريات

- تفسير قوله تعالى : ﴿والذاريات ذرواً... ﴿ الآيات (١ - ١٤) ٣٦٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن المتقين في جنات
- وعيون... ﴿ الآيات (١٥ - ٢٣) ٣٦٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم
- المكرمين... ﴿ الآيات (٢٤ - ٣٠) ٣٦٩

- تفسير قوله تعالى : ﴿وقال فما خطبكم أيها المرسلون...﴾ الآيات (٣١ - ٤٦) ٣٧١
- تفسير قوله تعالى : ﴿والسماء بنيناها بأيد...﴾ الآيات (٤٧ - ٥١) ٣٧٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون...﴾ الآيات (٥٢ - ٦٠) ٣٧٤

سورة الطور

- تفسير قوله تعالى : ﴿والطور وكتاب مسطور...﴾ الآيات (١ - ١٦) ٣٧٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن المتقين في جنات ونعيم...﴾ الآيات (١٧ - ٢٠) ٣٨٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان...﴾ الآيات (٢١ - ٢٨) ٣٨١
- تفسير قوله تعالى : ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون...﴾ الآيات (٢٩ - ٣٥) ٣٨٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون...﴾ الآيات (٣٦ - ٤٣) ٣٨٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً...﴾ الآيات (٤٤ - ٤٩) ٣٨٥

سورة النجم

- تفسير قوله تعالى : ﴿والنجم إذا هوى...﴾ الآيات (١ - ٤) ٣٨٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿علمه شديد القوى...﴾ الآيات (٥ - ١٨) ٣٩١
- تفسير قوله تعالى : ﴿أفرأيتم اللات والعزى...﴾ الآيات (١٩ - ٢٦) ٣٩٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة لیسمون الملائكة تسمية الأنثى...﴾ الآيات (٢٧ - ٣٢) ٣٩٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿أفرأيتم الذي تولى...﴾ الآيات (٣٣ - ٤١) ٤٠٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإن إلى ربك المنتهى...﴾ الآيات (٤٢ - ٥٥) ٤٠٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿هذا نذير من النذر الأولى...﴾ الآيات (٥٦ - ٦٢) ٤٠٦

سورة القمر

- تفسير قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر...﴾ الآيات (١ - ٥) ٤٠٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿فتول عنهم...﴾ الآيات (٦ - ٨) ٤١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح...﴾ الآيات (٩ - ١٧) ٤١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر...﴾ الآيات (١٨ - ٢٢) ٤١٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود بالنذر...﴾ الآيات (٢٣ - ٣٢) ٤١٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿كذبت قوم لوط بالنذر...﴾ الآيات (٣٣ - ٤٠) ٤١٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر...﴾ الآيات (٤١ - ٤٦) ٤١٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر...﴾ الآيات (٤٧ - ٥٥) ٤١٩

سورة الرحمن

- تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن علم القرآن...﴾ الآيات (١ - ١٣) ٤٢٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار...﴾ الآيات (١٤ - ٢٥) ٤٢٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان...﴾ الآيات (٢٦ - ٣٠) ٤٣٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان...﴾ الآيات (٣١ - ٣٦) ٤٣٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان...﴾ الآيات (٣٧ - ٤٥) ٤٣٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان...﴾ الآيات (٤٦ - ٥٣) ٤٣٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق...﴾ الآيات (٥٤ - ٦١) ٤٣٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان...﴾ الآيات (٦٢ - ٧٨) ٤٤٠

سورة الواقعة

- تفسير قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة...﴾ الآيات (١ - ١٢) ٤٤٥

- تفسير قوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ
 ٤٤٩ من الآخرين...﴾ الآيات (١٣ - ٢٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
 ٤٥٢ اليمين...﴾ الآيات (٢٧ - ٤٠)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ
 ٤٥٦ الشمال...﴾ الآيات (٤١ - ٥٦)
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
 ٤٥٧ تصدقون...﴾ الآيات (٥٧ - ٦٢)
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ...﴾ الآيات (٦٣ - ٧٤)
- ٤٥٩ تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ...﴾ الآيات (٧٥ - ٨٢)
- ٤٦٢ تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغْتَ
 ٤٦٥ الحلقوم...﴾ الآيات (٨٣ - ٨٧)
- تفسير قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ
 ٤٦٦ المقربين...﴾ الآيات (٨٨ - ٩٦)

سورة الحديد

- تفسير قوله تعالى : ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
 ٤٦٨ والأرض...﴾ الآيات (١ - ٣)
- تفسير قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
 ٤٦٩ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾ الآيات (٤ - ٦)
- ٤٧٠ تفسير قوله تعالى : ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآيات (٧ - ١٢)
- تفسير قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ
 ٤٧٤ وَالْمُنَافِقَاتُ...﴾ الآيات (١٣ - ١٥)
- تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا
 ٤٧٦ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...﴾ الآيات (١٦ و ١٧)
- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنْ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ
 ٤٧٨ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ الآيات (١٨ و ١٩)
- تفسير قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 ٤٨٠ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ...﴾ الآيات (٢٠ و ٢١)
- تفسير قوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ
 ٤٨١ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ...﴾ الآيات (٢٢ - ٢٤)

- تفسير قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات...﴾ الآية (٢٥) ٤٨٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم...﴾ الآيتان (٢٦ و ٢٧) ٤٨٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله...﴾ الآيتان (٢٨ و ٢٩) ٤٨٥

سورة المجادلة

- تفسير قوله تعالى : ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...﴾ الآية (١) ٤٨٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم...﴾ الآيات (٢ - ٤) ٤٨٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله...﴾ الآيات (٥ - ٧) ٤٨٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى...﴾ الآيات (٨ - ١٠) ٤٩٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا...﴾ الآية (١١) ٤٩٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة...﴾ الآيتان (١٢ و ١٣) ... ٤٩٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم...﴾ الآيات (١٤ - ١٩) ٤٩٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٢) ٤٩٥

سورة الحشر

- تفسير قوله تعالى : ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض...﴾ الآيات (١ - ٥) ٤٩٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم...﴾ الآيتان (٦ و ٧) ٥٠٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم...﴾ الآيات (٨ - ١٠) ٥٠٤

- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا...﴾ الآيات (١١ - ١٧) ٥٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله...﴾ الآيات (١٨ - ٢٠) ٥١٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله...﴾ الآيات (٢١ - ٢٤) ٥١١

سورة الممتحنة

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء...﴾ الآيات (١ - ٣) ٥١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه...﴾ الآيات (٤ - ٦) ٥١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة...﴾ الآيات (٧ - ٩) ٥١٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحنهن...﴾ الآيات (١٠ و ١١) ٥٢٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك...﴾ الآية (١٢) ٥٢٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم...﴾ الآية (١٣) ٥٢٦

سورة الصف

- تفسير قوله تعالى : ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض...﴾ الآيات (١ - ٤) ٥٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قال موسى لقومه...﴾ الآيات (٥ و ٦) ٥٢٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب...﴾ الآيات (٧ - ٩) ٥٢٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم...﴾ الآيات (١٠ - ١٤) ٥٣١

فهرس المجلد السادس

سورة الجمعة

- تفسير قوله تعالى : ﴿يسبح لله ما في السموات
وما في الأرض...﴾ الآيات (١ - ٤) ٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها...﴾ الآيات (٥ - ١٠) ٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً
انفضوا إليها...﴾ الآية (١١) ١١

سورة المنافقون

- تفسير قوله تعالى : ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد إنك لرسول الله...﴾ الآيات (١ - ٤) ١٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله...﴾ الآيات (٥ - ٨) ١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا
لا تلهكم أموالكم...﴾ الآيات (٩ - ١١) ١٨

سورة التغابن

- تفسير قوله تعالى : ﴿يسبح لله ما في السموات
وما في الأرض...﴾ الآيات (١ - ٤) ٢٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم يأتكم نبا الذين كفروا
من قبل...﴾ الآيتان (٥ و ٦) ٢١
- تفسير قوله تعالى : ﴿زعم الذين كفروا أن لن
يبعثوا...﴾ الآيات (٧ - ١٠) ٢٢

تفسير قوله تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة

إلا بإذن الله ... ﴾ الآيات (١١ - ١٣) ٢٣

تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من

أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ... ﴾ الآيات (١٤ - ١٨) ٢٤

سورة الطلاق

تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم

النساء فطلقوهن لعدتهن ... ﴾ الآية (١) ٢٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن

بمعروف أو فارقوهن بمعروف ... ﴾ الآيات (٢ و ٣) ٣٠

تفسير قوله تعالى : ﴿ واللائي يثن من المحيض ... ﴾ الآيات (٤ و ٥) ٣٢

تفسير قوله تعالى : ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم

من وجدكم ... ﴾ الآيات (٦ و ٧) ٣٣

تفسير قوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت

عن أمر ربها ... ﴾ الآيات (٨ - ١١) ٣٦

تفسير قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ... ﴾ الآية (١٢) ٣٦

سورة التحريم

تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم

ما أحل الله لك ... ﴾ الآيات (١ - ٥) ٣٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا

أنفسكم وأهليكم ناراً ... ﴾ الآيات (٦ - ٨) ٤٣

تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار

والمنافقين ... ﴾ الآيات (٩ و ١٠) ٤٥

تفسير قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً للذين

آمنوا امرأة فرعون ... ﴾ الآيات (١١ و ١٢) ٤٧

سورة الملك

تفسير قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي بيده

الملك ... ﴾ الآيات (١ - ٥) ٤٩

تفسير قوله تعالى : ﴿ وللذين كفروا بربهم

عذاب جهنم ... ﴾ الآيات (٦ - ١١) ٥٢

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

بِالْغَيْبِ...﴾ الآيات (١٢ - ١٥) ٥٤

تفسير قوله تعالى : ﴿أَأَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ

يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ...﴾ الآيات (١٦ - ١٩) ٥٥

تفسير قوله تعالى : ﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَنْدٌ

لَكُمْ...﴾ الآيات (٢٠ - ٢٧) ٥٦

تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ...﴾ الآيات (٢٨ - ٣٠) .. ٥٧

سورة القلم

تفسير قوله تعالى : ﴿وَنَاقُوسٍ وَمَا يَسْطُرون...﴾ الآيات (١ - ٧) ٥٩

تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمَكْذِبِينَ...﴾ الآيات (٨ - ١٦) ٦٢

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ...﴾ الآيات (١٧ - ٣٣) ٦٦

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنْ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ

جَنَّاتُ النَّعِيمِ...﴾ الآيات (٣٤ - ٤١) ٦٩

تفسير قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ...﴾ الآيات (٤٢ - ٤٧) ٧٠

تفسير قوله تعالى : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...﴾ الآيات (٤٨ - ٥٢) ٧٢

سورة الحاقة

تفسير قوله تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا

أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ...﴾ الآيات (١ - ١٢) ٧٥

تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ

نَفْخَةً وَاحِدَةً...﴾ الآيات (١٣ - ١٨) ٨٠

تفسير قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

بِيمِينَةٍ...﴾ الآيات (١٩ - ٢٤) ٨٢

تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

بِشِمَالِهِ...﴾ الآيات (٢٥ - ٣٧) ٨٤

تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا

لَا تُبْصِرُونَ...﴾ الآيات (٣٨ - ٤٣) ٨٥

تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ

الْأَقَاوِيلِ...﴾ الآيات (٤٤ - ٥٢) ٨٦

سورة المعارج

- تفسير قوله تعالى : ﴿سأل سائل بعذاب واقع...﴾ الآيات (١ - ٧) ٨٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿يوم تكون السماء كالمهل...﴾ الآيات (٨ - ١٨) ٩١
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً...﴾ الآيات (١٩ - ٣٥) ٩٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين...﴾ الآيات (٣٦ - ٤٤) ٩٥

سورة نوح

- تفسير قوله تعالى : ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه...﴾ الآيات (١ - ٤) ٩٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال رب إنني دعوت قومي ليلاً ونهاراً...﴾ الآيات (٥ - ٢٠) ٩٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قال نوح رب إنهم عصوني...﴾ الآيات (٢١ - ٢٤) ١٠٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٨) ١٠٥

سورة الجن

- تفسير قوله تعالى : ﴿قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن...﴾ الآيات (١ - ٧) ١٠٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأنا لمسنا السماء...﴾ الآيات (٨ - ١٠) ١١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك...﴾ الآيات (١١ - ١٧) ١١٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿وأن المساجد لله...﴾ الآيات (١٨ - ٢٤) ١١٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿قل إن أدري أقرب ما توعدون...﴾ الآيات (٢٥ - ٢٨) ١٢١

سورة المزمل

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً...﴾ الآيات (١ - ٩) ١٢٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿واصبر على ما يقولون...﴾ الآيات (١٠ - ١٨) ١٢٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن هذه تذكرة...﴾ الآيتين (١٩ و ٢٠) ١٣٢

سورة المدثر

- تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها المدثر قم
فأنذر...﴾ الآيات (١ - ١٠) ١٣٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ذرني ومن خلقت
وحيداً...﴾ الآيات (١١ - ٣٠) ١٣٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿وما جعلنا أصحاب النار
إلا ملائكة...﴾ الآيات (٣١ - ٣٧) ١٤٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿كل نفس بما كسبت
رهينة...﴾ الآيات (٣٨ - ٥٦) ١٤٧

سورة القيامة

- تفسير قوله تعالى : ﴿لا أقسم بيوم
القيامة...﴾ الآيات (١ - ١٥) ١٥٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿لا تحرك به لسانك
لتعجل به...﴾ الآيات (١٦ - ٢٥) ١٥٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿كلا إذا بلغت
التراقي...﴾ الآيات (٢٦ - ٤٠) ١٥٧

سورة الإنسان

- تفسير قوله تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان
حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً...﴾ الآيات (١ - ٣) ١٦١
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنا أعتدنا للكافرين
سلاسل...﴾ الآيات (٤ - ١٢) ١٦٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿متكئين فيها على
الأرائك...﴾ الآيات (١٣ - ٢٢) ١٦٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلاً...﴾ الآيات (٢٣ - ٣١) ١٧٢

سورة المرسلات

- تفسير قوله تعالى : ﴿والمرسلات عرفاً...﴾ الآيات (١ - ١٥) ١٧٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ألم نهلك الأولين...﴾ الآيات (١٦ - ٢٨) ١٧٧

- تفسير قوله تعالى : ﴿انطلقوا إلى ما كنتم
 به تكذبون...﴾ الآية (٢٩ - ٤٠) ١٧٩
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن المتقين في ظلال
 وعيون...﴾ الآية (٤١ - ٥٠) ١٨١

سورة النبأ

- تفسير قوله تعالى : ﴿عم يتساءلون...﴾ الآية (١ - ١٦) ١٨٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن يوم الفصل كان
 ميقاتاً...﴾ الآية (١٧ - ٣٠) ١٨٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿إن للمتقين مفازاً...﴾ الآية (٣١ - ٣٦) ١٨٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿رب السموات والأرض...﴾ الآية (٣٧ - ٤٠) ١٨٩

سورة النازعات

- تفسير قوله تعالى : ﴿والنازعات غرقاً...﴾ الآية (١ - ١٤) ١٩٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿هل أتاك حديث
 موسى...﴾ الآية (١٥ - ٢٦) ١٩٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿أنتم أشد خلقاً أم
 السماء بناها...﴾ الآية (٢٧ - ٣٣) ١٩٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿فإذا جاءت الطامة
 الكبرى...﴾ الآية (٣٤ - ٤٦) ١٩٩

سورة عبس

- تفسير قوله تعالى : ﴿عبس وتولى...﴾ الآية (١ - ١٦) ٢٠٢
- تفسير قوله تعالى : ﴿قتل الإنسان ما أكفره...﴾ الآية (١٧ - ٣٢) ٢٠٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿فإذا جاءت الصاخة...﴾ الآية (٣٣ - ٤٢) ٢٠٨

سورة التكويد

- تفسير قوله تعالى : ﴿إذا الشمس كورت...﴾ الآية (١ - ١٤) ٢١١
- تفسير قوله تعالى : ﴿فلا أقسم بالخنس...﴾ الآية (١٥ - ٢٩) ٢١٥

سورة الانفطار

- تفسير قوله تعالى : ﴿إذا السماء انفطرت...﴾ الآية (١ - ١٢) ٢٢٠

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نعيم...﴾ الآيات (١٣ - ١٩) ٢٢٣

سورة المطففين

تفسير قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ...﴾ الآيات (١ - ٦) ٢٢٥
تفسير قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي

سجين...﴾ الآيات (٧ - ١٧) ٢٢٧
تفسير قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ

لَفِي عِلِّيْن...﴾ الآيات (١٨ - ٢٨) ٢٢٩
تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا

من الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ...﴾ الآيات (٢٩ - ٣٦) ٢٣١

سورة الانشقاق

تفسير قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ...﴾ الآيات (١ - ١٥) ٢٣٣

تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفق...﴾ الآيات (١٦ - ٢٥) ٢٣٧

سورة البروج

تفسير قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ...﴾ الآيات (١ - ١٠) ٢٤٠
تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الآيات (١١ - ٢٢) .. ٢٤٢

سورة الطارق

تفسير قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ...﴾ الآيات (١ - ١٠) ٢٤٥

تفسير قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ...﴾ الآيات (١١ - ١٧) ٢٤٨

سورة الأعلى

تفسير قوله تعالى : ﴿سُبْحِ اسمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى...﴾ الآيات (١ - ١٣) ٢٥١

تفسير قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى...﴾ الآيات (١٤ - ١٩) ٢٥٥

سورة الغاشية

تفسير قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ...﴾ الآيات (١ - ٧) ٢٥٧

تفسير قوله تعالى : ﴿وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ...﴾ الآيات (٨ - ١٦) ٢٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ

كَيْفَ خَلَقَتْ...﴾ الآيات (١٧ - ٢٦) ٢٦٢

سورة الفجر

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ...﴾ الآيات (١ - ١٤) ٢٦٤

تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا

ابْتَلَاهُ رَبُّهُ...﴾ الآيات (١٥ - ٢٠) ٢٧٠

تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دَكَتِ الْأَرْضُ

دَكًّا دَكًّا...﴾ الآيات (٢١ - ٣٠) ٢٧١

سورة البلد

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسَمُ بِهِذَا الْبَلَدِ...﴾ الآيات (١ - ١٠) ٢٧٤

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ...﴾ الآيات (١١ - ٢٠) ٢٧٨

سورة الشمس

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا...﴾ الآيات (١ - ١٠) ٢٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ بِطَغْوَاهَا...﴾ الآيات (١١ - ١٥) ٢٨٥

سورة الليل

تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى...﴾ الآيات (١ - ١١) ٢٨٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى...﴾ الآيات (١٢ - ٢١) ٢٨٩

سورة الضحى

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى...﴾ الآيات (١ - ١١) ٢٩١

سورة الشرح

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ...﴾ الآيات (١ - ٨) ٢٩٦

سورة التين

تفسير قوله تعالى: ﴿والتين والزيتون...﴾ الآيات (١ - ٨) ٣٠٠

سورة العلق

تفسير قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ الآيات (١ - ٥) ٣٠٤

تفسير قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ الآية (٦ - ١٩) ٣٠٦

سورة القدر

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي

ليلة القدر...﴾ الآية (١ - ١٥) ٣١١

سورة البينة

تفسير قوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الكتاب والمشركون منفكين حتى تأتيهم البينة...﴾ الآية (١ - ٥) ٣١٥

تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

والمشركين فِي نَارِ جَهَنَّمَ...﴾ الآية (٦ - ٨) ٣١٧

سورة الزلزلة

تفسير قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا...﴾ الآية (١ - ٨) ٣١٨

سورة العاديات

تفسير قوله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً...﴾ الآية (١ - ١١) ٣٢٣

سورة القارعة

تفسير قوله تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ...﴾ الآية (١ - ١١) ٣٢٧

سورة التكاثر

تفسير قوله تعالى : ﴿أَلْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ

المقابر...﴾ الآية (١ - ٨) ٣٣٠

سورة العصر

تفسير قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي

خسر...﴾ الآية (١ - ٣) ٣٣٣

سورة الهمزة

تفسير قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ

لمزة...﴾ الآية (١ - ٩) ٣٣٥

سورة الفيل

تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر كيف فعل ربك
بأصحاب الفيل...﴾ الآيات (١ - ٥) ٣٣٨

سورة قريش

تفسير قوله تعالى : ﴿لإيلاف قريش...﴾ الآيات (١ - ٤) ٣٤٥

سورة الماعون

تفسير قوله تعالى : ﴿أرأيت الذي يكذب
بالدين...﴾ الآيات (١ - ٧) ٣٥٠

سورة الكوثر

تفسير قوله تعالى : ﴿إنا أعطيناك الكوثر...﴾ الآيات (١ - ٣) ٣٥٤

سورة الكافرون

تفسير قوله تعالى : ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد
ما تعبدون...﴾ الآيات (١ - ٦) ٣٥٧

سورة النصر

تفسير قوله تعالى : ﴿إذا جاء نصر الله
والفتح...﴾ الآيات (١ - ٣) ٣٥٩

سورة المسد

تفسير قوله تعالى : ﴿تبت يدا أبي لهب
وتب...﴾ الآيات (١ - ٥) ٣٦٣

سورة الإخلاص

تفسير قوله تعالى : ﴿قل هو الله أحد...﴾ الآيات (١ - ٤) ٣٦٩

سورة الفلق

تفسير قوله تعالى : ﴿قل أعوذ برب الفلق...﴾ الآيات (١ - ٥) ٣٧٣

سورة الناس

تفسير قوله تعالى : ﴿قل أعوذ برب الناس...﴾ الآيات (١ - ٦) ٣٧٨